

سيرة الإمام الهادي إلى الحق

يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم (ع)

(ت ٢٩٨هـ / ٩١١م)

تأليف

العالم المجاهد الشهيد

علي بن محمد بن عبيد الله العباسي العلوي (ت ٢٩٧هـ / ٩١٠م)

الجزء الأول

دراسة وتحقيق

د / حمود عبد الله الأهنومي

مؤسسة الشعب الاجتماعية للتنمية

مركز شهارة للدراسات والبحوث

صنعاء - ١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م

حقوق الطبع محفوظة
لمركز شهارة للدراسات والبحوث

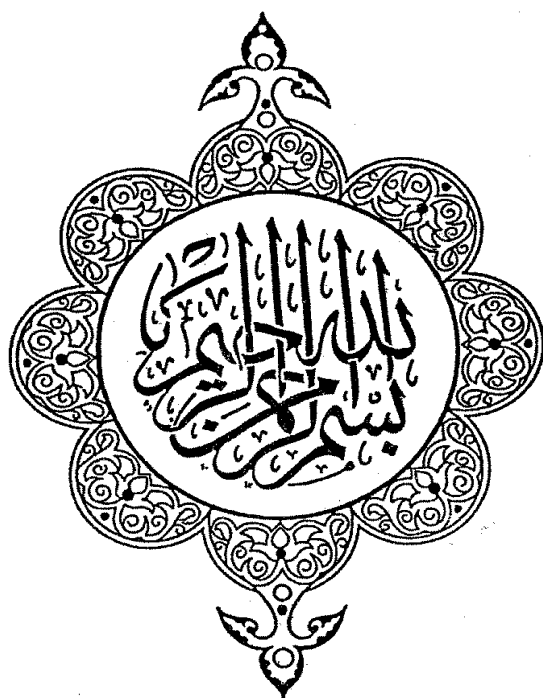
الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م

تنسيق وإخراج / يحيى الجيوري
تصميم الغلاف / محمد حسان الشامي

أُودِعَ هذا الكتاب
بالإدارة العامة للإيداع القانوني - الهيئة العامة للكتاب
تحت رقم (٣٦٧ / ٢٠٢١م)

مطابع مؤسسة الثورة للصحافة والطباعة والنشر



الشكر

أشكر والدي العزيز وأخي الدكتور محمدًا وأولادي محمدًا وعليًا والحسن - حفظهم الله - على تحمُّلهم معي عناء مقابلة النسخ ببعضها، كما أشكر كلَّ مَنْ قدم لي العون والمساعدة في هذا العمل، وعلى رأسهم المجلس الزيدي الإسلامي، ومؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، ومركز بدر العلمي والثقافي، ومكتب السيد القائد عبد الملك بدر الدين الحوثي يحفظه الله.

كما أشكر المشرف على الأطروحة، وأعضاء لجنة المناقشة والحكم: الأستاذ الدكتور نزار عبداللطيف الحديثي، والأستاذ الدكتور محمد الكامل -رحمه الله-، والأستاذ الدكتور سفيان المقرمي على ملاحظاتهم القيمة.

ولا يفوتني أن أسجِّل كلمة شكر وتقدير لمؤسسة الشعب الاجتماعية للتنمية التي تكفّلت بتمويل طباعة هذه الطبعة.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفعنا به، والقُرَّاء الأعزاء، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

فهرس الموضوعات

الإهداء	أ
الشكر	ب
فهرس الموضوعات	ج
المقدمة	١
سبب اختياري للموضوع	٢
أهمية الموضوع وأهدافه	٢
الدراسة السابقة	٤
منهج البحث	٥
هيكل البحث	٦
الباب الأول: قسم الدراسة	٧
الفصل الأول: أوضاع اليمن العامة قبل مجيء الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين	٩
أولاً: الأوضاع السياسية والاجتماعية	١٠
١ - أحوال الخلافة العباسية في حياة الإمام الهادي إلى الحق	١٠
٢ - أوضاع اليمن السياسية والاجتماعية	٢١
ثانياً: أوضاع اليمن الفكرية والمذهبية	٤٤
١ - الشيعة	٤٤
٢ - التيار السني	٦٥
٣ - الخوارج الأباضية الفزارية	٧٣
٤ - المعتزلة	٧٩
الفصل الثاني: الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين وجهوده العلمية والفكرية والسياسية والعسكرية	٨٢
أولاً: حياته الشخصية	٨٣
١ - أسرته	٨٣
٢ - ولادته ونشأته	٨٦
٣ - زواجه وأولاده	٨٩

- ٤ - أوصافه الخلقية والخلقية ----- ٩١
- ٥ - وفاته ----- ٩٥
- ثانيا: جهوده العلمية ----- ٩٩
- ١ - تعلمه وشيوخه ----- ٩٩
- ٢ - نشاطه التعليمي ----- ١٠٢
- ٣ - تلامذته ومعاصروه ----- ١٠٥
- ٤ - نتاجه العلمي والأدبي ----- ١١٤
- ثالثا: جهوده الفكرية والعقائدية ----- ١٣٤
- رابعا: جهوده السياسية والإدارية ----- ١٤٠
- ١ - خروجه الأول إلى اليمن ----- ١٤٠
- ٢ - خروجه الثاني إلى اليمن ----- ١٤٥
- ٣ - أهدافه ----- ١٤٨
- ٤ - إنجازاته السياسية والإدارية ----- ١٥١
- خامسا: جهوده الجهادية العسكرية ----- ١٥٦
- ١ - أسباب الصراع مع بني الحارث بن كعب ----- ١٥٦
- ٢ - حروبه مع القرامطة ----- ١٦١
- الفصل الثالث: السيرة ومؤلفها ----- ١٧٢**
- أولا: ترجمة مؤلف سيرة الهادي إلى الحق ----- ١٧٣
- ١ - من هو مؤلف السيرة؟ ----- ١٧٣
- ٢ - نسبه ----- ١٧٦
- ٣ - أسرته ----- ١٧٧
- ٤ - ولادته ونشأته ----- ١٨٠
- ٥ - علمه ----- ١٨٣
- ٦ - صفاته ----- ١٨٤
- ٧ - مهامه السياسية والعسكرية مع الإمام الهادي إلى الحق ----- ١٨٦
- ٨ - وعيه التاريخي ----- ١٩١

- ٩- وفاته ----- ١٩٣
- ثانيا: سيرة الهادي إلى الحق ----- ١٩٩
- ١- مكونات المخطوط المشتمل على السيرة ----- ١٩٩
- ٢- مفهوم السيرة والتأليف فيها ----- ٢٠٥
- ٣- مصادرها ----- ٢١١
- ٤- منهجها ----- ٢٢١
- ٥- لغتها وأسلوبها ----- ٢٣٣
- ٦- معلوماتها وأهميتها ----- ٢٣٥
- ٧- وصف نسخ المخطوط ----- ٢٤١
- ٨- منهج التحقيق ----- ٢٤٦
- ٩- صور من نسخ المخطوط ----- ٢٥١
- الباب الثاني: النص المحقق** ----- **٢٦٣**
- ولاية الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين - عليه السلام ----- ٢٦٤
- [مُلَخَّص لبعض أعمال الهادي إلى الحق في اليمن بعد وصوله حتى عام ٢٨٨هـ] ----- ٢٦٤
- [مُقَدِّمَةُ السيرة] ----- ٢٧١
- [أَوَّلُ فروضِ الله وفَرْضُ الأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر مع الأئمةِ العادلين] ----- ٢٧٢
- [قُرْبُ ظُهورِ العَدْلِ على يدِ القائمين من أهل البيت] ----- ٢٧٥
- [صِفَاتُ القائمِ الذي يَحِبُّ طَاعَتَهُ من أهل البيت] ----- ٢٧٩
- [آثار تشير إلى الهادي إلى الحق] ----- ٢٨١
- [أئمة لم يُدْرِكْهم القاضي محمد بن سليمان الكوفي] ----- ٢٨٨
- [ثائرون خَرَجُوا في عصر الكوفي ولم ينصرهم] ----- ٢٩٠
- [أحداث سنة ٢٨٣هـ/ ٨٩٦م - ٨٩٧م]** ----- **٢٩٢**
- خبرُ وُصولِ كُتُبِ الهادي - عليه السلام - في ذي القعدة من سنة ثلاثٍ وثمانين [إلى المدينة] ----- ٢٩٢
- [خروجُ والدِ المؤلَّفِ محمد بن عبيدالله العلوي إلى الهادي إلى الحق في الفُرْع] ----- ٢٩٣
- [سَفَرُ الهادي إلى الحق ومَنْ معه إلى اليمن] ----- ٢٩٥
- [سَبَبُ فتورِ الهادي إلى الحق عن الخروج إلى اليمن ثم عَزَمَهُ] ----- ٢٩٧

- [دَلالاتُ في الطريق] ----- ٢٩٨
- [هجومُ رُبَيْدَعلى الهادي إلى الحق وأصحابه] ----- ٢٩٨
- [أحداث سنة ٢٨٤هـ / ٨٩٧م - ٨٩٨م] ----- ٣٠٠
- مصير الهادي إلى الحق - عليه السلام - إلى صعدة [وإصلاحه بين قبيلتي سعد والريعة] ----- ٣٠٠
- [فَشَلُّ آلِ يُعْفَر في الصلح بين سعد والريعة ونجاحُ الهادي إلى الحق] ----- ٣٠١
- نسخةُ العَهْدِ الذي عَهَدَ الهادي إلى الحق - عليه السلام - إلى وُلَاتِهِ ----- ٣٠٢
- [توجيهات الهادي إلى الحق حول جَزِيَّة اليهود والنصارى وضياعهم] ----- ٣٠٦
- [كتابُ دَعْوَةِ الهادي إلى الحق إلى أهل اليمن] ----- ٣٠٧
- [أقوالُ الهادي إلى الحق وأعمالُه حول دَعْوَتِهِ الإصلاحية وإخلاصه لها] ----- ٣٠٨
- بابُ تواضُعِ يحيى بن الحُسَيْنِ - عليه السلام ----- ٣١٣
- بابُ وَرَعِ يحيى بن الحسين - عليه السلام ----- ٣١٩
- [بَرَكَتُهُ الهادي إلى الحق] ----- ٣٢٧
- [وفود أهل نجران إلى الهادي إلى الحق] ----- ٣٢٩
- [تعليمُ الهادي إلى الحق أصحابه التعبية والقتال] ----- ٣٢٩
- مسير الهادي إلى الحق - عليه السلام - إلى نجران ----- ٣٣٠
- [تَقْدِمَةُ الهادي إلى الحق إلى جميع الناس من أهل نجران] ----- ٣٣١
- [بَعَثُ الهادي إلى الحق وُلَاتِهِ في قُرَى نجران وَخَرَصُهُ للنخل] ----- ٣٣٣
- الصُّلْحُ الذي وقع بين المسلمين وبين ذِمَّة أهل نجران ----- ٣٣٥
- [نُسخَةُ الصُّلْحِ] ----- ٣٣٧
- الاتساعُ فيما أَحَبُّوا من شراءِ أموالِ المسلمين ----- ٣٤١
- [تنظيمُ جباية الزكاة في نجران وتوزيعها] ----- ٣٤٥
- مسير الهادي إلى الحق إلى ضاة ثم رجوعه إلى نجران ----- ٣٤٦
- [بعضُ أعمالِ واليِّ نجران] ----- ٣٤٧
- مسيرُ الهادي إلى الحق إلى وَسْحَةِ ----- ٣٤٨
- رجوع الهادي إلى الحق إلى صعدة ----- ٣٤٩
- [أحداث سنة ٢٨٥هـ / ٨٩٨م - ٨٩٩م] ----- ٣٥٠

- خَبَرُ الْعَمَالِ الَّذِينَ قَبِضُوا عَلَى الْخُرَّابِ وَصَارُوا بِهِمْ إِلَى الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ ----- ٣٥٠
- [مسير الهادي إلى الحق إلى برط] ----- ٣٥٢
- رجوع الهادي إلى الحق من برط إلى صعدة ----- ٣٥٦
- [إخماد تمرد أبي الدغيش الشهابي في وسحة] ----- ٣٥٦
- توجيه الهادي لأخيه إلى وسحة ----- ٣٥٧
- رجوع عبد الله بن الحسين من وسحة [إلى صعدة] ----- ٣٦٠
- خبر عمال نجران وخبر حنيش الوادعي ----- ٣٦١
- خروج الهادي إلى الحق - (عليه السلام) - إلى نجران المرة الثانية ----- ٣٦٢
- خبر ابن العجمي ----- ٣٦٣
- خبر مكاتبة الدعام إلى الهادي إلى الحق - (عليه السلام) - وما جرى بينهما من المخاطبة وخروج الهادي إلى خيوان - ٣٦٤
- خبر بطنة حجور [ووصول الهادي إلى الحق إليها] ----- ٣٦٥
- خبر مصير الهادي إلى الحق إلى الحضن ----- ٣٦٦
- مسير الهادي إلى الحق إلى أثافت [ونفي فساد سلطة الدعام] ----- ٣٦٧
- [موالاة صعصعة بن جعفر للهادي إلى الحق] ----- ٣٦٨
- خبر رجوع الهادي إلى الحق إلى خيوان ----- ٣٦٨
- خبر رجوع الهادي إلى الحق - (عليه السلام) - إلى أثافت ----- ٣٦٩
- خبر مقابلة الهادي إلى الحق لدعام ----- ٣٧١
- خبر لقاء دعام للهادي إلى الحق مطيعاً ----- ٣٧٣
- دخول أرحب بن الدعام أثافت ----- ٣٧٣
- خبر قتل أبي عمر - رحمه الله - بأثافت ----- ٣٧٥
- خبر الحرب بين الهادي إلى الحق - (عليه السلام) - وبين دعام ----- ٣٧٦
- [مسير الهادي إلى الحق إلى درب بني ربيعة وتضييقه على الدعام] ----- ٣٨٢
- خروج الدعام من أثافت إلى خيوان [وموقف الهادي إلى الحق من نهب أثافت] ----- ٣٨٦
- [تربية الهادي إلى الحق لأصحابه عملياً] ----- ٣٨٨
- خبر أبي العتاهية ----- ٣٨٩
- [أحداث سنة ٢٨٦هـ / ٨٩٩م - ٩٠٠م] ----- ٣٩٠

- خروجُ الدُّعَامِ من خَيَوانٍ إلى عُرقٍ ----- ٣٩٣
- مَصِيرُ الهادي إلى الحق - عليه السلام - إلى خيوان ----- ٣٩٣
- خُطْبَةُ الهادي إلى الحق - عليه السلام - بخيوان وعِظَتُهُ لأهلها ----- ٣٩٣
- [موالاةُ الدُّعَامِ للهادي إلى الحق] ----- ٣٩٥
- [هِجْرَةُ الْمُؤَلَّفِ إلى الهادي إلى الحق، وتمرُّدُ أَبِي الدُّغَيْشِ عليه مرةً ثانية، ووصول مهاجرين طَبَرِيِّينَ إليه] - ٣٩٦
- خَبَرُ بَيْعَةِ الهادي إلى الحق وكيف كان يَفْعَلُ ؟ ----- ٣٩٧
- [بَيْعَةُ الصَّبْرِ بَيْعَةُ الْخَاصَّةِ] ----- ٣٩٨
- صلاةُ الهادي إلى الحق لَكُسُوفِ الشَّمْسِ ----- ٣٩٩
- إِقَامَةُ الهادي لِلْحُدُودِ ----- ٤٠٠
- مَجْلِسُ يَحْيَى بنِ الحَسَنِ وَأَدَابِهِ ----- ٤٠٢
- خَبَرُ أَهْلِ الْأَعْصُومِ ----- ٤٠٦
- مَسِيرُ الهادي إلى الحق إلى بَيْتِ يَشِيعُ ----- ٤٠٧
- خَبَرُ مَا أَجْرَاهُ الهادي إلى الحق من الصُّلْحِ بَيْنَ بَنِي رَبِيعَةَ وَأَهْلِ خَرْفَانَ وَالسَّيْعِ فِي الْقَتْلِ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ -- ٤٠٨
- [سَعْيُ ابْنِ بَسْطَامٍ لِإِحْدَاثِ فِتْنَةٍ فِي نَجْرَانَ] ----- ٤٠٩
- إِقَامَةُ أَبِي الْقَاسِمِ بِخَيَوان ----- ٤١٠
- خَبَرُ لِقَاءِ الهادي - عليه السلام - لِلدُّعَامِ إِلَى مَذَابٍ وَإِصْلَاحِهِ بَيْنَ خَوْلَانَ وَبَنِي سَلْمَانَ ----- ٤١١
- خَبَرُ مَصِيرِ ابْنِ بَسْطَامٍ إِلَى دُعَامٍ ----- ٤١٣
- مَصِيرُ الهادي إلى الحق إلى نَجْرَانَ ----- ٤١٣
- [آيَاتُ لِلهادي إلى الحق في نَجْرَانَ وَغَيْرِهَا وَاسْتِجَابَةُ اللَّهِ لِدَعَائِهِ] ----- ٤١٥
- [عَزْمُ الْمُؤَلَّفِ تَأْلِيفَ كِتَابٍ فِي عِلَامَاتِ إِمَامَةِ الهادي إلى الحق] ----- ٤١٧
- [حَبْسُ مُحَدِّثِي نَجْرَانَ فِي صَعْدَةِ] ----- ٤١٧
- رجوعُ الهادي إلى الحق إلى صَعْدَةِ مِنْ نَجْرَانَ ----- ٤١٨
- خروجُ الهادي إلى الحق - عليه السلام - إلى خيوان ----- ٤١٩
- [عَزْمُ الهادي إلى الحق على حَرْبِ الْمُفْسِدِينَ فِي بَنِي مُعَمَّرٍ] ----- ٤١٩
- [عَاقِبَةُ الْمُتَبَطِّطِ عَنِ الْقِتَالِ مَعَ الهادي إلى الحق] ----- ٤٢٠
- [عَفْوُ الهادي إلى الحق عَنِ الْمُعَمَّرِيِّينَ بَعْدَ اسْتِعْدَادِهِ لِحَرْبِهِمْ] ----- ٤٢١

- ٤٢٣-----[هجوم المعمرين على الهادي إلى الحق في خيوان وهزيمتهم]
- ٤٢٥-----[خطبة أبي القاسم بن الهادي إلى الحق في خيوان]
- ٤٢٦-----[شيء من فضل الهادي إلى الحق وبركته]
- ٤٢٩-----[تمام خبر المعمرين ومحاربتهم]
- ٤٣١-----[خبر حدث القشيب وهجمة ابن الضحالك على خيوان]
- ٤٣٣-----[مصيبر عبد الله بن الحسين إلى نجران من الحجاز]
- ٤٣٤-----[هجمة بني الحارث على أبي محمد عبد الله بن الحسين وأبي الحسين أحمد بن محمد العلوي]
- ٤٣٨-----[إبلاغ الهادي إلى الحق بخلاف بني الحارث وجوابه شعراً]
- ٤٤١-----[جواب أبي محمد عبد الله بن الحسين على الهادي إلى الحق شعراً]
- ٤٤٣-----[جواب الهادي إلى الحق شعراً يتوعد فيه ابن حميد وابن بسطام]
- ٤٤٧-----[جواب أبي محمد عبد الله بن الحسين شعراً وفيها يصف هجمة بني الحارث الغادرة]
- ٤٥١-----[وصول الهادي إلى الحق إلى صعدة] [وتواطؤ ابن عباد وابن حميد وابن بسطام وابن الضحالك ضده]
- ٤٥٢-----[خبر ابن عباد وما كان من إفساده على الهادي يريد تشبيطه من نجران]
- ٤٥٤-----[شعر الهادي إلى الحق إلى أخيه عبد الله بن الحسين يصف جلدته في الحرب]
- ٤٥٦-----[جواب أخيه عبد الله بن الحسين عليه شعراً]
- ٤٥٨-----[خروج الهادي إلى الحق إلى نجران ليومين مضياً من ذي الحجة من سنة ست وثمانين وميتين]
- ٤٥٩-----[هجمات الهادي إلى الحق على ميناس وسوجان والهجر]
- ٤٦٤-----[تحرك ابن عباد الأكيلى ضد سلطة الهادي إلى الحق في صعدة]
- ٤٦٥-----[إعداد الهادي إلى الحق للنخبة من المقاتلين من العهراء وخولان]
- ٤٦٥-----[اقتحام الهادي إلى الحق قرية الهجر في نجران]
- ٤٦٧-----[الهادي إلى الحق وحيداً يقاتل بني الحارث في الهجر ويهزمهم]
- ٤٦٩-----[القبض على زعماء بني الحارث في الهجر والعفو عنهم وتكرهم لذلك]
- ٤٧٠-----[مصيبر ابن بسطام إلى بلد شاكر مخالفاً]
- ٤٧٠-----[تحذير الهادي إلى الحق لبني الحارث من معبة الحرب ضده]
- ٤٧١-----[اجتماع بني الحارث على الحرب بعد أن من عليهم الهادي إلى الحق]
- ٤٧٢-----[دخول بني الحارث القرية على الهادي وإجماعهم عليه]

- ٤٧٣----- [خَبَرُ قَتْلَةِ بني الحارث في القَرْيَةِ وَهَزِيمَتِهِمْ] وقصيدة الهادي إلى الحق في ذلك
- ٤٧٦----- [قصيدة المداني في انهزام بني الحارث]
- ٤٧٧----- [انهزام بني الحارث إلى جبل الأخدود وإلى أسفل نجران]
- ٤٧٨----- خَبَرُ تعليق بني الحارث بعراقبيهم
- ٤٧٩----- [شعر أبي القاسم محمد حول انتصار أبيه الهادي إلى الحق على بني الحارث]
- ٤٨٢----- خَبَرُ سُقُوطِ الهادي وَفَرَسِهِ بميناس
- ٤٨٣----- [الهادي إلى الحق يهدد بني الحارث شعراً إن استمروا في تمردهم]
- ٤٨٥----- [هدم الهادي إلى الحق حصن میناس]
- ٤٨٧ [شعر أحمد بن محمد المداني وعبدالله بن الحسين حول انتصار الهادي إلى الحق على بني الحارث]
- ٤٩٠----- [شعر أبي القاسم جواباً على والده الهادي إلى الحق حول دخوله قرية نجران]
- ٤٩١----- [شعر أبي القاسم إلى أبي العتاهية عن انتصار أبيه في نجران]
- ٤٩٢----- [جواب أبي القاسم على الدُّعَامِ بشأن ابن بسطام]
- ٤٩٤----- [شعر أبي القاسم إلى مخاليف خيوان وبني مُعْمِرٍ يُذَكِّرُهُم بقديم فضل همدان]
- ٤٩٦----- مصير ابن الضحاك إلى أبي العتاهية يَسْتَأْمِنُ له من أبي القاسم -عليه السلام
- ٤٩٧----- [شعر أبي القاسم إلى أبي العتاهية بشأن أرزاق عسكره وطلبُ المُعْمِرِينَ الأمان]
- ٤٩٨----- [أَوَّلُ غَنِيمَةٍ قَسَمَهَا الهادي إلى الحق]
- ٤٩٩----- طلبُ بني الحارث الأمانَ من الهادي إلى الحق
- ٤٩٩----- [قصيدة الهادي إلى الحق في انتصاره على بني الحارث]
- ٥٠١----- [أحداث سنة ٢٨٧هـ / ٩٠٠م]
- ٥٠١----- [تَوَلَّى محمد بن عبيدالله العباسي العلوي على نجران]
- ٥٠١----- مَصِيرُ الهادي إلى صعدة من نجران في جُمَادَى الآخِرَةِ مِنْ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَنَانِينَ وَمِئَتَيْنِ
- ٥٠٢----- خَبَرُ مُحَالَفَةِ الأكيليين وكافة الرِّبِيعَةِ على الهادي وَمُحَارَبَتِهِمْ له
- ٥١٣----- طلبُ بني كُلَيْبٍ من الهادي إلى الحق الأمان
- ٥١٤----- خروجُ أحمد بن عباد إلى العراق بعد أن طَلَبَ الأمانَ من الهادي فَلَمْ يُؤْمَنْهُ
- ٥١٥----- [قصيدة الهادي بشأن حربه مع الأكيليين والكَلْبِيِّين]
- ٥١٨----- [أول فسادٍ لبني الحارث على والي نجران الجديد]

- ٥١٩-----[كتابُ الهادي إلى الحق وقَصِيدَتُهُ التي يُحذِّرُ فيها بني الحارث]
- ٥٢١-----[أحداث سنة ٢٨٨هـ / ٩٠٠م - ٩٠١م]
- ٥٢١-----خروجُ الهادي مِنْ صَعْدَةَ إلى اليمن
- ٥٢٢-----مَصِيرُ الهادي إلى خيوان
- ٥٢٢-----مَصِيرُ الهادي إلى رَيْدَةَ
- ٥٢٣-----مَصِيرُ الهادي إلى مَدَر
- ٥٢٣-----[ظَلُمَ بني طَريف والجَفَاتِمَ لليمنيين سَبَبُ استدعاءِ أبي العتاهية للهادي إلى الحق]
- ٥٢٤-----[إِجْرَاءَاتُ تَسْلِيمِ أبي العتاهية للهادي إلى الحق]
- ٥٢٦-----خَبَرُ أبي العتاهية [وَدُخُولُ الهادي إلى الحق صنعاء]
- ٥٢٧-----[معارضة بني طريف والجفاتم لدخول الهادي إلى الحق إلى صنعاء]
- ٥٣٠-----[اعتقالُ كبارِ المُعَارِضِينَ وأهلِ البأسِ والفسادِ منهم]
- ٥٣١-----[توبة أبي العتاهية]
- ٥٣١-----مَصِيرُ الهادي إلى شِبابٍ ومعه أبو العتاهية
- ٥٣٢-----مَصِيرُ الهادي إلى صنعاء
- ٥٣٢-----مَصِيرُ الهادي إلى بَيْرِ الحَوْلَانِي ثُمَّ إلى يَكْلِي
- ٥٣٣-----مَصِيرُ الهادي إلى سَمَحَ [وإنصافُ المَرَاةِ من أبي العتاهية]
- ٥٣٤-----مَصِيرُ الهادي إلى الحق - عليه السلام - إلى ذمار
- ٥٣٥-----مَصِيرُ الهادي إلى الحق إلى الأَحْطُوط
- ٥٣٥-----مَصِيرُ الهادي إلى مَنَكَّتْ
- ٥٣٦-----مَصِيرُ أبي العَشِيرَةِ بنِ الرُّوَيَّةِ إلى الهادي إلى الحق
- ٥٣٦-----مَصِيرُ الهادي إلى الحق إلى جيشان
- ٥٣٧-----مَصِيرُ الهادي إلى ثَات
- ٥٣٨-----[عودة الهادي إلى الحق إلى صنعاء وتوجيه أخيه إلى الحجاز]
- ٥٣٨-----مَصِيرُ الهادي إلى الحق إلى شِباب
- ٥٣٨-----مَصِيرُ محمد بن الهادي إلى بلد همدان
- ٥٣٩-----خلاف آل يُعْفَرٍ وآل طَريف

- ٥٤١----- دُخُولُ الْقَدَمِيِّينَ وَابْنِي يُعْفَرٍ إِلَى شَبَامَ وَكُسْرُ الْحَبْسِ وَإِخْرَاجُ الْحَبْسَاءِ
- ٥٤٢----- قَتْلُ ابْنِ أَبِي عِبَادٍ رَحِمَهُ اللَّهُ
- ٥٤٣----- خِلَافُ أَهْلِ ضَهْرٍ وَكُسْرُهُمْ لِلْحَبْسِ
- ٥٤٣----- خُرُوجُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَنْشٍ وَابْنِ خَرِيوْذٍ إِلَى الدُّعَامِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ
- ٥٤٤----- مُخَالَفَةُ ابْنِ مُحْفُوزٍ وَالسَّفَهَاءِ مَعَهُ وَكُسْرُهُمْ لِلْحَبْسِ
- ٥٤٦----- إِطْلَاقُ الْهَادِي لِأَسْعَدَ بْنِ أَبِي يُعْفَرٍ وَإِبْرَاهِيمَ بْنِ خَلْفٍ مِنْ حَبْسِ شَبَامَ
- ٥٤٧----- خَبْرُ الْقَتْلَةِ لِعُسْكَرِ بَنِي طَرِيفٍ وَعُسْكَرِ صَعْصَعَةَ بَرِيدَةَ
- ٥٤٨----- [شعر الهادي إلى الحق في وقعة ريدة]
- قُدُومُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ مِنَ الْحِجَازِ إِلَى الْيَمَنِ وَمَعَهُ نَقَرٌ مِنَ الْعَلَوِيِّينَ قَدِمُوا مَعَهُ مِنَ الْحِجَازِ
- ٥٤٩----- [وخذلان الدُّعَامِ لِلْهَادِي إِلَى الْحَقِّ]
- ٥٥٠----- [معركة شمال صنعاء بين الهادي إلى الحق من جهة وبني يُعْفَرٍ وبنِي طَرِيفٍ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى]
- ٥٥١----- دُخُولُ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ إِلَى صَنْعَاءَ الْمَرَّةَ الثَّانِيَةَ بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنْ شَبَامَ
- ٥٥١----- [تَعَجُّبُ النَّاسِ مِنْ صَبْرِ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ وَأَصْحَابِهِ وَتَعَجُّبُهُ مِنْ تَعَجُّبِهِمْ]
- ٥٥٢----- [عَفْوُ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ عَنْ أَهْلِ صَنْعَاءَ]
- ٥٥٣----- [حَرْبُ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ مَعَ آلِ يُعْفَرٍ وَبَنِي طَرِيفٍ حَوْلَ صَنْعَاءَ]
- ٥٥٦----- خَبْرُ مُخَالَفَةِ بَنِي الْحَارِثِ بَنَجْرَانَ
- ٥٥٩----- رَجْعُ الْحَدِيثِ إِلَى الْقِتَالِ بَيْنَ الْهَادِي وَبَنِي طَرِيفٍ
- ٥٦٠----- خَبْرُ قَتْلِ عَلِيِّ بْنِ سُلَيْمَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَقَتْلِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ
- ٥٦١----- مَصِيرُ الرَّبِيعِ بْنِ الرَّوَيْهِ إِلَى الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ وَمَعَهُ مَادَّةٌ مِنْ جَعْفَرِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْجَعْفَرِيِّ
- ٥٦١----- [هَجَمَاتُ بَنِي يُعْفَرٍ وَبَنِي طَرِيفٍ عَلَى الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ فِي صَنْعَاءَ]
- ٥٦٢----- [معركة قاع صنعاء وشجاعة الهادي إلى الحق فيها]
- ٥٦٤----- [عَرْضُ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ مَبَارَزَةَ ابْنِ خَلْفٍ وَطَلَبُ بَعْضِ أَصْحَابِهِ الْأَمَانَ]
- ٥٦٥----- [معارك في محيط صنعاء]
- ٥٦٦----- [أحداث سنة ٢٨٩هـ / ٩٠١م - ٩٠٢م]
- ٥٦٧----- سقوط الهادي إلى الحق بصنعاء [في ظبوة واستشهاد مجموعة من الصنعانيين والطبريين]
- ٥٦٩----- [وقعات ضلَّعٍ وَضَهْرٍ وَالرَّحْبَةِ وَصَبْلٍ]

- [مكر صاحب عضدان] ----- ٥٧٠
- [الهجوم على حدّة وسناع، ودخول قلعة زياد] ----- ٥٧١
- [هزيمة الجعافر وابن الروية] ----- ٥٧١
- [أسباب خروج الهادي إلى الحق من صنعاء] ----- ٥٧٢
- [خروج الهادي إلى الحق من صنعاء إلى صعدة] ----- ٥٧٣
- [انحدار الهادي إلى الحق إلى نجران] ----- ٥٧٣
- [عودة الهادي إلى الحق إلى نجران لفضّ الفتنة بين أهلها وحبس بعضهم] ----- ٥٧٤
- [قدوم ابن عباد الأكيلى إلى صعدة بإدّة من بني طريف] ----- ٥٧٥
- [أحداث سنة ٢٩٠هـ / ٩٠٢م - ٩٠٣م] ----- ٥٧٦
- [مسير الهادي إلى الرّبيعة] [وتأمينه لبني كليب] ----- ٥٧٦
- [مسير الهادي إلى بلد وايلة وما كان بينه وبينهم] ----- ٥٧٧
- [اختلاف آل يُعْفِر وعبيدهم] ----- ٥٧٧
- [نهوض الدُّعَام إلى الهادي يسأله النهوض إلى اليمن للكتب الواصلة به من ابني يُعْفِر] ----- ٥٧٨
- [مسير الهادي إلى اليمن وما كان من أيمان ابني يُعْفِر] ----- ٥٧٨
- [محاربة آل طريف للهادي إلى الحق - عليه السلام] ----- ٥٨١
- [مطلع القوم] [ومصيرهم خلف الهادي إلى الحق] ----- ٥٨٢
- [خبر محمد بن الهادي - صلوات الله عليهما - حتى استأسروه] ----- ٥٨٣
- [وصول الهادي إلى الحق إلى صعدة] ----- ٥٨٤
- [خبر هبوط الهادي - عليه السلام - إلى نجران] ----- ٥٨٥
- [مسير الهادي إلى الحق - عليه السلام - إلى وايلة لما خالفت] ----- ٥٨٥
- [خبر أحمد بن عباد واستيائه إلى الهادي إلى الحق] ----- ٥٨٦
- [خبر حبس أبي القاسم بن الهادي إلى الحق - عليه السلام - [في صنعاء] ----- ٥٨٦
- [خبر اليافعي وحبسه بأمر ابن خلف] [ونقل أبي القاسم بن الهادي إلى بيت بوس] ----- ٥٨٧
- [خبر جفتم وحبسه في بيت بوس] ----- ٥٨٨
- [خبر أشعار أبي القاسم بن الهادي إلى الحق - عليه السلام] ----- ٥٨٩
- [رؤيا أبي القاسم بن الهادي بخروجه من الحبس] ----- ٦١٠

- ٦١٠-----[صراع آل يُعْفِر وابن خَلَف]
- ٦١١-----[أحداث سنة ٢٩١هـ / ٩٠٣م - ٩٠٤م]
- ٦١٢-----خَبْرُ خُرُوج أبي القاسم من الحبس وصاحبه
- ٦١٣-----[وصول أبي القاسم بن الهادي إلى صنعاء ثم شبام]
- ٦١٤-----[فَشْلُ محاولة أبي القاسم بن الهادي في مغادرة شبام]
- ٦١٥-----[إِذْنُ ابني يُعْفِر لأبي القاسم بن الهادي وصحبه بالمغادرة إلى صعدة]
- ٦١٦-----خبر خلاف بني الحارث على أبي جعفر
- ٦١٦-----نسخة كتاب الهادي إلى الحق إلى بني الحارث
- ٦٢٠-----[شعر الهادي إلى الحق إلى بني الحارث]
- ٦٢٣-----[هجوم بني الحارث على قرية الهجر]
- ٦٢٤-----[تحوُّل أبي جعفر إلى میناس وهجوم بني الحارث عليه]
- ٦٢٥-----[مصير أبي جعفر إلى وادعة]
- ٦٢٦-----[شعر الهادي إلى الحق إلى بني الحارث]
- ٦٣٠-----[فتح ابن بسطام حصنه میناسا لبني الحارث ومن معها]
- ٦٣٠-----[شعر محمد بن عبد الملك الوداعي حول عزم بني الحارث على حرب وادعة]
- ٦٣٤-----[شعر المؤلّف جواباً على شعر الوداعي]
- ٦٣٦-----خروج الهادي إلى نجران أيضاً
- ٦٣٧-----[هجوم الهادي إلى الحق على حصون بني الحارث]
- ٦٣٩-----[استئمان ابن بسطام]
- ٦٤٠-----[استئمان بني خيثمة ودخول الهادي إلى الحق قرية الهجر]
- ٦٤٢-----[مَصِيرُ الهادي إلى الحق إلى صعدة [وإرسال الحكميين إليه بالتسليم والطاعة]
- ٦٤٣-----مسير أبي القاسم إلى خيوان
- ٦٤٣-----خروج الهادي إلى الحق إلى تهامة
- ٦٤٤-----[غدر الحكمي بالهادي إلى الحق وحره إياه]
- ٦٤٦-----[قصائد وأشعار الإمام الهادي إلى الحق]
- ٦٥٠-----[قصيدته إلى بني عمّه يحثهم على الجهاد معه ويرد على من اتهمه بالإمساك]

- [قصيدته في الجهاد لأهل الجور في العراق وغيرهم] ----- ٦٥٥
- [أبيات في صاحب العقل الرصين] ----- ٦٥٧
- [شعره في تحذير بني الحارث ووصف الحرب] ----- ٦٥٧
- [قصيدته: هل لك في الأكرومة البكر] ----- ٦٦٠
- [قصيدته إلى بني قرة من قشير بن كعب بن ربيعة] ----- ٦٦١
- [قصيدته: آل النبي متى يكون قيامكم؟] ----- ٦٦٣
- [قصيدته في العتاب والرد على مَنْ صدَّق ما لم يكن] ----- ٦٦٤
- [قصيدته في عتاب زعيم خذله] ----- ٦٦٨
- [قصيدته: سينصرنا منهم جيوش كتاب] ----- ٦٧٠
- [قصيدته إلى بني الحسن: وكيف ترضون أن تُضجِّي ولا تُكمِ ثُرْكا] ----- ٦٧٢
- [قصيدته: أذِق السيِّفَ الأعادي ويشني فيها على الدُّعَامِ الأرحبي] ----- ٦٧٥
- [قصيدته يحث الدعام على اقتفاء سالف أجداده] ----- ٦٧٨
- [جواب الدُّعَامِ على قصيدة الهادي إلى الحق إليه] ----- ٦٧٩
- [قصيدته في وصف الخيل وسعيها بالمجاهدين لقتال الظالمين] ----- ٦٨١
- [قصيدته: سهل علينا ما يعزُّ عن الوري] ----- ٦٨٤
- [قصيدته: غرَّ العبيد بني طريف عِلَّتِي] ----- ٦٨٤
- [قصيدة محمد بن المختار القاسم بن الناصر أحمد: علام ألام يا سَلَمَى علاما] ----- ٦٨٧
- [أحداث سنة ٢٩٤هـ / ٩٠٦م - ٩٠٧م] ----- ٦٩١**
- [ظهور القرامطة في نجران وقَتْلُ الياميين للوافِدِ المُضْري] ----- ٦٩١
- [قصيدة المؤلِّف في حضن الهادي إلى الحق على الخروج إلى نجران] ----- ٦٩٢
- [خروج الهادي إلى الحق إلى نجران ومعه الحكمي] ----- ٦٩٧
- [خَبَرُ قَتْلِ العَبْدِ ابنِ بلال] ----- ٧٠٤
- [أمر الهادي إلى الحق بأخذ القرامطة] ----- ٧٠٤
- [ولاية الهادي في نجران] ----- ٧٠٥
- [رجوع الهادي إلى الحق إلى صعدة بابن الربيع وبالقرامط] ----- ٧٠٥
- [قصيدة المؤلِّف في ظهور الحق وخمول الباطل بنجران ونصرة أهله للهادي إلى الحق] ----- ٧٠٦

- ٧٠٩ ----- [تَبِعُ الْمُؤَلَّفَ لِلدَّهْفِ الْعُمَرِي]
- ٧١١ ----- [تَبِعَ الْقَرَامِطَةُ وَالْمُفْسِدِينَ فِي ثَلَاثِ الْوُفَجَةِ وَبَنِي الْحِمَّاسِ]
- ٧١٢ ----- [بَسَطَ الْأَمْنُ فِي نَجْرَانَ]
- ٧١٢ ----- [إِمْدَادُ ابْنِ الْخَطَّابِ الْحَكَمِيِّ بِخَيْلٍ وَرِجَالٍ]
- ٧١٢ ----- [إِطْلَاقُ بَعْضِ حُبَسَاءِ نَجْرَانَ مِنَ الْقَرَامِطَةِ وَغَيْرِهِمْ]
- ٧١٤ ----- [خَبَرٌ خِلَافَ بَنِي الْحَارِثِ وَيَامَ [وَقُدُومُ مَظْفَرِ بْنِ حَاجٍ وَالْيَا]
- ٧١٥ ----- [كِتَابُ أَبِي جَعْفَرِ الْعُلُوِي وَقَصِيدَةُ وَلَدِهِ الْمُؤَلَّفِ إِلَى الْهَادِي بِخِلَافِ بَنِي الْحَارِثِ وَيَامَ]
- ٧١٨ ----- [رَدُّ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ عَلَى الْكِتَابِ وَالشَّعْرِ]
- ٧١٩ ----- [أَحْدَاثُ سَنَةِ ٢٩٥هـ / ٩٠٧م - ٩٠٨م]**
- ٧١٩ ----- [اسْتِمْرَارُ بَنِي الْحَارِثِ فِي الْحَدَثِ]
- ٧١٩ ----- [رَفْضُ بَنِي الْحَارِثِ دَفْعَ الْوَأَجِبَاتِ]
- ٧٢١ ----- [وَفَادَةُ الْمُؤَلَّفِ إِلَى الْهَادِي يَعْلَمُهُ بِعِزْمِ بَنِي الْحَارِثِ عَلَى الْخِلَافِ]
- ٧٢٢ ----- [وُصُولُ الْأَمِيرِ أَحْمَدَ بْنِ الْهَادِي إِلَى الْحَضْنِ مُقَدِّمَةً لِأَبِيهِ]
- ٧٢٢ ----- [مَصِيرُ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ - عليه السلام - إِلَى نَجْرَانَ]
- ٧٢٤ ----- [عَمَلُ ابْنِ بَسْطَامٍ فِي الْفِتْنَةِ بَيْنَ وَادَعَةِ وَيَامَ]
- ٧٢٦ ----- [اسْتِثْنَاءُ بَعْضِ بَنِي الْحَارِثِ إِلَى الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ]
- ٧٢٧ ----- [خَبَرُ عَلِيِّ بْنِ الرَّبِيعِ الْمَدَانِيِّ وَقَتْلُهُ]
- ٧٢٨ ----- [خَبَرُ الْيَامِيِّينَ وَالْأَحْلَافِ وَقَتْلُهُمْ لِابْنِ بَسْطَامٍ]
- ٧٣٠ ----- [بِرَاءَةُ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ مِنْ دَمِ ابْنِ بَسْطَامٍ]
- ٧٣١ ----- [خَبَرُ الْخُبَسَاءِ مِنْ يَامٍ وَالْأَحْلَافِ فِي ابْنِ بَسْطَامٍ]
- ٧٣٢ ----- [اسْتِعْفَاءُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعَبَّاسِيِّ الْعُلُوِي مِنْ وَلايَةِ نَجْرَانَ]
- ٧٣٣ ----- [خُرُوجُ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ مِنْ نَجْرَانَ إِلَى صَعْدَةِ]
- ٧٣٣ ----- [نَزُولُ ابْنِ حَمِيدٍ بِسُجُجَانَ لِلْحَدَثِ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ]
- ٧٣٤ ----- [أَيْمَانُ بَنِي عَبْدِ الْمَدَانِ بِالْوُقُوفِ مَعَ أَبِي جَعْفَرِ الْعُلُوِي]
- ٧٣٦ ----- [خِدَاعُ ابْنِ حَمِيدٍ بِطَلَبِ الْأَمَانِ]
- ٧٣٧ ----- [خَبَرُ قَتْلِ ابْنِ حَمِيدٍ لِأَصْحَابِ أَبِي جَعْفَرٍ]

- ٧٣٨-----[تأمر بني عبدالمدان مع ابن حميد]
- ٧٤٢-----[خبر إجماع بني الحارث ودخولهم القرية وقتلهم لأبي جعفر العلوي ولمن كان معه رحمهم الله --]
- ٧٤٣-----[خداع بني الحارث لأبي جعفر العلوي بدعوى الصلح]
- ٧٤٤-----[دخول بني الحارث القرية وغدر بني عبدالمدان]
- ٧٤٦-----[وقائع مقتل أبي جعفر العلوي وأصحابه]
- ٧٥٤-----[التمثيل بالجثث والاعتداء على النساء والأطفال]
- ٧٥٧-----[دفن العلوي وموضعه]
- ٧٥٧-----[وصول خبر مقتل أبي جعفر العلوي إلى ولده المؤلف]
- ٧٥٨-----[محاولة بني ربيعة استدراج المؤلف]
- ٧٦٠-----[رثاء المؤلف لأبيه شعرا]
- ٧٦٢-----[آخر حروب الهادي وهزيمة أصحابه كهزيمة أصحاب موسى ~~عليه السلام~~]
- ٧٦٥-----[شيء من سيرة الهادي ويومياته برواية القاضي محمد بن سعيد اليرسمي]
- ٧٦٦-----[سبب احتجاج الهادي إلى الحق]
- ٧٦٧-----[إطعام الهادي للمساكين]
- ٧٦٧-----[تفقده لأهل الذمة وإسلام بعضهم]
- ٧٦٨-----[ملحق تاريخي من غير رواية العباسي العلوي]
- ٧٦٨-----[أحداث في سنة ٢٩٢هـ / ٩٠٤م - ٩٠٥م]
- ٧٦٨-----[مقتل إبراهيم بن خلف]
- ٧٦٨-----[اختلاف ابني يعفر]
- ٧٦٩-----[وقوع قحطة شديدة]
- ٧٧٠-----[ظهور القرامطة وقتلهم للجعفري المناخي]
- ٧٧٢-----[أحداث في سنة ٢٩٣هـ / ٩٠٥م - ٩٠٦م]
- ٧٧٢-----[معركة ظبوة]
- ٧٧٣-----[دخول علي بن فضل صنعاء المرة الأولى]
- ٧٧٤-----[استعادة صنعاء للهادي إلى الحق]
- ٧٧٦-----[ابن فضل في تهامة]

- ٧٧٧ ----- [حرق القرامطة الرجال والنساء والأطفال في مسجد ثات]
- ٧٧٨ ----- [أحداث في سنة ٢٩٤هـ / ٩٠٦م - ٩٠٧م]**
- ٧٧٨ ----- [وثوب ابن كباله على الهادي إلى الحق]
- ٧٧٨ ----- [وقعة حَيْبٍ وَمَسِيْب]
- ٧٧٩ ----- [دخول ابن فضل صنعاء المرة الثانية واستباحتها]
- ٧٨٠ ----- [أحداث في سنة ٢٩٧هـ / ٩٠٩م - ٩١٠م]**
- ٧٨٠ ----- [استباحة القرامطة لزبيد]
- ٧٨٠ ----- [إظهار ابن فضل كفره وتحليله الحرام وتحريمه الحلال]
- ٧٨١ ----- [إرسال العلوي وأبي القاسم بن الهادي لمواجهة القرامطة]
- ٧٨٢ ----- [نهوض أسعد إلى صنعاء]
- ٧٨٣ ----- [أحداث في سنة ٢٩٨هـ / ٩١٠م - ٩١١م]**
- ٧٨٣ ----- [حرب أسعد والقرامط في شبام ومحيطها]
- ٧٨٤ ----- [وفاة مظفر بن حاج]
- ٧٨٤ ----- [ولاية ملاحظ الرومي]
- ٧٨٥ ----- [وفاة الإمام الهادي إلى الحق ومبايعة أبي القاسم المرتضى]
- ٧٨٦ ----- [أحداث في سنة ٢٩٩هـ / ٩١١م - ٩١٢م]**
- ٧٨٦ ----- [دخول ابن فضل صنعاء المرة الثالثة وحربه على صاحبه]
- ٧٨٦ ----- [نهوض أسعد اليعفري]
- ٧٨٧ ----- [إصابة ابن كباله وموته]
- ٧٨٧ ----- [استعادة ملاحظ الرومي للمهجم والكدراء وزبيد]
- ٧٨٧ ----- [أسعد في قلعة كحلان]
- ٧٨٨ ----- [فشل ابن فضل في مَسَوْر وَتَحْسُنْ علاقته بأسعد]
- ٧٨٩ ----- [تَحْلِيَّ أبي القاسم المرتضى عن الأمر]
- ٧٨٩ ----- [قدوم أحمد بن الهادي وقيامه على ما كان والدّه]
- ٧٩٠ ----- [مقتل ابن ذي الطوق القرمطي]
- ٧٩٠ ----- [مقتل عَدَدٍ مِنْ دُعَاة القرامطة]

- ٧٩١ ----- [تَقَرَّمْتُ جَرَّاحَ بْنِ بِشْرِ وَمَقْتَلُهُ]
- ٧٩٢ ----- [أحداث مختلفة]
- ٧٩٤ ----- [هلاكُ ابنِ فضلٍ واستيلاءُ أسعدٍ على مُلْكِهِ وحصونه]
- ٧٩٥ ----- [حَرْبُ الْقُدَمِيِّينَ وقرامطة مسور ودخول قُدَمٍ تحت حكم الناصر]
- ٧٩٥ ----- [أسعد في كحلان حتى وفاته]
- ٧٩٦ ----- [وقعة نغاش]
- ٧٩٧ ----- [وفاة المرتضى وقيامُ أخيه الناصر بالأمر]
- ٧٩٧ ----- [دخولُ قرمطي البحرين مكة سنة ٣١٧هـ وقلعه ركن الكعبة]
- ٧٩٨ ----- [مقتل داعيين من القرامطة]
- ٧٩٨ ----- [فتنة صعدة واستدعاء اليعفرين سنة ٣٢٢هـ / ٩٣٣م]
- ٧٩٩ ----- [وفاة الإمام الناصر أحمد بن الهادي بعد مقتل أخيه الحسن]
- ٨٠١ ----- [صراع الحسن والقاسم ابني الناصر أحمد]
- ٨٠٣ ----- [وقائعُ القاسم المختار بن أحمد وابنِ الضَّحَّاكِ الحاشدي]
- ٨٠٤ ----- [عودة الصراع بين القاسم والحسن ابني الناصر]
- ٨٠٦ ----- [العدوان على الصنعانيين في صعدة]
- ٨٠٧ ----- [حرب القاسم بن أحمد والأكيلين وابن الضحاك]
- ٨٠٩ ----- [هَدْمُ حِصْنِ الناصر بصعدة سنة ٢٢٧هـ / ٩٣٨م]
- ٨٠٩ ----- [حرب القاسم بن أحمد وابنِ الضحاك والأكيلين]
- ٨١٠ ----- [وفاة الحسن واستمرار أخيه القاسم في قتال الأكيلين وابن الضحاك]
- ٨١١ ----- [قصيدة للهادي في مدح همدان]
- ٨١٣ ----- [قصيدة للهادي في تفضيله الحرب على بقاء أسراه في الأسر]
- ٨١٤ ----- [قصيدة للمرتضى إلى أبيه الهادي]
- الخاتمة** ----- **٨١٦**
- أولا النتائج: ----- **٨١٦**
- ثانيا: التوصيات: ----- **٨١٩**
- المصادر والمراجع** ----- **٨٢٠**

أولاً: المصادر الخطية	٨٢٠
ثانياً: المصادر المطبوعة	٨٢٠
ثالثاً: المراجع الحديثة	٨٤١
الملحقات	٨٥١
أولاً: الخرائط	٨٥١
ثانياً: الكشافات (الفهارس)	٨٥٥
كشاف الأحاديث والآثار	٨٥٥
كشاف الأعلام	٨٥٧
كشاف البلدان	٨٧٢
كشاف البلدان	٨٧٢
كشاف القبائل والفرق	٨٨٠
كشاف الأشعار	٨٨٧

المقدمة

يتأثر واقعنا اليوم بجذوره التاريخية، لكن من غير الجائز أن تتكئ قضايانا السياسية والاجتماعية المعاصرة على عثرات التاريخ وأخطائه وكوارثه، كما لا يحسن تضخيم تلك العثرات والأخطاء بشكل مبالغ فيه، ولا توظيفها في صراعات الحاضر والمستقبل، وما أروع أن يتم تنقية التاريخ مما علق به من مزایدات ومبالغات لم تكن ضمن سياق الحدث التاريخي، ونقد واقعه نقدا موضوعياً.

يتطلب واقعنا اليوم أولوية الدراسات الحضارية، ما لها وعليها، حتى تكون الأجيال على بينة من أمر سلفها، فتتمسك بالنجاحات، وتتجاوز الأخطاء، وتستمد العزم والبصيرة، وتوقظ العبرة، وهي في رحلتها الشاقة والممتعة في هذه الحياة، وهذا ما يراه الباحث لزاما عليه وهو يدرس تاريخ الحضارة العربية الإسلامية عموماً، واليمن خصوصاً.

ويعبر تراث اليمن الضخم عن مسيرته الحضارية، وليس من الوفاء، ولا من الحكمة، أن يبقى حبس المكتبات، أو يتم تجاهله، أو التنكر له، كما ليس من البر أن يخرج بشكل محرّف أو مشوش، وإخراجه صحيحاً كما أراده أهله أو قريباً من ذلك هو مسؤولية أبناء الأمة جميعاً.

سبب اختياري للموضوع

ساقطني أسبابٌ عديدة إلى اختيار مخطوطة سيرة الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، تأليف علي بن محمد بن عبيد الله العباسي العلوي دراسة وتحقيقاً، ومن أهمها:

- ١ - رغبتني في المساهمة في تحقيق كتب التراث اليمني.
- ٢ - أن المخطوطة أقدم نص تاريخي يماني بهذا الحجم.
- ٣ - وأنها لم تنل حقها من التحقيق والدراسة.
- ٤ - وأنها قدّمت معلومات مفصّلة عن مرحلة مهمة وخطيرة في تاريخ اليمن الإسلامي، في مجالات متعددة.
- ٥ - وأرّخت للإمام الهادي يحيى بن الحسين، أحد أبرز رجالات اليمن الذين أثّروا في تاريخه، والذي هو الآخر لم يحظ بدراساتٍ علمية جادّة حول جوانب متعددة من نشاطاته المتنوعة وآثاره المختلفة.

أهمية الموضوع وأهدافه

تبيّن أهمية وأهداف هذا الموضوع بشقيه التحقيقي والدراسي من وجهة نظر الباحث في النقاط التالية:

- يعيش اليمن اليوم مشاكل واختلافات سياسية ربما لها جذور تاريخية، وما أحرى الدراسات العلمية أن تبرز الصورة الأقرب إلى الحقيقة للمختلفين؛ ليتسنى لليمنيين معرفة بعضهم وجذورهم، ومن ثم التفكير على أساس إيجاد الأرضية المشتركة التي تجمعهم، بالاستفادة من إيجابيات التاريخ في إغناء

التجارب المعاصرة، وتنميتها وتزويدها، والإفادة كذلك من عثرات التاريخ بإيرازها والنتائج السيئة المترتبة عليها؛ لتفادي الوقوع فيها مرة أخرى.

- لعب الإمام الهادي دورا كبيرا ومهما وفاعلا في تاريخ اليمن، وأسّس الدولة الزيدية التي استمرت قرونا من الزمن، وشغلت حيزا واسعا ومثيرا من تاريخ اليمن، وهناك من يرى استمرار تأثيراته حتى تاريخنا الحاضر، وهذا يتطلب فصلا واضحين الثابت والمتغير، والأصول والفروع، وثوابت الإسلام واجتهادات علمائه، بما يعين كلا على فهم الآخر في هذا الوطن، وبما ييسر أرضيات مشتركة للتحرك البناء نحو آفاق رحبة ومجالات واسعة تراعي المقاصد الإنسانية والإسلامية، وتتسع للجميع، وتتفادى الإقصاء والأخطاء والوقوع في شرك الصراعات العقيمة والمدمرة، ومن المؤمل أن تساعد هذه الدراسة على تحقيق هذا المقصد.

- يظهر لي أهمية تسليط الضوء على القرن الثالث الهجري في اليمن في مختلف الجوانب، لدراسة أسباب ذلك الاختلاف القبلي والمذهبي، والظهور للمشاريع السياسية الجديدة في اليمن، والتشتت الحاد في الجهات والمنازع، وكذلك لدراسة الظروف التي ساعدت على ظهور نوابع فكرية وعلمية يعتز بهم اليمن، وهذه المخطوطة تقدم معلومات غنية في هذا الصدد.

- يتساءل الباحث عن الأسباب التي أقدمت الهادي إلى اليمن، ودعوته إلى مشروعه السياسي والمذهبي، وعن الأرضية السياسية والاجتماعية والفكرية التي تحرك فيها، وأثر فيها، ثم ما مدى قدراته العلمية والفكرية والإدارية والعسكرية، والعوامل المساعدة والمعيقة، وكيف تفاعل اليمنيون مع أدائه وتحركاته؟، وهذه الدراسة تجيب على بعض من هذه التساؤلات.

- اشتمل المخطوط على سيرة الهادي وملحقات أخرى أضيفت إلى سيرته،

ويجدر دراسة كل منها، وتحديد مؤلف الجزء الأكبر منها، وهو سيرة الهادي، هل هو علي بن محمد العباسي العلوي، أم محمد بن سليمان الكوفي، أم هما معا، فأين إنتاج كل منهما، وبم يتميز؟ كما يجدر بنا تتبع منهجية المخطوط، ومدى موضوعيته ووثاقته، وتحرره عن نوازع مؤلفه واتجاهه المذهبي ونظرته نحو الأمة والمجتمع، وأن يتم التحقق من النص وتمييز الأصيل منه بالمزيف أو المقحم.

- نشر التراث اليمني مسألة بديهية، لا سيما مع التحقق من النصوص التاريخية فيه وإخراجها بالصورة الأقرب إلى واقعها، ونفي ما لحق بها من تحريف وإلصاق يمكن أن يستغل في ما لا يفيد في واقعنا اليوم.

كل ما تقدّم يشكّل بمجموعه مُشكّل البحث الذي يسعى الباحث للإجابة عنه من خلال تحقيق المخطوط ودراسته ودراسة مؤلفه وموضوعه، الذي هو الهادي يحيى بن الحسين، ومكانه الذي هو اليمن.

الدراسة السابقة

نشر الدكتور سهيل زكار - رحمه الله - مشكورا هذا المخطوط عام ١٩٧٢م، اقتصر عمله فيه على نشر النصّ مع بعض التعليقات، وقابله على نسختين تعودان للقرن الحادي عشر الهجري، بينما تيسّرت لي نسخ أقدم، يعود بعضها للقرن السابع الهجري، وقد تبين أنّه وقع لديه حوالي ١٧ سقطاً^(١)، وفي ذلك السقط

(١) العلوي، علي بن محمد العباسي (ت ٢٩٧هـ): سيرة الإمام الهادي يحيى بن الحسين، نسخة الأصل المعتمدة في التحقيق، اللوحات: ١- ١١ل / أ. ٢- ١٨ل / أ. ٣- ٢٠ل / أ. ٤- ١٣٤ل / أ. ٥- ٤٩ل / ب. ٦- ٥٩ل / ب. ٧- ٦٥ل / ب. ٨- ٨١ل / أ. ٩- ٨٨ل / ب. ١٠- ١٠١ل / أ. ١١- ١٠٧ل / ب. ١٢- ١٠٩ل / أ. ١٣- ١٠٩ل / ب. ١٤- ١١١ل / أ. ١٥- ١١٨ل / أ. ١٦- ١٢١ل / أ. ١٧- ١٣١ل / ب.

معلومات هامة، وبعضه عامٌّ في النسخ المتأخرة جميعاً، بينما احتفظت به النسخ المتقدّمة، وكان في كل مرة بمقدار سطر أو سطرين، كما وقعت عنده عشرات الأخطاء، ما بين تصحيف، أو سوء قراءة، أو غيرهما، كما لم يترجم للأعلام والبلدان والأماكن، ولا للحوادث والوقائع، ولا للقبائل والجماعات والفِرَق، وشاب إخراج النص لديه تصحيفٌ لبعض العبارات والبلدان، واستغفلت عليه بعضُ الكلمات، كما لم يدرس المخطوط، ولا مؤلفه، ولا مضمونه، ولا منهجيته، ولا مصادره، ولا موضوعه (الهادي يحيى بن الحسين)، ولا مسرح أحداثه المكاني (اليمن)، ولا الزماني القرن الثالث الهجري؛ الأمر الذي حَسَّن القيام بهذه المهمة، ودَفَعَ لتلافي ما تم ذكره من قصور في التحقيق بعون الله.

منهج البحث

سلك الباحث في قسم الدراسة منهج البحث التاريخي الوصفي والتحليلي القائم على جمع المعلومات وتفكيكها وتصنيفها ومقارنتها وتحليلها وكشف العلاقة بينها، وعرض النتائج التي تم التوصل إليها، مع تحري الصدق والموضوعية، وتجنب التحيز والتعصب قدر المستطاع.

وفي قسم التحقيق اتبع الباحث منهج التحقيق بالحصول على النسخ المخطوطة، ثم مقابلتها ببعضها، ودراسة علاقتها في ما بينها، واختيار النسخة الأم منها، ثم طباعتها، وتدوين ما خالفها في الهامش، وتقويم النص المحتاج إلى ذلك، وترجمة الأعلام المختلفة فيها، والتوضيح للمبهم، والتخريج للآثار، والتعليق على ما يستلزم، واستخدام علامات الترقيم، وما يلحق بذلك من طرق التحقيق ومناهجه، وسيأتي ذلك مفصلاً.

هيكل البحث

ينقسم البحث إلى باين:

الباب الأول قسم الدراسة، وهو في ثلاثة فصول.

تضمن الفصل الأول: أوضاع اليمن السياسية والاجتماعية والفكرية قبل مجيء الإمام الهادي إلى الحق.

وتضمّن الفصل الثاني: حياة الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين الشخصية، وجهوده العلمية والفكرية والسياسية والعسكرية.

وتضمّن الفصل الثالث: السيرة ومؤلفها، وتم فيه تحديد مؤلف السيرة، وترجمته، ثم دراسة السيرة من حيث مفهومها، ومصادرها، ومنهجيتها، وأسلوبها، ومعلوماتها، وأهميتها.

الباب الثاني: النص المحقق.

ثم الخاتمة، وتضمنت أبرز النتائج والتوصيات.

يليه ملحقات:

الملحق الأول: مجموعة خرائط صُمِّمَتْ لليمن وأبرز التجمعات الحضرية التي ورد ذكرها في هذا المخطوط.

الملحق الثاني: أربعة فهارس، فهرس للأعلام، وثان للأماكن والبلدان، وثالث للجماعات والفرق والقبائل، ورابع للأشعار.

ثم قائمة المصادر والمراجع.

الباب الأول

قسم الدراسة

الفصل الأول: أوضاع اليمن العامة قبل مجيء الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين.

الفصل الثاني: الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين وجهوده العلمية والفكرية والسياسية والعسكرية.

الفصل الثالث: السيرة ومؤلفها.

الفصل الأول

أوضاع اليمن العامة قبل مجيء الإمام الهادي إلى

الحق يحيى بن الحسين

الفصل الأول

أوضاع اليمن العامة قبل مجيء الإمام الهادي إلى الحق

يحيى بن الحسين

تساعد دراسة أوضاع اليمن زمانياً ومكانياً في المدة موضوع الدراسة، ودراسة الإمام الهادي نفسه على فهم المخطوط بشكل أعمق، أما دراسة المخطوط نفسه، بالغوص في أعماقه، والتمعُّن فيه، وتقديره قدره فإن ذلك يعطي الباحث مفاتيح التقييم للمعلومات التي تضمّنها المخطوط.

ويتيح فهمُ الأوضاع العامة التي كان عليها اليمن قبل مجيء الإمام الهادي تصوُّرَ طبيعة الميدان الذي تحرَّك فيه بتعقيداته وظروفه وعوامله المختلفة، ومعرفة الفرص والتحديات التي تعامل معها آنذاك، ومن ثَمَّ التقييم لإنجازاته وإخفاقاته، وعليه فسيتم البحث في الأوضاع السياسية والاجتماعية والفكرية، وعلى النحو التالي.

أولاً: الأوضاع السياسية والاجتماعية

١- أحوال الخلافة العباسية في حياة الإمام الهادي إلى الحق

ولد الإمام الهادي يحيى بن الحسين سنة ٢٤٥هـ / ٨٥٩م في آخر سني حكم الخليفة العباسي المتوكل، الذي تولى الخلافة في (٢٣٢هـ - ٢٤٧هـ / ٨٤٦م - ٨٦١م)، ويعتبره المؤرخون أول خلفاء العصر العباسي الثاني، وهو عصر الضعف؛ بسبب هيمنة العناصر الأجنبية على مقام الخلافة والخلفاء؛ حيث فقد منصب الخلافة ما كان له "في نفوس المعاصرين من الهيبة، والقداسة؛ الأمر الذي شكّل صورة قائمة محزنة من أخبار الخلفاء في ذلك العصر"^(١).

في هذا العصر هيمن العنصر التركي^(٢) على مجريات الأحداث، وبات القادة الأتراك يتسلطون بشكل مرهق على أحوال الدولة وتصرفات الخلفاء، وكان المعتصم العباسي (٢٢٧هـ / ٨٤١م) قد استكثر من شرائهم، وقلدهم قيادة الجيش^(٣). وقد أخذ نفوذهم يزداد شيئاً فشيئاً، إلى أن صار كبار قادة الجيش منهم يتحكمون في مصير الخلافة العباسية نفسها^(٤)، وكان يهتمهم أن يجمعوا الثروات في أيديهم، ويثورون على من لديه المال.

(١) محمود، حسن أحمد، والشريف، أحمد إبراهيم: العالم الإسلامي في العصر العباسي الثاني، دار الفكر العربي، ط ٥، ص ٣١١.

(٢) الأتراك نسبة إلى بلدهم الذي جاءوا منه، وهو تركستان، وهي بلاد واسعة تمتد من سيبيريا شمالاً إلى إيران وباكستان والهند والتبت جنوباً. الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ط ٢، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، ج ٦، ص ٢٢٨ - ٢٢٩.

(٣) المسعودي، علي بن الحسين، أبو الحسن (ت ٣٤٦هـ): مروج الذهب ومعادن الجوهر، مؤسسة دار الهجرة، قم، ط ٢، ١٤٠٩هـ، ج ٣، ص ٤٦٥ - ٤٦٦، ٤٦٧.

(٤) محمود، والشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي الثاني، ص ٣٢١.

برزت قوتهم عند اختيارهم المتوكل جعفر بن المعتصم خليفة بعد موت الواثق (ت ٢٣٢هـ / ٨٤٦م)، وبيعتهم إياه، وكان لذلك "أثر كبير في تولية من جاؤوا بعده من الخلفاء، وباتوا هم رجالا والعقد، لا تتم الخلافة لأحد إلا بموافقتهم ورضاهم، وبذلك أحكموا قبضتهم على شؤون الخلافة، وأصبحت الأمور تصرف بإرادتهم" (١).

أشار الإمام الهادي إلى تسلطهم وتحكُّمهم في شؤون الخلافة، وأنهم باتوا هم مَنْ يُخْطَبُ لهم على المنابر، فقال يخاطب بعض بني عمومته العلويين:

"وكيف ترضون أن تضحي ولائكم تُركاً ويُدعى لهم بالرشد في الخطب" (٢)

وقد عبّر شعراء ذلك العصر في محطات عديدة عن ذلك الوضع، ومن أولئك البحثري (٣) (ت ٢٨٤هـ / ٨٩٨م) حيث يقول:

لله درُّ عَصَابَةِ تَرْكِيبَةٍ رَدُّوا نَوَائِبَ دَهْرِهِم بِالسِّيفِ
وَطَغَوْا فَاصْبَحَ مَلَكُنَا مُتَقَسِّمًا وَإِمَامُنَا فِيهِ شَيْبَةُ الضَّعِيفِ (٤)

ومع ذلك فقد تغنى الشعراء والمغنون بعصر المتوكل العباسي وما كان فيه من مجالس الأدب والغناء (٥)، حتى أن الخليفة نفسه وُصِفَ بأنه أول من "ظهر في مجلسه اللعب والمضاحك والهزل" (٦)، غير أن تلك الإشادة تحمل في طياتها ما

(١) محمود، والشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي الثاني، ص ٣٣١.

(٢) العلوي: السيرة، ل ١١١ / أ.

(٣) الوليد بن عبيد الطائي، كان من أشعر أهل عصره، اتصل بالخليفة المتوكل العباسي وغيره. الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٥، ١٩٨٠م، ج ٨، ص ١٢١.

(٤) المسعودي: مروج الذهب، ج ٤، ص ٨٤.

(٥) المسعودي: مروج الذهب، ج ٤، ص ٤٠.

(٦) المسعودي: مروج الذهب، ج ٤، ص ٤.

يشبه الإدانة؛ حيث الخليفة كان يستفرغ وسعه في قضاء وقته مع الخلعاء والمهرجين، وكان يعبث بالمال العام للإغداق على المدّاحين، وربما جزى على البيت الواحد من الشعر بألف دينار، وكان فارغ البال يقضي جل وقته في الملذات والشهوات^(١).

تميّز عهد المتوكل بالانقلاب على ما كان عليه أسلافه بشأن المعتزلة^(٢) وأفكارهم، فقد "حان دورهم ليعانوا من الاضطهاد" في عصره، كما كانت ردة فعله تجاه العلويين هي الأكثر عنفاً، وكان يستمتع بمشاهدة أحد مُهَرّجيه، وهو حاسر رأسه، وقد حشى بطنه بمخدة، ويقول بأنه (الأصلع البطين)، استهزاءً وسخرية بالإمام علي نفسه، كما أمر بهدم ضريح الإمام الحسين في كربلاء، وسوّاه بالأرض، وأمر بحراثته وزراعته بالقمح، وهُدّد بالسجن كلّ مَنْ يتجرّأ على زيارته^(٣).

وكان قد عزم على التخلص من الأتراك بعد أن ضاق بتسلطهم ذرعا، غير أن ولده المنتصر - الذي كان يعارض أباه بشأن موقفه من العلويين - كان لا يرى تركيا معارضا لأبيه إلا استماله إلى صفه، فعزم المتوكل على إزاحته من ولاية العهد واستبداله بولده الآخر المعتز، فانضم المنتصر إلى الأتراك، وشايعهم على أبيه، فقرر الفريقان أن يفتك كلّ منهما بالآخر، وكانت يد الأتراك أسرع إلى قتله عام

(١) المسعودي: مروج الذهب، ج٤، ص٤٠، ٤١.

(٢) سيأتي التعريف بهم في هذا الفصل في الوضع الفكري والمذهبي، ص٧٩.

(٣) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد الشيباني، أبو الحسن الجزري، (ت ٦٣٠هـ): الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م،

ج٦، ص١٣٠؛ و Muir, Sir William, The Caliphate, Its Rise, Decline, and Fall, Second Edition,

١٨٩٢. , p٥٦١.

٢٤٧هـ / ٨٦١م^(١).

وخلفه ولده المنتصر محمد بن المتوكل (٢٤٧هـ - ٢٤٨هـ / ٨٦١م - ٨٦٢م)، وفي عهده أمِنَ العلويون على أنفسهم، ولم يتعرَّض لشيعةهم^(٢)، لكنه أدرك على قصر فترته أنه هو الآخر أيضا ليس له من الأمر شيء، و"أنه حين مالاً الأتراك على أبيه إنما مالاًهم على قتل سلطان الخلافة نفسها"^(٣)، فعزم على التخلص من زعمائهم وتفريقهم، فلما علم الأتراك بذلك سبقوه بالتخلص منه^(٤).

ثم وقع اختيار الأتراك على المستعين أحمد بن محمد بن المعتصم (٢٤٨هـ - ٢٥٢هـ / ٨٦٢م - ٨٦٦م) وقد شَبَّتْ صراعات وحروب في عهده بين قادة الأتراك أنفسهم^(٥)، انتهت بالاتفاق على خلع المستعين نفسه، على أن له الأمان، وأن له ما في يده من الأملاك، لكن خَلَفَهُ المعتز غدر به، وقتلَه بعد تسعة شهور^(٦).

وقد ظهر في أيامه في سنة ٢٤٨هـ / ٨٦٢م الشائر يحيى بن عمر العلوي بالكوفة، واستطاع العباسيون إخماد ثورته وقتله عام ٢٥٠هـ / ٨٦٤م، فانطلقت موجة عارمة من الحزن عليه؛ إذ "كان ذا زهد وورع وعلم"، فرثته الشعراء، وبكت عليه العامة^(٧). كما ظهرت في أيامه في سنة ٢٥٠هـ / ٨٦٤م دولة العلويين

(١) الطبري، محمد بن جرير، أبو جعفر (ت ٣١٠هـ): تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ، ج ٥، ص ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧.

(٢) المسعودي: مروج الذهب، ج ٤، ص ٥١ - ٥٢.

(٣) محمود، والشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي الثاني، ص ٣٣٧.

(٤) المسعودي: مروج الذهب، ج ٤، ص ٥٠.

(٥) المسعودي، علي بن الحسين، أبو الحسن (ت ٣٤٦هـ): التنبيه والإشراف، تح: عبدالله الصاوي، دار الصاوي، القاهرة، ص ٣١٥.

(٦) المسعودي: مروج الذهب، ج ٤، ص ٧٨، ٧٩.

(٧) المسعودي: مروج الذهب، ج ٤، ص ٦٣، ٦٤.

في طبرستان^(١) على يد الإمام الحسن بن زيد العلوي، ثم خلفه أخوه محمد بن زيد الذي توفي جريحا عام ٢٧٦هـ / ٨٨٩م^(٢).

خلف المستعين المعتز بن المتوكل (٢٥٢هـ - ٢٥٥هـ / ٨٦٦م - ٨٦٨م) الذي اصطدم بالأتراك أيضا، فعمل على قتل رؤسائهم، لكنهم سعوا إلى القبض عليه، وتكريعه، ومطالبته بالمال سنة ٢٥٥هـ / ٨٥٨م^(٣)، "وكان يؤثر اللذات، ويعدم الرأي، وتُدبره أمه قبيحة وغيرها"^(٤)، وكان الجُنْد قد طالبوه بمبلغ خمسين ألف دينار، فعجز عن سدادها، ورفضت أمه إسعافه بقليل مما لديها من أموال، وهي التي وُجِدَ في خزائنها بعد ذلك ألف ألف (مليون) دينار، عدا الزمرد واللؤلؤ والياقوت^(٥).

استولى في أيامه وتحديدًا في سنة ٢٥٣هـ / ٨٦٧م الأمير إسماعيل بن يوسف العلوي الأخيضي على مكة والمدينة، ثم خلفه أخوه محمد بن يوسف الذي انكشف أمام الحملة العباسية، وسار إلى اليمامة والبحرين، فغلب عليها^(٦).

في سنة ٢٥٣هـ / ٨٦٧م قُبِضَ في مصر على ٧٦ طالبًا من آل علي، وآل جعفر، وآل عقيل، وأُرسل بهم إلى الخليفة العباسي، و"كانوا قد خرجوا من الحجاز

(١) طبرستان: منطقة جنوب بحر الخزر (قزوين)، تعرف اليوم بـ (مازندران)، ومن أعيان مُدُنْها (آمل)، وهي اليوم إحدى محافظات شمال إيران. الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٥م، ج ٤، ص ١٣؛ ومؤنس، حسين: أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط ١، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص ١١٧.

(٢) المسعودي: مروج الذهب، ج ٤، ص ٦٨.

(٣) المسعودي: مروج الذهب، ج ٤، ص ٩٢.

(٤) المسعودي: التنبيه والإشراف، ص ٣١٦.

(٥) ٥٣٦. Muir: The Caliphate, p

(٦) المسعودي: مروج الذهب، ج ٤، ص ٩١، ٩٤.

خوف الفتنة والجهد النازل بالحجاز إلى مصر"، فأمر المعتز بتكفيلهم، وإخلاء سبيلهم؛ لما وقف عليه من أمرهم^(١).

أرغم الأتراك المعتز على خلع نفسه، وجاؤوا بمحمد بن الواثق (٢٥٥هـ - ٢٥٦هـ / ٨٦٨م - ٨٦٩م)، وأسندوا إليه الخلافة، ولقب بالمهتدي، وأسلموا المعتز إلى مَنْ يُعَذِّبُهُ حتى مات، غير أن المهتدي كانت له رغبة في الإصلاح، "وقد رأى الفساد يعم الدولة، وإهمال العمال والرؤساء، والتهالك على الملذات، وارتكاب المنكر والموبقات، وتفكك البيت الخلافي، وانصراف الخلفاء إلى اللهو، وبعدهم عن الرعية"^(٢)؛ لذا رأى أن يبدأ الإصلاح من البيت الخلافي نفسه، فقرّب العلماء، ورفع منازل الفقهاء، وكان يتوخّى أن يصير في بني العباس كعمر بن عبدالعزيز (١٠١هـ / ٧١٩م) في بني أمية، ونهى عن المنكر، وحرم الشراب، ونهى عن القيان، وأظهر العدل، وبنى قبة سماها قبة المظالم، وجلس فيها للخاص والعام، وكان يحضر كل جمعة إلى المسجد الجامع، ويخطب الناس، ويؤم بهم^(٣). ومع ذلك فقد كان هو الآخر لا يعبأ بالمواثيق والعهود التي يقطعها على نفسه، إن رأى في ذلك تحقيقاً لأهدافه^(٤). وكان لموقفه القوي من الأتراك أثره في استرداد البيت العباسي بعض هيئته، فشغبوا عليه، فحاربهم، لكنه هُزِمَ وقُتِلَ بِسَرٍّ مَنْ رَأَى سَنَةَ ٢٥٦هـ / ٨٦٩م^(٥).

ثم جاؤوا بالمعتمد أحمد بن المتوكل (٢٥٦هـ - ٢٧٩هـ / ٨٦٩م - ٨٩٢م)، فبايعوه، لكنه لم يكن بمستوى الأحداث التي تعرّضت لها الخلافة، فقد كان همّه منصرفاً إلى اللهو،

(١) السعودي: مروج الذهب، ج ٤، ص ٩١.

(٢) محمود، والشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي الثاني، ص ٣٤٣.

(٣) السعودي: مروج الذهب، ج ٤، ص ٩٦، ١٠٣.

(٤) السعودي: التنبيه والإشراف، ص ٣١٧ - ٣١٨.

(٥) السعودي: التنبيه والإشراف، ص ٣١٨.

مشغوفاً بالملذات، "والغالب عليه المعاقرة، ومحبة أنواع اللهو والملاهي"^(١)، وكانت الأحداث والحركات الاستقلالية تعصف بالبلدان والمقاطعات البعيدة، وكان أخطرها حركة صاحب الزنج القريبة من عقر دار الخلافة.

كان صاحب الزنج يزعم أنه علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي^(٢)، وقد درس أوضاع العبيد بالبصرة ومحيطها، والذين كانوا بأعداد هائلة، يعانون من الاضطهاد والحرمان من قبل أسيادهم، فعند ذلك استخدم شعارات تحريرهم، لتحقيق طموحه في السيطرة والتملك بدون أن يكون له مشروع عدالة حقيقية؛ إذ لم يسعَ إلى تحرير الأرقاء بقدر ما حاول استرقاق الأحرار، ومع ذلك فقد كانت حركته غُصّة حقيقية في حلوق زعماء الدولة العباسية، وهو أمر هدد عاصمة العباسيين من جهة الجنوب، وبلغ قتلى تلك الوقعات عشرات الآلاف^(٣)، وقد وصلت أنباؤها في البصرة وغيرها إلى مسامع اليمنيين^(٤)؛ لارتباط البصرة باليمن في ذلك الوقت.

لم يكن المعتمد رجل تلك الأحداث، بل إن الأحداث أجبرت أحد أهم قيادات الأتراك موسى بن بغا - وقد رأى كثرة المتغلبين على نواحي المشرق، وأنه لا قوام لهم - أن يطلب إعفائه من ولايتها؛ الأمر الذي عزز موقع أخي الخليفة، أبي أحمد الموفق بن المتوكل، فأمسك بزمام الأمور، وقاد العساكر، وحارب الخارجين على

(١) المسعودي: مروج الذهب، ج ٤، ص ١٣١.

(٢) ينكر بعض المؤرخين صحة نسبه هذا، لكن بعض العلويين أقر بصحة نسبه، وإن أنكر عليه أعماله. الماروني، يحيى بن الحسين، أبو طالب (ت ٤٢٦ هـ): تيسير المطالب في أمالي أبي طالب، تح: عبدالله العزي، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء، ط ١، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م، ص ١٩٠.

(٣) المسعودي: مروج الذهب، ج ٤، ص ١٠٨، ١١٩، ١٢٠؛ ومحمود، والشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي الثاني، ص ٣٥١.

(٤) العلوي: السيرة، ل ٨٣ / ب.

الدولة، واستطاع أن يملأ الفراغ القيادي والعسكري آنذاك^(١).

بدأت في عهد المعتمد وعلى يد أخيه الموفق مرحلة انتعشت فيها الخلافة، واستطاعت أن تسترد نفوذها لتشمل عهود ثلاثة من الخلفاء، وهم المعتمد، والمعتضد، والمكتفي، لمدة أربعين سنة، حكم فيها هؤلاء الثلاثة الخلفاء، واستطالت مدة حكم أولهم إلى ثلاثٍ وعشرين سنة، وماتوا جميعاً موتاً طبيعياً، وعاشوا في دست الخلافة آمنين من عدوان الأتراك عليهم. ثم توفي الموفق سنة ٢٧٨هـ / ٨٩١م، وخلفه ولده أحمد الذي لقب بالمعتضد ليرث مكانته، ويحصد ثمار جهوده، ثم ما لبث المعتمد أن توفي بعده في عام ٢٧٩هـ / ٨٩٢م^(٢).

آلت الخلافة إلى المعتضد أحمد بن الموفق طلحة (٢٧٩هـ - ٢٨٩هـ / ٨٩٢م - ٩٠١م)، الذي عاصر جزءاً من إمامة الهادي يحيى بن الحسين، وكان سريع النهضة، حازماً مع قواده شديد الوطأة عليهم، وسكنت لهيبته الأتراك، فلم يجرؤ أحدهم على إغضابه أو إسخاطه^(٣)، وكانت الخلافة في عهده أعظم هيبة وأكثر انتعاشاً منها في عهد سلفه المعتمد؛ إذ استفاد من جهود أبيه الموفق، وواصلها، وأسقط المكوس، وأبطل ديوان المواريث، وأمر بتوريث ذوي الأرحام^(٤)، ورفع اقتصاد الدولة حتى أنه خلف عند موته في بيوت الأموال تسعة ألف ألف (٩ ملايين) دينار، وأربعين ألف ألف (٤٠ مليون) درهم، عدا البغال والجمال والدواب والحمير^(٥).

(١) محمود والشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي الثاني، ص ٣٤٧.

(٢) محمود والشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي الثاني، ص ٣٤٧.

(٣) المسعودي: التنبيه والإشراف، ص ٣٢٠؛ ومحمود والشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي الثاني، ص ٣٥٧.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٤٩٤.

(٥) المسعودي: مروج الذهب، ج ٤، ص ١٤٤.

ولكنه كان مع ذلك قاسياً متوحشاً الأساليب في التعذيب، قليل الرحمة، سفاكاً للدماء، فكان إذا غضب على أحدٍ أمر أن تحفر له حفيرة بحضرته، ثم يدلي رأسه فيها، ويهال التراب عليه، ونصفه الآخر ظاهر، ثم يداس التراب، فلا يزال كذلك حتى تخرج روحه من دبره، وقد اغتصب دوراً لبعض الرعية واتخذها مطامير جعلها للعذاب وصنوفه^(١).

تسامح المعتضد إلى حدٍّ ما مع العلويين، وأمر مندوب الإمام محمد بن زيد (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م) صاحب طبرستان بتوزيع مساعداته جهراً على العلويين في العراق والحجاز^(٢)، ومع ذلك فإنه في سنة ٢٨٠هـ / ٨٩٣م قبض على محمد بن الحسن بن سهل، وكان قد أخذ البيعة على جماعة من أهل بغداد لرجلٍ علوي، فلم يُفصح عن اسمه، فاستخدم المعتضد ضده وسيلة إعدام بشعة^(٣).

خلف المعتضد ولده المكتفي علي بن المعتضد (٢٨٩هـ - ٢٩٥هـ / ٩٠١م - ٩٠٧م)، وسار على نهجه في قمع الاضطرابات التي بدأ بعضها في عهد أسلافه، وأعاد مصر ولاية تخضع مباشرة للدولة العباسية^(٤)، وأمر بهدم مطامير العذاب التي اتخذها أبوه لتعذيب الناس، وإطلاق المحبوسين فيها، وأمر برّد المنازل التي اغتصبها أبوه إلى أهلها^(٥)، ومع ذلك فقد كان وزيره القاسم بن عبيد الله على قدرٍ من الفطاعة ونقض عهود الأمان، وكان المكتفي يبارك بعض تلك الأعمال^(٦).

(١) المسعودي: مروج الذهب، ج ٤، ص ١٤٤، ١٤٥.

(٢) المسعودي: مروج الذهب، ج ٤، ص ١٨١.

(٣) المسعودي: مروج الذهب، ج ٤، ص ١٥٤ - ١٥٥.

(٤) محمود، والشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي الثاني، ص ٣٥٨.

(٥) المسعودي: مروج الذهب، ج ٤، ص ١٨٤.

(٦) المسعودي: مروج الذهب، ج ٤، ص ١٨٨.

توفي المكتفي بعد ٦ سنوات فقط من الحكم، وبموته المبكر عادت الخلافة إلى ضعفها مع وصول أخيه جعفر بن المعتضد (٢٩٥هـ - ٣٢٠هـ / ٩٠٧م - ٩٣٢م) إلى سدةها، فقد اختاره الأتراك من الأمراء الضعاف من البيت العباسي؛ لتعود السلطة إلى أيديهم، ولم يكن عمره حينذاك يتجاوز الثلاثة عشر عاماً، فولي الخلافة، وهو "صغير غرّ ترف، لم يعان الأمور، ولا وقف على أحوال الملك، وكان الأمراء والوزراء والكتاب يدبّرون الأمور، وغلب على الأمر النساء والخدم"، حتى أن جارية لأمه تدعى (ثمل) القهرمانه كانت تجلس للنظر في مظالم الخاصة والعامة^(١)، وعبثاً لُقّب بالمقتدر، وهو الذي لم يكن حتى في أيام رجولته سوى شخصية ضعيفة وشهوانية، تتحكم فيه نساء القصر^(٢).

لقد شَخَّصَ الإمام الهادي في إحدى رسائله^(٣) وضعية الخلافة تشخيصاً خطيراً، تحدّث فيها عن الأوضاع العامة من وجهة نظره مبيناً تعامل ولاة العباسيين مع الرعية، ووضعية الخلفاء، وتسَلَّط عبيدهم الأتراك عليهم، فقال: "ألستم ترون حكم الكتاب معطلاً بينكم، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر معدوم فيكم، ترتع أعداء الله في جني أموال المسلمين، قد آمنوا من تغييركم عليهم، ويؤسوا من نكايتكم فيهم، وبسطوا أيديهم عليكم، وحكموا بحكم الشيطان فيهم، ﴿يُذَجِّجُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾"^(٤)، حرّموا

(١) المسعودي: التنبيه والإشراف، ص ٣٢٨.

(٢) Muir: The Caliphate, p ٥٦٠, ٥٦١.

(٣) الهادي، يحيى بن الحسين (ت ٢٩٨هـ): كتاب دعوة وجه بها إلى أحمد بن يحيى بن زيد ومن قبله، مجموع رسائل الإمام الهادي إلى الحق القويم، تح: عبدالله الشاذلي، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء، ط ١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م، ص ٥١٧-٥١٨، ٥٢١.

(٤) البقرة: ٤٩.

فيئهم، واصطفوا مع ذلك أموالهم، وأجاعوا بطونهم، وأعرّوا ظهورهم، وأضاعوا سبيلهم، وأخافوهم على أنفسهم، يحتفون أموالهم، ويقتلون رجالهم، ويمنعونهم النصف، ويسومونهم الحسف،... قد جعلوا فيئهم بينهم دولا، وأولادهم لهم خدما وخولا^(١)،... نهارهم دائبون في إخمال الهدى والحق، وليلهم في التلذذ والطرب والفسق، فراعنة جبارون، وأهل خيلاء فاسقون، إن استرحموا لم يرحموا، وإن استنصفوا لم ينصفوا، وإن خوفوا لم يخافوا، وإن قدرُوا لم يُبقُوا، وإن حكّموا لم يعدلوا، وإن قالوا لم يصدقوا، لا يذكرون المعاد، ولا يرحمون العباد، ولا يصلحون البلاد، رافضون معطلون للنكاح، مُظهرون مُعتكفون على السفاح، المنكر بينهم ظاهر، وأفعال قوم لوط أفعالهم، وأعمالهم في ذلك أعمالهم". وأشار إلى تسلط الأتراك عليهم فقال: "وقد تلعبت بهم عبيدهم، واجترأت عليهم ساستهم، فصاروا يسومونهم سوء العذاب، يقتلون مَنْ شاءوا منهم، ويقىمون من أرادوا منهم، يخبون الأموال لأنفسهم، وقد تسلط عليهم شرارهم وأعوانهم وعبدائهم، فلا مال عندهم، ولا رجال في جوارهم، ولا أمر ولا نهي لهم،... قد مال عمود ملكهم، وانهدم باب عزهم، وتغير أساس أمرهم".

تلك هي الصورة العامة التي كانت عليها الخلافة العباسية أيام الإمام الهادي يحيى بن الحسين، حيث لم تكن على سنن العدل، ولا تبدو عليها مظاهر الرشد؛ لهذا كانت أحد أسباب تحرك وثوران الإمام الهادي ضدها.

(١) الخول: جمع خائل، يقع على الواحد من العبيد والإماء. الرازي، محمد بن أبي بكر (ت ٦٦٦هـ): مختار الصحاح، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، والدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط ٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ص ٩٨.

٢- أوضاع اليمن السياسية والاجتماعية

ضربت الفوضى السياسية بأطنابها في اليمن قبل مجيء الإمام الهادي، وظلت الطموحات القبلية هي السائدة في نزاعات القبائل وعلاقاتهم بالعباسيين، وكان شيوخ القبائل يحتفظون بقلاعهم، ويفرضون سلطتهم على مناطق نفوذهم، ولم يكن ممثل الخلافة العباسية في صنعاء يعارضهم ما داموا يؤدون الواجبات المالية، ويعترفون ولو اسمياً بسلطة الخلافة.

وكانت صنعاء هي العاصمة التي ينزلها الولاة العباسيون والأشراف العرب^(١)، وهي قصبة نجد اليمن^(٢)، وكانت أعمال اليمن في الإسلام مقسومة على ثلاثة ولايات، فوال على الجند^(٣) ومخاليفها، ووال على صنعاء ومخاليفها، ووال على حضرموت^(٤) ومخاليفها^(٥). وسيتم عرض هذه الأوضاع باستعراض أبرز القوى السياسية والاجتماعية اليمنية في المدة فترة الدراسة، وعلى النحو التالي:

أ- اليُعُفريون

نشأت الدولة اليُعُفرية على يد الأمير يُعُفر بن عبدالرحمن بن كريب الحوالي،

(١) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر، ابن واضح (ت بعد ٢٩٢هـ): البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ، ص ١٥٥.

(٢) المقدسي، محمد بن أحمد البشاري (ت نحو ٣٨١هـ): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ٣، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ص ٨٦.

(٣) الجند: سيأتي التعريف بها في النص المحقق، ص ٧٧١.

(٤) حضرموت: صقع مترامي الأطراف في شرقي اليمن، يشكل اليوم واحدة من محافظات الجمهورية. المحققي، إبراهيم: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ط ٥، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م، مج ٢، ص ٤٨٥.

(٥) ابن خرداذبة، عبيد الله بن عبدالله، أبو القاسم (ت نحو ٢٨٠هـ): المسالك والممالك، دار صادر، أفست ليدن، بيروت، ١٨٨٩م، ص ١٤٤.

من قبيلة ذي حوال الأصغر الحميرية إلى الشمال الغربي من صنعاء، وبالتحديد في مدينة شبام^(١)، وقد ثار على الدولة العباسية وولاتها، ونفذ سلسلة محاولات للاستيلاء على صنعاء في الأعوام (٢٢٧هـ/٨٤١م)، و (٢٣١هـ/٨٤٥م)^(٢)، لكنه فشل، ومن ثمّ جنح للسلم، وعقد مع جعفر بن دينار والي العباسيين في صنعاء صلحا في سنة (٢٣٢هـ/٨٤٦م)^(٣)، قضى باعتراف العباسيين بسلطته مقابل الارتباط الاسمى منه بالخلافة العباسية والخطبة لها، ودفع مبلغ من المال دليلاً على التبعية^(٤).

برز في ٦ ربيع الأول ٢٤٤هـ/ ٢٦ يونيو ٨٥٨م دور الأمير محمد بن يُعْفَر^(٥)، مقابل انحسار أو اختفاء دور أبيه، وقد فتحت الخلافة العباسية مع الأمير الجديد صفحة جديدة من العلاقة؛ حيث أرسل الموفق طلحة أبو أحمد في عهد أخيه المعتمد عهد الولاية له على صنعاء ومخاليفها وجميع أعمالها ونواحيها في سنة ٢٥٩هـ/ ٨٧٢م^(٦).

(١) كانت تسمى شبام أقيان، تقع غربي مدينة صنعاء بمسافة ٤٢ كم، وكانت رأس مخراف يسمى باسمها. الهمداني، الحسن بن أحمد، أبو محمد (ت بين عامي ٣٥٠ و ٣٦٠هـ): صفة جزيرة العرب، تح: محمد بن علي الأكوغ، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط ١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ٢١١-٢١٢؛ والمقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ٢، ص ١٠٣٠.

(٢) الهمداني، الحسن بن أحمد، أبو محمد (ت بين عامي ٣٥٠ و ٣٦٠هـ): الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ج ٢، ص ١٤٩، ١٥١؛ ومحمد، طارق أبو الوفا: تاريخ صنعاء منذ فجر الإسلام وحتى أواخر القرن الرابع الهجري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٩م، ص ٥٦.

(٣) الطبري، إسحاق بن يحيى بن جرير الصنعاني (ت نحو ٤٥٠هـ): تاريخ صنعاء، تح: عبدالله الحبشي، مكتبة السنحاني، صنعاء، ص ٦٨.

(٤) الشجاع، عبدالرحمن عبدالواحد: تاريخ اليمن في الإسلام في القرون الأربعة الهجرية الأولى، صنعاء، ط ٨، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م، ص ١٧٥.

(٥) الطبري: تاريخ صنعاء، ص ٧٠.

(٦) الطبري: تاريخ صنعاء، ص ٧٢؛ والأكوغ، محمد بن علي: الوثائق السياسية اليمنية من قبيل الإسلام إلى سنة ٣٣٢هـ، ط ١، ص ٢٣٤-٢٣٧.

تنازل محمد بن يُعْفِر لابنه إبراهيم بن محمد، واعترف المعتمد العباسي بذلك في شهر ذي القعدة من سنة ٢٦٢هـ/ أغسطس ٨٧٦م^(١)، وكان محمد بن يُعْفِر قد تدبّر، وقرب العلماء، وسمع كتب الحديث السنية^(٢). وكان إبراهيم اليعفري "أديبا عالما خطيبا بليغا إذا صحا، داعرا إذا سكر"^(٣)، وهو القائل في تمجيد العنف والبطش، والقوة، كأسلوب إدارة وحكم:

حَكَّمِ السِّيفَ إِذَا مَا لَمْ تَجِدْ حَكَمًا يَعدِلُ فَالسِّيفُ حَكَمٌ
لَمْ أَرِ النَّاسَ لَذي رَفَقٍ بِهِمْ إِنَّمَا المَهيوبُ فِيهِمْ مَن غَشَمَ^(٤)

في ليلة ١٥ جمادى الأولى ٢٧٠هـ/ ٢٤ نوفمبر ٨٨٣م قتل هذا الأمير المعربد أباه وعمّه أحمد في صومعة مسجد شبام، وبقتله لهما تزعزعت عليه الأمور، وتورد عليه حتى بعض ولاته، وانضموا إلى خصومه^(٥)، وقدم عليه الدُّعَام بن إبراهيم الأرحبي الهمداني^(٦) مُعْزِيًا له وزاريا عليه فيما ارتكبه من أبيه وعمه، فقابله بالإساءة، وخرج الدُّعَام من عنده غاضبا، ولما وصل بلده أعلن الثورة عليه^(٧). وكان لليعفري عسكر بخيوان^(٨) قد وثبوا بأمره على محمد بن الضحاك المعيدي الحاشدي^(٩)، زعيم حاشد، فقتلوه غيلة، فغضبت حاشد، وانضمت إلى بكيل

(١) الطبري: تاريخ صنعاء، ص ٧١، ٧٢.

(٢) الهمداني: الإكليل، ج ٢، ص ١٥٢-١٥٣.

(٣) الهمداني: الإكليل، ج ٢، ص ١٥٢.

(٤) الهمداني: الإكليل، ج ٢، ص ١٥٣.

(٥) الطبري: تاريخ صنعاء، ص ٧٢، ٧٣.

(٦) سيأتي التعريف به في هذا الفصل.

(٧) الهمداني: الإكليل، ج ١٠، ص ١٣٢-١٣٣.

(٨) خيوان: سيأتي التعريف بها في النص المحقق، ص ٣٢٦.

(٩) سيأتي التعريف به أكثر في هذا الفصل، ص ٣٤.

تحت لواء صهره الدُّعَام بن إبراهيم الأرحبي الهمداني، وثاروا على اليُعْفَرين، وطردهم من بلادهم^(١).

بعث الدُّعَام الأرحبي وأبو العشيرة أحمد بن محمد المذحجي، الملقب ابن الروية^(٢)، في عام ٢٧٨هـ / ٨٩١م تقريبا، كتابا إلى الخليفة المعتمد يشكوان إليه سوء سيرة إبراهيم بن محمد، وأنه أحدث على أهل صنعاء، وأنهم استصرخوهما^(٣)، وقد اتحد أهل صنعاء جميعا، وكانوا متخاصمين، ضد عمال إبراهيم بن محمد اليُعْفَرِي، وطردهم من صنعاء، وأحرقوا دوره في صنعاء، ونهبوها^(٤). ثم لم يلبث إبراهيم أن وثب عليه جماعة في شبام فقتلوه في ليلة الجمعة ١٩ محرم ٢٧٩هـ / ١٩ إبريل ٨٩٢م^(٥)، ثم خلفه ابن عمه عبد القاهر بن أحمد بن يُعْفَر أياما^(٦).

استولى الدُّعَام بن إبراهيم على صنعاء، وفي هذه الأجواء أرسلت الخلافة العباسية جيشا بقيادة علي بن الحسين الملقب بجفتم^(٧)، وكان جيشه من العجم، سَمُّوا بالجفّاتم، وكان ذلك في صفر سنة ٢٧٩هـ / مايو ٨٩٢م^(٨)، فاستطاع إخراج الدُّعَام من صنعاء، وبقيت في يده حتى سنة ٢٨٢هـ / ٨٩٥م، ولما غادرها دخل إليها الدُّعَام مرة ثانية، ثم خرج عنها لبشر بن طريف بن ثابت مولى

(١) الهمداني: الإكليل، ج ١٠، ص ٦٧؛ والطبري: تاريخ صنعاء، ٧٣-٧٤.

(٢) سيأتي التعريف به أكثر في هذا الفصل، ص ٣٧.

(٣) الأكوغ: الوثائق السياسية اليمنية، ص ٢٢٦-٢٢٧.

(٤) الطبري: تاريخ صنعاء، ص ٧٥.

(٥) الطبري: تاريخ صنعاء، ص ٧٦.

(٦) الطبري: تاريخ صنعاء، ص ٧٦.

(٧) ستأتي بعض أخباره أيضا في هذا الفصل، ص ٢٥، ٢٨، ٣٣.

(٨) العلوي: السيرة، ل ٧١ / أ؛ والطبري: تاريخ صنعاء، ص ٧٦.

اليُغفرين، الذي كان واليا على محصب^(١) وذي رعين^(٢).

عهد المعتضد العباسي إلى جعل إمارة صنعاء إمارة ثنائية بين كل من أسعد بن أبي يُغفر إبراهيم بن محمد، وابن عمه عثمان بن أحمد بن أحمد أبي الخير، وذلك في عام ٢٨٨هـ / ٩٠١م، وكذلك فعل الخليفة المكتفي معهما في عام ٢٨٩هـ / ٩٠٢م^(٣). ثم عاد جفتم مرة ثانية واليا في عام ٢٩١هـ / ٩٠٣م، غير أن بني طريف قبضوا عليه، وسجنوه في بيت بوس، حتى تم إطلاقه من قبل أسعد بن أبي يُغفر إبراهيم في نفس العام، ثم ما لبث أن حاول إجبار أسعد على التنازل له، فاقتتلا، ولقي جفتم حتفه، وانحازت قواته إلى بني يُغفر^(٤).

لم يدم الوفاق بين أسعد وابن عمه عثمان طويلا، فسرعان ما اختلفا، فوثب أسعد على عثمان وقضى عليه، واستبدَّ بالأمر وحده منذ سنة ٢٩٣هـ / ٩٠٥م^(٥)، وكان أسعد فارس حير في عصره، و"جوادها ومهيبتها، مع حسن السياسة، وعظم الدهاء، وبعد الغور"^(٦)، وقد حصل على مرسوم من الخليفة العباسي المقتدر، أعطاه بموجبه السيادة على "صنعاء وأعمالها، والمذيخرة"^(٧) ومخاليفها،

(١) محصب: سيأتي التعريف بها في النص المحقق، ص ٢٦٦.

(٢) ذي رعين: سيأتي التعريف بها في النص المحقق، ص ٢٦٦.

(٣) الطبري: تاريخ صنعاء، ص ٨٠؛ ويحيى بن الحسين، يحيى بن الحسين بن القاسم (ت ١١٠هـ): غاية الأمان في أخبار القطر الباني، تح: سعيد عاشور، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م، ج ١، ص ٤٠٧؛ ومحمد: تاريخ صنعاء منذ فجر الإسلام، ص ٧٧.

(٤) العلوي: السيرة، ل ٨٧ / أ-ب؛ والطبري: تاريخ صنعاء، ص ٧٦، ٨١.

(٥) الهمداني: الإكليل، ج ٢، ص ١٥٢، ج ١٠، ص ١٣٥؛ والمطاع، أحمد بن أحمد: تاريخ اليمن الإسلامي من سنة ٢٠٤هـ - إلى سنة ١٠٠٦هـ، تح: عبدالله محمد الحبشي، منشورات المدينة، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م، ص ١١٠.

(٦) الهمداني: الإكليل، ج ٢، ص ١٥٣.

(٧) المذيخرة: سيأتي التعريف بها في النص المحقق، ص ٧٧٥.

وعدن وأبين^(١) ولحج^(٢) وما يتصل بها^(٣)، وهو أمرٌ يشير إلى أن تهامة لم تُذكر في هذه التولية؛ حيث كانت تحت ولاية عج بن حاج^(٤)، وكانت على صلة مباشرة بمكة، وكذلك صعدة^(٥)؛ فإنها كانت بحكم الأمر الواقع تتبع عمليا دولة الإمام الهادي. أوكل الخلفاء العباسيون إلى والي مكة عج بن حاج أمر اليمن فيما يبدو؛ فكان يرفع تقاريره إلى الخلافة عن أحوال اليمن، وعن طريقه كانت تأتي كتب تولية الولاة اليعفرين من قبل الخلافة^(٦). ثم أرسلت الخلافة أخاه المظفر بن حاج واليا، ولكن في تهامة، وذلك في بداية سنة ٢٩٥هـ / أكتوبر ٩٠٧م، واستمر بها حتى وفاته في رجب سنة ٢٨٩هـ / ٩١٠م^(٧)، وكان اليعفريون يتبعونه، كما يتبعون الخلافة العباسية اسميا^(٨).

ب- بنو طريف

كان بنو طريف إحدى الجماعات السياسية والاجتماعية المشاركة في رسم المشهد السياسي والاجتماعي في اليمن قبيل وصول الإمام الهادي وبعد وصوله،

- (١) أبين: صقع في الأطراف الشرقية لمدينة عدن، وهو اليوم إحدى محافظات اليمن. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٤٦، ١٩٠، ١٩١؛ والمقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ١، ص ٣٢.
- (٢) لحج: صقع واسع شمال مدينة عدن، ويشكل اليوم إحدى محافظات اليمن. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٩١؛ والمقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ٣، ١٧٢٦.
- (٣) الأكوع: الوثائق السياسية اليمنية، ص ٢٣٧.
- (٤) عج بن حاج: ستأتي ترجمته في النص المحقق، ص ٧٨٣، ٧٨٩.
- (٥) صعدة: ستأتي ترجمتها في النص المحقق، ص ٢٦٤.
- (٦) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٦٣٧؛ والهمداني: الإكليل، ج ١، ص ٢٤، ٢٣٣-٢٣٤؛ والطبري: تاريخ صنعاء، ص ٧٩، ٨٠.
- (٧) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٦٦٣؛ والعلوي: السيرة، ل ١٣٩ / ب؛ والشميري، فؤاد عبد الغني محمد: تاريخ اليمن سياسيا وإعلاميا من خلال النقود العربية للفترة ما بين القرنين الثالث والتاسع الهجريين، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، ص ٤٢.
- (٨) الشميري: تاريخ اليمن سياسيا وإعلاميا، ص ٤٢.

ويتسبون - كما يذكر الهمداني^(١) - إلى ذي كبار الهمداني، وجدهم هو طريف بن ثابت بن عميرة الكباري الهمداني^(٢)، ورغم انتسابهم إلى همدان إلا أن المصادر تصمّمهم بأنهم "موالي اليُعرّيين وعبيدهم"، بل وصفهم الإمام الهادي وابنه المرتضى محمد^(٣) بذلك في مواضع عديدة^(٤)، وقد أجمل الهمداني^(٥) سبب ولائهم لبني يُعْفِر قائلا: "مسّهم من ولاء يُعْفِر الحوالي خبر عجيب".

وكان طريف بن ثابت - بالإضافة إلى كونه مولى اليُعرّيين - قائدا من قواد جيشهم، فقد تولى في عهد يُعْفِر بن عبد الرحمن حرب العباسيين وواليهم في اليمن^(٦)، كما قاد جيش ولده الأمير محمد بن يُعْفِر واقتحم صنعاء نصرة للشهابيين^(٧) ضد

(١) الإكليل، ج ١٠، ص ٥٣، ٥٤.

(٢) الهمداني: الإكليل، ج ١٠، ص ٥٤.

(٣) المرتضى: وُلِدَ في الرس لعله في سنة ٢٦٨ هـ، وتعلّم على يد والده حتى صار إماما في العلوم، وكتب كثيرا من المؤلفات، وقد بايعه الناس بعد وفاة أبيه في ٢٩٨ هـ / ٩١٠ م إماما، ثم اعتزل الأمر، وتوفي سنة ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م. الهاروني، يحيى بن الحسين، أبو طالب (ت ٤٢٦ هـ): الإفادة في تاريخ الأئمة السادة، تح: إبراهيم مجد الدين المؤيدي، وهادي حسن الحمزي، مكتبة أهل البيت، صعدة، ط ٢، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م، ص ١٣٠ - ١٣١؛ والوجيه، عبدالسلام عباس: أعلام المؤلفين الزيدية، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء، ط ٢، ١٤٣٩ هـ / ٢٠١٨ م، منشور إلكترونيا، ج ٢، ص ٣٥٢ - ٣٥٥.

(٤) العلوي: السيرة، ل ٨٨ / أ، ٨٩ / ب، ٩٠ / ب، ٩٣ / ب، ١١٤ / أ، ب.

(٥) الإكليل، ج ١٠، ص ٥٤.

(٦) الطبري: تاريخ صنعاء، ص ٦٦.

(٧) بنو شهاب بن العاقل، سكن بعضهم في ساقين صعدة، وبعضهم في مدينة صنعاء وما حولها، كبيت سبطان، وعضدان، وجدر، وخولان العالية، و"هم أحدٌ منْ بصنعاء" على حد عبارة الهمداني. الهمداني: الإكليل، ج ١، ص ٣٠٨ - ٣٥٢؛ والرازي، أحمد بن عبد الله (ت حوالي ٤٦٠ هـ): تاريخ مدينة صنعاء، تح: حسين بن عبد الله العمري، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، ط ٣، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م، ص ٢١٢.

خصومهم الأبناء^(١) في عام ٢٤٤هـ / ٨٥٨م^(٢).

ولما دبَّ الضعف إلى دولة بني يُعْفِر عقب اغتيال الأمير إبراهيم بن محمد أباه وعمّه أعلن بنو طريف تمرّدَهم على مواليهم في بلاد يحصب ورعين^(٣). وقد استطاع أبو محجن بشر بن طريف طرّدَ جفتم من صنعاء شرّ طردة في عام ٢٨٢هـ / ٨٩٥م، واستولى عليها وعلى محيطها^(٤)، مستغلا حالة الضعف التي انتابت بني يُعْفِر، بل واستولى هو وأخوه عواض بن طريف على شبام قبل أن تدركه منيته في جمادى الأولى سنة ٢٨٣هـ / يونيو - يوليو ٨٩٦م^(٥).

خلفه على حكم صنعاء ومخاليف اليمن ولده أبو العتاهية عبد الله بن بشر، وكان رجلا صالحا في نفسه، وقد ضاق ذرعا بتسلُّط أبناء عمومته وظلمهم للرعية، واقتنع بمشروع الإمام الهادي وأحقية موقفه، فكان أحد المستدعين له من الحجاز، ثم من صعدة، ثم سلّمه حكم صنعاء ومخاليفها، وخزائنها، وأموالها أول سنة ٢٨٨هـ / ٩٠١م، وأخلص لدعوة الهادي، وسلك طريقة العبادة والزهد والجهاد، واستمر يناصر الإمام الهادي ويقاقل بين يديه حتى استشهد في إحدى معاركه حول صنعاء في شوال سنة ٢٨٨هـ / أكتوبر ٩٠١م^(٦).

(١) الأبناء: هم أبناء الجنود الفرس الذين استوطنوا باليمن في القرن السادس الميلادي على عهد سيف بن ذي يزن، وحكموها، وتزوجوا منها، وكانوا يستوطنون صنعاء وذمار وغيرها. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٠٦، ٢٣٧؛ والمقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ١، ص ٢٩.

(٢) الطبري: تاريخ صنعاء، ص ٧٠.

(٣) الطبري: تاريخ صنعاء، ص ٧٣.

(٤) العلوي: السيرة، ل ٤٦ / ب؛ والهمداني: الإكليل، ج ٨، ص ١٧٢.

(٥) الطبري: تاريخ صنعاء، ص ٧٦.

(٦) العلوي: السيرة (ينظر الفهرس: أبو العتاهية)؛ وعلي بن بلال، أبو الحسن الأملي (ت ٤هـ):

ومن أخطر رجالاتهم أبو إسحاق إبراهيم بن خلف بن طريف، الذي تزعم حلف المواجهة والمعارضة المسلحة للإمام الهادي أولاً حتى تم إخراجهم من صنعاء عام ٢٨٩هـ / ٩٠٢م، ثم اختلف مع أسعد وعثمان اليُعفرين، ودخل في صراع معهما، انتهى بهزيمته ومقتله في عام ٢٩١هـ / ٩٠٣م^(١). وقد عدّه الهمداني^(٢) أحد فرسان اليمن، إلا أن إدارته لما كان تحت يده من البلدان اتّصفت بالظلم والفساد، وقد دخل بلد جيشان^(٣) فأنهبها، وأباحها لعسكره، وسبوا كثيراً من نسائها، وبيع بعضهن في مكة، وكان يبيع الفجور لأصحابه، ويشجع حالة الفساد والانحراف^(٤). وكان هو وأمراء بني طريف قد تفرد كل واحد منهم ببلد من البلدان ينهبونها، ويأكلون أهلها جوراً وظلماً وفسقاً؛ ولهذا كان أحد أسباب تصدّيهم لمشروع الإمام الهادي لاحقاً هو أنه حرّمهم من ممارسة السلطة والظلم وأخذ أموال الناس بالباطل^(٥).

ت- القوى القبلية الأخرى

شاركت في أحداث اليمن قبل مجيء الهادي وبعده قبائل خولان صعدة، وهو خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاة، وبنو خولان هم حيّ، وسعد، وهاني،

تتمّة المصابيح، طبع ضمن المصابيح، تح: عبدالله بن عبدالله الحوثي، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عمّان، ط١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، ص ٥٧٠، ٥٧٩؛ والطبري: تاريخ صنعاء، ص ٧٦؛ وابن أبي الرجال، أحمد بن صالح بن أبي الرجال (ت ١٠٩٢هـ): مطلع البدور ومجمع البحور في تراجم رجال الزيدية، تح: عبدالرقيب حجر، مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية، صعدة، ط١، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، ج ١، ص ٤٧١ - ٤٧٢.

(١) العلوي: السيرة، ل ١٣٦ / ب.

(٢) الإكليل، ج ١٠، ص ٥٤.

(٣) جيشان: سيأتي التعريف بها في النص المحقق، ص ٢٦٧.

(٤) العلوي: السيرة، ل ٧١ / أ، ٧٤ / أ.

(٥) العلوي: السيرة، ل ٧١ / أ، ٧٤ / أ.

ورازح، ورشوان، والأزمع، وصحار (سحار)، وكانت الحروب البينية تعصف بفروع خولان، ولا سيما بين الربيعة بن سعد بن خولان، وإخوتهم سعد بن سعد بن خولان^(١).

فأما سعد بن سعد بن خولان فهم بطون عديدة، ومن زعمائهم عمرو بن زيد الذي هاج الحرب بين سعد والربيعة، وكانت سعد بن سعد في عصر الهادي تحت إمرة الفطيميين من أهل العشة^(٢)، رغم أنهم من ولد سعد بن حاذر بن صحار (سحار) بن خولان؛ لأنهم كانوا أحوال سعد بن سعد بن خولان، وأيضا كانت سعد بن سعد بن خولان أخوالهم، وكان اليعفر يميلون إليهم ضد الربيعة بن سعد ورؤسائها؛ لأن هؤلاء الآخرين كانوا يميلون إلى بني العباس.

والفطيميون "أكثر خولان جابة، وأبعدهم صيتا، وأفرسهم فروسية" كما يصفهم الهمداني، وكانت تربطهم مع المناخين^(٣) في المذيخرة صهارة، ويجمعهم التشيع لأهل البيت، وكذلك كان بينهم وبين سفيان بن أرحب^(٤) ووادة بن عمرو بن عامر^(٥) صهارة أيضا^(٦)، والفطيميون هم الذين خرجوا مع قبائل

(١) العلوي: السيرة (ينظر الفهرس)؛ والهمداني: الإكليل، ج ١، ص ١٩٥ - ١٩٨؛ وصفة جزيرة العرب، ص ٢٢٤ - ٢٢٥.

(٢) العشة: سيأتي التعريف بها في النص المحقق، ص ٨٠٧.

(٣) سيأتي التعريف بهم في هذا الفصل، ص ٣٧.

(٤) سفيان بن أرحب: من قبائل بكيل، ديارهم شمال مدينة حوث بنحو ٢٥ كم، وتعرف اليوم بسفيان. المحققي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ٢، ص ٩٧٤.

(٥) هم وادة حاشد، ويسكنون سنام ظاهر همدان، في ما يطلق عليه اسم (حاشد)، وإليهم ينتمي بنو ربيعة، وبنو صريم، وبنو معمّر، وبنو يقشب وغيرهم. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٢١.

(٦) العلوي: السيرة، ل ٦٥ / أ - ب؛ والهمداني: الإكليل، ج ١، ص ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٨٦ - ٢٨٧، ٢٨٩.

أخرى إلى الإمام الهادي في الرس^(١) فاستقدموه، وكانوا "عمود أمره، ووكر عزه، ونظام دولته"^(٢). وهناك اليرسميون، وهم جماع قبلي كانوا في مدينة صعدة ومحيطها، وتكوّن من عدد من القبائل الخولانية والهمدانية وغيرها، وهم أيضا إحدى القبائل التي استدعت الهادي إلى اليمن، ثم نصره، وعاضدوه^(٣).

وأما قبائل الربيعية بن سعد بن خولان فهم الأكيليون، والكليبيون، وآل أسيد، وبنو مالك، وبنو عوير، والمهاذر، وبنو بحر، ومنبه، وآل قرف^(٤)، وكان رؤسائهم بنو أكيل موالين للسلطة العباسية، وتربطهم علاقات تاريخية بهم، فقد وفد أحد أجدادهم، وهو محمد بن كثير بن حجر، على المهدي العباسي (ت ١٦٩هـ / ٧٨٥م)^(٥)، وقام حفيده محمد بن عباد بن محمد بن كثير برئاسة قومه، وبلغ في خولان مبلغا عظيما، ثم ثار عليه بعض خولان، ولا سيما سعد بن سعد، وقتلوه^(٦)، وكان ولده عبد الله صغيرا، فأخفي لدى أخواله بني عبد المدان الحارثيين^(٧) في نجران^(٨)،

(١) الرس: بالقرب من المدينة المنورة وراء جبل أسود قريبا من ذي الحليفة. الهاروني: الإفادة، ص ٩٨.

(٢) الهمداني: الإكليل، ج ١، ص ٢٨٨.

(٣) العلوي: السيرة، ل ١، أ، ١٢ / أ، ١٧ / أ، ١٩ / أ، ٢٥ / أ، والهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٢٤، ٢٣٧.

(٤) العلوي: السيرة، ٦٥ / ب؛ والهمداني: الإكليل، ج ١، ص ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢١، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٣١، ٢٤٠، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥١، ٢٥٦، ٢٥٨.

(٥) الهمداني: الإكليل، ج ١، ص ٢٢٠.

(٦) الهمداني: الإكليل، ج ١، ص ٢٢١.

(٧) بنو عبد المدان بن الديان: بطن من بني الحارث بن كعب، ومن أشرف نجران، كانوا يقطنون مدينة نجران (الأحدود). العلوي: السيرة، ل ٦١ / ب، ٧٩ / ب، ٩٧ / أ، ١٢٦ / ب، ١٢٩ / أ- ب؛ وكحالة، عمر رضا: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٨، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، ج ٢، ص ٧٣٤.

(٨) نجران: وادٍ في الجهة الشمالية الشرقية لمدينة صعدة على بعد ١٠٠ كم تقريبا، طوله حوالي ٣٠ كم، تتناثر على ضفتيه الشمالية والجنوبية قرى وأسرار. العلوي: السيرة، ١٩ / ب، ٢٠ / أ، ٢١ / =

فكفلوه حتى أدرك، ولحق بثأر أبيه في بني سعد. وقد قام يُعْفِر بن عبد الرحمن الحوالي مع بني سعد ضد الربيعية؛ الأمر الذي دفع عبدالله بن محمد بن عباد للوفود على الواثق العباسي سنة ٢٢٩هـ / ٨٤٣م، وسأله المدد ضد يُعْفِر فأمدّه^(١).

ثم رأس الربيعية بن سعد ولده أحمد بن عبد الله بن محمد بن عباد، أبو الحسن، معاصر الإمام الهادي، وكان قد والاه ثم تمرّد عليه، وشكّل مع أخواله بني الحارث بن كعب^(٢) تحالفا معارضا ومتمردا على دولة الهادي، على أن يُجِدِّثَ كُلَّ منهم في بلده تمرّدا ضده في آن واحد^(٣)، لكنه هُزِمَ وقومه أمام الهادي، فسافر إلى العراق، واستنجد بالمكتفي، ولم يظفر منه بطائل^(٤).

لعبت قبيلة همدان بن زيد، بفرعيها حاشد وبكيل دورا في أحداث اليمن، وبلدّهم كما يقول الهمداني^(٥) منقسم "بخطّ عرضي ما بين صنعاء وصعدة، فشرقيّه لبكيل، وغربيّه لحاشد، وفي قسم بكيل بلادٌ لحاشد، وفي قسم حاشد بلادٌ لبكيل"، وعُرِفَت قبيلة همدان بالمنعة والنصرة، و"لا يقوم لأمرٍ باليمن إمرة، إلا أن يكون معه ديوانٌ من همدان، وهم أَطْلُبُ العرب بقتيلٍ، وأنصره للذليل"^(٦). وكانت الفتن والحروب تشتعل بين قبائلها وأفخاذها، وقد نشبت حرب بين حاشد وبكيل في عصر يُعْفِر وابنه محمد بن يُعْفِر، "ولبثت عصرا، ثم تداعوا إلى

أ، ٢٢ / أ، ٢٤ / أ؛ والهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٣٧، ٢٨٣؛ والويسبي، حسين بن علي: اليمن الكبرى، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط ٢، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ص ١٣٣.

(١) الهمداني: الإكليل، ج ١، ص ٢٢٥-٢٢٦، ٢٢٨.

(٢) سيأتي التعريف بهم في هذا الفصل، ص ٣٥.

(٣) العلوي: السيرة، ل ٥٣ / أ.

(٤) الهمداني: الإكليل، ج ١، ص ٢٣١، ٢٣٣-٢٣٤، ٢٣٩-٢٤٠.

(٥) صفة جزيرة العرب، ص ٢١٧-٢٢٢؛ والإكليل، ج ٢، ص ٣٣٣-٣٣٤.

(٦) الهمداني: الإكليل، ج ٢، ص ١٨٠.

الصلح، وحضر وجوه الحيين"، وبلغ عدد القتلى بينهم سبع مئة وخمسين قتيلاً^(١).
كان يرأس بكيلاً - قبيل مجيء الهادي - الدُّعَامُ بن إبراهيم بن عبد الله بن
يأس، من بني عبد بن عليان بن أرحب، وكان عدد مقاتليهم يقارب الـ ٥٠٠٠
مقاتل^(٢)، وكان الدُّعَامُ "سيد همدان في عصره"، صاحب نجدة، وفروسية،
وجود، وحلم، ودهاء^(٣). ولما قُتِلَ صهره محمد بن الضحاك سيد حاشد،
اجتمعت حاشد مع بكيل تحت قيادته في حرب بني يُعْفَر^(٤)، واستطاع الدُّعَامُ
حينئذ الإطاحة باليُعْفَرين من همدان وصنعاء، واستلبهم مملكتهم، وجِيَتْ له
اليمن إلى ساحل عدن، وإن كان ذلك لفترة قصيرة^(٥)، ولم تطل مدته؛ إذ انتقض
تحالفه مع أبي العشيرة بن الروية؛ الأمر الذي قوَّى جناب والي العباسيين
جفتم^(٦). ثم دخل في صراع مع بني طريف موالي اليُعْفَرين، وقد نجح أبو
محجن بن طريف في إخراجه مرة ثانية من صنعاء عام ٢٨٢هـ/٨٩٥م^(٧). ثم كان أحد
المستدعين للإمام الهادي من الحجاز^(٨)، ولما وصل إلى اليمن حاربه وقتاً، ثم
لاءمه، وكان ينصره أحياناً، ويخذله حيناً آخر، وقد توفي عام ٢٩٨هـ/٩١٠م^(٩).

كان المعيدون زعماء حاشد في خيوان، وقد ثار منهم الضحاك ورزام وسعيد

(١) الهمداني: الإكليل، ج ١٠، ص ٥٧-٥٨.

(٢) الهمداني: الإكليل، ج ١٠، ص ١٥٣.

(٣) الهمداني: الإكليل، ج ١٠، ص ١٣٢-١٣٣؛ والطبري: تاريخ صنعاء، ص ٧٦.

(٤) العلوي: السيرة، ل ٦٣/ب؛ والهمداني: الإكليل، ج ١٠، ص ١٣٣؛ والطبري: تاريخ صنعاء، ص ٧٣-٧٤.

(٥) الهمداني: الإكليل، ج ١٠، ص ١٣٢.

(٦) الهمداني: الإكليل، ج ١٠، ص ١٣٣.

(٧) المطاع: تاريخ اليمن الإسلامي، ص ٧٣.

(٨) العلوي: السيرة، ل ٣٧/أ.

(٩) العلوي: السيرة (ينظر الفهرس: الدعاء)؛ والهمداني: الإكليل، ج ١٠، ص ١٣٢-١٣٥.

المعيدون مع يُعْفَر بن عبد الرحمن الحوالي ضد العباسيين، ثم قام محمد بن الضحاك بعد أبيه بأمر حاشد، حتى قُتِل غيلة^(١)، وكان ولده أبو جعفر أحمد بن محمد بن الضحاك يومذاك لا يزال صغيراً في سن سبع سنين^(٢)، وقد عارض الهادي في شبابه وفتوته، وقاتله مع بني طريف، ثم صافى ولديه المرتضى والناصر^(٣)، ثم صار عالم همدان، وسيدها، وفقهها، والمقصود إليه في ذلك^(٤). وكانت المشاكل والفتن الداخلية تعصف بالقبائل الحاشدية، ثم كان للهادي دور في إصلاح أوضاعها واستتباب الأمن الاجتماعي فيها - كما سيأتي^(٥).

وكان اللعويون من بني ربيعة بن بكيل في ريدة^(٦)، ومنهم صعصة بن جعفر اللعوي والي اليعفرين عليها، وكان قد بادر بموالاته الهادي، واستحلفه على ذلك، لكنه سرعان ما نكث بعهده، وانقلب عليه، ووالى بني يُعْفَر وبني طريف ضده، وكان "يأكل أهل البون ظلماً وجوراً" كما وصفته السيرة، واتهمته بالانحراف والفساد^(٧).

(١) الهمداني: الإكليل، ج ١٠، ص ٦٧.

(٢) الهمداني: الإكليل، ج ١٠، ص ٦٧-٦٨.

(٣) الناصر: أحمد بن الهادي يحيى بن الحسين، تعلم على يد والده، وصار عالماً، وألف في عدد من الموضوعات، وولي الإمامة بعد اعتزال أخيه المرتضى، وتوفي سنة ٣٢٢ هـ. العلوي: السيرة (الفهرس: الناصر أحمد بن يحيى)؛ والهاروني: الإفادة، ص ١٣٢-١٣٣؛ والوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ج ١، ص ٢١١-٢١٣.

(٤) العلوي: السيرة (ينظر الفهرس: أحمد بن محمد بن الضحاك)؛ والهمداني: الإكليل، ج ١٠، ص ٦٧-٦٨؛ وابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ١، ص ٤٤٩-٤٥٠.

(٥) العلوي: السيرة، ل ٢٩/أ.

(٦) الهمداني: الإكليل، ج ١٠، ص ١٠٣، ١٠٤، وهامشها. وريدة: في منتهى البون الأسفل على بعد ٢٠ كم شمالاً بشرق من مدينة عمران، وتشكل اليوم مديرية من أعمالها. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١١٤، ٢١٩، ٣٦٢؛ والمقحف: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ٢، ص ٨٩٤.

(٧) العلوي، ل ٧٥/أ، ٣٠/أ.

كانت منطقة وادي نجران يقطنها بنو الحارث بن كعب وهمدان، فأما بنو الحارث بن كعب، فهم إحدى قبائل مذحج^(١)، وهم بطون عديدة وكثيرة، كانوا ينزلون على ضفاف وادي نجران، وكان منهم بنو خيثمة، ورئيسهم الحارث بن حميد^(٢)، وكان من أشد خصوم الهادي وقائد تمردهم ضده، ومنهم بنو الحساس، وربيعه، وبنو عبد المدان، وبنو قطن، وغيرهم. وكان بنو الحارث على حرب في ما بينهم من جهة، وعلى حرب مع قبائل همدان النجرانية (وادعة ويام وشاكر) من جهة أخرى، ولهذا كانت أولى مهام الهادي أن أصلح بين هذه القبائل^(٣). وقد ارتبط بنو الحارث بعلاقة تاريخية مع بني العباس، فقد كانت أم أول خليفة عباسي، وهو أبو العباس السفاح، مدانية حارثية^(٤)، وولّى الخلفاء العباسيون عددا من الحارثيين من بني عبد المدان ولادة على اليمن^(٥)، وكان المعاصرون للهادي من بني الحارث يستشعرون أهمية هذه العلاقة التاريخية، وينطلقون منها في مواقفهم إزاءه^(٦).

(١) مذحج: هو مالك بن أدد، بطن من كهلان بن سبأ، وقبائله كثيرة، منها جلد، وسعد العشيرة، ورهاء، وصداء، وشمران، وسنحان، وحكم، وصعب، وزبيد، ومراد، وعنس، والنخع، وجنب، وجعفي، والحارث بن كعب، وغيرهم. الحميري، نشوان بن سعيد (ت ٥٧٣هـ): شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تح: حسين العمري، ومطهر الإيراني، ويوسف محمد عبدالله، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، ط ١، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ج ٤، ص ٢٠١٤؛ والحجري، محمد بن أحمد: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تح: إسماعيل الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط ٤، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، مج ٢، ج ٤، ص ٦٩٩.

(٢) العلوي: السيرة، ل ٧٩/أ، ١٠١/ب، ١١٥/أ.

(٣) العلوي: السيرة (ينظر الفهرس: الحارث بن كعب)؛ والهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٢٨-٢٢٩، ٢٨٣.

(٤) الطبري: تاريخ صنعاء، ص ٣٩؛ وابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج ٣، ص ١٤٨.

(٥) الطبري: تاريخ صنعاء، ص ٤٠، ٤١، ٤٦، ٤٧.

(٦) العلوي: السيرة، ل ١٢١/أ.

أما القبائل الهمدانية في نجران فهي قبيلتا وائلة وأمير ابني شاكر البكيليتان، وكانوا ينزلون في وادي نجران ومحيطه، وكانوا من أوائل القبائل التي أعلنت ولائها للإمام الهادي^(١). بالإضافة إلى بني وادعة بن عمرو بن عامر بن ناشج، وهم بطن من حاشد، قطنوا القسم الغربي والأعلى من نجران، بينه وبين عسير، وقد نصرُوا الإمام الهادي وقاتلوا معه^(٢). وهناك يام، وهم أولاد يام بن أصبى بن دافع بن مالك بن جشم بن حاشد، أحد الفروع الكبيرة لقبيلة حاشد، ولعلهم هاجروا إلى نجران من "بلد يام القديمة"^(٣)، وقطنوا المناطق الشمالية لنجران^(٤). وكان يتبع ياما قبيلة الأحلاف، ولعلها كانت جزءاً منها، فقد اتحدت معها في محطات عديدة، وسكنوا وإياهم في قرية راحة^(٥)، وقد نصرُوا الإمام الهادي، وأثنى عليهم^(٦). هذا بالإضافة إلى قبيلة ثقيف، والتي يبدو أن أصولها كانت من ثقيف اليمن القاطنين بالقرب من بني مالك^(٧)، وكانوا يسكنون شاكر

(١) العلوي: السيرة (ينظر الفهرس: وائلة وأمير وشاكر)؛ والهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٦٢، ٢١٨، ٢١٩، ٢٨١-٢٨٣؛ والحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، مج ٢، ج ٤، ص ٧٦١.

(٢) العلوي: السيرة (ينظر الفهرس: وادعة)؛ والهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٦٤، ٢٢٦، ٢٧٠، ٢٨٣، ٣٦٤.

(٣) يام القديمة: تقع في جبال يام منطقة شمال نهم، ومنها مساقط وادي المنبج. ينظر الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٥٤، ٢٦١.

(٤) العلوي: السيرة (ينظر الفهرس: يام)؛ والهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٦٤، ٢٨٣، ٣٠٥؛ والإكليل، ج ١٠، ص ٦٨.

(٥) راحة: إحدى قرى وادي نجران، ولم يتم التعرف على مكانها اليوم. العلوي: السيرة، ل ٥١ / أ.
(٦) العلوي: السيرة (ينظر الفهرس: الأحلاف)؛ والهمداني: الإكليل، ج ١٠، ص ٧٠؛ وصفة جزيرة العرب، ص ٢٨٣.

(٧) بنو مالك: بطن من صحار (صحار) بن خولان بن عمرو بن الحاف، موطنهم قبالة بلاد منبه من جهة الشمال. ينظر الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، مج ٢، ج ٤، ص ٦٨٧.

في قرية الحُضن^(١) من أرض نجران، وأثنى الإمام الهادي على نصرتهم إياه^(٢). وكان أبو العشيرة أحمد بن محمد المذحجي المرادي، ابن الروية، يرأس جزءاً من قبيلة مذحج، وكانت مساكنه في وادي السر^(٣)، وفي مدينة ثات^(٤)، وكان نفوذه يشمل مدينة سبأ (مارب)^(٥)، وله دارٌ للضيافة اعتادت عليها أسرته منذ الجاهلية^(٦)، وقد قاد مع الدُّعَام تلك الانتفاضة ضد اليُعْفَرِيِّين، ثم كان أحد المناصرين للإمام الهادي في المواجهة ضد بني طريف، إلى أن قتل في ٩ ذي الحجة ٢٩٣هـ/ ٥ أكتوبر ٩٠٦م في معركة بثات مع القرامطة^(٧).

وفي المذيخرة كان الملوك المناخيون الحميريون من بني شفعة يتخذونها مقراً للملكهم، وكان آخرهم الأمير جعفر بن إبراهيم الجعفري المناخي الذي ملك المذيخرة قرابة خمسين عاماً، وكان يرى أنه لا يفضل عليه وعلى قومه حمير أحدٌ إلا أهل البيت، الذين تغنى بفضائلهم، وأشاد بأجادهم^(٨)، وكان يشكّل كيانا قبلياً

(١) الحُضن: سيأتي التعريف به في النص المحقق، ص ٤٣٦.

(٢) العلوي: السيرة (ينظر الفهرس: ثقيف)؛ والهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٨٣؛ وكحالة: معجم قبائل العرب، ج ١، ص ١٤٨.

(٣) وادي السر: وإِ خصيب في مديرية بني حشيش، في الشرق الشمالي من مدينة صنعاء بمسافة ٢٣ كم تقريباً، وكان يطلق عليه (سر ابن الروية). الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٥٦، ٢١٦؛ والمقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ٢، ص ٩٦٠.

(٤) ثات: سيأتي التعريف بها في النص المحقق، ص ٥٣٦.

(٥) مارب: تقع إلى الشرق من صنعاء بمسافة ١٧٢ كم. المقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ٣، ص ١٧٤٣.

(٦) ابن رسته، أحمد بن عمر (ت نحو ٣٠٠هـ): الأعلام النفيسة، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٩٢م، ص ١١٣.

(٧) العلوي: السيرة، ل ٤/ب، ٧٤/أ-ب، ١٣٨/أ (الملحق)؛ والطبري: تاريخ صنعاء، ص ٧٧، ٧٩، ٨٢، ٨٨؛ والأكوع: الوثائق السياسية اليمنية، ص ٢٢٦.

(٨) الحمادي، محمد بن مالك بن أبي الفضائل (ت نحو ٤٧٠هـ): كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، تح: محمد عثمان الخشت، مكتبة الساعى، الرياض، ص ٥٣-٥٤.

منفصلاً عن حكم الدولة العباسية، وظل مناوئاً لها، كما كان على خلاف مع اليعفرين، ودخل وإياهم في حروب، ولما جاء الإمام الهادي نصره، وثقل عنه في بعض المرات، ثم قُتل على يد القرامطة عام ٢٩٢هـ / ٩٠٥م^(١).

وهناك الملوك من آل الكرندي، من نسل ثمامة بن الأسود الكلاعي الحميري، وكانوا يقتسمون النفوذ في مخلاف المعافر^(٢)، مع آل ذي المغلس الهمداني ثم المراني^(٣)، وأصل هؤلاء من همدان من ولد عمير ذي مران قيل همدان الذي كتب إليه الرسول ﷺ^(٤).

وفي أبين كانت هناك إمارة لمحمد بن أبي العلاء الحميري^(٥)، وقد قضى عليه القرامطة كما سيأتي.

وفي تهامة كانت هناك عدد من القوى القبلية تتحكّم في المشهد بها، وعلى رأس هؤلاء الحكّميون من بني عبد الجد، من حَكَم بن سعد العشيرة، من مذحج، كانوا في منطقة ما أطلق عليه لاحقاً (المخلاف السلیماني)^(٦)، وكان يرأسهم إبراهيم بن علي الحكمي، والخطريف الحكمي^(٧). وكان الشراحيون الحميريون في

(١) العلوي: السيرة، ل ٨٠ / ب، ٨٦ / أ-ب؛ والهمداني: الإكليل، ج ٢، ص ٨٨-٨٩؛ وصفة جزيرة العرب، ص ١٤٠، ١٩٩.

(٢) المعافر: سيأتي التعريف بها في النص المحقق، ص ٧٨٦.

(٣) الهمداني: صفّة جزيرة العرب، ص ٩٩، ٢٩٤-٢٩٥.

(٤) المقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ٣، ص ١٩٥٤.

(٥) الحمادي: كشف أسرار الباطنية، ص ٥٣، ٥٥؛ والهمداني: الإكليل، ج ٢، ص ٩٣؛ وصفة جزيرة العرب، ص ١٧٧.

(٦) في ضمد، وجازان، والساعد، والسقيفتين، والشرجة، وصبيا، وحرص، وعبس، وغيرها، وكانت بلاد حكم مسيرة خمسة أيام، تجري فيها أودية بلد همدان وخولان. الهمداني: صفّة جزيرة العرب، ص ٢٣٢.

(٧) العلوي: السيرة، ل ١٠٢ / أ-ب.

وصاب^(١) وزيد^(٢)، ولعلهم كانوا على صلات عميقة مع إمارة مكة، ولم يكونوا ضمن السيادة اليُغفرية، وقد اجتأهم القرامطة عن سلطانهم^(٣). وهناك في وادي مور^(٤) آل روق من بني شهاب^(٥)، وبالمهجم^(٦) آل النجم من قبائل عك^(٧)، وبالكدراء^(٨) آل علي العكيون أيضا، وكانوا قد واجهوا القرامطة ثم والوهم، فتّمت إزاحتهم من قبل ولاة العباسيين لاحقا^(٩)، وكان في موزع^(١٠) آل أبي الغارات المجيديون، وكانوا "أشد الناس عصبية" في الحميرية، ومنهم عبدالله بن يحيى بن أبي الغارات سيد بني مجيد، وأمير تهامة^(١١).

ث- أهل الذمة

وُجد في اليمن في المدة موضوع الدراسة إلى الحق يهود ونصارى، وكانوا

- (١) وصاب: كانت تسمى (جبلان)، وهي "بلد واسع"، يشكل اليوم مديرتي وصاب العالي والسافل، في الغرب الجنوبي من محافظة ذمار. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٠٤-٢٠٥؛ والمقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ١، ص ٢٩٤.
- (٢) زيد: سيأتي التعريف بها في النص المحقق، ص ٦٤٢.
- (٣) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٣٢؛ والشجاع: تاريخ اليمن في الإسلام، ص ١٧٦-١٧٧.
- (٤) وادي مور: سيأتي التعريف به في النص المحقق، ص ٧٩٠.
- (٥) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٣٢.
- (٦) المهجم: سيأتي التعريف بها في النص المحقق، ص ٧٧٥.
- (٧) عك: قبيلة كبيرة من ولد عك بن عدنان، من الأزد، وكانت تنتشر في تهامة وأحوازها. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٢٢، ١٢٤، ١٣٩، ٢٠٩، ٢٢٢، ٢٣٢، ٢٤٠، ٢٤٥، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٨٨، ٣٠٧؛ والمقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ٢، ص ١٢٩٢.
- (٨) الكدراء: سيأتي التعريف بها في النص المحقق، ص ٧١٨.
- (٩) العلوي: السيرة، ل ١٣٩/ ب، ١٤٠/ أ (الملحق)؛ والهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٣٢؛ والطبري: تاريخ صنعاء، ص ٨٣.
- (١٠) موزع: صقع متسع جنوب شرق ميناء المخا، يشكل في أعماله مديرية من محافظة تعز. المقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ٣، ص ٢٠٣٩.
- (١١) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٣٢؛ والإكليل، ج ١، ص ١٦٤-١٦٥.

طبقات، فمنهم المياسير الأغنياء، والتجار، ومنهم الأوساط، والفقراء، وقد نصّت السيرة^(١) على وجودهم في نجران، في مدينة الهجر^(٢)، وقرية میناس^(٣). ويبدو أنهم كانوا كثيرون العدد، ولا نعلم إحصائية عنهم في عصر الهادي، لكن ابن المجاور^(٤) في القرن ٧هـ / ١٣م قدّم إحصائية تقريبية، حيث ذكر أن سكان مدينة الهجر كانوا أثلثا، ثلث يهود، وثلث نصاري، وثلث مسلمون. ولعلهم كانوا قد استحوذوا على كثير من أراضي المسلمين بالشراء، ولهذا حاول الهادي استعادة تلك الأراضي وشراءها لبيت مال المسلمين، حتى لا تحرم الخزينة العامة من عشرينها، لولا أنه اتفق معهم أخيرا على صلح قضى بأن يدفعوا التسع من غلاتها إلى بيت مال المسلمين^(٥). ومع ذلك فقد كان الهادي يتفقدهم، ويرعاهم؛ الأمر الذي جعل أعدادا منهم تدخل في الإسلام، فكان "لا يزال يسلم الواحد والاثنان، والامرأة والامراتان؛ لما يرون من رفقه وعدله"^(٦).

ج- بعض الملامح الاجتماعية العامة

توزّع المجتمع اليمني على عدد من الفئات الاجتماعية، ويمكن الاستئناس بتقسيم لاحق وقع في القرن ٤هـ / ١٠م واعتمده بعض الأئمة^(٧)، حيث صنّفهم

(١) العلوي، ل ٢١/ ب، ٢٢/ أ، ٦١/ ب.

(٢) الهجر: سيأتي التعريف بها في النص المحقق، ص ٣٣١.

(٣) میناس: سيأتي التعريف بها في النص المحقق، ص ٤٣٧.

(٤) ابن المجاور، يوسف بن يعقوب الشيباني الدمشقي (ت ٦٩٠هـ): تاريخ المستبصر، المسمى صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، تح: ممدوح حسن محمد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ٢٣٨.

(٥) العلوي: السيرة، ٢٢/ أ- ب.

(٦) العلوي: السيرة، ل ١٣٦/ أ- ب (الملحق).

(٧) هو الإمام القاسم بن علي العياني، توفي ٣٩٣هـ / ١٠٠٢م.

إلى عدد من الفئات، وهم الفقهاء، والسلاطين، والجنود، والعشائر، والتجار، والصناع، وحشو القرى وأراذل الناس^(١).

ومع ذلك فقد كانت العصبية القبلية والتشرذم الاجتماعي هي أشد الأمراض الاجتماعية فتكا بالقبائل اليمنية، فكل قبيلة كانت تكونُ كيانا مستقلا بذاته، تتخندق حول هويتها القبلية الضيقة ضد القبائل الأخرى، كما اشتعلت العصبية العرقية، وأبرز مثال على ذلك حروب الأبناء والشهابيين في صنعاء، أما آل الضحاك المعيديون فقد كانوا لا يرون لهم كفؤا من حاشد في الزواج^(٢).

وكانت بعض القوى السياسية والقبلية تشجّع على الانحراف والرديلة والفساد، فقد كان في عسكر الدُّعَام - قبل انضمامه إلى الهادي - مئات النساء اللاتي يعملن في الدعارة المنظمة، وكان له جند فساق، "يشربون الخمر، ويركبون الذكور، ويفجرون بالنساء علانية"^(٣)، كما كان الجفاتم في صنعاء ربما حمل أحدهم الغلام أو المرأة من السوق أو من بعض الطريق للفسق، وكانوا يتخذون الغلمان والطناير في الأسواق، ويأخذون أموال الناس عنوة^(٤).

وربما حاولت صنعاء التشبه ببغداد في بعض الطرائق الاجتماعية، ومنها الاهتمام بالغناء وآلات الطرب، وقد رأى ابن رسته^(٥) سوقا خاصا بالمزمار، لا يباع فيه سواها، "قد شدوها حَزَمًا، ونضدوها في حوانيتهم".

(١) ابن يعقوب، الحسين بن أحمد بن يعقوب (ق ٤هـ): سيرة الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العياني، تح: عبدالله الحشبي، دار الحكمة اليمنية، صنعاء، ط ١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ص ٢٧٤.

(٢) الهمداني: الإكليل، ج ١٠، ص ٦٨.

(٣) العلوي: السيرة، ل ٢٩ / ب.

(٤) العلوي: السيرة، ل ٧١ / أ.

(٥) الأعلام النفيسة، ص ١١٢.

وكانت أراضي الجزيرة العربية بما فيها اليمن والحجاز عُشرية، لا خراج عليها غير الزكاة^(١)، وعلى الرغم من ذلك فقد فرض العباسيون على اليمن الخراج، حيث وُجِدَ في ديوان الخراج من جباية اليمن ست مئة ألف دينار^(٢)، وهذا يشير إلى اتباع ولاية العباسيين سياسة فرض مقدار معين من المال على الأرض سنويا. بل إن اليُعُفريين أيضا فرضوا مبالغ مالية محددة على الأراضي التي كانوا يحكمونها، فيذكر ابن رسته^(٣) أن قرى اليمنيين كانت عشرية قبل ولاية اليُعُفريين، "ثم وظّف عليهم ابن يُعُفر بدل ذلك مئتي ألف دينار". هذا بالإضافة إلى الضرائب والضيافات والقبالات التي كانت السلطات والزعامات السياسية والقبلية تفرضها على الرعية بما كان يثقل ظهورهم^(٤).

أما تعامل الحكام والزعامات وتسلطهم على رعيّتهم فقد وصفه الإمام الناصر أحمد بن الهادي في رسالته إلى أهل طبرستان، فقال عن أبيه: "ولقد قدم اليمن - رضوان الله عليه - وإن أهلها لا يعرفون الحق، ولا يُمَيِّزون الكذب من الصدق، ... الذين كانوا بها من الجبارين الظالمين المخالفين؛ إذ كانوا يصدّونهم عن ذلك، ويردّونهم عن القول به، بل كانوا يتخذونهم خولا، وأمواهم دولا، يملكون رقابهم، ويدمغون بالباطل رؤوسهم، ويجعلونهم عبيدا، يحكمون فيهم بأهوائهم، ويمثلون فعل مَنْ مَضَى من جَوَرَةِ آبائهم"^(٥).

(١) الهادي، يحيى بن الحسين (ت ٢٩٨هـ): الأحكام في الحلال والحرام، تح: المرتضى المحطوري، مكتبة بدر، صنعاء، ط ٢، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م، ج ١، ص ١٥٨.

(٢) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص ١٤٤.

(٣) الأعلام النفيسة، ص ١١٢.

(٤) العلوي: السيرة، ٧٣/ ب.

(٥) الشامي، جمال: اليمن والأئمة الهادي والمرتضى والناصر من خلال رسالة الإمام الناصر أحمد إلى أهل طبرستان، المجلس الزيدي الإسلامي، صنعاء، ط ١، ١٤٣٩هـ / ٢٠١٧م، ص ٤١-٤٢.

ذلك باختصار هو الوضع السياسي والاجتماعي لليمن، ومنه يتبين أن اليمن - قبل مجيء الهادي - كانت سياسيا واجتماعيا شذر مذر، لا يجتمعون على حاكم واحد، ولا تضم شتاتهم سلطة واحدة، بل كان لكل قبيلة رئيسٌ يصرف شأنها، ويتحكم في سلمها وحربها، وقد يخضع اسميا لسلطان العباسيين، لكنه في واقع الأمر كان مستقلا عمليا.

ثانياً: أوضاع اليمن الفكرية والمذهبية

كانت اليمن ملجأ الحركات المعارضة للسلطة العباسية بسبب بعدها الجغرافي، بالإضافة إلى وعورة تضاريسها، التي شكلت حماية طبيعية لزعماء تلك الحركات، وقد عرفت معظم الحركات السياسية والفكرية والمذهبية طريقها إلى اليمن، وبدورها فقد ساهمت هي في تجزئة اليمن وعدم استقراره، ثم كان بعضها بيئة ومنطلقاً لتحركات سياسية واجتماعية شكلت المشهد المتناقض لليمن في ذلك الوقت، وقد ناصر اليمنيون جميع تلك الحركات والمذاهب، السنية منها، والشيعية، وحتى الخوارج. وسيتم استعراض أبرز هذه الحركات على النحو التالي:

١- الشيعة

شيعة الرجل: أتباعه وأهله ملته، وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى الإمام علي بن أبي طالب وأهل بيته، حتى صار اسماً لهم خاصاً^(١). ويعتقد الشيعة أن "علياً عليه السلام" كان أولى الناس بمقام رسول الله ﷺ بعده، وأحقهم بالإمامة والقيام بالأمر في أمته، وأجمعوا على ذلك"^(٢).

وقد ارتبط اليمنيون بأهل البيت منذ أول الإسلام، وتحديدًا منذ أن أسلمت همدان - وهي من أكبر القبائل اليمنية - على يد الإمام علي عليه السلام^(٣)، ثم وصوله إلى صنعاء قاضياً وفتياً وبقائه فيها ٤٠ يوماً^(٤)، ثم وقوف هذه القبيلة وقبائل يمنية

(١) الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ٧٣٥.

(٢) الحميري: الحور العين، ص ٢٠٦.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ): الجامع الصحيح، تح: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ج ٤، ص ١٥٨٠.

(٤) الجندي: السلوك، ج ١، ص ٧٩-٨٠.

أخرى معه في حروبه أيام خلافته، وقد توج الإمام علي قبيلة همدان بقصيدة عصماء أثنى عليهم فيها ثناء بالغاً، وقال عنهم:

فلو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام^(١)

لهذا كان من الطبيعي أن تكون اليمن المكان المفضل للمذاهب والحركات الشيعية؛ وبالفعل فقد وصلت إلى اليمن هذه الحركات والمذاهب، ومنها الاثنا عشرية، والزيدية، والإسماعيلية، وإذا كان للفرقتين الآخرين دور بارز في أحداث اليمن يحتم الحديث عنه بشكل أوسع، فإنه أيضاً قد كان هناك وجود واضح للتشيع الاثني عشري، وإن كان بشكل فردي^(٢)، أو في بعض القرى والأرياف^(٣)، ولم يتبلور في شكل حركة سياسية لها دور ملموس.

أ- الزيدية والتشيع العام

تنسب الزيدية إلى الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الذي ثار على بني أمية، واستشهد سنة ١٢٢هـ، ثم صار يطلق على أئمة أهل البيت النبوي ومن تابعهم في القول بالعدل والتوحيد، وصدق الوعد والوعد، وإمامة الإمام علي بن أبي طالب، بعد رسول الله - ﷺ - ثم ولديه الحسن والحسين ومن قام ودعا من أولادهما، وسار بسيرتهما، واحتذى حذوهما، ووجوب الخروج -

(١) المنقري، نصر بن مزاحم (ت ٢١٢هـ): وقعة صفين، تح: عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ص ٤٣٧.

(٢) الطبري، أحمد بن موسى، أبو الحسين (ت حوالي ٣٤٠هـ): مجالس الطبري، تح: عبدالله العزي، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عمان، ط ١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ص ٣٨.

(٣) المغربي، النعمان بن محمد، ابن حيون (ت ٣٦٣هـ): كتاب افتتاح الدعوة، تح: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، وديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط ٢، ص ١٩، ٢٠، ٢١-٢٢. ومن جيشان خرج ابن فضل وكان اثني عشرياً كما سيأتي.

الثورة - على الظلمة^(١).

استمر تعلق اليمنيين بالعلويين طيلة الحكم الأموي، كما أدرك العباسيون أن قلوب أهل اليمن مع العلويين^(٢)؛ ولهذا فقد اهتموا بتولية وإلٍ شديد المراس على اليمن أثناء ثورة الإمامين الزيديين النفس الزكية محمد بن عبدالله بن الحسن (ت ١٤٥هـ/٧٦٣م)، وأخيه إبراهيم (ت ١٤٦هـ/٧٦٤م)، وكان ذلك الوالي هو معن بن زائدة الشيباني، وكان شديد الوطأة على أهل اليمن^(٣).

في عهد موسى الهادي (١٦٩هـ/٨٧٥م) اضطربت اليمن طوال عهده؛ نتيجة لثورة العلويين عليه في الحجاز^(٤)، كما بدا سوء العلاقة واضحا بين اليمنيين والعباسيين في عهد الرشيد (١٧٠هـ-١٩٣هـ/٧٨٦م-٨٠٨م) بكثرة الولاة الذين ابتعثوا إلى اليمن، وبلغهم ١٣ واليا، وقد اعتقل الإمام الشافعي محمد بن إدريس (ت ٢٠٤هـ/٨١٩م) من اليمن، لما نُمي إلى الرشيد أنه كان يدعو للإمام الزيدي يحيى بن عبدالله بن الحسن (ت ١٧٦هـ/٧٩٢م)^(٥). وقد قدر العلويون أهمية دعوة الإمام الشافعي إلى إمامة

(١) المؤيدي: لوامع الأنوار، ج ١، ص ٥٠١-٥٠٢.

(٢) محمد: تاريخ صنعاء منذ فجر الإسلام، ص ٥٠.

(٣) الجندي: السلوك، ج ١، ص ١٨٣-١٨٤؛ وابن عبدالمجيد، تاج الدين عبد الباقي بن عبدالمجيد البياني (ت ٧٤٣هـ): بهجة الزمن في تاريخ اليمن، دار الكلمة، صنعاء، ط ٢، ١٩٨٥م، ص ٢٤.

(٤) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر، ابن واضح (ت بعد ٢٩٢هـ): تاريخ اليعقوبي، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٨٣م، ج ٢، ص ٤٨٩.

(٥) الصفدي، خليل بن أبيك، صلاح الدين (ت ٧٦٤هـ): الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ج ٢، ص ١٢٣؛ والجندي: السلوك، ج ١، ص ١٥١، ١٥٢. ويحيى بن عبد الله العلوي: دعا إلى نفسه، وبإيعه كثير من أهل الحجاز واليمن ومصر، وقدم إلى اليمن فأقام بها، ثم خرج إلى بلاد الديلم، فطلبه الرشيد من ملكها، وأعطاه الأمان، فأعاد اعتقاله، ثم تخلص منه نهائيا في نحو ١٨٠هـ/٧٦٩م. الرازي: أخبار فخر، ص ٦٨-١١٩؛ والأصفهاني: مقاتل الطالبين، ص ٣٨٨-٤٠٦.

يحيى بن عبدالله بالاحتجاج بها على المخالفين لهم^(١).

في عهد المأمون (ت ٢١٨هـ / ٨٣٣م) وصل إلى اليمن في ٢٧ صفر سنة ٢٠٠هـ / ٩ أكتوبر ٨١٥م إبراهيم بن موسى بن جعفر، الملقب بالجزار، واليا من قبل الإمام محمد بن إبراهيم، ابن طباطبا الثائر بالكوفة سنة ١٩٩هـ / ٨١٤م، وقد استولى عليها^(٢)، واستجابت له كثير من القبائل اليمنية، حتى إذا وقع في فخ النزاعات القبلية البينية، تألبوا عليه، وثاروا مع العباسيين في وجهه، رغم أن بعضهم كان في أقل الأحوال من أنصار العلويين وشيعتهم^(٣). وكانت تجربة إبراهيم أول تجربة سياسية علوية حظيت بالقبول في صفوف اليمنيين، واستولى فيها على اليمن بسهولة^(٤) لولا بعض الأخطاء التي وقع فيها.

استقضى إبراهيم بن موسى العالم المحدث عبد الملك بن عبدالرحمن الأبناعي الذماري، صاحب المسند، والذي أخذ عنه أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م)، ولكنه بمجرد استعادة العباسيين لحكم صنعاء أعدموا هذا القاضي في رمضان ٢٠٠هـ / أبريل ٨١٦م بجريرة موالاة العلويين^(٥).

وفي تهامة اليمن ظهر عبدالرحمن بن أحمد، من ذرية عمر بن علي بن أبي طالب

(١) المرتضى، محمد بن يحيى بن الحسين، أبو القاسم (ت ٣١٠هـ): الرسالة السابعة، مخطوط، لدي نسخة إلكترونية، ق ٥٢/أ.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ١٢٧؛ والطبري: تاريخ صنعاء، ص ٤٧، ٥٦؛ والمحلي، حميد بن أحمد الوادعي (ت ٦٥٢هـ): الحقائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية، تح: المرتضى بن زيد المحطوري، مكتبة بدر، صنعاء، ط ١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، ج ١، ص ٣٧٢.

(٣) الهمداني: الإكليل، ج ١، ص ٢٧٤، ج ٢، ص ١١٦-١٢١.

(٤) العمارة، صالح: تاريخ اليمن السياسي في العصر العباسي الأول، كتاب صنعاء التاريخ والحضارة، صنعاء، ٢٠٠٥م، مج ٢، ص ١١٨-١١٩.

(٥) الطبري: تاريخ صنعاء، ص ٥٧-٥٨؛ والجندي: السلوك، ج ١، ص ١٣٨؛ وابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ٣، ص ٥٨.

سنة ٢٠٧هـ / ٨٢٢م ثائرا ضد العباسيين لما أساء عمالهم السيرة في أهلها، وبايعه الناس للرضا من آل محمد^(١).

ولما دعا جدُّ الإمام الهادي القاسمُ بن إبراهيم^(٢) (ت ٢٤٦هـ / ٨٦٠م) إلى نفسه أيام المأمون، "وانتشر خبره قبل التمكن من ذلك"، وجَّه العباسيون جيوشهم إلى اليمن لملاحقته فيها، لكنه اختفى عند حيٍّ من البدو^(٣)، كما أن القاسم بن إبراهيم نفسه كان في أيام الرشيد قد توجه إلى اليمن، وبث دعائه منها إلى الأقطار^(٤).

ورد في الأعلام النفيسة^(٥) لابن رسته (ت بعد ٣٠٠هـ / ٩١٣م) نصُّ هام، قال فيه عن صنعاء: "والغالب على عامة أهلها وعلى سائر اليمن التشيع، وأكثرُ أيماهم أن يقولوا: وحقُّ أمير المؤمنين"، وابن رسته فيما يبدو من خلال معلوماته التي أوردها عن اليمن كان قد وصل إليها في فترة حكم اليُعفرين، أي قبل مجيء الإمام الهادي^(٦)، وألف كتابه الأعلام النفيسة كما رجَّح بعض المؤرخين^(٧) المُحدثين "بعد قليل من عام ٢٩٠هـ / ٩٣٠م". هذا النص يشير إلى انتشار التشيع في المجتمع اليمني آنذاك، على الرغم من أن النخبة الحاكمة من الولاة العباسيين واليُعفرين كانوا على مذهب أهل السنة، وهو أمرٌ يؤكِّد ما سبق أن التشيع الزيدي كان موجودا في اليمن من قبل مجيء الإمام الهادي يحيى بن الحسين، على خلاف

(١) العمارنة: تاريخ اليمن السياسي في العصر العباسي الأول، مج ٢، ص ١٢١.

(٢) القاسم بن إبراهيم: ستأتي ترجمته بشكل أوسع في الفصل الثاني، ص ٨٣.

(٣) الهاروني: الإفادة، ص ٩١.

(٤) الهاروني: تيسير المطالب، ص ١٨٩؛ وعلي بن بلال: تنمة المصاييح، ص ٥٥٦، ٥٦٤.

(٥) ص ١١٣.

(٦) كراتشكوفسكي، إغناطيوس يوليانونفتش: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، ج ١، ص ١٦٤؛ والزركلي: الأعلام، ج ١، ص ١٨٥.

(٧) كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج ١، ص ١٦٤.

ما يفهم من ظاهر كلام العلامة نشوان الحميري^(١)، وهو أن الهادي يحيى بن الحسين هو أول من دعا إلى مذهب الزيدية ونشره في اليمن.

في رسالة الإمام الناصر أحمد بن الهادي إلى أهل طبرستان، والتي تُعْتَبَرُ وثيقة تاريخية معاصرة، أوضح فيها أن اليمنيين قبل مجيء والده كانوا يتعرضون لضغطٍ ممن وصفهم بـ "الجبارين الظلمة المخالفين"، وأنهم كانوا يَصُدُّونهم عن القول بالحق، وذكر أن حجم المؤيدين لفكرة الإمامة الزيدية كان قليلاً، حيث قال: "وقد كان فيهم مع ذلك من المُحِقِّين أنفأً يسير، يطلبون الحق، ويسألون عن الصدق، ويبحثون عن الإمام، ويقولون بالعدل على ذي الجلال والإكرام، ويقولون ما هم يخفون، ويكتمون الصحيح من مقالهم خوفاً من الظلمة، ورعباً من الفسقة"^(٢)، ثم ذكر أن هؤلاء المحققين نَزَعُوا إلى الهادي ونصروه، "وعزُّوا به، وقووا بظهوره، فأثار لهم حقهم، وظهرت كلمتهم، وأعلن التوحيد والعدل، وزال الظلم والجهل، فنطقوا بعدل الله وتوحيده صراحاً، وباينوا أعداء الله كفاحاً"^(٣).

ظهر التشيع في اليمن عند البعض من أهل السنة، ولا سيما في تيار المحدثين منهم، ومن أولئك طاووس بن كيسان اليماني (ت ١٠٦هـ / ٧٢٤م)^(٤)، وابنه عبدالله بن طاووس (ت ١٣٣هـ / ٧٥٠م)^(٥)، وإبراهيم بن عمر بن كيسان الصنعاني (ت ٢هـ /

(١) الحميري، نشوان بن سعيد (ت ٥٧٣هـ): الحور العين، تح: كمال مصطفى، دار آزال، بيروت، المكتبة اليمنية، صنعاء، ط ٢، ١٩٨٥م، ص ٢٥٠.

(٢) الشامي: اليمن والأئمة، ص ٤١ - ٤٢.

(٣) الشامي: اليمن والأئمة، ص ٤٣.

(٤) الرازي، أحمد بن عبد الله (ت حوالي ٤٦٠هـ): تاريخ مدينة صنعاء، تح: حسين بن عبدالله العمري، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، ط ٣، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٨٤؛ وابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٥١٠.

(٥) الحديثي، نزار عبداللطيف: أهل العلم في صنعاء ودورهم في الحركة العلمية في اليمن في القرون

٨٠م^(١). وأبرز مثال على ظاهرة المحدثين الشيعة من اليمنيين هو الإمام المحدث عبدالرزاق بن همام الصنعاني الحميري بالولاء (ت ٢١١هـ/ ٨٢٦م) الذي تجمع المصادر التاريخية على تشيعه^(٢)، على الرغم من أن الإمام الهادي يحيى بن الحسين كان يعتبره "من ثقات رجال العامة"^(٣)، أي ليس من الزيدية، بل كان من المحدثين الذين لم ينضوا تحت مذهب معين. وكان هذا التشيع العام شائعاً، حتى لقد أُثِرَ عن بعض المحدثين الأندلسيين الذين وفدوا إلى اليمن في آخر القرن ٣هـ/ ٩م وأخذوا عن شيوخ الحديث فيها، كابن حيون محمد بن إبراهيم الحجاري (ت ٣٠٥هـ/ ٩١٧م)^(٤).

انتشر التشيع بين الأدباء اليمنيين، وكان أحمد بن يزيد بن عبدالرحمن القشيري، يذهب "مذهب الكميت والحميري في التشيع" كما ذكر الهمداني^(٥)، ولكنه مع ذلك وقف موقفاً صلباً في وجه إبراهيم بن موسى الملقب بالجزار، بل ألّب عليه

الأولى، كتاب صنعاء التاريخ والحضارة، صنعاء، ٢٠٠٥م، مج ٢، ص ٧٢.
(١) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ): تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ١٣٢٦هـ، ج ١، ص ١٢٦.
(٢) ابن حبان، محمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ): مشاهير علماء الأمصار، تح: فلايشهر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٥٩م، ص ٢٥٢؛ وابن عدي، عبد الله بن عدي، أبو أحمد الجرجاني (ت ٣٦٥هـ): الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق يحيى غزاوي، دار الفكر، بيروت، ط ٣، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، ج ٥، ص ٣١١-٣١٥؛ والعقيلي، محمد بن عمرو المكي (ت ٣٢٢هـ): الضعفاء الكبير، ترقيم آلي، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني، ج ٥، ص ٣٥١؛ والصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١٨، ص ٢٤٤-٢٤٥.

(٣) الهادي، يحيى بن الحسين (ت ٢٩٨هـ): المنتخب، دار الحكمة الليانية، صنعاء، ط ١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص ٣٦.

(٤) ابن الفرضي، عبدالله بن محمد الأزدي (ت ٤٠٢هـ): تاريخ علماء الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ج ٢، ص ٢٨-٢٩.

(٥) الإكليل، ج ١، ص ٢٧٤، ج ٢، ص ١١٦-١٢١.

أهل اليمن، لما مال إلى خصومه القبليين بني سعد بن سعد بن خولان، وقتل بعض الزعماء من قبيلته، وقد كانت العصبية القبلية أقوى رسوخا من التشيع المذهبي في قلبه^(١).

ومنهم الأديب والجغرافي أحمد بن عيسى الرداعي (ت ٢٧٠هـ / تقريباً ٨٨٣م)^(٢)، صاحب الأرجوزة الطويلة في الحج ومراحل طريقه، وهو الذي لما وصل في مقطعها الـ ٩٦ متحدثاً عن بيوت قریش بدأ الحديث عن بيت الإمام علي، مشيداً بفضائله ومناقبه، ثم ثنى بذكر بقية الأسر القرشية^(٣).

ومن المرجح أن القبائل التي أوفدت وفودها إلى المدينة لاستدعاء الإمام الهادي - كما سيأتي -، ثم نصرت مشروع دولته، كانت تؤمن بفكرة الإمامة الزيدية ووجوب نصرتها.

وبهذا يتبين أن هناك وجوداً شيعياً زيدياً في اليمن قبل مجيء الإمام الهادي، وهو الذي شكّل نواة حقيقية للأنصار الذين نصره وحملوا مشروعه إلى أنحاء مختلفة من اليمن.

ب- الإسماعيلية والقرامطة:

تتسبب الإسماعيلية إلى الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق، الذي اختفى في عام ١٤٥هـ / ٧٦٢م قبل وفاة أبيه، "ثم توفي بعد وفاة أبيه بخمس سنوات"، ويعدُّ أول أئمة الستر لديهم^(٤)، كما أن عبيد الله المهدي (ت ٣٢٢هـ / ٩٣٣م) يعدُّ أول أئمة

(١) الهمداني: الإكليل، ج ١، ص ١٢٠، ج ٢، ص ١١٦.

(٢) الشامي: تاريخ اليمن الفكري، ج ١، ص ٧٨.

(٣) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٣٩٥.

(٤) دنجويه، ميكال يان: القرامطة، تر: حسني زينه، دار ابن خلدون، ط ١، ١٩٧٨م، ص ١٦٧ -

١٦٨، نقلاً عن دستور المنجمين من كتب الإسماعيلية.

الظهور^(١)، وهو الذي أسس الدولة الفاطمية في المغرب، والتي انتقلت لاحقاً إلى مصر.

نادى الإسماعيلية "بوجوب التأويل الباطن"، وعمدوا إلى إحاطة علوم الباطن بالستر والكتمان، وحظروا إظهارها إلا لمن يستحق ذلك فقط"، "وما جاء في القرآن هي معانٍ يعرفها العامة، ولكن لكل فريضة من فرائض الدين تأويل باطن لا يعلمه إلا الأئمة وكبار حججه ودعاتهم"^(٢).

والقرامطة فرعٌ من الإسماعيلية، يلفُّ الغموضُ سببَ تسميتهم بهذا الاسم، ولم يجتمع رأي العلماء على تحديد معناها، أو حتى على كيفية نطق كلمة (قرمط) بكسر القاف أو فتحها، غير أن الثابت أنها نسبة إلى أحد دعاة الإسماعيلية، وهو حمدان بن الأشعث الملقب بقرمط^(٣)، والقرمطة في اليمن "عبارة عن الزندقة"، وأول من سنَّ القرمطة فيها هو علي بن الفضل^(٤).

نقل ديقويه^(٥) شيئاً من التأويلات التي نسبها إلى الإسماعيلية، ولعلها في الحقيقة كانت هي الباعث على تحركات القرامطة والمفسّر لبعض تصرفاتهم، وذكر منها أن تعاليم القرآن كلها ليست إلا صوراً للحض على طاعة الإمام طاعة تامة، وأن عقيدة حشر الأجسام مَضْحَكَة، والحياة الأبدية ليست سوى عودة الروح إلى مبدئها، والمؤمنون الحقيقيون هم أولئك الذين يؤولون الوحي الإلهي على هذا النحو، أما الذين يأخذون القرآن والسنة على ظاهرهما الحرفي فلا

(١) غالب، مصطفى: تاريخ الدعوة الإسماعيلية، دار الأندلس، بيروت، ط ٢، ١٩٦٥م، ص ١٥٨.

(٢) غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية، ص ٤٢.

(٣) ديقويه: القرامطة، ص ١٦٣.

(٤) الحميري: الحور العين، ص ٢٥٤.

(٥) القرامطة، ص ٤٩، نقلاً عن كتاب تأويل الزكاة لجعفر بن منصور اليمن، من مواضع عديدة فيه.

يستحقون أن يُسمَّوا مُسْلِمِينَ، بل هم حير كافرون.

وذكر البغدادي^(١) أنهم يقولون بأن "مَنْ صار إلى تأويل الباطن فهو من الملائكة البررة، ومن عمل بالظاهر فهو من الشياطين الكفرة"، وأنهم زعموا أن "معنى الصلاة موالاة إمامهم، والحج زيارته وإدمان خدمته، والمراد بالصوم الإمساك عن إفشاء سر الإمام دون الإمساك عن الطعام، والزنا عندهم إفشاء سرهم بغير عهد وميثاق"، وزعموا أن من عرف معنى العبادة سقط عنه فرضها، وتأولوا في ذلك قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾^(٢) بمعنى أن من عرف اليقين الذي هو التأويل سقط عنه فرض العبادة.

واللافت أن ما يشبه هذا المعنى ذكره الإمام الهادي يحيى بن الحسين في الأحكام^(٣) في نصٍّ يكشف عن طبيعة وعيه المبكر عن الإسماعيلية في عصره، ويترجح أنه كان يقصد القرامطة منهم بالتحديد، يقول عنهم: إنهم "يقولون: اعرف إمامك، واعمل ما شئتَ غير معاقب ولا مأثوم، وذلك من قولهم عند جميع الأمة فمعلوم، مع ما يأتون به ويقولونه من الكفر والافتراء على الله، والجدان للرحمن، وجعلهم لخالقهم بزعمه جسماً ينتقل في صور الآدميين، ويؤاكلهم ويشاربهم، ويؤاخيهم، ويداخلهم، ويخارجهم، ويبايعهم، ويشاربهم، ويجعلونه مرة موسى، وثانية عيسى، وثالثة عليا، ينتقل في صورة الآدميين".

وفي نصٍّ آخر تحدّث فيه عن إمام الإسماعيلية في دور الستر، وأنه كان يشكل خطورة على الإمام القائم من أهل البيت، بتثيظه عن الجهاد معه، وتلبيسه على

(١) البغدادي، عبد القاهر بن طاهر (ت ٤٢٩ هـ): الفرق بين الفرق، تح: محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ص ٢٥٧.

(٢) الحجر: ٩٩.

(٣) ج ١، ص ٣٦-٣٧. وقد ألفه قبل إظهار علي بن الفضل قمرمطيته ومجوسيته كما سيأتي في مؤلفاته.

الشيعة، وأشار فيه إلى العقائد المنحرفة والممارسات الشائنة التي نُسبت لاحقاً إلى القرامطة قائلاً: "فأما مَنْ عبث بنفسه وتمنّى، وأقام في أهله وولده وتلهّى، وسائر الظالمين وداجاهم، وقضوا حوائجه وقضى حوائجهم، وعاشروه وعاشرهم، ... وغمد سيفه، وطوى رايته، وستر منهم نفسه، وموّه على الجهال، وأهل الغفلة من الضلال، وادّعى الإمامة، ووهمهم أنه يريد القيام، وهو عند الله من القاعدين النيام"، إلى أن قال: "فكيف لو ذكرنا بعض ما يُذكر عن بعض مَنْ يدّعي ذلك من الغلو والمهالك، مما ينقله عنهم أشياعهم، ويذكره من قولهم في أنفسهم أتباعهم، ممّا نرجو أن يكونوا عليهم فيه كاذبين، وبغير الحق فيهم قائلين، من ادّعاء صفات الجبار، والمشاركة في علم خفيات الأسرار، والاطلاع على ما أجنّت عليه بطون البحار، والقدرة على صرف ما يشاء صرفه، وإثبات ما يشاء إثباته، وغير ذلك من إباحة الفروج، وإظهار الفواحش والهروج [الفتن]، وتناول الشهوات، وارتكاب اللذات من معاصي الرحمن، وما تنهى عنه آيات القرآن، وترك الصلوات، وغلول الزكوات، ورفض صيام شهر رمضان، وتعطيل كلّ ما نطق به الفرقان، وترك الاغتسال من الجنابات، وارتكاب جميع الفاحشات، وغير ذلك مما يجلب ذكره، ويعظم أمره من الغلو والمنكر ..."^(١).

يبين نصّ الإمام الهادي الطويل أنه كان معروفاً عن بعض الإسماعيلية تلك الأقوال والممارسات التي تظاهر بها القرامطة في اليمن لاحقاً من خلال نقل الأتباع والأشيعاء، ولكنه استبعد وقوعها عن أئمتهم فعلاً، ورجا أن يكون ذلك النقل من أشياعهم وأتباعهم غير صحيح، ولعله كان يقصد في تلك الحال ما كان قد أشاعه وأعلّنه قرامطة البحرين وجنوب العراق والشام، لكنه على أية حال

(١) الهادي: الأحكام، ج ١، ص ٣٤-٣٦.

كان قبل ظهور ابن الفضل في شكله القرمطي السافر، كما يتضح من خلال تاريخ تأليفه كتاب الأحكام - كما سيأتي -.

ويعتقد بعض المؤرخين المحدثين^(١) أن القرامطة جزء من الإسماعيلية لكنهم كانوا أكثر حماساً لتطبيق المبادئ غير المكشوفة للناس، ورغم أن القاضي عبد الجبار الهمداني^(٢) (ت ٤١٥هـ / ١٠٢٥م) أكد أن القرامطة هي كشف الباطن والعمل به^(٣) الذي انطلق فيه علي بن الفضل في اليمن مخالفاً ابن حوشب^(٤)، وأنهم قد تفاضحوا بسبب ذلك، إلا أن بعض المصادر اليمنية^(٥) ظلت تصمهم جميعاً بالقرامطة.

يذكر أحد مؤرخي الإسماعيلية المحدثين^(٦) سبب الخلاف بين القرامطة والإسماعيلية، وهو أنه بعد أن وُضِعَ الأئمة المستورون أسس وتعاليم الإسماعيلية ودستور دولتها المرتقبة لم ينفذوا رؤيتهم تلك لأسباب حملتهم على التريث، فجاء أتباعهم من القرامطة ليضعوها موضع التنفيذ في ظل الرماح والحرايب، وتحت وطأة القتل الثقيل والتدمير والعبث، فلم تلبث أن انهارت دولتهم الارتجالية المبكرة، تاركة وراءها أسوأ الذكريات.

ومهما يكن من أمر فإن اليمن كانت حاضرة في الوعي الإسماعيلي في فترة

(١) الشجاع: تاريخ اليمن في الإسلام، ص ١٤٧، نقلاً عن مصطفى غالب: القرامطة بين المد والجزر، ص ٣٣٥ - ٣٤٠.

(٢) قاضي القضاة، وشيخ المعتزلة في عصره، له تصانيف كثيرة. الزركلي: الأعلام، ج ٣، ص ٢٧٣.

(٣) الهمداني، عبد الجبار بن أحمد الأسدآبادي (ت ٤١٥هـ أو ٤١٦هـ): كتاب تثبيت دلائل نبوة سيدنا محمد، ضمن كتاب أخبار القرامطة، جمع سهيل زكار، دار حسان، ط ٢، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ١٤٩.

(٤) ستأتي ترجمته قريباً، ص ٥٦ - ٥٩.

(٥) الطبري: مجالس الطبري، ص ١٢٩، ١٤٢.

(٦) تامر: تاريخ الإسماعيلية، ج ١، ص ١٥٩.

موضوع الدراسة، وقد كانوا يؤمّلون أن تكون مهد دولتهم المرتقبة، وقد كان داعيتهم الذي لقي ابن حوشب يردّد كثيرا في كلامه: "البيت يمانى، والركن يمانى، والدين يمانى، والكعبة يمانية، ولن يقوم هذا الدين ويظهر أمره إلا من قبل اليمن"^(١)، وقريب من هذا اللفظ ورد عند الحمادي^(٢) (ت نحو ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م) على لسان أحد دعايتهم، كما صرّحوا "أن الله قسم لليمانية أن لا يتم أمره في هذه الشريعة إلا بنصرهم"^(٣).

اعتمدت الدعوة الإسماعيلية على الإعداد الدقيق والسرية ودغدغة عواطف الشيعة ومن يميل إلى العلويين وحب آل البيت، الذي كان يشيع في أوساط كثير من المسلمين، ولهذا فقد قامت النواة الأولى للإسماعيلية في اليمن في أوساط الشيعة الاثني عشرية في المناطق التي كانوا موجودين فيها في اليمن^(٤).

تدور بداية الدعوة في اليمن على رجلين، أحدهما كوفي، هو أبو القاسم الحسن بن فرج بن حوشب بن زاذان الكوفي (٣٠٢هـ / ٩١٤م)، الذي لقّب بالمنصور باليمن، وكان على مذهب الاثني عشرية، فاستقطبه دعاة الإسماعيلية إلى صفهم، وأقنعوه بالانضمام إليهم، ثم بالسفر إلى اليمن للدعوة فيها إليهم^(٥).

والثاني هو علي بن الفضل الخنفري (٣٠٣هـ / ٩١٥م)، وكان من أهل جيشان، التي كان الإسماعيليون يعتبرونها "كترا لآل محمد"، وخرج منها كثير من دعايتهم وقادتهم^(٦).

(١) المغربي: كتاب افتتاح الدعوة، ص ٨.

(٢) كشف أسرار الباطنية، ص ٤٢.

(٣) الحميري: الحور العين، ص ٢٥٢.

(٤) الشجاع: تاريخ اليمن في الإسلام، ص ١٤٢-١٤٣.

(٥) المغربي: كتاب افتتاح الدعوة، ص ٢-٥؛ والحميري: الحور العين، ص ٢٥١، ٢٥٢.

(٦) العلوي: السيرة، ل ١٤١ / أ (الملحق)؛ والهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٠٢-٢٠٣،

وكانت قد تعرّضت لغزو همجي من قبل إبراهيم بن خلف بن طريف^(١)، وكان ابن فضل في أول أمره على مذهب الاثني عشرية، فحجّ سنة ٢٦٧هـ / ٨٨٠م، وبعد الحج يَمّم وجهه نحو العراق لزيارة قبر الإمام الحسين، وهناك استقطبه أيضا دعاة الإسماعيلية، وكلّفوه بمهمة مساعدة ابن حوشب^(٢).

بعد أن تلقى الداعيان ابن حوشب وابن فضل التعليمات اللازمة كُلّف ابن حوشب بالذهاب إلى منطقة عدن لاعة^(٣)، بينما كُلّف ابن فضل بالذهاب إلى أرض يافع^(٤)، وقيل لابن حوشب: "اجمع الرجال، والزم الصوم، والصلاة، والتقشف، واعمل بالظاهر، ولا تظهر الباطن، وقل: لكل شيء باطن، وإن ورد عليك ما لا تعلمه فقل: لهذا مَنْ يعلمه، وليس هذا وقت ذكره"^(٥)، وأوصاه إمامهم بابن فضل خيرا، كما أوصى ابن فضل به خيرا^(٦).

انطلق السفيران من الكوفة نهاية عام ٢٦٧هـ / ٨٨٠م، ثم دخلا اليمن سنة ٢٦٨هـ / ٨٨١م^(٧)، فذهب كلُّ منهما إلى حيث تقرّر عليه الذهاب، ولما وصل ابن حوشب عدن لاعة أخبره مَنْ كان بها من أهل الدعوة أن ابن يُعْفَر كان قد زجّ في

والمغربي: كتاب افتتاح الدعوة، ص ٢٠ - ٢١.

(١) العلوي: السيرة، ل ٧١/أ.

(٢) المغربي: كتاب افتتاح الدعوة، ص ٩، ١٠؛ والحمادي: كشف أسرار الباطنية، ص ٤٠، ٤١.

(٣) عدن لاعة: بلدة في جنوب بني العوام، تقع بالقرب من جبل مسور المتناوب في جنوب شرق مدينة حجة، وهي اليوم أطلال وخرائب. المحقفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ٢، ص ١٢١٨.

(٤) المغربي: كتاب افتتاح الدعوة، ص ١١؛ والحميري: الحور العين، ص ٢٥٢. ويافع: قبيلة مشهورة تقع منازلها بين أبين والبيضاء في المنطقة المعروفة بـ(سرو حمير). المحقفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ٣، ص ٢٢٦٢.

(٥) المغربي: كتاب افتتاح الدعوة، ص ١٣.

(٦) المغربي: كتاب افتتاح الدعوة، ص ١٢؛ والحمادي: كشف أسرار الباطنية، ص ٤٣.

(٧) المغربي: كتاب افتتاح الدعوة، ص ١٣ - ١٥؛ والحمادي: كشف أسرار الباطنية، ص ٤٤.

السجن بالداعي الذي كان قبله، وهو أحمد بن عبدالله بن خلع، وأنه توفي منذ عهد قريب، فنزل في داره، وتزوج ابنته^(١)، وأما ابن فضل فقد حطَّ رحاله في بلاد يافع كما كان مقرراً. وقد نهج السفيران منهجا واحدا في نشر نفوذهما في اليمن، وقد "اتخذا الدين وسيلة لنشر هذا النفوذ، فأظهر كلُّ منهما الزهد والتقشف والصالح ابتغاء الوصول إلى غايته، ... كما تظاهر كلُّ منهما بالتفقه والتضلع في المذاهب السنية، وكانا يأمران بالمعروف وينهيان عن المنكر"، وقد مكثا يدعوان سر المدة سنتين، وأظهرا دعوتهما علنا في سنة ٢٧٠هـ / ٨٨٣م^(٢). وحصلا على الأموال من خلال جمعها أموال الزكاة^(٣)، كما كان ابن فضل - فيما بعد - يغري أتباعه بسلب ونهب أموال خصومه، وكان يريهم أن ذلك "جهاد لأهل المعاصي"^(٤).

قضى ابن فضل على الزعامات المحلية في محيط تحركاته، ففي البداية استطاع القضاء على محمد بن أبي العلاء الحميري في منطقة أبين بالتعاون مع صاحب المذيخرة جعفر المناخي، ثم التفت إلى المناخي وحاربه حتى قضى عليه في عام ٢٩٢هـ / ٩٠٤م^(٥)، وكذلك قضى على الزعامات المحلية كآل الكرندي وغيرهم^(٦). وسيطر ابن حوشب على منطقة لاعة وجبل مسور^(٧) وبلاد الشرف^(٨)، لكنه لم يستطع التوسع مثل زميله

(١) المغربي: كتاب افتتاح الدعوة، ص ١٦.

(٢) الهمداني، حسين فيض الله: الصليحيون والحركة الفاطمية، ط ٣، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م، ص ٣٣، وينظر: الحمادي: كشف أسرار الباطنية، ص ٥٦ - ٥٧.

(٣) الحمادي: كشف أسرار الباطنية، ص ٤٦.

(٤) الحمادي: كشف أسرار الباطنية، ص ٥١.

(٥) الحمادي: كشف أسرار الباطنية، ص ٥١، ٥٣؛ وينظر العلوي: السيرة، ل ١٣٧/ أ (الملحق).

(٦) الحمادي: كشف أسرار الباطنية، ص ٥٧ - ٥٨.

(٧) جبل مسور: سيأتي التعريف به في النص المحقق، ص ٧٦٩.

(٨) العلوي: السيرة، ل ١٣٧/ أ (الملحق)، والحمادي: كشف أسرار الباطنية، ص ٤٧. والشرف: سلسلة

جبلية في الشمال الغربي من مدينة حجة، وسيأتي التعريف بها أكثر في النص المحقق، ص ٧٦٩.

ابن فضل لمجاورته قوى فكرية وإيديولوجية مقاتلة كالزيدية والأباضية^(١)، وقبائل ذات شكيمة وبأس، وهي قبائل همدان وخولان.

اندفع ابن فضل بقواته وجيوشه نحو الشمال وقد جمع جموعاً كثيفة، فاستولى على ذمار^(٢) ثم صنعاء عام ٢٩٣هـ / ٩٠٥م^(٣)، وحاول التوغل في همدان، ولكنه تلقى هزيمة ساحقة على يد الدُّعَام وقبيلة سفيان^(٤)، وكذلك لما توغَّل في مخلاف البياض^(٥) في همدان، وهي بلاد وعرة، "أحاطوا به وقطعوا عليه الطرق"؛ الأمر الذي استدعى تدخلاً من زميله ابن حوشب لإنقاذه، وهو الذي كان قد نصحه بتثبيت سيطرته العسكرية على صنعاء ببناء الحاضنة الاجتماعية قبل التفكير بالتوسع شمالاً وغرباً، ولكنه أبى عليه ذلك^(٦)، ولكنه مع ذلك حقق السيطرة على منطقة صنعاء وتهامة وغيرهما.

ظهر القرامطة في نجران بشكل واضح في عام ٢٩٤هـ / ٩٠٦م، ولعلَّهم جرَّأوا على التحرك بذلك الشكل بعد أن سمعوا باستيلاء ابن فضل على صنعاء، ويدلُّنا شعرُ للمؤلف أنهم تحالفوا مع بني الحارث بن كعب، وقد وصفهم ذلك الشعر بأنهم كفروا برب الناس، وأنهم يقولون: إن إمامهم إله قادر، وأنهم لا يؤمنون بالنبي محمد ﷺ^(٧)، ومع أن الهادي اعتقل عدداً من دعاةهم والمنتمين

(١) الأباضية: سيأتي التعريف بها في هذا الفصل، ص ٧٣-٧٩.

(٢) ذمار: مدينة كبيرة جنوب صنعاء بمسافة ١٠٠ كم. المقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ١، ص ٦٥٥.

(٣) العلوي: السيرة، ل ١٣٧/ أ (الملحق).

(٤) الهمداني: الإكليل، ج ١٠، ص ١٣٣-١٣٤.

(٥) هو مخلاف قُدَم، وسيأتي التعريفُ به في النص المحقق، ص ٥٣٨.

(٦) الحمادي: كشف أسرار الباطنية، ص ٥٦-٥٧.

(٧) العلوي: السيرة، ل ١١٦/ ب.

إليهم، لكنه كما يبدو أطلقهم بعد فترة وجيزة استجابة لشفاعة بعض أعيان نجران^(١)، وربما لأنهم لم تثبت إدانتهم، أو لم تبلغ بهم التهم إلى حد استباحة إنزال عقوبة أشد عليهم.

صوّرت المصادر المعاصرة فظاعة ما كان يرتكبه ابن فضل وجنوده ضد اليمنيين بشكل بشع وفظيع، فقد كانوا يقتلون الرجال، ويذبحون الأطفال، ويسبون النساء بلا رحمة ولا هوادة، وكأن ذلك كان يُعبّر عن نزعة تكفيرية واستباحية ضد الخصوم، ولعله كان ترجمة لما ورد في معتقداتهم نحو خصومهم الذين يعملون بظاهر الشريعة من أنهم "حمير كافرون" كما تقدم. وذكر ملحق السيرة^(٢) أن القرامطة في ذي الحجة ٢٩٣هـ / ٩٠٥م استباحوا مدينة ثات، ولما لجأ أهلها إلى المسجد أحرقوه بمن كان فيه، "من الرجال والنساء والأطفال"، وأنهم لما دخلوا صنعاء سنة ٢٩٤هـ / ٩٠٦م استباحوها أيضا، وقتلوا جميع من بقي في دورها ممن لم يهرب منهم، واستباحوا مدينة زبيد في صفر ٢٩٧هـ / نوفمبر ٩٠٩م، وقتلوا بها "خلقا عظيما"، وسبوا منها آلاف النساء^(٣)، وهذا يبيّن أن نظرتهم العنيفة والتكفيرية والاستباحية ضد المسلمين وعوامهم كانت سابقة للتاريخ الذي يُزعم بأنه أظهر فيه قرمطيته، وهو العام ٢٩٧هـ / ٩٠٩م^(٤).

حاول بعض المُحدّثين إنكار ما تُسبب إلى ابن فضل من مخالفات خطيرة، غير أن المصادر المعاصرة، ومنها وثائق رسمية، تثبت تلك التهم على الأقل من وجهة نظر منشئها، وأنهم بنوا مواقفهم وحساباتهم على أساسها، كما سيتضح من خلال

(١) العلوي: السيرة، ل ١١٨ / ب، ١٢١ / أ.

(٢) العلوي: السيرة، ل ١٣٨ / أ (الملحق).

(٣) العلوي: السيرة، ل ١٣٨ / ب (الملحق).

(٤) العلوي: السيرة، ل ١٣٨ / ب (الملحق)؛ والشجاع: تاريخ اليمن في الإسلام، ص ١٤٨.

هذا العرض:

لقد مرّ بنا كلامُ الإمام الهادي عن ما ينسبه أتباع الإمام الإسماعيلي إليه من قتل المخالفين واستباحتهم. وتحدث ولده الإمام المرتضى (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م) في وثيقة رسمية^(١) بما يفيد أنه كان يرى أولوية جهاد ابن فضل وجنوده؛ باعتبار أنه "زنديق مرتد عن الإسلام يُخلِّق الدين، ويمحو سنن محمد خاتم النبيين، مع تعطيله الكتاب، وجحدانه لأصوب الصواب"، وأنه "كان آخر أمره أن ادّعى النبوة، وجحد الله سبحانه، وأنكح الأمهات أبناءهن، والأخوات إخوتهن، والبنات أبناءهن". وذكر أيضا^(٢) أن أمر ابن فضل كان بينا من أول أمره، لكنه لاحقا ازداد تبينًا ووضوحًا، ثم توقّع أنه سيُدّعي الربوبية. وبالفعل ذكرت بعض المصادر مسألة ادعاء الربوبية.

وذكر أخوه الإمام الناصر بن الهادي في رسالته إلى أتباعه في طبرستان^(٣) أن ابن فضل "طغى باليمن طغيانا عظيما، وكفر بالله كفرانا جسيما، وادّعى النبوة، وانتحل الرسالة، وثار بلعنة ونجاسة، وكفر كفرا صراحا، فأحلّ بعثوه وجرائته على الله وظلمه الأمهات والبنات، والعماة والخالات، وانتهك الحرمات، وأحلّ المحارم المعضلات، وحرّم الحلال، وعاند الحق والبينات، فسبى هو وأصحابه بفسقهم المؤمنات، وفضحوا المسلمات، فبيعت النسوان بالدراهم، وارثكنن بالعظائم، واستخدمن استخدام البهائم، ونيل منهن الفجور والمكروه،

(١) هي رسالة أرسلها إلى الريان الهمداني أحد زعماء قبيلة همدان، وردت عند الربيعي، مفرح بن أحمد (ق ٥هـ): سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين، تح: رضوان السيد، وعبدالغني عبدالعاطي، دار المنتخب العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ص ٢٩٤ - ٢٩٨.

(٢) الربيعي: سيرة الأميرين، ص ٢٩٨. رسالة المرتضى إلى الريان الهمداني.

(٣) الشامي: اليمن والأئمة، ص ٤٩ - ٦٤.

وارتكبهن السفه"، ونسب إليه قتله "للرجال، وذبحه للأطفال"، كما ذكر أن جرائمه وقعت "بأقصى اليمن النائية عنا، النازحة عنا، فأما حيث نحن مقيمون [في صعدة] فهو موضع مستور"، ووصف أتباعه بـ "قوم مشركين، قرامطة ضالين، وزنادقة ملحدين، غير موحدين ولا متأولين، قد بارزوا الله جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه، بالكفر الصراح، والقول بذلك والإفصاح"، وقال عنهم أيضاً: "زنادقة كفر، ظلمة فجرة، لا يصلون ولا يزكّون، ولا يحجّون ولا يعرفون الله، ولا يؤقنون ببعث ولا حساب، ولا ثواب ولا عقاب".

وثق شاعر صنعاني معاصر^(١) في قصيدة له جرائم القرامطة في صنعاء، وذكر فيها أنهم باعوا المحصنات، وخربوا البنيان، وحرّقوا الدور المشيدة، وهدموا المساجد، وذبحوا الأطفال، ونهبوا الأموال، وقتلوا الرجال، وفتنوا المسلمين عن دينهم^(٢). وذكر شاعر معاصر آخر^(٣) له أن القرامطة دعوا إلى ترك الصلاة، وأسقطوا فرض الصيام، وأشار إلى قولهم بالاشتراكية الجنسية إذ قال:

"جعلوا التشارك في النساء ديانة كفرًا وما أنفوا من الأرحام"^(٤)

وذكر ملحق السيرة^(٥) أن ابن فضل أظهر هذه الطريقة في عام ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م، وأضاف أنه تسمّى "برب العالمين"، وأنه كانت له ليلة يجمع فيها الرجال والنساء معاً، فيرسلهم عليهن، وربما تقع الأم لابنها، والأخت لأخيها. وهي

(١) هو إبراهيم بن محمد بن الجدوبة، توفي ٣٣٠هـ تقريباً. ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ١، ص ١٧٥.

(٢) ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ١، ص ١٧٧-١٧٨.

(٣) هو الفقيه والشاعر عبد الله بن أحمد التميمي، من تلامذة الإمام الهادي، وستأتي ترجمته، ص ١٠٨.

(٤) ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ٤، ص ١٩٠.

(٥) العلوي: السيرة، ل ١٣٨/ ب (الملحق).

الليلة التي تسمى بليلة التشريق أو الإفاضة^(١). وذكر الحمادي^(٢) (ت نحو ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م) أنه "أظهر كُفْرَه، وادَّعى النبوة، وأحلَّ البنات والأخوات". وروى نشوان الحميري^(٣) (ت ٥٧٣هـ / ١١٧٧م) أنه "أعلن بالكفر، وأحل جميع المحرمات، وخرب المساجد، وكان يدَّعي أنه نبي". وقد أضفى على نفسه بعض عبارات التعظيم والتقدّيس المبالغ بها؛ الأمر الذي حمل بعض المؤرخين على القول بأنه ادَّعى أنه رب العالمين^(٤)، وأنه "خوطب برّب العزة وكوتب بها"^(٥)، وقد روي أنه كتب إلى أسعد بن أبي يُعْفِر قائلاً: "من باسط الأرض وداحيها، ومزلزل الجبال ومرسيها علي بن الفضل إلى عبده أسعد بن أبي يُعْفِر"^(٦).

عاث القرامطة في اليمن فساداً، فقد خربوا مدينة صنعاء^(٧)، وخربوا الحصون الأثرية، ومنها حصن دورم في وادي ضهر^(٨)، أما قصر بيت حنبص^(٩) للقليل ذي يهر، والذي كان ملك العالم أبي نصر اليهري شيخ الهمداني^(١٠)، فقد أحرقه براء بن أبي

(١) ابن القارح، علي بن منصور، أبو الحسن الحلبي (ق ٤هـ): رسالة ابن القارح، طبعت ضمن رسالة الغفران لأبي العلاء المعري، تح: عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطيء)، دار المعارف، القاهرة، ط ٩، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ص ٣٢.

(٢) كشف أسرار الباطنية، ص ٥٤.

(٣) الحور العين، ص ٢٥٣.

(٤) العلوي: السيرة، ل ١٣٨ / ب (الملحق).

(٥) ابن القارح: رسالة ابن القارح، ص ٣٢.

(٦) المحلي: الحقائق الوردية، ج ٢، ص ٤٦ - ٤٧.

(٧) الهمداني: الإكليل، ج ٨، ص ٢٨ - ٢٩.

(٨) الهمداني: الإكليل، ج ٨، ص ٩٥. وظهر: سيأتي التعريف به في النص المحقق، ص ٢٦٩.

(٩) بيت حنبص: بلدة مسورة في ظاهر جبل عيبان بالغرب الجنوبي من مدينة صنعاء. المقحفى:

معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ١، ص ٥٢٧.

(١٠) ستأتي ترجمته في تلامذة الإمام الهادي، ص ١١١.

الملاحف القرمطي سنة ٢٩٥هـ / ٩٠٧م، ومكثت النار تشتعل فيه مدة طويلة^(١).

ومع ذلك كله، فإن من الإجحاف نسبة ما قام به ابن فضل إلى الإسماعيلية، أو حتى إلى زميله ابن حوشب الذي ظلّ على ولائه للفاطميين^(٢)؛ حيث لم يرو عنه مثل هذه الفظائع المروية عن ابن فضل، وقد قيل: إن ابن فضل خلع الدعوة الفاطمية تماماً، فكاتبه ابن حوشب معاتباً إياه، ولكنه لم يلتفت إلى قوله، وأجابه: "إنما هذه الدنيا شاةٌ مَنْ ظَفَرَ بها افترسها، ولي بأبي سعيد الجنابي^(٣) أسوة"^(٤). ونتيجة لذلك شبَّ صراع دام بين ابن فضل وابن حوشب عام ٢٩٩هـ / ٩١١م، وحاصر ابن فضل صاحبه ابن حوشب في مسور ٨ شهور، بدون أن يُجسّم الموقف لواحد منهما، ثم تصالحا^(٥).

تبرّأ الإسماعيليون من ابن فضل وأعماله، فهذا داعي دعاة الإسماعيلية في اليمن، إدريس عماد الدين القرشي (ت ٤٧٢هـ / ١٠٧٩م)^(٦) قال عنه: "نكث عهده، ...، فاستزله الشيطان، واستهواه وأضله وأغواه، ففارق الدعوة، وخرج عن الملة، وباين المتوجّهين إلى القبلة، وادّعى النبوة، وافترى على الله وعلى أوليائه مقتدياً بالمضلين من قبله، ... فارتكب المحارم، وأتى بالعظائم، ومال إلى الإباحات، وترك الأعمال الصالحات، وكفر بعد إيمانه، وباء لعنه الله بكفره"، بل أكد أن الإسماعيلية "قائمون بالأعمال الشرعية من الطهارات والصوم، مؤتون للزكاة،

(١) الهمداني: الإكليل، ج ٨، ص ٨٣.

(٢) الهمداني: الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن، ص ٤٣.

(٣) الجنابي: الحسن بن بهرام القرمطي، استولى على هجر والإحساء والقطيف وسائر بلاد البحرين، وتوفي سنة ٣٠١هـ. الزركلي: الأعلام، ج ٢، ص ١٨٥.

(٤) الحمادي: كشف أسرار الباطنية، ص ٥٨.

(٥) العلوي: السيرة، ل ١٤٠ / أ (الملحق).

(٦) عيون الأخبار، السبع الخامس، نسخة إلكترونية، ترقيم آلي، ج ٥، ص ٤٣.

حاجون بيت الله الحرام، متولون محمداً ﷺ وعلياً وصيه والأئمة من ذريته الطيبين، مجاهدون في سبيل الله، مجتهدون موفون في أفعالهم وأقوالهم، مجانبون لما حرّمت الشريعة الغراء، ملازمون لما فرض نبي الله محمد خير البرية،...^(١)، وهذا دليل على أن دعوة اليمن الإسماعيلية كانت تعتبر ابن الفضل خارجاً عن الإسلام^(٢).

كان من نتائج تحرك ابن فضل في اليمن وتمرده على الدعوة الفاطمية أن إمام الإسماعيليين عبيد الله المهدي صرف نظره عن فكرة الخروج إلى اليمن، رغم احتفاظه بها حتى وصوله إلى مصر^(٣)، وهناك حوّل مساره إلى المغرب، هذا بالإضافة إلى ما سبق إلى علم قادتهم بأن وجود الزيدية في اليمن وعلى رأسها الإمام يحيى بن الحسين يحول دون تحقيق هدفهم، "وأن من الخير أن يحرثوا في أرض لا ينازعهم فيها أحد"^(٤).

وهكذا يتبين أن انحراف ابن فضل أثر كثيراً على أتباع الدعوة الإسماعيلية، وأضعف مركزها ونفوذها، وشارك في القضاء على أحلامهم في إقامة دولتهم الموعودة في اليمن.

٢- التيار السني

مثلت اليمن لا سيما في تهامة وصنعاء الاتجاه الرسمي للدولة، وهو الاتجاه السني، وقد شهدت صنعاء وعدن وزبيد نشاطاً علمياً وثقافياً رسمياً يحاكي ذلك النشاط الذي كانت عليه بغداد وغيرها من حواضر الخلافة العباسية. ويمكن ملاحظة نشاط التيار السني من خلال نشاطهم العلمي في الحديث والفقه والعقائد:

(١) عيون الأخبار، ج ٥، ص ٤٤ - ٤٥.

(٢) الهمداني: الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن، ص ٤٤.

(٣) المغربي: كتاب افتتاح الدعوة، ص ١٥٩، ١٦٠؛ والهمداني: تثبيت دلائل النبوة، ص ١٤٨ -

١٤٩؛ والهمداني: الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن، ص ٣٩.

(٤) الشجاع: تاريخ اليمن في الإسلام، ص ١٤١ - ١٤٢.

أ- الحديث

برز في اليمن في القرن ٣هـ / ٩م محدثون وحفاظ حديث كانوا امتدادا للحركة الحديثية التي كانت تنشط في دار الإسلام، ويمكن تقسيم النشاط الحديثي في اليمن إلى مرحلتين، هما مرحلة تدوين الحديث على يد شيوخ بارزين في اليمن، والثانية مرحلة التلاميذ والأتباع الذين اقتصروا على رواية أحاديث شيوخهم، وكانوا كثيري العدد، ولكن من غير أن يؤلفوا أيًا من الأعمال المكتوبة^(١).

كانت المرحلة الأولى في النصف الأول من القرن الثالث الهجري، وإليها ينتمي عددٌ من كبار المحدثين اليمنيين، ومنهم الإمام أبو قرّة موسى بن طارق اللحجي الرعري (ت ٢٠٣هـ / ٨١٨م)، وكان حافظاً فقيهاً، ألف كتابه المنسوب إليه، وهو سنن أبي قرّة، وكان أهل اليمن يعتمدون عليه قبل دخول كتب الحديث^(٢)، وله مؤلفات في الفقه، وألقى دروسه في الجند، والرعارع^(٣)، وعدن، وزبيد، ومكة^(٤). ومنهم الإمام المحدث عبد الملك بن عبد الرحمن الذماري الأبنائوي (ت ٢٠٦هـ / ٨٢١م) الذي كان بحوزته ألف ألف حديث (مليون حديث)، وله كتاب المسند^(٥). ومنهم الحافظ محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني (ت ٢٤٣هـ / ٨٥٧م) الذي كان شيخاً لكثير من أئمة الحديث كمسلم، والترمذي، وابن ماجه، والدارقطني^(٦).

(١) الشجاع، عبد الرحمن عبد الواحد: الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع للهجرة، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، ص ٢٠٧، ٢١٠.
(٢) الجعدي، عمر بن علي بن سمرة (ت بعد ٥٨٦هـ): طبقات فقهاء اليمن، تح: فؤاد سيد، دار القلم، بيروت، ص ٧٤، ١١١؛ والشجاع: الحياة العلمية في اليمن، ص ٢٠٧.
(٣) الرعارع: عاصمة لحج سابقاً، وتقع شمال مدينة الوهط. المقحفى: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ٣، ص ١٧٢٦ - ١٧٢٧.

(٤) الجعدي: طبقات فقهاء اليمن، ص ٦٩؛ والهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٠٠ - ١٠١.
(٥) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٠٠؛ والشجاع: الحياة العلمية في اليمن، ص ٢٠٨ - ٢٠٩.
(٦) ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٢، ص ١٠٤، وينسب الهمداني في صفة جزيرة العرب، ص ٧١ =

وأبرز نموذج للحفاظ المحدثين في هذه المرحلة هو الإمام عبدالرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١هـ/ ٨٢٦م)؛ لما له من أثر على الحياة الثقافية والعلمية في تلك الفترة، ولأن مؤلفاته تداولها اليمينيون، بل وحتى رجال السلطة الرسمية في اليمن^(١). وقد وُلِدَ عبدالرزاق في صنعاء في ١٢٦هـ/ ٧٤٣م، ونشأ فيها، وتلقى علومه الأولية، وأخذ العلم عن عدد كبير من الشيوخ، ورحل لطلب العلم إلى خارج اليمن، وعنه أخذ كثير من المحدثين، وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥م)، والإمام يحيى بن معين (ت ٢٣٣هـ/ ٨٤٧م)، وغيرهما^(٢).

وقد ألف في الحديث كتابه المصنف في الحديث والآثار^(٣)، وله كتب أخرى منها التفسير، وغيرهما.

يبدو أن رضا المحدثين عن عبدالرزاق وحصر نقمة بعضهم على تشييعه فقط يشير إلى أنه كان ينحو في العقائد منحى جمهرة المحدثين، وكان يؤكد أن الإيمان قول وعمل، على خلاف ما كان عليه المرجئة^(٤)، كما كان يحاول أن ينأى بنفسه عن المعتزلة، على الرغم من اعترافه بكثرة رجالهم في بلاده^(٥). أما في الفقه فقد

إلى عدن؛ وباخرمة، عبدالله الطيب بن عبدالله بن أحمد (ت ٩٤٧هـ): تاريخ ثغر عدن، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ٢، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ج ٢، ص ٢٣٠؛ وابن حجر: تهذيب التهذيب، ج ١٠، ص ٥١٨؛ والشجاع: الحياة العلمية في اليمن، ص ٢٠٨.

(١) الهمداني: الإكليل، ج ٢، ص ١٥٢-١٥٣.

(٢) ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار، ص ٢٥٢؛ وابن عدي: الكامل، ج ٥، ص ٣١١-٣١٥؛ والعقيلي: الضعفاء الكبير، ج ٥، ص ٣٥١؛ والصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١٨، ص ٢٤٤-٢٤٥.

(٣) المصنف، دار التأصيل، القاهرة، ط ١، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، المقدمة العلمية، ج ١، ص ٦٦.

(٤) ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله، أبو القاسم الشافعي (ت ٥٧١هـ): تاريخ مدينة دمشق، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ج ٣٦، ص ١٨٥-١٨٦. والمرجئة: قوم يقولون لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة. الجرجاني، علي بن محمد بن علي الشريف (ت ٨١٦هـ): التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ٢٠٨.

(٥) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج ٣٦، ص ١٨٦.

عاش في فترة لم تكن المذاهب الفقهية فيها قد اكتملت نشأتها؛ ولذا فمن الصعب تصنيفه على أيٍّ من المذاهب، على الرغم من أن كلا من الحنفية^(١)، والمالكية^(٢)، والحنابلة^(٣) قد تنازعوه في ما بينهم، لكن دراسة قامت بها باحثة^(٤) في عينة من كتابه المصنف، تَبَعَتْ فيها بعض المواضع التي صرَّح فيها باختياره واختيار غيره، فخلَّصَت الدراسة بأنه كانت له شخصيته الفقهية المستقلة، وله آراؤه وتوضيحاته الخاصة، وأنها لم تكن بالضرورة رأي أحد من شيوخه.

ثم تأتي المرحلة الثانية، وكان معظم رجالها يروون الأحاديث عن علماء المرحلة السابقة، ومن هؤلاء إسحاق بن إبراهيم الدبري (ت ٢٨٧هـ / ٩٠٠م)، وهذا كان آخر الذين سمعوا عن عبدالرزاق، وصار راوية كتبه^(٥)، وروى عنه علماء الأندلس كابن حيون (ت ٣٠٥هـ / ٩١٧م).^(٦) ومنهم عبيد بن محمد بن إبراهيم الكشوري الصنعاني، الذي ارتحل إليه الطبراني (٢٦٠هـ - ٣٦٠هـ / ٨٧٣م - ٩٧٠م) وسمع عنه^(٧)، وروى عنه ابن حيون الأندلسي، وسلمان بن قريش الأندلسي (ت ٣٢٩هـ).^(٨)

(١) القاري، علي بن سلطان محمد (ت ١٠١٤هـ): الأثر الجنية في أسماء الحنفية، تح: عبدالمحسن عبدالله أحمد، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ديوان الوقف السني، بغداد، ط ١، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، ج ١، ص ٢٨٦.

(٢) اليحصبي، عياض بن موسى، أبو الفضل (ت ٥٤٤هـ): ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ج ٢، تح: عبدالقادر الصحراوي، مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب، ط ١، ١٩٧٠م، ج ٢، ص ٢٠٨.

(٣) الفراء، محمد بن أبي يعلى، أبو الحسين البغدادي (ت ٥٢٦هـ): طبقات الحنابلة، تح: عبدالرحمن العثيمين، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام، الرياض، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، ج ٢، ص ٨١-٨٥.

(٤) الدكتور أسماء عجّين في كتابها: منهج الحافظ عبدالرزاق الصنعاني في مصنفه، المكتبة الإسلامية، القاهرة، ط ١، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، ص ٢٩٨-٣١٢.

(٥) الشجاع: الحياة العلمية في اليمن، ص ٢١١.

(٦) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ج ٢، ص ٢٨.

(٧) السمعاني، عبدالكريم بن محمد، أبو سعد التميمي (ت ٥٦٢هـ): الأنساب، تح: عبدالرحمن يحيى المعلمي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط ٢، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ج ١٠، ص ٤٣٩.

(٨) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ج ١، ص ٢٨، ٢٢٩.

أما أهم الكتب الحديثية المتداولة في أوساط هذا التيار فهي جامع معمر بن راشد البصري (ت ١٥٣هـ / ٧٧٠م)، وهو مصنف في صنعاء، وأقدم من موطأ الإمام مالك، وكذلك الموطأ للإمام مالك بن أنس الأصبحي (ت ١٧٩هـ / ٧٩٥م)، ومصنف عبدالرزاق الصنعاني، وجامع السنن لأبي قرة موسى بن طارق اللحجي الرعرعي، وجامع سفيان بن عيينة (ت ١٩٨هـ / ٨١٤م)، وغيرها^(١).

ب- الفقه

يُعدُّ المذهب الحنفي أقدم المذاهب الفقهية السنية انتشاراً في اليمن، وهو الغالب فيه^(٢)، وقد دخل اليمن عن طريق بعض العلماء كأبي قرة اللحجي، ومثل أبي سعيد الجندي، الذي تلقى فقهه أبي حنيفة عن القاضي محمد بن يوسف الحذاقي الصنعاني (ت ٣٣٠هـ / ٩٤٠م)^(٣)، وعن طريق التأثير الرسمي للقضاة العباسيين حيث عهدَ العباسيون منذ الرشيد (١٧٠هـ - ١٩٣هـ / ٧٨٦م - ٨٠٨م) بالقضاء إلى الأحناف، وهؤلاء كانوا يولُّون على القضاء في الغالب مَنْ يثقون بهم من أبناء مذهبهم، ومنهم القاضي محمد بن يوسف الحذاقي، الذي ولَّاه المنتصر ولي العهد آنذاك على قضاء اليمن^(٤). وكان القاضي أحمد بن محمد بن إسحاق الحذاقي (ت ٢٨١هـ / ٨٩٤م) يشبه بمحمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة، وذلك أمر يشير إلى أنه كان حنفي المذهب^(٥).

يأتي المالكية في الدرجة الثانية في الانتشار بعد الأحناف، وقد تتلمذ على الإمام مالك نفسه من اليمنيين مَنْ كانوا في عداد المحدثين، مثل محرز بن سلمة العدني

(١) الجعدي: طبقات فقهاء اليمن، ص ٧٤.

(٢) الجعدي: طبقات فقهاء اليمن، ص ٧٩.

(٣) الجعدي: طبقات فقهاء اليمن، ص ٦٤.

(٤) الأكوخ: الوثائق السياسية اليمنية، ص ٢٣٠ - ٢٣٤.

(٥) الشجاع: الحياة العلمية في اليمن، ص ٢٢٤، نقلاً عن مجهول: تاريخ اليمن، ق ٤١/أ، ١٢٥/ب.

ثم المكي (ت ٢٣٤هـ / ٨٤٨م)، ويزيد بن أبي الحكيم العدني ثم المكي (ت بعد ٢٢٠هـ / ٨٣٥م)، واشتهر علي بن محمد بن أحمد، من ذي همدان في وصاب بأنه هو من نشر المذهب المالكي في اليمن، كما وُلِّيَ على القضاء والمظالم من وُصِفَ بأنه "صاحب مالِك"، وهو محمد بن عبدالرحيم بن شروس (ت ٢٢٨هـ / ٨٤٢م)، وظلَّت كتب المالكية تُدرَّس وتتداول بين المتعلمين في اليمن، ولا سيما كتب الإمام مالِك، وكتب أحد تلاميذه وهو أبو مصعب (ت ٢٤٢هـ / ٩٦٩م)^(١).

كما كانت هناك مذاهب فقهية أخرى ولكن بانتشار محدود، وقد أدرك بعضها الرحالة المقدسي في القرن الرابع الهجري، وذكر منها مذهب سفيان بن عيينة (ت ١٩٨هـ / ٨١٤م) في نواحي نجد اليمن، ومذهب ابن المنذر، وهو محمد بن إبراهيم، شيخ الحرم بمكة (ت ٣١٩هـ / ٩٣١م) في المعافر، وأشار إلى أن مذهب مالِك كان موجودا في تهامة ومكة بشكل عملي^(٢).

ت- العقيدة

احتضن التيار السني الآراء العقائدية التي كانت شائعة في أوساط بعض المحدثين، ومنها التشبيه^(٣) والجبر^(٤) والقول بأن القرآن غير مخلوق. وقد ذكر الهادي نفسه^(٥) أن هناك مَنْ كان يقول "على الله بالجبر والتشبيه، وينفون عنه العدل والتوحيد، وينسبون

(١) الشجاع: الحياة العلمية في اليمن، ص ٢٢٦-٢٢٧.

(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٩٦.

(٣) التشبيه: تصور الله في ذاته وصفاته على غرار الإنسان. المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ٤٤.

(٤) الجبر: عقيدة تزعم أن الله يُجبر عباده على أفعالهم التي تصدُر عنهم، ويُقضيها ويُقدرها عليهم. ويسمَّى القائلون بها مُجبرَةً وقَدَرِيَّة. ينظر الحميري: شمس العلوم، ج ٨، ص ٥٣٩٣؛ والجرجاني: التعريفات، ص ٧٤.

(٥) كتاب فيه معرفة الله، مجموع رسائل الإمام الهادي إلى الحق القويم، تح: عبدالله الشاذلي، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء، ط ١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م، ص ٦٥.

إلى الله عز وجل أفعال العباد، ويقولون: إن هذا الذي نزل بهم بقضاء وقدر".

ويبدو أن هذه القضايا العقدية كانت تنتشر في صنعاء وزيد وعدن؛ ولهذا لم يرو أن الإمام الهادي واجه شيئاً من هذه المشكلات الفكرية في صعدة أو خولان أو همدان، ولكنه بمجرد دخوله صنعاء واجه استشكلات فكرية من هذا النوع، وقد سأله فقهاء صنعاء عن عقيدته وفكره؛ الأمر الذي حمّله على تأليف رسالة (الرد على أهل صنعاء)^(١)، كما وقعت تلك المناظرة المثيرة بينه وبين فقهاء صنعاء الذين كانوا ينتمون إلى عقيدة الجبر، وكانوا قد اجتمعوا بقيادة القاضي يحيى بن عبدالله بن كليب النقوي (ت ٣٤١هـ / ٩٥٢م) لمناظرته، فوجّه النقوي سؤاله إلى الإمام الهادي قائلاً: "ما تقول يا سيدنا في المعاصي؟"، فأجابه الهادي على الفور: "ومن العاصي؟"، فسكت النقوي، ولم يجبه بشيء، ولما وبّخه أصحابه قال لهم: يا قوم، إن قلت: الخالق العاصي كفرت، وإن قلت: المخلوق العاصي خرجت من مذهبي إلى مذهبه، وتقول الرواية: إنهم "قاموا بأجمعهم، فبايعوا الهادي عليه السلام، وصاروا على مذهبه"^(٢).

غير أن هذا لا يعني أن أهل صنعاء انتقلوا جميعاً إلى مذهب الزيدية، فقد بقيت للمجبرة والمشبّهة اليد العليا في صنعاء وبعض المدن اليمنية بعد موت الهادي، حيث نجد تلميذ الإمام الهادي، وهو أبو الحسين الطبري، أحمد بن موسى، يقوم بدور كبير في مواجهة الفكر الجبري، واستكمال الدور الذي بدأه أستاذه الإمام الهادي في التصدي لثقافة الجبر والتشبيه، التي ظلت مشار الخلاف بين الزيدية وأهل السنة في اليمن، وهذا يشير إلى تأصل تلك العقائد وثباتها عند بعض اليمنيين واستمرارها حتى بعد وفاة الإمام الهادي.

(١) كما سيأتي في مؤلفاته، ص ١٢٢.

(٢) الشرفي، أحمد بن محمد (ت ١٠٥٥هـ): اللآلئ المضيئة، مخطوط موجود بمؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، لدي منه صورة إلكترونية، ج ١، ص ٤٤٨.

تحكي مجالس الطبري وحواراته ومناظراته أن هناك في اليمن مَنْ كان مشبَّهاً لله تعالى بخلقه^(١)، أما قضية الجبر والقول بأن أفعال الإنسان قضاء من الله وقدر، وجبر وحتم، فقد كان الردُّ عليها شغلَ الطبري الشاغل، وقد كان يهاجمها بين الحين والآخر، ولا يفوته استغلال الأحداث والحوادث في نقض عقيدة الجبر، والتشنيع عليها، وعيبتها، محاولاً إقناع فقهاء وأمراء وعامة صنعاء بالتخلي عنها، والانتقال إلى عقيدة الاختيار^(٢)، ووُصِفَ أهل صنعاء بأنهم كانوا قبل مجيء الإمام الهادي "جبرية"^(٣). كما وردت عدد من القضايا العقدية والفرعية التي كان عليها بعض أهل صنعاء، ومنها الموقف من أصحاب رسول الله، وأن أبا بكر كان أفضلهم بعد رسول الله، ثم عمر، ثم عثمان^(٤)، وإرادة الله الحتمية الجبرية في أفعال الإنسان^(٥)، واعتقاد الشفاعة لأهل الكبائر^(٦)، وإنكار القول بخلق القرآن^(٧)، وعدم قدرة فرعون على الخروج عن علم الله ببقائه على الكفر^(٨)، والقول بعذاب القبر^(٩)، والأذان قبل الفجر^(١٠)، وإنكار صيام يوم الشك^(١١)، وغير ذلك.

(١) الطبري: مجالس الطبري، ص ٩٤.

(٢) الطبري: مجالس الطبري، ص ٣١-٣٢، ٣٣-٣٤، ٣٤-٣٦، ٦٦-٦٧، ٧٠-٧٢، ٧٣-٧٥، ٧٨-٧٩، ٨٠-٨١، ٩٤-٩٥، ١٠٣-١٠٤؛ وابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ١، ص ٤٧٦.

(٣) المحلي: الحقائق الوردية، ج ٢، ص ٢٨؛ والشرفي: اللآلي المضية، ج ١، ص ٤٤٨.

(٤) الطبري: مجالس الطبري، ص ٦٢-٦٣، ١٠٥.

(٥) الطبري: مجالس الطبري، ص ١٠٣-١٠٤.

(٦) الطبري: مجالس الطبري، ص ٧١-٧٢.

(٧) الطبري: مجالس الطبري، ص ٨٣.

(٨) الطبري: مجالس الطبري، ص ٧٤.

(٩) الطبري: مجالس الطبري، ص ١٤٠-١٤١.

(١٠) الطبري: مجالس الطبري، ص ٨١-٨٢.

(١١) الطبري: مجالس الطبري، ص ٤٣.

بهذا يتبين أن هناك حضوراً فاعلاً لمذاهب أهل السنة في أبرز المدن اليمنية، ويمكن القول بأن المذهب السني في أصوله وفروعه كان هو المذهب الرسمي لأهل اليمن حينذاك.

٣- الخوارج الأباضية الفزارية

الخوارج فرقة خرجت على الإمام علي بن أبي طالب في معركة صفين، ويسمّون الشُّراة لقولهم: اشترينا أنفسنا من الله تعالى، وقد اعتبروا مرتكب الكبيرة كافراً، ومن ثمَّ كفّروا الإمام علياً بسبب قبوله التحكيم في صفين^(١). وهم طوائف ويتفاوتون مغالاة واعتدالاً، وإن كان اعتدالهم نسبياً، "وأشدُّهم غلوا الأزارقة، أتباع نافع بن الأزرق (ت ٦٥هـ / ٦٨٥م)، من بني حنيفة، وكان يستبيح دماء المخالفين، حتى الأطفال والنساء والشيوخ، الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، ويقار بهم في هذه الشدة الصفرية، أتباع زياد بن الأصفر (ق ١هـ / ٧م)"^(٢)، ومنهم النجدات، والعجاردة، والثعالبة، والأباضية، ويجمع هذه الفرق كلّها التبرؤ من عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، ويقدّمون ذلك على كل طاعة، ولا يُصحّحون المناكحات إلا على ذلك، ويكفّرون أصحاب الكبائر، ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة أمراً لازماً^(٣).

تنسب الأباضية منهم إلى أحد زعمائهم، وهو عبدالله بن أباض التميمي، وكان

(١) الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، أبو الفتح (ت ٥٤٨هـ): الملل والنحل، تح: أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م، ج ١، ص ١٠٦؛ والسكسكي، عباس بن منصور الثريني، أبو الفضل الحنبلي (ت ٦٨٣هـ): البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، تح: بسام العموش، مكتبة المنار، الزرقاء، ط ٢، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ص ١٨-١٩.

(٢) أبو زهرة، محمد: تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ص ٢٦٧.

(٣) الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١، ص ١٠٦-١٠٧.

من التابعين^(١). وتتميز بكونها أقلّ الخوارج تشدداً تجاه الآخرين؛ فهم يرون مخالفيهم من أهل القبلة كفاراً غير مشركين، ويُجَوِّزون مناكحتهم، وموارثتهم، ولا يغنمون من أموالهم إلا ما كان في الحرب، وما سواه حرام، ومع ذلك فقد دانوا بالجبر واعتبروا أن أفعال العبادة مخلوقة لله تعالى^(٢)، وقد اعتبرهم الشيخ أبو زهرة^(٣) أقرب فرق الخوارج "إلى الجماعة الإسلامية".

عرف الخوارج طريقهم إلى اليمن منذ وقت مبكر، فقد ثار طالب الحق عبدالله بن يحيى الكندي في حضرموت وصنعاء عام ١٢٨هـ / ٧٤٥م ضد الدولة الأموية^(٤)، ومن المحتمل أن عبد الله بن أباض مؤسس الأباضية نفسه قد حضر إلى اليمن، ويقال: إنه مات فيها^(٥). وفي عام ١٧٩هـ / ٧٩٥م وصل إليها من بغداد عبدالله بن يزيد الفزاري أحد متكلمي الأباضية ومؤلفيهم فاراً من الرشيد العباسي، مفضلاً إياها على كلٍّ من المغرب وعمان اللتين كانتا تحتضنان الأباضية آنذاك؛ بسبب الخلافات الفكرية والسياسية التي كانت تدور في أوساط الأباضية أنفسهم، بين الأباضية الفزارية التي كان يمثلها عبدالله بن يزيد، والأباضية الوهبية التي كانت منتشرة في المغرب وعمان^(٦).

(١) الحميري: الحور العين، ص ٢٢٧؛ وأبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص ٢٦٨.
(٢) الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١، ص ١٣١؛ والحميري: الحور العين، ص ٢٢٧-٢٢٨؛ والسكسكي: البرهان، ص ٢٢.

(٣) تاريخ المذاهب الإسلامية، ص ٢٦٨.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٣٥٣-٣٥٤، ٣٧١-٣٧٢، ٣٨٥-٣٨٦.

(٥) ماديلونغ، فيلفرد: الإسلام في اليمن، مجلة المسار، العدد ٢، السنة ٥، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، ص ١٥-١٦.

(٦) الوزير، زيد علي: على أطلال الإباضية في أعالي شمال اليمن، مركز التراث والبحوث اليمني، ومركز الرائد للدراسات والبحوث، صنعاء، ط ١، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م، ص ٢١٣، ٢٢٩-٢٣٠، ٢٣١، ٢٤٥، وهو ينقل معلوماته عن عبدالله بن يزيد عن ماديلونغ في مقالته: عبدالله بن

يزيد الفزاري المنشور في أحد المواقع الإلكترونية.

أشارت سيرة الإمام الهادي^(١) إلى وجود الخوارج في مخلاف قدم^(٢)، وأنهم نصروا بني يُعْفَر ضد الإمام الهادي لما استنجد بهم أميران يُعْفَرِيَان؛ وهو أمر يلقي بظلاله على علاقة اليُعْفَرِيَيْن الحسنة بالأباضية، ومن المعروف أن أسعد بن أبي يُعْفَر كان يلتجئ إلى مناطقهم هرباً من القرامطة في بعض المرات، وكأن مناطقهم في مخلاف قدم كانت العمق الاجتماعي والجغرافي لليُعْفَرِيَيْن، وربما أشار هذا إلى اعتناق بعض اليُعْفَرِيَيْن للأباضية، وليس من المستبعد أن فكرة تمرد وثورة مؤسس دولتهم يُعْفَر بن عبد الرحمن الحوالي على الدولة العباسية تسرّبت إليه عن الخوارج؛ نتيجة التقارب الوجداني بين اليُعْفَرِيَيْن والأباضية، ثم إن القرب الجغرافي يؤيد هذا الاحتمال، فقد ورد أن الخوارج كانوا ينتشرون في شبام وصنعاء اليمن^(٣)، وهما منطقتان نشأت وانتشرت فيهما الدولة اليُعْفَرِيَّة.

ذكر الحميري^(٤) أن الأباضية كانوا ينتشرون "في مغارب همدان"، وورد في مصادر أخرى أنهم كانوا في بني شاور^(٥)، وظليمة^(٦)، ومدينة حجة^(٧)، وجبل

(١) ل ٧٤٤ / ب.

(٢) هو مخلاف البياض، وسيأتي التعريف به في النص المحقق، ص ٥٣٨.

(٣) السكسكي: البرهان، ص ١٩، وهامشه.

(٤) الحور العين، ص ٢٥٦.

(٥) اللحجي، مسلم بن محمد بن جعفر (كان حياً سنة ٥٣٠هـ): أخبار الزيدية من أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم باليمن (الجزء الرابع)، تح: مقبل التام الأحمدي، ط ١، مجمع العربية السعيدة، ١٤٢٧هـ / ٢٠١٥م، نسخة إلكترونية، ص ٤٥٧. وشاور: بطن من حاشد، وهو ابن قدم بن قادم، وكان يطلق على منطقة عَفَّار في مديرية كحلان عفار من أعمال حجة. ينظر الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٣٠؛ والمقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ٢، ص ١٠٢٨.

(٦) ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ٤، ص ١٨٨. وظليمة: جبل واسع من بلاد حاشد، يشكل اليوم مديرية، مركزها جبور، من أعمال عمران. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٢٣؛ والمقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ٢، ص ١١٧٠.

(٧) الوزير: على أطلال الإباضية، ص ٢٦٠، نقلاً عن مسلم: سيرة الناصر، ص ٣٩. وحجة: تبعد

شظب^(١)، وبلاد الشرف^(٢)، وهي مناطق تدخل في مخلاف قدم أو بجواره كما تقدّم، بل إن الرحالة المقدسي^(٣) يذكر أن "سواد صنعاء ونواحيها" كانوا سُراة، وذكر الاصطخري^(٤) أنهم كانوا أيضا "بقرب خيوان"، وذكر ابن حوقل^(٥) أنهم "بقرب همدان وخولان". وكان هناك أباضية في حضرموت في دوعن^(٦)، وكان فيها "إمامهم الذي يأمر وينهى"، كما كانوا أيضا في الصدف^(٧). هذا بالإضافة إلى وجودهم في جزيرة سقطرى^(٨)، حيث سكنها قومٌ "من السُّراة، ثم كُثروا بها إلى أن

-
- عن صنعاء شمالا بغرب حوالي ١٢٧ كم، وتنسب إلى حجة بن أسلم، من حاشد، وتشكل اليوم محافظة في شمال غرب اليمن. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٢٥، ١٢٦، ١٣٤، ١٣٥، ٢٢٣؛ والمقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ١، ص ٤٣٣.
- (١) اللحجي: أخبار الزيدية، ص ٣٤٤، ٣٤٦. وشظب: جبل فوق مدينة السودة، غربي مدينة خمر من بلاد حاشد، من أعمال عمران. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٢٦، ١٣٤، ٢٣٨، ٢٣٩؛ والمقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ٢، ص ١٥٤.
- (٢) الربيعي: سيرة الأميرين، ص ٢٦٢، ٢٦٣.
- (٣) أحسن التقاسيم، ص ٩٦.
- (٤) الاصطخري، إبراهيم بن محمد الكرخي (ت ٣٤٦هـ): مسالك الممالك، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤م، ص ٢٥.
- (٥) ابن حوقل، محمد بن حوقل البغدادي (ت بعد ٣٦٧هـ): صورة الأرض، دار صادر، أفست ليدن، بيروت، ١٩٣٨م، ص ٣٧.
- (٦) دوعن: الوادي الرئيسي في حضرموت، ويشكل أكبر مديريات المحافظة مساحة وسكانا. وسمي باسم أحد المدن الواقعة على ضفافه. المقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ١، ص ٦٣٩.
- (٧) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٧٠ - ١٧١، ١٧٢؛ والحميري: الحور العين، ص ٢٥٧. والصدف: قبيلة كانت مشهورة في الكسر والهجرين ودوعن في حضرموت. وهناك حصن الصدف في مديرية غيل بن يمين في محافظة حضرموت. المقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ٢، ص ١٠٩٣؛ والجهاز المركزي للإحصاء، وزارة التخطيط والتعاون الدولي، الجمهورية اليمنية: التعداد العام ديسمبر ٢٠٠٤م، محافظة حضرموت، نسخة إلكترونية، ص ٦٨.
- (٨) سقطرى: جزيرة كبيرة في المحيط الهندي، تبعد حوالي ٨٥٠ كم عن عدن، و ٥٠٠ كم عن المكلا، و ٣٥٠ كم عن قَسَن في المهرة. المقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ١، ص ٩٧٧.

عَدَوْا عَلَى مَنْ بَهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَتَلُوهُمْ"، عَلَى حَدِّ قَوْلِ الْهَمْدَانِيِّ^(١)، وَقَوْلُهُ هَذَا يَتَّفَقُ مَعَ الْمَعْلُومَاتِ الَّتِي تَفِيدُ أَنَّ أَبَاضِيَّةَ عَمَانَ اسْتَوْلَوْا عَلَى سَقَطْرِيِّ فِي عَهْدِ إِمَامِهِمُ الصَّلْتِ بْنِ مَالِكٍ الَّذِي بُويعَ سَنَةَ ٢٣٧هـ / ٨٥١م، وَعُزِّلَ سَنَةَ ٢٧٣هـ / ٨٨٥م^(٢).
وَرَدَتْ مَعْلُومَاتٌ تُشِيرُ إِلَى أَنَّ أَبَاضِيَّةَ شِمَالِ الْيَمَنِ كَانُوا قَدْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عَلَى تَنْصِيبِ الزَّعِيمِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الظَّلِيمِيِّ "إِمَامًا تَدْعُو إِلَيْهِ الْأَبَاضِيَّةُ وَتَقْتَدِي بِهِ"، لَوْلَا أَنَّهُ حَدَّثَ أَنَّ اجْتِمَعَ بِالْإِمَامِ النَّاصِرِ أَحْمَدَ بْنِ الْهَادِي (ت ٣٢٢هـ / ٩٣٣م) فِي خِيَوَانَ، فَأَقْنَعَهُ بِاعْتِنَاقِ مَذْهَبِ الزَّيْدِيَّةِ، وَقَدْ كَانَ تَحْتَ إِمْرَةِ الظَّلِيمِيِّ أَلْفُ مَقَاتِلٍ مِنْ قِبَائِلِ هَمْدَانَ^(٣)، وَإِذَا أَدْرَكْنَا أَنَّ رَئِيسًا وَاحِدًا مِنْ رُؤَسَاءِ الْأَبَاضِيَّةِ كَانَ تَحْتَ إِمْرَتِهِ أَلْفُ مَقَاتِلٍ أَدْرَكْنَا مَا كَانَتْ عَلَيْهِ قُوَّةُ الْأَبَاضِيَّةِ الْفَزَارِيَّةِ فِي تِلْكَ الْمُنْطَقَةِ. ثُمَّ لَاحِقًا فِي الْقَرْنِ ٥هـ / ١١م تَمَّ مَبَايَعَةُ الْأَبَاضِيَّةِ لِلْحَطِيطِ بْنِ عَبْدِ الْمَجِيدِ الْهَلَانِيِّ فِي بِلَادِ الشَّرَفِ^(٤)، كُلُّ ذَلِكَ يُشِيرُ إِلَى أَنَّهُمْ كَانُوا يَنْصُبُونَ أَئِمَّةَ لَهُمْ مَعَهَا اسْتَطَاعُوا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا، وَإِنْ لَمْ تَسْعِفْنَا الْمَصَادِرَ التَّارِيخِيَّةَ بِذِكْرِ سُلْسَلَةِ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةِ.

أَشَارَ النَّاصِرُ بْنُ الْهَادِي^(٥) نَقْلًا عَنْهُمْ إِلَى أَنَّهُمْ كَانُوا يَأْخُذُونَ بِمَذْهَبِ الصَّفَرِيَّةِ، وَأَنَّهُمْ انْتَقَلُوا عَنْهُ إِلَى الْأَبَاضِيَّةِ فِي زَمَنِ زُعِيمَيْنَ لَهُمْ - وَلَعَلَّهَا كَانَا مِنْ أَئِمَّتِهِمْ - هُمَا عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ خَلِيلٍ، وَعَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ نَعِيمٍ، كَمَا ذَكَرَ أَنَّ قَاضِيَهُمُ الَّذِي كَانَ يَفْصَلُ بَيْنَهُمْ رَجُلٌ اسْمُهُ سَدُومٌ، وَلَعَلَّهُ كَانَ إِمَامَهُمْ أَوْ زُعِيمَهُمْ فِي عَصْرِ الْهَادِي وَابْنِهِ النَّاصِرِ؛

(١) صفة جزيرة العرب، ص ٩٣.

(٢) فوزي، فاروق عمر: الإمامة الأباضية في عمان، المفرق (الأردن)، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ص ٤٨-٤٩.

(٣) ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ٤، ص ١٨٨.

(٤) الربيعي: سيرة الأميرين، ص ٢٦٢.

(٥) الناصر، أحمد بن يحيى بن الحسين (ت ٣٢٢هـ): كتاب النجاة، تح: فيلغرد ماديلونغ،

١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص ٥٥، ٥٦، ١٤٧، ١٨٨.

إذ وصفه الناصر أيضا بأنه "قائدهم" وذكر أن له "مجلس قضاء" فيهم.

جدير بالذكر أن أباضية شمال اليمن كانوا ينحون منحىً متشدداً بحسب ما نقله عنهم بطبيعة الحال خصومهم؛ إذ لم يقع بين أيدينا حتى الآن تراث مكتوب لهم، فقد نُقل عنهم آراء متشددة ومغايرة لما كانت عليه الأباضية الأصلية، وقد ظهرت من خلال الردود عليهم، والتي اضطلع بها خصومهم ولا سيما الزيدية. وتبين من خلال ردِّ الناصر أحمد بن الهادي (ت ٣٢٢هـ / ٩٣٣م) أن إمامهم عبدالله بن يزيد البغدادي كان يعتقد أن كل أفعال الإنسان خلقٌ من الله وقضاءٌ وقدرٌ، وأنه وَصَفَ مخالفه في هذه المسألة بأن "دينه دين شيطان"، وأنه مُشْرِكٌ "حلالٌ ماله ودمه وسيئه، وقتله في السر والعلانية، وحرماً ذبائحه ومناكحته". وذكر الحميري^(١) أنهم كانوا "يرون قتل المشبهة وسبيهم وغنيمة أموالهم، ويجهزون على جريهم". ويبدو أنه كانت لديهم فكرة جبرية فوضوية، فقد عاب عليهم الناصر^(٢) ما يمكن تسميته بفوضى عقائدية غير بناءة، وذكر منها على سبيل المثال أنهم كانوا يقولون: "إذا أخذوا في الأحاديث، وذكروا المدن، قال القائل منهم: سبحان من خرب البصرة، لعن الله من خرب البصرة، فبينما هو يسبحه إذ لعنه جهلاً منهم بعدل الله".

نقل مسلم اللحجي^(٣) أن أباضية عصره كان لهم موقف عنيف من آل رسول الله، وأن مقدّمي علمائهم كانوا يلعنون الإمام عليا والحسن والحسين وفاطمة وولدهم بشكل ظاهر لا خفاء فيه، وكانوا يكفرون الإمام عليا ويفسّقونه، ولا يطيقون أو لا يستجيزون سماع الترضي عليه، وربما ضربوا من أذن بحيّ على خير العمل، وكانوا يستحلون اغتيال العدو، ومضارّته في الأحكام والشهادات. ولا يبعد أن هذا العنف

(١) الحور العين، ص ٢٢٨.

(٢) كتاب النجاة، ص ٣٨.

(٣) أخبار الزيدية، ص ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٦٢.

في التعامل مع الآخر لدى أباضية الشمال انتقل إليهم عن الصفرية الذين كانوا على مذهبهم، فانتقلوا إلى الأباضية، ولكن بمعتقدهم العنيف ضد الآخر، ولا سيما أتباع أهل البيت. ولهذا أيضا لا يبدو أنه كانت تربطهم علاقة مميزة بأباضية حضرموت وعمان الذين كانوا على مذهب الأباضية الوهبية، على أن الأوضاع الأباضية في عمان لم تكن مستقرة في مدة ما قبل مجيء الهادي إلى اليمن، حيث كانت هناك حرب داخلية بين أتباع المذهب الأباضي أنفسهم^(١)، وبالتالي يستبعد منهم التواصل مع الآخرين. وبهذا يتبين أن وجود الخوارج الأباضية لا سيما في مناطق شمال غرب صنعاء كان وجودا قويا، واستمروا عقودا من الزمن في تلك المنطقة، حتى تلاشوا واضمحلوا أخيرا تحت وطأة الحضور الزيدي في تلك المناطق.

٤- المعتزلة

المعتزلة فرقة من المتكلمين يتفقون مع الزيدية في الأصول الخمسة، وهي القول بتوحيد الله وعدله وصدق وعده ووعدده، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويعتقدون أن الفاسق في منزلة بين منزلتي الكافر والمؤمن، وهم يُسندون مذهبهم إلى الإمام علي عن رسول الله ﷺ، ويعلّلون سبب تسميتهم بالمعتزلة بأن ذلك بسبب اعتزالهم أقوال الفرق الأخرى حول تسمية العاصي من أهل القبلة. وقد رَأَسَهُم واصل بن عطاء (ت ١٣١هـ / ٧٤٨م)، ولما أرسل دعائه إلى مختلف الآفاق أرسل إلى اليمن القاسم بن السعدي (أو الصعدي)^(٢)؛ وذلك لكسب التأييد

(١) فوزي: الإمامة الأباضية في عمان، ص ٤٨ - ٤٩.

(٢) البلخي، عبدالله بن أحمد، أبو القاسم الكعبي (ت حوالي ٣١٩هـ): باب ذكر المعتزلة من كتاب المقالات، ضمن كتاب فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط ١، ١٤٣٩هـ / ٢٠١٧م، ص ٣-٤، ٨، ٩، ٧٥-٧٦.

لتعاليمه، ولكن يبدو أن تلميذ واصل الآخر وهو ضرار بن عمرو الذي كان في اليمن خلال الفترة من ١٥٣هـ حتى ١٥٩هـ / ٧٧٠-٧٧٦م تقريباً قد حالفه نجاح أكبر على الأقل في صنعاء^(١). وقد مرّ بنا اعتراف الإمام عبد الرزاق الصنعاني (ت ٢١١هـ / ٨٢٦م) بكثرة وجود المعتزلة في بلاده^(٢).

يبدو أن تقاربهم الفكري مع الزيدية في عصر الإمام الهادي لم يترك تمايزاً واضحاً يمكن التقاطه للمؤرخين، لكن يبدو على أية حال أن هذا الوجود بقي بعد عصر الإمام الهادي^(٣)، وقد ذكر المقدسي^(٤) في القرن ٤هـ / ١٠م أن "شيعاً صعدة، وأهل السروات، وسواحل الحرمين، معتزلة". ويترجح أن المعتزلة صاروا جزءاً من أنصار الإمام الهادي بعد مجيئه، وأنهم كانوا ضمن القوى الفكرية التي أيدت مشروعه؛ حيث وقف المعتزلة تاريخياً مع ثورات أئمة أهل البيت.

وهكذا يتبين أن وضعية اليمن السياسية والاجتماعية كانت متشرذمة، ومتفرقة، بين عدد من القوى السياسية والاجتماعية، ومن أهمهم ولاية العباسيين، واليعفريون، وبنو طريف، وبعض القوى الاجتماعية الفاعلة، وأنها كانت تعيش صراعاً مستمراً فيما بينها، كما ساهم التنوع الفكري والمذهبي في مزيد من التشرذم والتمزق، حيث عرف اليمن كثيراً من الحركات الفكرية والمذهبية، ومنها المذاهب السنية، والشيعة، والخوارج، والمعتزلة.

(١) ماديلونغ: الإسلام في اليمن، مجلة المسار، ص ١٦.

(٢) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج ٣٦، ص ١٨٦.

(٣) الطبري: مجالس الطبري، ص ٩٦-١٠٠.

(٤) أحسن التقاسيم، ص ٩٦.

الفصل الثاني

الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين وجهوده
العلمية والفكرية والسياسية والعسكرية

الفصل الثاني

الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين وجهوده العلمية

والفكرية والسياسية والعسكرية

من المهم التعرف على الإمام الهادي باعتباره محور أحداث هذه السيرة، خصوصاً في الجوانب التي لم تذكرها السيرة، وسيتم في هذا الفصل عرض شيء من حياته، ومؤهلاته الشخصية، وجهوده المتنوعة، وإنجازاته العديدة، وعلى النحو التالي:

أولاً: حياته الشخصية

١- أسرته

هو أبو الحسين يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب^(١).

جده: الإمام القاسم الرسي، سمي بـ "نجم آل الرسول"، وكان إماماً مبرزاً في أصناف العلوم، وله مصنفات عديدة في أصول الدين والفقه، وكان من عيون المتبحرين والمتكلمين، دخل عليه جعفر بن حرب الهمداني^(٢) (ت ٢٣٦هـ / ٨٥٠م) فجاراه في دقائق الكلام، فلما خرج من عنده قال لأصحابه: "أين كنا عن هذا الرجل، فوالله ما رأيت مثله"^(٣). وقد دعا إلى نفسه بالإمامة سنة ١٩٩هـ / ٨١٤م، وتنقل في بلدان مختلفة، وظل يحمل لواء الثورة ضد العباسيين، مثابراً على الدعوة، صابراً على الغربة، متحملاً للشدة^(٤). حكى الإمام الهادي عن أبيه أن المأمون كلف بعض العلويين للتوسط بينه وبين الإمام القاسم، وبذل في ذلك مالا عظيماً، وطلب منه أن يبدأ بكتاب أو يحبيه عن كتابه، فقال: "لا يراني الله تعالى أفعل ذلك أبداً"^(٥). ويبدو أنه وصل إلى اليمن مرتين في سبيل نشر دعوته، والثورة على الظالمين. وفي آخر عمره انتقل إلى الرس، وبني هناك لنفسه وولده، وتوفي ودفن بها سنة ٢٤٦هـ / ٨٦٠م^(٦).

(١) الهاروني: الإفادة، ص ٩٩؛ والمحلي: الحقائق الوردية، ج ٢، ص ٢٥.

(٢) من أئمة المعتزلة من أهل بغداد، وصنف كتباً. الزركلي: الأعلام، ج ٢، ص ١٢٣.

(٣) الهاروني: الإفادة، ص ٨٦؛ والمحلي: الحقائق الوردية، ج ٢، ص ٣.

(٤) الهاروني: الإفادة، ص ٩٢، ٩٣.

(٥) الهاروني: الإفادة، ص ٩٦ - ٩٧.

(٦) الهاروني: الإفادة، ص ٩٨.

وأبوه: الحسين بن القاسم، أحد تلامذة الإمام القاسم، والراوي عنه، وُصِفَ بـ"الإمام الكبير، والعالم، والحافظ"، وتوفي عام ٢٧٩هـ / ٨٩٢م^(١).

وأمه: أم الحسن بنت الحسن بن محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب^(٢).

وأما أعمامه، فهم محمد، والحسن، وسليمان، وعيسى، وموسى، وعلي، وإبراهيم، ويعقوب، وداود، وإسماعيل، ويحيى أبناء الإمام القاسم الرسي، اشتغل أبوهم على تهذيبهم، وتعليمهم، وتفقيهم، حتى صار كل واحد منهم يصلح للإمامة^(٣)، وقد مات منهم يحيى في حياة أبيه، وكان عالماً رئيساً^(٤)، وباسمه سُمِّيَ الهادي يحيى. وأشهرهم عمُّه محمد بن القاسم الذي كان شيخ أهل البيت والمقدم فيهم، وكان قد دعا إلى نفسه بالإمامة، وبايعه كثير من أهل اليمن، والحجاز، ومصر، ولكن لم يتم له أمر^(٥)، وكان هو وإخوته جميعاً يعظمون الهادي ابن أخيه تعظيماً بالغاً قبل ادعائه الإمامة وخروجه إلى اليمن، ولم يكونوا

(١) ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ٢، ص ١٧٩.

(٢) الهاروني: الإفادة، ص ٩٩.

(٣) المحلي: الحقائق الوردية، ج ٢، ص ٦؛ والوزير، الهادي بن إبراهيم (ت ٨٢٢هـ): هداية الراغبين إلى مذهب العترة الطاهرين، تح: عبد الرقيب حجر، مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية، صعدة، ط ١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، ص ٢٤١؛ والمؤيدي، مجد الدين بن محمد: التحف شرح الزلف، تح: محمد عزان، علي الرازحي، مؤسسة أهل البيت للرعاية الاجتماعية، ط ١، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ٧٩.

(٤) الهاروني: الإفادة، ص ٩٩؛ وابن عتبة، أحمد بن علي الحسني الداودي (ت ٨٢٨هـ): عمدة الطالب الصغرى في نسب آل أبي طالب، تح: مهدي الرجائي، قم، ط ١، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، ص ٩٩.

(٥) الهادي: المنتخب، ص ١٦، مقدمة محمد بن سليمان الكوفي؛ والعياني، القاسم بن علي، المنصور بالله (ت ٣٩٣هـ): التنبيه والدلائل، مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم العياني، تح: عبد الكريم جذبان، مكتبة التراث الإسلامي، صعدة، ط ١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، ص ٩٦-٩٩؛ والوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ج ٢، ص ٣١٨.

يخاطبونه إلا بالإمام^(١)، ثم أيد محمد بن القاسم الهادي في خروجه إلى اليمن، وقال بإمامته، وكان يتمنى أن تحمله رجلاه للجهاد بين يديه^(٢)، وقد توفي سنة ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م. ويتلوه عمه الثاني الحسن بن القاسم، وقد وُصفَ بأنه "فقيه أهل زمانه"، وكان من خيار أهل بيته، ثم شهد للهادي بالإمامة، وكان يقول: "اللهم أشهدك أني قد جعلت يحيى بن الحسين الحجة فيما بيني وبينك"، ثم التحق به للجهاد معه في اليمن، ومات هناك، ودفن بجواره^(٣). وثالثهم سليمان بن القاسم، وُصفَ بـ "السيد الكبير حافظ علوم آبائه"^(٤)، وقد شهد هو الآخر للهادي بالإمامة وبايعه وناصره^(٥).

وله أخ واحد هو عبد الله بن الحسين، كان إماماً في العلوم، وشاعراً مجيداً، وصفه القاضي محمد بن سليمان الكوفي^(٦) بـ "البارع في العلم، الناظر في جميع الفقه، والعالم بمعاني الأئمة". وله كتاب الناسخ والمنسوخ، خرج مع أخيه الإمام الهادي، واعتمد عليه الهادي في إدارة بعض ولاياته، وقيادة جيشه، والسفارة له إلى الكبراء، وتوفي بعد ٣٠٠هـ/ ٩١٢م^(٧).

(١) الهاروني: الإفادة، ص ١٠٤.

(٢) العلوي: السيرة، ل ١١ / أ، ب.

(٣) الهادي: المنتخب، ص ١٦، مقدمة محمد بن سليمان الكوفي؛ والعياني: التنبيه والدلائل، ص ٩٩؛ وابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ٢، ص ٩٠.

(٤) ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ٢، ص ٣٥٧.

(٥) الهادي: المنتخب، ص ١٦، مقدمة محمد بن سليمان الكوفي؛ ويحيى بن الحسين، يحيى بن الحسين بن القاسم (ت ١١٠٠هـ): المستطاب، مخطوط بمكتبة السيد العلامة محمد بن محمد المنصور، لدي نسخة إلكترونية، ص ٣٢-٣٣.

(٦) الهادي: المنتخب، ص ١٦، مقدمة محمد بن سليمان الكوفي. وستأتي ترجمة القاضي محمد بن سليمان في الفصل الثالث في مصادر السيرة، ص ٢١٦-٢١٨.

(٧) العلوي: السيرة، (انظر الفهرس: عبدالله بن الحسين)؛ ويحيى بن الحسين: المستطاب، ص ٣٧؛

٢- ولادته ونشأته

وُلِدَ الهادي في الرس بالقرب من المدينة المنورة سنة ٢٤٥هـ / ٨٥٩م، وساعة وُلِدَ أَتَى به إلى جدّه القاسم فأخذه، ووضعهُ في حجره، ودعا له، ثم قال لابنه: بم سَمَّيْتَهُ؟ قال: يحيى، فبكى القاسم حين ذكره، وقال: "هو والله يحيى صاحبُ اليمن"، وإنما قال ذلك "لأخبارٍ رُوِيَتْ بذكره وظهوره باليمن"^(١)، وقد ذكر المؤلف بعض تلك الأخبار المروية في السيرة.

نشأ الهادي أيضا في الرس، حيث الهجرة التي اختارها جده الإمام القاسم الرسي لأسرته، متوخيا بذلك البعد عن المدن وممارسات الظالمين والمنحرفين بأهلها، وكان قد شَدَّد على وجوب الهجرة عن الظالمين، وعدم مساكتهم^(٢). وكان عمه محمد بن القاسم يختار سكنى البادية على الأمصار، وأوصى أولاده بذلك^(٣). وقد نشأ الهادي في هذه الدار حيث الهواء النقي، والأجواء الصحية، والبيئة النظيفة التي تساعد على بناء الأجسام وصحة الأجساد، وقد كان العرب يتوخَّون إرسال أطفالهم إلى البادية لينشأوا نشأة صحية، ويتربوا على الفروسية، والأخلاق، والشجاعة، والفطرة السليمة، وقد انعكس ذلك على صحة الهادي وبنيته القوية وجسمه الضخم، ولهذا كان "موصوفا من أيام صباه بفضل القوة والشدة والبأس والشجاعة"^(٤).

وابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ٣، ص ٨١.

(١) الهاروني: الإفادة، ص ٩٩، ١٠٠.

(٢) الرسي، القاسم بن إبراهيم (ت ٢٤٦هـ): كتاب الهجرة، مجموع كتب رسائل الإمام القاسم بن

إبراهيم، تح: عبد الكريم جذبان، دار الحكمة البيانية، صنعاء، ط ١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ج ٢، ص ٢٤٣.

(٣) يحيى بن الحسين: المستطاب، ص ٣٣.

(٤) الهاروني: الإفادة، ص ١٠٠.

تلقى الهادي تعليمه الأولي في كُتَّاب تلك الهجرة حيث جميع أهلها معلّمون وعلماء ومرشدون، فتعلّم منهم القرآن^(١) ومبادئ القراءة والكتابة، وما يقوم به لسانه من آداب العرب، وأشعارهم وخطبهم، كما جرت عادة التعليم الابتدائي في الكُتَّاب في ذلك الزمان^(٢). وقد أفاد من الجو العلمي لأسرته؛ حيث أبوه ذلك الإمام الحافظ الزاهد، وأعمامه أولئك الذين كل فردٍ منهم يصلح للإمامة لكثرة علمه، وكان هو في صغره يتوفّر على العلم ويشغل به فقط لا بشيء غيره^(٣)، ومن المرجّح أنه - وهو الذي أوتي من الذكاء وقوة الإدراك والحفظ ما عُرِفَ عنه واشتهر - حفَظَ القرآن الكريم في صباه، وانطوى على معارف جُمليّة، وآداب عربية، شكّلت مبادئ وعيه وأساسيات معارفه.

إنّ فتى نشأ في ظل أسرة كريمة، أهمّ مكتسباتها العلم، وأفضل رصيدها الأخلاق، وأهمّ ما لديها أنها تحمل مشروعا لتغيير واقع الأمة بالشكل الذي كان عليه رسول الله وأهل بيته وصحابته، فإنه يترجّح أنه قد اكتسب تلك المعارف والاهتمامات والخلائق التي كانوا عليها. وأسرته الأسرة التي ترفّيت بعد مدنيّتها، فلا غرو أن تكتسب معارف المدينة ورقية، وتحفظ بأفضل ما في البداية من البساطة والتواضع والزهد والكرم، وفي ظلال ذلك نشأ وتربّى ذلك الفتى يحيى بن الحسين، وما جاءت تلك الأسرة إلى ذلك المكان (الرس) إلا للحفاظ على أخلاق أبنائها، وحتى لا يتعرّض فرد فيها لقهر ظالم ولا لاستبداد متكبر، فتعيش حياة الحرية والكرامة والعزة محتفظة بقيمها وأخلاقها وفطرتها.

(١) الهادي: المنتخب، ص ١٨٦.

(٢) الرباضي، مفتاح يونس: المؤسسات التعليمية في العصر العباسي الأول، منشورات جامعة ٧ أكتوبر، مصراتة، ط ١، ٢٠١٠م، ص ٦٧.

(٣) الهاروني: الإفادة، ص ١٠٠.

تربى الهادي على الزهد والقناعة، وقد كان الزهد أمرا شاملا في بيت جده القاسم، عاما في أولاده وأسباطه^(١)، وهناك تفتحت مداركه على التعرف على وضعية العالم الإسلامي وما يجثم عليه من ظلم وانحراف وفساد، حيث أسرته لها تاريخ طويل في مقارعة الاستبداد والظلم، وتعاقب أفرادها جيلا بعد جيل على قيادة الثورات ضد الأمويين ثم العباسيين. ولا بد أن هذا الفتى قد وعى أن جدّه القاسم بن إبراهيم كان يرجو ويؤمل أن يُحدث تغييرا كبيرا على مستوى العالم الإسلامي، وقد تعرّب وتشرد في سبيل ذلك، وتجوّل في البلدان، وتقلب في أطوار السراء والضراء، وقاسى جفوة الغرباء، ووعثاء الأسفار، ثم وهو في صباه قد عايش محاولات عمه محمد بن القاسم في مواصلة مشوار والده، ودعوة الثوار في العالم الإسلامي إلى إعادة وهج المشروع الإسلامي إلى الواقع العملي، وكل ذلك سوف يحدث في وعي الفتى الناشئ معارف سياسية هامة تشكل وعيه السياسي الأول، وتضع المداميك الأولى لمشروعه.

من المؤكّد أنه رأى وهو في صباه كثيرا من الغرباء الذين أمّوا قريته الرس طلبا للعلم، واهتداء إلى الرشيد، وسمع عنهم ومنهم، وقد كان طلاب جده القاسم يقدّون "إليه من آفاق الدنيا"، من الحجاز والعراق وطبرستان وغيرها، حينما اتخذ الرس مكانا للتعليم، "فأقبل على تعليمهم"^(٢)، كل ذلك يحدث والفتى يراقبه عن كثب، فيشب عن الطوق، ويبرز أقرانه فضلا وعلما ونشأة وأخلاقا وتربية، وعندئذ شاهد فيه أهله أمارات التميز والنبوغ، فأدركوا أن لهذا الفتى شأنًا يلوح في الأفق

(١) الهاروني: الإفادة، ص ١٠٠.

(٢) الرسي، القاسم بن إبراهيم (ت ٢٤٦هـ): جواب مسألة رجلين من أهل طبرستان، مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم، تح: عبدالكريم جذبان، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، ط ١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ج ١، ص ١٣، ٦٣٧؛ والهاروني: الإفادة، ص ٨٧.

يميزه عن سواه من الفتيان؛ ولهذا كان أبوه وعمومته يعظمونه بشكل أثار دهشة الحاضرين، ولم لا يكون كذلك وقد رووا الأخبار بأن له شأنًا كبيراً^(١).

٣- زواجه وأولاده

تزوَّج الهادي ابنة عمه فاطمة بنت الحسن بن القاسم، وقد أنجبت له ولدين وبنتين، هم محمد المرتضى، وأحمد الناصر، وزينب، وفاطمة وهي التي تزوجها محمد بن عبيد الله العباسي العلوي والد المؤلف، ثم لما دخل الهادي صنعاء عام ٢٨٨هـ/ ٩٠٠م - كما يبدو - تزوَّج امرأة صنعانية، فأنجبت له ولده الحسن^(٢).

- محمد أبو القاسم المرتضى

وُلِدَ ابنه محمد في الرس لعله في سنة ثمان وستين ومئتين^(٣)، وتعلَّم على يد والده حتى صار إماماً في العلوم، وكتب كثيراً من المؤلفات في علوم القرآن والأصول والفقه وغيرها، وقد شارك والده في أحداث هذه السيرة ووقائعها، ثم بايعه الناس بعد وفاة أبيه في ٢٩٨هـ/ ٩١٠م إماماً، وتلقب بالمرتضى لدين الله، لكنه بعد أن أوقع بالقرامطة وقتلهم فضَّل الاعتزال عن الولاية؛ لما شاهد من أحوال الناس وفساد طرائقهم، ثم توفي سنة ٣١٠هـ/ ٩٢٢م^(٤).

(١) الهاروني: الإفادة، ص ١٠٤؛ والمحلي: الخدائق الوردية، ج ٢، ص ٢٥.

(٢) الهاروني: الإفادة، ص ١٠٥.

(٣) ورد في الإفادة للهاروني ص ١٣٠ أنه ولد في سنة ثمان وسبعين ومئتين. غير أن هذا يُشكَّلُ بأنَّ المرتضى كما ورد في السيرة (ل ٤/أ، ٣١/أ، ٣٢/أ-ب) كان قد أصبح في عام ٢٨٥هـ فارساً مقاتلاً، وخطيباً مصقعا، وعاملاً من عمال أبيه على خيوان، وهذا لا يتأتَّى لمن كان عمره سبع سنوات؛ ولهذا يترجح أنه قد ولد قبل ذلك بعشر سنوات في أقل الأحوال.

(٤) الهاروني: الإفادة، ص ١٣٠-١٣١؛ وعبد الله بن حمزة، المنصور بالله (ت ٦١٤هـ): الشافي، تح: مجد الدين المؤيدي، مكتبة أهل البيت، صعدة، ط ١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ج ١، ص ٨٧٢-٨٧٣.

- أحمد الناصر

وُلِدَ بعد أخيه المرتضى، ولعله في سنة ٢٧٠هـ / ٨٨٣م^(١)، وتعلم على يد والده، وصار إماما محرزاً للعلم أصوله وفروعه، وكتب كثيراً من المؤلفات التي تدل على تضلعه، وقد بويع بالقيام بعد اعتزال أخيه وعقب عودته من الحجاز سنة ٣٠١هـ / ٩١٣م، وحقق كثيراً من الانتصارات على خصومه لا سيما القرامطة، وأهم وقعاته ضدهم وقعة نغاش^(٢) في ٣٠٧هـ / ٩٢٠م^(٣)، التي انتصر فيها عليهم انتصاراً ساحقاً، ويترجح أنه توفي سنة ٣٢٢هـ / ٩٣٤م^(٤).

- الحسن

ولد سنة ٢٩٠هـ / ٩٠٢م تقريباً، وتربى في حجر أبيه ثم مع أخويه، ثم صار عالماً، وكان من أعضاء أخيه الناصر، وقد قتل وهو يقاتل معه في معركة نجران في ٥ جمادى

٨٧٦؛ والمحلي: الخدائق الوردية، ج ٢، ص ٨٠-٨٧؛ والوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ج ٢، ص ٣٥٢-٣٥٥.

(١) إذ سيرد في السيرة (ل ٣١ / أ) أنه كان مع أخيه أبي القاسم محمد في خيوان سنة ٢٨٥هـ حينما أراد النيل منهما أرحب بن الدُّعَام، وهذا يشير إلى أنه كان في ذلك الوقت قد بلغ مبلغ الرجال.

(٢) نغاش: سيأتي التعريف بها في النص المحقق، ص ٧٩٥.

(٣) العلوي: السيرة (الفهرس: الناصر أحمد بن يحيى)؛ والهاروني: الإفادة، ص ١٣٢-١٣٣؛ وعلي بن بلال: تنمة المصابيح، ص ٥٩٨-٦٠١؛ وعبد الله بن حمزة: الشافي، ج ١، ص ٨٧٦-٨٧٨؛ والمحلي: الخدائق الوردية، ج ٢، ص ٨٨-١٠٠؛ والوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ج ١، ص ٢١١-٢١٣.

(٤) ذكر الهاروني أنه توفي سنة ٣١٥هـ، وذكر كذلك علي بن بلال، إلا أنه قال: (أظنه)، وفي الخدائق الوردية: توفي سنة ٣٢٠هـ في نسخة، و٣٢٥هـ في نسخة أخرى، ولكنه قال: إن مدة ظهوره إماماً كانت ثلاثاً وعشرين سنة، ولعل ما ورد في ملحق السيرة (ل ١٤٣ / أ) وهو أنه توفي في ضحى الأربعاء ١٨ جمادى الآخرة سنة ٣٢٢هـ / ٩ يونيو ٩٣٤م هو الأصح؛ لأن هذا المصدر هو أقرب المصادر من الحادثة؛ إذ يبدو أنه أُلِّف بعد بضع سنوات فقط من وفاة الناصر كما سيأتي، ولأنه ذكر ذلك بشيء من التفصيل الذي ينبئ عن دراية وعلم.

الآخرة ٣٢٢هـ / ٢٧ مايو ٩٣٤م، أي قبل وفاة الناصر باثني عشر يوماً فقط^(١).

٤- أوصافه الخلقية والخلقية

تمتّع الهادي بصفات خلقية وخلقية متنوعة، وخلال متعددة، وكان بها كاملاً في الرجال، معدوداً في العظماء، فقد حُكي أنه كان "أسدياً، أنجل العينين، واسع الساعدين، غليظهما، بعيداً ما بين المنكين والصدر، خفيف الساقين والعُجز، كأنه الأسد"^(٢). وتدل الحوادث أنه كان أيّداً قوياً ثقيلاً من غير سَمَنٍ، بل كان وسطاً من الرجال، ولم يكن يطيقه من الدواب سوى القوي منها، ومنها فرسه أبو الحماحم^(٣)، وكان يُزيل سِكةً المسكوكات بإصبعه، وقبض يوماً على يد رجل أراد أن يضربه بالسيف، فهشم أصابعه على مقبض السيف^(٤)، وكان يمسك البعير القوي بقوائمه، فلا يقدر البعير على التحرك والنهوض^(٥)، وكان في أوان بلوغه يدخل سوق المدينة فيدخل يده في وعاء الحنطة فيأخذ منها في كفه فيطحنها بيده^(٦).

بالإضافة إلى ما منحه الله من ذكاء فطري، وقوة جسمانية، كان شجاعاً لا يرهب الموت، ويطرب للقاء الأقران، وقد اشتملت هذه السيرة على عدد من المواقف القتالية برز فيها قطبا تدور عليه رحى المعارك، وإذا حمي الوطيس كان أمام جنوده وفي مقدمة صفوفهم، وربما واجه جيش أعدائه بمفرده، وحول مسار

(١) العلوي: السيرة، ل ١٤٢ / ب - ١٤٣ / أ (الملحق)؛ والهمداني: الإكليل، ج ١، ص ٢٩٤؛ والهاروني: الإفادة، ص ١٠٥؛ وابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ٢، ص ١٥٤ - ١٥٧.

(٢) الهاروني: الإفادة، ص ١٠٧؛ وعلي بن بلال: تنمة المصاييح، ص ٥٧٤.

(٣) الهاروني: الإفادة، ص ١٠٧؛ وعلي بن بلال: تنمة المصاييح، ص ٥٧٢ - ٥٧٣.

(٤) علي بن بلال: تنمة المصاييح، ص ٥٧٣.

(٥) المحلي: الحقائق الوردية، ج ٢، ص ٢٦.

(٦) الهاروني: الإفادة، ص ١٠١.

المعركة من الهزيمة إلى النصر^(١)، ومثل هذا لا يكون إلا في الرجال النادرين، ممّن يتمتعون بالشجاعة الكافية.

وكان مع تلك الشجاعة الفائقة حليماً رقيقاً، لا يلجأ للقتال والحرب إلا بعد استنفاد وسائل السلم، وإذا غلب وقدر عفا وتغاضى، وقد اعتدت عليه بعض القبائل وهو في طريق هجرته إلى اليمن، وبدأوه وأصحابه بالهجوم والرمي، ولما قدر عليهم وهزمهم وأسر منهم جماعة، سار بهم معه ساعة من نهار، ثم أمر بكسوتهم والإحسان إليهم، وصرفهم إلى عشائهم^(٢). وفي ثنایا هذه السيرة ظهر حلمه المتكرر على خصومه الذين كانوا يبدأونه بالقتال، ويبادرونه بالحرب، فإذا قدر عليهم وانتصر عفا عنهم، ثم إذا عادوا وانتصر عليهم مرة أخرى، وطلبوا منه أن يعفو عنهم، لم يكن يتردد في العفو عنهم مرة ثانية، حتى أنه ذكر أن ذلك العفو المتكرر هو الذي أفسد عليه أولئك الذين لم يستفيدوا من عفوه^(٣).

وكان صريحاً في خصومته لا يعرف الخداع والمكر، ولا يطيقه، وإذا رأى ضرورة لمواجهة مع خصمٍ أعلنه بالخصومة، ونبذ إليه على سواء، فقد عفا مرة عن بني الحارث، ونادى مناديه بالأمان لهم جميعاً، إلا رجلين، كانا قد ارتكبا جرماً خطيراً، فأذنهما بالعداوة، وصرّح لهما بالأمر^(٤)، وكان بإمكانه الوصول إليهما والقبض عليهما بدون هذه المكاشفة، لكنه لم يُسَجِّل عليه مرة واحدة خداعاً أو غدرٌ أو مكرٌ، رغم ما كان يلاقيه من خصومه من ذلك. وكان "إذا أعطى أماناً

(١) في إحدى معاركه بصنعاء انهزمت ميسرته، ووصل أعداؤه إلى خلفه، فحمل هو على قلب أعدائه بمفرده، واستطاع أن يهزمهم؛ الأمر الذي شجع أصحابه المنهزمين على التقدم مرة أخرى، حتى أخذوا زمام المبادرة وألحقوا هزيمة ساحقة بخصومهم. العلوي: السيرة، ل ٨١ / أ.

(٢) العلوي: السيرة، ل ١١ / ب.

(٣) العلوي: السيرة، ل ٦٤ / ب.

(٤) العلوي: السيرة، ل ٦١ / ب.

قوما محاربين له زالت الجبال من قبل أن يزول، بل يحفظهم في أموالهم، ويحوطهم في غفلاتهم، ويفي بدمته لهم"^(١)، ولما أراد أحد أصحابه أن يخدع رجلا من أعدائه ليقتله بعد إيهامه له بالأمان، قال له: "والذي نفسي بيده لو قتلته بعد هذا، أو مكرت به، لضربت رقبتك"^(٢).

لقد كان يهيمه أن ينتصر في ميدان الأخلاق، قبل أن ينتصر في ساحات المعارك، وكانت المبدئية من أهم صفاته وخلاله، لا يتنازل عنها حتى في أحلك المواقف وأسوأ الحالات؛ ذلك أنه كان ينطلق من الشعور بالمسؤولية تجاه إصلاح الأمة واستصلاح أفرادها؛ ولهذا كان في حله وترحاله يبكي الشكلى على أحوال أهل الإسلام والأمة وما أصابها^(٣)، وكان "كثير الفكر في صلاح أهل الإسلام، مظهرا للشفقة عليهم، والرحمة لهم"، لا يفتأ عن عظمتهم وإرشادهم، وأمرهم بطاعة الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر^(٤).

وكان صاحب مشروع إصلاحى عادل ينحاز للإنسان، وينتصر لقضاياه، وينطلق من رؤية تنويرية، تعتمد الإسلام وتعليماته أساسا للتحرك؛ ولهذا فقد كان رجل دولة، وقائد أمة، وهاديا إلى الخير، توفرت فيه قدرات قيادية فذة، وهمة عالية، وطموح لا حدود له، وحس تحليلي عال، وكان زعيما جماهيريا ذا قدرات خطابية مؤثرة، يلهب حماس الجماهير، ويستثير بكلماته لوعتهم، ويحرك بخطاباته عواطفهم، فإذا بالمحاربين القساة، والمقاتلين المتخاصمين الأشداء، يكون لوقع

(١) المرتضى، محمد بن يحيى بن الحسين، أبو القاسم (ت ٣١٠هـ): مسائل عبد الله بن الحسن، مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى، تح: عبدالكريم جديان، مكتبة التراث الإسلامي، صعدة، ط ١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، ج ٢، ص ٥٤١.

(٢) المرتضى: مسائل عبد الله بن الحسن، مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى، ج ٢، ص ٥٤١.

(٣) العلوي: السيرة، ل ١١ / ب.

(٤) العلوي: السيرة، ل ٤٠ / أ.

كلماته، ويضجّون لسماع مواعظه^(١).

وكان ذا طموح كبير، وقد عبّر عنه تهديده لبني العباس في شعر له، بغزوهم في العراق مع كلّ بطل "ذي حنق يمانى"^(٢)، وكان يرجو أن يردّ عليهم في بغداد في "كتائب مُرغِمات لأنوفهم" من أنصاره اليمنيين الذين ذكّر أنه ورد مقالٌ فيهم عن رسول الله ﷺ بأنهم سينصرون الإسلام في آخر الزمان^(٣). وكان يمتلك زمام المبادرة دائماً، قوي الشخصية، لا يردّه عن تبليغ الحق والدعوة إلى مشروعه لومة لائم، ولا ضعف حالة، ولا يتردّد أن يبشّر بمشروعه العابرين، ولا يتلكأ عن الإرشاد للمسافرين. وكان في كل حالاته يتميز بالعدل والمساواة والحرص على تحقيقهما في واقع الأمة، ولا يستجيز أن يغفو غفوة خفيفة، وهو يظن أن في بابه مظلوماً يطلب الإنصاف^(٤).

كل ذلك كان، وهو في حالة من الانقطاع إلى الله وتعبيد النفس لله، والزهد، والورع، والتواضع، والبساطة، والوضوح، وقد وصفه علي بن بلال^(٥)، فقال: "وكان... إماماً سابقاً فاضلاً فقيهاً عالماً بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ عاملاً بهما، غير عادل عنهما إلى غيرهما، ورعاً ديناً زاهداً ناصحاً جواداً سخياً كريماً مبرّزاً في جميع الخصال المحمودة المقربة إلى الله جل جلاله"، "وكان مع هذا مجتهداً عابداً يصوم أكثر أيامه، ويحيي أكثر ليله تهجداً وصلاة". وكان يأوي أكثر ليلاته إلى بيت صغير

(١) ينظر حول هذه الصفات العلوي: السيرة، ل ١٢ / أ.

(٢) العلوي: السيرة، ل ٦٦ / ب - ٦٧ / أ.

(٣) العلوي: السيرة، ل ١٠٦ / ب - ١٠٧ / أ.

(٤) الهاروني: الإفادة، ص ١١٠.

(٥) تنمة المصباح، ص ٥٧٩، ٥٨١. وهو علي بن بلال الأملي، عالم، حافظ، محدث، فقيه، من علماء الزيدية في آمل (طبرستان)، وخلف عدداً من المؤلفات. الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ج ٢، ص ٣٥.

في داره، اتخذهُ للعبادة، وقد راقبه خادمه سليم ذات ليلة، فوجده يقطعُ الليل ركوعاً وسجوداً، قال: "وكنت أسمع وقع دموعه ونشيجاً في حلقه"، ولما عرف أن خادمه قد اطلع على عبادته حرَّج عليه أن لا يحدث بذلك في حياته أبداً^(١).

٥- وفاته

توفي الإمام الهادي بصعدة يوم الأحد لعشر بقين من ذي الحجة ٢٩٨هـ / ١٨ أغسطس ٩١١م عن ٥٣ عاماً، وكان قد اعتلَّ علة شديدة إلا أنه مضى وهو جالس لم تتغير جلسته، ودفن يوم الاثنين قبل الزوال^(٢). وقد ذكرت بعض المصادر^(٣) أن وفاته كانت بالسم. وأضاف الزحيف^(٤) أنه سُمَّ على يد بعض خواصه، وأن الهادي شَعَرَ بذلك، وأنه قال له: "هل استجَدَّتْ الجُعْلُ؟"^(٥)، بشكلٍ يوحي أن هناك مؤامرة، غير أن الذي يترجَّح أنه توفي وفاةً عادية؛ لعددٍ من القرائن والأسباب، ومنها:

١- أن ولديه المرتضى والناصر تحدَّثا في وثائق رسمية معاصرة عن وفاته بأنها وفاة عادية، ولم يذكرا أنه تُوفِّيَ بالسم؛ فقد خطب المرتضى في الجماهير التي

(١) الهاروني: الإفادة، ص ١٠٧-١٠٨.

(٢) العلوي: السيرة، ل ١٣٩/ ب (الملحق)؛ والهاروني: الإفادة، ص ١١٣.

(٣) الصعدي، عبدالله بن محمد بن حمزة بن أبي النجم (ت ٦٤٧هـ): درر الأحاديث النبوية بالأسانيد الحيوية، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عمان، ط ١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م، ص ١٥٢؛ والشرفي: اللآلئ المضية، ج ١، ص ٤٧٨؛ والمؤيدي: التحف، ص ١١١.

(٤) الزحيف، محمد بن علي بن يونس، المعروف بابن فند (كان حياً في ٩١٦هـ): مآثر الأبرار في تفصيلات مجملات جواهر الأخبار، تح: عبدالسلام الوجيه، وخالد المتوكل، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عمّان، ط ١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، ج ٢، ص ٦١٠.

(٥) أي الجائزة التي جُعِلَتْ له.

حضرت للعزاء في وفاته، ولم يذكر ذلك^(١)، وقال في أحد مؤلفاته^(٢) عن وفاته: "حتى إذا انصرفت حياته، وحضرت... وفاته، اختار الله له ما عنده، ونقله إلى دار كرامته"، والإمام المرتضى كأهل بيته يرون أن القتل بالسم فعلٌ للإنسان وليس فعلاً لله، وأنه خرمٌ أجل^(٣)، ولو قتل والده بالسم لما نَسَبَ ذلك إلى الله، لا سيما وقد قال في موضع آخر عن وفاة أبيه: "والموتُ حكمُ الله سبحانه على جميع عباده حتى يرث الأرض ومن عليها"^(٤). ومثله أخوه الإمام الناصر في رسالته إلى أهل طبرستان^(٥)، ذَكَرَ أن وفاته كانت اختياراً من الله حيث قال: "فلما توفي... واختار له ما لديه من جزيل ثوابه، وكريم مآبه".

٢- لم يذكر قدامى المؤرخين الزيدية قصة السم هذه حينما ذكروا وفاته، ومنهم صاحب ملحق سيرة الهادي^(٦) (ت ٤٠٠هـ/ ١٠م)، والإمام أبو طالب الهاروني^(٧) (ت ٤٢٤هـ/ ١٠٣٢م)، والشيخ علي بن بلال^(٨) (ت ٤٠٥هـ/ ١١م)، وحتى الإمام عبدالله بن حمزة^(٩)

-
- (١) علي بن بلال: تنمة المصاييح، ص ٥٩١-٥٩٢.
 (٢) المرتضى، محمد بن يحيى بن الحسين، أبو القاسم (ت ٣١٠هـ): كتاب الغفلة، مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى، تح: عبد الكريم جدران، مكتبة التراث الإسلامي، صعدة، ط ١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ج ٢، ص ٦٩٦.
 (٣) القاسم بن محمد، المنصور بالله (ت ١٠٢٩هـ): كتاب الأساس لعقائد الأكياس، مكتبة أهل البيت، صعدة، ط ٢، ١٤٣٦هـ، ص ٩٦-٩٧.
 (٤) الربيعي: سيرة الأميرين، ص ٢٩٤، رسالة المرتضى إلى الريان الحمداني.
 (٥) الشامي: اليمن والأئمة، ص ٤٧.
 (٦) العلوي: السيرة، ص ١٣٩/ ب (الملحق).
 (٧) الإفادة، ص ١١٣. والإمام الهاروني هو يحيى بن الحسين بن هارون الحسني، من أئمة الزيدية في شمال إيران، دعا بعد وفاة أخيه الإمام المؤيد بالله سنة ٤١١هـ، وألّف عدداً من المؤلفات في الأصول والفقه والتاريخ وغيرها. المؤيدي: التحف، ص ١٣٩-١٤٢.
 (٨) تنمة المصاييح، ص ٥٨٢.
 (٩) الشافي، ج ١، ص ٨٤٨. والإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة بن سليمان، أحد أبرز أئمة اليمن

(ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م)، والشهيد المحلي^(١) (ت ٦٥٢هـ/ ١٢٥٤م)؛ وهو أمرٌ يفيد أن القضية أثّرت لاحقاً.

ولما شاع موته جأر الناس بالبكاء والنحيب، واجتمع الناس إلى باب داره، فخرج إليهم ولده أبو القاسم محمد، فوعظهم، وذكّرهم بالله سبحانه، وعزّاهم وعزّوه فيه^(٢). ودُفِن جنوب مسجده الذي كان قد أمر ببنائه، وكانت عمارته قد بلغت نصف قامة الرجل، وقد جُمع فيه جمعة واحدة^(٣). وتبارى الشعراء والخطباء في رثائه، ومنهم الشاعر إبراهيم بن الجدوبة (أو الجدوية)^(٤) (ت ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م)، الذي رثاه بقصيدة تعرّض فيها لجرائم القرامطة بحق أهل صنعاء، وموقفهم من الإمام الهادي^(٥). وقال في قصيدة أخرى:

وَهَتْ عَضْدُ الْإِسْلَامِ وَانْدَقَّ كَاهِلُهُ وَغَالَتْ بَنِيهِ فِي الْأَنَامِ غَوَائِلُهُ^(٦)

علماً وفصاحة وسياسة، انتصب للإمامة سنة ٥٩٤هـ، وترك عدداً من المؤلفات في مجالات عديدة، منها كتاب الشافي المذكور سابقاً، والعقد الثمين، والرسالة الناصحة، وغيرها. ينظر المؤيدي: التحف، ص ١٦٤-١٦٩.

(١) الحداثق الوردية، ج ٢، ص ٤٩. والشهيد المحلي هو حميد بن أحمد بن محمد الوادعي الهمداني، أحد مشاهير علماء اليمن في القرن السابع الهجري، كان متكلماً أصولياً مؤرخاً، استشهد وهو يقاتل مع الإمام المهدي أحمد بن الحسين سنة ٦٥٢هـ. الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ج ١، ص ٤٠٨-٤١٠.

(٢) الصعدي: درر الأحاديث النبوية، ص ١٥٣.

(٣) الشرفي: اللآلي المضية، ج ١، ص ٤٧٨.

(٤) ذكر ابن أبي الرجال أنها لشاعر يدعى إبراهيم بن الحد، ويبدو أنه هو إبراهيم بن الجدوبة نفسه، وإنما وقع في اسمه تصحيف، وهو إبراهيم بن محمد بن الجدوبة (أو الجدويه) من الفرس، وكان من أشعر أهل عصره، يسلك مسلك الكمية في تشييعه وشعره. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٠٧؛ وابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ١، ص ١٧٥-١٧٨.

(٥) ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ١، ص ١٧٥-١٧٨.

(٦) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٠٧؛ وابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ١، ص ١٧٥.

وقد غادر الهادي الدنيا " ولم يَخْلُفْ ديناراً ولا درهما ولا عقاراً ولا أثاثاً" ^(١)، بل إنه لم يوجد له كفن إلا بالشراء ^(٢).

وهكذا يَتَّضِحُ أَنَّ الإمامَ الهاديَّ عاش حياة البسطاء، لكنه كان من الرجال العظماء، وقد هيَّأَتْهُ ظروفُهُ الشخصية والعائلية، وما منحه الله من صفات وخلال مميزة لأن يكون رجل تلك المرحلة، وقائد تلك الأمة.

(١) علي بن بلال: تنمة المصاييح، ص ٥٩٠.

(٢) المرتضى: كتاب الغفلة، ج ٢، ص ٦٩٦.

ثانياً: جهوده العلمية

١- تعلمه وشيوخه

أقبل الهادي على طلب العلم والدرس، وواظب "على النظر في الفقه"^(١)، وظل منذ صباه متفرغاً لطلب العلم متوفراً عليه^(٢)، وكان يرى أن الله عز وجل "لم يغفر لأحد بالجهل، فالواجب عليه أن يكون عمره كله في طلب الخروج من الجهل إلى العلم"^(٣). وهناك في الرس حيث أبوه وأعمامه، تلقى تعليمه عنهم، لا سيما عن والده، الذي اختص بلقب (الحافظ)؛ حيث كان يحفظ علوم ومرويات أهل بيته عن أبيه القاسم، كما أخذ عن عمه الإمام محمد بن القاسم، الذي كان هو الآخر عالم أهل البيت، وكبيرهم^(٤). ونال من العلم منالاً عظيماً، وأدرك منه ما لم يدركه غيره في وقت إدراكه^(٥)، ولا يبعد أنه "طاف الحجاز"^(٦)، ولا سيما مدينة جده الرسول ﷺ لتلقي العلوم والتزود من معارفها المتنوعة، ولدى شيوخها المقصودين، من غير إخلال بما كان عليه أهل بيته من عقيدة ومبدأ وطريقة، وبما لا يخالف عقائدهم وأصولهم؛ إذ هو نفسه في كتاب القياس^(٧) يذكر أن أحد

(١) علي بن بلال: تنمة المصابيح، ص ٥٧٦.

(٢) الهاروني: الإفادة، ص ١٠٠.

(٣) الهادي، يحيى بن الحسين (ت ٢٩٨ هـ): ذكر خطايا الأنبياء، مجموع رسائل الإمام الهادي إلى الحق القويم، تح: عبدالله الشاذلي، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء، ط ١، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١ م، ص ٤٥٧.

(٤) الوزير: هداية الراغبين، ص ٢٥٧، ٢٥٨.

(٥) المحلي: الحقائق الوردية، ج ٢، ص ٢٨.

(٦) الوزير: هداية الراغبين، ص ٢٥٨.

(٧) كتاب القياس، مجموع رسائل الإمام الهادي إلى الحق القويم، تح: عبدالله الشاذلي، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء، ط ١، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١ م، ص ٥٠٠.

أسباب الاختلاف بين أهل البيت هو تتلمذ بعضهم على غير آبائهم. وقد بلغ الإمام الهادي في العلم مبلغاً عظيماً فلم يصل عمره سبع عشرة سنة، أي عام ٢٦٢ هـ/ ٨٧٥ م حتى بلغ من العلم "مبلغاً يختار عنده ويصنف"^(١)، ومن المرجح أن أهل بيته وشيوخه في العلم كانوا يَخْصُونَهُ بمزيدٍ من العناية والاهتمام؛ لما كانوا يروونه فيه من المستقبل العظيم الشأن؛ الأمر الذي كان يحملهم على تعظيمه وتوقيره وهو لا يزال في مقتبل عمره^(٢).

طاف الهادي في العالم الإسلامي خارج الحجاز بعد بلوغه في العلم مبلغ الاجتهاد، فقد حطَّ رحاله يوماً في بغداد حاضرة الخلافة العباسية، وحضر فيها مجلس القاضي أبي خازم القاضي^(٣) عبد الحميد بن عبد العزيز الحنفي (ت ٢٩٢ هـ/ ٩٠٤ م)^(٤)، قال الراوي في وصف حضوره تلك الحلقة: "فدخل شابُّ له رواءٌ ومنظرٌ، فأخذته العيون، ومكَّونه، فجلس في غمار الناس، فما جَرَتْ مسألةٌ إلا خاض فيها، وذَكَرَ ما يختاره منها، ويَحْتَجُّ ويناضِرُ، فجعلوا يعتذرون إليه من التقصير، ثم أسرع النهوض، فقبل لأبي خازم: هذا رجل من أهل الشرف من ولد الحسن بن علي عليه السلام"، فلما كان موعدُ المجلس الثاني اجتمع الناس وكثروا شوقاً

(١) الهاروني: الإفادة، ص ١٠١.

(٢) الهاروني: الإفادة، ص ١٠٤.

(٣) الهاروني: الإفادة، ص ١٠٣. وقد التبس على الإمام الهادي الوزير، في كتابه هداية الراغبين، ص ٢٥٨، مجلس القاضي أبي خازم بمجلس أبي الخطاب فقيه الكوفيين حيث ذكر أنه كان في (الري)، ولم يرد في ترجمة أبي خازم القاضي أنه سكن الري أو استوطنها، كما سيأتي.

(٤) القاضي أبو خازم: ولد سنة ١٩٨ هـ، وولي قضاء الكوفة أولاً، ثم قضاء الشام سنة ٢٦٤ هـ، ثم عاد إلى بغداد عام ٢٧١ هـ، وولي القضاء فيها للمعتضد سنة ٢٨٣ هـ، أصله من البصرة، وسكن بغداد، وحدث بها. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت، أبو بكر (ت ٤٦٣ هـ): تاريخ بغداد، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠٢ م، ج ١٢، ص ٣٣٨؛ وابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج ٣٤، ص ٧٧، ٧٨، ٨٧.

إلى كلامه، ورجاء أن يعاود الحضور، لكنه لم يحضر خوفاً من السلطان، فكان أبو خازم يقول: "إن يكن من هؤلاء أحدٌ منه أمرٌ فهذا"^(١). ويبدو أن تلك الرحلة العلمية والاستطلاعية كانت بعد عودة القاضي أبي خازم من قضاء الشام عام ٢٧١هـ/ ٨٨٤م^(٢).

واصل الهادي رحلته شرقاً، فحطَّ رحاله في آمل^(٣)، في أيام الإمام محمد بن زيد (٢٧١هـ-٢٧٦هـ/ ٨٨٤م-٨٨٩م)، وكان معه فيها "أبوه وبعض عمومته والموالي"^(٤). فسارع الناس إليه، حتى امتلأ النزل الذي نزلوا فيه؛ الأمر الذي أزعج حكومة الإمام محمد بن زيد هناك، فكتب إليه وزيرها بأن "ما يجري يوحش ابن عمك"، فأجابه الهادي قائلاً: "ما جئنا ننازعكم أمركم، ولكن ذُكر لنا أن لنا في هذه البلدة شيعة وأهلاً، فقلنا: عسى الله يفيدهم منا"، وخرجوا مسرعين، وثيابهم عند القصَّار، وخفافهم عند الإسكاف ما استرجعوها^(٥).

ويترجَّح أنه في تلك الرحلة التقى أبا القاسم البلخي^(٦) (ت ٣١٩هـ/ ٩٣١م) في آمل^(٧)، لقاء النَّدِّ بالنَّدِّ، والعالم بالعالم، وتناقش وإياه حول عدد من المسائل الأصولية التي

(١) الهاروني: الإفادة، ص ١٠٢-١٠٣.

(٢) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج ٣٤، ص ٧٨.

(٣) آمل: من أعيان مدن طبرستان، تقع اليوم في محافظة مازندران الإيرانية. الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ١٣؛ والبغدادي، علي: دليل المسافر إلى إيران، مؤسسة أبناء روح الله للثقافة والفن الدولية، ط ٢، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، ص ٤١١.

(٤) الهاروني: الإفادة، ص ١٠٤.

(٥) الهاروني: الإفادة، ١٠٤-١٠٥.

(٦) البلخي: عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي، أحد أئمة معتزلة بغداد، له مصنفات عديدة، وله آراء كلامية انفرد بها. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١٧، ص ١٧؛ والزركلي: الأعلام، ج ٤، ص ٦٥.

(٧) حيث كان كاتباً للإمام محمد بن زيد (ت ٢٧٦هـ) في آمل. ماديلونغ، فيلنر: أخبار أئمة الزيدية، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، ١٩٨٧م، ص ١٢٢.

كانت مثار النقاش في ذلك الوقت، وليس لقاء التلمذة والاتباع كما يُفهم من كلام بعض المؤرخين^(١)؛ لأن الإمام الهادي في ذلك الوقت كان قد وصل إلى عمر ٢٧ عاما على أقل تقدير، وصار مشارا إليه بالبنان عند كبار أهل بيته في العلم، حتى أنهم كانوا يلقبونه بالإمام، وكان يعتز بعلوم آبائه ومذهبهم وعقيدتهم، وإن حصل تشابه في الآراء الاعتقادية بينهما فلأن المعتزلة كانوا قد أخذوا كثيرا من أصولهم عن علماء أهل البيت، بل عن الإمام علي نفسه كما تقدم^(٢).

٢- نشاطه التعليمي

كان الإمام الهادي كثيرا ما يبحث عن طلاب العلم لإفادتهم، فكان يردد: "أين الراغب؟ أين من يطلب العلم؟"، وكان يأتيه كثير من الناس للجهاد بين يديه، فكان يرجو لو كان لديهم أيضا رغبة في العلم "لصادفوا من يحيى بن الحسين علما جما" كما كان يقول^(٣). وفي آخر عمره همّ بالتفرغ أكثر لتدريس ونشر العلم، فحالت المنية بينه وبين ذلك^(٤)، وربما كان تحرك تلامذته في نشر علمه بعد موته - كما سيأتي - كان استجابة وتلبية لرغبة أو وصية شيخهم الإمام الهادي. وكان طيلة عهده في اليمن لا يفتأ عن تعليم الناس وعظمتهم، بل كان يعدّ تعليم الرعية فرضا من الله على إمام الأمة، وقد قال في الأحكام^(٥): "ويجب للرعية على

(١) يحيى بن الحسين: المستطاب، ص ٣٢.

(٢) ينظر أيضا نعمان، عبدالفتاح شاييف: الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي واليا وفقهيا ومجاهدا، ط ١، ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م، ص ٧٨-٨١؛ والحوثي، محمد شرف الدين: مقالة: هل أخذ الإمام الهادي يحيى بن الحسين عن أبي القاسم البلخي، منشورة في قناته على التلغرام، بتاريخ ١٣ يونيو ٢٠١٩ م على الرابط: <https://t.me/mohammedalhoothi>.

(٣) الهاروني: الإفادة، ص ١٠٨؛ وعبد الله بن حمزة: الشافي، ج ١، ص ٨٤٥.

(٤) الصعدي: درر الأحاديث النبوية، ص ١٥٢.

(٥) ج ٢، ص ٤٠٢.

الإمام أن يهديهم إلى الحق، ... ويحملهم على كتاب ربهم، ويفقههم في الدين، ويقربهم من رب العالمين"، كما تضمن خطاب توليته لعماله وجوب تعليمهم للرعية ما أوجب الله عليها "من معرفته سبحانه، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف الأكبر، والنهي عن المظالم والمنكر، وترك معاصي الله، والتعدي في أمر الله"^(١)، وفي عهده الذي كتبه إلى ولاته أول وصوله اليمن أمر أن يكون أول أعمالهم هو إقامة التعليم العام، تعليم الناس الصلاة، وما يُصلُّون به من مفصل القرآن^(٢)، وأصول الدين، وفضل الجهاد والمجاهدين، ومعرفة الحق والمحقين، والولاية لأهل البيت^(٣).

نشط الهادي إلى الحق في مجال التثقيف والتعليم العام لجميع الرعية^(٤)، ففي الجمع والمناسبات والزيارات كان بنفسه "يعظ الناس ويذكرهم"^(٥)، "وكان كثير المواعظ للخلق يأمرهم بالطاعة لله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر"^(٦)، وقد وصفه المرتضى ولده بعد وفاته أمام الجماهير في وداعه قائلاً: "كان لكم الهادي - ﷺ - الناصح لكم، الحذب عليكم، كان والله حريصاً على إرشادكم، طالبا لإصلاحكم، مؤثراً لكم، حاملاً لكم على ما فيه نجاتكم، داعياً لكم إلى ما

(١) الهادي، يحيى بن الحسين (ت ٢٩٨هـ): عهد الهادي إلى عماله، طبع مع كتاب المنتخب، دار الحكمة البيانية، صنعاء، ط ١، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ص ٥٠٥.

(٢) المفصل من القرآن: سور القرآن من سورة محمد ﷺ إلى سورة الناس. المرتضى، محمد بن يحيى بن الحسين، أبو القاسم (ت ٣١٠هـ): كتاب الإيضاح، مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى، تح: عبد الكريم جديان، مكتبة التراث الإسلامي، صعدة، ط ١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، ج ١، ص ٨١.

(٣) العلوي: السيرة، ل ١٢ / ب - ١٣ / أ.

(٤) العلوي: السيرة، ل ٤٠ / ب.

(٥) الهاروني: الإفادة، ص ١١٠.

(٦) العلوي: السيرة، ل ٤٠ / أ.

يقربكم إلى الله، زاجرا لكم عما يبعدكم منه"^(١)، وكان إذا نزل في قبيلة من القبائل يكثر المواعظ لهم والتعليم والإرشاد"^(٢)، "مُظْهِراً لنور الله، صادعاً بحقه، مثبِّتاً لحججه، يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة البالغة، والموعظة الحسنة"^(٣).

كان تدريس العلم ضمن يومياته التي كان يلتزم بها، فقد كان "يجلس ما بين الصلوات، فيعظ الناس، ويعلمهم فرايض الدين، وفرايض المواريث"^(٤)، بل وكان من ضمن أعماله المستمرة أنه كان "يقف على الحبس"، ويأمر بتعليم المحبوسين، ويأمر القارئ من السجناء بتعليم مَنْ لا يقرأ منهم"^(٥). وكان يبعث الدعاة والمعلمين إلى الآفاق، حتى أنه بعث أو كلّف "دعاة ومبصّرين ومعلّمين ومُفَقِّهين" في بلاد بعيدة عن اليمن، كطبرستان"^(٦)، وكان يعدُّ ذلك من صفات الإمام العادل الذي يكون "مفرّقاً للدعاة في البلاد، غير مقصّر في تأليف العباد"^(٧).

وكان يتبع أسلوب الحوار والمناظرة للعلماء، فقصدّه العلماء من بلدان عديدة للنقاش والحوار معه"^(٨)، ولما دخل صنعاء اجتمع عشرات العلماء المخالفين له في العقيدة لمناظرته في الجبر والاختيار، فناظرهم، وأفحمهم"^(٩)؛ ونتيجة لذلك تأثر به عدد من طلاب المعارف، قال المرتضى"^(١٠): "كم من حائرٍ أرشده، وضالٍّ هداه،

(١) علي بن بلال: تنمة المصاييح، ص ٥٩١ - ٥٩٢.

(٢) العلوي: السيرة، ل ٣٤ / أ.

(٣) الشامي: اليمن والأئمة، ص ٤٣، رسالة الناصر أحمد إلى أهل طبرستان.

(٤) العلوي: السيرة، ل ١٣٥ / ب (ملحق الرسمي).

(٥) العلوي: السيرة، ل ١٣٦ / أ (ملحق الرسمي).

(٦) المرتضى: الغفلة، ج ٢، ص ٧٠١.

(٧) الهادي: كتاب فيه معرفة الله، ص ٥٦.

(٨) الهاروني: الإفادة، ص ١٠١ - ١٠٢.

(٩) يحيى بن الحسين: المستطاب، ص ٣٨.

(١٠) الغفلة، ج ٢، ص ٦٨٩.

ومتحيرٌ دلّه [على] الطريق فأقصر، وأعمى القلب جاهلٍ به أبصر، ومجبرٌ مُشَبَّهٌ لله عاد ونظر، فتخلّص من موبقات، ونجا من مهلكات، ... يذل الجبار بين يديه، ويخرس أهل الجهل من مناظرته"، وقال ولده الآخر الناصر^(١): "حتى أحيا الله به الدين، ووقم^(٢) به الملحدين، وأظهر به التوحيد والعدل، وقمع به التشبيه والجبر". وقد حفظت رسائله^(٣) عددًا من الأسئلة التي كانت ترد عليه، فيتصدى للإجابة عليها؛ إذ كان قبلة الباحثين، وملأ المتحيرين، وكان بذلك إنما يلبي حاجة عصره في مختلف تلك العلوم، ويعالج المشكلات الفكرية والثقافية التي كان يتطلبها واقعه.

٣- تلامذته ومعاصروه

ليس من اليسير إحصاء وترجمة تلامذة الإمام الهادي ومعاصريه الذين يترجح تتلمذهم عليه؛ لأن نشاطه التعليمي لم يكن يستهدف شريحة معينة من الطلاب، بل كان اهتمامه منصباً على الثقيف العام، علاوة على أولئك الجماهير الذين كانوا يأتمون به في الحجاز والعراق وطبرستان وغيرها، ويتلمذون على كتبه ومؤلفاته ورسائله، ومع ذلك فهناك من تلامذته مَنْ كان له دور علمي أو سياسي أو عسكري أو إداري أو غيره، فحظي بترجمة، ربما ورد بعضها بطريقة عرضية، وبما أنه كان يكلف عماله بمهام تعليمية، فهذا يفيد أن جميع عماله كانوا علماء أو مُعلِّمين في أقل الأحوال. جدير بالذكر أن بعض هؤلاء التلامذة هاجروا إليه

(١) الناصر، أحمد بن يحيى بن الحسين (ت ٣٢٢هـ): التعزية في الإمام المرتضى، تح: جمال الشامي، ١٤٣٨هـ، نشر إلكتروني، ص ٢٣.

(٢) وقمه: قهره وأذلّه. الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ): القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٨، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، ص ١١٦٧.

(٣) ستأتي في مؤلفاته، ص ١١٥ - ١٣٣.

للجهاد بين يديه من بلدان عديدة، فكان أن تعلموا على يديه أيضا.

ومنهم:

١- إبراهيم بن إسحاق، الشيخ العلامة الكبير، صاحب الإمام الهادي، وكان من أعيان عصره، ومن نظراء القاضي محمد بن سليمان الكوفي، وعاش حتى أيام الإمام الناصر أحمد (ت ٣٢٢هـ) ^(١).

٢- إبراهيم بن محسن بن الحسين العلوي، من ذرية العباس بن علي بن أبي طالب، هاجر مع والده إلى الإمام الهادي، وظهر دوره القيادي مع الإمام الهادي في نجران، ثم ولي بعده للناصر أحمد عددا من الأعمال، وكان أميرا مقداما، وعالما محققا، وهو الذي سأله عن خطايا الأنبياء ^(٢)، وقد كوّن مكتبة عامرة من مئات المجلدات، اشتملت على كتب أهل البيت، وظلت مع أحفاده حتى القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ^(٣)، وربما بعد ذلك.

٣- أحمد الناصر بن الهادي، أخذ عن والده، وروى عنه كتبه، ثم درّسها لتلاميذه ^(٤)، وقد تقدمت ترجمته.

٤- أحوز، من جهابذة أصحاب الهادي، وأهل المنزلة عنده، ولعله قد عمّر حتى أيام الناصر أحمد ^(٥).

(١) ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ١، ص ١٣٥.

(٢) الهادي: ذكر خطايا الأنبياء، ص ٤٣٩؛ وابن القاسم، إبراهيم بن القاسم ابن الإمام المؤيد بالله (ت ١١٥٢هـ): طبقات الزيدية الكبرى، تح: عبدالسلام الوجيه، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، ط ١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م، مج ١، ص ٧٢؛ وابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ١، ص ١٦١-١٦٢.

(٣) اللحيحي: أخبار الزيدية، ص ٣٧-٣٨.

(٤) الهادي: مجموع رسائل الإمام الهادي، ص ٨، مقدمة السيد العلامة مجد الدين المؤيدي.

(٥) ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ١، ص ٥١٦.

٥- بالغ الوزيري، من أهل مدر^(١)، أخذ عن الإمام الهادي أصول الدين، وحققه حتى صار إماماً فيه، وانقطع عن الناس، وتفرغ للعلم والعبادة والزهد، وشاد بلاده مدر بالفضائل، وعمرها بالصالحات، حتى صارت من مراكز العلم، ومنازل الصالحين^(٢).

٦- جعفر الطائي الوقار، كان أول من هاجر إلى الإمام الهادي من بلده جبلي طيء^(٣)، وكان عالماً عاملاً، وجيهاً عند أولاد الهادي وأحفاده؛ لمكان علمه وهجرته إلى الهادي، وقد بقي يعلم العلم في مدينة صعدة^(٤).

٧- الربيع بن محمد بن الروية، تزعم مذحج بعد مقتل أخيه أبي العشيرة، واشترك مع الإمام الهادي في مواجهة بني طريف والقرامطة، وكان شريفاً معظماً، نصر العدل والتوحيد، و"نشر ألوية آل محمد"، وكان محموداً عند الأئمة، الهادي وابنيه المرتضى والناصر^(٥).

٨- عامر بن تميم العذري، يروي عن الإمام الهادي، وقد روى عنه حفيده عامر بن صعتر، من التو، من أرض عذر^(٦)، وكان يعلم التوحيد والعدل فيها^(٧).

(١) مدر: سيأتي التعريف بها في النص المحقق، ص ٥٢٢.

(٢) ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ١، ص ١٣٩ - ١٤٠، ٥٨٣.

(٣) جبلا طيء: هما أجأ وسلمى، ويقعان في نجد، في منطقة حائل. الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٩٤؛ والموسوعة العربية العالمية، ج ٨، ص ١٧٩، ١٨١.

(٤) ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ١، ص ٦٣٣ - ٦٣٤؛ ج ٤، ص ٢٣٦، ٥٢٠.

(٥) العلوي: السيرة، ل ٨١ / ب، ٨٣ / أ، ١٣٧ / ب، ١٤٠ / أ (الملحق)؛ وابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ٢، ص ٢٨٧، ٢٨٨.

(٦) عذر: قبيلة كبيرة من حاشد، ويقال لها: عذر شعب، تميزا لها عن عذر مطرة في بلادهم، وهناك اليوم مديرية قفلة عذر، في شمال غرب محافظة عمران. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٣٤، ٢٢٣؛ والمحقق: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ٢، ص ١٢٢٣. ولعل قرية التو لم تعد معروفة اليوم.

(٧) اللحيحي: أخبار الزيدية، ص ٧٠، ٣٣٤، ٣٣٦.

٩ - العباس بن أحمد الظاهري، "أحد رجال الدين وأنصاره"، تولى خولان قضاة^(١). ويبدو أنه من ظاهر همدان^(٢).

١٠ - عبد الله بن أحمد التميمي، أبو محمد، كان علامة رئيسا فاضلا شاعرا بليغا، قالوا: "وعده في العلماء أولى من عده في الشعراء"، وكان مسكنه قريبا من ديار الأباضية، وهو الذي سأل الناصر أحمد بمسائل كانت الأباضية قد سألوه بها، فأجابهم الناصر بكتابه (الرد على الأباضية)، وقد أجاب على الهادي بقصيدة وجهها إلى الدعام بن إبراهيم^(٣).

١١ - عبد الله بن الحسن الطبري، العلامة الماهر المجاهد، أحد العلماء الراسخين، ترجمه ابن أبي الرجال، وقال: "لقي الأئمة الكبار"، غير أن في أجوبة الإمام المرتضى على مسائله ما يشير إلى أنه كان يرسل بأسئلته من بلده طبرستان، وأنه كان أحد دعائهم في ذلك البلد^(٤)، ولعله خرج إلى اليمن ثم عاد إلى بلده.

١٢ - عبد الله بن الحسين، صنو الهادي^(٥)، وقد تقدمت ترجمته.

١٣ - عبد الله بن عمر الهمداني، مؤلف سيرة الإمام الناصر أحمد بن الهادي، كان عالما عاملا مقدما في كل فضيلة، صحب الإمام الهادي ثم ابنه المرتضى والناصر، وهو

(١) ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ٣، ص ٢٥. وخولان قضاة هي خولان صعدة، وقد تقدمت.

(٢) الظاهر: سيأتي التعريف به في النص المحقق، ص ٥٧٨.

(٣) العلوي: السيرة، ل ١١٢ / ب؛ والناصر، أحمد بن يحيى بن الحسين (ت ٣٢٢ هـ): الرد على الإباضية، مجموع كتب الإمام الناصر أحمد، تح: عبد الكريم جديان، ط ١، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م، ج ٢، ص ١٧٥؛ وابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ٣، ص ٦٨ - ٧٠.

(٤) المرتضى: مسائل عبد الله بن الحسن، ج ١، ص ٣١٠، ٣٨٧، ٣٩١، ج ٢، ص ٥٩٢؛ وابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ٣، ص ٢٢٣ - ٢٢٤.

(٥) يحيى بن الحسين: المستطاب، ص ٣٧.

الذي أرسل بمسائل عبد الله بن يزيد البغدادي الأباضي في نصرة الجبر، وأجاب عنها الناصر أحمد بكتاب (النجاة)، ويبدو أنه كان في منطقة همدان بالقرب من نقاط تماس الزيدية مع القرامطة، وكان مُسْعِرَ نار الحرب بينهما في نغاش وغيرها^(١).

١٤ - عبد الله بن محمد السعدي، من سعد بن بكر بن هوازن^(٢)، هاجر إلى الهادي، و"كان من أفاضل أصحابه، وأخيارهم، وأهل البصائر منهم"، ثم كانت له المنزلة الرفيعة عند ولديه المرتضى والناصر، وأبلى بلاء حسنا يوم نغاش^(٣).

١٥ - أبو الحسن علي بن الحسن بن أحمد بن أبي حريصة، العلامة الفاضل الحافظ، كان فقيها شاعرا، صحب الهادي وابنيه المرتضى والناصر، وهو الذي روى كتاب الأحكام، ورتب أبوابه، "وروت الزيدية عنه كثيرا من أخبار الهادي إلى الحق"، وصنف كتابا "آخر منها كتاب في الزهد والإرشاد"^(٤).

١٦ - علي بن الحسين بن سرح العدوي، من ذرية عمر بن الخطاب، كان علامة كبيرا، وفاضلا شهيرا، موصوفا بالعلم، ولاه الهادي القضاء على مدر^(٥).

١٧ - علي بن سليمان الكوفي، أخو القاضي محمد بن سليمان، كان علامة الزيدية وحاكم الهادي، وكانت له ترجيحات فقهية تدل على علو طبقة^(٦).

(١) ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ٣، ص ١٠٣-١٠٦.

(٢) سعد بن بكر: بطن من هوازن من قيس بن عيلان، من مياهم تفتد، ولهم ذات عرق أعلى وادي نخلة في الحجاز. الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٢٧٨، ج ٢، ص ٣٧؛ وكحالة: معجم قبائل العرب، مج ٢، ص ٥١٣.

(٣) ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ٣، ص ١٢٨-١٢٩.

(٤) الهادي: الأحكام، ج ١، ص ١٧، مقدمة ابن أبي حريصة؛ ويحيى بن الحسين: المستطاب، ص ٣٧؛ وابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ٣، ص ١٩٩-٢٠٠.

(٥) ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ٣، ص ٢٢٣-٢٢٤.

(٦) ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ٣، ص ٢٥٦-٢٥٧.

١٨ - علي بن العباس بن إبراهيم، من ذرية زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، كان حافظاً لعلوم العترة، وله تصانيف كثيرة في الفقه وغيره، منها كتاب إجماعات أهل البيت، صحب الهادي أولاً، ثم هاجر إلى طبرستان فصحب الناصر الأطروش^(١) (ت ٣٠٤هـ / ٩١٦م)، وروى عنهما، وولاه الهادي على جبل ذخار (كوكبان)^(٢)، وفي طبرستان ولي القضاء، ثم توفي سنة ٣٤٠هـ / ٩٥١م^(٣).

١٩ - علي بن محمد بن عبيد الله، المؤلف، وستأتي ترجمته في الفصل الثالث.

٢٠ - الفضل بن العباس الأنصاري، أبو العباس، فاضل علامة، كان من أعيان أصحاب الهادي والملازمين لعلومه، كثير الرواية عن أحوال الإمام الهادي، وكان قد هاجر إليه من المدينة^(٤).

٢١ - أبو القاسم الرازي، الشريف العلامة، عاصر الإمام الهادي، وهاجر إليه من الري^(٥)، وسأله تلك المسائل المسماة باسمه، وأجابه عنها^(٦).

٢٢ - القاسم بن محمد بن عبيد الله العلوي العباسي، أخو المؤلف، وهو "رئيس كبير، وعلامة شهير"، وكان عالماً "محمود السيرة، طيب السريرة"، وقد

(١) الناصر الأطروش: أحد أئمة الزيدية في بلاد الجبل والديلم (شمال إيران)، دعا إلى نفسه بالإمامة سنة ٢٨٧هـ، وله مؤلفات عديدة. الهاروني: الإفادة، ص ١١٤ - ١٢٩.

(٢) سيأتي التعريف به في النص المحقق، ص ٢٦٨.

(٣) العلوي: السيرة، ل ٧٣ / ب؛ وابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ٣، ص ٢٦٩ - ٢٧٠؛ والوجه: أعلام المؤلفين الزيدية، ج ٢، ص ١٠٦٢.

(٤) الهاروني: الإفادة، ص ١٠٩؛ وابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ٤، ص ٣٠ - ٣١.

(٥) الري: مدينة تاريخية تقع بالقرب من طهران، وهي ضاحية من ضواحيها. الموسوعة العربية العالمية، مج ١١، ص ٤٣٣.

(٦) الهادي، يحيى بن الحسين (ت ٢٩٨هـ): مسائل أبي القاسم الرازي، مجموع رسائل الإمام الهادي إلى الحق القويم، تح: عبدالله الشاذلي، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء، ١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م، ص ٥٥٨؛ ويحيى بن الحسين: المستطاب، ص ٣٧.

استقر بأثافت^(١).

٢٣- محفوظ الريدي، شيخ الزيدية، رحل إليه أبو الحسين الطبري لسعة كتبه، وكانت له مكتبة عامرة بكتب أهل البيت، وكان ورعاً متحفظاً، وكان يسكن في ريدة، ويرجح أنه تتلمذ على الهادي؛ لمعاصرتَه إياه، واهتمامه بتراث أهل البيت^(٢).

٢٤- محمد بن سعيد اليرسمي، الخولاني الصعدي، وهو الشيخ الفاضل، والقاضي العالم، متولي الإمام الهادي المالي، ومندوبه للمهمات، والمجاهد بين يديه، ومن أبرز زعماء أصحابه ووجههم، وهو الذي سأله كتابه (مسائل محمد بن سعيد)، ثم كان من أبرز رجال ابنه المرتضى والناصر^(٣).

٢٥- محمد بن سليمان الكوفي، وسيأتي في الفصل الثالث في مصادر السيرة.

٢٦- محمد بن عبد الله الحنبلي اليهري، أبو نصر، شيخ الهمداني وأستاذه، ومرجعه الذي كان يعود إليه في المشكلات، قرأ المساند والزبر الحميرية، وكان أبو نصر قد لجأ إلى صعدة حيث الإمام الهادي عندما استولى القرامطة على صنعاء، فأحرقوا قصره^(٤)، ومن المرجح أنه لم يلجأ إلى صعدة، ويخصها بالقصد دون سواها، ويبقى فيها تلك المدة إلا لأنه كان على علاقة وثيقة بالإمام الهادي، وأنه تتلمذ عليه.

٢٧- محمد بن عبيد الله العباسي العلوي، وسيأتي في الفصل الثالث.

(١) ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ٤، ص ١٠٣. وأثافت: بلدة قديمة خاربة كانت في عصر الهمداني مسكن آل ذي كبار ووادة، وعدادها اليوم في دماج بني قيس، في مديرية بني صريم، محافظة عمران. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١١٤-١١٥؛ والمقحفني: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ١، ص ٢٤.

(٢) ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ١، ص ٤٧٨، ٤٧٩.

(٣) العلوي: السيرة، ل ٣٥/ أ، ٥٥/ ب، ٦١/ ب، ٦٤/ ب، ٦٦/ ب، ٨٠/ أ، ٨٥/ أ؛ ويحيى بن الحسين: المستطاب، ص ٣٧؛ وابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ٤، ص ٣٠٩.

(٤) الهمداني: الإكليل، ج ١، ص ٦٢-٦٩، ج ٢، ص ١٥٧، ج ٨، ص ٨٣.

٢٨- محمد بن يحيى المرتضى، ولد الإمام الهادي^(١)، وقد تقدمت ترجمته.

٢٩- أما أهم طلابه فهو أحمد بن موسى، أبو الحسين الطبري، أحد الذين هاجروا إليه من طبرستان^(٢)، وكان عالماً ربانياً، وداعية مؤثراً، ومناظراً متمكناً، ذكر المؤرخون أثر جهوده الفكرية في أهل اليمن، وقالوا: إن مذهب الهادي انتشر على يديه، وكان قد جاور أحمد بن محمد بن الضحاك الهمداني في صنعاء، وأعطاه الضوء الأخضر للدعوة إلى مذهب الهادي فيها، وكان له من العناية "بإحياء الدين، أضعاف ما كان منه في زمن الهادي وولديه المرتضى والناصر"، وانقادت له الزيدية عامتهم وخاصتهم واعترفت له بالرئاسة والفضل^(٣). وكانت له نشاطات تعليمية وإرشادية واسعة، فكان يعلم أصحابه، وينظر خصومه من مختلف المذاهب، ويلاحظ أنه كان كثير التنقل والتجول، فقد وثق كتابه (مجالس الطبري) مناظرات ومجالس علمية عديدة في عدد من المراكز والمدن في صنعاء^(٤)، ومنكث^(٥)، وعدن^(٦)، وعثر^(٧)، وغيرها، كما كان ينظر أهل السنة^(٨)، والمجبرة^(٩)، والمعتزلة^(١٠)، وإسماعيلية مسور^(١١)، والاثني

-
- (١) الهادي: الأحكام، ج ١، ص ١٩، سند كتاب الأحكام، حيث يروي المرتضى عن والده.
- (٢) الزحيف: مآثر الأبرار، ج ٢، ص ٥٨١.
- (٣) اللحجي: أخبار الزيدية، ص ٢٠٣؛ والشرفي: اللآلي المضية، ج ١، ص ٤٥٠؛ وابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ١، ص ٤٦٨-٤٦٩.
- (٤) مجالس الطبري، ص ٣٣-٨٠، ٣٤، ٨١، ١٠٣-١٠٤.
- (٥) مجالس الطبري، ص ٦١. ومنكث: سيأتي التعريف بها في النص المحقق، ص ٥٣٤.
- (٦) مجالس الطبري، ص ٣٤، ٤٤.
- (٧) مجالس الطبري، ص ٥٩. وعثر: سيأتي التعريف بها في النص المحقق، ص ٧٧٨.
- (٨) مجالس الطبري، ص ٢٩-٣٠، ١٠٥، ١٢٥.
- (٩) مجالس الطبري، ص ٣٣، ٣٤، ٨٠.
- (١٠) مجالس الطبري، ص ٩٨-١٠٠.
- (١١) مجالس الطبري، ص ٩١، ١٠٥.

عشرية^(١)، والأباضية^(٢)، والقرامطة^(٣) في مختلف القضايا العقائدية والفقهية. وكانت له شبكة دعاة من طلابه وتلامذته توزعوا على عدد من المراكز التعليمية في القرى، كان لهم الدور العظيم في تثبيت دعائم مذهب الهادي وانتشاره، ومنهم حمزة الخشبي من بلاد الخشب (أرحب)^(٤)، وعلي بن أبي الفوارس اللعوي في ريدة^(٥)، وعبد الله بن أبي عبد الله الخراساني في حمدة^(٦)، ثم في مسور^(٧)، ومحمد بن الهيثم في عدن^(٨)، والبحيرمي وجماعة في منكث^(٩)، ومحموظ الريدي في ريدة^(١٠)، وغيرهم.

وبهذا يظهر أن هؤلاء التلامذة وآخرين كانوا هم في الواقع حملة فكر الإمام الهادي، وعلى أيديهم انتشر علمه وفقهه في اليمن وخارجها، يقول الشهيد المحلي^(١١): "وطار فقهه في الآفاق، حتى صارت أقواله في أقصى بلاد العجم، يأمنون بها أكثر من أنس أهل اليمن بها، وعليها يعتمدون، وبها يفتون ويقضون"، وقال مسلمٌ اللحجي^(١٢): "فلم يفش هذا الدين إلا ببركة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام وابنيه عليهم السلام، والدعاة بعدهم من شيعتهم إلى الله تعالى

(١) مجالس الطبري، ص ٢٩، ٣٠، ٦٥.

(٢) مجالس الطبري، ص ٧٣.

(٣) مجالس الطبري، ص ٩٥.

(٤) ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ٢، ص ٢٤١.

(٥) ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ٣، ص ٣٠٠ - ٣٠٤.

(٦) حمدة: سيأتي التعريف بها في النص المحقق، ص ٣٧٠.

(٧) ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ٣، ص ٩٣ - ٩٦.

(٨) الطبري: مجالس الطبري، ص ٤٩، ٦٦.

(٩) الطبري: مجالس الطبري، ص ٦١.

(١٠) ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ١، ص ٤٧٨.

(١١) الخدائق الوردية، ج ٢، ص ٢٨.

(١٢) أخبار الزيدية، ص ٩٥.

بالعلم والعمل منهم،...، فمعلوم أن لولا عفة أبي الحسين الطبري ونظرائه من شيعتهم، من تلامذته وسواهم، وحسن أخلاقهم، ونزاهة أنفسهم، وصدق اعتقادهم، وزهدهم، وإيثارهم للآخرة، وقوة حججهم، وحسن إيقاعهم لها في مواقعها، ووضعها في مواضعها، لما ظهر من ذلك شيء إلا ما شاء الله".

٤- نتاجه العلمي والأدبي

على الرغم من أن الهادي كان مؤسس دولة، ومُدَبِّرَ أمرها، وقائد جيشها، يخوض المعارك، ويفصل الخصومات، إلا أن ذلك لم يمنعه من أن يكتب كثيرا من المؤلفات في عدد من المجالات؛ وهو أمر يشير إلى نبوغه وعبقريته، وأن الله منحه بجهاده العلم والعمل، وقد كان يملئ بعض مؤلفاته وهو على ظهر فرسه ذاهبا أو آييا من وإلى المعارك^(١). وقد شهد معاصروه ومن جاء بعده من العلماء على علمه الواسع، بل إن بعض علماء المذاهب الأخرى، شهدوا بتضلعه في مذاهبهم وإحاطته بها أكثر منهم^(٢). وتميزت مؤلفاته بأنها كانت تلبي الحاجة الواقعية والعلمية والعملية لعصره، ولم تكن من أجل الترف الفكري، كما تميزت بأنها أُلِّفَتْ في أجواء بعيدة عن تأثيرات السلطة الرسمية العباسية.

حمل الهادي منذ صغره مشروع أهل بيته في بناء الدولة العادلة المنشودة، وأي دولة لا بد أن تقوم على أسس فكرية واجتماعية واقتصادية، وانطلاقا من هذا فمؤلفاته الفكرية والفقهية كانت تشكّل الجانب التصوري والنظري لتلك الأسس والمفاهيم والمبادئ، ليعتنق الجانب التطبيقي بالجانب النظري، لإنتاج

(١) الهادي: الأحكام، ج ١، ص ١٨؛ والصعدي: درر الأحاديث النبوية، ص ١٥٢.

(٢) الهاروني: الإفادة، ص ١٠١-١٠٢.

مجتمع ودولة كان ينشدها الهادي منذ نعومة أظفاره، وبالتالي فمؤلفاته في ما يبدو لم تتأثر بالواقع لتعمل على تقنيه أيا كان ذلك الواقع، بل هي التي صنعت الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي، أو في أقل الأحوال حاولت ذلك. كما أنها تميّزت بأنها نشأت في البيئة اليمنية الخالصة، وانطلقت من افتراضاتها وتعقيداتها وأوضاعها المختلفة، ومع ذلك فقد كانت في بعض التفاصيل العملية تستجيب لمتطلبات الحاجة الواقعية أكثر من استجابتها للتصورات النظرية المسبقة بما لا يتعارض مع الأصول والمبادئ المقررة.

عدّ الإمام عبد الله بن حمزة^(١) (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م) ٣٦ عنواناً من مؤلفات الهادي، ثم قال: "وتركنا قدر ثلاثة عشر كتاباً لم نذكرها كراهة التطويل، وهي عندنا معروفة موجودة؛ الأمر الذي يعني أنه كان يعرف حوالي ٤٩ كتاباً، ومثل ذلك العدد ذكر الشهيد المحلي^(٢) (ت ٦٥٢هـ/١٢٥٤م)، وقال: "وهي ظاهرة مشهورة"، وقد تنوعت هذه المؤلفات بتنوع العلوم والمعارف التي تطرقت إليها، وسيتم التعرف عليها بحسب موضوعاتها، وذكر أقدم من ذكرها، وعلى النحو التالي:

أ- علوم القرآن

يلاحظ اهتمام الإمام الهادي بالقرآن بشكل واسع في مؤلفاته، وقد كان النص القرآني يأخذ لديه حيزاً واسعاً في الاستدلال والاهتداء، ومع ذلك فقد كتب في تفسير القرآن مؤلفين، هما:

١ - كتاب تفسير القرآن - ستة أجزاء^(٣) -، ولعله لم يعد موجوداً بشكل كامل،

(١) الشافعي، ج ١، ص ٨٣٩ - ٨٤٠.

(٢) الحدائق الوردية، ج ٢، ص ٢٩ - ٣٠.

(٣) عبد الله بن حمزة: الشافعي، ج ١، ص ٨٣٩؛ والمحلي: الحدائق الوردية، ج ٢، ص ٢٩.

وقد نشر الدكتور عبد الكريم جدبان كتاب (تفسير الإمام الهادي)^(١) في جزئين، تضمّن تفسير آيات من مختلف سور القرآن الكريم، كما اشتمل تفسير المصاييح للشرفي على تفسيره لآيات متفرقة^(٢).

٢- كتاب معاني القرآن - تسعة أجزاء^(٣) -، قال الوجيه^(٤): "ولعله الذي تضمّنه مجموع تفسير الأئمة من تفسيره عليه السلام لآيات كثيرة من القرآن الكريم سأله عنها كثيرون".

ب- أصول الدين

أراد الهادي إعادة تشكيل التصور الإسلامي بالشكل البناء الذي يخدم فكرة إقامة الدولة الإسلامية التي كان ينشدها ومن خلال المصادر المضمونة، وهي القرآن والسنة المجمع عليها، والعقل، لخطورة وجود تصور منحرف على الواقع العملي؛ ولهذا كان يرى أهمية استنهاض المجتمع من خلال الثقافة البناءة والواعية، وإخراج ثقافة الجبر والإرجاء الهدامة من عقولهم؛ لما فيها من كبت نزعة التحرر من الظلم؛ وكان يرى أن دول الظالمين "إنما تقوم بأعوانهم الذين يتبعونهم، ويعينونهم على ظلمهم، وإذا تفرّق الأعوان منهم وأسلموهم لم تقم لهم دولة، ولا تثبت لهم راية، فمتى كثرت جماعتهم تقوَّوا بهم على باطلهم، واستضعفوا المستضعفين من خلق الله"^(٥)، وذكر أثر هذه العقيدة في الرضا بظلم الظالمين، حيث "يقولون: إن هذا الذي نزل بهم قضاء وقدر، ولولا أن الله قضى

(١) الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م، دار الإمام زيد بن علي عليه السلام.

(٢) الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ج ٢، ص ٤٣٠.

(٣) عبد الله بن حمزة: الشافي، ج ١، ص ٨٣٩؛ والمحلي: الحقائق الوردية، ج ٢، ص ٢٩.

(٤) أعلام المؤلفين الزيدية، ج ٢، ص ٤٣٢.

(٥) الهادي: كتاب فيه معرفة الله، ص ٦٤ - ٦٥.

عليهم هذا الظلم الذي نزل بهم من هؤلاء الظالمين ما إذا قدر الظالم أن يظلمهم، غير أن هذا الظلم مقدّر عليهم عند الله على يدي هذا الظالم^(١). ومن هنا اتجه الإمام الهادي اتجاهًا واسعًا للتأليف في أصول الدين، وتصب رسائله ومؤلفاته الأصولية في اتجاه بناء الفرد والمجتمع تصوريًا بالشكل البناء، وقد أخذ هذا العلم أكثر عدد من مؤلفاته، وهي:

٣- كتاب التوحيد^(٢)، ويبدو أنه جعله خاصًا بمسائل التوحيد كما أشار إلى ذلك في مقدمة الأحكام^(٣)، ومع أنه أحد كتب الهادي الموثقة إلا أنه لم يرد ضمن مجموع رسائله المطبوعة، كما لم يرد عند الحبشي^(٤)، ولا الوجيه^(٥).

٤- كتاب المسترشد^(٦) في أصول الدين، ذكر فيه مباحث متفرقة من التوحيد، وقد طبع ضمن مجموع رسائله في جزئين^(٧).

٥- كتاب الرد على أهل الزيغ^(٨) من المشبهين^(٩)، وتضمن الإجابة عن ماذا نعبد، وعالج حجة العقل، وأنها لا تتضاد مع النقل. وقد طبع أيضًا^(١٠).

(١) كتاب فيه معرفة الله، ص ٥٦.

(٢) ذكره الهادي نفسه في الأحكام، ج ١، ص ٢٢؛ والهاروني: الإفادة، ص ١٠١؛ وعبد الله بن حمزة: الشافي، ج ١، ص ٨٣٩؛ والمحلي: الخدائق الوردية، ج ٢، ص ٢٩.

(٣) ج ١، ص ٢٢.

(٤) الحبشي، عبد الله محمد: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن، المجمع الثقافي، أبوظبي، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م، ص ٥٩٤ - ٦٠٤.

(٥) أعلام المؤلفين الزيدية، ج ٢، ص ٤٢٨ - ٤٣٦.

(٦) عبد الله بن حمزة: الشافي، ج ١، ص ٨٣٩؛ والمحلي: الخدائق الوردية، ج ٢، ص ٢٩.

(٧) الهادي: مجموع رسائل الإمام الهادي، ص ٩٨ - ١٤٤.

(٨) عبد الله بن حمزة: الشافي، ج ١، ص ٨٣٩؛ والمحلي: الخدائق الوردية، ج ٢، ص ٢٩.

(٩) الهادي: مجموع رسائل الإمام الهادي، ص ١٤٥.

(١٠) طبع ضمن رسائل العدل والتوحيد، تحقيق محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، ط ٢،

٦- كتاب الإرادة والمشية^(١)، مخطوط^(٢)، ولعله هو الذي طبع بعنوان (مسألة في العلم والقدرة والإرادة والمشية)^(٣).

٧- كتاب الرد على الحسن بن محمد ابن الحنفية^(٤)، ويترجح أنه ليس الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب، بل هو شخص متأخر^(٥)، ردّ فيه الهادي على ثلاثة

- ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م، ج ٢، ص ٢٩٥؛ وانظره في الهادي: مجموع رسائل الإمام الهادي، ص ١٤٥.
- (١) عبد الله بن حمزة: الشافي، ج ١، ص ٨٣٩؛ والمحلي: الحقائق الوردية، ج ٢، ص ٢٩.
- (٢) الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ج ٢، ص ٤٢٩.
- (٣) الهادي: مجموع رسائل الإمام الهادي، ص ١٩٧ - ٢٠٠.
- (٤) عبد الله بن حمزة: الشافي، ج ١، ص ٨٣٩؛ والمحلي: الحقائق الوردية، ج ٢، ص ٢٩.
- (٥) يحتمل أن يكون الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب المتوفى في خلافة عمر بن عبدالعزيز (٩٩ هـ - ١٠١ هـ)، وكان من ظرفاء بني هاشم، وأهل العقل فيهم، تتلمذ على والده، وكان أوّل من تكلم بالإرجاء، وألف فيه رسالة. (المزي، يوسف بن عبدالرحمن، أبو الحجاج الكلبي (ت ٧٤٢ هـ): تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م، ج ٦، ص ٣١٨؛ وابن حجر: تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٣٢٠).
- ومما يرجّح أنه هو صاحب هذه الرسالة في نصره الجبر احتفاءً بعض أنصار الأمويين - كالزهري - به، وتفضيلهم إياه على أخيه عبدالله الذي كان شيعياً وتأمّم به المعتزلة (ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٣٢٠)، ومن المعروف أن معاوية هو أول من قال بالجبر، غير أن هذا الاحتفاء ليس سوى قرينة ضعيفة، لا سيما وقد أثنى عليه آخرون كالمعتزلة كما سيأتي. وأما قوله بالإرجاء فلا يلزم منه القول بالجبر، فهناك من كان مرجئاً، ولم يكن جبرياً، والعكس صحيح، على أن الإرجاء المتهم به كان هو الإرجاء الأول، وهو الإرجاء السياسي، وهو إرجاء الحكم على بعض الصحابة كجده الإمام علي وعثمان وطلحة والزبير، وعدم توليهم أو التبرؤ منهم، وألف في ذلك رسالة، وقد روي أنه تاب منه، وندم على تأليفه تلك الرسالة (المزي: تهذيب الكمال، ج ٦، ص ٣٢١، ٣٢٢).

والذي يترجّح أنه ليس صاحب تلك الرسالة في الجبر؛ لعدد من الأمور:

- ١- كونه حفيد الإمام علي وابن ولده محمد ابن الحنفية، الذي تتلمذ عليه، وكونه شيخ غيلان بن مسلم المعتزلي العدلي (ت ١٠٥ هـ) يجعل افتراضه من المجبرة بعيداً، وقد كان أهل البيت يتشدّدون ضد الجبر، حتى قيل: "العدل هاشمي، والجبر أموي"، ولما استثنى عمر بن عبدالعزيز ويزيد الناقص بن الوليد بن عبدالملك من الأمويين الجبريين، لم يُستثن الحسن من بني هاشم العدليين.
- ٢- نصّ المعتزلة أن (الحسن بن محمد بن علي) كان من أهل العدل، ذكر ذلك القاضي عبدالجبار الهمداني

(ت ٤١٥ هـ أو ٤١٦ هـ) في (طبقات المعتزلة، ضمن كتاب فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط ١، ١٤٣٩ هـ / ٢٠١٧ م، ص ١٨١، ١٩٢)، وجعله من أهل الطبقة الثالثة منهم، كما نصَّ على ذلك الحاكمُ المحسن بن كرامة في شرح عيون المسائل (نقل ذلك عنه ذلك الدكتور محمد عمارة في رسائل العدل التوحيد، ج ٢، ص ١١٤ هامش)، وذكر القاضي عبد الجبار والحاكم الجشمي أنه كان شيخ غيلان بن مسلم الدمشقي، وأنه تأثر به في الإرجاء، وهذا يدلُّ على أنَّهم لم يَعْلَمُوا عنه القولُ بالجبر، ولم يعلموا أنه أَلَفَ رسالةً في نصرته.

٣- لم يُنْقَلْ أحدٌ من المؤرِّخين - في حدود اطلاعي - عن معاصريه ولا عن أحد من أهل بيته أنهم عابوه بالجبر، كما نقلوا أنهم عابوه بالإرجاء، رغم أن الجبر أشدُّ خطراً من الإرجاء، لا سيما والإرجاء الذي رموه به هو الإرجاء الأول، وهو الإرجاء السياسي كما تقدَّم، ومع ذلك فقد نقلوا أن أباه ابن الحنفية عنَّفه بسبب الإرجاء، وضره "بعضاً فشجَّه، وقال: لا تتولَّى أباك علياً!" (المزي: تهذيب الكمال، ج ٦، ص ٣٢٢)، بينما لا نجد أية ردة فعل منهم تجاه قوله بالجبر على افتراض قوله به، وهذا يدل على أنه لم يكن صاحب تلك الرسالة. كما أنه لم يذكر أحد من المؤرخين والمترجمين له - في حدود اطلاعي - أنه أَلَفَ رسالة في الجبر، بينما وجدناهم ينقلون عنه أنه أَلَفَ رسالة في الإرجاء، بل وأوردوا نصوصاً منها، وبعضهم كالعدي محمد بن يحيى (ت ٢٤٣ هـ) في كتابه (الإيمان، تح: حمد الجابري الحربي، الدار السلفية، الكويت، ط ١، ١٤٠٧ هـ، ص ١٤٥ - ١٤٩) أورد نصّها كاملةً، ولم يحدث أيُّ شيء من ذلك تجاه رسالته المفترضة في الجبر.

٤- لو علم المجبرة أن أحداً من أهل البيت أَلَفَ رسالة في نصرته مذهبهم كتلك الرسالة الخطيرة لأشادوا بها، وتناقلوها، ودرسوها، وعلموها؛ لحرص كثير من المذاهب على الاعتزاء إلى أهل البيت أو إلى فرد منهم، ولم يحدث شيء من ذلك.

٥- وبالمقارنة بين رسالة الجبر هذه وأسلوبها وطريقة الحجاج فيها، وبين رسالة الإرجاء، فإننا نجد اختلافاً واضحاً بينهما، ويظهر بوضوح اختلاف منشئيهما واختلاف نفسيَّتهما، ورسالة الإرجاء يغلب عليها بساطة التراكيب، وسهولة المعاني، بينما رسالة الجبر تتميز بطريقتها الحجاجية والإلزامية الجدلية التي هي بأهل القرن الثالث أليق منها بأهل القرن الأول.

٦- وظاهر كلام الإمام الهادي يشير إلى حدٍّ ما أنه كان معاصراً له أو قريباً من عصره، حيث كان يُسندُ إليه أقواله بصيغة المضارع، كما يشير إلى أنه كان ذا جماعة وأتباع؛ يقول: "لعمرو الحسن بن محمد وأتباعه، وأهل البدعة من أشياعه"، ويقول عنه: "ذو الغفلات، ومن تبعه من ذوي الجهالات" (كتاب الرد على الحسن بن محمد ابن الحنفية، مجموع رسائل الإمام الهادي إلى الحق القويم، تح: عبدالله الشاذلي، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء، ط ١، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م، ص ٢٩٩، ٣١٣)، ولم يذكر أهل الملل والنحل فرقة أو جماعة من أهل الجبر منسوبة إليه، مع حرصهم على تتبع تلك الفرق، وولعهم ومبالغتهم في تفرع الفرق وتكثيرها.

وأربعين مسألة استقصى فيها ابن الحنفية كل شبه المجبرة، والآيات المتشابهة التي يستندون إليها، وقد طبع الكتاب^(١).

٨- كتاب تفسير خطايا الأنبياء^(٢)، ردّ فيه على أسئلة إبراهيم بن المحسن العلوي حول خطايا الأنبياء، بما ينسجم مع تنزيههم وعصمتهم، وقد طبع^(٣).

هذا وبعد أن استبعد الدكتور محمد عمارة (رسائل العدل والتوحيد، ج ٢، ص ١١٤ هامش) أن يكون صاحب الرسالة هو الحسن بن محمد بن علي - رجّح أن يكون أحد اثنين هما الحسن بن علي بن محمد ابن الحنفية، أو الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن محمد ابن الحنفية؛ استناداً إلى ما ورد عند (النوبختي، الحسن بن موسى (ق ٣هـ): فرق الشيعة، منشورات الرضا، بيروت، ط ١، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، ص ٧٠) من أن كلا منهما كان إماماً من أئمة الكيسانية، وهم "من غلاة الشيعة"، وأضاف أنه "ظهرت فيهم أفكار الجبر والتشبيه"، عازياً ذلك إلى الجزء الأول من شرح عيون المسائل. غير أن ذلك - على وجهاته - يُشكّل بأن الإمام الهادي في رسالة الرد عليه ذكره وكرّره أكثر من ٣٥ مرة باسم "الحسن بن محمد" فقط، فكان يقول: "قال الحسن بن محمد"، و"ظن الحسن بن محمد"، و"ثم أتبع ذلك الحسن بن محمد"، بدون أن يذكر لقبه "الحنفية"، بما يثبت أن اسم والده كان (محمد)، وليس (علياً).

فمن هو إذن:

لقد أورد النسابة العمري، علي بن محمد، ابن أبي الغنائم العلوي (ق ٥هـ) في المجدي في أنساب الطالبين، تح: أحمد المهدي الدامغاني، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة، قم، ط ٢، ١٤٢٢هـ، ص ٤٣٠، اسم (الحسن بن محمد) من ذرية (محمد بن الحنفية، وهو أبو تراب الحسن بن محمد المصري ابن عيسى بن علي بن محمد بن علي بن علي بن محمد ابن الحنفية، وذكر أنه قُتل بمصر، وله فيها عقبٌ منتشر، يقال لهم: بنو أبي تراب، وعلى الرغم من أنه لم يذكر تاريخ ولادته ولا تاريخ وفاته؛ الأمر الذي لا يؤكد لنا معاصرته للإمام الهادي أو تقدّمه عليه، إلا أن سلسلة نسبه إلى الإمام علي - والتي بلغت ١٠ أسماء - تتقارب مع سلسلة نسب الإمام الهادي نفسه التي تبلغ ٩ أسماء.

فهل هو هذا المصري؟ يبقى ذلك مجرد احتمال فقط.

(١) طبع ضمن رسائل العدل والتوحيد، تحقيق محمد عمارة، ج ٢، ص ١١١ - ٢٧٩، وطبع ضمن مجموع رسائل الإمام الهادي، ص ٢٦٧ - ٤٢١.

(٢) عبد الله بن حمزة: الشافي، ج ١، ص ٨٤٠؛ والمحلي: الحقائق الوردية، ج ٢، ص ٢٩.

(٣) الهادي: مجموع رسائل الإمام الهادي، ص ٤٣٩ - ٤٥٩.

- ٩ - كتاب مسائل الحسين بن عبد الله^(١) الطبري، وقد طبع^(٢).
- ١٠ - كتاب بوار القرامطة^(٣)، ولم يعرف الباحث عن وجوده شيئاً.
- ١١ - كتاب أصول الدين^(٤)، وقد طبع^(٥)، وقد استعرض فيه باختصار الأصول التي يدين الله بها، وما "لا يسع أحداً من المكلفين جهله، ومن معرفة الأصول من توحيد الله، وعدله، وإثبات وعده ووعيده، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإثبات الإمامة في المصطفين من آل نبي الله ﷺ"^(٦). ولعله أحد الكتب التي كان يأمر بنشرها بين عموم الرعية.
- ١٢ - كتاب الإمامة وإثبات النبوة والوصية^(٧)، وقد سرد الوجيه^(٨) عناوين مقارنة لهذا العنوان، وهي: (باب إثبات النبوة)، و (تثيت النبوة)، و (تثيت نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم)، و (جواب مسألة النبوة والإمامة). وقد طبع منها (باب إثبات النبوة)^(٩)، و (الدليل على نبوة محمد ﷺ)^(١٠)، و (جواب مسألة النبوة والإمامة)^(١١)، و (تثيت إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ)^(١٢).

(١) عبد الله بن حمزة: الشافي، ج ١، ص ٨٤٠.

(٢) الهادي: مجموع رسائل الإمام الهادي، ص ٥٢٣-٥٣٨.

(٣) عبد الله بن حمزة: الشافي، ج ١، ص ٨٤٠؛ والمحلي: الخدائق الوردية، ج ٢، ص ٢٩.

(٤) عبد الله بن حمزة: الشافي، ج ١، ص ٨٤٠؛ والمحلي: الخدائق الوردية، ج ٢، ص ٢٩.

(٥) الهادي: مجموع رسائل الإمام الهادي، ص ١٩١-١٩٦.

(٦) الهادي: مجموع رسائل الإمام الهادي، ص ١٩١.

(٧) عبد الله بن حمزة: الشافي، ج ١، ص ٨٤٠؛ والمحلي: الخدائق الوردية، ج ٢، ص ٢٩.

(٨) أعلام المؤلفين الزيدية، ج ٢، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠.

(٩) الهادي: مجموع رسائل الإمام الهادي، ص ٤٢٢-٤٢٣.

(١٠) الهادي: مجموع رسائل الإمام الهادي، ص ٤٢٥-٤٢٧.

(١١) الهادي: مجموع رسائل الإمام الهادي، ص ٤٢٨-٤٣٥.

(١٢) الهادي: مجموع رسائل الإمام الهادي، ص ٤٣٦-٤٣٨.

و(مسألة في الإمامة)^(١)، و(تثبيت الإمامة)^(٢).

١٣ - كتاب الرد على الإمامية^(٣)، ولم أعرف عن وجوده شيئاً.

١٤ - كتاب الرد على أهل صنعاء^(٤)، وقد طُبِعَ بعنوان (جواب لأهل صنعاء على كتاب كتبه إليه عند قدومه البلد)، ويبدو أنه ألفه عند دخوله صنعاء عام ٢٨٨هـ/ ٩٠٠م لما سألوه عن مذهبه، ومن جملة ما قاله لهم فيه: "والحمد لله وأنا متمسك بأهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة،... فأنا أقفوا آثارهم، وأتمثل مثالهم، وأقول بقولهم، وأدين بدينهم، وأحتذي بفعلهم"^(٥).

١٥ - كتاب الرد على سليمان بن جرير^(٦) (ق ٢هـ/ ٧م)، وقد طبع، وفيه بحث الهادي^(٧) حدوث صفات أفعال الله، ومعنى الرضا والسخط بحق الله، وغيرهما.

(١) الهادي: مجموع رسائل الإمام الهادي، ص ٤٨٣ - ٤٨٥.

(٢) طبع مع المنتخب، ص ٤٩٣ - ٥٠٤. وفيه نقص كما اتضح من مقابلته مع مخطوطة أخرى.

(٣) عبد الله بن حمزة: الشافي، ج ١، ص ٨٤٠؛ والمحلي: الحقائق الوردية، ج ٢، ص ٢٩.

(٤) عبد الله بن حمزة: الشافي، ج ١، ص ٨٤٠.

(٥) الهادي: مجموع رسائل الإمام الهادي، ص ٩٥ - ٩٦.

(٦) عبد الله بن حمزة: الشافي، ج ١، ص ٨٤٠؛ والمحلي: الحقائق الوردية، ج ٢، ص ٢٩. وسليمان:

هو سليمان بن جرير الرقيّ الجزري، المتكلم، وصاحب الفرقة الجريرية، أو السليمانية، المنسوبة إلى الزيدية، اتهم بسم الإمام إدريس بن عبد الله الحسني (ت ١٧٧هـ/ ٧٩٣م) بتوجيه هارون الرشيد، وقد أسند إليه الأشعري (ت ٣٣٠هـ/ ٩٤١م) في المقالات أنه كان يقول: "إن الله لم يزل مريداً، وأنه لم يزل كارهاً للمعاصي، ولأن يُعصى، وأن الإرادة للشيء هي الكراهة لخصه، وكذلك لم يزل راضياً، ولم يزل ساخطاً"، وهو عين ما عابه عليه الإمام الهادي؛ ولعله لأجل هذا القول نسبته الإمام الهادي إلى أهل الجبر، وقال عنه بأنه "ممن يدعي العلم، وهو من المجبرة".

الهادي: الرد على سليمان بن جرير، مجموع رسائل الإمام الهادي، ص ٢٠٠؛ والأشعري، علي بن الحسن، أبو الحسن (ت ٣٣٠هـ): مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ١، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م، ج ١، ص ١٣٥، ١٣٨؛ وعلي بن بلال: تنمة المصباح، ص ٥١١، ٥١٢؛ والحميري: الخور العين، ص ٢٠٠.

(٧) مجموع رسائل الإمام الهادي، ص ٢٠٠ - ٢٠٣.

١٦ - كتاب البالغ المدرك^(١)، وقد طبع^(٢)، وفيه ذكر ما يجب على البالغ المدرك من معرفة الله ورسوله وغير ذلك، وقد شرحه الإمام أبو طالب الهاروني (ت ٤٢٦هـ) بشرح، وطبع معه.

١٧ - كتاب المنزلة بين المنزلتين^(٣)، وقد طبع، وقد ذكر فيه أبوابا من أصول الدين، وذكر منها المنزلة بين المنزلتين^(٤).

١٨ - كتاب الجملة^(٥)، وذكر فيه أصول الدين، وأصول الشرائع، وكثيرا من الشرائع على سبيل الجملة، وقد طبع^(٦).

١٩ - كتاب الديانة^(٧)، وقد طبع، وذكر فيه ما يدين الله به في التوحيد، وقيام الحجة على أهل الفترات، وأن رضا الله وسخطه بحسب عمل العبد لا بحسب علم الله^(٨).

٢٠ - كتاب فيه معرفة الله من العدل والتوحيد وإثبات النبوة في النبي عليه وآله السلام، طبع^(٩)، وقد شرح فيه هذه الأصول وأدلتها، وذكر مفاهيم يوردها المجبرة شُبَّها كالهدي والضلال وغيرهما، وذكر فيه أخبار بعض الأئمة، ومنهم الإمام زيد بن علي، ولعله ألفه للتثقيف العام أيضا، حيث كان يشدد على وجوب

(١) عبد الله بن حمزة: الشافي، ج ١، ص ٨٤٠؛ والمحلي: الحقائق الوردية، ج ٢، ص ٢٩.

(٢) الهادي: مجموع رسائل الإمام الهادي، ص ٤١ - ٤٨.

(٣) المحلي: الحقائق الوردية، ج ٢، ص ٢٩.

(٤) الهادي: مجموع رسائل الإمام الهادي، ص ١٥٢ - ١٧٩.

(٥) المحلي: الحقائق الوردية، ج ٢، ص ٢٩.

(٦) عمارة: رسائل العدل والتوحيد، ج ٢، ص ٢٨١ - ٢٩٤؛ والهادي: مجموع رسائل الإمام الهادي، ص ١٨٠ - ١٩٠.

(٧) المحلي: الحقائق الوردية، ج ٢، ص ٢٩.

(٨) الهادي: مجموع رسائل الإمام الهادي، ص ٨٦ - ٩١.

(٩) عمارة: رسائل العدل والتوحيد، ج ٢، ص ٦٣ - ١٠٩؛ والهادي: مجموع رسائل الإمام الهادي، ص ٤٩ - ٨٥.

تعلّم معرفة الله، وكان من مهام ولاته وعماله تعليم الرعية معرفة الله.

٢٢ - كتاب تفسير الكرسي، طبع^(١).

٢٣ - كتاب العرش والكرسي، طبع^(٢).

٢٤ - كتاب الرد على المجبرة القدريّة، وهو الكتاب الأول، وقد طبع، وفيه فنّد قول المجبرة، وأورد عليهم آيات من كتاب الله، وألزمهم إما القول بالعدل أو الكفر بما أنزل الله^(٣).

٢٥ - كتاب الرد على المجبرة القدريّة الثاني، وقد طبع، وفيه أبطل ما تحتج به المجبرة، وذكر الآيات وشواهد العقل، مما يشهد بعدل الله ونفي الجبر^(٤).

٢٦ - الردّ على مَنْ زَعَمَ أَنَّ القرآن قد ذهب بعضه، طبع^(٥)، وقد ذكر أنه كان هناك مَنْ كان يقول بأنه "قد ذهب بعض القرآن، ولم يبق إلا أقله"، وأنه "ذهب عامّته"^(٦)، على أن القول بنقصان القرآن كان - في ما يبدو - شائعاً في عصر الإمام الهادي^(٧). وقد ردّ عليهم الإمام الهادي ردّاً عقلياً، ثم ثناه بالأدلة من

(١) الهادي: مجموع رسائل الإمام الهادي، ص ٢٠٤ - ٢٠٩.

(٢) الهادي: مجموع رسائل الإمام الهادي، ص ٢١٠ - ٢١٧.

(٣) الهادي: مجموع رسائل الإمام الهادي، ص ٢١٨ - ٢٣٨.

(٤) عمارة: رسائل العدل والتوحيد، ج ٢، ص ٢٩ - ٦١؛ والهادي: مجموع رسائل الإمام الهادي، ص ٢٣٩ - ٢٦٦.

(٥) الهادي: مجموع رسائل الإمام الهادي، ص ٤٦٠ - ٤٦٤.

(٦) الهادي: الرد على مَنْ زَعَمَ أَنَّ القرآن قد ذهب بعضه، مجموع رسائل الإمام الهادي إلى الحق القويم، تح: عبدالله الشاذلي، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء، ط ١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص ٤٦١، ٤٦٢.

(٧) هناك روايات يُسْتَمْت منها تلك الرائحة، وقعت عند مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ) في صحيحه، تح: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٢، ص ٧٢٦، رقم ١٠٥٠، ص ١٠٧٥، رقم ١٤٥٢؛ والكليني، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩هـ) في الكافي، منشورات الفجر،

القرآن الكريم، ومن قول الرسول ﷺ.

٢٧- من مسائل محمد بن عبيد الله، وقد طبع^(١).

٢٨- مسألة من مسائل النباي^(٢)، وقد طبع^(٣).

٢٩- مسألة لأبي القاسم محمد بن يحيى السلام^(٤)، وقد طبعت^(٥).

٣٠- من مسائل علي بن محمد العلوي مما سأل عنه الهادي إلى الحق، وقد طبعت، وهي عبارة عن مسألتين فقط^(٦)، غير أن الباحث جمال الشامي نشر (مسائل علي بن [محمد بن] عبيد الله العلوي سأل عنها الهادي إلى الحق ﷺ)^(٧)، وفيها حوالي ٣٩ مسألة، بما فيها المسألتان السابقتان، وأسلوب الجواب فيها يشبه أساليب الهادي في كتبه الأخرى؛ وهو أمر يشير إلى وقوع اجتزاء كبير لهذه المسائل بالشكل الذي ظهر في المطبوعة، ويشير إلى أهمية نشرها كاملة، والعنوان (من مسائل علي بن محمد العلوي) في المطبوعة يشير إلى ذلك الاجتزاء.

بيروت، ط ١، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م، ج ٨، ص ١٤١-١٤٢، ٢٥٩، أما أستاذه المفسر علي بن إبراهيم القمي (ت ٣٢٩هـ / ٩٤٠م) فتفسيره مملوء منها، "وله غلو" في ذلك (الكاشاني، محسن الفيض (ت ١٠٩١هـ): التفسير الصافي، تح: حسين الأعلمي، مكتبة الصدر، طهران، ط ٢، ١٤١٦هـ، ج ١، ص ٥٢-٥٣)، ويروى ذلك أيضاً عن بعض الإسماعيلية. ينظر ابن حزم، علي بن أحمد، القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦هـ): الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة السلام العالمية، ج ٤، ص ١٣٩؛ والفقي، الحبيب: التأويل أسسه ومعانيه في المذهب الإسماعيلي: القاضي نعمان، الجامعة التونسية، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، ١٩٩١م، ص ٩.

(١) الهادي: مجموع رسائل الإمام الهادي، ص ٦٠٨-٦١٢.

(٢) النباي: لم أعرفه.

(٣) الهادي: مجموع رسائل الإمام الهادي، ص ٦١٣-٦١٤.

(٤) الهادي: مجموع رسائل الإمام الهادي، ص ٦١٥-٦١٩.

(٥) الهادي: مجموع رسائل الإمام الهادي، ص ٦٢١-٦٢٢.

(٦) نشرها إلكترونيا في ١٤٤٠هـ / ٢٠١٨م، عن مخطوطة رقمية، أهداها.

- ٣١- جواب مسائل لابنه المرتضى عليه السلام، وقد طبعت ^(١).
- ٣٢- كتاب جواب القمي ^(٢)، وقد طبع بعنوان (جواب مسألة الرجل من أهل قم) ^(٣).
- ٣٣- كتاب جواب مسائل الرازي - جزءان ^(٤) -، وقد طبع بعنوان (جواب مسائل أبي القاسم الرازي)، وفيه مسائل عديدة في الأصول والفقه والمعارف العامة ^(٥).
- ٣٤- من مسائل الطبريين، أجاب عنها الهادي يحيى بن الحسين، وهي مسائل في التفسير وأصول الدين وفروعه، والفرق والمذاهب، وتعريف المرجئ، والمنافق، والقدري، والحشوي، والإمامي، والشيوعي، والزيدي ^(٦).

ت- أصول الاستنباط

- ٣٥- كتاب القياس ^(٧)، بحث فيه سبب افتراق الأمة، ومسألة استنباط الأحكام الشرعية، ومن هو الذي يجب اتباعه من أهل البيت، ومتى يختلفون، وغير ذلك، وقد طبع أيضاً ^(٨).
- ٣٦- كتاب السنة ^(٩)، ويطلق عليه (تفسير معاني السنة)، وقد طبع ^(١٠)، ويتناول

- (١) الهادي: مجموع رسائل الإمام الهادي، ص ٦٢٣-٦٢٥.
- (٢) عبد الله بن حمزة: الشافي، ج ١، ص ٨٤٠. والقمي نسبة إلى قم مدينة في إيران تقع جنوب طهران وشمال أصفهان. البغدادي: دليل المسافر إلى إيران، ص ٣٠٥.
- (٣) الهادي: مجموع رسائل الإمام الهادي، ص ٥٥٠-٥٥٧.
- (٤) عبد الله بن حمزة: الشافي، ج ١، ص ٨٣٩.
- (٥) الهادي: مجموع رسائل الإمام الهادي، ص ٥٥٨-٦٠٧.
- (٦) نشرها أيضاً الباحث جمال الشامي إلكترونياً، في ١٤٣٨ هـ / ٢٠١٦ م.
- (٧) الهاروني: الإفادة، ص ١٠١؛ وعبد الله بن حمزة: الشافي، ج ١، ص ٨٣٩؛ والمحلي: الحقائق الوردية، ج ٢، ص ٢٩.
- (٨) الهادي: مجموع رسائل الإمام الهادي، ص ٤٨٦-٥٠٣.
- (٩) عبد الله بن حمزة: الشافي، ج ١، ص ٨٣٩.
- (١٠) الهادي: مجموع رسائل الإمام الهادي، ص ٤٦٥-٤٨٢.

الرد على من زعم أن السنة ليست وحيا من الله، بل هي اجتهاد من الرسول ﷺ.

ث - الفقه

كان الهادي فقيها بارعا، وإماما متمكنا، وتميز فقهه بتكليفه مع البيئة اليمنية؛ كونه نشأ فيها، وعلى أساس افتراضاتها وتعقيداتها، وبالتالي فقد كان منبئا على فقه الواقع ومصلحة الرعية بما لا يخل بمبادئ وأهداف وأسس الدين نفسه ونصوصه الموجهة. وإذ يكتب إمام الأمة قوانينها الدينية الاجتماعية والاقتصادية من واقع عملي وبيئة واقعية فإن ذلك مدعاة للقول بأن ذلك الفقه فقه ناضج وعملي وشامل يعالج قضايا الفرد والمجتمع معا. وقد ترك الإمام الهادي عددا من المؤلفات الفقهية، ومنها:

٣٧- الأحكام في الحلال والحرام^(١)، وهو كتاب مشهور، قال الشهيد المحلي^(٢) (٦٥٢هـ/١٢٥٤م): "وهو مجلدان في الفقه متضمنا تفصيل الأدلة من الآثار والسنن النبوية، والأقيسة القوية، ما يشهد له بالنظر الصائب، والفكر الثاقب، وحسن المعرفة"، ويتميز بأنه أول كتاب جامع لأبواب الفقه كُتب في فقه أهل البيت جامعا لجميع الأبواب، ويُسمَّى هو وكتابه الآخر (المنتخب) بـ(الجامعين)^(٣). وقد ابتداء الهادي تأليف كتابه هذا في الرس بالمدينة حتى بلغ كتاب البيوع، ثم اتفق خروجه إلى اليمن، وأكمل تأليفه في اليمن كلما سنحت له فرصة، وفرغ من معركة، وقد همَّ بأن يكثر فيه من التفريع لكن منيته حالت دون ذلك^(٤)، وهذا

(١) ابن النديم، محمد بن إسحاق الوراق البغدادي (ت ٤٣٨هـ): الفهرست، تح: إبراهيم رمضان، ط ٢، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ص ٢٤٠؛ والمرتضى: مسائل عبد الله بن الحسن، ج ٢، ص ٥٨٣؛ والهاروني: الإفادة، ص ١٠١.

(٢) الحقائق الوردية، ج ٢، ص ٢٩.

(٣) الوزير: هداية الراغبين، ص ٢٥٢.

(٤) الهاروني: الإفادة، ص ١٠٨.

يشير إلى أن مسائل هذا الكتاب خضعت للمراجعة والتقييم والنظر ليس في حيثيتها النظرية، بل في الواقع التطبيقي وعلى البيئة اليمنية نفسها.

أوضح الهادي^(١) سبب تأليفه له، بأنه ألفه ليعمل على ضوئه مَنْ يُخَلِّفُهُمْ من بعده، من أولاده وإخوانه وأهل مقالته من أتباع أهل البيت، لا سيما وقد رأى "ما قد زخره بعض الجهلة المخالفين لآل الرسول"، فعند ذلك قرّر أن يضع هذا الكتاب الذي استقصى فيه "أصول ما يحتاج إليه من الحلال والحرام، مما جاء به الرسول ﷺ، ليعمل به ويتكّل عليه من ذكرنا، ولا يلتفت إلى ما في أيدي الجهلة الضلال"، وقد بدأه بمقدمة عن توحيد الله وما يستتبع ذلك من الأصول اللازم معرفتها. وقد أكمل الهادي تأليفه في فترات متقطعة؛ لانشغاله بالجهاد، فكان "كلما وجد فينة، أو اغتنم في أيامه فرصة، أثبت الفصل في كتابه، أو رسم الباب من أبوابه"، ثم غادر الحياة وكتابه هذا أبواب متفرقة غير مرتبة، فتصدّى لترتيبها وتنظيمها في نسق واحد تلميذه العلامة أبو الحسن علي بن الحسن بن أحمد بن أبي حريصة^(٢). لكنه على أية حال تم تأليفه قبل كتابه الآخر المنتخب -كما سيأتي-. ويمثل هذا الكتاب خلاصة الفقه العملي المتوارث عند أهل البيت عن آبائهم إلى رسول الله ﷺ، وقد نال شهرة واسعة في اليمن^(٣) وخارجها، وربما تداوله الزيدية خارج اليمن في عصره ثم في عصر ولديه المرتضى والناصر^(٤). وقد طبع عدة طبعات^(٥).

(١) الأحكام، ج ١، ص ٢٠-٢٢.

(٢) الهادي: الأحكام، ج ١، ص ١٧، المقدمة.

(٣) ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ٣، ص ٩٦-٩٧.

(٤) المرتضى: مسائل عبد الله بن الحسن، ج ٢، ص ٥٨٣؛ والهاروني: الإفادة، ص ١٣٣؛ والمحلي:

الحدائق الوردية، ج ٢، ص ٨٢.

(٥) الأولى عام ١٤١٠ هـ، عن دار التراث اليمني ومكتبة اليمن الكبرى، ثم الثانية عام ١٤٢٠ هـ

عن مكتبة التراث الإسلامي، ثم الثالثة عام ١٤٣٥ هـ عن مكتبة بدر.

٣٨- كتاب المنتخب^(١)، وهو أيضا مشهور، ويشتمل على جميع أبواب الفقه، وقد سأل مسأله القاضي محمد بن سليمان الكوفي، قال الكوفي^(٢): "وقصدت بمسألتي عن العلم في الحرام والحلال مَنْ أَمَرَ اللهُ عز وجل باتباعه من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وعلى أهل بيته، وهو إمام المسلمين في عصره يحيى بن الحسين"، وهذا يشير إلى أن تأليف الكتاب تمَّ في اليمن بعد انتصاب الهادي للإمامة، بل نجد نصا واضحا يفيد أنه ألف جميع مباحثه أو بعضها متزامنا مع دخول القرامطة صنعاء عام ٢٩٣هـ / ٩٠٥م، فقد ورد التمثيل في باب الرهن عندما يتغلب العدو على البلد، فيأخذ الرهن، فهل يضمه المرتن، فأجاب الهادي بأنه لا ضمان على المرتن للراهن، وقال: "وهذا مثل أهل صنعاء والقرامطة وما أشبه ذلك من البلدان"^(٣). وهذا يرُدُّ قول مَنْ قال: إن تأليف المنتخب كان قبل الأحكام^(٤)، وأنه أول ما صنَّف الهادي، وأنه صنَّفَه وهو دون العشرين^(٥).

وقد شرط الهادي فيه على نفسه بأن لا يقبل منه السائل الكوفي "جواب مسألة"، إلا بأن يسأله "عن الحجة وحجة الحجة" حتى ينتهي وإياه "إلى أصول المعرفة التي لا يجوز لأحد أن يجاوزها"، ثم بين تلك الأصول بأنها "الكتاب الناطق، والإجماع عن رسول الله ﷺ مما جاء به عن الله عز وجل، وحجة العقل التي ركبها الله في صدور العالمين؛ لتدلهم على رب العالمين، وتهديهم إلى فرائض

(١) المؤيد بالله، أحمد بن الحسين الهاروني (ت ٤١١هـ): شرح التجريد في فقه الزيدية، تح: محمد عزان، وحيد عبيد، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م، ج ١، ص ٥٤، ٦٢، ٩٢، ٩٧؛ والهاروني: الإفادة، ص ١٠١؛ وعبد الله بن حمزة: الشافي، ج ١، ص ٨٣٩.

(٢) المنتخب، ص ١٠.

(٣) المنتخب، ص ٣٧٢-٣٧٣.

(٤) يحيى بن الحسين: المستطاب، ص ٣٧.

(٥) الوزير: هداية الراغبين، ص ٢٥٢.

الدين، ...^(١) وتتميز طبيعة مباحثه بأنها طبيعة فصلية للتنازعات، حيث السائل الكوفي - وهو قاض - كان يفترض الإشكالات والقضايا والمسائل، فيأتي الهادي بالحلّول القضائية والفقهية^(٢). وقد طُبِعَ الكتاب^(٣) مع كتاب الفنون، وكتاب الرضاع، وثبتت الإمامة، وعهد الهادي إلى عماله.

٣٩- كتاب الفنون^(٤)، قال المحلي^(٥): "مهذَّبٌ ملخَّص"، وهو أيضا مما سأله عنه القاضي محمد بن سليمان الكوفي، قال في بدايته^(٦): "سألت إمام المسلمين في عصره يحيى بن الحسين، ..."، وهو يفيد أنه ممّا سأله في اليمن أيضا، واشتمل على مسائل في عدد من أبواب الفقه.

٤٠- كتاب المسائل^(٧)، ولعلها مسائل في الفقه؛ إذ أوردها الشهيد المحلي^(٨) في سياق كتبه الفقهية، وعلى الرغم من وجود عدد من مؤلفاته والتي تحمل اسم (مسائل) لكنها مضافة إلى أصحابها الذين سألوها، وربما تكون هذه أحدها، ولكنها اشتهرت من بينها حتى أضيفت إليها (أل) للغلبة، ومن المحتمل جدا أنها مسائل ولده أبي القاسم المرتضى، فقد ذكرها الهادي نفسه^(٩) وعزا إليها، وعندما

(١) الهادي: المنتخب، ص ٢١.

(٢) ينظر على سبيل المثال الهادي: المنتخب، ص ٢٩١، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، وغيرها.

(٣) الطبعة الأولى سنة ١٤١٤ هـ عن دار الحكمة اليمانية.

(٤) المؤيد بالله: شرح التجريد، ج ١، ص ٢٢؛ والهاروني: الإفادة، ص ١٠١؛ وعبد الله بن حمزة: الشافي، ج ١، ص ٨٣٩.

(٥) الحدائق الوردية، ج ٢، ص ٢٩.

(٦) الفنون، ضمن كتاب المنتخب، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، ط ١، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م، ص ٤٢٥.

(٧) الهاروني: الإفادة، ص ١٠١؛ وعبد الله بن حمزة: الشافي، ج ١، ص ٨٣٩؛ والمحلي: الحدائق الوردية، ج ٢، ص ٢٩.

(٨) الحدائق الوردية، ج ٢، ص ٢٩.

(٩) المنتخب، ص ٨٩، قال: "ولنا في هذا كلام وتفسير جيد في مسائل ابني أبي القاسم أطال الله بقاءه".

ذكر كل من الإمام الهاروني، والإمام عبد الله بن حمزة، والشهيد المحلي مؤلفات الهادي، لم يذكروا مسائل أبي القاسم المرتضى.

٤١ - مسائل محمد بن سعيد^(١)، ولعلها في الفقه؛ لذكرها في سياق العناوين الفقهية عند المحلي. ولا يعرف الباحث وجودا لها.

٤٢ - كتاب الرضاع^(٢)، وقد طبع مع المنتخب.

٤٣ - كتاب المزارعة^(٣)، ولم يعرف الباحث وجودا له.

٤٤ - كتاب أمهات الأولاد^(٤)، وهو جواب على سؤال للقاضي محمد بن سعيد اليرسمي حول هذا الموضوع، وهو مخطوط^(٥)، ولعله غير مسائل محمد بن سعيد^(٦)؛ إذ هو يتحدث عن مسألة واحدة، هي مسألة أمهات الأولاد، ومسائل محمد بن سعيد تشعر بعدد من المسائل، ثم إن واضعي قوائم مؤلفات الهادي القدماء ذكروا العناوين معا، وهم قد اطلعوا عليها، وكانت موجودة بين أيديهم^(٧).

٤٥ - كتاب الولاء^(٨)، ولم أعرف وجودا له.

٤٦ - مسألة في الذبائح، وقد طبعت^(٩).

(١) اليرسمي، وقد تقدم. الهاروني: الإفادة، ص ١٠١؛ وعبد الله بن حمزة: الشافي، ج ١، ص ٨٣٩ والمحلي: الحقائق الوردية، ج ٢، ص ٢٩.

(٢) المؤيد بالله: شرح التجريد، ج ١، ص ٢٣؛ وعبد الله بن حمزة: الشافي، ج ١، ص ٨٣٩ والمحلي: الحقائق الوردية، ج ٢، ص ٢٩.

(٣) عبد الله بن حمزة: الشافي، ج ١، ص ٨٣٩ والمحلي: الحقائق الوردية، ج ٢، ص ٢٩.

(٤) عبد الله بن حمزة: الشافي، ج ١، ص ٨٣٩ والمحلي: الحقائق الوردية، ج ٢، ص ٢٩.

(٥) الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ج ٢، ص ٤٢٩.

(٦) الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ج ٢، ص ٤٢٩.

(٧) عبد الله بن حمزة: الشافي، ج ١، ص ٨٣٩ - ٨٤٠ والمحلي: الحقائق الوردية، ج ٢، ص ٢٩.

(٨) عبد الله بن حمزة: الشافي، ج ١، ص ٨٤٠ والمحلي: الحقائق الوردية، ج ٢، ص ٢٩.

(٩) الهادي: مجموع رسائل الإمام الهادي، ص ٦٢٠.

٤٧ - كتاب الصلاة، ذكره ابن النديم^(١). ولم أعرف له مكانا.

ج- أخرى

٤٨ - كتاب دعوة وجه بها إلى أحمد بن يحيى بن زيد^(٢) ومن قبله، وقد طبع. وفيه حث على الجهاد، ووصف من يجب الجهاد معه من الأئمة، وتشخيص دقيق لوضعية العالم الإسلامي آنذاك تحت حكم العباسيين، وأهداف دعوته، وغاياتها، ونتائجها^(٣).

٤٩ - كتاب العهد^(٤)، ولعله هو (عهد الإمام الهادي لعماله)، وقد طبع^(٥).

(١) الفهرست، ص ٢٤٠.

(٢) من المحتمل أن يكون أحمد بن يحيى بن زيد، الملقب (ثعلب) إمام الكوفيين في النحو، وقد عاصر الإمام الهادي، فقد ولد سنة ٢٠١ هـ، وتوفي سنة ٢٩١ هـ ببغداد، غير أن مضمون دعوة الهادي تفيد أنه دعاه ومن معه إلى الجهاد بين يديه، وإقامة دولة أهل البيت العادلة، وخاطبه بأنه "من أهل التوحيد"، وذكره أن أسلافه المؤمنين جاهدوا العباسيين، وأشار إلى أنه كان من المؤملين في قيام دولة آل الرسول، وأنه من أعداء العباسيين (الهادي: مجموع رسائل الإمام الهادي، ص ٥١٤، ٥١٧، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١) ومن البعيد أن تنطبق هذه الأوصاف على ثعلب الذي كان قد وفر نفسه على النحو والتأليف فيه، وقد صار سببه عند دعوة الهادي في الثمانين وبضعها، بحيث لا يبقى مطعم لأحد فيه.

وهناك احتمال أن يكون أحد الطالبين من ذرية زيد بن الحسن، وهو أحمد أبو العباس الملقب المثنوق (أو المنقوب) بن يحيى بن هارون بن محمد بن الحسن بن محمد بن عبد الرحمن الشجري ابن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن السبط (الرازي، محمد بن عمر، فخر الدين (ت ٦٠٦ هـ): الشجرة المباركة في أنساب الطالبية، تح: مهدي الرجائي، مكتبة آية الله العظمي المرعشي النجفي، قم، ط ٢، ١٤١٩ هـ، ص ٧١؛ والمروزي، إسماعيل بن الحسين بن محمد، أبو طالب الأزورقاني (ت بعد ٦١٤ هـ): الفخري في أنساب الطالبين، تح: مهدي الرجائي، مكتبة آية الله العظمي المرعشي النجفي العامة، قم، ط ١، ١٤٠٩ هـ، ص ١٥٤).

ويحتمل أن يكون أحمد أبا جعفر بن يحيى النسابة (المتوفى سنة ٢٧٧ هـ) ابن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي زين العابدين. (الرازي: الشجرة المباركة، ص ١٦٣)، وتصحفت زين إلى زيد. والله أعلم.

(٣) الهادي: كتاب دعوة وجه بها إلى أحمد بن يحيى بن زيد ومن قبله، ص ٥٠٤ - ٥٢٢.

(٤) عبد الله بن حمزة: الشافي، ج ١، ص ٨٣٩.

(٥) مع كتاب المنتخب، ص ٥٠٥، وضمن مجموع رسائل الإمام الهادي، ص ٥٤٥.

- وكان الهادي أيضا قد كتب عهدا لولاته لعله في بداية وصوله إلى اليمن، وهو أصغر من هذا العهد، وأكثر اختصارا منه، وهو الذي ورد في السيرة^(١).
- ٥٠ - كتاب الخشية^(٢)، وقد طبع، ويتحدث عن الأخلاق والآداب^(٣).
- ٥١ - كتاب الفوائد - جزءان^(٤) -، ولم أعرف عن وجوده شيئا.
- ٥٢ - كتاب أبناء الدنيا^(٥)، ولم أعرف عن وجوده شيئا.
- ٥٣ - كتاب مسائل ابن سعد^(٦)، ولم أعرف عن وجوده شيئا.
- ٥٤ - كتاب جواب مسائل نصارى نجران^(٧)، ولم أعرف عن وجوده شيئا.
- ٥٥ - كتاب مسائل أبي الحسين^(٨)، ولم أعرف عن وجوده شيئا.

(١) ل ١٢ / ب - ١٣ / ب.

(٢) المحلي: الحقائق الوردية، ج ٢، ص ٢٩.

(٣) الهادي، يحيى بن الحسين (ت ٢٩٨ هـ): المجموعة الفاخرة، تح: علي أحمد الرازحي، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٢ م، ص ٥٩٣ - ٥٩٤.

(٤) عبد الله بن حمزة: الشافي، ج ١، ص ٨٣٩؛ والمحلي: الحقائق الوردية، ج ٢، ص ٢٩.

(٥) عبد الله بن حمزة: الشافي، ج ١، ص ٨٤٠.

(٦) عبد الله بن حمزة: الشافي، ج ١، ص ٨٤٠. ولم أعرف ابن سعد هذا.

(٧) عبد الله بن حمزة: الشافي، ج ١، ص ٨٤٠.

(٨) عبد الله بن حمزة: الشافي، ج ١، ص ٨٤٠. ولا أدري هل أبو الحسين هو الطبري أو غيره.

ثالثاً: جهوده الفكرية والعقائدية

انطلق الهادي من الفكر الزيدي، ولَمَّا سُئِلَ عن تعريف الزيدي مَنْ هو، أجاب بأنه "مَنْ اقتدى بزید بن علي...، وائتم به في أفعاله من القول بتوحيد الله وعدله، وتصديق وعده ووعيدته، ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتجريد السيف على مَنْ عَنَدَ عن دين الله،...، فمن قال بذلك، وكان في أمره كذلك، ودعا إلى الله عز وجل وإلى جهاد أعداء الله، وقام بفرائض الله، وانتهى عن محارم الله، فهو الزيدي المهتدي المؤمن التقى"^(١)؛ لهذا لا يختلف مذهب الهادي في الأصول والعقيدة عن مذهب آبائه وأهل بيته. وكان يشدّد في مؤلفاته على القول بالتوحيد والعدل وصدق الوعد والوعيد وإثبات النبوة وإمامة الإمام علي بن أبي طالب وذريته من أولاد الحسين، ولما عدّد سلفه من الأئمة بدأ بذكر الإمام زيد بن علي، ومن تلاه من أئمة الزيدية حتى عصره^(٢)، وهو بهذا يكون قد حدّد اتجاهه في المسار الزيدي من فرق الشيعة.

سعى الهادي إلى بناء المنظومة العقائدية والفكرية في أتباعه ومناصريه في الوقت الذي كان يُردُّ فيه على المذاهب الفكرية والعقائدية الأخرى، وقد نجح في تثبيت معرفة الله والعدل والتوحيد في أكثر المناطق التي استقر حكمه فيها، يقول الإمام الناصر ولده^(٣): "فأنار لهم حقهم، وظهرت كلمتهم، وأعلن التوحيد والعدل، وزال الظلم والجهل، فنطقوا بعدل الله وتوحيده صراحاً، وباينوا أعداءه

(١) الهادي، يحيى بن الحسين (ت ٢٩٨هـ): من مسائل الطبريين، تح: جمال الشامي، ١٤٣٨هـ/

٢٠١٦م، نشر إلكتروني، ص ٣٣.

(٢) الهادي: الأحكام، ج ١، ص ٣١-٣٤؛ وكتاب فيه معرفة الله، ص ٥٦-٦٠.

(٣) الشامي: اليمن والأئمة، ص ٤٣.

كفاحاً"، وقال ولده المرتضى^(١): "كم من مُجْبِرٍ مُشَبَّهٍ لله عاد ونظر، فتخلص من موبقات، ونجا من مهلكات". وقد ردّ في كتبه ورسائله على فرق عديدة، ولكنه ركز اهتمامه على بعضها أكثر من البعض الآخر؛ لأنها كانت تشكل خطورة عملية في واقع اليمن آنذاك، ومن أولئك المجبرة والمشبَّهة والقرامطة، يقول الشرفي^(٢): "وامتلاً اليمن ببركته عدلاً، ونفى المذاهب الردية من الجبرية والأباضية والقرامطة، وأظهر مذهب العترة الزكية، وأظهر العدل والتوحيد".

اشتملت كتبه ورسائله على ردود طويلة وكثيرة على المجبرة والمشبَّهة؛ لما كانوا عليه من الجهل بالله، ثم لأن فكر الجبر والتشبيه والإرجاء كان فكراً هداماً يعود بالضرر على حركته الثائرة البناء، وقد قال هو في وصف آثاره الخطيرة: "فقوم يقولون على الله بالجبر والتشبيه، وينفون عنه العدل والتوحيد، وينسبون إليه عز وجل أفعال العباد، ويقولون: إن هذا الذي نزل بهم بقضاء وقدر، ولولا أن الله قضى عليهم بهذا الظلم الذي نزل بهم من هؤلاء الظالمين، ما إذاً قدر الظالم أن يظلمهم، غير أن هذا الظلم مقدّرٌ عليهم عند الله على يدي هذا الظالم، فإذا كانت معرفتهم هذه المعرفة، وكان معبودهم الذي يزعمون أنهم يعبدونه هذا فعله بهم، فمتى يصل هؤلاء إلى معرفة الخالق، ومتى يدعونه، ويستعينون به على ظالمهم؟!، إنما هم يدعون هذا الذي يزعمون أنه قضى عليهم بهذا الظلم وقدره،...، وعلى هذا النحو أسلمهم ربهم، وتركهم من التوفيق والتسديد، وخذلهم، ولم ينصرهم على ظالمهم"^(٣).

(١) الغفلة، ج ٢، ص ٦٨٨ - ٦٨٩.

(٢) الشرفي: اللآلي المضية، ج ١، ص ٤٥٤.

(٣) الهادي: كتاب فيه معرفة الله، ص ٦٥.

وكان يتشدد ضد المجبرة والمشبهة، وكان يحرم الأكل من ذبائحهم^(١)، وتمتلىئ كتبه ورسائله كما مرّ بالردود عليهم، وتفنيد الشبه التي يستندون إليها بشكل واسع. غير أنه على الرغم من ذلك فإنه لم ينقل عنه لا في السيرة ولا في غيرها أنه حاكم أو عاقب أيًا من علمائهم أو زعمائهم لأجل اعتناقهم هذا المذهب، بل كان يكتفي بالردود عليهم، والتأليف للكتب والرسائل ونشرها، ونشر الثقافة والأفكار التي كان يعتقد صحتها، بل إن أهل صنعاء - وكان فيهم مجبرة - اجتمعوا عليه وناظروه، فناظرهم، وقطع جدلهم بكلمات قليلة^(٢)، ولما قدم صنعاء أيضا كتب إليه علماءؤها يُحذِّرونه "البدع المضلة، والأهواء المغوية، والآراء المحدثه، والميل إلى الخلاف والفرقة"، ويحثونه "على لزوم الجماعة"، وكان فريق منهم قد اجتمعوا على عيبه، والطعن عليه، والنقص له، والشتم له^(٣)، فلم يُرو أنه عاقبهم، أو اتَّخَذَ ضَدَّهُمْ أيَّ إجراء، بل رُوِيَ أنه فقط قام بالرد عليهم بذلك الجواب، وشرح فيه مذهبه ومنهجه وطريقته وأخلاقه وقيمه، وبهذا يتبين أنه ليس دقيقا القول بأن "القتال المير" الذي كان بينه وبين بعض القوى السياسية والقبلية إنما كان على خلفية اعتقادهم الجبر^(٤)، بل يتضح من هذه السيرة أن سبب قتال مَنْ قاتلهم من القوى السياسية والقبلية هو أنهم كانوا ينصبون له الحرب، ويتمردون على دولته وسلطانته، بعد أن كانوا قد أسلموا له القيادة، وانضوا تحت لواء دولته، ولم ترد أية إشارة لا من قريب ولا من بعيد في هذه السيرة توحى بأن

(١) الهاروني: الإفادة، ص ١٠٥، ١١٠.

(٢) يحيى بن الحسين: المستطاب، ص ٣٨.

(٣) الهادي: جواب لأهل صنعاء، مجموع رسائل الإمام الهادي إلى الحق القويم، تح: عبدالله الشاذلي، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء، ط ١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م، ص ٩٢.

(٤) الشجاع: الحياة العلمية في اليمن، ص ١٤١.

خلفية ذلك القتال كان هو المعتقد.

وكما ردَّ على المجبرة ردَّ على المرجئة في ثنايا كتبه؛ إذ كانوا يعتقدون أن الإيمان مجرد قول بلا عمل، وفي هذا ما فيه من بناء مجتمعات هشة، لا تؤمن بالعمل وأهميته، وفيه أيضا مباركة للسلوكات المنحرفة المبنية على هذه العقائد؛ لهذا لم يدَّخِر وسعا في الجواب عليهم، كما لم يُفَوِّت الجواب على مناقضتهم من الخوارج الذي كانوا يُكفِّرون أهل القبلة، "إذا أصابوا كبيرة من الكبائر"^(١)، واعتبر أن "اسم الإيمان فاضل شريف حسن، وأنَّ مَنْ سماه الله مؤمنا فقد مدحه الله مدحا شريفا،...، وسماه بالفاضل من الأسماء"، "وأن هذه الأسماء الحسنة لا يستحقها الفجرة الفسقة العتاة الظلمة،..."^(٢).

سلك الهادي ذات السلوك مع الأباضية، حيث اكتفى بتنفيذ بعض عقائدهم مثل الجبر، وكان فيما يبدو يأتي إليه بعض الأسئلة من بلادهم، فكان يرُدُّ عليهم ويوضِّح لهم الموقف الذي هو عليه بالكتاب والتأليف^(٣). ولما تحالف الأباضيون من أهل مخلاف قَدَم مع اليُعفرين ضده، وحرَّكوا جيوشهم إلى شبام والبون، لم يتعامل الهادي معهم على أساس عقيدتهم في ما يبدو، بل أبقى الصراع معهم في بعده العسكري والسياسي والاجتماعي^(٤)، وربما كان في انشغاله بالحروب المتتالية مع بني يُعفر وبني طريف وبني الحارث ثم القرامطة ما صرفه عن بسط نفوذ دولته على بلاد الأباضية في مخلاف قدم، فلم يطلَّع الباحث أنه دخل معهم في

(١) الهادي: كتاب المنزلة بين المنزلتين، مجموع رسائل الإمام الهادي إلى الحق القويم، تح: عبدالله الشاذلي، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء، ط ١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م، ص ١٧٣، ١٧٤، ١٧٧.

(٢) الهادي: كتاب المنزلة بين المنزلتين، ص ١٧٠.

(٣) الناصر: الرد على الإباضية، ج ٢، ص ١٧٩.

(٤) العلوي: السيرة، ل ٧٥ / أ - ٧٧.

صراع عسكري.

ثم إن الهادي لم يكن يدخل بلدا من البلدان إلا إذا استدعاه أهله لبسط دولته عليهم، وهذا ما لم يحدث - في ما يبدو - من جهة هذا المخلاف، على أنه من الناحية الجغرافية كان منعزلا ومتحصنا عن الامتداد الطبيعي الذي انطلق فيه الإمام الهادي. ومع ذلك لم تسجل السيرة كل تحركات الإمام الهادي وعلاقاته، وربما أغفلت ذكر العلاقة معهم كما أغفلت كثيرا من وقائعهم.

وكذلك ردّ على مَنْ سَمَّاهم الرافضة في عصره، وبين خلفية تسميتهم بهذا الاسم وهو أنهم رفضوا نصرته الإمام زيد (ت ١٢٢هـ / ٧٣٩م)، كما شرح كيف تلقّف المتأخرون منهم مذاهب المتقدمين بدون نظر ولا تأمل^(١). وبهذا يتبين أن الهادي أفسح مجال الحوار والمناظرات للتعامل مع هذه الفرق بدلا عن لغة الحرب والقتال، والتي لم تكن بالنسبة له إلا ضرورة لا خيار معها، كما يتضح ذلك من خلال سيرته هذه، وكما يستشف أيضا ذلك من مناظرات وسلوك تلميذه أبي الحسين الطبري لاحقا^(٢) الذي كان خصما لقادة ومنتسبي الفرق الفكرية الأخرى وصديقا لهم في آن واحد.

غير أن الأمر كان مختلفا تماما بالنسبة للقرامطة؛ فهو وإن ردّ عليهم في كتاب (بوار القرامطة) كما يفهم من عنوانه، لكن لكونهم كانوا حركة عسكرية عنيفة تصدّى لهم عسكريا، وكانت جهوده ضدهم تتميز بتنوعها فكريا وعلميا وعسكريا أيضا، كما سيأتي.

ومع ذلك كله فقد كانت علاقته بعلماء المذاهب الفقهية الأخرى - ولا سيما

(١) الهادي: كتاب فيه معرفة الله، ص ٦١ - ٦٣.

(٢) الطبري: مجالس الطبري، ص ١٠١ - ١٠٢.

الشافعية والحنفية - علاقة طيبة وودية، لم يشبها شيء من التعصب، بل أقرَّ الهادي قاضي صنعاء ابن الأعجم الحنفي على عمله^(١)، وولي لاحقاً القاضي الحنفي أحمد بن يوسف الحذاقي^(٢) قاضياً على صنعاء أيضاً^(٣)، كما لم يُنقل حدوث أية إشكالية مذهبية في المناطق التي دخلها الهادي من المناطق السنية. بل إن سمعته العلمية والسياسية والإدارية كانت قد وصلت إلى أماكن بعيدة خارج اليمن^(٤)؛ الأمر الذي جعل بعض العلماء، ومنهم أبو الحسن الهمذاني الشافعي المذهب، والمعروف بالحروري، يحطُّ رحاله في جناب دولته، ويطلع على تفاصيل عدله وعلمه عن كثب، فقابله بالاحترام والإجلال والإكرام، ورأى منه علماً زاخراً، فاعترف له بالفضل والتفوق في العلم^(٥).

وهكذا يتبين أن جهوده الفكرية انصبَّت على بناء الشخصية السوية فكرياً وتصورياً، ومواجهة الأفكار الهدامة التي كانت تشكل خطراً على بناء المجتمع ودولته العادلة، كما اتسمت بالحوار والتسامح مع المذاهب والأفكار المخالفة له والتي لم يكن لديها مشروع عسكري.

(١) العلوي: السيرة، ل ٤/ أ. وابن الأعجم: ستأتي ترجمته في النص المحقق، ص ٢٦٦.

(٢) الحذاقي: ستأتي ترجمته في النص المحقق، ص ٧٧٤.

(٣) العلوي: السيرة، ل ١٣٧/ ب (الملحق).

(٤) الهاروني: الإفادة، ص ١٠٢.

(٥) الهاروني: الإفادة، ص ١٠١-١٠٢، ١١١-١١٢.

رابعاً: جهوده السياسية والإدارية

شَخَّصَ الهادي واقع الأمة تشخيصاً دقيقاً، واطلع على الخلل الذي أصابها والظلم الذي كانت تزرع تحته، فرأى أن الواجب الشرعي تغيير ذلك الواقع والتحرك لنصرة دين الله، وقد رأى أن الفرصة لائحة للتغيير، وأنها بحاجة إلى التحرك البناء والإيجابي من رجالٍ مخلصين مجاهدين من أهل العدل والتوحيد^(١). وقد تقدَّم وصفه لتلك الحالة التي كانت عليها الأمة وعلاقتها مع حكامها الظَّلَمَة، بيد أنه كان يرى أن ذلك الخلل لا يتحمَّل وزره فقط الحكام الظالمون والمتجبرُّون، بل إن هناك مسؤولية تقصيرية تتحملها الرعية التي لا تتحرك ولا يكون لها موقف، وقد قال^(٢): "ولولا التجار والزارعون ما قامت للظالمين دولة، ولا ثبتت لهم راية،...؛ لأن الحرَّاثين يحرثون، والظالمين يلعبون، ويحصدون وينامون، ويجوعون ويشبعون، ويسعون في صلاحهم وهم يسعون في هلاك الرعية، فهم لهم خدم لا يُؤجَّرون، وأعدوان لا يُشكرون". وعلى ضوء هذه القناعة تحرك الهادي وخرج إلى اليمن.

١- خروجه الأول إلى اليمن

خرج الهادي إلى اليمن خرجته الأولى في سنة ٢٨٠هـ / ٨٩٧م، وكان تحركه الثوري والجهادي مدفوعاً بعدد من العوامل والأسباب، ومن أهم تلك العوامل والأسباب ما يلي:

أولاً: شعوره بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إزاء ما كان يراه في

(١) الهادي: كتاب دعوة وجه به إلى أحمد بن يحيى بن زيد، ص ٥٠٤ - ٥٢٢.

(٢) كتاب فيه معرفة الله، ص ٧٨.

واقع الأمة من ظلم وعسف وطغيان وانحراف، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أصول الدين في فكر الإمام الهادي وأهل بيته.

ثانياً: عامل التربية والمعرفة التي كان يحملها، والبيئة التي تربى فيها، فقد تربى في بيت آبائه الذين ما فتئوا يحملون مشاريع التغيير والثورة على الظالمين، وآخرهم عمه محمد بن القاسم الذي كانت له بيعة في الآفاق، وله "بيعة في اليمن" أيضاً^(١)، فحمل شعوراً كبيراً بالمسؤولية والواجب الشرعي الذي ينتظره، وكان لتشجيع أعمامه ووالده له، وأملهم في أن يكون له شأنٌ أثرٌ في ذلك^(٢). وكان يتكئ على رصيد كبير من التاريخ الثوري لأهل بيته، فهو بلا شك قد نظر في أحوال سلفه من الثائرين، وكيف تحركوا من أجل الإصلاح في أمة جدهم، فوجدتهم قادة وسادة ثائرين وشهداء لم يردعهم خوف ولا قتل ولا تنكيل^(٣)، وقد مكث يناظر نفسه طويلاً حتى وصل إلى نتيجة حاسمة وهي "إما الخروج أو الكفر بما أنزل الله على محمد ﷺ"^(٤)؛ ولهذا كان وريث آبائه في فضلهم وسمعتهم وتحركاتهم^(٥)، بل وقد كان هناك من يتحدث بفصائله في بعض البلدان، التي كان لآبائه فيها ذكر ومحبة؛ ولهذا ما إن تحرك حتى تحرك أفراد منها لنصرته^(٦).

ثالثاً: كان لديه طموح مبكر واستعدادٌ نفسي عالٍ للتحمل وملاقة الشدائد وخوض الأهوال، والاصطلاء بنار الحروب في سبيل تحقيق طموحه، والواجب

(١) العياني: كتاب التنبيه والدلائل، ص ٩٨.

(٢) العلوي: السيرة، ل ٥ / أ، ١٠٧ / أ؛ و الهاروني: الإفادة، ص ١٠٤؛ والمحلي: الحقائق الوردية، ج ٢، ص ٢٥.

(٣) الهادي: كتاب فيه معرفة الله، ص ٥٦ - ٦٠.

(٤) العلوي: السيرة، ل ١٥ / أ.

(٥) العياني: كتاب التنبيه والدلائل، ص ٩٥ - ٩٩.

(٦) المرتضى: الغفلة، ج ٢، ص ٦٩٣.

الذي يشعر بمسؤوليته تجاهه^(١)، وقد مرض في أهله ذات مرة وكان حوله أبوه وأعمامه، فطلب منهم إخلاء المجلس، ثم دعا الله أن لا يميته إلا بعد أن يصل إلى مرحلة الجهاد^(٢). وقد كان لديه مشروعٌ تغييرِيٌّ يهدف إلى بناء الدولة العادلة والمجتمع الفاضل، ولكنه لم يكن قد قرَّرَ قراره نحو بلد من البلدان؛ لهذا قام بجولة في بعض بلدان العالم الإسلامي يرافقه فيها والده وأعمامه وذووه، ووصل إلى بغداد حاضرة الخلافة العباسية، وإلى طبرستان^(٣)، وغيرها من البلدان، ليطلع على أحوال دار الإسلام عن كثبٍ، فخرج بنظرة تحليلية ورؤية تقديرية ثاقبة لأحوال العالم الإسلامي آنذاك، كما تفصح عن ذلك بعض رسائله التي شخَّصت أحوال الخلافة وضعفها وانحرافها وعلاقة ذلك بالمجتمع الإسلامي بشكل دقيق^(٤).

رابعاً: معرفته باستعداد القبائل اليمنية لنصرته جعل اليمن هي الخيار الأقرب للتحرك والثورة، وقد "ظلت أعين أئمة الزيدية تتوجه باستمرار إلى اليمن كلما فكَّرت في الظهور والخروج، لا لشيء إلا لوجود أرضية صالحة لقبول الدعوة من ناحية الولاء النفسي، ومن هنا اختار الإمام الهادي اليمن ليكون مسرحاً يقيم عليه دولة الإسلام التي يراها"^(٥). ويظهر أنه كان هناك ثقافة سائدة في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي ليس عند الإسماعيلية كما تقدم، بل وحتى عند الزيدية، بأن اليمن هي أرض النصر للدعوة، وهناك مرويات حول ذلك، وقد أشار الهادي إلى ذلك في شعر له، فقال:

(١) العلوي: السيرة، ل ٥٤ / أ، ٦١ / أ.

(٢) العلوي: السيرة، ل ١٤ / ب.

(٣) الهاروني: الإفادة، ص ١٠٣.

(٤) ينظر مثلاً: الهادي: كتاب دعوة وجه به إلى أحمد بن يحيى بن زيد؛ وكتاب فيه معرفة الله، مجموع رسائل الإمام الهادي، ص ٧٨، ٥٢٠ - ٥٢١.

(٥) الشجاع: الحياة العلمية في اليمن، ص ١٣٧.

"فما زالت الأخبار تنطق أنه سينصرنا منهم جيوش كتائب"^(١)

وتوقع أو روى أن اليمانيين سيعزُّ بهم الدين آخر الزمان، وذكر أنهم شركاء آل محمد في عزهم وأمرهم^(٢)، ولم تكن ثقافة الشراكة - شراكة اليمانيين لأهل البيت - عند الهادي وحده؛ إذ نجد المؤلف العباسي أيضا يردُّ ذلك في بيت له من الشعر^(٣).

خامسا: توجه اليمانيين إلى الرس وطلبهم من الإمام الهادي أن يخرج إليهم كان سببا حاسما في خروجه، ورأى أنه قد أوجب عليه الاستجابة والتحرك؛ إذ يظهر أن الهادي أخذ على نفسه أن لا يفرض مشروعه بالقوة على قبيلة من القبائل، ولم يكن يذهب إلى بلد إلا بعد مكاتبة أهله له^(٤)، ولعل وفادة الفطيميين واليرسميين وطلبهم منه الخروج إلى اليمن^(٥) كان في خروجه الأول أيضا، ومن الواضح أن الفرقة والاختلاف والتناحر كان سيد الموقف في اليمن، وهو ما دفع بعض القبائل إلى البحث عن المخلص؛ إذ لم يكن يوجد مشروع جامع يمكن أن ينضوي تحته اليمانيون جميعا.

يبدو أن المناطق الشمالية (خولان صعدة) وهمدان (حاشد وبكيل)، سلّموا له الأمر في خروجه الأول؛ ولهذا فقد وصل بجيشه إلى الشَّرفَة^(٦) قرب صنعاء^(٧)، وأرسل إلى حاكم صنعاء آنذاك أبي محجن بشر بن طريف يدعوه إلى الله، لكن أبا محجن أهان رسوله وضربه، "فدعا عليه"، وحدث أن أُصيبَ لاحقا ببليّة في

(١) العلوي: السيرة، ١١٠ / ب.

(٢) العلوي: السيرة، ل ١٤٦ / ب - ١٤٧ / أ.

(٣) العلوي: السيرة، ل ١٠٠ / أ.

(٤) العلوي: السيرة، ل ٢٨ / ب.

(٥) العلوي: السيرة، ل ٤ / أ، (الملخص)؛ والهمداني: الإكليل، ج ١، ص ٢٨٨.

(٦) الشَّرفَة: سيأتي التعريف بها في النص المحقق، ص ٢٩٢.

(٧) العلوي: السيرة، ل ١٠ / أ.

بدنه، فكان يقول: إن ذلك عقوبةٌ على ما عمل برسول الهادي^(١).

لم يكن أولئك الأنصار مُهيئين عند خروجه الأول لأن يكونوا نواة صالحة لإقامة الدولة التي كان يشدها الهادي، تقول بعض الروايات: إن بعض عسكره أخذ فرسكا من مزارع الرعية في بلد مرّوا عليه، وهم في طريقهم إلى صنعاء^(٢)، وأنهم "خذلوه، ورجعوا إلى ما يُسَخِطُ الله، ولم يجد عليهم أعوانا"^(٣)، وأنه تمتّع أحد أقارب بعض الزعماء المناصرين له عن إقامة الحد الذي وجب عليه^(٤)؛ لهذا "عاد إلى وطنه من أرض الحجاز"، "جاريا على عادته في طلب العلم، والنظر في الحلال والحرام، والسنن والأحكام، والآثار والأخبار"^(٥)، ولما كُلم في أن يلبث في اليمن قال كلمته المشهورة: "ما أحبُّ أن أكون مثل المصباح الذي يُحْرِقُ نفسه ويُضيءُ لغيره"^(٦)؛ الأمر الذي يشير إلى صدق الرجل مع نفسه، والتزامه بمبادئه التي أعلنها، وأنه كان بعيدا عن ثقافة النفعية الوصلية، التي تؤمن بأن الغاية تبرّر الوسيلة.

ترك بعد عودته ذكرى حسنة في قلوب اليمنيين، ولما جاءهم الغيث في تلك السنة - على خلاف السنوات السابقة - اعتقدوا أن ذلك ببركة الهادي ودعائه، بل وأثّرت خرجته في تجنب بعض القبائل الفتن الداخلية والحروب البينية^(٧)؛ الأمر الذي ترك ظلّالا إيجابية، وتشوّقا من بعض القبائل إلى عودته إليهم، وبقائه بينهم؛ وهو ما دفع كثيرا منهم لأن يعاودوا الاتصال به والطلب منه الخروج مجددا.

(١) العلوي: السيرة، ل٤٦ / ب.

(٢) العلوي: السيرة، ل١٨ / ب.

(٣) العلوي: السيرة، ل١٠ / أ.

(٤) الهاروني: الإفادة، ص ١١١؛ وعلي بن بلال: تنمة المصابيح، ص ٥٧٠.

(٥) علي بن بلال: تنمة المصابيح، ص ٥٧٧.

(٦) العلوي: السيرة، ل١٨ / ب؛ والهاروني: الإفادة، ص ١١١.

(٧) العلوي: السيرة، ل١٩ / ب.

٢- خروجه الثاني إلى اليمن

زادت الأحوال سوءاً في اليمن بعد مغادرة الهادي إياهم، في الوقت الذي كان ذكره في الأوساط القبلية قد انتشر بشكل مشوّق، فندم بعضهم "على ما فرط منهم من مخالفته، والعدول عن أمره، وتلاوموا بينهم، واتفقوا على أن يُوجَّهوا إليه من كل قبيلة رجالاً معروفين من خيارهم وصلحائهم، فيسألونه العودة إليهم، ويُعلِّمونه نَدَمَهُمْ على ما فرط منهم" ^(١). ولم يكن الفطيميون وحدهم ^(٢) الذين استدعوه وأوفدوا إليه وفداً، بل هناك قبائل وزعامات أخرى ثَبَّتَ أنهم أوفدوا إليه، وكتبوا يسألونه العودة إلى اليمن. ومن أولئك اليرسميون وغيرهم من القبائل، فقد استدعوه أيضاً ^(٣). وقد أقرَّ زعيم همدان الدُّعَام بن إبراهيم الأرحبي أنه كان "أَوَّلَ مَنْ اجْتَلَبَهُ"، وأخرجه من بلده، ثم أرسل إليه حين قدم صعدة يدعوه إلى بلاده ^(٤)، وقد ذكَّره الهادي لاحقاً بذلك في خطابٍ كتَّبه إليه، قال له: "وكان من محنتنا ومحتك أن كُنَّا في منازلنا غافلين، وفي قرانا وديارنا وأموالنا حافِظين، فحرَّكَكَ على استدعائنا المِحْنَةُ، فكَاتَبْتَنَا واستدعَيْتَنَا، ولم تزل تُفَوِّهُ بتأييدنا، وتستخرجنا عاماً بعد عام، ونحن عن إجابتك ثقال نيام، حتى أدخَلْتَ بتكرارٍ رسلك خوفَ وقوعِ الحجة علينا، بمكاتبتك لنا، فلمَّا خِفْنَا ذلك خرجنا إليك مُسرِّعين، ومن الله سبحانه في التخلُّفِ عنك خافين" ^(٥). ولما شَبَّت الحربُ بينهما، ورأى الدُّعَام أبا العتاهية وقد سبقه إلى موالاته الهادي كان يقول: "أليس من العَجَبِ أَنِّي أَصَبَحْتُ مُسَوِّدًا، وأصبح أبو

(١) علي بن بلال: تنمة المصابيح، ص ٥٧٧.

(٢) الهمداني: الإكليل، ج ١، ص ٢٨٨.

(٣) العلوي: السيرة، ل ٤ / أ. (الملخص).

(٤) العلوي: السيرة، ل ٣٧ / أ - ٣٧ / ب.

(٥) الشرفي: اللآلئ المضية، ج ١، ص ٤٥٥، رسالة الهادي إلى الدُّعَام.

العتاهية مُبَيَّنًا^(١). وكذلك الأمر بالنسبة لأبي العتاهية نفسه وقد رأى الفوضى تسود مملكته، ورأى الظلم والطغيان يُحَيِّم على أنحائها، وبنو عمه آل طريف والجفاتم يتسلطون على الرعية، ويقتلونهم، وينهبونهم، ويفجرون بهم، فقد كتب إلى الهادي "بأن يحضر اليمن لبياعه، ويتسلم الأمر منه"^(٢). وليس بعيدا أن يكون ضمن المراسلين للهادي الأمير جعفر بن إبراهيم الجعفري المناخي الحميري حاكم المذيخرة، وهو الذي كان يفتخر بحبه لأهل البيت، ويرى أنه لا يفضل عليه وعلى قومه حمير أحدٌ إلا أهل البيت، وتغنى بفضائلهم، وأشاد بأجسادهم^(٣)؛ بدليل أنه صار من أنصار الهادي، وأرسل جيشه للقتال بين يديه ضد اليعفرين وبنو طريف^(٤). وقد ذكّر المرتضى اليميني بعد وفاة والده بأنهم هم الذين دَعَوْهُ إلى بلادهم قائلا: "بعد دعائكم إياه إلى بلادكم، وبيعتمكم له على كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ"^(٥).

وَرَدَتْ كِتَابُ أَهْلِ الْيَمَنِ إِلَى الْهَادِي فِي آخِرِ عَامِ ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ م مع تَقَرُّ مِنْهُمْ يَسْأَلُونَهُ الْخُرُوجَ إِلَى بِلَادِهِمْ، وَيُعْطُونَهُ بِيَعَاتِهِمْ^(٦)، كما أرسلوا كتباً إلى أبيه وعمومته بالمدينة "يتوسّلون بهم إليه، ويسألونهم الشفع إليه في معاودتهم، على أنهم لا يخالفونه في شيء"^(٧)؛ لهذا فقد شدّ رحاله إلى اليمن، ووصل إلى صعدة في ٦ صفر ٢٨٤ هـ / ٢٤ مارس ٨٩٦ م برفقة خمسين رجلاً فقط^(٨).

(١) العلوي: السيرة، ل ٣٦ / أ.

(٢) الهارني: الإفادة، ص ١٠٥؛ وابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ١، ص ٤٧١ - ٤٧٢.

(٣) الحمادي: كشف أسرار الباطنية، ص ٥٣ - ٥٤.

(٤) العلوي: السيرة، ل ٨٣ / أ.

(٥) علي بن بلال: تنمة المصاييح، ص ٥٩٣.

(٦) العلوي: السيرة، ل ١٠ / أ.

(٧) الهاروني: الإفادة، ص ١٠٩ - ١١٠.

(٨) العلوي: السيرة، ل ١٢ / أ.

إن خروجاً على هذا النحو لا يشير إلى أن الرجل كان طامعاً في السيطرة السياسية على اليمن، أو إلى تنفيذ مشروع عائلي طموح، بقدر ما يشير إلى رغبة كثير من القبائل اليمنية إلى قيام دولة عادلة تجمع شتاتهم، وتقيم أودهم واعوجاجهم، تحت راية قائد من أهل البيت سمعوا بفضله، وعرفوا زهده وقناعاته وإخلاصه لدولة الإسلام، ورأوا كفاءته وأهليته. ثم إن عودته في المرة الأولى من اليمن إلى الحجاز، وتخليه عن مشروعه حينما رأى أنه لا يسير وفق المبادئ الإسلامية التي كان يبتغيها، ثم عزمه مرة بعد أخرى على مغادرة اليمن وتركها حينما كان يرى بعض المخالفات الخطيرة من أنصاره^(١)، كل ذلك يدل على أن الرجل لم يكن غازياً، بل كان صاحب مشروع مبدئي، لا يريد فرضه بالقوة العسكرية، وكان يريد تفاعل المجتمع اليمني معه للنهضة بهم، والحكم فيهم بما أنزل الله.

شرط الهادي على نفسه في دعوته لأنصاره أربعة شروط، وهي الحكم بكتاب الله وسنة نبيه، وإيثارهم على نفسه، وأن يُقدّمهم في العطاء، ويتقدّم عليهم في اللقاء للأعداء، مقابل أن ينصحوا له في السر والعلانية، وأن يطيعوا أمره ما أطاع الله، وقال: "فإن خالفت طاعة الله فلا طاعة لي عليكم، وإن ملّت أو عدلت عن كتاب الله وسنة نبيه فلا حجة لي عليكم"^(٢).

ولما وصل إلى صعدة "كتب إلى أهل اليمن جميعاً كتاب دعوة يدعوهم ويخصّهم على الجهاد معه"، واستجابت له قبائل كثيرة^(٣)، وأرسلت وفودها

(١) العلوي: السيرة، ل ٣٥ / أ.

(٢) العلوي: السيرة، ل ١٤ / أ.

(٣) العلوي: السيرة، ل ١٣ / ب، ٤٦ / ب.

ورسلها إليه يطلبون منه الحضور إلى بلادهم وحل مشاكلهم^(١). وكان يأخذ البيعة على الناس، واللافت في نص بيعته أنه كان يركّز على بناء الجانب التربوي الإيجابي في المباع، وفي بناء شخصيته روحياً، بشكل يخدم المشروع الذي ينطلق فيه، محيياً فيه استشعار الجانب الرقابي لله تعالى^(٢). وكانت لديه بيعة خاصة، وهي بيعة الصبر، كان يهدف من خلالها إلى إعداد نخبة من المجاهدين معه الصابرين على البأساء والضراء، "يصبرون على الجوع والجهد والعري والضراء، حتى يقتسم كل أربعة ثوباً، فيأخذ كل واحد منهم خرقة يتوارى بها للصلاة"^(٣).

٣- أهدافه

كان همُّ الإمام الهادي وهدفه هو إصلاح واقع الأمة وإقامة الدولة العادلة التي تكرم الإنسان وتعينه على أن يعيش في ظل مجتمع الإسلام الفاضل، وقد عبّر عن ذلك في مناسبات عديدة، وسعى قدر جهده إلى تنفيذ ذلك الهدف على أرض الواقع، حتى أنه كان يسهر الليالي مفكراً في صلاح الأمة، وقد نظر ذات سحر إلى القاضي محمد بن سليمان الكوفي، فقال له: "يا أبا جعفر أترى الظلمة يفكرون في هذا الوقت في صلاح الناس"^(٤)، وكان يوصي ولاته الذين يوليهم على المخالف بـ "تقوى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر"^(٥). ويتضح من خلال دعوته أنه كان ينشدُ الإصلاح في أمة جده، وأنه كان يسعى إلى الحكم بكتاب الله وسنة نبيه^(٦).

(١) العلوي: السيرة، ل ١٩ / ب، ٢٥ / ب، ٢٨ / ب، ٢٩ / ب.

(٢) العلوي: السيرة، ل ٣٨ / أ - ٣٨ / ب.

(٣) العلوي: السيرة، ل ٣٨ / ب.

(٤) العلوي: السيرة، ل ٤١ / أ.

(٥) العلوي: السيرة، ل ٧٣ / ب.

(٦) العلوي: السيرة، ل ١٤ / أ.

عبر عن تلك الأهداف في رسائل ومواقف عديدة، نقتطف من بعضها ما يشير إلى ذلك فقد قال: مبينا أهدافه وغاياته مخاطبا الأمة لكي يتحركوا: "فمهلا أولئك عن التخلف عن الله، هلموا إلى الأمر بالمعروف الأكبر، والنهي عن التظالم والمنكر، هلموا إلى قسم فيئكم عليكم، وإحياء كتاب الله وسنن رسوله فيكم، هلموا إلى غناء فقرائكم، والأخذ بالحق في أغنيائكم، هلموا إلى أخلاق المسلمين، والافتداء بمن مضى من الأئمة المجاهدين، هلموا إلى الطلب بكتاب الله، والانتصار من أعدائكم، هلموا إلى نصر الله ونصر الحق والمحقين، هلموا إلى جهاد الفسقة الظالمين، من أهل قبلتكم من جبابرهم من الأشراف وغيرهم"^(١).

وتبين رؤية الإمام الهادي عن الإمامة وواجبات الإمام التعليمية والاجتماعية والإدارية والاقتصادية من خلال قوله: "ويجب للرعية على الإمام أن يهديهم إلى الحق، وينهاهم عن الفسق، ويأمرهم بالمعروف الأكبر، وينهاهم عن التظالم والمنكر، ويحكم بحكم الله فيهم، ويُمضي أحكام الله عليهم، ويعدل بينهم في حكمه، ويساوي بينهم في قسم فيئهم، ويحملهم على كتاب ربهم، ويفقههم في الدين، ويقربهم من رب العالمين، ويوفر أموال الأغنياء، ويغني في أموال ربهم الفقراء، ويشبع منهم البطون الجائعة، ويكسو منهم الظهور العارية، ويقضي ديونهم، ويُنكح مَنْ لا يجد إلى النكاح طَوْلاً منهم على قدر السعة والموجود، ويقربهم ولا يبعدهم، ويكرمهم ولا يهينهم، ويظهر لهم ولا يحتجب عنهم، ويعني بهم ولا يرفض أمرهم، ويتفقد منهم الخلة، ويسبغ عليهم النعمة، ويكون بهم رؤوفاً رحيمًا، وعنهم ذا صفح حليماً، شديداً على من خالف منهم الرحمن، حتى يردّه إلى الخير والإحسان، ويردعه عن الظلم والعصيان، لا يستأثر عليهم

(١) الهادي: كتاب دعوة وجه به إلى أحمد بن يحيى بن زيد، ص ٥١٧.

بأموال ربهم، ولا يصرفها في غير شأنهم، بل يرد أموال الله حيث أمره بردها إليه،... وأن لا يتجبرَ عليهم، ولا يرفع نفسه فوق ما يجب له عليهم، وأن يكون للأبناء خيراً من الآباء، وللآباء خيراً من الأبناء، مُتَحَنِّناً شفيقاً، متفقداً رفيقاً، متأنياً حليماً،... "(١).

وقد سُمِعَ يوماً وهو يقول: "لو أمكنني أن أشتري صلاح هذه الأمة بما أملك لفعلت" (٢)، وصلاح الأمة متعدد، ديني، واجتماعي، واقتصادي، وأمني، يتمثل ويتجسد في ثمرات الجهاد ونتائجه التي كان يبتغيها من ورائه، حيث قال: "وكيف لا يكون الجهاد في سبيل الله فضلٌ على جميع أعمال المؤمنين، وبه يحيا الكتاب المنير، ويطاع اللطيف الخبير، وتقوم الأحكام، ويعلو الحق والمحقون، ويخمل الباطل والمبطلون، ويُعزُّ أهل التقوى، ويُدُلُّ أهل الردى، وتُشَبِّعُ البطون الجائعة، وتُكسِّي الظهور العارية، وتُقَضِّي غرامات الغارمين، ويُنَهِّجُ سبيل المتقين، وينكح الأعزاب، ويقتدي بالكتاب، وترد الأموال إلى أهلها، وتفرق في ما جعل الله من وجوهها، ويأمن الناس في الآفاق، وتفرَّق عليهم الأرزاق" (٣).

ذكر أيضاً أنَّ على الإمام "أن يتفقّد طرق المسلمين، وسُبُلهم، وأسواقهم، ومُدُنهم، فيُصلِّحُ بيار الطرق للحجاج وأبناء السبيل، ويحيي مياهها، وينقي محاولها، ويسهل ما أمكن من صعبها، ويقطع ما يضر بالمار من شجر"، "وأن يوسع قوارع طرقهم، ويحوز الناس يمينا وشمالا عن الإضرار بالمجتازين، والتضييق على المقبلين والمدبرين، وأن يأمرهم بتفقّد السكك، ويأخذ أصحابها

(١) الهادي: الأحكام، ج ٢، ص ٤٠٢-٤٠٣.

(٢) العلوي: السيرة، ل ١٥ / أ.

(٣) الهادي: كتاب دعوة وجه به إلى أحمد بن يحيى بن زيد، ص ٥٠٦-٥٠٧.

بتنظيفها، وإبعاد ما يضييقها عنها؛ لأن رسول الله ﷺ قد أمر بتنظيف العذرات، وهي الأفنية والساحات،...^(١) إلى غير ذلك من الواجبات التي ذكر أنها تجب على الإمام تجاه مواطنيه، مما يطول الحديث عنها.

وكان يرجو أن يصل إلى نشر العدالة الاجتماعية، وإحقاق الحق في العالم الإسلامي في اليمن وخارجه، وعبر عن ذلك شعراً^(٢) ونثراً، وكان يهدف إلى إقامة دولة عادلة يهابها القائمون فيها قبل غيرهم، ويمضي العدل عليهم قبل سواهم^(٣).

وهكذا يظهر أن الرجل كان لديه مشروع إصلاحى شامل فكرياً وسياسياً واجتماعياً واقتصادياً، وأنه كان يسعى لتطبيقه على أرض الواقع.

٤- إنجازاته السياسية والإدارية

أنجز الهادي إلى الحق بعض ما كان يحلم به ويرجوه، حيث:

١- أقام الدولة العادلة، وعاصمتها صعدة، والتي كان يوجد فيها إرشيف الدولة، ومقراتها، وبريدها^(٤)، وأرسل الولاة الأكفاء على المخاليف، وعيّن القضاة، وكانت أبواب الحكومة مُشَرَّعةً للشاكين ليلاً ونهاراً^(٥)، وكان جميع مواطني هذه الدولة سواسية كبيرهم وصغيرهم، وقد أنصفت المظلومين حتى من كبار رجال الدولة وقادة الجيش، بل ومن أقارب الإمام الهادي نفسه^(٦)، وكان

(١) الهادي: الأحكام، ج ٢، ص ١٤٣-١٤٤.

(٢) العلوي: السيرة، ل ١٠٧ / أ.

(٣) العلوي: السيرة، ل ٢٦ / ب.

(٤) العلوي: السيرة، ل ٦٢ / ب.

(٥) العلوي: السيرة، ل ١٨ / ب.

(٦) العلوي: السيرة، ل ٦٧ / أ.

الإمام الهادي يحرص بشكل جاد على إنفاذ حكم الشرع على الصغير والكبير، وقد قال: "والله لو وجب الحدُّ على أبي لأخذته منه" ^(١)، مثلما كان يحرص أيضا على إبقاء هيبة الدولة في وعي المواطنين؛ لما في ذلك من المصلحة العامة، التي يعود نفعها على الأمة جميعا ^(٢)، هيبة لفتت أحد الرحالة من علماء الشافعية، وهو أبو الحسن الهمذاني، والمعروف بالحروري أنف الذكر، قال: "فشاهدت هيبة عظيمة، ورأيت الأمراء والقواد والرجالة وقوفا بين يديه على مراتبهم، وهو ينظر في القصص، ويسمع الظلمات، ويفصل الأمور، فكأنني شاهدت رجلا غير مَنْ كُنْتُ شَاهِدَتْهُ، وَبَهَرْتُنِي هَيْبَتُهُ" ^(٣)، وقد كانت لديه سلطة قوية على جنوده، حتى إنَّ أحدهم ترك جملة وتخلَّى عن ملكيته، حتى لا يصل إلى مجلس قضاء الهادي، عندما دخل في زرع بعض المواطنين ^(٤).

٢- اتبع نظاما صارما في اختيار الولاية على المخاليف، حيث كان التقسيم الإداري يتبع نظام المخاليف، وكان يبعث لكل مخالف واليا من العلماء العادلين، وقد جاء في أوصاف أحد ولاته أنه كان "من خيار المسلمين، عالما بتوحيد الله وعدله، متفقه في دين الله، ورعا فاضلا" ^(٥)، وفي آخر أنه كان "عفيفا مسلما عالما بالحلal والحرام" ^(٦)، ورفض تولية الذين لا تنطبق عليهم مقاييس الصلاح من الولاية، فقد رفض تولية الدُّعَام حين كان يشترط جباية بعض البلد، والولاية على بعضه، فكان الهادي يقول: "لو سألتني أن أوليَّه شبرا من الأرض ما وليته على

(١) العلوي: السيرة، ل٣٩/ ب.

(٢) العلوي: السيرة، ل١٦/ أ.

(٣) الهاروني: الإفادة، ص١١٢.

(٤) العلوي: السيرة، ل٢٦/ ب.

(٥) العلوي: السيرة، ٣٠/ أ.

(٦) العلوي: السيرة، ل٧٤/ ب.

المسلمين، ولا جاز لي عند رب العالمين، إلا أن يتوب ويرجع إلى الحق"^(١)، وقال عندما طلب منه أن يوليه: "لا والله، ولا ساعة واحدة، إلا على ما أمره به من الحكم بكتاب الله وسنة رسوله"^(٢). وكان يتبع في تعيين الولاة الكفاءة والجودة في الوالي، ولم يراع خلفية الولاة المكانية أو القبلية أو السلالية، فقد ولّى يمينين من قبائل عديدة، كما ولّى من أنصاره الطبريين، والعراقيين، وأهل البحرين، وأهل نجران^(٣)، بشكلٍ أوحى أنه كانت لديه نظرة أممية وليست قطرية، وكان يهيمه في المقام الأول الكفاءة في الوالي والعلم والمعرفة. وكانت وظائف الوالي متعددة تعليمية وإدارية، واقتصادية، وتثقيفية^(٤)، ومن وظائفهم جباية الزكاة والموارد المالية وإحصاء الفقراء ممن لا حيلة له، وعزل ربع الجباية لهم، وإرسال المتبقي إلى عاصمة الدولة^(٥).

٣- أنشأ جهازاً ونظاماً قضائياً فاعلاً وعادلاً وقوياً، وزوّده بقضاة مؤهلين ذوي كفاءة علمية وإدارية، وكان أول قاض في تلك الدولة هو الإمام الهادي نفسه، الذي كان يخصص للمظالم يوماً محدداً^(٦)، وعيّن كبار العلماء قضاة، كالقاضي محمد بن سليمان الكوفي، والقاضي علي بن سليمان أخيه، والقاضي محمد بن سعيد اليرسمي، وتدلنا حوادث عديدة أن الضعفاء والمساكين والمضطهدين، ومنهم النساء استطاعوا أن يربحوا القضايا العادلة أمام محاكم الهادي، وكان بإمكان امرأة ضعيفة أن تقاضي أكبر قادة الهادي وولاته، وأن

(١) العلوي: السيرة، ل ٣٦ / أ.

(٢) العلوي: السيرة، ل ٢٩ / أ.

(٣) العلوي: السيرة، ل ٢٤ / ب، ٢٦ / ب، ٢٩ / ب، ٧٣ / ب، ٧٤ / أ، ب.

(٤) الهادي: عهد الهادي إلى عماله، ص ٥٠٥ - ٥٠٦؛ والعلوي: السيرة، ل ١٢ / ب - ١٣ / أ.

(٥) العلوي: السيرة، ل ١٣ / أ - ب.

(٦) العلوي: السيرة، ل ١٧ / ب.

تنتصر عليهم^(١)، وكان قضاؤه يراعي الفصل بين المتخاصمين بشكلٍ عادل وسريع، بل وتفادي التخاصمات ونشوتها^(٢).

٤- اهتم بالزكاة اهتماماً بالغاً باعتبارها أحد موارد الدولة المالية الأساسية، وعمل على تنظيف أوعيتها ونزاهة القائمين عليها وعدالتهم^(٣)، ويتضح أنه كما الأئمة اللاحقين له قد اتبع نظاماً دقيقاً في تحصيل الزكوات، وتوثيقها، وخزنها، وصرفها بطريقة تثير الإعجاب^(٤).

٥- نعمت البلاد التي تحت حكمه بالأمن، وقضى على ظاهرة التقطع والحراية^(٥)، وتحقق الأمن المجتمعي، وأوجد الثقة بين الرعية والدولة، فكان إذا دخل بلدا كتب كتاباً لأهله ونشره في أوساطهم، يبين لهم فيه قائمة بالمحظورات والعقوبات عليها، وتقرأ عليهم في أماكن اجتماعاتهم، فلا يقيم عقوبة إلا على مَنْ علم بها، ووقف على حدودها، وشمله عطاؤه وكسوته، وبلغته دعوته، وقامت عليه الحجة، وعلم ما يحل وما يحرم، وقد درأ الحدود عن بعض مستحقيها بسبب جهلهم بها، وأنه لم يسبق له أن علّمهم أو أرشدهم^(٦).

٦- عمل على تنفيذ الشريعة الإسلامية السمحة وإمضاء أحكامها، وكان ينحاز للرعية، ورِعاً شحيحاً، لا يسمح لأحد من جنوده بأن يأخذ شيئاً من أموال

(١) العلوي: السيرة، ل٧٣/ ب.

(٢) الهادي: الأحكام، ج١، ص٦٨؛ ج٢، ص٧٣.

(٣) العلوي: السيرة، ل٢١/ أ- ب.

(٤) العلوي: السيرة، ل٢١/ أ- ب؛ والعياني، القاسم بن علي، المنصور بالله (ت٣٩٣هـ): كتاب إلى أهل نجران، مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم العياني، تح: عبدالكريم جديان، مكتبة التراث الإسلامي، صعدة، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص٢١٩-٢٢١.

(٥) العلوي: السيرة، ل٢٥/ أ.

(٦) الهادي: جواب مسائل أبي القاسم الرازي، ص٥٨٧، ٥٨٩.

الرعية وحقوقهم^(١)، وكان يلتزم بمبادئه في الحرب والسلام كما هو مقتضى نصوص الشريعة، لا يغدر ولا يفجر^(٢). وتحقق للمناطق التي كانت تحت حكمه بعض الإنجازات، قال ولده الناصر^(٣): "ظهرت بالهادي إلى الحق... وبشيعة المحققين القائمين معه حقوق دارسة، وأقيمت أحكام معطلة، ووُظِّفَتْ فرائض متروكة، وثبتت شرائع في الدين مؤكدة، وأجدت حدوداً مهملة، من قطع سارق، وجلد شارب، ونفي محارب، ورجم زان محصن، فنفى المنكر، وأظهر المعروف الأكبر، وقلت معه المعاصي لله في السر والعلانية، ولم يخف في الله لومة لائمة، ولم يدار شريفاً، ولم يُخَفْ ديناً ولا وضيعاً ولا رقيقاً".

٧- من الإنجازات السياسية لقيامه أن القيادة الإسماعيلية صرّفت نظرها عن اليمن، فانشت عن عزمها في الذهاب إليه، وحوّلت مسارها نحو المغرب، فقد كان وجود الإمام الهادي ودولته في اليمن "يحول دون تحقيق هدفهم، وأن من الخير لهم أن يحرثوا في أرض لا ينازعهم فيها أحد"^(٤).

وهكذا يتبين أن خروج الهادي إلى اليمن كان نتيجة طلب اليمنيين أنفسهم له، وأن جهوده السياسية والإدارية أثمرت دولة عادلة ينعم أهلها بالأمن والاستقرار والعلم والطمأنينة.

(١) العلوي: السيرة، ل ٢٦ / أ، ب، ٣٧ / أ.

(٢) العلوي: السيرة، ل ٨١ / أ.

(٣) الشامي: اليمن والأئمة، ص ٤٦، رسالة الناصر أحمد إلى أهل طبرستان.

(٤) الشجاع: تاريخ اليمن في الإسلام، ص ١٤٢.

خامسا: جهوده الجهادية العسكرية

لم يكن الإمام الهادي يجبّدُ خوضَ المعارك العسكرية مع خصومه إلا اضطراراً، وقد استجابت له كثيرٌ من القبائل اليمنية بشكلٍ طوعي، كما يتضح ذلك من هذه السيرة، فقد استطاع الهادي بسط نفوذه على منطقة صعدة ومعظم نجران وهمدان في غضون سنتين؛ وذلك يعود إلى الحاضنة المجتمعية التي كانت متهيّئة للقبول بحكم الإمام الهادي، لكنه لما دخل صنعاء في ٢٣ محرم ٢٨٨هـ/ ١٦ يناير ٩٠١م، وكانت تمثل مركز الثقل والهيمنة على المخاليف الأخرى دخلت تلك المخاليف تحت حكمه سريعاً من صنعاء إلى عدن، غير أن الشرعية التاريخية لليُغفرين ونفوذهم العميق في تلك المخاليف، وقوة مواليهم بني طريف، وضعف وجود حاضنة مجتمعية مناصرة للإمام الهادي في صنعاء ومخالفها، أدّى إلى استعادة اليُغفرين ومواليهم بني طريف لقوتهم وحضورهم في صنعاء ومخالفها بشكل سريع. وهنا احتدم الصراع بينهم لا سيما في عامي ٢٨٨هـ و٢٨٩هـ/ ٩٠١م و٩٠٢م، كما تمرت عليه قوى قبلية واجتماعية عديدة، لن نقف عندها؛ إذ قد تكفّلت هذه السيرة بشرح ذلك بشكل مفصل.

١- أسباب الصراع مع بني الحارث بن كعب

يلفت النظر عند قراءة هذه السيرة هو وجود ذلك الصراع العنيف بين الإمام الهادي وبني الحارث بن كعب في نجران، وهم الذين كانوا في بداية الأمر قد دخلوا تحت طاعته^(١)، ثم تمردوا عليه وشكّلوا حالة معارضة واضحة لدولته

(١) العلوي: السيرة، ل ٢٠ / أ- ب.

وسلطته، وقد ذكرت هذه السيرة كثيرا من أحداثهم وحروبهم ضده بشكل مفصل أكثر من أي أحداثٍ أُخر، والسؤال الذي يطرح نفسه هو: ما سبب انفراد بني الحارث بذلك التمرد المستمر ضد حكومة الهادي وبذلك الشكل العنيف وعلى خلاف بقية القبائل اليمنية ولا سيما قبائل همدان في نجران؟ ويبدو أن هناك عددا من الأسباب تقف خلف هذه المسألة:

أولا: ارتباطهم ببني العباس فكريا وسياسيا واجتماعيا، وقد أشار إلى ذلك الارتباط وآثاره المؤرخ مسلم اللحجي^(١) حينما ذكر أنهم كانوا "يتعصبون لولاية بني العباس، ويتشدّدون في ذلك لوجوه، منها ما كانوا يعتقدون من رأي العامة، ومنها ما كانت بنو العباس تُكرِّمُ أوائل أشrafهم من الولايات، وضروب الكرامات، وقد كان من أول أسباب ذلك ولادة ريطة بنت عبد الله بن عبد الله بن عبد الممدان لأبي العباس السفاح أول خلفاء بني العباس، ثم ولايتهم بعد ذلك للعمل من قبلهم، حتى شبَّ على محبَّتهم الصغير، ومات الكبير، وخلفَ قرنٌ بعد قرن على ذلك"، وذكر أنه بحسب ما كان فيهم من محبة بني العباس والولاء لهم كان فيهم العناد والانحراف عن العلويين. وكان بنو الحارث ينطلقون من هذا الارتباط، فقد أرسلوا - على سبيل المثال - إلى مظفر بن حاج والي العباسيين على تهامة في ذي الحجة ٢٩٤هـ / أكتوبر ٩٠٧م يُعلمونه "بموالاتهم له، وتمسُّكهم بحبله، وسرورهم بمقدمه، ويسألونه المصير إلى بلدهم"، وأخبروه أن الهادي يحاربهم بسبب علمه بمودتهم لبني العباس، "وانقطاعهم إليهم قديما وأخيرا"^(٢).

(١) أخبار الزيدية، ص ١١٧؛ وابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ٣، ص ٣٩٩.

(٢) العلوي: السيرة، ل ١٢١ / أ - ١٢٢ / ب.

ثانياً: تأثير اليهود والنصارى الذين كانوا في نجران وتحريضهم إياهم ضد سلطة الهادي؛ إذ رأى هؤلاء أنفسهم متضررين من محاولة الهادي استعادة الأراضي التي اشتروها من المسلمين، والتي انتهت بعقد صلح معهم على أن يدفعوا التسع من غلات تلك الأراضي^(١)، ويبدو أن هذا الأمر أسخطهم وأثار النقمة في قلوبهم ضد سلطة الهادي، ولعلهم وجدوا في صفوف بني الحارث بيئة صالحة للاستثمار والكيد ضد سلطة الإمام الهادي، فشجعوهم وحرصوهم على التمرد، ولعل الهادي كان يشير إلى تأثيرهم حينما خاطب بني الحارث في إحدى المرات بقوله: "وأنتم قومٌ مخدوعون، ملعوبٌ بكم، مفتونون، مغرورون، لا تتعظون بغيركم، ولا تعتبرون بسواكم، ولا تتفنعون بتجربتكم، ولا أشك أن مع ذلك كثيرا من الخذلان؛ لما أنتم عليه من كراهية الحق والإيمان، ومتابعة الشيطان، ومخالفة الرحمن"^(٢). وكان المؤرخ المطاع^(٣) قد أشار إلى ذلك، ناعيا على المؤرخين أنهم لم يتفطنوا لمثل ذلك، وقال أيضا: "وما يقوِّي ما ذهبنا إليه من أن بعض قبائل نجران كانت تساق أو تتأثر بطقوس النصرانية ودعاتها ما جاء في قصيدة للإمام الهادي:

نام خذنُ الحَرْبِ من بعد الأرق واستلذَّ العيش من بعد الشَّرْقِ
جهلوا حربي وظنوا أنه أكْلهم خبزَ النصارى بالمرقِ"

وقد أورد المؤرخ مسلم اللحجي^(٤) قصة تشير إلى استمرار تأثير نصارى نجران على زعماء بني الحارث، وأنهم كانوا ندماءهم على الشرب، عندما ذكر قصة الشاعر العثماني، والذي كان يتوق إلى شرب الخمر، لكنه سكن في نجران لدى قومٍ

(١) العلوي: السيرة، ل ٢١ / ب - ٢٢ / ب.

(٢) العلوي: السيرة، ل ٩٥ / أ.

(٣) المطاع: تاريخ اليمن الإسلامي، ص ١٤٠ - ١٤١.

(٤) أخبار الزيدية، ص ١٢١ - ١٢٢.

متعففين، فكان يَظْهَرُ للناس "وعليه تواضعٌ وهيئةٌ تعفُّفٌ"، فبلغ أمره "نصرانيا بنجران كان من الأغنياء وأهل البطر والإسراف واللعب بالأموال، يقال له رشد بن عبد الواحد"، فاستماله إلى أن يحضر مجلسه، "وفيه ندماؤه، وكان ينادمه سلاطين بني عبد المدان"، "فاختلط بهم وأنسوا إليه"، وقال أشعاره الحَمْرِيَّة السيارة في البلاد في منادمتهم، وكان يذهب بعد ذلك إلى منزله سكران جهارا.

ثالثا: كان بنو الحارث قبيلة قوية وكثيرة العدد، تعتد بنفسها وتزهو بقوتها، وكانت تنزع دوما إلى الاستقلال عن سلطان الدولة وهيمنتها، وكان لديهم آلاف المقاتلين والفرسان^(١)، وهذا شجّعهم على القيام بتمردات متلاحقة، وقد كانوا يخضعون لسلطان دولة الهادي عندما يكون موجودا، وعنده جيش، وبمجرد أن يذهب عنهم بجيشه، يعودون إلى حالة التمرد ضد واليه، حيث لم يكن عنده جيش كاف في نجران لفرض هيبة الدولة، وقد وصف أحفادهم في القرن السابع الهجري ابنُ المجاور^(٢) بأنهم "لا يطيعون لملك الغُرّ"^(٣) ولا لسلاطين العرب".

رابعا: كان دفع الزكاة وتسليمها للدولة أحد القضايا الشائكة التي كانت تثيرهم ضد سلطة الإمام الهادي، وكانوا إذا ثاروا فإن أول عمل يبادرون إليه هو الاستيلاء على بيوت المال وتفريق أمواله في ما بينهم^(٤)، وظلت قضية الزكاة سببا لتجدد تمردهم في أوقات لاحقة، كتمردهم على الإمام القاسم بن علي العياني (ت ٣٩٣هـ/١٠٠٢م)^(٥).

(١) العلوي: السيرة، ل ٧٩/ ب.

(٢) تاريخ المستبصر، ص ٢٤٠.

(٣) الغُرّ: هم الأكراد الأيوبيون الذين كانوا يسيطرون على بعض أجزاء اليمن في القرن السابع الهجري.

(٤) العلوي: السيرة، ل ٧٩/ ب، ٨٣/ ب.

(٥) العياني، القاسم بن علي، المنصور بالله (ت ٣٩٣هـ): كتابه إلى أهل البيعة في أقطار اليمن، مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم العياني، تح: عبد الكريم جذبان، مكتبة التراث الإسلامي، صعدة، ط ١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص ٢٥٠، ٢٥٦، ٢٥٨.

خامسا: الوضع الاجتماعي والتعصب القبلي الذي كان يحتم على أفراد القبيلة التكتل خلف زعيمها للظهور بقوة في مواجهة الخصوم القبليين، وكان هذا يعطي أولئك الزعماء سلطة واسعة تتناقض مع الخضوع لسلطة الدولة، وما في ذلك من قبض أيدي الطامحين منهم، وكبح جماح المتنفذين، ومنع وقوع الفساد والمنكرات الاجتماعية^(١)، وقد كان لأبرز زعمائهم الحارث بن حميد الخيثمي أثرٌ كبير على قومه، وربما كان له ارتباط بالخلافة العباسية نفسها، وينفذ توجيهاتها، وعلى الرغم من أنه وقع في قبضة الهادي في بعض المرات، وكان بإمكانه القضاء عليه، لكنه أثر التسامح معه، والملاينة له، فسبّب له متاعب كثيرة، وقاد حركة التمرد الخطيرة في وادي نجران، ولو أنه قضى عليه لربما سارت الأمور في نجران على غير ذلك الوجه الذي سارت عليه. وقد كان الهادي يرى أن عفوه المتكرّر عن بني الحارث شجّعهم على التماهي في تمردهم^(٢)، وكان حينها يتوقع أنهم سيعودون للتمرد والحرب^(٣).

سادسا: بعد جولات من الصراع بين الهادي وبني الحارث دخل متغيّر جديد، وهو دخول القرامطة على خطّ المواجهة في نجران، ويبدو أن بني الحارث - الذين كانوا فكريا من أهل السنة، وسياسيا مع بني العباس - تحالفوا مع القرامطة تحالف المصلحة المشتركة في مواجهة العدو المشترك، وهو الهادي؛ ولهذا ذكر المؤلّف^(٤) أنه في سنة ٢٩٤هـ/ ٩٠٦م "ظهر الفساد بنجران، وظهرت القرامطة، وهمت بنو الحارث بالخلاف على عامل الهادي محمد بن عبيد الله العلوي"، وبهذا

(١) العلوي: السيرة، ل ٢٠ / ب.

(٢) العلوي: السيرة، ل ٦٤ / ب.

(٣) العلوي: السيرة، ل ٦١ / ب.

(٤) العلوي: السيرة، ل ١١٥ / أ.

اكتسب التمرد في نجران عاملا إيديولوجيا جديدا، حيث كان القرامطة يدفعون إلى التمرد ضد الهادي بسبب الخلاف الفكري والسياسي، وإن لم يكونوا هم من يقودونها، ولكنهم وجدوا في تلك الثورة متنفسا لدعوتهم، ولعلمهم استثمروا في تلك الحالة لينشروا أفكارهم التي نمت وترعرعت بمرور الوقت حتى صارت من حواضن الإسماعيلية لاحقا.

٢- حروبه مع القرامطة

تخلو هذه السيرة من أخبار الإمام الهادي منذ عام ٢٩٤هـ / ٩٠٦م حتى وفاته آخر سنة ٢٩٨هـ / ٩١١م، بل إن أخبار القرامطة وحروبه معهم وجهوده ضدهم لم يُذكر منها إلا النزر اليسير، وما ورد فيها وفي الملحق لها لا يعكس في مجمله الصورة العامة لتلك الجهود العسكرية التي بذلها الإمام الهادي في مواجهتهم؛ ولهذا من الأهمية بمكان وضع ملمح عام لتلك الجهود من خلال مصادر أخرى من غير السيرة.

كان الإمام الهادي في عام ٢٨٩م / ٩٠١م قد نظر بحدس سياسي دقيق وفهم عميق لمراكز القوى الناشئة، ورأى أن خطرا يلوح على اليمن من جهة القرامطة؛ ولهذا عندما أجمع أمره على الخروج من صنعاء بعد أن خذله كثير من أهلها، ورفضوا إقراضه نفقة العسكر لمواجهة بني طريف، فقال لهم: "والله لتمنوني فُواق ناقة^(١)، ولتباعن نساؤكم بالدينار والدينارين والثلاثة، وليضربنكم الله بلباس الجوع والخوف"، ثم قال لهم: "ليس ما ذكرتُ لكم من بيع الحرِّ منا، ولا من بني طريف، ولا من بني يُعْفِر، ولتعرفنَّ صدقَ قولي قريبا؛ جزاءً من الله على

(١) الفواق: ما بين الحلبتين من الوقت. الرازي: مختار الصحاح، ص ٢٤٤.

فعلكم، وخذلانا منه على صنعكم"^(١). ولعله كان يسمع ويرى وتأتية التقارير عن تَكُون تلك الحركة القرمطية بقيادة ابن فضل، وهو الذي كان يعرف خلفيتهم الفكرية التكفيرية والاستباحية، وربما رأى بعضهم عند تطوافه عام ٢٨٨هـ / ٩٠٠م في جيشان وغيرها. وقوله هذا يكشف عن قراءته المبكرة للفكر القرمطي الذي بات يهدد المجتمع اليمني والإسلامي، وقد تقدم أنه كان قد سبق الجميع في ذكر بعض معتقداتهم، وأسباب قولهم بالإباحية والتنصل عن الواجبات، وما ينقل عنهم من أفكار خطيرة تناقض مبادئ الإسلام، وما عليه المجتمعات الإسلامية، وكان قد باح بذلك في أول كتابه الأحكام^(٢)، حيث أَلَفه في المدينة قبل قدومه إلى اليمن، أي قبل ٢٨٤هـ / ٨٩٧م في أقل الأحوال - كما تقدم -.

لم يكن جهد الإمام الهادي في مواجهة القرامطة عسكرياً فقط، فقد كان في المقام الأول فكرياً وثقافياً، فقد كتب كثيراً من الرسائل التي تحصّن المجتمع من الاختراق القرمطي وغيره، بل وردّ عليهم برسالة خاصة، وهي (بوار القرامطة). ورد أول ذكر عن القرامطة في السيرة في سنة ٢٩١هـ / ٩٠٣م عندما وجّه الهادي ابنه المرتضى للاستعداد لحرب القرامطة، وأن يجمع مَنْ قَدَرَ عليه من الفرسان، وأن يتوجّه إلى صنعاء^(٣)، في الوقت الذي كان ابن فضل لا يزال في منطقة الجند أو يافع، ثم لما تخلص من خصومه في أبين والجند والمذيخرة، وقضى على الأمير المناخي عام ٢٩٢هـ / ٩٠٤م، توجّه بجيوشه نحو الشمال، إلى ذمار وصنعاء، واستطاع اقتحام صنعاء ودخلها في ١٠ محرم ٢٩٣هـ / ١٠ نوفمبر

(١) العلوي: السيرة، ل٨٣ / ب.

(٢) ج١، ص ٣٤ - ٣٧.

(٣) العلوي: السيرة، ل١٠٢ / ب.

٩٠٥م بعد فرار حكامها اليُعفرين عنها، والتجأهم إلى بلاد الدُّعَام^(١). واستولى ابن فضل على كثير من مناطق اليمن، ومنها صنعاء وتهامة، وصار يشكل تهديدا خطيرا لدولة الإمام الهادي في صعدة، ولمواطنيه، وعاث فسادا في المناطق التي وصلت إليها يده؛ الأمر الذي جعل معظم الزعامات اليمنية آنذاك تتوحد في مواجهته. وبعد استيلائه على صنعاء أوفد أهلها وفدا من كبرائهم ومشائخهم إلى الهادي، وطلبوا منه "التقدم إليهم، والمصير إلى بلدهم"، فأخبرهم الهادي بما يعانيه من قلة ذات اليد، وأنه لا يطيق الإنفاق على العساكر، فالتزموا أن يعينوه ويجتهدوا في ذلك، وذكروا له أن أهل البلد مجمعون على القبول به إماما يحكم مدينتهم، فاستجاب لهم الهادي، وحضر إلى صنعاء، وهناك فرَضَ الهادي على أهلها تقديم معونات مالية للإنفاق على العسكر، فكتب على صاحب الخمسين دينارا دينارين، وعلى صاحب الثلاثين دينارا واحدا، وسارع جميع أهلها إلى ذلك؛ لما فيه من الحماية لأنفسهم وأموالهم^(٢).

سبق وصول الهادي إلى صنعاء تحركُ الحسن بن كباله^(٣) ومحمد بن الحسين الحسيني^(٤)، حيث وثبا على القرامطة فيها على أن يكون الأمر للهادي، وقتلوا القرامطة، وقتلوا منهم، وكاتبوا الدُّعَام والهادي بما كان منهم، فتكوّنت على إثر ذلك جبهة عريضة بقيادة الإمام الهادي، ضمت آل يُعْفَر والدُّعَام وولده، وأحمد والربيع ابني الروية، وأولاد الأمير جعفر المناخي، ووجوه اليمن، ثم أرسل

(١) العلوي: السيرة، ل١٣٧ / أ (الملحق).

(٢) الهادي: جواب مسائل الحسين بن عبد الله الطبري، ص ٥٢٧ - ٥٢٨.

(٣) ستأتي أخباره قريبا.

(٤) لم أظفر له بترجمة سوى أنه كان أحد وجهاء صنعاء من العلويين فيما يبدو. العلوي: السيرة، ل١٣٧ / ب (الملحق).

الهادي ابنه أبا القاسم محمدا إلى ذمار، وحارب القرامطة هناك^(١). وقد عُثِر على دينارين ضَرْبًا باسم الهادي في صنعاء بتاريخ ٢٩٣هـ / ٩٠٥م عند دخوله إياها^(٢)، وهذا يعني استقراره فيها في ذلك العام.

خاض الإمام الهادي مع القرامطة معارك عديدة بلغت ٧٣ وقعة، وكان يحاربهم فيها بنفسه^(٣)، وصمد لجهادهم^(٤)، واشتهرت له وقعة معهم شُبِّهَتْ بليلة الهرير^(٥)، وذلك في وادي المغمة^(٦)، قتل فيها بيده من القرامطة عددا كبيرا من القتلى، ومثله فعل ولده أبو القاسم محمد^(٧). ووقعت صدامات عنيفة بينه وبين القرامطة، وكان القرامطة يهجمون عليه "بجموعهم وقضّهم وقضيضهم"، لكن الهادي لم يكن يقلق منهم مثلما كان يقلق من انحراف بعض أصحابه وأهله^(٨).

ذات مرة بلغ إلى مسامع الهادي أن ابن فضل قد "همّ بأن يقصد الكعبة ويخربها"، فجمع الهادي أصحابه وأعلمهم بأن الفرض قد لزمهم في قتال القرامطة، فتخوَّف أصحابه عن قتالهم، واعتذروا بقلة عددهم، وكثرة عدد أعدائهم، وكان عددهم ألف مقاتل، فقال لهم الهادي: "تفزعون وأنتم ألفا رجل"، فقالوا: إنما نحن ألف، فقال: أنتم ألف، وأنا أقوم مقام ألف، وأكفي كفايتهم، فأشار عليه أحد قاداته أن

(١) العلوي: السيرة، ل ١٣٧ / ب (الملحق).

(٢) الشميري: تاريخ اليمن سياسيا وإعلاميا، ص ٦٣.

(٣) الهاروني: الإفادة، ص ١٠٧؛ وعلي بن بلال: تنمة المصابيح، ص ٥٧١.

(٤) الهمداني: تثبيت دلائل النبوة، ص ١٤٩.

(٥) يوم وليلة الهرير: من أيام وليالي معركة صفين اشتد القتال فيه بين جيش الإمام علي وجيش معاوية وتواصل ساعات طويلة، ويقال: إن الإمام عليا قتل فيه عددا كبيرا من جيش معاوية. المنقري: وقعة صفين، ص ٤٧٩ - ٤٨١.

(٦) وادي المغمة: يقع بين أنس وذمار.

(٧) عبد الله بن حمزة: الشافي، ج ١، ص ٨٣٨؛ والمحلي: الحقائق الوردية، ج ١، ص ٤٨ - ٤٩.

(٨) الهاروني: الإفادة، ص ١٠٨.

يتتخب من جيشه من أهل البأس الشديد ثلاث مئة فقط، وأن يبيتوا جيش القرمطي ليلاً، فاستصوب رأيهم، وأوقعوا بهم ليلاً، وهم ينادون بشعار: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(١)، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وغنموا منهم شيئاً كبيراً^(٢). ويبدو أن المهادي نجح في صدّ ابن فضل عن مواصلة مسيره نحو الكعبة، وجنّبها هجوماً قرمطياً كان سيصل إليها قبل هجوم القرمطي الجنابي^(٣) صاحب البحرين عليها لاحقاً عام ٣١٧هـ / ٩٢٩م^(٤).

لا نمتلك قائمة بأسماء تلك الـ(٧٣) وقعة التي خاضها الإمام الهادي ضد القرامطة، حيث ضنّت علينا السيرة بأخبار حروب المهادي معهم، إلا أنه من المرجّح أنها توزعت على السنين التي عاصر فيها القرامطة، أي منذ ٢٩٣هـ / ٩٠٥م حتى وفاته سنة ٢٩٨هـ / ٩١٠م، على أنه قد ورد في بعض المصادر بشكل عَرَضِي في ترجمة الرئيس عبدالله بن عمر الهمداني مناظرة شعرية بين شاعرٍ من الزيدية وآخر من القرامطة، فذكر شاعر الزيدية - على سبيل الافتخار - بعضاً من المعارك التي خاضها هذا الزعيم الهمداني ضد القرامطة أيام ابن ذي الطوق القرمطي^(٥)، في (حجر)^(٦)، و(الشعر)^(٧)، و(جيشان)،

(١) الحج: ٤٠.

(٢) الهاروني: الإفادة، ص ١٠٦ - ١٠٧.

(٣) سليمان بن الحسن بن بهرام الهجري، أبو طاهر القرمطي، زعيم قرامطة البحرين، توفي سنة ٣٣٢هـ / ٩٤٤م. الزركلي: الأعلام، ج ٣، ص ١٢٣.

(٤) العلوي: السيرة، ل ١٤٢ / ب (الملحق).

(٥) ابن ذي الطوق: ستأتي ترجمته في النص المحقق، ص ٧٧٦.

(٦) حجر: هناك عدد من المواضع يحمل هذا الاسم، وربما كان المقصود الموضع القريب من جيشان. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٠٣.

(٧) الشعر: من بلد الكلاع، وتشكل اليوم مديرية من أعمال إب. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٤١؛ والمحقفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ٢، ص ١٠٥٦.

و(السحول)^(١)، و(علاش)^(٢)، و(الصَّبر)^(٣)، و(الظفارية)^(٤)، و(الشوافي)^(٥)، و(يعموم)^(٦)، وغيرها^(٧).

ويترجح أن هذه الوقعات وَقَعَتْ في أيام الإمام الهادي؛ لمعاصرة ابن ذي الطوق له، حيث لم يقتل إلا بعد وفاة الإمام الهادي بحوالي سنة، في ذي الحجة ٢٩٩هـ/ أغسطس ٩١٢م^(٨)، كما أن جغرافية معظم هذه الوقعات، وهي في ما يسمى اليوم محافظة إب وتعز، تفيد أنها وقعت في محيط تركز حركة ابن فضل القرمطي، وهذا يعطي إشارة إلى تقدُّم القوات الهادوية إلى تلك المناطق، وأنها حَقَّقَتْ انتصاراتٍ عليه حتى بالقرب من مناطق تركزه، وأنها غزت علي بن الفضل نفسه في المذيخرة، وأخرجته منها مرتين^(٩)، لولا بعض العراقيل التي

(١) السحول: حقل واسع من بلد الكلاع، يمتد من سفح جبل سمارة شمالاً وحتى سفح عقبة مدينة إب جنوباً. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١١٨؛ والمقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ١، ص ٩٥٢.

(٢) علاش: لم أجد له تعريفاً، وربما كان في محيط هذه المواضع التي ذكرت معه.

(٣) الصبر: هناك عدد من المواضع يحمل هذا الاسم، وأشهرها جبل صبر بين المعافر والجند (تعز)، وصبر في جنوب مدينة الحوطة (الحج)، وحصن شامخ في وصاب العالي، وإحدى قرى الشعيب في جبل الضالع. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٣٧، ١٣٨، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤؛ والمقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ٢، ص ١٠٨٧-١٠٨٨.

(٤) الظفارية: لعلها قرية منسوبة إلى ظفار حمير، وهي مدينة أثرية تقع في جنوب يريم بمسافة ١٨ كم. المقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ٢، ص ١١٦٦.

(٥) الشوافي: قرية في جبل خضراء من مديرية حبش وأعمال إب، كان عدادها في مخلاف السحول آنذاك. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٤٩، ١٨٩؛ والمقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ٢، ص ١٠٧٣.

(٦) يعموم: جبل شرقي بيت نعامه وغربي عيبان، وكانت في عداد مخلاف مأذن. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٥٤، وهامشه للأكوع.

(٧) ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ٣، ص ١٠٦.

(٨) العلوي: السيرة، ل ١٤١/ أ (الملحق).

(٩) شرف الدين، أحمد حسين: اليمن عبر التاريخ، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، ط ٢، ١٩٦٤م، ص ٢٤١.

وُضِعَتْ أَمَامَهُ، والتي اضطرَّته إلى التراجع شمالاً إلى صنعاء وصعدة.

لم يكن تحالف مواجهة القرامطة متيناً، حيث كان بمجرد أن يقل خطر القرامطة أو يضعف شأنهم سرعان ما ينفرط عقد ذلك التحالف، وسرعان ما يعود اليُعْفَرِيُّونَ أو قادتهم أو مواليتهم إلى التمرد على قائد ذلك التحالف، وهو الإمام الهادي، وإعلان الحرب ضده، فيضطروه للعودة إلى صعدة، وقد حدث ذلك أكثر من مرة. فعلى سبيل المثال على الرغم من أنه كان قد حقق نجاحاً في استعادة صنعاء وذمار ومخاليقها عام ٢٩٣هـ / ٩٠٥م من يد القرامطة، إلا أن أحد مواليتي اليُعْفَرِيِّين وقادتهم، وهو الحسن بن كباله، نصب نفسه حرباً للهادي ودولته هناك، ووثب عليه، ناقضاً الاتفاق الذي بُنيَ عليه ذلك التحالف؛ الأمر الذي جعل الإمام الهادي يغادر صنعاء إلى صعدة، مُفَضَّلاً الانسحاب على المصادمة العسكرية مع آل يُعْفَرٍ^(١). بل حاول ابن كباله ذات مرة خديعة الهادي والغدر به واغتياله في صنعاء، فأرسل يطلب الإذن من الهادي في الدخول عليه، وكان قد علم بنيته تلك، فأذن له بالدخول منفرداً عن أصحابه، وقد ملأ الدار رجالاً، فقعد ابن كباله بين يديه، ورأى استعدادده، فعلم أن خطته فشلت، فارتعد، وأيقن بالقتل، ولما استأذن رجل من قواد الهادي في رقعة كتبها إلى الهادي بضرب عنقه إذا خرج، رفض الهادي الفكرة، مضيئاً على طريقته في أن لا يبدأ أحداً بالحرب أو القتل إلا بعد أن يكشف الغادر عن غدريته، وهدد أيَّ أحد يمد يده إليه بالقتل. ولما خرج ابن كباله من عنده جمَعَ أصحابه، وعاد وأعلن الحرب على الهادي، وهو الذي لم يعاجله، ولم يستحل "أن يبتدئه من بعد أن أيقن بغدره"^(٢).

(١) العلوي: السيرة، ل١٣٨ / أ (الملحق).

(٢) المرتضى: مسائل عبد الله بن الحسن، ج ٢، ص ٥٤١ - ٥٤٢.

أشار المرتضى بن الهادي^(١) إلى معاناة والده في قتال القرامطة من حلفائه هؤلاء، وأنه لم يترك شأنه لحسم المعركة معهم، فقال: "وكلما نهضنا لحربهم اعترضنا دونهم حلفاء المعصية، فحالوا بيننا وبينهم، وشغلونا فيما نؤمُّله من جهادهم، فإذا انصرفنا لم يقوموا لحربهم، ولم يكن فيهم طاقة لجهادهم؛ وذلك لبعدهم عن الله، وفسادهم، واشتغالهم بمعاصي ربهم، فلا يلبثون إلا يسيرا، حتى يكونوا سببا لقوة الكفرة على المسلمين، فلا هم ينصحون للقتال، ولا هم يدفعون عن رعية ولا حريم عند ساعة النزال". وبين أيضا أنه بالنسبة للقرامطة "لم يكن في بدء أمرهم شك إلا لجاهل متعام يخدع نفسه ويغشها"^(٢). وأفاد أنه لو يحاربهم الغاضبون لله لانتصروا، "لكن ليس يلقاهم إلا شارب خمر، أو ضارب طنبور، أو معتكف على معصية، وقد برئ الله منه وأسلمه لعمله"، وأضاف أنه "لو لقيهم عسكر قد غضبوا لله سبحانه، وقدموا أمره عز وجل على أمورهم، وأخلصوا النية على طاعة الله خالقهم، يشيرون إليه بالمعرفة لله عز وجل، والديانة، والقرآن، والتكبير، والتهليل، قد نفوا المعاصي من عسكرهم، وأقاموا الحدود على أشرارهم، مقيمون لصلواتهم، مؤتون لركاتهم، مسلمون لحكم ربهم، ...، إذا كانت هذه الردة قد خملت، وجماعتها قد افترقت، بعون الله ولطفه، وما وعد به أوليائه من نصره، قال الله عز وجل: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^{(٣) ١١(٤)}.

أعاد القرامطة الكرة، واستعادوا ذمار، وارتكبوا مجزرة مروعة في (ثات)، واستباحوها، ولما انحاز الناس إلى المسجد أحرقوه بمن كان فيه من الرجال والنساء

(١) الربيعي: سيرة الأميرين، ص ٢٩٨، رسالة المرتضى إلى الريان الهمداني.

(٢) الربيعي: سيرة الأميرين، ص ٢٩٧، ٢٩٨، رسالة المرتضى إلى الريان الهمداني.

(٣) الحج: ٤٠.

(٤) الربيعي: سيرة الأميرين، ص ٢٩٨، رسالة المرتضى إلى الريان الهمداني.

والأطفال في ذي الحجة سنة ٢٩٣هـ / سبتمبر - أكتوبر ٩٠٦م^(١). ثم دخل ابن فضل صنعاء مرة أخرى في أول يوم من رجب سنة ٢٩٤هـ / ١٦ إبريل ٩٠٦م، واستباحوها، وقتلوا جميع من كان بها، وفرَّ أسعد اليُعْفَري إلى بلد قُدَم، وأقام القرامطة في صنعاء ونواحيها ثلاث سنين "يخربونها، ويقتلون الناس"، حتى أصيبوا بوباء قضى على كثير منهم^(٢). وفي ذات الوقت في سنة ٢٩٤هـ / ٩٠٦م تحرك القرامطة في منطقة نجران، وتم القبض على بعض زعمائهم ورجالهم، لكن الهادي سرعان ما أطلق سراحهم نزولا عند رغبة بعض زعماء نجران^(٣)، وربما لأنه لم يثبت له استحقاقهم توجيه التهمة إليهم، أو أن التهمة لم تبلغ بهم عقوبة أكثر من حبسهم ذلك.

ويبدو أن الهادي انشغل بأحداث نجران وغيرها حتى عام ٢٩٧هـ / ٩٠٩م، وهنا خلا الجو لابن فضل، فأظهر حقيقة أمره، وأظهر مذهبه الإباحي، وطريقته الكفرية^(٤)، وفي نفس العام ٢٩٧هـ / ٩٠٩م أرسل الإمام الهادي قائده المظفر، وهو مؤلفنا العلوي، على رأس جيش فيه الزعيم الهمداني الدُّعَام الأرحبي، وأخرجوا القرامطة من صنعاء يوم الخميس ١٩ رجب ٢٩٧هـ / ٢ إبريل ٩١٠م، ثم بعث بعد ذلك ولده أبا القاسم محمدا إلى صنعاء، فدخلها في شعبان سنة ٢٩٧هـ / إبريل - مايو ٩١٠م، وطارد القرامطة في عدد من مخاليف ذمار، وأمنت العشائر. لكن ابن كباله، الذي كان حينذاك في تهامة عند واليها العباسي مظفر بن حاج، لم يرق له هذا الأمر، فتحرك لإخراج المرتضى وعماله من تلك المناطق، وهنا عاد الهادي إلى طريقته بأن لا يواجه جيش اليُعْفَريين عسكريا، وغادر صنعاء في

(١) العلوي: السيرة، ل١٣٨ / أ (الملحق).

(٢) العلوي: السيرة، ل١٣٨ / ب (الملحق).

(٣) العلوي: السيرة، ١١٥، أ، ١٢١ / أ.

(٤) العلوي: السيرة، ل١٣٨ / ب (الملحق).

١١ شوال ٢٩٧هـ / ٢٢ يونيو ٩١٠م، وعاد القرامطة بعدها إلى صنعاء، ولكنها كانت قد أقفرت وأصبحت خالية من السكنى^(١).

توفي الهادي عام ٢٩٨هـ / ٩١٠م، ووصل ابن فضل في ٩ محرم ٢٩٩هـ / ٥ سبتمبر ٩١١م صنعاء، وخرج حتى وصل إلى مدر^(٢)؛ الأمر الذي جعل المرتضى يقبل بالقيام خلفاً لأبيه "خوفاً من تغلب القرامطة على تلك البلاد، وخشية على الضعفاء والأرامل والأيتام من السبي والغارة،..."^(٣). ثم لما درأ شر القرامطة عن بلاده، اعتزل الأمر^(٤)، وخلفه أخوه الناصر الذي واصل مشواره، وكان له وقعات مع القرامطة، ومن أشهرها وقعة نغاش^(٥) الشهيرة.

لقد ساهمت جهود الهادي العسكرية في بناء دولته ودفع شر أعدائه، وكان أخطر أولئك الذين واجههم القرامطة بفكرهم المتطرف وسلوكاتهم الشائنة.

وهكذا يتضح أن حياة الهادي بدأت بجهوده العلمية وأنه ورث عن آبائه مشروع التغيير وبناء الدولة العادلة، وقد بذل جهوداً مضيئة في ذلك السبيل، وأنه شارك في الحياة العلمية مشاركة فاعلة، كما كان له مؤلفات متميزة، وطلاب مجتهدون، وساهم في مواجهة أفكار الجبرية والمشبهة والمرجئة والخوارج في اليمن، وكانت له جهود سياسية وإدارية وعسكرية ملموسة، انتهت بإنشاء دولته العادلة على شمال اليمن، ودرأ خطر القرامطة عن اليمن وربما عن مكة المكرمة أيضاً.

(١) العلوي: السيرة، ل ١٣٨ / ب - ١٣٩ / أ (الملحق).

(٢) العلوي: السيرة، ل ١٤٠ / أ (الملحق).

(٣) الهاروني: الإفادة، ص ١٣٠ - ١٣١؛ وعلي بن بلال: تنمة المصاييح، ص ٥٩٤ - ٥٩٥.

(٤) علي بن بلال: تنمة المصاييح، ص ٥٩٥.

(٥) العلوي: السيرة، ل ١٤٢ / أ (الملحق).

الفصل الثالث

السيرة ومؤلفها

الفصل الثالث: السيرة ومؤلفها

تأخذ دراسة سيرة الهادي بما في ذلك المخطوط الذي وردت فيه قدرا كبيرا من الأهمية، ويجدر بنا أيضا التعرف على مؤلفه؛ لما في ذلك من أثر على التقييم لمعلوماته التي أوردتها، ومدى أثرها في معرفة الواقع التاريخي الذي تحدثت عنه، وهذا الفصل مخصص لدراسة السيرة ومؤلفها، وسيكون البدء بترجمة المؤلف؛ لأنه وجد قبل سيرته، ثم نشي بدراسة المخطوط.

أولاً: ترجمة مؤلف سيرة الهادي إلى الحق

من هو مؤلف السيرة، هل هو علي بن محمد العباسي العلوي، أم محمد بن سليمان الكوفي، وإذا كان هو العباسي العلوي فما نسبه وأسرته؟ وكيف نشأ وتعلّم؟ وما صفاته وأعماله؟ وكيف كان وعيه التاريخي؟ ومتى توفي وكيف؟

١- من هو مؤلف السيرة؟

وقع في نسخ مخطوط السيرة (الأصل ط ب ذ) تحت عناوينها نسبة تأليف السيرة إلى كلٍّ من القاضي محمد بن سليمان الكوفي وعلي بن محمد العلوي العباسي معاً، أما أول نسخة (ز) - والذي كتب في القرن الحادي عشر - فإنه ينسب السيرة إلى محمد بن سليمان الكوفي فقط. ولعل هذا هو الذي أوقع كلا من بروكلمان^(١)، وفؤاد سزكين^(٢)، ثم شاكر مصطفى^(٣)، وأيمن فؤاد سيد^(٤) في أن ينسبوا هذه السيرة إليهما معاً. على أن هناك إشارات وردت في السيرة توهم أنها من تأليف القاضي محمد بن سليمان الكوفي أيضاً، ومنها قول له حيث قال: "وذلك أن أبا القاسم [المرتضى] كان قبل ذلك في خيوان، وكنا معه"^(٥)، حيث أن

(١) بروكلمان، كارل: تاريخ الأدب العربي، ترجمة: عبدالحليم النجار، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ج٣، ص ٨٥.

(٢) سزكين، فؤاد: تاريخ التراث العربي، ترجمة: محمود فهمي حجازي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، مج١، ج٢، ص ٢٠٩.

(٣) مصطفى، شاكر: التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م، ج١، ص ٣٣٠.

(٤) سيد، أيمن فؤاد: مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، ١٩٧٤م، ص ٨٢، ٨٣.

(٥) العلوي: السيرة، ل ٣٢ / أ.

العلوي في ذلك الوقت في سنة ٢٨٥هـ لم يكن قد وصل إلى اليمن، كما ذكرت السيرة بلسانه أنه لم يقيم مع يحيى بن عمر العلوي الثائر بالكوفة^(١) سنة ٢٤٨هـ / ٨٦٢م، وهذا التاريخ حصل قبل ولادة العلوي نفسه. وفي بعض المواضع تتحدثُ السيرة عن العلوي بضمير الغائب أو بذكر اسمه ظاهراً، كما في هذا النص القائل: "فلما رأى ذلك علي بن محمد ومحمد بن القاسم"، وغير ذلك^(٢).

وتفسير ذلك هو أن المؤلف ضمّن كتابه هذا ما كان قد كتبه القاضي محمد بن سليمان الكوفي عن أخبار الهادي وفضائله وإثبات إمامته، وكان يروي ما نقله عن الكوفي بلفظه، بعد أن يضع في مقدمة تلك الروايات سنده، فيقول: "علي بن محمد، قال: حدّثني محمد بن سليمان"^(٣)، ثم يأتي برواية الكوفي وقد تكون طويلة، ثم يردّ فيها الفعل منسوباً إلى الكوفي نفسه، وهذا ما أوقع النساخ - فيما يبدو - في أن ينسبوا السيرة إليه بجانب مؤلّفها العلوي، رغم أن العلوي كان يفتح تلك الروايات بسنده هو، ويروي عن الكوفي وعن غيره، ويذكر الروايات التي شاهدها بنفسه. ويمكن تلمّس ملامح كتاب الكوفي، وأوله وآخره، بين ثنايا نصّ العلوي، فهو يقول في ما رواه عنه العلوي بدون تغيير: "فصالحوهم [أهل الكتاب في اليمن] على ما سنشرحه في آخر كتابنا - إن شاء الله -"^(٤)، على الرغم أن آخر كتاب الكوفي لا يعني أنه آخر كتاب العلوي، بل إن صلح الهادي مع أهل الذمة المشار إليه في النص السابق ورد بعد حوالي ١٠ أوراق فقط من هذا الموضوع^(٥).

(١) العلوي: السيرة، ل٩ / ب.

(٢) العلوي: السيرة، ل٦٥ / ب، ل٦٦ / أ، ل٦٧ / أ، ل٧٠ / أ.

(٣) العلوي: السيرة، ل٦ / أ.

(٤) العلوي: السيرة، ل١٣ / ب.

(٥) العلوي: السيرة، ل٢٢ / أ - ٢٤ / أ.

إن سكوت السيرة عن الأحداث التي حدثت بعد وفاة الإمام الهادي إلى حياة الناصر ولده حيث عاش القاضي محمد بن سليمان الكوفي، وألف فيها أيضاً، ومارس نشاطاً علمياً، يشير إلى أن القاضي الكوفي ليس هو مؤلف هذه السيرة بهذا الشكل الذي وصل إلينا. وأما حديث العلوي عن نفسه بصيغة الاسم الظاهر فذلك من باب التواضع، كما أنه أسلوبٌ درج عليه بعضُ المصنفين في ذلك الوقت وغيره، ومنهم الهمداني^(١).

والواقع أن شخصية المؤلف العلوي موجودة بقوة في تفاصيل الكتاب من أوله إلى آخره، بحيث يتضح قطعاً أنه هو كاتب الكتاب بصورته الحالية، من خلال وجود اسمه في أول الكثير من أسانيده، وفي أول الكثير من فقراته، ومن خلال تصريحه فيه بالفاظٍ من قبيل "والدي محمد بن عبيد الله"، و "أبي محمد بن عبيد الله"، و "سألت أبي"، وقول أبيه له: "فلما سمعتَ - يا بني -" ^(٢)؛ ولهذا لم يشك مؤرخو الزيدية في أنه هو مصنف السيرة، فالمؤرخ الإمام أبو طالب الهاروني (ت ٤٢٤هـ / ١٠٣٢م) صرح في الإفادة^(٣) قائلاً: "وقد ذكرها العباسي المصنف لسيرته"، وقال في موضع آخر^(٤): "وقد صنف علي بن محمد بن عبيد الله العلوي العباسي سيره، وجمع في كتابه أكثرها". ومثله الشيخ أبو الحسن علي بن بلال (ت ٥١١هـ / ١١م) قال^(٥): "جملة من أخبار الهادي إلى الحق المنتخبة من كتاب السيرة التي جمعها علي بن محمد بن عبيد الله العباسي". وقال الشرفي^(٦) (ت ١٠٥٥هـ / ١٦٤٥م):

(١) الإكليل، ج ٨، ص ٣٤، ٦٤، ٧٧، ٩٥.

(٢) العلوي: السيرة، ل ١٠ / أ، ١١ / أ، ٢١ / ب، ٤٢ / ب، ٥٥ / ب، ٩٩ / أ، ١٠١ / ب، ١٢٠ / ب.

(٣) ص ٩٩ - ١٠٠.

(٤) الإفادة، ص ١١٣.

(٥) تنمة المصاييح، ص ٥٧٦، ٥٨٣.

(٦) اللآلئ المضية، ج ١، ص ٤٥٦.

"قال مؤلف سيرته ...، وهو علي بن محمد بن عبيد الله من ولد العباس بن علي بن أبي طالب ... المقبور بخيوان"، وروى ابن أبي الرجال^(١) (١٠٩٢هـ / ١٦٨١م) عن السيد العلامة محمد بن عبد الله الوزير^(٢) (٨٩٧هـ / ١٤٩١م) أنه قال: "هو مصنف سيرة الهادي ..."، وغيرهم.

٢- نسبه

هو علي بن محمد بن عبيد الله بن عبد الله^(٣) بن عبيد الله^(٤) بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب^(٥)، جدّه الأعلى هو العباس بن علي بن أبي طالب الشهيد بكربلاء مع أخيه الإمام الحسين عليه السلام^(٦)، وابنه عبيد الله بن العباس، كان "يوصفُ بالكمال والمروءة والجمال"^(٧)، ولي إمرة المدينة للعباسيين^(٨)، وكان

(١) مطلع البدور، ج ٣، ص ٢٢٣.

(٢) الوزير: عالم أديب إمام في علم الأنساب. الوجه: أعلام المؤلفين الزيدية، ج ٢، ص ٢٨٠ - ٢٨١.

(٣) ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ٣، ص ٣٢٢، ٣٥٦؛ ويحيى بن الحسين: المستطاب، ص ٤٠؛ وابن القاسم: طبقات الزيدية الكبرى، مج ٢، ص ٧٩٥.

(٤) البخاري، سهل بن عبد الله، أبو نصر (كان حيا سنة ٣٤٠هـ): سر السلسلة العلوية في أنساب السادة العلوية، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م، ص ٩٣؛ وابن طباطبا، إسماعيل بن إبراهيم بن ناصر (ق ٥هـ): منتقلة الطالبية، تح: محمد مهدي الخراسان، المطبعة الحيدرية، النجف، ط ١، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م، ص ٣٥٧؛ وابن عنبه: عمدة الطالب الصغرى، ص ٢١٩، ٢٢٢، ٢٢٤؛ ويحيى بن الحسين: المستطاب، ص ٤٠.

(٥) العلوي: السيرة، ل ٨ / أ؛ والبخاري: سر السلسلة العلوية، ص ٩٣؛ وابن طباطبا: منتقلة الطالبية، ص ٢٠٠، ٣٥٧؛ وابن عنبه: عمدة الطالب الصغرى، ص ٢١٩، ٢٢٢، ٢٢٤؛ ويحيى بن الحسين: المستطاب، ص ٤٠؛ وابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ٣، ص ٣٢٣؛ وابن القاسم: طبقات الزيدية الكبرى، مج ٢، ص ٧٩٥.

(٦) البخاري: سر السلسلة العلوية، ص ٨٩.

(٧) العمري: المجدي في أنساب الطالبيين، ص ٤٣٦.

(٨) الرازي: الشجرة المباركة، ص ١٩٨.

له "كتبٌ" اعتمد عليها والد المؤلف في بعض المرويات التي أوردتها المؤلف في هذه السيرة^(١)، وابنه الحسن بن عبيد الله "روى الحديث"^(٢)، وابنه عبيد الله بن الحسن وولاه المأمون (ت ٢١٨هـ / ٨٣٣م) على مكة والمدينة والقضاء فيهما، كما وولاه على اليمن، وكان كبير القدر^(٣)، وابنه عبد الله بن عبيد الله "كان المأمون يسميه الشيخ ابن الشيخ"، وكانت تحته فاطمة بنت إبراهيم، أخت الإمام القاسم بن إبراهيم (ت ٢٤٦هـ / ٨٦٠م)^(٤)، ولعبد الله هذا اثنان وعشرون ابناً، "أعقب منهم عشرة"، ومنهم عبيد الله^(٥) جد المؤلف.

٣- أسرته

أبوه: كان رجلاً فاضلاً عالماً مجتهداً شجاعاً كريماً^(٦)، وله مسائل أرسلها إلى الهادي^(٧)، وكان صهره؛ إذ تزوج ابنته فاطمة^(٨)، وكان أحد رجلين في المدينة اختصَّهما الهادي بالدعوة للخروج معه إلى اليمن في ذي القعدة ٢٨٣هـ / ديسمبر ٨٩٦م^(٩)، فرافقه في ذلك الخروج، ثم وولاه على وسحة^(١٠)، وصعدة، ونجران، وهو

(١) ل ٨ / أ، ١١ / أ.

(٢) العمري: المجدي في أنساب الطالبين، ص ٤٣٦.

(٣) البخاري: سر السلسلة العلوية، ص ٩٠؛ والعمري: المجدي في أنساب الطالبين، ص ٤٤٥؛ والمروزي: الفخري في أنساب الطالبين، ص ١٧١؛ والرازي: الشجرة المباركة، ص ١٩٨؛ وابن

عنبه: عمدة الطالب الصغرى، ص ٢١٩.

(٤) البخاري: سر السلسلة العلوية، ص ٩١.

(٥) البخاري: سر السلسلة العلوية، ص ٩٤.

(٦) العلوي: السيرة (ينظر الفهرس: محمد بن عبيد الله)؛ ويحيى بن الحسين: المستطاب، ص ٤٠.

(٧) من مسائل محمد بن عبيد الله، مجموع رسائل الإمام الهادي، ص ٦٠٨ - ٦٠٩.

(٨) العلوي: السيرة، ل ٩٩ / ب، وهامش (ط) من النسخ.

(٩) العلوي: السيرة، ل ١٠ / ب.

(١٠) وسحة: سيأتي التعريف بها في النص المحقق، ص ٣٤٨.

أحد مصادر هذه السيرة، فقد روى عنه ولده المؤلف كثيرا من الأخبار والأقوال والحوادث، بل إن المؤلف أورد عن أبيه أنه كان لديه إخلاص للهادي ومحبة عارمة، وأنه كان قد دَوَّن كثيرا من أحوال الهادي وأقواله^(١)، وكان يقارن تلك الأحوال والآداب بما كان قد كتبه من آداب رسول الله ﷺ^(٢)؛ الأمر الذي يشير إلى تطلُّعه ورغبته بتسجيل وتدوين أخبار الهادي باعتباره وريث رسول الله وإمام زمانه الذي يمضي على خطاه، هذا التدوين الذي ظهر بشكل واضح عند ولده المؤلف؛ ولهذا فليس غريبا أن المؤلف بمجرد وصوله إلى صعدة في أول سنة ٢٨٦هـ / ٨٩٩م^(٣)، سأل أباه وغيره عن جميع ما فاتته "من أخبار يحيى بن الحسين"^(٤). وقد اشتملت هذه السيرة على أخبار وافرة لوالد المؤلف وإنجازاته وأعماله، وانتهى به المطاف شهيدا في ٢٢ ذي الحجة ٢٩٥هـ / ٢١ سبتمبر ٩٠٨م، على يد متمردي قبيلة بني الحارث بن كعب في مدينة الهجر بنجران^(٥)، ودفن بجوارها^(٦)، وكان مقتله في حادثة مؤسفة وصفها ابن أبي الرجال^(٧) بـ "قضية مُشجِّية شبيهة بيوم الطف"، وذكر أنه قد ثار به الهادي "فأوقع ببني الحارث ومَنْ ظاهرهم".

أولاده: ذكرت السيرة^(٨) عَرَضاً أن للمؤلف ولدَيْن هما الحسن، ولد في حوالي

(١) على سبيل المثال ينظر: العلوي: السيرة، ل ١٥/أ-ب، ١٦/ب، ١٧/أ.

(٢) العلوي: السيرة، ل ٣٩/ب.

(٣) العلوي: السيرة، ل ٣٨/أ.

(٤) العلوي: السيرة، ل ٤١/أ.

(٥) العلوي: السيرة، ل ١٢٩/ب.

(٦) داخل مدينة الأخدود الأثرية. ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ٤، ص ٣٢٦.

(٧) مطلع البدور، ج ٣، ص ٣٢٣، ج ٤، ص ٣٢٦.

(٨) ذكرت في (ل ١٣٢/ب) أن عمره كان ست سنوات يوم مقتل جده محمد بن عبيد الله في آخر

سنة ٢٩٥هـ.

٢٨٩هـ / ٩٠١م، وأنه تعرّض للاضطهاد من متمرّدي بني الحارث الذين قتلوا جده، وأنه طلب منهم أن لا يُمثّلوا بجثة جدّه بعد مقتله، لكنّ أحدهم رماه بسهم في بطنه، فغشي عليه^(١). كما ذكرت أن له ولداً آخر يدعى الحسين، وأن عمره كان يوم مقتل جده محمد بن عبيد الله أربع سنوات، أي أنه ولد في حوالي ٢٩١هـ / ٩٠٣م، وأنه أيضاً هو الآخر قال لبني الحارث: "يا أعداء الله قتلتم جدي، وسلبتم أهلي، ...، إني لأرجو أن نقتلكم بالهادي"، فلطمه أحد قادتهم، وطرحه أرضاً، فقام وأخذ قبضة من التراب، فرمى بها وجه ذلك القائد^(٢).

إخوته: ذكر المؤلف نفسه^(٣) إخوته في قصيدة أنشأها في رمضان ٢٩٤هـ / يونيو ٩٠٧م، وأكبر هؤلاء الإخوة هو القاسم بن محمد الذي كان يشارك أخاه المؤلف في تسيير دوريات الأمن في منطقة نجران، بل كان المؤلف حريصاً على تسجيل دور أخيه القاسم الجهادي معه في مواضع عديدة^(٤)؛ الأمر الذي يشير إلى تقديره لكفاءة أخيه القاسم العسكرية والقتالية والاجتماعية، وقد نجى من المذبحة التي تعرّض لها والدهما؛ إذ كان مع أخيه المؤلف خارج مدينة الهجر حينها. ولعلّ ثالثهما جعفر الذي كان قد بلغ الحلم، وكان أحد المقاتلين بجانب أبيه، وكان قد أمره والده - قبيل مقتله - أن يخرج مع أخويه علي والقاسم عن الهجر إلى الحُصن^(٥)؛ لذا فقد نجا هو الآخر من تلك المذبحة الغادرة. وأما موسى بن محمد فقد كان آنذاك مع أبيه، وكان عمره ١٠ سنوات فقط، ويظهر أنه

(١) العلوي: السيرة، ل ١٣٢ / ب.

(٢) العلوي: السيرة، ل ١٣٣ / أ.

(٣) السيرة، ل ١١٩ / ب.

(٤) العلوي: السيرة، ل ٧٩ / أ، ٩٨ / أ، ١١٨ / ب، ١٢٠ / أ، ١٢٧ / أ.

(٥) العلوي: السيرة، ل ١٢٧ / أ.

كان يشترك في بعض المهمات^(١)؛ وهذا ما حمل أحد قادة بني الحارث^(٢) أن يأمر بقتله، لولا أن محمد بن منجاب الحارثي المداني أخفاه عنده^(٣)، ثم بعد ذلك صار عالماً، وصفه يحيى بن الحسين^(٤) بـ "العالم المجتهد". ومن إخوته أيضاً إسماعيل بن محمد، الذي كان عمره غداة مقتل والده خمس سنوات^(٥).

كان لأسرة العلوي دور كبير في نصره الإمام الهادي، حتى أن خصومهم بني الحارث كانوا قد قرّروا في عام ٢٩٤هـ / ٩٠٦م، أن يقتلوا أولاد العلوي، "وجميع بني عمه"، وأصحابه^(٦). وقد كرّر المؤلف في أكثر من قصيدة افتخاره بهذا الدور، مشبّها موقفهم مع الهادي بموقف جدّهم العباس بن علي مع أخيه الإمام الحسين في كربلاء^(٧).

٤- ولادته ونشأته

ذكر المؤلف عن نفسه أنه كان في ذي الحجة ٢٨٣هـ / يناير ٨٩٧م "غلاماً لم تجب لله سبحانه" عليه حجة، وأن أباه أمره بلحاقه إلى اليمن بعد أن يبلغ^(٨)؛ وهذا يشير إلى أن المانع له من مرافقة والده إلى اليمن حينذاك هو قصور عمره عن سن

(١) السيرة، ل ١١٩ / ب.

(٢) منصور بن هشام الدهي، وستأتي ترجمته في النص المحقق، ص ٦٩٠.

(٣) لم أجد له ترجمة خاصة، ولكن تذكر السيرة أنه كان له موقف مروءة وشهامة؛ إذ قام برعاية أطفال وحرّم والد المؤلف بعد مقتله "بأحسن قيام". العلوي: السيرة، ل ١٣٣ / أ.

(٤) المستطاب، ص ٤٣.

(٥) العلوي: السيرة، ل ١٣٣ / أ.

(٦) العلوي: السيرة، ل ١٢١ / أ.

(٧) السيرة، ل ١١٦ / أ.

(٨) السيرة، ل ١٠ / أ.

التكليف، ثم ذكر أنه هاجر إلى الهادي في ذي الحجة ٢٨٥هـ / يناير ٨٩٩م^(١)، أي بعد سنتين فقط من التاريخ السابق؛ الأمر الذي يرجح أنه هاجر بعد بلوغه خمس عشرة سنة، وهذا يعطي إشارة بأنه قد وُلِدَ في عام ٢٧٠هـ / ٨٨٣م تقريباً.

وُلِدَ المؤلف في مدينة الرسول ﷺ ونشأ بها، وهي المدينة التي يبدو أن الأضواء السياسية الرسمية كانت آنذاك قد بدأت في الانحسار عنها منذ استيلاء العلويين بني الأخيضر عليها^(٢)، ويبدو أنها بقيت تحت سيطرتهم حتى القرن ٤هـ / ١٠م، خلا بعض السنين التي استعاد العباسيون حكمها فيها^(٣). ويبدو أن شيئاً من الفتن الداخلية كانت تعصف بها، ولا سيما بين الجعفرين (ذرية جعفر بن أبي طالب)، والعلويين (ذرية أخيه الإمام علي)، كما حدث في كل من سنتي ٢٦٦هـ / ٨٧٩م، و٢٦٩هـ / ٨٨٢م^(٤)، غير أن الوضع ربما استقر بعد ذلك؛ إذ هناك إشارة إلى عودة الأمور إلى طبيعتها وتراجع الناس إلى السكنى فيها في عام ٢٧٢هـ / ٨٨٥م^(٥). من جانبٍ آخر فإن العلويين في المدينة إلى جانب ما وقعوا فيه من فتن داخلية مع الجعفرين فإنهم أيضاً كما يبدو قد انشغلوا بشكل واسع بتصريف حياتهم الخاصة، بعيداً عن الاهتمام بالشأن العام، وانطلقوا في إحياء الأراضي وزراعتها، كما وصفهم الهادي إلى الحق في رسالته التي بعثها إليهم شعراً^(٦).

تأسست في المدينة أعظم مدرسة تاريخية عنيت بكتابة التاريخ، وشهدت ظهور

(١) السيرة، ل ٣٧ / ب.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٢٣١.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٤٣٢، ٤٣٥.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٣٧٠، ٤١٨.

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٤٣٨.

(٦) العلوي: السيرة، ل ١٠٦ / أ، ١٠٨ / ب - ١٠٩ / أ.

مؤرخين كبار، مثل عروة بن الزبير بن العوام (ت ٧٩٤هـ / ٧١٢م)، الرجل الأول في تلك المدرسة^(١)، وصولاً إلى من برزت لديه وحدة الفكر التاريخي بشكلٍ جلي، وهو محمد بن إسحاق المطلبي (ت ١٥١هـ أو ١٥٢هـ / ٧٦٨م أو ٧٦٩م)، صاحب "أقدم سيرة نبوية محفوظة"^(٢)، وصلت إلينا، ومثل الواقدي محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ / ٨٢٣م) الذي جمع مادة ضخمة في التاريخ ودونها تدوينا حسنا، ومما يلفت أن من بين عناوين مؤلفاته "سيرة أبي بكر"^(٣)؛ حيث استخدم مفردة (سيرة) في عنوانه لشخصٍ غير الرسول، وقد انحسر النشاط العلمي التاريخي بعد ذلك عن المدينة لصالح دمشق وبغداد عاصمتي الدولة الأموية والعباسية، فظهرت مدارس الشام والعراق؛ إذ هاجر إليها العلماء من المدينة وغيرها، ولعل أبرز مثال على ذلك الواقدي وتلميذه محمد بن سعد الزهري صاحب الطبقات (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م) حيث هاجرا إلى بغداد^(٤). ومع ذلك فقد بقي في منتصف القرن الثالث من المؤرخين من يُذكر بهذه المدرسة، ومنهم الزبير بن بكار الزبيري (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م)، والذي صنف (أنساب قريش)، ويبدو على بعض مؤلفاته أنه جعلها متمحورة حول أشخاص محدّدين مثل كتبه (أخبار ابن ميادة)، و (أخبار حسّان)، و (أخبار عمر بن أبي ربيعة)، وغيرها^(٥)، ومنهم تلميذه يحيى بن الحسن العقيقي الحسيني العلوي (ت ٢٧٧هـ / ٨٩٠م) الذي "يقال: إنه أول من صنف في أنساب الطالبين، وله كتاب أخبار المدينة"، وغيرها^(٦).

(١) مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، ج ١، ص ١٥٢-١٥٣.

(٢) مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، ج ١، ص ١٦٠-١٦٢.

(٣) مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، ج ١، ص ١٦٣-١٦٥.

(٤) مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، ج ١، ص ١٦٦.

(٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٣١١؛ والزركلي: الأعلام، ج ٣، ص ٤٢.

(٦) القلقشندي، أحمد بن علي، أبو العباس الفزاري (ت ٨٢١هـ): صبح الأعشى، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٠هـ / ١٩٢٢م، ج ٤، ص ٢٩٨؛ وابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ٤،

نشأ المؤلف في هذه البيئة السياسية والثقافية والاجتماعية، وترعرع في ظل أسرة كريمة يبدو من تاريخها انشدادها إلى العلياء وتحقيق الأمجاد، كما يدل على ذلك أدوار أسلافه، ولا بد أن تلك البيئة عكست نفسها على شخصية الكاتب في طموحه السياسي، واهتماماته الثقافية، والتاريخية. ويبدو أن المؤلف قد تلقى تعليمه الأولي في المدينة بتعلم القرآن والأدب والثقافة العامة المتداولة في ذلك الزمان، ولا بد أنه تعلم دروس الفقه والأحكام والأنساب لدى أهل بيته في المدينة المنورة، شأنه في ذلك شأن شباب العلويين في ذلك الوقت في المدينة وما حولها.

٥- علمه

لم يشأ العلوي أن يتخلى عن طلب العلم حتى بعد وصوله إلى اليمن، فقد وقع في مجموع رسائل الإمام الهادي^(١) "من مسائل علي بن محمد العلوي مما سأل عنه الهادي إلى الحق عليه السلام"، وهناك مخطوطة عُثِرَ عليها تضمنت عشرات الأسئلة وجهها العلوي إلى الإمام الهادي، وكانت تدور حول الإلهيات والتوحيد والعدل والآيات التي كان المشبهة والمجبرة يتعلقون بها، وغير ذلك^(٢)؛ الأمر الذي يفيد استمراره في التحصيل العلمي. وصفه ابن أبي الرجال^(٣) بـ "الشریف العالم الرئيس جمال الإسلام"، ووصفه صاحب الطبقات الكبرى^(٤) بأنه: "أحد علماء الزيدية"، وتشير كتاباته في السيرة نفسها إلى مكانته الثابتة في العلم والمعرفة، وأنه كان ذا خبرة اجتماعية أيضا، وبالمقارنة لما كتبه عن أنساب القبائل اليمنية في هذه السيرة بشكل

ص ٤٩٢؛ والوجه: أعلام المؤلفين الزيدية، ج ٢، ص ٤٢١.

(١) ص ٦٢١.

(٢) الهادي: مسائل علي بن [محمد] بن عبيد الله العلوي، ص ١٥٣ - ١٧١.

(٣) مطلع البدور، ج ٣، ص ٣٢٢.

(٤) ابن القاسم، مج ٢، ص ٧٩٥.

مختصر جدا بما أورده الهمداني نجد تطابقا تاما يكشف عن قدرته على الإمام بأنسب اليمينين سريعا، وتبين أشعاره أنه كان ذا قدم راسخة في الأدب، وحينما أصبح قائد شرطة نجران انعكس اهتمامه بجمع المعلومات الأمنية على كتاباته الدقيقة والمفصلة. ولم نطلع على أي تأليف له آخر غير هذه السيرة، على الرغم من أنه وعد بتصنيف "كتاب مفرد" يدل على إمامة الإمام الهادي، "والاحتجاج عليه بما لا يدفع"^(١)، إلا أننا لم نظفر بكتاب من هذا النوع منسوب إليه، فلعله ضاع في أدراج التاريخ أو مكتبات المخطوطات، وربما وافته المنية ولما تتحقق رغبته تلك. ونصت بعض المصادر التاريخية على توليه قضاء نجران^(٢).

٦- صفاته

يظهر أن العلوي كان شخصية قوية وذا بنية مكتملة وناضجة مكنته من القيام بأداء مهامه العسكرية والإدارية باقتدار، كما نستشف ذلك من شعر الإمام الهادي لما رثاه بقوله:

"يطعن الطعنة خوارة كأنها طعنة جساس"^(٣)،^(٤)

ويتبين من خلال مواقفه وكتابات وأشعاره إخلاصه الشديد للإمام الهادي ومشروعه، وأنه كان - مثل أبيه - مستعدا للتضحية بنفسه في سبيله، وكان معتزا بهذا الإخلاص، ومما يدل على ذلك اعتزازه بأنه سيف من سيوف الهادي، حيث

(١) العلوي: السيرة، ل ٤٣ / ب.

(٢) ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ٣، ص ٣٢٣؛ وابن القاسم: طبقات الزيدية الكبرى، مج ٢، ص ٧٩٥.

(٣) جساس بن مرة، من بني بكر بن وائل، شجاع، شاعر، وهو الذي قتل كليب وائل، فكان سببا لنشوب حرب طاحنة بين بكر وتغلب. الزركلي: الأعلام، ج ٢، ص ١١٩.

(٤) يحيى بن الحسين: المستطاب، ص ٤٣.

قال: "وأنا علي سيفه لعدوه"^(١). ومن خلال المهام التي تولّاها وأسندت إليه من قبل أبيه ومن قبل الهادي نفسه يظهر أنه كان يتمتع بكفاءة إدارية وعسكرية جعلته محلّ ثقتهم، وأنه كان شجاعاً ذا تدبير، نجح في كثير من مهماته بشكل دقيق، كما كان ذا عدل وإنصاف لا يحابي أحداً حتى ولو كان من أصحابه^(٢)، وكان شاعراً فصيحاً، ينضح شعره بالفخر بالوفاء والشجاعة والمضي على نهج آبائه والفخر بهم وعلو الهمة والاستلهام التاريخي المحفّز^(٣).

وشعره يدل على شاعريته المنفتحة، فقد افتتح بعض قصائده بالغزل والوصف الدقيق للنساء الجميلات، كما يدلُّ على حسّ شاعري مرهف، وذوق منفتح ملتزم، وعلى فصاحة وبلاغة^(٤). وقد كان يحفّزه خيال واسع، وطموح متّقد بتملّك الأرض، والسيطرة على العالم^(٥)، لكنه مع ذلك كان صادقاً تدل الروايات التي نقلها في سيرته أنه كان دقيقاً وصادقاً يرتاح للحقيقة ويضعها كما هي، وقد سجّل في حالاتٍ عديدة أحداثاً لم يستح من تسجيلها^(٦).

إن التحاقه المبكّر في السنة الخامسة عشرة من عمره بالجهاد مع الإمام الهادي ناتج عن شعور قوي بالمسؤولية جعله يلبي نداء ذلك الإمام، ونصرة دين الله، وناتج عن إيمان عميق بوجوب الحجة عليه؛ ولذلك فما إن قابل أباه حتى أسرع إلى سؤاله عن كيفية البيعة للهادي، فيحفظها ويسجلها^(٧). ويشير جمعه لأخبار

(١) العلوي: السيرة، ل ١١٦ / أ.

(٢) العلوي: السيرة، ل ١٢٠ / أ.

(٣) العلوي: السيرة، ل ١١٦ / أ، ١١٩ / ب.

(٤) العلوي: السيرة، ل ١١٥ / ب - ١١٦ / أ.

(٥) العلوي: السيرة، ل ١٠٠ / أ.

(٦) العلوي: السيرة، ل ٣٩ / أ - ب.

(٧) الشامي: تاريخ اليمن الفكري، ج ١، ص ١٣٢.

الهادي عقب وصوله اليمن مباشرة وسنه أيضا ذلك السن الصغير إلى تطلع جاد، "ونبوغ مبكر، وهمة عالية"^(١)، وأنه كان عظيم الإخلاص لهذه الدولة التي أقامها الهادي، "وليس ذلك فحسب، بل إنه كان يتحرى فيما ينقله أو يسمعه، أو يسجله من أخبار، وأنه كان ذا مزاج علمي، وحس أدبي، وله طموحات ومشاريع في حقول الأدب والسياسة والتأليف"^(٢).

٧- مهامه السياسية والعسكرية مع الإمام الهادي إلى الحق

قرر المؤلف الهجرة إلى الهادي بعد بلوغه الحلم في ذي الحجة ٢٨٥هـ / يناير ٨٩٩م، ثم وصل إلى صعدة في أول سنة ٢٨٦هـ / ٨٩٩م مع قافلة الحجاج اليمنيين وحوالي ٥٠ مهاجرا من طبرستان، في الوقت الذي كان فيه والده واليا على صعدة^(٣)، وبمجرد وصوله صعدة كلفه الهادي بالبقاء مع أبيه^(٤)، ولعل أول لقاء بينه وبين الهادي كان في جمادى الآخرة ٢٨٦هـ / يونيو ٨٩٩م في مذب^(٥)، وهناك بايعه^(٦)، وقد بقي مع أبيه في صعدة خلال عام ٢٨٦هـ / ٨٩٩م، ففي حرب الهادي بنجران في ذي الحجة ٢٨٦هـ / ديسمبر ٨٩٩م كان المؤلف مع والده وحيدَيْن في مواجهة تمرّد الأكيّليين في صعدة، ثم خرجا منها إلى قرية الغيل^(٧).

(١) الشامي: تاريخ اليمن الفكري، ج ١، ص ١٣٢.

(٢) الشامي: تاريخ اليمن الفكري، ج ١، ص ١٣٢.

(٣) العلوي: السيرة، ل ٣٧ / ب - ٣٨ / أ.

(٤) العلوي: السيرة، ل ٣٨ / أ.

(٥) مذب: سيأتي التعريف به في النص المحقق، ص ٤١١.

(٦) العلوي: السيرة، ل ٤٢ / أ. وقد خلط بروكلمان (تاريخ الأدب العربي، ج ٣، ص ٨٥) بين المؤلف وأبيه؛ إذ ذكر أن المؤلف بايع الهادي سنة ٢٨٣هـ / ٨٩٦م، "حيث ذهب وهو غلام إلى أبيه الذي كان حينئذ قائدا في صيدا" [يقصد صعدة، وهي خطأ من المترجم]، وانتقل هذا الخلط والخطأ إلى الدكتور شاكر مصطفى في (التاريخ العربي والمؤرخون، ج ١، ص ٣٣٠).

(٧) العلوي: السيرة، ل ٥٦ / أ. والغيل: سيأتي التعريف بها في النص المحقق، ص ٤١٨.

وعلى الرغم أنه في جمادى الأولى سنة ٢٨٧هـ / مايو ٩٠٠م وُيِّ والدّه على نجران^(١) إلا أن المؤلف بقي في عمله بصعدة قائدا لشرطتها، وقد تولى أثناء ذلك معاقبة المتمردين الأكيّليين بأمر الهادي^(٢)، كما نفَّذ قيادة حملة على المهاذر^(٣) مع محمد بن القاسم العلوي^(٤)، وعند قيام الهادي بإخماد تمرد قبيلة الربيعة بن سعد فإن المؤلف كان أحد فرسانه الذين قاتلوا إلى جانبه في المهام الصعبة^(٥).

ويبدو أنه التحق في آخر عام ٢٨٧هـ / ٩٠٠م بأبيه؛ إذ نجده في المحرم ٢٨٨هـ / يناير ٩٠١م وقد وجَّهه أبوه من نجران على رأس "عسكر كثيف من خيل ورجال" إلى الهادي بحسب طلبه استعدادا لدخول مدينة صنعاء^(٦). وفي طريق الهادي إلى صنعاء سنة ٢٨٨هـ / ٩٠١م كان المؤلف قائد مقدمته^(٧)، ثم سلَّم إليه لواء الجيش يحمله بين يدي الهادي حتى التقى مع أبي العتاهية شمال صنعاء، وهناك أمر "الهادي أصحابه بالوقوف، فوقفوا إلا علي بن محمد فإنه كان بالقرب منه، وكان معه اللواء"^(٨)، وبهذا يتبيّن أن المؤلف كان من قادة الإمام الهادي الذين دخل بهم صنعاء في ٢٣ محرم ٢٨٨هـ / ١٦ يناير ٩٠١م. ويبدو حديث السيرة عن أخبار وحروب الهادي خلال سنة ٢٨٨هـ / ٩٠١م في صنعاء

(١) العلوي: السيرة، ل ٦٥ / أ.

(٢) العلوي: السيرة، ل ٦٥ / ب.

(٣) المهاذر: سيأتي التعريف بها في النص المحقق، ص ٥٠١.

(٤) العلوي: السيرة، ل ٦٧ / أ. ومحمد بن القاسم العلوي: عباسي من ولد العباس بن علي بن أبي طالب، قريب للمؤلف، وقد شكاه أحد جنود الهادي من قبيلة العهرا إذ ضربه بالسوط، فما كان من الهادي إلا أن أمر بضرب هذا القائد قصاصا لجنديه. العلوي: السيرة، ل ٦٧ / أ.

(٥) العلوي: السيرة، ل ٦٦ / أ.

(٦) العلوي: السيرة، ل ٧٠ / أ.

(٧) العلوي: السيرة، ل ٧٠ / ب.

(٨) العلوي: السيرة، ل ٧١ / ب.

ومحيطها مُغْفَلاً من ذكر التواريخ، وكأنه يشير إلى مغادرة المؤلف للهادي، وعودته إلى نجران، وهو الأمر الذي أكّده المؤلف لاحقاً؛ إذ ذكر^(١) أنه في رمضان ٢٨٨هـ / سبتمبر ٩٠١م كان في نجران^(٢).

بقي المؤلف مع والده والي نجران فيها - كما يبدو -، ولما قام بنو الحارث ويام معارضين لوالده في عام ٢٩١هـ / ٩٠٣م استطاع هذا الوالي أن ييسط نفوذه عليهم، وأمن البلد، رغم ضالة عدد العسكر الذين كانوا معه، بالإضافة إلى ولديه المؤلف وأخيه القاسم^(٣)، وكانا يدي أبيهما حيث كانا يتحركان معه، وينفذان المهمات الموكلة إليهما بقوة ودقة^(٤). وكتب المؤلف الشعر الإعلامي والدعائي في نصرة والده وتحشيد القبائل اليمنية النجرانية إلى جانبه^(٥)، ومع ذلك فقد كان لا بد من تدخل الهادي بجيشه لاستعادة السيطرة على نجران وقمع المتمردين بها، وظهر المؤلف في رجب ٢٩١هـ / يونيو ٩٠٤م وكأنه يد الهادي الضاربة التي تهدم أسواق بني الحارث بن كعب، وتهاجم حصونهم^(٦).

بعد ذلك قرر الهادي الاستجابة لدعوات الحكميين في تهامة للوصول إليهم وبسط دولته على بلدهم، لكن قائدهم غدر بالهادي، ونكث عهده، وهاجم جيشه فهرب، فكان المؤلف أحد فرسان ثمانية ثبّتوا في أرض المعركة، حتى استطاع بقية الجيش التراجع وتنفيذ هجوم ثان على الحكميين وهزيمتهم^(٧).

(١) السيرة، ل ٧٩ / أ.

(٢) العلوي: السيرة، ل ٧٩ / أ، ب، ٨٠ / أ، ٨٤ / أ.

(٣) العلوي: السيرة، ل ٩٥ / أ.

(٤) العلوي: السيرة، ل ٩٨ / أ.

(٥) العلوي: السيرة، ل ١٠٠ / أ.

(٦) العلوي: السيرة، ل ١٠١ / أ.

(٧) العلوي: السيرة، ل ١٠٢ / ب - ١٠٣ / أ.

وبسبب وجود فجوة تاريخية في السيرة بين عامي ٢٩١هـ / ٩٠٤م و ٢٩٤هـ / ٩٠٦م؛ حيث لم تذكر السيرة أحداث تلك الفجوة، فإنه لم يتم التعرف على أحداث المؤلف فيها، إلا أنه يترجح أنه قضاهما مع والده في نجران؛ باعتباره كان قائد شرطته، وربما مارس القضاء فيها أيضا. وخلال عام ٢٩٤هـ / ٩٠٦م تجددت حركة التمرد من بني الحارث، ودخل على خطّ المتغيرات ظهور حركة القرامطة فيها، والتي تحالفت مع بني الحارث، كل ذلك بالتزامن مع تحركاتهم في المذيخرة وصنعاء ومسور، وقد أنشأ المؤلف قصيدته التي يذكر فيها لأول مرة القرامطة وبعضاً من عقائدهم، وأنهم يزعمون أن "إمامهم إله قادر"، وما شاكل ذلك^(١).

خرج الهادي إلى نجران في ٢٠ رجب ٢٩٤هـ / ٥ مايو ٩٠٧م، وأخضع المتمردين فيها، وقبض على بعض زعماء ورجال القرامطة وبني الحارث^(٢)، وحينها قام المؤلف بدور أمني كبير، حيث شرد رؤوس الفتنة "إلى رؤوس الجبال، وأقلق نهارهم، وأسهر ليلهم، وطلبهم في مواضعهم عندما أمكنه العسكر، ووجد عليهم معينا"؛ لذلك "اطمأنت البلد، ولبس الناس العافية، وصرموا نخيلهم، ولم يعترض بهم أحد من الناس ممن كان يطمع بالفساد"^(٣). ويظهر من خلال الرسائل المتبادلة بين الهادي وعامله في نجران - والد المؤلف - أن المؤلف كان المسؤول الثاني في نجران بعد أبيه^(٤)، وتدلل دقة المعلومات التي أوردها المؤلف عن خصومه وأهالي نجران أنه كان المسؤول الأمني الذي كان يتلقّى التقارير الاستخبارية، والتي كشفت حقيقة مواقف بعض زعماء نجران

(١) العلوي: السيرة، ل ١١٦ / أ.

(٢) العلوي: السيرة، ل ١١٩ / أ.

(٣) العلوي: السيرة، ل ١٢٠ / ب.

(٤) العلوي: السيرة، ل ١٢٢ / أ، ١٢٦ / أ.

الذين كانوا يتظاهرون بالولاء للهادي وعامله^(١).

عاد بنو الحارث للتمرد في ٢٩٥هـ / ٩٠٧م، وعاد الهادي بجيشه لإخضاعهم، ولما غادر نجران في ٥ ذي الحجة ٢٩٥هـ / ٤ سبتمبر ٩٠٨م^(٢) حدثت تطورات سريعة، حيث عقد بنو الحارث بقيادة ابن حميد العزم على مباغته والي نجران العلوي، والفتك به غدرا، وبالفعل تمكّنوا من قتله في يوم الخميس ٢٢ من ذي الحجة ٢٩٥هـ / ٢١ سبتمبر ٩٠٨م^(٣)، بينما كان ولده المؤلف موجودا في الحُصن بين قبائل همدان، وقد رثاه بقصيدة قال فيها:

"قتلت حارث بن كعب شريفا خيّر من وُحِدَ إليه وصاما
قتلوه فأفحشوا القتل فيه حين أضحى لديهم مستضاما"^(٤)

ومن المرجح بحكم وظيفته في نجران أنه شارك في الحملة التأديبية التي نفذها الهادي بحق قتلة أبيه^(٥)، ثم لا نعرف كيف وأين قضى المؤلف سنة ٢٩٦هـ / ٩٠٨م، لكنه من المؤكد أنه بحكم عمله ووظيفته واستعداداته ومشروعه أنه سيستمر في ذات الطريق، ومن المحتمل أن ما ذكره بعض المؤرخين من أن الهادي ولاه القضاء بنجران^(٦) كان في هذه الفترة التي تلت مقتل أبيه، أي في هذا العام. ذكر الملحق التاريخي للسيرة أن المؤلف قاد حملة عسكرية في عام

(١) مثل ابن بسطام الذي كان يتظاهر بتأييد الهادي، ولكنه في الحقيقة يتآمر مع زعماء بني الحارث ويكاتب والي العباسيين ويحضه على القدوم إلى نجران. العلوي: السيرة، ل ١٢١/ أ-ب، ١٢٢/ ب.

(٢) العلوي: السيرة، ل ١٢٦/ أ.

(٣) العلوي: السيرة، ل ١٢٩/ ب.

(٤) العلوي: السيرة، ل ١٣٤/ ب.

(٥) ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ٣، ص ٣٢٣.

(٦) ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ٣، ص ٣٢٣.

٢٩٧هـ/ ٩٠٩م لتحرير صنعاء من القرامطة، وكان عمره آنذاك ٢٧ سنة تقريبا، وبالفعل نجح في ذلك، واستعاد صنعاء في ١١ رجب ٢٩٧هـ/ ٢٥ مارس ٩١٠م، وأقام فيها وأمن أهلها^(١).

٨- وعيه التاريخي

تضمّنت هذه السيرة جزءاً من تأليف القاضي محمد بن سليمان الكوفي، وفيه أخبار الهادي وبعض فضائله وإثبات إمامته^(٢)، كما تضمّنت ملاحظات مدوّنة كتبها والد المؤلف عبّرت عن نفسٍ تاريخي لدى والد المؤلف، انطلاقا من انبهاره بشخصية الإمام الهادي، واعتقاداً بإمامته وتفردّه في الفضائل^(٣)، واشتملت هذه المخطوطة على ملحق للسيرة مكون من أوراق يسيرة كتبها القاضي محمد بن سعيد اليرسمي تحدث فيها عن يوميات الهادي بما يكشف عن فرادته ومميزاته^(٤). وهي محاولات تكشف عن نزوع لدى رجالات دولة الإمام الهادي إلى تدوين أخباره وفضائله ومميزاته لإثبات أحقيته وفرادته؛ إذ جاء تحركه على خلاف الواقع السياسي الإسلامي آنذاك، وبالتالي فكأنه قد وضع نفسه موضع الاستنكار من عموم الشعوب الإسلامية، وهنا لا بد من إثبات أحقيته ومشروعيته؛ باعتبار أنه هو الممثل الحقيقي لدولة الرسول محمد ﷺ، ودولة الإسلام، وهو ابنه ومن ذريته، وهذه هي سيرته التي تشبه سيرة جده الرسول أيضا، ومن هنا أتت مقولة الإمام الهادي نفسه: "لا أتعدى سيرة جدي رسول الله ﷺ"^(٥).

(١) العلوي: السيرة، ل ١٣٨ / ب - ١٣٩ / أ (الملحق).

(٢) ضمّنها المؤلف أول كتابه وأسند رواياتها إلى محمد بن سليمان نفسه.

(٣) العلوي: السيرة، ل ١٤ / ب، ١٥ / ب، ١٦ / ب، ١٧ / أ، ب، ٣٩ / ب، ٤٢ / أ - ب.

(٤) العلوي: السيرة، ل ١٣٥ / ب - ١٣٦ / ب (الملحق).

(٥) العلوي: السيرة، ل ٢١ / أ.

ولعل ذات الشعور ونفس الوعي التاريخي الذي أخذ بهؤلاء، هو الذي حمل المؤلف على كتابة كتابه هذا، وهو الذي نشأ وتعلّم في المدينة ذات الإرث التاريخي العريق الذي مر ذكره، وهو الذي وجد أباه يلاحظ ويدوّن ويحاول إثبات رؤيته حول المهدي، وهو الذي وجد نفسه في واقع يفتَرِضُ عليه وعلى أمثاله أن يُنفِذَ تلك المهمة التاريخية؛ ولهذا صرّح المؤلف نفسه أنه بمجرد وصوله إلى اليمن سأل أباه وغيره عن الأخبار والأنباء التي حدثت للهادي قبل مجيئه، بل منذ خروج والده من المدينة حتى يوم مقدمه^(١). وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على وعي المؤلف المبكر والذي حمله معه أيضا من المدينة، وهو الشاب الطموح والشجاع الذي لم يتجاوز عمره عند بداية جمعه للكتاب السادسة عشرة، وهذا يدل على نظرته الفذة، ونضوجه المبكر.

وربما شدّ من أزر هذا الوعي أن المؤلف وهو في صعدة أولا في مواجهة المتمردين الأكيليين على سلطة الهادي ثم في نجران ثانيا في مواجهة المتمردين من بني الحارث، وكلاهما من أنصار الدولة العباسية الذين يُحَرِّمون الخروج على الدولة العباسية، ويشككون في معارضيتها ومشروعيتهم، فكان هذا موجبا لتقديم الإثبات بفرادة هذا الإمام، وأن سيرته إنما هي امتداد لسيرة الرسول ﷺ.

وقد افتخر المؤلف في قصائده بجده العباس ومواقفه في كربلاء، وقارن وقوفه مع الهادي بوقوف جده مع الإمام الحسين في كربلاء^(٢)، وهو يشير إلى سلطة التاريخ في وعيه وكيف تتحول المعرفة التاريخية إلى واقع وسلوك واتجاه؛ ولهذا فقد كان المؤلف معنيا بإثبات أن واقع الهادي هو واقع رسول الله وواقع الأئمة من بعده كعلي بن أبي

(١) العلوي: السيرة، ل ١٠ / ب، ٤١ / أ.

(٢) العلوي: السيرة، ل ١١٦ / أ.

طالب والحسين، وبالتالي فإن الموقف الذي يقفه المؤلف وذووه وآخرون هو الموقف الصحيح والطبيعي.

إن هذا هو السبب في ظهور الوعي بالتاريخ وأهمية تدوينه لدى عدد من رجالات دولة الإمام الهادي، وهو ما لم نجده عند دول وجماعات أخرى معاصرة لها، مثل الدولة اليعفرية والحركات الأخرى التي لم يظهر له نتائج تاريخي؛ حيث أنها لم تمر بالظروف والدواعي التي مرّت بها دولة الهادي ورجالاته، ثم إنها كانت تعتبر نفسها جزءاً من مشروع العباسيين، وبالتالي فليس عليهم أن يثبتوا التميز والفردة، أما القرامطة فلم يكونوا معنيين بتقديم النموذج والإثبات عليه بقدر ما كانوا معنيين ببسط نفوذهم وسيطرتهم بأية طريقة كانت.

٩- وفاته

كانت آخر مهمة مؤرّخة نفّذها المؤلف - بحسب المصادر التاريخية - هي قيادته لجيش الإمام الهادي لتحرير مدينة صنعاء عام ٢٩٧هـ / ٩٠٩م، وبعد ذلك يختفي ذكر المؤلف من التاريخ تماماً. بيد أن كلا من نسختي (الأصل و ذ) وقد كتبتا في القرن ١١هـ / ١٧م أوردتا تحت عنوانيهما في الصفحة الأولى أن مؤلفنا كان "من نجباء الناشئين في أيام الهادي - صلوات الله عليهما - ذوي المقامات الشهيرة بين يديه، وأحد الشهداء مع الهادي عليه السلام بنجران، فنقل من المعركة حيّاً إلى خيوان، وتوفي بها، وقبره مشهور مزور، وفيه يقول الهادي إلى الحق...:

قبر بخيوان حوى ماجدا متخب الأباء عباسي
قبر علي بن أبي جعفر من هاشم كالجبل الراسي
يطعن الطعنة خوار كأنها طعنة جساس

ويؤكد ذلك ابن أبي الرجال^(١) إذ يقول: "والسيد علي بن أبي جعفر المدفون بخيوان الذي أصيب بنجران وحُمل وقد ارُثت، وقال فيه الهادي..."، ثم أورد الأبيات الثلاثة السابقة، لكنه طرح احتمال أنه شخص آخر غير مؤلفنا هذا؛ والسبب الذي دعاه لافتراض ذلك الاحتمال رواية رواها عن "بعض المؤرخين"، وهي أن الهادي كان قد "استخلفه على القضاء بنجران، واستخلفه الناصر للحق على غُرَق"^(٢)، وهي مدينة الدُّعَام وبنيه".

أربكت هذه الرواية التي دونها ابن أبي الرجال مَنْ أتى وراءه، فتجاهل - كما يبدو - المؤرخ السيد محمد بن محمد زبارة أبيات الهادي تلك فيما اختاره "من أشعار الهادي في كتابه أئمة اليمن، وحتى لا يقع في تناقض"^(٣)، وكذلك تلقف الباحث عبد الله الحبشي^(٤) رواية "بعض المؤرخين"، وقال: إنه تولى في عهد الناصر "على الجوف"، ومثله الدكتور حسين العمري^(٥) حيث قال: "وفي عهد ابنه الناصر (٣٠١-٣٢٥هـ) ولي الجوف وأرحب، وهذا يعني أنه كان لا يزال حيا في مطلع القرن الرابع".

وردت رواية أخرى في هامش نسخة (ط) التي نسخت سنة ١٠١٧هـ / ١٦٠٨م للشيخ المجاهد علي بن وهان بن صلاح العذري، وكان أحد كبار قادة الإمام القاسم بن محمد (ت ١٠٢٦هـ / ١٦١٧م)، على موضع في (١١٥د / ب)، وفيها ما نصّه: "عليّ هذا هو ولدُ محمد بن عبيد الله عليه السلام، وكان من أكبر الأعيان بعد أبيه، ومات في أيام الناصر

(١) مطلع البدور، ج ٣، ص ٣٢٣.

(٢) غُرَق: سيأتي التعريف بها في النص المحقق، ص ٣٩٣.

(٣) الشامي: تاريخ اليمن الفكري، ج ١، ص ١٣١.

(٤) مصادر الفكر الإسلامي في اليمن، ص ٤٧٣.

(٥) العمري، حسين عبدالله: مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني، دار المختار للطباعة والنشر، دمشق، ط ١، ١٩٨٠م، ص ٢٧.

لدين الله أحمد بن يحيى عليه السلام بالجوف، وهو إذ ذاك والٍ للناصر، ومُحَلَّ إلى خيوان، وقبره فيه مشهور مزور ظاهر البركة، وقد زاره إمامنا المنصور بالله القاسم بن محمد - قدس الله روحه - ونحن معه، ورثاه الناصر بأبياتٍ كانت مرقومة في لوحٍ من صخرة عليه، وهي: قبر بخيوان حوى ماجدا..."، وأكمل تلك الأبيات.

إذن تجمع هذه الروايات المختلفة على أنه مقبورٌ في خيوان، وأن تلك الأبيات الشعرية قيلت فيه، وإن اختلفَ في قائلها، وفي زمن وفاته، هل هو في عهد الإمام الهادي، وبالتالي فهو الذي رثاه بتلك الأبيات، أم في عهد ابنه الناصر، وعليه فهو الذي رثاه، لا أبوه، وتختلف أيضا في سبب الوفاة، هل مات موتا طبيعيا، أم بسبب جراحته التي أصابته في المعركة، وهل مات في الجوف أم في نجران ثم نقل إلى خيوان، ودفن فيها، أم وصل إليها حيا ثم مات بها؛ على أنه يبدو أن نقله من الجوف إلى خيوان أكثر منطقية من نقله جريحا من نجران إلى خيوان؛ إذ لا يوجد داعٍ لنقله من نجران إلى خيوان ودفنه فيها، بتجاوز صعدة التي كانت مقر الحكم وعاصمة الدولة.

وقبل تكوين ترتيبٍ منطقي للأحداث ينسجم مع الحقائق والجغرافيا ينبغي الوقوف على هذه النقاط:

أولا: إن افتراض ابن أبي الرجال رجلين، أحدهما علي بن محمد بن عبيد الله، هو مؤلف السيرة، وآخر هو علي بن أبي جعفر، قال فيه الهادي تلك الأبيات، معالجة خاطئة لرواية "بعض المؤرخين" الذي لم نعلم من هو، وما وزن روايته التاريخية، ثم إن أحداث الهادي وسيرته لا تقبل بوجود رجلين على هذا النحو، فعلي بن أبي جعفر هو علي بن محمد بن عبيد الله، كما تردّد ذكر ذلك في السيرة، وكان كثيرا ما أُطلقَ فيها على والد المؤلف كنية (أبي جعفر).

ثانيا: يترجّح بشكل كبير أن قائل تلك الأبيات هو الإمام الهادي لاشتهار ذلك

كما ورد لدى يحيى بن الحسين^(١)، وابن أبي الرجال^(٢)، وفي نسخة (الأصل و ذ)، وغيرها، كما أن الناصر أحمد بن الهادي لم ينقل له من الشعر سوى ثلاثة أبيات، ليس منها هذه الأبيات^(٣)، وتكرار المؤرخين لتلك الأبيات اليتيمة من شعر الناصر من غير أن يذكر أحد منهم أنه قال هذه الأبيات في العلوي يؤكد أن ما ورد في هامش (ط) ليس سوى معالجة خاطئة لما كان قد تقرّر عندهم من تأخر حياة العلوي إلى عصر الناصر، وعليه تم نسبة الأبيات إليه.

ثالثاً: كان العلوي رجلاً طموحاً، وقيادياً ناجحاً، وعسكرياً فذاً، وشاعراً مرهفاً، تولى مناصب قيادية وعسكرية رفيعة في عصر الهادي على صغر سنه، الذي لم يبلغ حتى آخر أيام الهادي الثاني والعشرين من السنين، وأطلق قصائد عديدة في عدد من الحوادث، ولهذا فمن غير المنطقي أن تمر أحداث خطيرة ومهمة، مثل موت الهادي، وبيعة ولده المرتضى، وقتال القرامطة، ثم اعتزال المرتضى وبقاء منصب الإمامة شاغراً، ثم بيعة الناصر وقيامه بحرب القرامطة، ووقوع معركة نغاش التاريخية التي شاركت فيها قيادات كانت أقل شأنًا من العلوي في عصر الهادي، مثل ابن عمه إبراهيم بن المحسن العلوي، وغيره، وقالت الشعراء في ذلك قصائد، ثم وقوع أحداث مثل حروب الناصر مع بعض القبائل وخلافها عليه، فليس من المعقول أن تمر كل تلك الأحداث الخطيرة والكبيرة، ولا نحس العلوي في شيء منها، ولا نسمع له ركزاً، لا بخوض معركة ولا بإنشاء قصيدة، في وقت يكون عمره فيه في عهد الاكتمال والنضج، ويسكت التاريخ عن ذلك سكوتاً كأنه

(١) المستطاب، ص ٤٣.

(٢) مطلع البدور، ج ٣، ص ٣٢٣ - ٣٢٤.

(٣) علي بن بلال: تنمة المصاييح، ص ٣٥٣؛ والمحلي: الحقائق الوردية، ج ٢، ص ٨٩؛ والزحيف:

مآثر الأبرار، ج ٢، ص ٦٥٧.

الموت، إن هذا يرجح أن العلوي كان قد غادر الحياة قبل ذلك.

رابعاً: لم يكن منطقياً أن يُجرح العلوي في نجران، ويرث فيها، ثم ينقل إلى خيوان ويدفن فيها، وهذا يعني جغرافياً أنهم مروا من صعدة، وتجاوزوها جنوباً عن طريق بلاد الربيعة بن سعد، ثم بني سلمان (سفيان)، إلى أن وصلوا به إلى خيوان، وكأن خيوان كانت مقر سلطة الهادي، أو مسقط رأس العلوي، فلماذا لم يُبقوه في صعدة، ويعالج فيها، ويدركه الموت هناك، وإذا كان قد أصبح ميتاً فلماذا لم يدفن فيها، وهي عاصمة الدولة ومستقر رجالاتها، إن هذا يشير إلى أن الرجل كان قادماً من مكان غير نجران، مكان تقع خيوان على طريقه، وربما كان من صنعاء، أو البون، أو الجوف.

لهذا كله فإنه من الأهمية بناء مقارنة أخرى على ضوء تلك النقاط تتسق والمعطيات التاريخية والجغرافية وتراعي الإجماع التاريخي.

لقد تركنا العلوي سابقاً، وهو في صنعاء، وقد حرّرها من نير القرامطة في ١٩ رجب ٢٩٧هـ / ٢ إبريل ٩١٠م^(١)، غير أنَّ الهادي كان قد أرسل في ١٠ شعبان من نفس السنة ولده أبا القاسم محمد ودخل صنعاء أيضاً لمواجهة القرامطة أيضاً^(٢)، أي بعد حوالي ٢١ يوماً فقط من دخول العلوي إليها، ولم يذكر الملحق ما هو مصير العلوي، وأين ذهب، ولماذا تم استبداله بأبي القاسم محمد، على عاداته في الاختصار الشديد للحوادث والأحداث والأخبار التي سردها. ومن المحتمل أن العلوي كان قد جرح في هذه المرة؛ الأمر الذي اضطرَّ الهادي إلى إرسال ولده أبي القاسم لمواصلة مشوار العلوي في مواجهة القرامطة، ولعلَّ

(١) العلوي: السيرة، ل١٣٩ / أ (الملحق).

(٢) العلوي: السيرة، ل١٣٩ / أ (الملحق).

ارتباط العلوي بنجران في عهد أبيه وأنه جُرح في مواجهة القرامطة هو الذي حمل بعض المؤرخين على القول بأنه "جرح في نجران، ثم حُمِلَ إلى خيوان"، على أنه من المحتمل أنه جُرح في قرية (نجر) جنوب قاع البون الأعلى^(١) في مواجهة القرامطة أيضاً، ثم نقل إلى صعدة، لكن المنية أدركته في خيوان، وهو في طريقه إليها، واشتبه على الرواة (نجر) بـ(نجران).

الَمْتُ وفاة العلوي الإمام الهادي، وقد جعلته يتذكّر مواقف هذا الشاب العالم، والفارس الشجاع، والشاعر الفصيح، والذي كان معجبا بأدائه رغم صغر سنه، والذي لم يمنعه صغر سنه من أن تسند إليه مهمات كبار، سجّلها العلوي في السيرة باعتزاز، ولا سيما وقد جعله الهادي "مقدمة جيشه، وحامل لوائه، وملازمه الخاص الذي لا يفارقه"^(٢)، عند دخوله صنعاء، وبهذا نستطيع أن "نتصور مدى حزن الهادي وأساؤه عليه وفجيعة به، ودوافع ذلك الشعر الذي أطلقه زفرة من زفرات الحزن والأسى على شخصية "كالجبل الراسي" ذي الطعنة الخوارة التي تشبه طعنة جساس، مشيراً إلى عظيم نكايته في الأعداء وغناؤه في الحرب.

وبهذا يترجح أن العلوي توفي شهيداً متأثراً بجراحه خلال سنة ٢٩٧هـ / ٩٠٩م عندما كان يقود الجيوش الهادوية في مواجهة القرامطة في صنعاء ومحيطها، وانقطع نفسه في خيوان وهو في طريقه إلى صعدة فدُفِنَ فيها.

(١) نجر: قرية وجبل في عزلة بني حجاج مديرية عيال سريح، تبعد جنوباً عن مدينة عمران بمسافة ٣ كم. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢١٢؛ والمقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ٣، ص ٢٠٨٢.

(٢) الشامي: تاريخ اليمن الفكري، ج ١، ص ١٣٧.

ثانياً: سيرة الهادي إلى الحق

قبل الحديث عن سيرة العلوي، فإنه من المفيد الحديث عن المخطوط الذي وردت فيه والذي جاء تحت عنوان سيرة الهادي، حيث اشتمل على ملحقات وإضافات ليست من تأليف العلوي، ولكنها وردت في جميع نسخ المخطوط القديمة والحديثة، وعليه فمن الأهمية بمكان دراسة جميع مكوّنات المخطوط وتقدير قيمة معلوماتها، وتحديد أيها تأليف العلوي، وأيها الذي أضيف وألحق به.

١- مكوّنات المخطوط المشتمل على السيرة

يتكون هذا المخطوط من مكوّنات عديدة، والمكون الرئيس فيها هو نص سيرة العلوي، وأضيفت إليه لاحقاً مكوّنات أخرى، وهي على هذا الترتيب:

أولاً: ملخص لبعض حوادث الإمام الهادي بدءاً من استدعائه من بعض القبائل اليمنية وانتهاء بحدوث سنتي ٢٨٨ - ٢٨٩ هـ / ٩٠٠ - ٩٠١ م واستيلائه على صنعاء، وما ترتب على ذلك من صراع مع آل يُعْفَر وبني طريف، وقد أخذ هذا الملخص من الورقة (ل ٤ / أ) إلى الورقة (ل ٥ / أ)، وانتهى عند قوله: "وكان القايّم بمحاربة الهادي - ﷺ - إبراهيم بن خلف في مَنْ ظاهره من بني طريف وغيرهم من أهل اليمن"، ثم ورد في المخطوط^(١): "وقد وجدنا محمد بن سليمان الكوفي - رحمه الله - قد شرح من أخبار الهادي إلى الحق - ﷺ - وسيرته وحروبه ما قد أثبتنا شرحه، وهو: الحمد لله الذي حدا الأوهام إلى معرفته، ..."، ويترجّح أن هذا النص الأخير ما عدا قوله: الحمد لله ... إلخ، من إضافة ذلك

(١) العلوي: السيرة، ل ٥ / أ.

الذي قام بجمع هذه المكونات في مخطوط واحد.

يشبه هذا الملخص إلى حد كبير الملحق التاريخي - الذي سيأتي الحديث عنه - في منهجيته وأسلوبه وطريقة عرض معلوماته، وقد كُتِبَ مثله في فترة لاحقة بعد موت الإمام الهادي، بدليل أنه ورد فيه تلقيب ولده أبي القاسم محمد بـ "المرتضى لدين الله تعالى" ^(١)، وهو لقب يترجح أنه أُطْلِقَ عليه غداة توليه الإمامة بعد موت أبيه، مثله مثل ألقاب الخلفاء والأئمة التي يطلقونها على أنفسهم ساعة توليهم زمام الخلافة أو الإمامة، وكذلك ترَحَّم على محمد بن سليمان الكوفي ^(٢)، وهو لم يُمُتْ إلا بعد موت المؤلف كما سيأتي.

ثانياً: سيرة العلوي، وهي معظم المخطوط، وتبدأ من النص القائل: "الحمد لله الذي حدا الأوهام إلى معرفته بواضحات الدلائل،.." ^(٣)، وتنتهي بقصيدة المؤلف العلوي في رثاء أبيه بعد استشهاد، ثم قوله: "فلما وصل إلى الحضن أقبلت همدان إليه يعزُّونه في أبيه، واعتذروا إليه في ما كان من تخلفهم عن نصرته، والحمد لله، وصلواته على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً" ^(٤). وهو نصٌ كبير غطَّى فيه أحداث الهادي في المدة بين عامي ٢٨٣هـ / ٨٩٦م و ٢٩٥هـ / ٩٠٧م، سوى الأعوام (٢٩١هـ - ٢٩٤هـ / ٩٠٣ - ٩٠٦م) فهي فجوة حديثة لم تذكر عنها سيرة العلوي لا قليلاً ولا كثيراً.

يتكوّن نصّ العلوي من ثلاثة أجزاء، الجزء الأول، ينتهي بحرب الهادي مع الحَكَميين في تهامة عام ٢٩١هـ / ٩٠٣م في الورقة ١٠٣/ ب، يليه جزءٌ فيه

(١) العلوي: السيرة، ل ٤ / أ (الملخص).

(٢) العلوي: السيرة، ل ٥ / أ.

(٣) العلوي: السيرة، ل ٥ / أ.

(٤) العلوي: السيرة، ل ١٣٤ / ب.

أشعاراً للإمام الهادي، والتي انتهت بقصيدة لحفيده المنتصر محمد بن المختار القاسم بن أحمد^(١) (ت ٣٥٦هـ / ٩٦٦م)، والتي أُفْحِمَتْ ختاماً لقصائده^(٢)، ثم يليه الجزء الثالث والذي يبتدئ بالنص التالي: "ومما كان من أخبار الهادي إلى الحق - عليه السلام - سنة أربع وتسعين وميتين، يحيى بن الحسين، ابن رسول الله، صلى الله عليه وعلى أهل بيته وسلم، أنه لما كان في سنة الأربع والتسعين وميتين، ظهر الفساد بنجران، وظهرت القرامطة،..."، واشتمل هذا الجزء في معظمه على أخبار نجران ومقتل والده فيها^(٣). وقد أشار المؤلف^(٤) إلى بداية بعض موضوعات كتابه، حيث قال: "فهذه أيضاً حسنة مما رأينا من الهادي مع ما قدّمنا ذكره في كتابنا هذا من علاماته ودلائله"، ثم بالقرب من نهاية الكتاب أشار إلى حادثة تقدّمت في أثناؤه^(٥)، حيث قال مشيراً إليها: "حكاية الخبر في ما تقدّم في سير الهادي إلى الحق - أعزّه الله -"^(٦).

ثالثاً: رواية^(٧) أخذت من المخطوط من الورقة (ل ١٣٤ / ب) إلى (ل ١٣٥ / ب)، وابتدأت بـ "روى أصحاب الهادي إلى الحق - عليه السلام - أن آخر حروبه كان

(١) محمد بن المختار: هو الأمير الذي سعى في الاقتصاص من قتلة أبيه المختار بن الناصر في ريدة، ويبدو أنه تحالف مع الأمير قيس بن الضحاك، فألقا بحكام ريدة هزيمة ساحقة. اللحجي: أخبار الزيدية، ص ٦٣، ٣٣٢؛ والزحيف: مآثر الأبرار، ج ٢، ص ٦٥٩ - ٦٦٤؛ ويحيى بن الحسين: غاية الأمان، ص ٢٢٢ - ٢٢٣.

(٢) العلوي: السيرة، ل ١١٤ / ب - ١١٥ / أ.

(٣) العلوي: السيرة، ل ١١٥ / أ.

(٤) السيرة، ل ٢٨ / ب.

(٥) العلوي: السيرة، ل ٥٧ / أ.

(٦) العلوي: السيرة، ل ١٣٢ / ب.

(٧) وقد طبعت هذه الرواية في مجموع رسائل الإمام الهادي في (ص ٥٣٥ - ٥٤١) مع اختلاف طفيف جداً.

بوادي نجران، وأنه كان عليلاً، "...، وتحدّثت عن هزيمة أصحابه في نجران، وعظته إياهم، بإخبارهم بسبب هزيمة أصحاب النبي موسى عليه السلام. وليس معروفاً مَنْ كتب هذه الرواية، لكنه يبدو أنه حين أضافها صاحبها أراد أن يضع نهاية لكتاب العلوي الذي تنتهي أحداثه في نجران عند مقتل والده، وترك القارئ في تساؤل عمّا حدث بعد ذلك، وهي بالتأكيد ليست من تأليف العلوي، ولا تشبه أسلوبه.

رابعاً: وصفٌ مختصر لسيرة الهادي، وضعه القاضي العلامة محمد بن سعيد اليرسمي ^(١) بعد وفاة الهادي بدلالة ترصّيه "على روحه" ^(٢)، وقد تحدّث فيه عن حركة الهادي اليومية، وكيف كان يهتم بالسجن ونزلائه، وحرصه على تعليمهم، واختلاطه بالناس، وسبب احتجاجه، واهتمامه بالمساكين والأيتام وأهل الذمة.

خامساً: ملحق تاريخي، وهو ملحق هام جداً، يتحدّث باختصارٍ شديد عن أحداث وحوادث في صعدة وصنعاء وتهامة وذمار والمذخرة بدءاً من عام ٢٩١هـ / ٩٠٣م، منذ خروج أبي القاسم محمد بن الهادي من أسر بني طريف إلى أحداث عام ٣٢٨هـ / ٩٣٩م، وهو أشبه ما يكون بقائمة لأهم الأحداث الواقعة في تلك المدة الزمنية، وربما كان الملخص السابق جزءاً منه، لكن الذي جمع مكونات المخطوط هو الذي تصرّف في ترتيبه وتفريقه على هذا النحو.

تكمن أهمية هذا الجزء أنه ذكر بعض الأحداث التاريخية للإمام الهادي والتي لم تتحدّث عنها سيرة العلوي، ومنها دور العلوي نفسه في قتال القرامطة، كما أنه غطّى مساحةً زمنية واسعة، لفترةٍ من أخطر فترات التاريخ اليمني، عند ظهور

(١) قد طبع في مجموع رسائل الإمام الهادي، ص ٥٤٢ - ٥٤٤.

(٢) العلوي: السيرة، ل ١٣٦ / ب (ملحق اليرسمي).

القرامطة وحروبهم مع اليمينيين على اختلاف فئاتهم، كما أنه لم يقتصر على حوادث الإمام الهادي وأبنائه وأحفاده، بل غطى بشكل سريع أخبار زعماء اليمن والمؤثرين في أحداثه بشكل عام، وأورد فيه معلومات هامة، وكان يؤرّخ بعقلية تتسع لليمن كلها، ويحرص على التقييد الزمني لأحداث صنعاء وصعدة، والتي يبدو أنه كان قريباً منها أو مطلعاً عليها بشكل جيد، كما يظهر أنه اطلع على بعض الوثائق المتعلقة بدولة الهادي وبنيه.

كتب صاحب الملحق ملحقة هذا بلهجة متساهلة ومتزنة مع جميع صانعي تلك الأحداث، إلا القرامطة، فلم يُخفِ ابتهاجه بالقضاء على دولتهم على يد أسعد اليُعفرِي في المذيخرة عام ٣٠٣هـ / ٩١٥م، وانتصار الناصر أحمد بن الهادي عليهم في وقعة نغاش عام ٣٠٧هـ / ٩١٩م^(١). وقد مضى على المنهج الحولي في ترتيب الأحداث والحوادث، ومع ذلك فلم يلتزم به بشكل دائم، بل وقفز على ذكر بعض السنين وأحداثها، كما أنه رغم دقته إلا أنه ربما أخطأ في جغرافية بعض الأحداث^(٢)، وكانت تمر عليه بعض المبالغات مثل ذكره أن جيش علي بن الفضل كان ينيف "على أربعين ألفاً"^(٣)، أو أن جيشه سَبَوْا من مدينة زبيد "خمسة وثلاثين ألف امرأة"^(٤)؛ الأمر الذي يشير إلى أنه كان بعيداً عن زبيد والمناطق التي يسيطر عليها ابن فضل.

وقطعاً لم يبدأ تأليف هذا الملحق إلا بعد موت الإمامين الهادي (ت ٢٩٨هـ / ٩١٠م) والمرتضى ولده (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م) إذ نجده يترحم عليهما^(٥)، غير أنه فصل إلى حد ما

(١) العلوي: السيرة، ل ١٤١ / أ، ب.

(٢) مثل تحديده موضع جراي في طرف جبل بيت ذخار. العلوي: السيرة، ل ١٣٦ / ب (الملحق).

(٣) العلوي: السيرة، ل ١٣٧ / أ (الملحق).

(٤) العلوي: السيرة، ل ١٣٨ / ب (الملحق).

(٥) العلوي: السيرة، ل ١٣٩ / أ (الملحق).

أحداث أحفاد الهادي، لا سيما الحسن^(١) والقاسم المختار^(٢)، وعلى خلاف عادته، وتوقف عند أحداث عام ٣٢٨هـ / ٩٣٩م بعد موت الحسن، وفي حياة كل من القاسم المختار وأخيهما الإمام المنصور يحيى بن أحمد^(٣)، ثم ختم الملحق بقوله: "فهذا ما كان من أخبارهم، وتناهى من الرواة العارفين بأثارهم، فرحم الله الصالحين من عباده،..."^(٤)؛ الأمر الذي يشير إلى معاصرة مؤلف هذا الملحق لأحفاد الهادي وإطلاعه القريب على أحداثهم. بل إن إيراد أخبار القاسم المختار وأخيه الحسن بالشكل الذي يدين الحسن، وربما كان ذلك هو الحقيقة، وكذلك تغييبه لذكر منافسهم الثالث وعدم ذكر ادعائه للإمامة معهما^(٥) وهو أخوهما الإمام المنصور يحيى، الذي يعتبره الزيدية إماما شرعيا دعا بعد والده الناصر^(٦)، لِيَسْمَحَ لنا بفترض أن المؤلف كان قريب الهوى من القاسم المختار، أما إذا أضيفت مسألة إقحام قصيدة ولده المنتصر محمد بن المختار بين قصائد

(١) الحسن بن أحمد الناصر، أبو محمد المتجب، تصارع مع أخيه القاسم المختار على السلطة، وستأتي أخبارهما في الملحق. العلوي: السيرة، الملحق (الفهرس: الحسن بن أحمد)؛ والرازي: الشجرة المباركة، ص ٤٠؛ والزحيف: مآثر الأبرار، ج ٢، ص ٦٥٩.

(٢) أبو محمد، تعارض مع أخيه الحسن، واحتربا، ثم أسره الضحاك الهمداني حاكم ريدة سنة ٣٤٥هـ، ثم لم يلبث أن قتله، وقد أخذ بثأره تلميذه الأمير قيس بن الضحاك الهمداني، وولده الأمير محمد بن المختار. اللحجي: أخبار الزيدية، ص ٦٣، ٣٣٢؛ والزحيف: مآثر الأبرار، ج ٢، ص ٦٥٩، ٦٦٠.

(٣) هو الإمام المنصور، أبو الحسن بن الناصر أحمد، قال ابن عنبه: "وله فضل وفيه خير"، توفي في محرم ٣٦٦هـ / سبتمبر ٩٧٦م. ابن عنبه: عمدة الطالب الصغرى، ص ١٠١؛ وابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ٤، ص ٤٨٤؛ والمؤيدي: التحف، ص ١٣٧.

(٤) العلوي: السيرة، ل ١٤٦ / أ (الملحق).

(٥) لم يذكر بيعة بعض الناس له، رغم ذكره بيعة بعضهم للحسن وللقاسم، وأغفل ذكر دوره إلا قليلا بعد موت الحسن. العلوي: السيرة، ل ١٤٣ / أ، ١٤٥ / أ. (الملحق).

(٦) المؤيدي: التحف، ص ١٣٧.

جده الهادي كما سيأتي في النص المحقق؛ فإن هذا يعزز هذه الفرضية، وهي فرضية جمع هذا الملحق مع سيرة العلوي في ذلك الوقت، وأن هوى الجامع لها قريبٌ من هوى آل المختار.

فهل لنا أن نفترض أن الذي ألف هذا الملحق هو الإمام محمد بن المختار نفسه صاحب القصيدة المقحمة؟ أم هو أخوه "الشريف الكبير الإمام الحافظ لعلوم آل محمد عبد الله بن المختار"، الذي وصفه ابن أبي الرجال^(١)، بأنه "كان أوسط أهل زمانه، وخيار أهل أوانه"، وأنه كان له فتاوى تدل على كمال أهليته. أم هو معاصره العلامة الفقيه علي بن الحسن بن أحمد بن أبي حريصة، الذي "صحب الهادي للحق وابنيه محمدا وأحمد"^(٢)، لا سيما وصاحب الطبقات الكبرى^(٣) يذكر عنه أنه "قد روت الزيدية عنه كثيرا من أخبار الهادي عليه السلام"، كما أنه هو الذي جمع كتاب الأحكام ورتبه الترتيب الحسن الذي هو عليه اليوم، وهل يفتح هذا احتمال أنه هو الذي قام أيضا بجمع هذه المادة التاريخية عن الهادي وولديه وأحفاده في هذا المخطوط، والتي كان أهمها نص سيرة العلوي؟ يبقى ذلك مجرد احتمال.

٢- مفهوم السيرة والتأليف فيها

السيرة مشتقة من السَّير، وهو المضيُّ في الأرض^(٤)، وتطلق على الطريقة^(٥)، أو

(١) مطلع البدور، ج ٣، ص ١٠٩.

(٢) ابن القاسم: طبقات الزيدية الكبرى، مج ٢، ص ٧٠٩.

(٣) ابن القاسم، مج ٢، ص ٧٠٩-٧١٠.

(٤) الأصفهاني، الحسين بن محمد، الراغب (ت ٥٠٢هـ): مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، دمشق، ص ٥٠٩.

(٥) المرتضى، أحمد بن يحيى، المهدي (ت ٨٤٠هـ): البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار، دار

الحكمة اليمانية، صنعاء، تصوير في ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م عن الطبعة الأولى في ١٣٦٦هـ /

١٩٤٧م، ج ٥، ص ٣٧١.

على "الحالة التي يكون عليها الإنسان أو غيره، يقال: فلان له سيرة حسنة، وسيرة قبيحة، وقوله تعالى: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾^(١)، أي: الحالة التي كانت العصا عليها من كونها عوداً"^(٢).

وقد غلبت في لسان الفقهاء على "الطرائق المأمور بها في غزو الكفار وما يتعلق بها"، "وسميت المغازي سيراً؛ لأنَّ أوَّلَ أمورِها السيرُ إلى العدو، والمراد بها سير الإمام ومعاملاته مع الغزاة والأنصار، ومنع العداة والكفار"^(٣).

اشتهر هذا المفهوم في كتب الفقه والحديث الزيدية منذ القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، فهناك باب في كتاب مسند الإمام زيد بن علي^(٤) (ت ١٢٢هـ/ ٧٣٩م) تحت عنوان (كتاب السير وما جاء في ذلك)، ولالإمام محمد بن عبد الله النفس الزكية (ت ١٤٥هـ/ ٧٦٢م) كتاب السير^(٥)، وحتى الإمام الهادي نفسه عقد كتاباً في الأحكام^(٦) تحت عنوان (كتاب السير)، وأورد تحته صفة الإمام، ومتى تثبت إمامته، ومتى تسقط، وما يجب عليه للرعية، وما يجب عليهم له، والقيم والقواعد والأسس التي ينبغي عليه اتباعها في مواجهة المشركين وأهل البغي قبل حربهم وأثناءها وبعدها، وغير ذلك. وقد جُمعت (السيرة) على (سير)؛ باعتبار أن للإمام سيراً متعددة، فله "في جملة المسلمين من المساكين والأيتام وسائر مصالح المسلمين سيرة، وفي البغاة سيرة، وفي المحاربين سيرة، وفي

(١) طه: ٢١.

(٢) الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، ص ٥١٠.

(٣) الموسوعة الفقهية الكويتية، دار السلاسل، الكويت، ط ٢، ج ١٦، ص ١٢٤ - ١٢٥.

(٤) مسند الإمام زيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٣١٣.

(٥) الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ج ٢، ص ٢٦٧.

(٦) ج ٢، ص ٣٨٦.

الحريين سيرة، وفي أهل الذمة سيرة" (١).

بيد أن هناك فرعاً من فروع الكتابة التاريخية، وهو السيرة، الذي ظهر بمعنى الترجمة المأثورة لحياة النبي محمد - ﷺ -، «ويظهر أن هذه الكلمة قد استعملت أول ما استعملت للدلالة على بابٍ قائم بذاته، في عنوان مؤلف ابن هشام (٢) (طبعة فستفلد ص ٣، س ٤): هذا كتاب سيرة رسول الله» (٣)، لكنه أيضاً مفهوم متصل بالمعنى اللغوي لكلمة سيرة كما تقدم.

وفي ما يتعلق بالسير لغير الرسول ﷺ فإن ابن النديم (٤) ذكر أن للواقدي محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ / ٨٢٣م) (سيرة أبي بكر)، ولعوانة بن الحكم الكلبي (ت ١٤٧هـ أو ١٥٨هـ / ٧٦٤م أو ٧٧٤م) كتاب (سيرة معاوية بن أبي سفيان). وهناك كتاب (سيرة الحسين) لأبي مخنف لوط بن يحيى الأزدي (ت ١٥٧هـ / ٧٧٤م)، و (سيرة عمر بن عبدالعزيز) لأبي محمد عبد الله بن عبد الحكم المصري (ت ٢١٤هـ / ٨٢٩م) (٥)، وهناك كتب كتبها آخرون عن أخبار الإمام الحسين والإمام زيد بن علي وآخرين، وإن لم تكن بلفظ سيرة. غير أن روزنثال (٦) ذكر أن "الكتب الأول عن العلويين كالحسين أو زيد بن علي"، "إذا

(١) العنسي، أحمد بن قاسم: التاج المذهب لأحكام المذهب، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ج ٤، ص ٤٠٤.

(٢) ابن هشام: عبد الملك بن هشام الحميري، عالم بالأنساب واللغة وأخبار العرب، وأشهر كتبه (السيرة النبوية)، توفي في ٢١٣هـ / ٨٢٨م. الزركلي: الأعلام، ج ٤، ص ١٦٦.

(٣) فيدا، ليفي دلا: موجز دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط ١، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، ج ١٩، ص ٦٠١٤، مادة سيرة.

(٤) الفهرست، ص ١٢٠، ١٢٧.

(٥) سزكين: تاريخ التراث العربي، مج ١، ج ٢، ص ١٢٩، ج ٣، ص ١٤٧.

(٦) روزنثال، فرانز: علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة: صالح العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ١٤٥.

حكمتنا عليها من عناوينها فإننا نستطيع القول بأنها لم تهتم بتراجم أبطالها، بل بوصف استشهادهم وبأعمالهم العظيمة أو الخالدة في التاريخ"، وأضاف: "إن كثيراً من المؤلفات الأولى التي توحى عناوينها بأنها كتب تراجم يجب أن نشك بأمورها، ولا نعتبرها كتب تراجم حقيقية في معظم الأحوال".

أراد بعض الحكماء تسجيل أعمالهم لتروىها الأجيال بعدهم، ومن نماذج هذه السير "كتاب أفردته بعضهم عن المأمون"^(١)، وذكر سنان بن ثابت بن قرة أن المعتضد العباسي (ت ٢٨٩هـ / ٩٠٢م) كان يتابع أباه ثابتاً في "إعداد ترجمة رسمية لحياته"، ثم أكملها سنان^(٢)، ويبدو أن رغبة المعتضد ناتجة عن شعوره بأنه خليفة مختلف عن مَنْ سبقه في الحزم وإعادة الاعتبار للخلافة العباسية.

في ذات الفترة في آخر النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي بدأت محاولة القاضي محمد بن سليمان الكوفي بإعداد سيرة للإمام الهادي، وانتهت بالسيرة التي كتبها العلوي كنتاج متفرد وغير مسبوق في العالم الإسلامي، حَمَلَتِ الباحث عبد الله الحبشي^(٣) على القول بأن السَّيْرَ "في عمومها سجلٌ سياسي عملي يكاد ينفرد به تراث اليمن عن سائر ما أنتجه العالم الإسلامي من تراث سياسي آخر"، ويقول الدكتور رضوان السيد^(٤): "أما السيرة بالمعنى المفهوم لها اليوم (أي الترجمة الشخصية) فقد افتتح التأليف فيها عليُّ بن محمد العلوي صاحب الهادي إلى الحق". ومع ذلك فإن ما يميز سيرة العلوي عن معاصرتها سيرة المعتضد أنها كُتِبَتْ بدافع المحبة واعتقاد إمامة صاحبها الهادي

(١) مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، ج ١، ص ٣٦٨.

(٢) روزنثال: علم التاريخ، ص ١٤٦.

(٣) مقدمة سيرة الإمام القاسم بن علي العياني، ص ١١.

(٤) مقدمة سيرة الأميرين، ص ٣٣.

وتفرد به بخصال الفضل، ومشايمته لجده رسول الله، ولم تكتب بدافع التزلف والتودد للحاكم، كيف ذاك، وكاتبها العلوي ترك أهله وماله ووطنه وخرج مهاجراً فور بلوغه سن الرشد، استجابة للواجب الذي كان يعتقده، واستعد للتضحية بنفسه وماله وأهله لنصرة المشروع الذي يقوده صاحب هذه السيرة.

ومع ما سبق، فإن سيرة العلوي ليست سوى تسجيل لطريقة وحياة الهادي الجهادية والعملية، ولا تترجم له من الناحية الشخصية إلا بطريقة عرضية، أي أنها كانت توثق وتسجل حياته وطريقته وسيرته العملية؛ لما كان الفقهاء ومنهم الزيدية بل والهادي نفسه قد اعتادوا أن يكتبوا السير بطريقة نظرية في (كتاب السير) من كتب الفقه؛ وبهذا تتخذ سيرة الهادي منحىً متميزاً عما عُرف في التاريخ بكتب التراجم الشخصية.

في كتاب الجملة^(١) الذي كتبه الهادي رداً على أسئلة أهل صنعاء ذكر نصاً يسلط الضوء على مفهوم السيرة لديه، وأن سيرته تتصل بسيرة رسول الله ﷺ، فقال: "وسيرتنا في ولينا كسيرة نبينا عليه وعلى آله السلام في ولينا، وسيرتنا في عدونا كسيرة نبينا في عدونا". أما المؤلف فقد أورد لفظة (سيرة) في مواضع عديدة من سيرته في سياق حديثه عن سيرة الهادي وولاته، جميعها تدل على أنه يقصد طريقته في الإدارة والحكم والتعامل مع أتباعه وخصومه، ومن ذلك قوله عن أهل اليمن: إنه سرهم "ما كان من دعوته لهم، وما تناهى إليهم من خبر سيرته"^(٢)، وأن الهادي عندما وصل نجران "أظهر عدله، وشهر سيرته، وردَّ المظالم،..."^(٣).

(١) الهادي: مجموع رسائل الإمام الهادي، ص ١٨٩.

(٢) العلوي: السيرة، ل ١٩ / ب.

(٣) العلوي: السيرة، ل ٢٠ / ب.

وأن الهادي قال يوما في سياق تأكيده على الاقتداء بالرسول ﷺ: "ولا أتعدّي سيرة جدي رسول الله، ..."^(١)، وهو يريد سيرته في العدل والإنصاف وطريقته الفاضلة في الإدارة والحكم، والحرب والسلام.

ومثلا أطلق المؤلف لفظة سيرة على طريقة الهادي في الإدارة والحكم والحرب والسلام، أطلقها أيضا على ما كتبه كانعكاس لهذا الواقع، فقد سمى كتابه (سيرة الهادي) كما هو في العنوان، وقال أيضا في آخر كتابه مشيرا إلى حكاية تقدّمت في أوله، فقال: "حكاية الخبر في ما تقدم في سيرة الهادي إلى الحق - أعزه الله -"^(٢). وهذا المعنى هو الذي ظلّ يطرقه أولاده وتلامذته بعده، ومنهم ولده المرتضى حيث يقول: "وفي قتال الظالمين سير مذكورة، وأخبار صحيحة، ...، وسير الحرب دقيق علمها، وغامض تفسيرها، لا يخلصها ولا يقوم بها، ولا بما أوجب الله سبحانه فيها إلا أهل العلم والمعرفة والديانة والبصيرة"^(٣)، وقد خاطب الشاعر التميمي (عبد الله بن أحمد) ولده الإمام الناصر يوم بيعته بقوله شعرا:

"ذُكِّرْنَا سيرة الهادي وقمتَ بها وبرزتَ فينا تعز الدين والحسبا"^(٤)

وبهذا يتبين أن مفهوم السيرة الذي أراده المؤلف هو طريقة الإدارة والحكم والحرب والسلام وغيرها، وأيضا الكتاب الذي يسجل تفاصيل تلك الطريقة كما هو حال كتابنا هذا.

(١) العلوي: السيرة، ل ٢١ / ب.

(٢) السيرة، ل ١٣٢ / ب.

(٣) مسائل عبد الله بن الحسن، ج ٢، ص ٥٣٩ - ٥٤٠.

(٤) ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ٣، ص ٦٨.

٣- مصادرها

تتماز السيرة بأنها ذات طابع وثائقي حيث اعتمدت على مصادر عايشة الأحداث التي سجّلتها، بل وشاركت في صناعة أحداثها، وبعض معلومات تلك المصادر كان مدونا، وبعضها كان شفهيًا، وسيتم رصد جميع المصادر الذين ورد ذكرهم أو الإشارة إليهم في هذه السيرة. وتتنوع مصادر السيرة إلى مصادر صرّح المؤلفُ بذكرهم، ومصادر لم يصرح بهم.

أ- مصادر صرح المؤلف بهم

١- أول وأهم مصادر السيرة هو المؤلف نفسه؛ باعتباره شاهد عيان، وقد أورد معلومات كثيرة لأحداثٍ كان فيها حاضرا، ومشاركا، واعتمد فيها على ملاحظاته الشخصية وخبرته الميدانية، كما ميّزه قربه من صنّاع القرار والأحداث، بل ومشاركته في صناعة بعضها.

٢- ديوان الدولة: اشتملت السيرة على وثائق رسمية تصدر عادة عن ديوان الدولة، وترد إليه، ومن تلك الوثائق نسخة الصلح الذي عقده الهادي مع أهل الذمة في نجران^(١)، وكتلك الرسائل التي كان يبعثها الهادي إلى ولاته أو يستقبلها من بعضهم، وهي كثيرة^(٢).

٣- ديوان جد المؤلف عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب^(٣)، وقد تقدّمت ترجمته.

(١) العلوي: السيرة، ل٢٢ / أ- ٢٤ / أ.

(٢) العلوي: السيرة، ل١٢ / ب، ٤١ / ب، ٦٢ / ب، ٩٥ / أ.

(٣) العلوي: السيرة، ل٨ / أ.

٤- دواوين الشعر: لعدد من الشعراء، وكانت قصائد ذات علاقة متينة بالأحداث التي وردت في السيرة، تحكي وقوع وقعة، أو نتائجها، أو الاستعداد لأخرى، أو فخر بعض الشعراء بنصرهم للهادي، وما شاكل ذلك، وأول تلك الدواوين ديوان الإمام الهادي نفسه، فقد اشتملت السيرة على ٣٢ قصيدة، ثم أضيفت في آخر المخطوطة قصيدتان، وبالتالي فقد اشتمل هذا المخطوط على ٣٤ قصيدة للهادي.

٥- ديوان شعر ولده أبي القاسم محمد، وقد بلغ مجموع قصائده التي وردت في السيرة ٣١ مقطوعة، منها ٢٥ مقطوعة قالها وهو في الأسر، وأضيفت له قصيدة واحدة في آخر المخطوط قالها في الأسر أيضا.

٦- المؤلف نفسه، وقد أورد لنفسه ٥ قصائد.

٧- عبد الله بن الحسين، أخو الهادي، وقد أثبت له المؤلف ٤ قصائد.

٨- أحمد بن محمد المداني، وهو شاعر حارثي مداني، لعله من أهالي الهجر في نجران، وأثبت له المؤلف قصيدتين^(١) قالهما عند مخالفة بني الحارث على الهادي، ثم انهمزاهم أمامه.

٩- ابن عقيب، يبدو أنه عاش قبل مجيء الهادي، أورد له المؤلف شعرا؛ باعتبار أنه سبق وأن تحدث عن الهادي قبل حياته، وربما أشارت إحدى قصيدتيه أنه عاصر الإمام إدريس بن عبد الله بن الحسن^(٢) (ت ١٧٧هـ / ٧٩٣م)، وأخاه الإمام

(١) العلوي: السيرة، ل ٥٩، أ، ٦١ / ب - ٦٢ / أ.

(٢) إدريس بن عبد الله: ثار في المغرب بعد نجاحه من مذبحة فخ سنة ١٦٩هـ، وأنشأ دولة الأدارسة بها. الرازي، أحمد بن سهل (ت حوالي ٣١٠هـ): أخبار فخ، تح: عبدالرقيب حجر، مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية، صعدة، ط ١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ص ٥٦ - ٦٥؛ والأصفهاني، علي بن الحسين، أبو الفرج (ت ٣٥٦هـ): مقاتل الطالبين، تح: أحمد صقر، مكتبة الأعلمي،

يحيى بن عبد الله بن الحسن^(١) (ت نحو ١٨٠هـ / نحو ٧٩٦م)، وقد أشار في قصيدته إلى أن الهادي سيقم دولة الحق^(٢).

١٠- محمد بن عبد الملك بن غطريف (أو: طريف) الوادعي، من زعماء وادعة نجران، قاتل بين يدي الهادي في بعض معاركه، وكان رجل إصلاح، تشفع لخصومه اليامين عند الهادي، وأطلق سراحهم، وكان شاعرا فصيحاً^(٣)، أثبت له المؤلف قصيدة واحدة فقط، وأجاب عليها المؤلف أيضا.

١١- محمد بن عبيد الله العلوي، والد المؤلف، أثبت له مقطوعة رجز قالها في غدر بني عبد المدان قبيل مقتله^(٤). كما روى المؤلف عن والده كثيرا من الأخبار والمشاهدات والملاحظات التي من المحتمل أنه هو الآخر كان قد دونها أو بعضها منها، فقد ذكر للهادي قصصا تفصيلية، وطرائق أخلاقية، كان الهادي يلتزم بها؛ الأمر الذي يشير إلى عملية تدوين قام بها^(٥).

١٢- عبد الله بن أحمد التميمي، أجاب الهادي بقصيدته التي أثبتتها المؤلف نيابة عن الدّعَام بن إبراهيم الأرحبي

وربما لم يكن لبعض هؤلاء ديوان شعر اعتمد عليه المؤلف، بل ربما أرسل الشاعر قصيدته إلى المؤلف، أو حصل عليها بطريقة أو بأخرى.

ومن المصادر الذين نقل عنهم المؤلف أخباره أيضا وصرّح بذكر أسمائهم:

بيروت، ط ٣، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، ص ٤٠٦-٤٠٩.

(١) يحيى بن عبد الله: تقدمت ترجمته في ص ٤٦.

(٢) العلوي: السيرة، ل ٨ / ب - ٩ / أ.

(٣) العلوي: السيرة (انظر الفهرس: محمد بن عبد الملك الوادعي).

(٤) العلوي: السيرة، ل ١٣٠ / أ.

(٥) العلوي: السيرة، ل ٣٩ / ب - ٤١ / أ، وغيرها.

١٣- إبراهيم بن سليمان الحجوري، وصفته السيرة بأنه: "لا بأس به في دينه ومذهبه"^(١).

١٤- أحمد بن محمد بن بهلول الصنعاني، أبو ميمون، من علماء أهل صنعاء^(٢)، وصفه يحيى بن الحسين^(٣) بـ "القاضي العلامة".

١٥- أحمد بن محمد بن الضحاك^(٤)، المعيدي، زعيم حاشد، وقد تقدم.

١٦- الحسن بن أحمد البغداني، وكان والي الجبابة والمسؤول المالي بمخلاف نجران، وتمكّن من النجاء بنفسه خامس خمسة من المذبحة التي تعرض لها محمد بن عبيد الله في ذي الحجة ٢٩٥هـ/ سبتمبر ٩٠٨م، وكان شاهد عيان على بعض أحداثها^(٥).

١٧- الحسن بن علي الفطيمي^(٦)، أحد زعماء الفطيميين، ومن المخلصين لدولة الهادي، وحضر صلح نجران بين الهادي وأهل الذمة، وكتب شهادته فيه، وهو صاحب مقترح فرض ضرائب مالية من غير الزكاة والذي رفضه الهادي رفضاً قاطعاً^(٧).

١٨- سعيد بن موسى بن أبي سورة^(٨)، كان من فرسان اليمن المعدودين، وقاتل بين يدي الدّعَام في أول أمره ضد الهادي، ثم انضم إلى صفوف مقاتلي الهادي، وكُلّف بالمرباطة في نجران مع محمد بن عبيد الله - والد المؤلف -، وكان

(١) العلوي: السيرة، ل٤٦/ ب.

(٢) العلوي: السيرة، ل٨١/ ب.

(٣) المستطاب، ص ٣٩.

(٤) العلوي: السيرة، ل٤٦/ ب.

(٥) العلوي: السيرة، ل١١٨/ ب، ل١٢٧/ ب، ل١٢٨/ ب، ل١٣٠/ ب، ل١٣٣/ ب، ل١٣٤/ أ.

(٦) العلوي: السيرة، ل١٢/ أ.

(٧) العلوي: السيرة، ل١٨/ أ، ل٢٣/ ب، ل٥٦/ أ.

(٨) العلوي: السيرة، ل٣٣/ أ.

قائد فصيل فيها^(١).

١٩ - شعيب السَّبيعي، من أرحب من عشيرة الدُّعَام الأرحبي، وكان ممن يعاضده على حرب الهادي، وقعت له قضية تبيّن من خلالها أحقية موقف الهادي، فانخرط في صفوف مقاتليه^(٢).

٢٠ - عاقل بن محمد بن عبد الله النجراني، وكان أحد شيوخ الهجر (نجران) ووجهائها، وكانت له كلمة مسموعة عند الهادي وواليه العلوي، وكان شاهد عيان على بعض أحداث نجران عند مقتل العلوي فيها، وقد طلب هو وآخرون من ابن حميد وبني الحارث تسليمهم جثة العلوي والد المؤلف بعد استشهاد، وكفنوه، وصلوا عليه، ودفنوه^(٣).

٢١ - أبو العتاهية عبد الله بن بشر بن طريف^(٤)، وقد تقدم.

٢٢ - عبد الله بن الحسين الفطيمي^(٥)، وكان أحد زعماء الفطيميين، ومن فرسان الهادي المعدودين، ولّاه الهادي على منكث^(٦).

٢٣ - عبد الله بن منير المروي، وكان أحد قادة الهادي في نجران، نجا من مذبحه نجران مع الحسن البغداني، وكان شاهدا على بعض فصولها^(٧).

٢٤ - عبد الملك بن عبد الملك اليرسمي^(٨)، وكان أحد المقرّبين من الإمام

(١) العلوي: السيرة، ل٣٣/أ، ١١٨/أ، ١٢٠/أ.

(٢) العلوي: السيرة، ل٤٦/أ.

(٣) العلوي: السيرة، ل٧٩/ب، ١٠١/ب، ١٢٢/ب، ١٢٩/أ، ب.

(٤) العلوي: السيرة، ل٢٦/ب.

(٥) العلوي: السيرة، ل١٢/أ.

(٦) العلوي: السيرة، ل٣٣/أ، ٦٦/أ، ٧٤/أ.

(٧) العلوي: السيرة، ل١١٨/ب، ١٢٧/ب، ١٢٨/ب، ١٣٠/أ-ب، ١٣٤/أ.

(٨) العلوي: السيرة، ل١٧/ب.

الهادي والمقاتلين معه^(١).

٢٥- عبید الله بن حذیف، عرّفته السيرة^(٢) بأنه: "رجل كان يقوم للهادي إلى الحق ببعض أمره"، وربما كان مسؤول الخيل عنده أيضا.

٢٦- علي بن صباح اليرسمي، ويبدو أنه كان أحد زعماء ووجهاء اليرسميين^(٣).

٢٧- علي بن أبي عنبرة الصعدي، كان مسؤول مشتريات واحتياجات الهادي^(٤).

٢٨- محمد بن الحجاج الخيواني، يبدو أنه كان من خيوان، وأحد تجارها^(٥).

٢٩- محمد بن حجاج اليرسمي، من أهل صعدة، ممن كانوا يعتقدون فضل الإمام الهادي^(٦).

٣٠- محمد بن أبي الزبير اليرسمي، أحد المقاتلين بين يدي الهادي، ولاه الهادي على مدينة ثات^(٧).

٣١- العلامة القاضي محمد بن سعيد اليرسمي^(٨)، وقد تقدم.

٣٢- ومن أهم المصادر التي اعتمد عليها المؤلف هو القاضي العلامة محمد بن سليمان الكوفي، ولقبه جمال الدين، وكنيته أبو جعفر^(٩)، أصله عربي من أسد بن

(١) العلوي: السيرة، ل١٧/ ب، ٢٦/ أ، ٤٧/ أ.

(٢) العلوي، ل١٨/ أ.

(٣) العلوي: السيرة، ل١٢/ أ.

(٤) العلوي: السيرة، ل١٧/ ب، ١٩/ ب.

(٥) العلوي: السيرة، ل١٩/ أ.

(٦) العلوي: السيرة، ل١٢/ أ، ١٩/ ب.

(٧) العلوي: السيرة، ل١٢/ أ، ٢٦/ أ، ٧٤/ ب.

(٨) العلوي: السيرة، ل٦١/ ب، ٨٠/ أ، ٩٣/ أ، ٩٤/ أ.

(٩) كما ورد في بعض المخطوطات وفي مواضع عديدة في السيرة، وعند مترجميه. ينظر بروكلمان:

تاريخ الأدب العربي، ج٣، ص٢١؛ وسزكين: تاريخ التراث العربي، مج١، ج٢، ص٢٠٨.

خزيمة^(١)، ولد في الكوفة في ٢٤٠هـ / ٨٥٤م أو ما قاربها^(٢)، وقد تلقى العلوم فيها، ونهل من مدرستها الكبرى في الفقه والحديث، "حتى أصبح محدثاً بارعاً وسنداً جامعاً"^(٣)، وقد أخذ عن حفاظ عصره وعلمائه^(٤)، ثم عن الإمام الهادي يحيى بن الحسين بعد أن هاجر إليه، وقد صرح بأنه وصل إلى اليمن قبل وصول الهادي بنيف وخمسين يوماً، أي أنه كان قد وصل في ١٣ ذي الحجة ٢٨٣هـ تقريباً / ٢٦ يناير ٨٩٧م^(٥)، وحكى أنهم وردوا على "قوم بينهم فتنة عظيمة" في اليمن، قال: "فلما علموا أنا من أصحاب يحيى بن الحسين قطعوا الفتنة فيما بينهم، فلم يقتتل منهم رجلان، انتظارا ليحيى بن الحسين"^(٦)، وهذا يشير إلى أنه توجه إلى اليمن بأمر الهادي. ثم تولى القضاء للإمام الهادي واستمر قاضياً بعد وفاته لابنيه المرتضى والناصر^(٧)، وولاه الإمام الهادي جباية الزكاة من أموال التجار^(٨)، وكان مقرباً منه، ويأكل معه على مائدته المتواضعة^(٩). وله عدد من المؤلفات، ومنها كتاب

(١) صرح بذلك ابن أبي الرجال (مطلع البدور، ج ٣، ص ٣١٣)، وبهذا يقطع الباب على تخمين المحقق المحمودي (مقدمة مناقب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام)، تح: محمد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم، ط ٢، ١٤٢٣هـ، ج ١، ص ١٢-١٣) الذي رجح أنه مولى، وأصله من بست، اللهم إلا إذا كانت أسرته العربية هاجرت إلى هناك ثم عادت إلى الكوفة.

(٢) ذكر الكوفي نفسه (العلوي: السيرة، ل ٩ / ب) أنه عاصر خروج الثائر يحيى بن عمر العلوي، وقد صح أن الأخير ثار سنة ٢٤٨هـ، واستشهد سنة ٢٥٠هـ؛ وبهذا يترجح ما ذكره المحقق المحمودي في (مقدمة مناقب الإمام أمير المؤمنين، ج ١، ص ٣٢).

(٣) الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ج ٢، ص ٢٥٠.

(٤) ابن القاسم: طبقات الزيدية الكبرى، مج ٢، ص ٩٧١.

(٥) وصل الهادي في ٦ صفر ٢٨٣هـ، والنيف ما بين الواحد والثلاثة، أي ٥١ إلى ٥٣ يوماً.

(٦) العلوي: السيرة، ل ١٩ / ب.

(٧) ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ٤، ص ٣١٣.

(٨) العلوي: السيرة، ل ١٣ / ب، ١٨ / أ.

(٩) العلوي: السيرة، ل ١٦ / ب.

مناقب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام^(١)، وهو السائل للإمام الهادي في كتابيه المنتخب والفنون. وورد في آخر المنتخب^(٢) ما يفيد أن القاضي الكوفي درّس كتاب المنتخب سنة ٣١٦هـ / ٩٢٨م، وذكر المترجمون له بأنه تولى القضاء للإمام الناصر الذي لم يتوفَّ إلا سنة ٣٢٢هـ / ٩٣٣م^(٣)، وهذا يجعلنا نفترض أنه لم يتوفَّ إلا بعد وفاة الناصر.

٣٣- محمد بن علي الطبري^(٤)، أحد المهاجرين إلى الهادي من طبرستان، ولعله هو الذي ولاه الهادي القضاء في صنعاء خلفاً للقاضي محمد بن أحمد الأعجم مولى العباسيين^(٥).

٣٤- محمد بن أبي هشام^(٦)، ولعله يرسمي من خولان صعدة، كانت له مودّة ومحبة في الإمام الهادي^(٧).

٣٥- مرواح بن عبد الله الصايدي، روى موقف أبي محجن بن طريف من دعوة الهادي، واعتقد فضل الهادي وتولاه وبايعه^(٨).

٣٦- موسى بن علي بن عبد الجبار الصريمي، وهو أحد المخلصين في ولائهم للهادي، والمعتقدين فضله^(٩).

(١) طبع بتحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي سنة ١٤١٢هـ، ثم أعيد طبعه سنة ١٤٢٣هـ.

(٢) ص ٤٢٤.

(٣) العلوي: السيرة، ل ١٤٣ / أ (الملحق).

(٤) العلوي: السيرة، ل ٤٤ / ب.

(٥) الطبري: تاريخ صنعاء، ص ٧٩.

(٦) العلوي: السيرة، ل ١٨ / ب، ٢٩ / أ.

(٧) العلوي: السيرة، ل ٣٦ / أ، ٥٦ / أ.

(٨) العلوي: السيرة، ل ٤٦ / ب.

(٩) العلوي: السيرة، ل ٤٣ / أ.

ب- مصادر لم يصرح المؤلف بهم

ذكر المؤلف كثيرا من المعلومات ونسبها إلى مصادر لم يصرح بذكرها، ويعود ذلك لأسباب عديدة، إما لأنهم أدلوا بمعلومات حساسة وخطيرة، وربما اشترط بعضهم عدم ذكر أسمائهم^(١)، أو كانت مصادر المعلومة الواحدة كثيرة بحيث لم ير بأسا من إغفال أسمائهم، أو أنه لم يكن يعرف أسمائهم، ولكن أوردوا معلومات خاصة بهم لها علاقة بسيرة الهادي. ولكن مع ذلك كله يلاحظ أنه كان يحرص على توثيق بعض هؤلاء فيقول في وصف بعضهم: "بعض من أثق به"، أو "لا بأس به في دينه ومذهبه".

ومن تلك المصادر:

٣٧- رجال من بني عقيل^(٢)، وبنو عقيل بطن من عامر بن صعصعة، من قيس بن عيلان، من العدنانية^(٣).

٣٨- "جماعة من أهل اليمن من بلدان متفرقة"^(٤).

٣٩- "رجلا من أهل اليمن من بيت زود"^(٥).

٤٠- "بعض أهل نجران"^(٦).

٤١- رجل أو رجال كان يثق بمعلوماتهم، قال: "ولقد سمعت من أثق به"^(٧).

(١) العلوي: السيرة، ل ٢٩ / ب.

(٢) العلوي: السيرة، ل ١٩ / ب.

(٣) العلوي: السيرة، ل ٨ / أ، ١٩ / ب؛ وكحالة: معجم قبائل العرب، ج ٢، ص ٨٠١، ج ٣، ص ١١٨.

(٤) العلوي: السيرة، ل ١٩ / ب.

(٥) العلوي: السيرة، ل ١٩ / ب، ٤٦ / ب.

(٦) العلوي: السيرة، ل ٢١ / أ.

(٧) العلوي: السيرة، ل ٢٩ / ب.

٤٢ - بعض أصحابه، قال: "ولقد خبرني بعض أصحابنا،..."، وكرره بذات اللفظ^(١).

٤٣ - بعض بني ربيعة، قال: "وسمعت بعض بني ربيعة يذكر.."^(٢).

٤٤ - بعض من يثق بهم من أهل خيوان^(٣).

٤٥ - "جماعة من همدان..^(٤)".

٤٦ - "وسمعت رجلاً يقول: يا ابن رسول الله..."^(٥).

٤٧ - "فخبرني بعض من أثق به، وبعض بني الحارث بعد وصولنا البلد،..."^(٦).

٤٨ - "ولقد بلغنا عن إبراهيم بن خلف،..."^(٧).

٤٩ - "وأما الجفاتم فسمعت بعض أهل صنعاء يذكر..."^(٨).

٥٠ - "حدثني من أثق به من عسكرهم..."^(٩).

٥١ - "وأخبرنا من عدّ المصابين،..."^(١٠).

وهكذا يتبين أن السيرة حافلة بذكر المصادر المشافهة للأحداث، وكثير منهم من رجال الهادي والمقربين منه؛ الأمر الذي يجعلها في أعلى درجات الوثاقة.

(١) العلوي: السيرة، ل ٣٠ / ب، ٣٣ / أ، ٤٤ / ب.

(٢) العلوي: السيرة، ل ٣٤ / أ.

(٣) العلوي: السيرة، ل ٤٣ / أ.

(٤) العلوي: السيرة، ل ٤٧ / أ.

(٥) العلوي: السيرة، ل ٤٧ / أ.

(٦) العلوي: السيرة، ل ٦١ / ب.

(٧) العلوي: السيرة، ل ٧١ / أ.

(٨) العلوي: السيرة، ل ٧١ / أ.

(٩) العلوي: السيرة، ل ٧٨ / ب - ٧٩ / أ.

(١٠) العلوي: السيرة، ل ١٠١ / ب.

٤- منهجها

لم يذكر المؤلف منهجه في الجمع والصياغة والترتيب والتبويب، وهذا ما جعل الباحث يحاول استقراء تلك الأمور من خلال السيرة نفسها، ومن بين ثانياً سطورها. جمع المؤلف معلوماته بشكل فاحص، ويظهر أن جمعه للمعلومات استمرّ سنيناً، فهو على سبيل المثال يروي أحداث الهادي مع الدُّعَام في سنة ٢٨٥هـ / ٨٩٨م عن القاضي محمد بن سليمان الكوفي وغيره، لكنه يلحظ أنه أورد معلومة عن تلك الحرب من رواية سعيد بن موسى بن أبي سورة بعد أن انتقل من صف الدُّعَام إلى صف الهادي إلى الحق، ورابط في نجران، والتقى به هناك، لعله في ٢٩٥هـ / ٩٠٧م^(١)، وهو أمر يفيد اهتمامه بتطوير معلوماته وإلحاقها بموضعها.

واعتمد على مؤلّف القاضي محمد بن سليمان الكوفي في أخبار الهادي في كثير من معلوماته التي رواها عنه، وحين يورد تلك المعلومات فإنه يستخدم في بعضها طريق العنعنة، "علي بن محمد، عن محمد بن سليمان،..."^(٢)، وهي طريقة تحتل أنه قرأ عليه، أو سمع عليه تلك المرويات، وتحتل أنه استفادها منه بطريقة الإجازة، كما أنه روى عنه بطريقة التحديث والإخبار، مثل: "حدثني محمد بن سليمان،.." ^(٣)، و "حدثني محمد بن سليمان، قال: خبرني بعض أصحابنا"^(٤)، "حدثني محمد بن سليمان، قال: حدثني أحمد بن الضحّاك،..."^(٥)، وهو أمر يشير إلى تملذه عليه إما بقراءة الشيخ عليه وهو يسمع، أو العكس. ومثال ذلك

(١) العلوي: السيرة، ل ٣٣ / أ.

(٢) العلوي: السيرة، ل ١٧ / ب، ١٨ / ب، ١٩ / أ.

(٣) العلوي: السيرة، ل ١٨ / أ.

(٤) العلوي: السيرة، ل ٤٤ / ب.

(٥) العلوي: السيرة، ل ٤٦ / ب.

معلوماته التي استقاها عن أبيه وآخرين، فقد استخدم عبارات التلقي والرواية، مثل "وسمعت ..."، "خبرني ..."، "حدثني ..."، "سألت ..."، "سمعنا ..."، "ولقد بلغنا ..."^(١)، وهي عبارات كان المؤلف يفتح بذكرها كثيرا من معلوماته التي يوردها في مختلف الأحداث، وتفيد سماعه لتلك الروايات من أولئك الشيوخ، أو قراءته لها عليهم، أو مشافهتهم له بها؛ الأمر الذي يشير إلى حرصه على تدوين تلك الروايات، وعلى طريقة حصوله عليها، كما يبين اهتمامه بقضية الإسناد، وهي قضية كانت مطروحة، ويتداولها المحدثون على نحو واسع، وتفيد طمأننة القارئ بصحة تلك المعلومات ومضمونها.

وقد يُعرّف بعضا من أولئك الشيوخ، فيقول مثلاً: "خبرني عبيد الله بن حذيف، رجل كان يقوم للهادي ببعض أمره"^(٢)، ليفيد مدى قربه من الهادي، وأنه مصدر أصيل مشافه لمضمون الرواية، وقد لا يسمي مصدر معلوماته إما لخطورة معلوماته مثل قوله: "ولقد سمعت من أثق به يقول: إنه كان في عسكر الدُّعَام في بيت زود أربع مئة مرة فاجرة، ..."^(٣)، ولكنه كان يطمئن القارئ أن الراوي ثقة، وقد تكرر قوله: "من أثق به"، في مواضع عديدة، ومنها وهو يتحدث عن معلومات حول خصوم الهادي، وربما كانت المعلومات استخباراتية من بين صفوف الخصوم، ولم يشأ الإفصاح عنهم، فهو يقول: "حدثني من أثق به أن عسكرهم كان في ذلك اليوم زهاء اثني عشر ألفاً، ..."^(٤).

(١) العلوي: السيرة، ل ١٩ / ب، ٢١ / أ، ٢٥ / ب، ٢٨ / أ، ب، ٢٩ / ب، ٣٠ / ب، ٣٣ / أ، ٣٩ / ب، ٤٤ / ب، ٦١ / ب، ٧١ / أ، ٨١ / ب، ٩٣ / أ، ١٢٨ / ب.

(٢) العلوي: السيرة، ل ١٨ / أ.

(٣) العلوي: السيرة، ل ٢٩ / ب.

(٤) العلوي: السيرة، ل ٧٨ / ب - ٧٩ / أ.

وقد يجمع روايات جماعة في رواية واحدة إذا كان مضمونها واحداً^(١) طلباً للاختصار، ومع ذلك فهو يفيد أن المؤلف عالج معلوماته التي جمعها بطريقة فنية ودرسها، ثم صاغها بطريقة مرتبة. ويبدو من خلال ذلك أنه كان لا يروي إلا ما يثق أنه صحيح، ويفيد قوله: "أثق به" ذلك، وقد ظهر جلياً على مضمون تلك الروايات؛ إذ بدت قريبة من الواقع ومن المنطق التاريخي، بعيدة عن المبالغات والخرافات.

ولا يبدو أن السيرة التزمت بشكل دقيق بالشكل الواضح للكتاب، المقدمة، والمتن، والخاتمة، فمقدمتها لم تتحدث عن سبب التأليف، ولا أهميته، ولا عن مصادرها، ولا الأهداف المتوخاة، كما أنها بلا خاتمة، إذ ربما داهم الموت مؤلفها ولما يكمل تأليف هذه السيرة بالشكل الذي كان يرجوه. كما لم يتمّ عنوانه موضوعات الكتاب بشكل دقيق، ويبدو من خلال كثيرٍ من العناوين أنها مقحمة على النص^(٢)، فهل تم وضعها لاحقاً من قبل شخص آخر، أم وضَعَهَا الْمُؤَلِّفُ نَفْسُهُ؟ والذي يترجّح أنها من وضع المؤلف نفسه، ولكن وضعها بعد أن أكمل كتابة النص، بدليل أنه في بعض العناوين قد يضيف معلومات لم تُذكر في النص^(٣)، وهذا لا يتأتّى إلا للمؤلف نفسه.

كتب المؤلف مُقَدِّمَةً، ولكنها تحدثت عن ما افترض الله على عباده، وأول تلك الفروض معرفته تعالى، وصولاً إلى واجب "المباينة للظالمين، والمحاربة للفاسقين، مع الأئمة العادلين، من ولد الحسن والحسين"، الذين "فرض الله على

(١) العلوي: السيرة، ل١٩/ب، ٣٣/ب، ٦١/ب.

(٢) على سبيل المثال انظر: العلوي: السيرة، ل٥٣/أ، ٦٠/ب، ٦٤/أ، ٧٠/ب، ٧٦/ب، ٧٧/ب.

(٣) العلوي: السيرة، ل٧٦/ب، ٧٧/ب.

الأمّة طاعتهم"، ثم ذكر آيات الجهاد، وآثارا عن قرب ظهور العدل على يد القائمين من أهل البيت، ثم صفات القائم، ثم ذكر الآثار التي تشير إلى أن الإمام في ذلك الزمان هو الهادي، وأنه سيخرج في اليمن، ثم بدأت بعد ذلك بسرد الأحداث^(١)، وبهذا فهي مقدمة موضوع السيرة وهو الهادي ووجوب الجهاد معه، وليست مقدّمة للكتاب، وكأن المؤلف كان من ضمن أهدافه في التأليف هو حشد الأتباع وحث المسلمين على الالتحاق بالهادي باعتباره الذي يمثل رسول الله ﷺ حق تمثيل بسيرته التي تشبه سيرته.

ومع أن السيرة لم تتضمن أبوابا ولا فصولا محددة كما يصنع المؤلفون في العادة إلا أن المؤلف - على رغم صغر سنه - تمتّع بعقلية فنية منظّمة في سرد أحداث هذه السيرة متسلسلة متعاقبة، ورتّب أحداثها حدّثاً بعد حدّث بحسب تسلسلها الزمني وتفاعلها مع بعضها بدءاً بأحداث آخر سنة ٢٨٣هـ / ٨٩٧م وصولاً إلى أحداث آخر سنة ٢٩٥هـ / ٩٠٨م، مع وجود بعض الفجوات الزمنية التي لم تغطها. ولم يلتزم المؤلف بالمنهج الحولي، فهو لا يذكر دخول العام، ثم الأحداث التي جرت فيه، بل جعل الهادي موضوع الكتاب، الذي تتمحور حوله الأحداث المذكورة مرتبة بطريقة زمنية متسلسلة متعاقبة، تتفاعل مع بعضها، ويأخذ بعضها بالآخر بتصويرٍ أخاذ، ولفظ دقيق، وإذا ذكر مثلاً أحداثاً في آخر عام ٢٨٣هـ، لم يذكر دخول سنة ٢٨٤هـ بعدها، بل يذهب مباشرة لسرد أحداث ٢٨٤هـ، فقال: "فوصل إلى صعدة لستة أيام خلون من صفر سنة ٢٨٤هـ، فقدمنا على خولان، ..."^(٢). وبذلك الطريقة في الاستفادة من تحديد الزمن مضى من أول الكتاب إلى

(١) العلوي: السيرة، ل ٥ / ب - ٩ / أ.

(٢) العلوي: السيرة، ل ١٢ / أ.

آخره، وقد كان يقيّد أحداثه بذكر الزمن من اليوم والشهر والسنة في أول كل حدث إذا أمكن له ذلك، وإلا اكتفى بذكر ما تيسر له من اليوم أو الشهر مع السنة، ثم يمضي في تفصيله سببا ومتنا وتطورات ونتائج.

لكنه كان كثيرا ما يستطرد حيثما يعنُّ له سببٌ يتيح له ذلك الاستطرد، فبينما كان يذكر وصول كتب الهادي إلى المدينة ويذكر وصول وفدٍ وكُتُبٍ من أهل اليمن يدعونه إلى بلادهم استطرد بأن الهادي كان قد خرج إلى اليمن سنة ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م^(١)، وبعد أن ذكر نسخة الدعوة التي بعثها الهادي إلى أهل اليمن، ذهب يسرد أقواله حول تلك الدعوة وإخلاصه لها، ثم خرج منها إلى ذكر باب تواضع يحيى بن الحسين، ثم ذكر باب ورع يحيى بن الحسين^(٢)، وكأنه كان يضع كل شيء بحسب وقوعه أو بحسب ما وقع له من مشاهدات أو بحسب تسلسله منطقيا. وهو أيضا بينما كان الهادي في نجران إذ تقع له ما أطلق عليها المؤلف "آيات"، واستجابة دعائه للطفل المصاب بالجدري، فإذا به قد استطرد بذكر نظائر تلك القضية، ثم جره ذلك إلى الجواب عن تساؤلٍ قد ينشأ، وهو إذا كنتم تقولون: إن الهادي مستجاب الدعاء، فلماذا لا يدعو على خصومه، فيرتاح من معاناة مواجعتهم، فأصل للقضية تأصيلا فقهيا وتاريخيا بحسب ما كان يراه^(٣). ويبدو أن الحديث عن كل ما يدعم موقف الهادي وأحقته وتميزه كان مدعاة للاستطرد في معظم تلك المواضع التي استطرد فيها، لكنه مع ذلك كان استطرادا ضمن السياق التاريخي للأحداث.

(١) العلوي: السيرة، ل ١٠ / أ.

(٢) العلوي: السيرة، ل ١٤ / أ، ١٥ / ب، ١٧ / أ.

(٣) العلوي: السيرة، ل ٤٣ / ب.

وحين يذكر حدثاً ببلد فإنه قد يمهّد بالتعريف به قبلها، وربما عرّفه طبوغرافياً بشكل مختصر، إن كان لذلك تأثير في الأحداث، ويذكر ظروف البلد، وأسباب الحدث، ثم الحدث، ثم نتائجه^(١)، بطريقة متسلسلة، يستطيع المتابع أن يلحظ ترتيب أجزاء الحدث بطريقة منطقية، كما أن الحدث يرتبط بالحدث الآخر من خلال الخيط الزمني المتعاقب والمتفاعل الذي يُلحَظ من وراء الأحداث.

ولم يحدث أن ذكر روايتين مختلفتين لحدث ما، بل اعتمد رواية واحدة فقط في جميع أحداث الكتاب؛ والسبب في ذلك هو أنه كان شاهد عيان، أو اعتمد على شهود عيان، وهو الأمر الذي قلّل فرص تعدّد الروايات واختلاف المضامين، علاوة على أنه ربما كان يؤمن بالحدّية في الحدث، واعتباره شيئاً واحداً لا اختلاف فيه.

ظهر وعيه التاريخي في اتخاذه التعليل التاريخي منهجاً لتفسير كثير من أحداث كتابه، وقد علّل كثيراً من جزئيات الأحداث بشكل جيد، فقد علّل سبب استدعاء اليمينين للهادي بأنه "عضّهم البلاء"^(٢)، وعلّل مسارعة القبائل اليمنية لمكاتبة الهادي في صعدة واستدعائهم إياه منها؛ بأنهم سمعوا من أخباره وعدله وسيرته^(٣)، وعلّل صعوبة سيطرة بني يُعْفَر على منطقة في خولان صعدة بسبب طبوغرافيتها الوعرة^(٤)، وأن الفريقين فريق الهادي وفريق الدُّعَام "لزم كل واحد منهم معسكره"، ولم يهاجم أحدهما الآخر ذات مرة؛ بسبب فشوّ الجراح فيهم جميعاً، وهجوم البرد، واشتداد الرياح في تلك المنطقة^(٥)، كما علّل مبادرة بعض

(١) ينظر على سبيل المثال: العلوي: السيرة، ل ٢٥ / ب - ٢٦ / ب، ٤٩ / ب - ٥٠ / أ.

(٢) العلوي: السيرة، ل ١٠ / أ.

(٣) العلوي: السيرة، ل ١٩ / ب.

(٤) العلوي: السيرة، ل ٢٥ / أ.

(٥) العلوي: السيرة، ل ٣٣ / ب.

القبائل إلى نهب أثافت بتعليلٍ باعثٍ لهم على ذلك الفعل، على الرغم من أن المؤلف لم يقرهم عليه، واعتبره باعثاً خطأ^(١)، وهكذا ذهب يعلل كثيراً من أحداث الكتاب أو جزئيات تلك الأحداث، بأسبابٍ وعللٍ وغاياتٍ، برَهَنَتْ على وعيه التاريخي وفهمه العميق للعناصر المشكّلة للحدث، والتي كانت تبرهن على عمق فهمه للعلاقات الاجتماعية وطبيعة المجتمع والمكان والزمان وجميع العناصر التي تتشارك في صناعة الحدث نفسه^(٢).

ظهر أثر نظرية البطل التاريخية في كتابه هذا، وظهر فيه أن البطل هو الذي يصنع الحدث التاريخي في كثير من أحداث السيرة، وبطبيعة الحال فالبطل هنا هو الإمام الهادي، والذي كثيراً ما حوّل مسار الأحداث، فحوّل الهزيمة إلى نصر^(٣)، وتصدّى في عدد قليل من جنوده للعدد الكثير من أعدائه^(٤)، وهو صاحب الصفات الفريدة، والخلال المتميزة، ورعا وفضلاً ومكانة وشجاعة وعلماً وإمكانات وقدرات، فهو الذي استطاع بحُكْمته وبصيرته وحسن سياسته الإصلاح بين القبائل في صعدة ونجران وحيوان، في الوقت الذي عجز عنه سواه من حكام اليُغفرين وغيرهم، "هبة أعطاهها الله تبارك وتعالى يحيى بن الحسين"^(٥). بل إن فكرة الإمامة عند الزيدية وشروطها الأربعة عشر شرطاً التي تحدد معايير متميزة وفريدة للإمام هو تجسيد للبطولة التاريخية التي تصنع الأحداث، وتنشئ المتغيرات، بتأييد الله وتيسيره، والذي كثيراً ما تتدخل معه

(١) العلوي: السيرة، ل ٣٥ / أ.

(٢) العلوي: السيرة، ل ٣١ / أ، ٣٦ / أ، ٣٧ / أ.

(٣) العلوي: السيرة، ل ٣٣ / أ - ٣٣ / ب.

(٤) العلوي: السيرة، ل ٦٦ / أ.

(٥) العلوي: السيرة، ل ١٢ / أ، ٢٠ / ب.

العناية الإلهية لتزويده ببعض الكرامات، التي يسميها المؤلف بالآيات، والتي تشير إلى فضله، وتشهد بإمامته، بحسب ثقافة المؤلف وما كان يعتقد، فهو الذي يعثر أصحابه على "بؤيرة صغيرة قد التف عليها الشجر"، في منطقة من المناطق، بينما لم يكن أهلها هناك يعرفونها من قبل^(١)، وهو الذي إذا دعا الله فإن الله يستجيب دعاءه، ويهلك أعداءه^(٢). وفي سبيل إثبات هذه الفريدة التاريخية لبطولة الإمام الهادي التاريخية وحجم الإنجاز المتميز فقد كان يستخدم في بعض الأحيان منهجية المقارنة، حيث عقد مقارنات تاريخية بين إنجازات الهادي بعد وصوله اليمن مع الظروف السابقة لمجيئه^(٣). وقد كانت أضواء السيرة مسلطة على الهادي وأحداثه وعلى المجتمع والعناصر الأخرى ولكن بقدر ما ترتبط من العلاقة مع الهادي.

ظهر التفسير الإسلامي للتاريخ جليا في بعض الأحداث التي ذكرها، حيث تتدخل العناية الإلهية في إنزال الأمطار، عندما يتحقق العدل، وقد قال: "فهذه علامات البركة، وكذلك يروى أنه إذا ظهر العدل نزل القطر، فأظهر يحيى بن الحسين من العدل ما لم نر في عصرنا هذا"^(٤).

اعتمد في أحيان كثيرة منهج التعريف بشكل مختصر جدا، فقد عرّف كثيرا من القبائل اليمنية، فعلى سبيل المثال، يقول: "ضاة من بلاد شاعر"، ثم يقول معرّفا لشاعر: "وهم قوم من همدان"^(٥)، وقد يعرّف بعض البلدان أو يصفها مثل قوله:

(١) العلوي: السيرة، ل ١١ / ب، ٧٠ / ب.

(٢) العلوي: السيرة، ل ٦١ / ب.

(٣) العلوي: السيرة، ل ٢٩ / ب - ٣٠ / أ.

(٤) العلوي: السيرة، ل ١٢ / ب.

(٥) العلوي: السيرة، ل ٢٤ / أ.

"وسحة وسط جبال وعرة خشنة لم يسلكها من السلاطين أحد" ^(١)، و"برط وهي أيضا من بلد شاكر"، وهو جبل عظيم شاهق وعر لم يدخله سلطان قط"، وأهله خلق عظيم من همدان من شاكر، يقال لهم: دهمة ^(٢)، و"عيان، وهو بلد لبني سلمان"، و"أسل من بلد خولان" ^(٣)، و"البقعة قريبا من صعدة" ^(٤). وقد يعرف الأشخاص من أتباع الهادي فيقول مثلا: "وقد كان ولي أثافت رجلا من خيار المسلمين عالما بتوحيد الله وعدله، متفقه في دين الله، ورعا فاضلا، يسمى عبد العزيز بن مروان من أهل البحرين، يكنى أبا عمر" ^(٥)، ويقول في موضع آخر: "الحسين بن أبي العباس، وكان أبوه من سادات خولان وكبارها وأهل الرياسة منها" ^(٦)، و"أحمد بن الضحاك، قاضي همدان، وفقهها، وعالمها، والمقصود إليه في ذلك وفي كل ما يحتاجون إليه من حلال أو من حرام" ^(٧)، وقد يعرف بعض أعلام خصومه فيقول: "أبو الوجيه، وكان من رجالهم وصناديدهم، وهو رئيس من رؤسائهم، يعرف بالشجاعة والرجلة" ^(٨)، وقد يعرف بعض العبارات مثل: "قضب، والقضب هو القت"، و"الغيل بلغة أهل الحجاز: العين" ^(٩)، ومع ذلك فقد ترك كثيرا من الأشياء بدون أن يعرف بها.

(١) العلوي: السيرة، ل ٢٤ / ب.

(٢) العلوي: السيرة، ل ٢٥ / ب، ٢٦ / أ.

(٣) العلوي: السيرة، ل ٤٢ / أ.

(٤) العلوي: السيرة، ل ٣٦ / ب.

(٥) العلوي: السيرة، ل ٣٠ / أ.

(٦) العلوي: السيرة، ل ٤٢ / أ.

(٧) العلوي: السيرة، ل ٤٦ / ب.

(٨) العلوي: السيرة، ل ٥٧ / أ.

(٩) العلوي: السيرة، ل ١٣ / ب، ٣٤ / أ.

وأورد الشعر في سياقاته التاريخية بالشكل الذي أضاف على الحدث بعدا وجدانيا ودعائيا وإعلاميا، وكذلك وظّف الوثائق السياسية في مظانها بشكل جعل كتابه ذا طابع وثائقي مميز.

ومّا يُحمّد في الكتاب أن عباراته كانت تتطابق مع المعاني التي يريدّها المؤلف، وكان يستخدم طريقة متوازنة بين الإطناب والاختصار، راعت هدفه من إيراد هذه الأحداث التي تبرهن على حسن سيرة الهادي، إلا أنه كان يضرب صفحا عن تكرار بعض المضامين أو كان يرى عدم جدوائية سردها، فيشير إلى كثرتها بقوله: "سمعت جماعة يذكرون أحاديث شبيها بهذا غير أن ذكرها يطول"، "وكذلك آل طريف لو قصصنا أمرهم رجلا رجلا ل طال بذلك الكتاب"، "ثم وعظ الناس وأعلمهم بما يجب عليهم، وتكلم بكلام يطول شرحه"^(١).

ويبدو واضحا من خلال كثير مما ورد في كتابه هذا أنه كان يتوخى الصدق والدقة في معلوماته، ويتضح ذلك من إرادته بعض المعلومات التي لم يكن إيرادها في صالح موقف الهادي، أو صاحب السيرة نفسه، فهو يذكر أن الهادي ضرب رجلين أدبا لهما لاختلافهما بامراتين، "وكانا من جنده وأصحابه"^(٢)، وذكر أن أباه خرج من وسحة "مستخفيا ماشيا على قدميه" لما تمرّد عليه أبو الدغيش الشهابي مرة ثانية^(٣)، وأن أعرابا كانوا في جيش الإمام الهادي لا همّ لهم إلا الطمع^(٤)، ولم يتردد في ذكر هزيمة جيش الهادي أو ذكر خسائره فيقول مثلا: "وانصرف [أي الهادي] إلى الحصن، وقد نيل من أهل الحصن منالا عظيما، ونيل من عسكره

(١) العلوي: السيرة، ل ٢١ / أ، ٧١ / أ، ٧٨ / ب.

(٢) العلوي: السيرة، ل ٣٩ / أ.

(٣) العلوي: السيرة، ل ٣٨ / أ.

(٤) العلوي: السيرة، ل ٣٢ / أ.

قريب من ذلك، وقُتِلَ في الكل قتلا غير قليل^(١). وتتضح مصداقيته أكثر حيث نجده يسبغ الثناء على خصوم الهادي، فيقول عن أبي الوجيه الحارثي: "وكان من رجالهم وصناديدهم، وهو رئيس من رؤسائهم، يعرف بالشجاعة والرجلة"^(٢)، وقوله: "وقتل من أصحاب دعام رجل من الصَّيْد ذكرُوا أنه كان شجاعا"^(٣)، وقوله عن بعض حصون بني الحارث إنه كان فيها: "خيار القوم ورجالهم"^(٤)، وكان يقصد أهل الشجاعة والبأس فيهم.

وقد اتبع منهجية دقيقة في ذكر الأرقام ووصف الأحداث، وإذا ذكر رقما لم يطمئن إليه فإنه يعزوه إلى غيره، فقال: "فاجتمع لهم ذلك عسكر عظيم، وذُكِرَ أنهم كانوا عشرين ألفا"^(٥)، لكنه حين يتأكّد من معلوماته يقول: "حدثني من أثق به أن عسكرهم كان في ذلك اليوم زهاء اثني عشر ألفا ما بين فارس وراجل"^(٦).

ومع ذلك فقد كان دائما يقف إلى صف الهادي وينحاز إليه بشكل واضح، مهاجما خصومه، ويحشد له المناقب والفضائل، ويرمي أعداءه بالمثالب، كما يؤخذ عليه أنه قد يسكت عن ذم الشخص حيث يكون موقفه من الهادي إيجابيا، كما كان الحال مع صعصعة بن جعفر اللعوي، فقد سكت عنه عند إعلانه موالاته للهادي، لكنه بمجرد أن تحوّل إلى صف أعدائه، أجلب عليه بالاتهامات، وقال: "رجلا سفيها من أهل ريذة"، "وكان يأكل أهل البون ظلما وجورا، وكان يأخذ بعض النساء

(١) العلوي: السيرة، ل ٥٥ / أ.

(٢) العلوي: السيرة، ل ٥٧ / أ.

(٣) العلوي: السيرة، ل ٣٠ / ب.

(٤) العلوي: السيرة، ل ٥٥ / أ.

(٥) العلوي: السيرة، ل ٨١ / أ.

(٦) العلوي: السيرة، ل ٧٨ / ب - ٧٩ / أ.

للفجور، وكان يشرب الخمر"، "وكانت في نفسه بلية عظيمة"^(١). وعلى خلاف ذلك فقد أبقى معلومات سيئة عن الدُّعَام بن إبراهيم الأرحبي وممارسات جنده وفسادهم، وصرَّح بها، وهو الذي انتهى أمره لأن يكون من أولياء الهادي وأنصاره، بينما حينما ذكر أحمد بن محمد بن الضحاك، أثنى عليه ثناء بالغاً، ولما مرَّ الحديث عن ذكر مواقفه السلبية أجمل ذكره في بعضها بقوله: "غير أن بعض الناس ذكر أن قوماً في خيوان وجهوا إليهم في ذلك، وألبوهم، وأفسدوهم"^(٢)، وكان يقصد بذلك ابن الضحاك هذا. بل هناك وقعت فجوات عند الحديث عن هجومه على خيوان وأبي القاسم محمد بن الهادي فيها^(٣)، فهل لبقاء ابن الضحاك بعد حياة المؤلف وتحوُّل موقفه إلى صف ابن الهادي أثرٌ في تعديل بعض العبارات عنه في السيرة وطمس بعض أحداثه، يبقى ذلك احتمالاً. ومع ما كانت تبدو به من إنصاف للخصوم وذكر إنجازاتهم وانتصاراتهم إلا أن المؤلف بدا منه في حالات نادرة الإفْسَاحُ لعاطفته بإلحاق دعاء (لعنه الله)، أو (لا رحمه الله)، لبعض خصوم الهادي^(٤)، ولكن ليس لجميع خصومه ولكن لِمَنْ سُجِّلَتْ لهم مواقف متشددة ضد الهادي وأتباعه وماتوا على ذلك، وكان أكثر أولئك الخصوم الذين تلقوا تلك الدعوات (إبراهيم بن خلف).

وقد مثلت السيرة روح عصرها في كونها لم تستخدم ألقاباً للأعلام الذين ورد ذكرهم فيها، بل تذكرهم بأسمائهم خالية عن أي لقب أو ذكر صفة، بل حتى الهادي نفسه، كانت تُطْلَقُ عليه لقب "الهادي"، أو "يحيى بن الحسين" فقط، وأما

(١) العلوي: السيرة، ل٧٥ / أ.

(٢) العلوي: السيرة، ل٤٥ / ب.

(٣) العلوي: السيرة، ل٤٨ / ب.

(٤) العلوي: السيرة، ل٢٤ / ب، ٣٨ / ب، ٥٥ / أ، ٧٢ / أ، ٧٤ / أ، ٨٥ / أ، ١١٦ / ب، ١٣٣ / أ، ١٣٤ / أ.

من عداه فقد كان يذكر باسمه، فيقول: "محمد بن سليمان الكوفي"، "محمد بن عبيد الله"، "محمد بن سعيد اليرسمي"، "عبد الله بن الحسين"، .. إلخ. وخصص المؤلف كتابه للهادي وتحركاته، ولهذا لم يحدث أن تفاعل مع أي حدث خارج اليمن، أو حتى خارج موضوع الهادي إلا بالقدر الذي يتصل بسيرة الهادي وأخباره. ولم يورد المؤلف الأحداث الغريبة ولا الظواهر الطبيعية التي استهوت المتأخرين، وحرصوا على تسجيلها لإثارة القارئ ودهشته.

٥- لغتها وأسلوبها

تميّزت لغة المؤلف بالبساطة والوضوح، وكانت عباراته فصيحة معبرة، وذات نَفْسٍ قصير، وأبعد ما تكون عن التكلف والسجع، وهي أصدق تعبير عن روح عصره الذي كُتِبَتْ فيه، كما تناولت وصف الأحداث وذكر تطوراتها بطريقة سلسلة موجزة، لا تُشْعِرُ بالإطناب الممل، ولا الاختصار المخل. كما تميزت عبارات وتراكيب المؤلف بالفصاحة وموافقتها لقواعد اللغة السليمة واستعمالاتها، ولم يسجّل الباحث عليه - في حدود معرفته - مخالفة لغوية أو نحوية في حدود ما يعلم، إلا عبارة عامية، وتركيبا عاميا، ورد في عدد من المواضع، وهو قوله نقلا عن كلام الدُّعَام مخاطبا الهادي: "قد استوت لك الأمور، واستوثقتُ لك من القوم، وليس عاد إلا النهوض"^(١)، أي بمعنى: "ولم يبق إلا النهوض". وورد في موضع آخر قوله: "وعلم أن الطبريين ليس عاد لهم منفذ"^(٢)، أي: "لم يعد لهم منفذ"، أو "لم يبق لهم منفذ"، وفي موضع ثالث وردت عبارة: "فلما لم يلقوه علم القوم أن عادته في

(١) العلوي: السيرة، ل ٨٤ / ب.

(٢) العلوي: السيرة، ل ٨٥ / ب.

القرية"^(١)، أي أنه "لا زال في القرية"، وفي موضع رابع ورد على لسان الحسن البغداني قوله: "أنه لم عاد يحصل في أيدينا"^(٢)، أي: "لم يعد يحصل في أيدينا". وهذه العبارة لا تزال مستخدمة في أوساط العامة من الناس حتى يومنا هذا، بل وقد وقع مثلها في بعض الكتب التاريخية^(٣).

والحقيقة أنه يستغرب وقوع مثل هذا اللحن النادر من المؤلف؛ لما كان عليه من الفصاحة والمعرفة، فهل أضيفت هذه العبارات من قبل النساخ المتأخرين أم وقعت من المؤلف نفسه؟.

إن احتمال وقوعها من النساخ أمر وارد، ومع ذلك فاحتمال وقوعها من المؤلف أمر قائم أيضاً، حيث عاش في القرن ٣هـ / ٩م، وهو عصر لم يعد من العصور التي يؤمن فيها وقوع اللحن، حيث رفض العلماء الاحتجاج بأقوال وأشعار المحدثين ممن جاءوا بعد منتصف القرن الثاني الهجري^(٤)، والسبب أن لغتهم لم تعد مأمونة من اللحن والانحراف، بل ذكروا أن أفراداً من المشاهير وقع منهم اللحن في العصور التي يحتج فيها بأقوال وأشعار أهلها، ومن أولئك الإمام مالك بن أنس الأصبحي فقيه المدينة (ت ١٧٩هـ / ٧٩٥م)^(٥).

وإذا عرفنا أن المؤلف نشأ في المدينة وهي إحدى حواضر الحجاز، الذي هو الآخر "لم يكن بمعزل عن العالم المحيط به حتى تسلم لغته الفصحى من

(١) العلوي: السيرة، ل ١٢٥ / أ.

(٢) العلوي: السيرة، ل ١٢٧ / ب.

(٣) الطبري: تاريخ صنعاء، ص ١٧٠ (الملحق)، والعبارة هي: "ولم عاد يقضضه".

(٤) الأفغاني، سعيد: في أصول النحو، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص ١٩.

(٥) سليم، عبدالفتاح: اللحن في اللغة مظاهره ومقاييسه، دار المعارف، القاهرة، ط ١، ١٤٠٩هـ /

١٩٨٩م، ص ٢٦٨.

اللحن"^(١) فإنه من الجائز أن يكون اللحن وقع من المؤلف نفسه، لا سيما والهمداني^(٢) عدّ قرى الحجاز ضمن البلدان التي لم تكن فيها فصاحة. وأول تلك القرى المدينة المنورة. كما تشير الفجوات التي تركها المؤلف في ثنايا الكتاب إلى أنه لم يتمكن من إلقاء النظرة الأخيرة على الكتاب، وتصحيحه بالشكل النهائي؛ الأمر الذي سهّل بقاء هذه المواضع القليلة والتي وقع فيها هذا اللحن.

٦- معلوماتها وأهميتها

تعدّ السيرة مصدراً أصيلاً لفترة مهمة في تاريخ اليمن، وغطّت مكانيا معظم مناطق اليمن، وأما زمانيا فغطّت حوالي ١٢ سنة، بدءاً من آخر سنة ٢٨٣هـ / ٨٩٧م حتى آخر سنة ٢٩٥هـ / ٩٠٨م، مع تلك الفجوات التي مرّ الحديث عنها؛ حيث ترك المؤلف في بعض المواضع بياضاً يشير إلى نقص في المعلومات كان يؤدّي الحصول عليها وإكمالها، فهناك نقص واضح في أحداث نزول الهادي إلى تهامة في آخر سنة ٢٩١هـ / ٩٠٤م^(٣)، وهناك نقص وبياض في حرب الهادي مع ابن الضحاك في خيوان ومحيطها^(٤)، كما ترك فراغاً لقصيدة للهادي كان قد أزمع الإتيان بها^(٥). هذه الفجوات تشير إلى أن المؤلف كان ينوي إعادة النظر في كتابه وتتميم معلوماته وتبسيطها بشكل نهائي، ولكنه ربما عوّل بالمنية ولمّا يحصل على مراده؛ وهو الأمر الذي يرجح رحيله عن الدنيا قبل وفاة الإمام الهادي.

(١) سليم: اللحن في اللغة مظاهره ومقاييسه، ص ٢٦٤.

(٢) صفة جزيرة العرب، ص ٢٥٠.

(٣) العلوي: السيرة، ل ١٠٢ / ب - ١٠٣ / أ.

(٤) العلوي: السيرة، ل ٤٨ / ب.

(٥) العلوي: السيرة، ل ١٢٤ / ب.

قدّمت السيرة معلومات واسعة جدا عن شخصية الهادي، وشكّلت ترجمة مهمة وأصيلة له في مختلف جوانب حياته الثقافية والفكرية والاجتماعية والسياسية والعسكرية، وعن دعوته في اليمن، وعلاقاته بالقبائل، وإنجازاته المختلفة، وإخفاقاته، وكلماته، وعباراته، وخطبه، ورسائله، وعلاقات ذلك بفقهه وفتاواه، ولكن مع ذلك كله فإنه يجب الأخذ في الاعتبار أنها لم تشتمل على معلومات هامة عنه وفي مراحل خطيرة من حياته، ويكفي دليلا على ذلك المأخذ أن الهادي خاض مع القرامطة نيفا وسبعين وقعة حضر القتال فيها بنفسه^(١) لم تذكر منهن السيرة وقعة واحدة، بل لم تشتمل على شيء من أخبار القرامطة إلا شيئا قليلا من أخبارهم في نجران، وأما أخبار علي بن الفضل وابن حوشب فقد غابت تماما، حتى قال الإمام عبد الله بن حمزة عنها بأن "ما في أيدينا منها جزءٌ من عشرين جزءاً"^(٢).

كما قدمت السيرة معلومات هامة في الجانب الفكري، فقد ذكرت علماء وفقهاء وشعراء، وكثير منهم لم يذكروا في أي مصدر آخر، وأوردت مقطوعات شعرية لبعضهم، وترجمت لبعضٍ منهم، وتفردت ببعض المعلومات التي لم ترد في أي مصدر آخر، كما أظهرت معلوماتها تلك أهمية الشعر والخطب في الجانب الإعلامي والدعائي في ذلك الزمان. ومع ذلك فلم تشتمل السيرة في معلوماتها على أي تمييز طائفي أو مذهبي في المعاملة بين أتباع الهادي من الزيدية وبين غيرهم من المذاهب الأخرى، كما لم تتحدث مثلا عن فرض أذان معين أو طقس عبادي معين على حساب آخر، لا في صنعاء ولا في غيرها، وهذا يشير إلى نهج التسامح الذي مضى عليه الإمام الهادي مع بقية المذاهب الأخرى.

(١) الشرفي: اللآلي المضية، ج ١، ص ٤٥٠.

(٢) الشرفي: اللآلي المضية، ج ١، ص ٤٥٣.

في الجانب الاجتماعي أوردت السيرة معلومات غزيرة جدا، فقد حفلت بذكر القبائل الكبرى في اليمن وبعض فروعها، وعددت تجمعاتها الحضرية بطريقة عرضية، تتوافق بشكل كامل مع ما أورده الهمداني في صفة جزيرة العرب والإكليل، وقد تمّ التعريف بتلك التجمعات الحضرية من خلال الهمداني، كما ذكرت السيرة علاقات القبائل بالهادي واختلافات بعضها معه، واختلافاتها مع بعضها قبل وأثناء مجيء الهادي، وقدمت معلومات هامة عن فئات اجتماعية أخرى، مثل أهل الذمة من اليهود والنصارى وعلاقة الهادي بهم، وحسن تعامله معهم، وصلحه معهم في نجران وغيرها، ودور العبيد في الحياة العامة، بل وحتى في الحياة العسكرية، وعن المرأة التي استطاعت أن تتنزع حقها في حكومته، وقدمت معلومات عن أصناف السكان، ومشاكلهم، وانحرافاتهم، ومخالفاتهم للشريعة الإسلامية، وكيفية تعامل الدولة معهم، وغير ذلك.

وفي الجانب الاقتصادي قدمت السيرة معلومات دقيقة وكثيرة عن النشاطات الاقتصادية التي كان يقوم بها اليمنيون في صنعاء وصعدة ونجران وغيرها، واعتمادهم بشكل واسع على الزراعة، وكذلك تحدثت عن التجارة والتجار، وكيفية استيفاء الزكاة منها، والموارد الاقتصادية لدولة الهادي كالزكاة والجزية، ورؤية الهادي للزكاة، ومنعه تملك الذميين أراضي بالشراء من المسلمين إلا على دفع التسع، حتى لا تضيق حقوق المسلمين واقتصادهم الإسلامي منها، وعن وضعية الأسعار لبعض السلع، واعتماد المزارعين على المطر وعلى السقي، ومعاناتهم من الجذب والشدة في بعض السنين، والضرائب والقبالات وغير ذلك.

وفي الجانب الإداري نستطيع أن نكون ملمحا عاما عن طريقة الإدارة لدى الهادي وولاته، والوحدات الإدارية (المخالف)، والجهاز الإداري التابع له، وتعليماته التي

كان يصدرها لكل وال، وطريقة الإدارة والحباية للزكوات، والدور التعليمي والإرشادي والتعبوي للوالي، والإحصائيات التي كان يأمر الهادي بتنفيذها لبعض فئات المجتمع كالفقراء، وتوزيع ربع الزكاة محليا، ورفع ثلاثة أرباعها إلى العاصمة المركزية، وإعانة الدولة للفقراء والمحتاجين والأيتام والمساكين، وإطعامهم وكسوتهم، وطريقة حبس المحبوسين، وتعليمهم داخل السجن، وحسن التعامل معهم، وفتح الحكومة لأبوابها في جميع الأوقات أمام المشتكين، ونصب القضاة وتعيين موظفي تحصيل الزكاة بترشيح المواطنين أنفسهم لهم، وكفاية العمال من الزكاة وإخراج مؤنهم، وصرف الزكاة في إعتاق الرقاب وفي الجهاد في سبيل الله، وغير ذلك، وأوردت كثيرا من الوثائق الهامة التي تكشف بالأصالة عن الحياة الإدارية.

أما أكثر المعلومات وفرة فهي عن تحركات الهادي العسكرية وحروبه مع القوى السياسية والاجتماعية، وكانت معلومات مفصلة ودقيقة وثرية، ونقلت مشهدا حيا من الواقع السياسي والعسكري الذي كان عليه الهادي وخصومه، كما أوردت معلومات عسكرية حول التكتيك العسكري للهادي وخصومه، ووصف المعارك، وأثر طبوغرافية المعارك على نتائجها، وعن إقامة الهادي الدورات العسكرية يعلم فيها أصحابه "كيف يطعن بالرمح، وكيف يضرب بالسيف"، وأنواع السلاح، والخيال، وطريقة تحشيد المقاتلين، وعن صناعة بعض الأسلحة، ودور الهادي في بسط الأمن.

تمتاز كل تلك المعلومات التي أوردتها السيرة بالمصداقية والدقة والأصالة، ومع ذلك فقد وقعت بعض الأخطاء في بعض التواريخ التي لم يعاصرها المؤلف؛ فعلى سبيل المثال تحديدها قتل أهل مصر أميرهم بسنة "ثمانين وميتين"^(١)، وقيام

(١) العلوي: السيرة، ل ٨ / أ.

الثائر يحيى بن عمر العلوي "سنة تسع وخمسين وميتين"^(١)، كما سيأتي توضيح ذلك في النص المحقق.

جدير بالذكر أن ما نقله المؤرخون اللاحقون عن السيرة يتطابق مع ما ورد فيها، ما عدا رواية أوردها علي بن بلال في تنمة المصاييح^(٢)، وقال في مقدمتها: "ذكر العباسي في كتابه"، بيد أن الإمام أبا طالب الهاروني أورد تلك الرواية مختصرة في الإفادة^(٣)، ثم أوردها كل من الشهيد المحلي في الحقائق الوردية^(٤)، والزحيف في مآثر الأبرار^(٥)، ولكنهم لم يسندوها إلى كتاب السيرة للعباسي العلوي؛ وهو أمر يشير إلى أنه اختلط على علي بن بلال في هذه الرواية، ولعلها كانت في آخر نسخته التي اعتمد عليها، فتوهمها من العباسي.

وتبين أهمية هذه السيرة والمعلومات التي وردت فيها من حيث:

- كونها أقدم نصّ تاريخي مدوّن عُثِرَ عليه في تاريخ اليمن الإسلامي ويغطي فترة من أهم فترات تاريخ اليمن الإسلامي.

- تكاد أن تكون المصدر الوحيد لكثير من المعلومات التي اشتملتها والقصائد الشعرية والوثائق الرسمية التي تضمنتها وتراجم كثير من الأعلام الذين وردوا فيها.

- كون معلوماتها أصيلة فهي إما بالمشاهدة والملاحظة المباشرة من المؤلف، أو رواها بدرجة أو درجتين عمن لاحظ أو شاهد ودوّن أو روى، ولهذا فهي تحمل

(١) العلوي: السيرة، ل٨ / أ.

(٢) ص ٥٩٠ - ٥٩٢.

(٣) ص ١٣٠.

(٤) ج ٢، ص ٨٢ - ٨٥.

(٥) ج ٢، ص ٦٣٦ - ٦٣٩.

طابعا وثائقيا أصيلا.

- قدمت معلومات أصيلة في مختلف الجوانب الحضارية الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والحضرية.

- تضمنت معلومات دقيقة جمعها المؤلف عن طريق استخباراته، كشفت المواقف الحقيقية لبعض الشخصيات، والإحصائيات الدقيقة عن الخصوم، وقدرة وممارسة الدولة على تجنيد رجال في صفوف أعدائها ينقلون لهم أخبارهم.

- تعتبر مصدرا أصيلا مكملًا لما ورد لدى الهمداني من معلومات اجتماعية وسياسية وثقافية واقتصادية عن اليمن، فكلما ذكرته السيرة من تجمعات حضرية واجتماعية يتطابق تماما مع ما ذكره الهمداني في كتبه.

- تشكل السيرة مقياسا لما قد يظهر من مخالفات للهادي ممن جاء بعده من الحكام، وهي بذلك تُمكن من معالجة بعض الأخطاء التاريخية بما تمثله سيرة الهادي من سلطة روحية على اليمنيين وحكامهم.

- وإذا كان الهادي قد أثر بفكره ومنهجيته وسيرته على من جاء بعده من الأئمة، وقد حاولوا الاقتداء به، فإن سيرته أيضا أثرت على المؤرخين الذين صاحبوا أولئك الأئمة، وصارت مفتاحا لسلسلة من سير الأئمة المتعاقبين، أينما وجد مؤرخ يضطلع بمهمة التوثيق والتدوين، فقد فتحت سيرة الهادي باب كتابة سير الأئمة الذين أتوا بعده، ومنها سيرة ولديه الإمام المرتضى محمد بن الهادي، وأخيه الإمام الناصر أحمد التي كتبها المؤرخ عبد الله بن عمر الهمداني (ق ٤ هـ)^(١)، ثم سيرة الإمام القاسم بن علي العياني (ت ٣٩٣ هـ / ١٠٠٢ م) والتي كتبها المؤرخ

(١) هي شبه مفقودة. ينظر الحبشي: مصادر الفكر الإسلامي، ص ٤٧٣.

الحسين بن علي بن يعقوب (ق ٤هـ)^(١)، واستمر هذا الباب مفتوحا وصولا إلى التاريخ الحديث مع عددٍ من المؤلفين الذين كتبوا حول سيرة الإمام يحيى حميد الدين (ت ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م)، ومنهم القاضي عبد الكريم بن محمد مطهر (ت ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٦م)^(٢)، والمؤرخ حسن بن أحمد الإرياني (ت ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م) الذي كتب (الروض البسام في سيرة المولى سيف الإسلام أحمد بن أمير المؤمنين يحيى الإمام)^(٣).

٧- وصف نسخ المخطوط

أول مهمة قابلت الباحث هي تحصيل النسخ الخطية اللازمة للمخطوط، وبعون الله حصلت على ١٠ نسخ خطية، وتم دراسة تلك النسخ من خلال الأخطاء المشتركة بينها، فتمَّ إلغاء أربع نسخ منها، وهي التي كنت قد سمَّيتها (م ي ح س)^(٤)، بسبب تأخرها زمنيا، واتضح أنها كانت تنقل عن نسخ أخرى سابقة،

(١) الحبشي: مصادر الفكر الإسلامي، ص ٤٧٤.

(٢) له كتاب (كتيبة الحكمة في سيرة إمام الأمة) طبع بتحقيق الدكتور محمد عيسى صالحية - رحمه الله -.

(٣) حققه الطالب محمد محمد ناشر مالك لنيل درجة الماجستير، كلية الآداب، جامعة صنعاء، بتاريخ ٢٠١٦م.

(٤) النسخة (م) ترمز إلى (المتوكل)، حيث مكان وجودها وهم ورثة السيد العلامة عبد الملك بن عبد الكريم المتوكل، نائب الإمام في لواء حجة، وقد كتبت بعنايته، بخط عبد القادر بن عبد الله بن أحمد أبو طالب، وفرغ من نسختها في ٢٩ شوال ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م، وتم مراجعتها من قبل بعض المعتقلين في قاهرة حجة آنذاك، وهم العلامة محمد بن أحمد السياغي، والعلامة أحمد بن عبد الرحمن محبوب، والعلامة عبد الرحمن يحيى الإرياني (رئيس الجمهورية الراحل) على أم كثيرة الأخطاء. والنسخة (ي) نسبة إلى كاتبها العلامة يحيى بن محمد عباس، كتبها في عام ١٣٧٧هـ وقد تم تصحيحها على أم بتاريخ ١٣٨١هـ.

والنسخ (ح) ترمز إلى (الحمزي)، وهو السيد العلامة محمد بن زيد الحمزي، الذي نسخت بعنايته بتاريخ ١٣٠٤هـ بخط السيد حسين بن محمد بن علي الماوري.

والنسخة (س)، وهي موجودة على شبكة النت، في مكتبة المصطفى الإلكترونية وغيرها، وربما

وتكرّر نفس أخطائها مع إضافة أخطاءٍ أخرى. وقد أبقيت على ست نسخٍ خطية بالإضافة إلى النسخة المطبوعة التي نشرها الدكتور سهيل زكار - رحمه الله -.

بحسب تكرار الأخطاء المشتركة بين النسخ والتوافق بينها في إيراد بعض الكلمات فإنه يمكن تصنيف النسخ المعتمدة إلى مجموعتين، المجموعة الأولى: هي النسخة (الأصل) ونسخة (ذ)، والمجموعة الثانية: هي (ص) و(ز) و(ط) و(ب)، ومع ذلك فكلُّ نسخة من نسخ هاتين المجموعتين كانت تنفرد ببعض الأخطاء أو العبارات المختلفة عن بقية النسخ في المجموعة الواحدة، وكانت أيضاً تنفرد ببعض العبارات الصحيحة التي جعلتنا نضنُّ بها عن الإلغاء؛ الأمر الذي يعني أن كلا منها قد نُسخَ عن أصلٍ لم نحصل عليه؛ ولهذا تم إبقاء جميع النسخ. وهذه معلوماتُ كلِّ نسخةٍ على حدة.

١- النسخة الأصل: وهي نسخة موقوفة على جامع شاهرة، وصوّرت في مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية في صنعاء، وبلغت ١٤٧ لُقطة، كلُّ لقطة تشتمل على صفحتين، في كل صفحة ٢٢ سطراً، كُتِبَتْ بخطٍّ واحد، وهي ليست أقدم النسخ، ولكنها أصحُّها متناً، وأقلُّها تصحيفاً وتحريفاً، وأندرُها أخطاءً إملائية ونحوية، كما أنها قليلة السقط؛ ومن أجل هذا جعلتها أصلاً، وهي بخط الفقيه حسين بن محمد الغرباني الأميري، فرغ من زبرها يوم الأربعاء ٢٣ ربيع الأول ١٠٦٩م، برسم القاضي الفاضل العالم صارم الدين إبراهيم بن الحسن بن سعيد بن محمد العيزري. ورُقِمَ فيها أنه تمَّ مقابلتها من القاضي العيزري على الأم في شهر جمادى الآخرة سنة ١٠٦٩هـ بمحروس مدينة صوران آنس، كما يظهر في هامش الصفحة الأخيرة أنه تم مطالعة الكتاب كاملاً من قبل عامر بن عبد الله بن

كُتِبَتْ في القرن الثاني عشر الهجري، وهي ناقصة من الأول والآخر أيضاً.

عامر بن علي الهادي، أما في أولها فيظهر عنوان الكتاب كالتالي: (كتاب سيرة إمام الهدى والصدق أمير المؤمنين الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين ... رواية الشيخ العلامة جمال الدين وزين الشيعة المحققين محمد بن سليمان الكوفي ... ورواية السيد الجليل الأطهر جمال الدين علي بن محمد بن عبيد الله بن عبد الله بن عبيد الله بن الحسن بن عبيد الله بن أبي الفضل، قمر أهل البيت العباس، الشهيد بكر بلاء، ... إلخ). ويظهر إلى جانب العنوان في الهامش وقفية محرّرة بتاريخ ١٠٧١ هـ من القاضي إبراهيم العيزري للكتاب على مَنْ طلب العلم من أولاده. وقد أضيفت فيها بعد انتهاء السيرة قصيدتان إحداهما للإمام الهادي والأخرى لابنه المرتضى.

٢- نسخة (ص)، وسميتها كذلك لأنها نُسخَتْ في عهد المنصور بالله عبد الله بن حمزة (ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م)، وقوبِلَتْ في مسجده بظفار الظاهر (مديرية ذي بين - عمران)، وهي أقدم النسخ، حيث ورد في آخر صفحة فيها أنها كُتِبَتْ في يوم الثلاثاء مُنْسَلَخَ ربيع الآخر سنة ٦١٠ هـ، ووقع في أسفلها أيضاً أنه تم مقابلتها على نسخة صحيحة "بالمسجد (أو المشهد) المقدّس، مشهد أمير المؤمنين عبد الله بن حمزة، في ١٠ ذي القعدة سنة ٦٣٨ هـ"، وأنها قد نُسخَتْ "للأمير الأجلّ الأوحّد المكين نظام الدين نصير أمير المؤمنين الفضل بن علي بن مظفر العباسي العلوي". وهذا الأمير العباسي العلوي، هو من ذرية المؤلف نفسه، وهو أحد قادة الإمام عبد الله بن حمزة، وفرسانه، وكان عالماً مناظراً^(١)، ولعله أراد التعرف على ما كتبه جده من سيرة الهادي. ووقع في أول المخطوط عنوان الكتاب هكذا: "كتاب فيه سيرة الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين

(١) ابن دعثم، فاضل بن عباس، أبو فراس (ق ٧ هـ): السيرة المنصورية، تح: عبدالغني عبدالعاطي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط ١، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م، مج ٢، ص ٥٩٧، ٦٣٨، ٨٢٥.

وأبنائه الأكرمين رواية محمد بن سليمان الكوفي، وعلي بن محمد العباسي المقبور بخيوان رحمه الله". وقد حَصَلَتْ على صورة هذا المخطوط من دار المخطوطات اليمنية برقم (٢٥٣٢)، وتقع في ١٧٠ لقطه، في كل لقطه صفحتان، في كل صفحة ٢٣ أو ٢٤ سطرا. وكان يفترض أن تكون هذه النسخة هي الأصل لقدمها، لولا أنها مليئة بالأخطاء، وتصحيف العبارات، ومخالفة القواعد النحوية والإملائية، ومع ذلك فقد تمَّ اعتمادها رديفة للأصل، وكنت أرجع إليها في إثبات السقط الذي وقع في النسخ المتأخرة عنها زمنيا. واللافت أن ناسخها - في ما يبدو - لم يكن من الزيدية؛ إذ كان يرسم الصلاة على النبي ﷺ ببراء بدون ذكر أهل بيته.

٣- نسخة (ز)، وحصلت على صورتها من مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، ثم حصلت عليها من ورثة السيد العلامة يحيى بن علي الذارحي رحمه الله، وفي أولها تملك له بتاريخ ربيع أول سنة ١٣٥٧ هـ، وأوراقها صناعة عربية قديمة يدوية، ليس عليها خطوط الصنع، وهي مصقولة بحجر خاص، والحبر الذي كُتِبَتْ به حبر حديدي، وذلك يشير إلى أنها تعود إلى القرن السابع الهجري وما قبله^(١)، لكن قد تعرَّض أولها حتى لقطه (٢٢ / أ) منها للضياع، وتم استعاضتها هي وآخر صفحة فيها بأوراق عثمانية، بتاريخ ١٠ ربيع الأول، لعله في عصر الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم (ت ١٠٨٧ هـ / ١٦٧٦ م)، ونُسِخَتْ هذه الأوراق المستعاضة عن نسخة للسيد العلامة الأمير محمد بن الحسن بن القاسم (ت ١٠٧٩ هـ / ١٦٦٨ م). ويظهر في أولها - ضمن الأوراق المضافة - العنوان التالي: (سيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن

(١) كما أفاد بذلك خير المخطوطات الأستاذ أحمد مسعود المفلحي بتاريخ ٢٩ يوليو ٢٠١٩ م، وتم تحرير ورقة رسمية بهذه الإفادة من دار المخطوطات التي يعمل فيها أميناً عاماً مساعداً لشؤون الترميم والصيانة.

إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم، جمعها محمد بن سليمان الكوفي رحمه الله). وتقع في ١٤١ ورقة، في كل ورقة صفحتان، في كل صفحة ٢١ سطرا، لكن وقع فيها سقط في عدد قليل من المواضع، ووقع فيها إقحام في موضع واحد لما ليس من السيرة، وقد تمت الإشارة إلى ذلك في النصّ المحقق؛ ولأجل هذا لم تتأهل هذه النسخة لأن تكون هي الأصل أيضا.

٤- النسخة (ط)، وقد حصلت عليها من دار المخطوطات برقم (٢٥٧٥)، ورمزت لها بـ(ط) اشتقاقا من كنية مالكها الأمير أبي طالب أحمد بن الإمام القاسم بن محمد، حيث نُسخَت بتاريخ ١٠ رجب سنة ١٠١٧ هـ، برسم "الشيخ المقام الماجد جمال الدين المجاهد في سبيل رب العالمين علي بن وهان بن صلاح"، وانتقلت إلى ملك الأمير أبي طالب أحمد بن القاسم بتاريخ ربيع الآخر سنة ١٠٣٠ هـ. وقد أضيفت عقب انتهاء السيرة قصيدة الهادي البائية، ثم قصيدة أخرى ميمية، ثم قصيدة للمرتضى، ثم ترجمة الهادي والمرضى والناصر من الحقائق الوردية. ويظهر في أولها العنوان التالي: (هذه سيرة إمام اليمن محيي الفريض والسنن يحيى بن الحسين... إلى آخر نسبه). وتقع في ٢١٦ لقطة، في كل لقطة صفحتان، في كل صفحة ١٧ سطرا، وكتبت بخط نسخي جميل، ولكنها كثيرة السقط.

٥- النسخة (ب)، حصلت عليها من دار المخطوطات برقم (٢٦٨١)، وقد كتبت في الثلاثاء ١٦ ربيع الأول سنة ١٠٦٤ هـ، واستنسخها لنفسه السيد العلامة عبد الله بن الإمام القاسم بن محمد، وهي تشبه نسخة (ط)، حتى في ما أضيف عقب السيرة، لكنها قد تختلف عنها في بعض العبارات؛ الأمر الذي يدل على أنها نقلت عن غير أصل (ط)، ولهذا تم إبقاؤها. وجاء في أولها: (هذا كتاب سيرة الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين... رواية الشيخ العلامة جمال الدين، ورئيس

الشيعة المحققين، محمد بن سليمان الكوفي،... ورواية علي بن محمد العباسي المعروف من أولاد العباس بن علي بن أبي طالب، على ما هو مذكور في هذه السيرة، وهو مقبور بخيوان...). ووقع فيها هي الأخرى سقطاً في عدد من المواضع.

٦- النسخة (ذ)، وسميت كذلك نسبة إلى مالکها الذي نُسخَتْ برسمه، وهو القاضي العلامة محمد بن عبد الهادي ذعفان، وهي نسخة حصلتُ عليها من مكتبة علي أميری في إسطنبول تعود للقرن التاسع الهجري، وقد تفاجأت أنها ذاتُ النسخة التي اعتمد عليها الدكتور سهيل زكار في نشره للكتاب، وقد نسختُ يومَ الأربعاء ٢٣ جمادى الأولى سنة ١٠٨٦ هـ، وقُوبِلَتْ يومَ الثلاثاء لعله سلخ شهر محرم سنة ١٠٩٧ هـ. وتقع في ٥٩ لقطة، كل لقطة اشتملت على صفحتين، في كل صفحة ٣٥ سطرا، وكتبَتْ بخطّ نسخي جيد، وهي تشبه الأصل ولكنها قد تختلف عنها في بعض العبارات، ولهذا تمَّ الإبقاء عليها.

٧- نسخة (مط)، وهي النسخة المطبوعة التي نشرها الدكتور سهيل زكار، فقد تمّ مقابلتها ضمن النسخ، والتنبيه في هامش النص المحقق على ما وقع فيها من سقط، حيث وقع في ١٧ موضعا منها، كما أنها حفلت بمئات الأخطاء من التصحيف وسوء القراءة، وقد كنت أثبت بعضا من تلك الأخطاء في هامش النص المحقق، ثم بدا لي حذفها تخفيفا على الهامش من الإثقال بما لا فائدة فيه.

٨- منهج التحقيق

اتبع الباحث في تحقيق هذا المخطوط قواعد وأصول منهج التحقيق، وعلى النحو التالي:

أولا: تمَّ التوثُّق من اسم المخطوط، حيث تجمع المصادر على أنه (سيرة الإمام

الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين)، وإن اختلفت النسخ في ما بينها في إضافة بعض الألقاب والأسماء أو حذفها، كما تم التوثق من المؤلف، واسمه، وتوثيق نسبة المخطوط إليه، وقد مرّ ذلك في هذا الفصل.

ثانياً: تمّ جمع النسخ الخطية ومقارنتها ببعضها، ومن خلال دراستها تبين وجود نسختين متميزتين، إحداهما متقدمة زمنياً، كتبت في بداية القرن السابع الهجري، واحتفظت بجمل وعبارات سقطت في النسخ المتأخرة، وهناك نسخة أخرى متأخرة زمنياً، حيث كُتِبَتْ في القرن الحادي عشر الهجري، لكنها أصحّ متنًا، وأقلّ تحريفًا وتصحيفًا، وأندر أخطاءً إملائية ونحوية، فتمّ اعتماد هذه النسخة المتأخرة أصلاً، على أن تكون النسخة المتقدمة رديفة لها. وقد تم اعتماد أرقام صفحات الأصل، ووُضِعَتْ بين شرطتين هكذا: / ٣٤-أ/، / ٣٤-ب/، إلى آخرها.

ثالثاً: إثبات النصّ كما أراده المؤلف؛ ولهذا فقد تم مقابلة النسخ، فأُثْبِتَ ما ورد في الأصل في المتن، وما خالفه أُثْبِتَ في الهامش، اللهم إلا إذا ورد في النسخ الأخرى أو في بعضها ما هو أقرب لروح النص أو للسياق، أو أقوم عبارة ممّا في الأصل، أو ترجّح للباحث أنه هو الأصح، فقد تمّ إثباته في المتن، وإثبات ما ورد في الأصل في الحاشية مع ذكر التعليل بشكل مختصر، كما تم استدراك ما سقط في الأصل وورد في النسخ الأخرى بإثباته والتنبيه عليه، وتم أيضاً حذف أخطاء النسخ الأخرى من غير الأصل من تصحيف وتحريف وسقط، ولم يتم الإشارة إليه؛ لكي لا نثقل الهامش بما لا جدوى منه.

رابعاً: وقف الباحث كثيراً عند العبارات المشككة، وساعده تعدّد النسخ على تقويم الكلمات التي وقع فيها تحريف أو تصحيف أو خطأ، وتم التنبيه على ذلك في الهامش، وقد تم ضبط كثير من العبارات ضبطاً لغوياً ونحوياً يساعد القارئ

على فهم المعنى وقراءته صحيحا.

خامسا: في هذه النسخة من النشر تجاوز الباحث كثيرا من الأخطاء الإملائية الشائعة، التي تكررَتْ في الأصل والنسخ، مثل كتابة الألف الممدودة بالمقصورة، أو حذف الهمزة بعد الألف الممدودة، أو قلب التاء المربوطة إلى تاء مفتوحة، أو العكس، وما شاكل ذلك، وتم تصحيح ذلك بحسب قواعد الإملاء المتعارف عليها، وكان قد تم إثباتها في نسخة المناقشة قبل ذلك.

سادسا: دَرَجَتْ جميع النسخ على تسهيل الهمزة في مثل (مائلا، قبائل، كبائر، مئة) إلى ياء، فتكتبها: (مايلا، قبايل، كباير، مية)، وفي بعض الأحيان يكون التسهيل بحذف الهمزة تماما، مثل (وألجوهـم) أي: ألجأوهم، والتسهيل بالاستبدال أو الحذف أمرٌ معروف في اللغة العربية، ذكرْته كُتُبُ الصرف وغيرها^(١)، ولا يزال اليمينيون يستعملون هذا التسهيل في كلامهم إلى يومنا هذا؛ ولهذا تم الإبقاء على ما ورد في المخطوط كما هو؛ لعدم مخالفته اللغة العربية، كما قد يظن كثير من الباحثين.

سابعا: لم يُعَنَّوَنِ المؤلفُ لكثيرٍ من موضوعات كتابه، إلا بنحوٍ قليل لا يعكس مضمون الكتاب وموضوعاته، ولهذا فقد تمَّ وضع عناوين بين معقوفين، تساعد على فهم الأحداث، وتحافظ على التسلسل الزمني لها.

ثامنا: تم تقطيع النص إلى فقراتٍ وجُمَلٍ، وأضيفَتْ على النص علاماتُ الترقيم المعروفة، كالفواصل، والنقاط، وعلامات الاستفهام، وغير ذلك.

تاسعا: خَرَّجْتُ الآيات، وضبطْتُها بالشكل كما وردت في القرآن الكريم،

(١) ينظر الفيومي، أحمد بن محمد، أبو العباس (ت نحو ٧٧٠هـ): المصباح الكبير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، ج ١، ص ١٠٠.

وأشْرْتُ إلى اسم السورة ورقم الآية، وتمَّ تخريج معظم الأحاديث والآثار التي وردت في المخطوط.

عاشرا: تَرَجَّمْتُ للأعلام في أول ورودها، ونَبَّهْتُ بشأن الأعلام الشخصية والمكانية التي وردت في الدراسة والنص المحقق معا، إلى التعريف بها في قسم النص المحقق؛ حيث هو أثر بالتعريف بها من قسم الدراسة، وقد كان من الصعب جدا أو المتعذر ترجمة أعلام وردت في القرن الثالث الهجري، ولكن حاولت قدر الإمكان التعريف بمن تيسَّر منهم، ونَبَّهْتُ على من لم تسعفني المعلومات في ترجمتهم - بعد البحث المضني - بالقول بأنني لم أعرف عنهم أكثر مما ورد في المخطوط، حيث يعتبر المخطوط هو المصدر الوحيد للتعريف بكثير منهم.

حادي عشر: تم التعريف بالقبائل والأماكن بالاستعانة بعدد من الكتب، ولا سيما تلك المعاصرة للمخطوط، وأهمها كُتِبُ لسان اليمَن الهمداني، الإكليل، وصفة جزيرة العرب، وحرصت على التعريف بالأماكن من خلال التعريف بها جغرافيا واجتماعيا آنذاك مع التنويه بوضعيتها الإدارية الحالية، وهل لا زالت عامرة أم مندثرة.

ثاني عشر: شَرَحْتُ كثيرا من العبارات غير المشهورة وغير المتداولة، ولا سيما التي وردت في الشعر من خلال معاجم اللغة المشهورة، وشرحتها أول ورودها، ولم أكرر الشرح عند تكررها.

ثالث عشر: صَمَّمْتُ مجموعة خرائط لليمن وضعتها في الملحقات، أسقطْتُ عليها أبرز المدن والقرى والتجمعات الحضرية التي وردت في المخطوط؛ لتسهيل عملية استيعاب الأحداث التي وردت فيه ومتابعتها.

رابع عشر: صَنَعْتُ فهرس وكشافات للأحاديث والآثار، والأعلام والأماكن

والقبائل والجماعات والفرق، والأشعار ووضعتها في الملحقات، لتسهيل عملية الرجوع والاستفادة من المخطوط.

أخيراً أرجو أن أكون قد وفّقتُ في عملية إخراج هذا النص كما أرادته مؤلفه، وأن ينفع الله به القارئ والباحثين ومن يعينهم أمر هذا البلد وتراثه، والله الموفق إلى الصواب، والهادي إلى سواء الصراط.





نسخ (ص): الصفحة الأولى



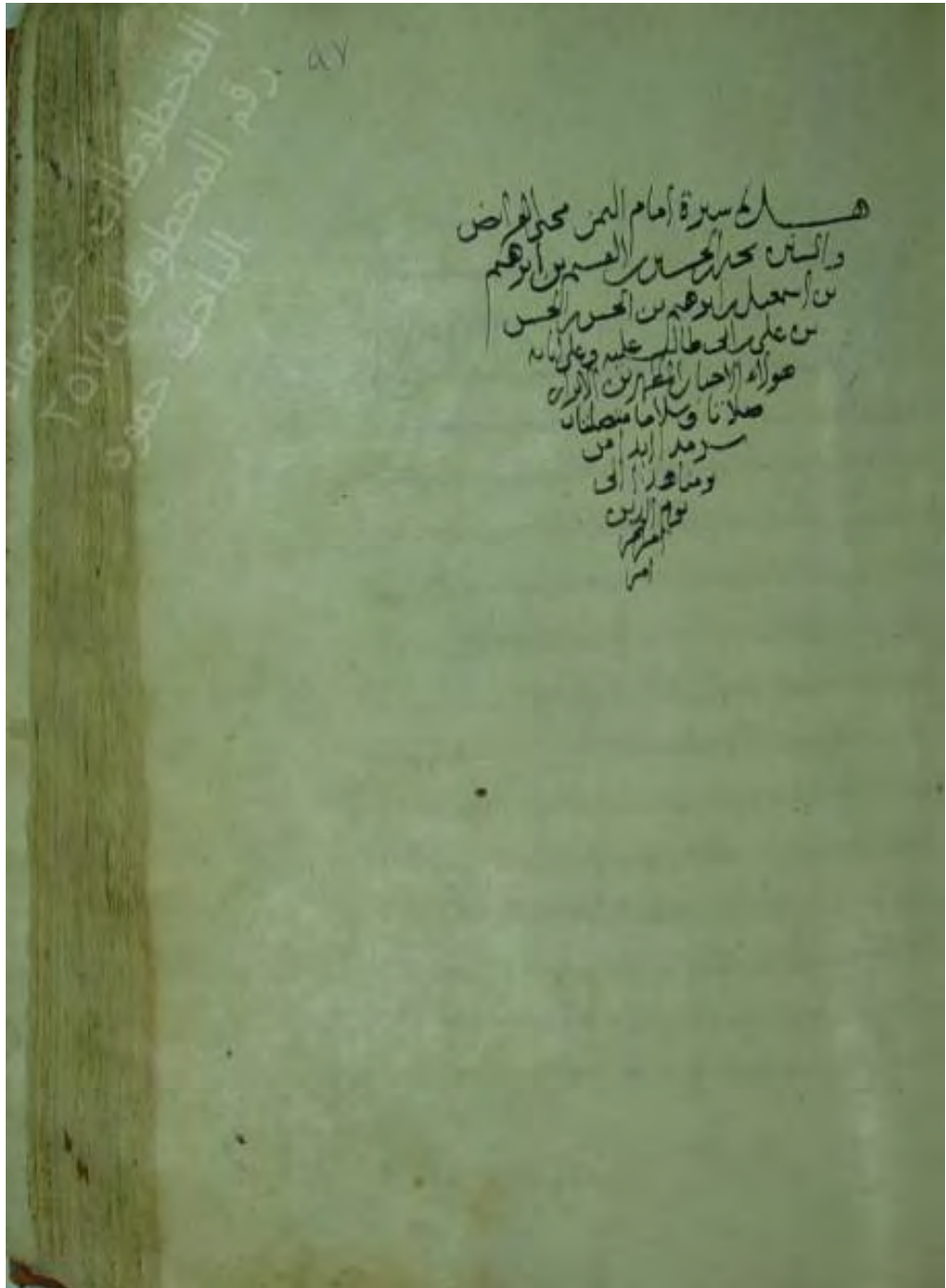
نسخة (ص): الصفحة الأخيرة



نسخة (ز): الصفحة الأولى



نسخة (ز): الصفحتان الأخيرتان



نسخة (ط): الصفحة الأولى



نسخة (ط): الصفحة الأخيرة

C 47

ورفع بعلاف فبنت القصور من احمد حتى اذا كان في شهر ربيع الآخر
استنفض الاكلبيون ابني الضحاك فخرج معهم يوم السبت ثمانيا ليلال حتى
في هذا الشهر فوصل بعلاف وكاتب بنو سعد ثم بعض بخاريه الذين
وقبل منهم رجل من بنو سحر فخرية وارجب سعد على المقسم فخرج معهم
وصاروا حتى نزلوا الى الغنبل ولوفه والبصر فابني الضحاك فوصل
يوم السبت لثلاثين باقيني من هذا الشهر وعاد الاكلبيون الى بعلاف
فاما ما جرى في الغنبل ولم يعد اليه احد من التجار ومضى القسم الى غنبل
حاجلا فاستصبرنا في عمر والنخاقي وبوادع فخرج معه منهم الف
رجل وحمائم وقمانه واكب ولعبه سعد كلها ودخل البلد وارضف
اخرى حتى الى بعلاف يوم الجمعة الاخرى عشرين يوما باقيني من جمادى
الاخرة من هذا السنف ففدا ما كان من اخبارهم وناهي من الرواة
الغاريين بآدابهم فحمد الله الصالحين من عبادهم وصلى الله على الامامة
الطاهرين المصطفين لدلادهم والمجاهدين في طاعته والمساكين الى
مرضاة

وَصَلَوَاتِي عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى

واقول الفراغ غرضه صلى يوم الدين الجبار كساد من منقذ
سهر ربح الاول عامه ربحه وسكنه والعصبة على صاهها
افضل الصلاة والامم وذكرها السبح كرسد محمدا لاه عبد من المؤمنين



الباب الثاني

النص المحقق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١)

(أستخير الله تعالى في كل أموري بخيرته، وأستعينه على طاعته) (٢).

ولاية الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين - ﷺ -

[مُلَخَّص لبعض أعمال الهادي إلى الحق في اليمن بعد وصوله حتى عام ٢٨٨هـ]

وكان الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، عليه وعلى آله (٣) الطاهرين، وذريته الطيبين السلام، قد استُدْعِيَ من الرّسّ، وخرَجَ إليه الفُطَيْمِيُّونَ (٤) واليزْـمِيُّونَ وغيرُهم، فصار إلى صعدة (٥)، وإلى نجران، ومخالف (٦) خولان، يدعو الناس إلى كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، -مُقيماً

(١) في (ط): بسم الله الرحمن الرحيم، رب يسر وأعن. وفي (ب): بسم الله الرحمن الرحيم، وبالله التوفيق.

(٢) سقط ما بين القوسين من (ط).

(٣) في (ص): وعلى آبائه.

(٤) في (الأصل ذ): الفطيمويون. وفي (ب): الفاطميون. وما أُثْبِتَ فمن (ص ط).

(٥) صعدة: صعدة القديمة كانت في حضن جبل تلمص، جنوب غرب المدينة الحديثة، وكانت تسمى في الجاهلية جلع، وهي - بحسب الهمداني - "كورة بلد خولان"، وكان يقطنها في عهد الهادي الأكيليون واليرسميون، وأما الحديثة فقد نشأت حول مسجد الإمام الهادي وقبره منذ أواخر القرن الثالث الهجري، وهي تبعد عن صنعاء شمالاً ٢٤٢ كم، وتشكل إحدى محافظات اليمن الشمالية. العلوي: السيرة، ل ١٢ / أ، ١٣ / أ، ٥٦ / أ؛ والهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١١٦، ٢٢٤، ٢٣٧؛ والمقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ٢، ص ١١٠١؛ والسفياني، خالد أحمد صالح: تاريخ صعدة، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ط ١، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م، ج ١، ص ١٣.

(٦) مخالف جمع مخلاف، والمخلاف هو الوحدة الإدارية، التي قد تكون مقاطعة، أو إقليمًا، أو محافظة بمصطلح اليوم. وقد فسّرَها المؤلف في ما سيأتي بأنها عدد من القرى. ينظر العلوي: السيرة، ل ١٢ / ب؛ والعَمْرِي، حسين: مادة مخلاف، الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف الثقافية،

للحدود، وأمراً بالمعروف، ونأهياً عن المنكر، مُجَاهِداً في الله، صَابِراً على الضراء والبأساء^(١)، مُحْتَسِباً، يدعو إلى نفسه، وَيُحْطَبُ له في مَخَالِفِ نَجْرَانٍ وخولان.

وكان أبو العتاهية عبداً لله بن بشر يُكَاتِبُهُ، وَيَمُدُّهُ بالعساكر والأموال في تلك الحروب التي كان فيها طول مُدَّتِهِ، وكان محمد بن أحمد بن أبي عباد التميمي^(٢)، وأمية بن سدوس^(٣) بن شيبان^(٤) على ديوان أبي العتاهية، لا يُصْدِرُ أموره إلا من تحت أيديهما، ولا تُصَرِّمُ الأمور إلا عن رأيهما، فكان مائلاً إلى الهادي -عليه السلام-، ومذهبه؛ فاستدعى أبو العتاهية الهادي -عليه السلام-، وسأله النهوض إلى صنعاء.

فسار إليها^(٥) الهادي -عليه السلام- من صعدة في من أجابه من همدان، وخولان، وبني الحارث، وغيرهم، حتى صار إلى حدقان^(٦)، وأبو العتاهية في ذلك لا يُظْهِرُ ما بينه وبين الهادي -عليه السلام-، ولا يُبَيِّنُ شَيْئاً من أمره، فخرَجَ أبو العتاهية ولا يُعْلَمُ ما يريد حتى لقي الهادي -عليه السلام- بحدقان، فسَلَّمَ إليه ما كان في يده جميعاً، وباع

صنعاء، ط ٢، ٢٠٠٣ م، ج ٤، ص ٢٥٦٦.

(١) في (ص): على الضراء والسراء.

(٢) وزير وكاتب أبي العتاهية، وأحد رجلين كانا يقومان على رأس ديوانه، وكان له تأثيرٌ عليه، وهو أحد من حمله على الاتصال بالهادي، والموالاته له، والانتماء إليه، ثم صار من خواص الهادي، فولاه شبام، التي قُتِلَ ودُفِنَ فيها في جمادى الآخرة سنة ٢٨٨ هـ. ينظر العلوي: السيرة، ل ٤/ أ- ب؛ والطبري: تاريخ صنعاء، ص ٧٧.

(٣) في (ب): فيدوس.

(٤) لم أجد عنه أكثر مما ورد عنه في هذا الموضع من السيرة، ولكن يبدو من خلال النص أنه كان له تأثير كبير على أبي العتاهية. وتصحف في تاريخ صنعاء للطبري ص ٧٧ إلى: "وأمه من بني سدوس من شيبان".

(٥) في (ص ط ب): إليه.

(٦) حدقان: اعتبرها الهمداني ممراً وادي شرع، وأوَّلَ شق بكيل، وكان يسكنها بنو الحارث وهمدان، وهي اليوم خرائب وأطلال، تقع في مديرية بني الحارث شمال صنعاء. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٥٧، ٢١٧؛ والمقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، ج ١، ص ٤٤٢.

له هو ومن كان معه، ومن تحت يده من قواد اليمن ورجالها جميعاً.

وسار الهادي -عليه السلام- حتى دخل صنعاء ليلة الجمعة لإحدى وعشرين ليلة خلت من المحرم مدخل سنة ثمانين وثمانين وميتين، فدعا إلى الكتاب والسنة على ما ذكرنا، يُخطب له بالإمامة على المنابر، وأمر فكتب اسمه على النقذ والطراز^(١)، وولّى المخاليف، وجباية^(٢) الأعشار، والزكاة، والجزية، وولّى القضاء محمد بن أحمد بن زريق^(٣) الأعجم^(٤) مولى بني العباس، فحكّم بمذهبه.

ثم خرج الهادي -عليه السلام- إلى يَحْصَب^(٥)، ورُعَيْن^(٦)، وتلك المخاليف ليُصلحها.

(١) الطراز: النمط والشكل، والجيد من كل شيء، وما يُنسج من الثياب للسلطان. مصطفى، إبراهيم، وآخرون: المعجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة، نسخة إلكترونية، ترقيم آلي موافق للمطبوع، ج ٢، ص ٥٥٤.

(٢) في (ص ب): وجبي له.

(٣) في (الأصل): زريق. وفي (ص ب): مهمل. وأثبتت كما في (ط ذ)، وهو الأصح؛ لوروده كذلك في مصادر أخرى، ستأتي.

(٤) في الأصل وبعض النسخ: (الأعم). وفي (ب): الأعقم. وأثبتت كما في (ص ط). وهو الأصح؛ لوروده كذلك في مصادر أخرى. وهو محمد بن أحمد بن زريق بن منصور، الكاتب، والقاضي، وليّ قضاء صنعاء أولاً في عهد محمد بن يُعْفَر، ثم أقرّه الإمام الهادي عند دخوله عام ٢٨٨هـ، ووليه أيضاً في عهد السلطانين، أسعد بن أبي يُعْفَر وابن عمه عثمان بن أبي الخير، ولكن يبدو أنه جنح للخير في مرحلة الصراع بينهما، وكان هو الطرف الخاسر، ولعل ذلك أدّى إلى إقصائه من العمل القضائي. العلوي: السيرة (الملحق)، ل ١٣٦/ب؛ والطبري: تاريخ صنعاء، ص ٧٢، ٧٧، ٧٩؛ ويحيى بن الحسين، يحيى بن الحسين بن القاسم (١١٠هـ): أنباء الزمن في أخبار اليمن من سنة ٢٨٠هـ إلى سنة ٣٢٢ هجرية، تح: محمد عبدالله ماضي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص ٤٢.

(٥) يحصب: يحصب: نسبة إلى يحصب بن دهمان الحميري، وهي اسم قديم للمنطقة الممتدة من مدينة إب إلى مدينة معبر جهران، وهي قسمان، يحصب العلو، ويحصب السفلى. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٩٩ - ٢٠٠؛ والمقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ٣، ص ٢٢٦.

(٦) رعين: بطن من حير، وهو مخلاف واسع، يشمل خبان (الرضمة)، والشعر، وشطرا من بعدان، وبعض بلدان عنس. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٠٠ - ٢٠١؛ وهامشها للأكوع؛ والمقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ٢، ص ٨٧٠.

وقد كان ولّى ابنه أبا القاسم المرتضى لدين الله تعالى - ﷺ - شِبَامَ^(١) ومخاليقها، واستخلف أخاه عبد الله بن الحسين - ﷺ - على صنعاء، وخرج / ٤ - ب / حتى صار إلى جيشان^(٢)، ولقيّه أبو العشيرة بن الرويّة بسمعه وطاعته، وسار معه في وجهه ذلك.

ورجع الهادي - ﷺ - إلى صنعاء، فأقام بها أياماً، ثم صار إلى شِبَامَ، واستخلف على صنعاء ابن عمّه عليّ بن سليمان بن القاسم بن إبراهيم^(٣).

وقد كان أبو العتاهية سأل الهادي - ﷺ - أن يحبس آل يُعْفَرٍ، وآل طريف، فتواطيا على ذلك، وأمر الهادي بحبسهم، فمكثوا في الحبس، وكان أبو العتاهية وابن عباد في ذلك أخصّ الناس بالهادي - ﷺ -، وتصدّر الأمور عن رأيها ومشاورتهما.

ثم إن رجلاً من ولد أبي الخير بن يُعْفَرٍ^(٤) خرج من شِبَامَ، تبعه رجل^(٥) من

(١) شبام: كانت تسمى شبام أقيان، وتقع على سفح جبل ذخار (كوبان)، غربي مدينة صنعاء بمسافة ٤٢ كم، وكانت رأس مخلاف يسمى باسمها. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢١١ - ٢١٢؛ والمقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ٢، ص ١٠٣٠.

(٢) جيشان: مدينة وقاعدة مخلاف، تقع في أسفل جبل العود، وتبعد عن قطبة بنحو ٣٠ كم. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٠٠، ٢٠٢ - ٢٠٣؛ والمقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ١، ص ٣٨٧.

(٣) علي بن سليمان: من أعلام أهل بيت الهادي، لحق به، وولاه على صنعاء عام ٢٨٨ هـ، ثم وثب به غوغاء صنعاء، وأخرجه منها، ثم ما لبث أن قُتِل مع الهادي في حروبه ضد بني طريف في حدّين حول صنعاء، يوم الثلاثاء ٦ شوال ٢٨٨ هـ، هو وأبو العتاهية في يوم واحد. الهادي: المنتخب، ص ١٦، مقدمة الكوفي؛ والعلوي: السيرة، ل ٤ / ب، ٧٦ / أ، ٨٠ / أ - ب؛ والمرتضى: كتاب الغفلة، ج ٢، ص ٦٩٣ - ٦٩٤.

(٤) أبو الخير: هو أحمد بن يُعْفَر بن عبد الرحمن الحوالي، كان فاضلاً جواداً، ولي قبل أخيه محمد بن يُعْفَرٍ، فخلع نفسه من الإمارة، وتبرأ منها، ومن أبنائه أبو العباس الخير بن أحمد. ينظر الهمداني: الإكليل، ج ٢، ص ١٥١ - ١٥٢، وهامشه للأكوع.

(٥) في الأصل ومعظم النسخ: من شبام، ورجل. ولعل ما أثبت من (ص) هو الأولى.

همدان يقال له صعصعة بن جعفر، فصاروا^(١) إلى جانب بيت ذُخَار^(٢) مُخَالِفِينَ على الهادي -عليه السلام-، وظاهرهم على ذلك جُمَاع^(٣) من الناس؛ وذلك أنه قَبَضَ أيديهم عما لا يَجِبُ، وحرَّم عليهم شُرْبَ الخَمْرِ، والفَسَادَ، والمُنْكَرَاتِ، فخرَجُوا مُخَارِبِينَ ناقمين ذلك عليه.

وكان الهادي -عليه السلام- قد صَعَدَ جَبَلَ بيتِ ذُخَار، واستخلف على شِبابِ محمد بن عباد، فدخل المخالفون عليه شِباباً، فَقُتِلَ، وذلك في جمادى الآخرة من سنة ثمانين وثمانين ومِئَتَيْنِ، ونزل الهادي إلى الحق -عليه السلام- من الجبل، فطردهما ومنَّ معهما، وخرجا هارِبَيْنِ، ودخل الهادي إلى الحق -عليه السلام- شِباباً، ودفن ابن عباد^(٤).

ووثب جُمَاعٌ وغوغاءٌ من أهلِ صنعاء مع رجل خسيس دنيس^(٥) يقال له أحمد بن محفوظ^(٦)، فكسروا الحبس بصنعاء، وأخرجوا علي بن سليمان منها، واستولوا عليها عبدُ القاهر بن أحمد بن نعيم^(٧).

وسار الدُّعَام في جماعة من همدان، حتى صاروا إلى الهادي -عليه السلام-، وهو

(١) في (ذ): فصاروا.

(٢) ذُخَار: هو جبل كوكبان، المطل على شِبابِ أقيان من الجهة الغربية، وكان فيه حصنان، كوكبان من جانب، وشُرُوبٌ من الجانب الآخر. العلوي: السيرة، ل ٧٣ / ب، ١٣٦ / أ، ١٣٧ / أ، ١٣٩ / أ،

١٤٠ / أ؛ والهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٣٤، ٢٢٤، ٢٣٨، ٢٣٩، ٣١٢.

(٣) جُمَاع الناس: أخلاطهم من قبائل شتى. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ٧١٠.

(٤) في (ص ط ب): ابن أبي عباد.

(٥) في (ص ط): دنس.

(٦) لم أعرف عنه أكثر مما ورد هنا، ويبدو أنه كان أحد وجهاء صنعاء المؤثرين فيهم.

(٧) في الأصل وجميع النسخ: بن نعيم. ويترجح أنها تصحفت عن (يُغْفِر). وهو عبد القاهر بن

أحمد بن يُغْفِر بن عبد الرحمن الحوالي، قام بعد ابن عمه أبي يُغْفِر إبراهيم بن محمد، وقُتِلَ على يد قرامطة مسور في شِبابِ سنة ٢٩٨ هـ / ٩١٠ م. العلوي: السيرة، ل ٩٤ / أ، ١٣٩ / ب؛ والهمداني:

الإكليل، ج ٢، ص ١٥٢، ١٥٥.

بشِباء، فسألوا الدُّعَام^(١) وأبو العتاهية أن يقتل مَنْ في حبسه من بني طريف وغيرهم، فلم يُجِبْهُمُ الهادي -عليه السلام-، وقال: لم يَجِبْ لي ذلك، وهم في حبسي، فخلّاهم الهادي -عليه السلام-، وخرج من شِباء ومعه أبو العتاهية بن بشر، فصار إلى بيت زُود^(٢)، وأقام بها أيامًا؛ وذلك في جمادى الآخرة سنة ثمانين وثمانين وميتين.

ثم أتاه صعصعة بن جعفر ومعه من أهل قُدَم وغيرهم، فحاربوه برِيْدَة، فهزَمَهُمْ، وقتلَ منهم خَلْقًا عَظِيمًا، وخَرَّبَ -لِلَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ- قَصْرَ رِيْدَة^(٣) في آخر جمادى الآخرة في هذه السنة، ونَجَّهَزَ إلى صنعاء في جيوشٍ كثيرةٍ من خولان وهمدان يريد صنعاء، فلقيه إبراهيم بن خَلَف بن طريف في الرَّحْبَة في عساكرٍ كثيفةٍ.

وكان بصنعاء إذ ذاك عبدُ الحَكِيم بن أحمد بن يُعْفَر^(٤) مُقيمًا، فاقتتلوا في الرَّحْبَة، فظَفَرَ بهم الهادي -عليه السلام- / ٥-أ / وهزَمَهُمْ، وقتلَ منهم قَتْلَةً، وصار أَخْرَهُمْ إلى ضَهْر^(٥)، وخرج ابنُ أبي الخير^(٦) من صنعاء، ودخلها الهادي -عليه السلام- يوم الجمعة لأيام بقيت من رجب سنة ثمانين وثمانين وميتين.

(١) كذا. ولعله من باب (أكلوهم البراغيث)، باجتماع فاعلين، وأن المعنى: فسأل الدُّعَام وأبو العتاهية الهادي أن يقتل من في حبسه... إلخ.

(٢) قرية تنسب إلى القيل زود بن سيف الحاشدي، وكانت كبيرة في عهد الإمام الهادي، وقاعدة ملك الدُّعَام بن إبراهيم، وهي اليوم تتبع عزلة ثلث الزودي، مديرية خارف، أعمال محافظة عمران. العلوي: السيرة، ل ٢٩ / ب؛ والهمداني: الإكليل، ج ٨، ص ١٢٥؛ والمقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ٢، ص ٩٢٦.

(٣) قصر تلفم، من أقدم قصور اليمن. ينظر الهمداني: الإكليل، ج ٨، ص ١٢٩ - ١٣٥.

(٤) أمير يُعْفَرِي، ولي صنعاء مع أخيه عبد القاهر سنة ٢٨٨هـ / ٩٠٠م. الهمداني: الإكليل، ج ٢، ص ١٥٢.

(٥) ضهر: وادٍ وقلعة في الشمال الغربي من صنعاء بمسافة ١٥ كم. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٠٧، ٢١١، ٢١٣، ٢٤٣، ٣٢٢؛ والمقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ٢، ص ١١٤١.

(٦) لعله عبد الحَكِيم بن أحمد الحوالي، سابق الذكر؛ إذ يكنى أبوه بـ(أبي الخير).

وهاجت الحَرْبُ بين الهادي -عليه السلام- وآلِ يُعْفِرِ وآلِ طريف، وتولَّى الأمرَ عثمانُ بنُ أحمد بن يُعْفِر، وأسعدُ بن أبي يُعْفِر، فأقام بشبام، وكان القايمُ بمحاربة الهادي -عليه السلام- إبراهيم بن خلف في مَنْ ظاهره من بني طريف وغيرهم من أهل اليمن.

وقد وجدنا محمد بن سليمان الكوفي - رحمه الله - قد شرح من أخبار الهادي إلى الحق -عليه السلام- وسيرته وحروبه ما قد أثبتنا شرحه، وهو:

[مُقَدِّمَةُ السِيرَةِ]

بسم الله الرحمن الرحيم^(١)

الحمد لله الذي حدا^(٢) الأوهام إلى معرفته بواضحات الدلائل، وعمر القلوب بطاعته بداعيات الخواطر، واستشهد على توحيده بإحداث الأعراض والجواهر، فدلَّ خلقه بما أراهم من معجزات صنعه على رُبوبيته، فعرفه العارفون بلا معاينة عاينوه، وأخلص له المخلصون بلا مثالٍ في قلوبهم مثْلوه، وأيقن به الموقنون بلا تشبيهٍ منهم له بما سواه، إنه حميد مجيد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، المُبتدِع للأشياء من غير مثالٍ امتثله، ولا صورةٍ احتذى عليها فيكون متكلفًا، المُرتفع عن أشباه^(٣) خلقه، الأوَّل الواحد الذي شهدَتْ له الأشياء بالوحدانية، وعلى أنفسها بالعجز والذَّلَّة؛ فنفت بذلك عن خالقها ما يجري عليها، ودلَّت على أنه غيرُ موصوف بصفاتها، فسبحان مَنْ لا يلحقُه نقص، ومَنْ ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله خاتمُ النبيين، والمؤدِّي لما أمره به رب العالمين، صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين.

ثم إن الله تبارك وتعالى أمر خلقه بعبادته^(٤)، ونهاهم عن معصيته، وفرض عليهم فروضًا، وأمرهم بأدائها، والمحافظة عليها؛ لِيَسْتَوْجِبُوا بذلك ثوابه إذا أطاعوه، وَيَسْتَحِقُّوا عقابه إذا عصوه وخالفوه.

(١) في (ب) زيادة: وبه نستعين على أمور الدنيا والدين.

(٢) في (ط ب): هدى.

(٣) في (ص ب): اشتباه.

(٤) في (ط): بطاعته.

[أَوَّلُ فُرُوضِ اللَّهِ وَفَرَضُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مَعَ الْأَثْمَةِ الْعَادِلِينَ]

فَأَوَّلُ مَا افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ مَعْرِفَتُهُ، وَالْإِقْرَارُ بِتَوْحِيدِهِ، وَالْإِثْبَاتُ لَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، وَالْقَوْلُ عَلَيْهِ بِالْعَدْلِ، وَنَفْيُ الْجَوْرِ عَنْهُ وَالظُّلْمَ، وَالتَّصْدِيقُ بِرِسْلِهِ، وَكِتَابَتِهِ، وَإِقَامَةُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَحُجُّ الْبَيْتِ، وَصِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَمَا افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ مَعَ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالْمُبَايَنَةِ لِلظَّالِمِينَ، وَالْمُحَارَبَةِ لِلْفَاسِقِينَ / ٥-ب / مَعَ الْأَثْمَةِ الْعَادِلِينَ، مَنْ وَلَدَ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، عَلَيْهِمَا صَلَوَاتُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِأَمْرِهِ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ نَهْيِهِ، جَعَلَهُمْ خُلَفَاءَ أَرْضِهِ، وَالْقَائِمِينَ بِقِسْطِهِ بَيْنَ عِبَادِهِ.

وَفَرَضَ عَلَى الْأُمَّةِ طَاعَتَهُمْ، وَجَعَلَ طَاعَتَهُمْ مَوْصُولَةً بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ؛ فَقَالَ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١). وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾^(٢)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٣)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ يُخْبِرُ عَنْ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ -: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ

(١) النساء: ٥٩.

(٢) فاطر: ٣٢.

(٣) آل عمران: ٣٣-٣٤.

وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ * وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ
وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي
بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * أُولَئِكَ
الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا
قَوْمًا لَيُؤْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ^(١)، وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ
بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾^(٢)، وقال سبحانه في إبراهيم -عليه السلام-:
﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(٣)؛
فأخبر سبحانه أن عهده إنما هو للمتقين.

فلم تزل النبوة والإمامة في ولده، حتى بعث الله نبيه محمداً -ﷺ-، فختم به
النبيين، وأرسله إلى جميع العالمين، وجعل الأئمة في ولده الطاهرين، من ولد
الحسن والحسين، فهم حجة الله على خلقه، وصفوته من بريته، والوارثون لعلم
نبيه، كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا
فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ
الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾^(٤)، فمن سبق إلى طاعة الله تعالى، والمجاهدة للظالمين،
والمنازمة^(٥) للفاسقين، وجبت طاعته على الأمة، وثبتت حُجَّتُهُ على البرية.

فلما بان^(٦) ذلك لنا علمنا أن الجهاد مع مَنْ قام من الأئمة من ولد الحسن
والحسين -عليهم السلام- من أكبر الفرائض التي فرضها الله على عباده، وأوجب لمن قام

(١) الأنعام: ٨٤-٨٩.

(٢) السجدة: ٢٤.

(٣) البقرة: ١٢٤.

(٤) فاطر: ٣٢.

(٥) في (ص ط ب): والمجانبة.

(٦) في (الأصل ط ب ذ): كان. وما أُثبتَ فمن (ص)، ولعله الأولى.

بها ثوابه؛ إذ يقول سبحانه في محكم / ٦- / كتابه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(١). وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾^(٢) كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَلَمَنْتَ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتَ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾^(٣). وقال سبحانه: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٤). وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٥). وقال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

(١) التوبة: ١١١.

(٢) في (الأصل ذ): كونوا أنصاراً لله. بحسب قراءة قالون عن نافع.

(٣) الصف: ١٠-١٤.

(٤) النساء: ٩٥.

(٥) آل عمران: ١٠٤.

وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ^(١). وقال سبحانه: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ^(٢)﴾.

فوجبَ على الأُمَّة القيامُ بأمرِ الله، والمُجاهدةُ في سبيلِ الله، والإخافةُ للظَّالِمين، والمُحاربةُ للعاصين، والمُعاونةُ لأئمةِ المسلمين، الذين رضيهم اللهُ للدين، وجعلهم خلفاءه على جميع العالمين، سلالة النبيين، وصفوة الأئمة الهادين، - صلوات الله عليهم أجمعين -، فينبغي لجميع المؤمنين أن لا يُفترطوا في الأمر بالمعروف الأكبر، والنهي عن التظالم والمنكر، وأن لا يُسَاكِنُوا الظَّالِمين الجَبَّارين الفاسِقين؛ فمن ساكنهم وتابعهم وثانهم^(٣) فهو منهم.

[قُرْبُ ظُهُورِ الْعَدْلِ عَلَى يَدِ الْقَائِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ]

عليُّ بن محمد، قال: حدَّثني محمد بن سليمان، عن يوسف بن موسى، عن عبد الرحمن بن مَعْرَاء، عن حسن بن عمر^(٤)، عن معاوية بن إسحاق، عن عطاء بن يسار، عن ابن مسعود^(٥)، قال: رسول الله - ﷺ - : «إِنَّهَا سَتَكُونُ أُمَرَاءُ / ٦-ب / من بعدي، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا إِيمَانَ بَعْدَ مَا ذُكِرَ

(١) آل عمران: ١١٠.

(٢) التوبة: ٤١.

(٣) ثافته: جالسُهُ ولازِمُهُ. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ١١٨٤.

(٤) وقع عند البزار، أبي بكر أحمد بن عمرو العتكي (ت ٢٩٢هـ) في مسند البزار، المنشور باسم البحر الزخار، تح: محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ١، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ج ٥، ص ٢٨١، في سند هذا الحديث: "الحسن بن عمرو الفقيمي".

(٥) عبد الله بن مسعود.

عن رسول الله - ﷺ - ^(١).

وعن علي بن أبي طالب - عليه السلام - في ما قال: «يُظْهَرُ الْجَوْرُ مِنْ بَعْدِي ثُمَّ الْعَدْلُ». علي بن محمد، قال: حدثني محمد بن سليمان، عن حمدان بن عبيد الكوفي، عن علي بن عبد الحميد، عن حفص، عن عبد الحميد بن سهل، عن أبي داود الهمداني، عن معقل بن يسار، قال: قال رسول الله - ﷺ -: «يُطْلَعُ قَرْنُ الْجَوْرِ مِنْ بَعْدِي قَرِيبًا، وَلَا يُطْلَعُ مِنْ قَرْنِ الْجَوْرِ شَيْءٌ إِلَّا مَاتَ مِنَ الْعَدْلِ مِثْلُهُ ثَلَاثَ مَرَاتٍ، حَتَّى يُوَلَّدَ قَوْمٌ لَا يَعْرِفُونَ إِلَّا الْجَوْرَ، وَلَا يَعْمَلُونَ إِلَّا بِهِ، ثُمَّ يَمُنُّ اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ، فَيَأْذُنُ لِقَرْنِ الْعَدْلِ أَنْ يُطْلَعَ، فَلَا يُطْلَعُ مِنْ قَرْنِ الْعَدْلِ شَيْءٌ إِلَّا مَاتَ مِنَ الْجَوْرِ مِثْلُهُ ثَلَاثَ مَرَاتٍ، حَتَّى يُوَلَّدَ قَوْمٌ لَا يَعْرِفُونَ إِلَّا الْعَدْلَ، وَلَا يَعْمَلُونَ إِلَّا بِهِ» ^(٢).

علي بن محمد، قال: حدثني محمد بن سليمان، عن حمدان بن عبيد، عن مخول ^(٣) بن إبراهيم، عن عبد الحميد بن الأشعث، عن عبد الله بن الحسن، عن عيسى بن زيد، عن آبائه ^(٤) - عليهم السلام -، قال: قال علي بن أبي طالب - عليه السلام -: «انْتَظِرُوا أَمْرَنَا إِذَا كَثُرَتِ الْمَعَارِيفُ، وَكَثُرَتِ الرُّشَاءُ» ^(٥)، وَتَبَرَّجَتِ النِّسَاءُ،

(١) الصعدي: درر الأحاديث النبوية، ص ١٤٧؛ وأخرجه بذات السند البزار في مسنده، ج ٥، ص ٢٨١، رقم ١٨٩٦، وبلغف "ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن، ولا إيمان بعده"؛ وأخرجه ابن حبان، محمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ) في صحيحه، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ج ١، ص ٤٠٣، رقم ١٧٧، بذات اللفظ عن طريق عامر بن السمط عن معاوية بن إسحاق.

(٢) أخرجه ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر (ت ٦٦٤هـ) في الملاحم والفتن، نشاط، أصبهان، ط ١، ١٤١٦هـ، ص ٣١٥، رقم ٤٤٧؛ وروى نحوه ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ) في المسند، تح: شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ج ٣٣، ص ٤٢٢، رقم ٢٠٣٠٨.

(٣) كذا في الأصل. وفي بقية النسخ: محول.

(٤) هم الإمام زيد بن علي بن الحسين، وأبوه، وجده.

(٥) جمع رشوة.

واستُحْسِنَ الرَّبَا، وكَثُرَ أولادُ الزنا، وغازَتِ^(١) المياهُ وقلَّتْ، وظَهَرَ الفُجَّارُ، وشارَكَتِ المرأةُ زوجها، وملَكَتِ الأُمَّةُ سَيِّدَهَا، وشُرِّفَ البنيانُ، وكَثُرَ بالمصرِ السودانُ، واتَّخَذَ الخَصِيانُ، واختَصِمَ في القرآن، ووُصِفَ الرَّحْمَنُ، وظَهَرَ الجورُ والعدوانُ، وكان فاسقُ القومِ زعيمَهُم، ورَكِبَتِ الفروجُ السروجَ، وغُنِّيَ بالقرآنِ على المعازِفِ، وتَقَارَبَ الزَّمانُ، وتَقَارَبَتِ الأسواقُ، وظَهَرَ النِّفاقُ، وساءَتِ الأخلاقُ، وأساءَتِ الأخلافُ^(٢)، واستُعِين^(٣) بالطلاقِ، وكَثُرَتِ الأيْمَانُ، وبُخِسَ الميزانُ، وكُذِبَ في السلعِ، ونُقِّقَتِ السلعُ بالخِذَعِ، واستُخِفَّ بالدمِ، وقُطِعَتِ الأرحامُ، وقُدِّمَ^(٤) الصبيُّ قبل أن يبلُغَ الحُلُمَ يُصَلِّيَ بهم».

فجميعُ ما وصفه رسولُ الله - ﷺ - قَدْ رَأَيْنَا، وما بَقِيَتْ خَصْلَةٌ إلا وقد ارْتَكَبَتْ وفَعِلَتْ، فَرَجَوْنَا عند ذلك أن يكونَ الأمرُ قد قَرُبَ، وظهورُ الحقِّ قد دنا، ورجوعُ العدلِ إلى أهله قد أتى، فأهلُ الحقِّ فأهلُ بيتِ^(٥) رسولِ الله - ﷺ -؛ لِقولِ الله تبارك وتعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٦)، والذِّكْرُ هو القرآنُ، قال الله لنبيه^(٧): ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾^(٨).

(١) غاض الماء: قَلَّ ونَقَصَ. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ٦٤٩.

(٢) وأساءت الأخلاف: مضافة من (ص ط ب)، وفيها: وأساءت الأخلاق. ولكن لعلها: الأخلاف. وهي جمع خَلَف، وهو حلْمَة ضَرَع الناقة. ينظر ابن منظور، محمد بن مكرم، أبو الفضل (ت ٧١١هـ): لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ، ج ٩، ص ٨٢. بحيث يكون المعنى هو أن دَرَّ الضروع يُصْبِحُ سَيِّئًا.

(٣) في (ص): واستهين.

(٤) في (ص ب): وقدموا.

(٥) في (ذ): أهل بيت. بدون فاء.

(٦) النحل: ٤٣.

(٧) في (ص): لأن الله قال لنبيه.

(٨) الحجر: ٩.

فليس أهل الذكر إلا من خصّه الله به، ونزله وأورثه إياه؛ لِمَا قد جاءت به الآثار عن رسول الله - ﷺ - حين قال لأُمّته: «إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِن تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا مِنْ بَعْدِي، كِتَابَ اللَّهِ، وَعِزَّتِي أَهْلَ بَيْتِي، إِنَّمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْخَوْضُ»^(١)، وقوله - ﷺ -: «عَلَيْكُمْ بِأَهْلِ بَيْتِي؛ فَإِنَّهُمْ لَنْ يُدْخِلُوكُمْ فِي بَابِ ضَلَالَةٍ، وَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ بَابِ هِدَايَةٍ»^(٢)، وقوله - ﷺ -: «أَهْلُ بَيْتِي أُمَمَةٌ أَهْدَى، فَقَدِّمُوهُمْ وَلَا تَقَدِّمُوا عَلَيْهِمْ، وَأَمِّرُوهُمْ وَلَا تَأْمُرُوا عَلَيْهِمْ، وَتَعَلَّمُوا مِنْهُمْ وَلَا تُعَلِّمُوهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ»^(٣)، وقوله - ﷺ -: «مِثْلُ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ مِثْلُ سَفِينَةِ نُوحٍ، مَنْ رَكِبَ فِيهَا نَجَا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا هَوَى»^(٤)»^(٥).

فخالفَت الأُمَّة نبيّها في ذلك حَسَدًا مِنْهَا لِأَهْلِ بَيْتِ نبيّها، فَقَدِّمُوا غَيْرَهُمْ، وَأَمِّرُوهُمْ عَلَيْهِمْ، وَطَلَّبُوا الْعِلْمَ مِنْ سِوَاهُمْ، وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ، وَكَفَرُوا بِرَدِّهِمْ^(٦)، وَنَقَضُوا كِتَابَ خَالِقِهِمْ، فَقَالُوا فِي دِينِهِم بِالْتَّقْلِيدِ وَالْهَوَى؛ خِلَافًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، وَحَسَدًا لِأَهْلِ بَيْتِ النُّبُوَّة.

(١) روي هذا الحديث عن عشراتٍ من الصحابة؛ ولهذا عدّه بعضُ العلماء من الأحاديث المتواترة. ينظر المؤيدي، مجد الدين بن محمد: لوامع الأنوار في جوامع العلوم والآثار وتراجم أولي العلم والأقطار، مكتبة التراث الإسلامي، صعدة، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ج ١، ص ٥٢؛ ومن أخرجه مسلم في صحيحه، ج ٤، ص ١٨٧٣، رقم ٢٤٠٨؛ وابن حنبل في مسنده، ج ١٨، ص ١١٤، رقم ١١٥٦١، ج ١٧، ص ١٧٠، رقم ١١١٠٤، ص ٢١١، رقم ١١١٣١، ص ٣٠٩، رقم ١١٢١٢، ج ٣٥، ص ٤٥٦، رقم ٢١٥٧٨.

(٢) ينظر الهادي: كتاب فيه معرفة الله، ص ٦٣؛ والزرندي، محمد بن يوسف (ت ٧٥٠هـ): نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرضى والبتول والسبطين، ط ١، ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م، ص ٢٤٠.

(٣) الوزير: هداية الراغبين، ص ٧٦. وقال: رواه الهادي عن جده رسول الله ﷺ.

(٤) في (ط): غرق وهوى.

(٥) الهادي: الأحكام، ج ٢، ص ٥٥٥؛ والطبراني، سليمان بن أحمد، أبو القاسم (ت ٣٦٠هـ): المعجم الكبير، تح: حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط ٢، ج ٣، ص ٤٥، رقم ٢٦٣٧، ٢٦٣٨، ص ٤٦، رقم ٢٦٣٩، ج ١٢، ص ٣٤، رقم ١٢٤١٨؛ والخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ٩١، رقم ٦٥٠٧.

(٦) أي بردُّ أهل البيت. وفي (ذ): برهم.

[صِفَاتُ الْقَائِمِ الَّذِي يَجِبُ طَاعَتُهُ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ]

فعلى الأمة أن تَطْلُبَ دِينَهَا، والذي افترَضَ عليها ربُّها، من طاعةِ أهلِ بيتِ نبيِّها، وأن تقوم بأجمعها مع مَنْ قام منهم، إذا كان القائم منهم يدعو إلى الحكم بكتاب الله وسنة رسوله، وأظهر نفسه، وشهر سيفه، وبذل مُهَجَّتِه ابتغاءَ وجهِ ربه، وكان القريبُ والبعيدُ، والشَّريفُ والذَّنيُّ عنده في الحقِّ سواءً، لم يَمِلْ على أَحَدٍ بظُلْمٍ في حُكْمٍ، ولم يتورَّط في شيءٍ بغيرِ عِلْمٍ، وكان ورعاً في دينه، زاهداً في الدنيا وما فيها، راغباً في الآخِرَةِ، قوياً في دين الله، شجاعاً، سخيّاً، يأخذُ أموالَ الله من^(١) مواضعها، ويضعُها في حقِّها، ويقسِّمُها على ما أمر الله به من قسَمِها، مُحِيفاً للظالمين، مُواليّاً للمؤمنين، لا تأخُذه في الله لومةٌ لائم.

فَمَنْ كانت هذه صفته من أهل بيت رسول الله - صلى الله عليه وآله - من ولد الحسن والحسين - عليهما السلام - فهو الإمامُ الْمُفْتَرَضَةُ طَاعَتُهُ، الواجبُ على الأمة اتِّباعُهُ، المَحْظُورُ عليهم التخلُّفُ عنه، المُبَاحُ لهم القيامُ معه، فَمَنْ جلسَ منهم في بيته، وأغلق بابَه، وأرْحَى عليه سِتْرَه، وجَرَتْ عليه أحكامُ الظالمين، ولم يُغَيِّرْ في نفسه إذا ظَلِم، لم يأْمُرْ بمعروف، ولم يَنْهَ عن منكر، وأخذ أموالَ الله، فأكل بها الطيِّبات، وليسَ بها لَيْنَ / ٧-ب / الثياب، والفقراءُ والمساكينُ وراءَ بابِه عُراةً^(٢) جِيعاً مَظْلُومِينَ مَغْصُوبِينَ حقوقهم، فَمَنْ كان على هذه الصفة فليس بإمام حقٍّ، ولكنه إمامٌ هوىٍّ وفَسَقٍ.

عليُّ بن محمد، عن محمد بن سليمان، عن إسماعيل، عن حسن بن حسن، عن أبي معمر سعيد بن خثيم، قال: قال زيد بن علي - عليه السلام - : «إِنَّ الْإِمَامَ مِنَّا - أَهْلَ الْبَيْتِ - الْمُفْتَرَضُ الطَّاعَةُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ: الَّذِي شَهَرَ سَيْفَهُ، وَدَعَا إِلَى كِتَابِ رَبِّهِ

(١) في (الأصل ص): في. وما أُثْبِتَ من بقية النسخ أصح.

(٢) هكذا في الأصل والنسخ. وانتصابه على الحالِّية لضميرٍ مُتَعَلِّقٍ الظرف (وراء).

وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ، جَرَتْ بِذَلِكَ أَحْكَامُهُ، وَعُرِفَ بِذَلِكَ قِيَامُهُ، فَذَلِكَ الَّذِي لَا تَسْعُ جَهَالَتُهُ، فَأَمَّا عَبْدٌ جَالِسٌ فِي بَيْتِهِ، مُرَخًى عَلَيْهِ سِتْرُهُ، تَجْرِي عَلَيْهِ أَحْكَامُ الظَّلْمَةِ، لَا يَأْمُرُ بِمَعْرُوفٍ، وَلَا يَنْهَى عَنْ مُنْكَرٍ، فَلَنْ يَكُونَ ذَلِكَ إِمَامًا^(١).

علي بن محمد، عن محمد بن سليمان، عن إسماعيل، عن يحيى بن الحسين، عن عامر بن كثير، عن أبي خالد، عن زيد بن علي - عليه السلام -، قال: «نحن أئمتكم ولدت فاطمة، حق علينا أن نجتهد لكم، وحق عليكم أن لا تتبدعوا من دوننا، الإمام منا المفترض الطاعة، الشاهر سيفه، الباسط يده، الداعي إلى سبيل ربه، ليس الإمام منا المفترض الطاعة، الجالس في بيته، مغلق عليه بابه، مرخى عليه ستره، تجري عليه أحكام الظلمة، ولا يجري حكمه على ما وراء بابه»^(٢).

علي بن محمد، عن محمد بن سليمان، عن هارون بن إسحاق الهمداني، قال: حدثنا محمد بن عبد الوهاب، عن سفیان الثوري، عن الجحاف، عن عبد الرحمن، عن علي بن ربيعة الوالي، عن علي بن أبي طالب - عليه السلام -، قال: «من مات وليس عليه إمام عامة مات ميتة جاهلية، ولو^(٣) كان عدلاً برّاً تقياً»^(٤).

فلما جاءت الآثار أنه: «من مات ليس عليه إمام مات ميتة جاهلية»، نظرنا في أصل الخبر فإذا هو صحيح، وعلمنا أن الإمام من ولد الحسن والحسين - عليهما السلام -،

(١) الحميري: الحور العين، ص ٢٤٢.

(٢) الحوثي، محمد بن يحيى: المختار من صحيح الأحاديث والآثار، مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية، صعدة، ط ١، ٢٠٠٢م، ص ٧٣٠.

(٣) في (ص ط ب): لو. بدون واو. وظنن في الأصل أنها كذلك. ويصح المعنى بالروایتين، إذ يعود الضمير في رواية (ولو كان) إلى (من مات)، ويعود في رواية (لو كان) إلى الإمام.

(٤) أخرجه بذات السند واللفظ العلوي، محمد بن علي، أبو عبد الله الكوفي (ت ٤٤٥هـ) في الجامع الكافي في فقه الزيدية، تح: عبد الله حمود العزي، مؤسسة المصطفى الثقافية، صعدة، ط ١، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م، ج ٨، ص ٢١٢، وبلفظ: "إذا كان عدلاً...".

مَنْ قَامَ مِنْهُمْ، وَشَهَرَ سَيْفَهُ، وَنَصَبَ رَايَتَهُ، وَدَعَا إِلَى كِتَابِ رَبِّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ، وَأَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، عَالِمًا بِحَلَالِ اللَّهِ وَحَرَامِهِ، تَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْأُمَّةُ وَلَا يَحْتَاجُ إِلَيْهَا، فَإِذَا ظَهَرَتْ عِلَامَاتُهُ وَدَلَالَاتُهُ بِمَا ذَكَرْنَا، وَجِبَ عَلَى الْأُمَّةِ طَاعَتُهُ وَالْمَسَارَعَةُ إِلَيْهِ، وَتَرْكُ التَّخَلُّفِ عَنْهُ؛ لِمَا قَدْ تَنَاهَى إِلَيْنَا مِنَ الْآثَارِ عَلَى مَا قَدْ بَيَّنَّا.

[آثار تشير إلى الهادي إلى الحق]

والرجل الذي يقوم مقام محمد -عليه وآله السلام- ويستحقه، فمعروف بفعله، متواترة فيه الأخبار بصفته ووقته، وبأي بلد يكون خروجه، وله علامات ودلالات يعرفها أولو الألباب، مما جاءت به الأخبار، بأي بلد يخرج.

علي بن محمد، عن محمد بن سليمان، عن عثمان، عن محمد الكوفي، عن عباد / ٨-أ / بن يعقوب، عن محمد بن فرات، قال: سَمِعْتُ زَيْدَ بْنَ عَلِيٍّ -رحمة الله عليه- يقول: قال علي بن أبي طالب -عليه السلام-: «دَعَوْتُكُمْ إِلَى الْحَقِّ فَتَوَلَّيْتُمْ، وَضَرَبْتُكُمْ بِالذَّرَّةِ^(١) فَأَعْيَيْتُمُونِي، أَمَا إِنَّكُمْ سِيلِيكُمْ وُلَاةٌ لَا يَرْضَوْنَ مِنْكُمْ بِهَذَا، يُعَذِّبُونَكُمْ بِالسَّوْطِ وَالْحَدِيدِ، إِنَّهُ مَنْ عَذَّبَ النَّاسَ^(٢) فِي الدُّنْيَا عَذَّبَهُ اللَّهُ فِي الْآخِرَةِ، وَآيَةُ ذَلِكَ أَنْ يَأْتِيَكُمْ صَاحِبُ الْيَمَنِ حَتَّى يَدْخُلَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، فَيَأْخُذَ الْعَمَالَ، وَعَمَالَ الْعَمَالَ، رَجُلٌ مَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، فَانْصُرُوهُ؛ فَإِنَّهُ يَدْعُو إِلَى الْحَقِّ»^(٣).

(١) الذَّرَّةُ: السَّوْطُ يُضْرَبُ بِهِ. مصطفى: المعجم الوسيط، ج ١، ص ٢٧٩.
(٢) فِي الْأَصْلِ وَمَعْظَمُ النِّسْخِ: مَنْ كَذَبَ اللَّهَ. وَلَعَلَّ الصَّحِيحَ مَا أُثْبِتَ مِنْ (ذ) وَمَا بَيْنَ سَطُورِ (الْأَصْلِ). وَقَالَ: صَح. وَكَذَلِكَ فِي كُلِّ مِنَ الصَّعْدِيِّ: دُرَرُ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ، ص ١٤٨؛ وَالثَّقَفِيُّ، إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ سَعِيدٍ (ت ٢٨٣هـ): الْغَارَاتُ، تَح: عَبْدُ الزَّهْرَاءِ الْحُسَيْنِي، دَارُ الْأَضْوَاءِ، بَيْرُوت، ط ١، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص ٣١٦-٣١٧.
(٣) الصَّعْدِيُّ: دُرَرُ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ، ص ١٤٨؛ وَفِي الْغَارَاتِ لِلثَّقَفِيِّ، ص ٣١٦-٣١٧ بَلْفَظ: "فَيَأْخُذُ الْعَمَالَ وَعَمَالَ الْعَمَالَ رَجُلٌ يَقَالُ لَهُ: يُوسُفُ بْنُ عَمْرٍو، يَأْتِيكُمْ عِنْدَ ذَلِكَ رَجُلٌ مَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، فَانْصُرُوهُ فَإِنَّهُ دَاعٍ إِلَى الْحَقِّ".

علي بن محمد، عن محمد بن سليمان، عن علي بن أحمد القطان الكوفي، عن عمر بن الوليد بإسنادٍ رفعه إلى محمد بن علي، باقر العلم، قال: «إذا قَتَلَ أَهْلُ مِصْرَ أَمِيرَهُمْ، وَظَهَرَ الْيَمَانِيُّ^(١) بِالْيَمَنِ؛ فَإِنَّهُ يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا^(٢)»، أَوْ شَيْئَهَا هَذَا، وَقَدْ قَتَلَ أَهْلُ مِصْرَ أَمِيرَهُمْ سَنَةَ ثَمَانِينَ وَمِئَتِينَ^(٣).

وَبَلَّغْنَا عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ الْغُرَيَّانِيِّ^(٤) بِإِسْنَادِهِ^(٥) قَالَ: «صَاحِبُ الْأَمْرِ حَسَنِي يُظْهَرُ بِالْيَمَنِ، وَاسْمُ أَبِيهِ سِتَّةُ أَحْرَفٍ^(٦)».

أَبُو الْعَبَّاسِ [الغرياني]، قَالَ: خَرَجْتُ يَوْمًا مِنْ عِنْدِ بَنِي الْقَاسِمِ^(٧)، وَكَانُوا يَوْمَئِذٍ بِالْكُوفَةِ، فَمَرَرْتُ بِجَمَاعَةٍ مِنْ وَلَدِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ، وَهُمْ يَتَحَدَّثُونَ، وَذَلِكَ وَقْتُ خُرُوجِ يَحْيَى بْنِ عُمَرَ بِالْكُوفَةِ، وَكَانَ خُرُوجُهُ سَنَةَ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَمِئَتِينَ^(٨)، قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: وَإِذَا هُمْ يَذْكُرُونَ يَحْيَى بْنَ عَمْرِ، قَالَ: فَقَالَ لَهُمْ شَيْخٌ مِنْهُمْ، يَقَالُ لَهُ فُلَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ: "لَا تَعْتَدُوا بِخُرُوجِ هَذَا الرَّجُلِ، وَلَا تَعْتَمُوا،

(١) في (ص ط): العمانى.

(٢) الصعدي: درر الأحاديث النبوية، ص ١٤٨.

(٣) كذا في جميع النسخ، والصحيح كما في درر الأحاديث النبوية للصعدي ص ١٤٨ أنه: "سنة اثنتين وثمانين ومئتين". وأمير مصر هو مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ، أَبُو الْجَيْشِ، وَلِيَ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ سَنَةَ ٢٧٠ هـ، وَاتَّسَعَ مَلْكُهُ مِنَ الْفَرَاتِ إِلَى بِلَادِ النُّبُوَّةِ، وَقُتِلَ عَلَى يَدِ غُلَمَانِهِ سَنَةَ ٢٨٢ هـ. ينظر ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٤٨٧؛ والزركلي: الأعلام، ج ٢، ص ٣٢٤.

(٤) كذا، ولعله الفريابي، وهو الحسن بن محمد، أبو العباس، كان في زمن الحافظ محمد بن سليمان الكوفي وفي طبقة الحافظ محمد بن منصور المرادي (ت ٢٩٠ هـ تقريباً)، قال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، ج ٨، ص ٤٢٧: "الحسن بن محمد، أبو العباس الفريابي: حدث ببغداد، عن أحمد بن صالح المصري، وسفيان بن وكيع بن الجراح. روى عنه محمد بن مخلد الدورى". وسفيان بن وكيع بن الجراح أيضاً من شيوخ الحافظ محمد بن منصور المرادي في الرواية، وقد أكثر عنه.

(٥) في الأصل: بالإسناد. وما أثبت فمن النسخ الأخرى، ولعله الأصح.

(٦) الصعدي: درر الأحاديث النبوية، ص ١٤٨.

(٧) لعله القاسم بن إبراهيم جد الهادي.

(٨) الصحيح أنه خرج سنة ٢٤٨ هـ / ٨٦٢ م، واستشهد سنة ٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م كما تقدم.

حتى يُمَلِّكَ عليكم جبال طَبْرستان، ويظهرَ العُمَانِيَّ^(١) باليمن، فعند ذلك والله لو جاءوكم بالقَصَب لأخذوها منكم"^(٢).

عليُّ بن محمد، قال: [قال] أبو جعفر محمد بن سليمان: فحدَّثني محمد بن عبيد الله^(٣)، قال: وجدتُ في كُتُبِ جدي عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب - رحمة الله عليه -: «إن القايَمَ من وَلَدِ الحَسَنِ إذا خرج و^(٤) بدأ بالمسير في نجد، فيمر^(٥) ببَطْنٍ من بني عُقَيْل^(٦)، يقال لهم بنو معاوية بن حرب^(٧)، فيسير إلى اليمن، فيسوق يَمَنِّها إلى تهامتها إلى مكة كسوق الراعي غنمَه إلى مرعاها، يقدِّمه بين يديه رجلٌ من وَلَدِ العَبَّاسِ بن علي - عليه السلام -»^(٨).

فلَمَّا صَحَّتِ الروايةُ بما ذكرنا من وقتِ خُرُوجِ الإمام، وما جاء به الأثر عن علي بن أبي طالب أنه قال: «إلى السبعين بلاء، ثم إلى السبعين بلاء، ثم فرَجٌ بعد السبعين لا بلاء

- (١) كذا في (الأصل ص ط ب ذ): العماني. وفي هامش (ب): الياني. وقال: صح.
- (٢) الصعدي: درر الأحاديث النبوية، ص ١٤٨؛ وعبدالله بن حمزة، المنصور بالله (ت ٦١٤هـ): العقد الثمين في أحكام الأئمة الهادين، تح: عبدالسلام الوجيه، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عمان، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م، ص ١٧٣.
- (٣) هو العباسي العلوي، والد المؤلف.
- (٤) خرج و: ليست في الأصل. ويَبْيَضُ لها في (ط). وفي (ص ب): إذا خرج بدأ. وما أُثْبِتَ فمن النسخ الأخرى لأنه أنسب.
- (٥) في (ص): فمرَّ.
- (٦) بنو عقيل: بطن من عامر بن صعصعة، من قيس بن عيلان، من العدنانية، من فروع: بنو معاوية بن حَزَن، ومن مياهم بنجد: ناصحة. الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ١٦٢، ج ٥، ص ٢٥١؛ والزبيدي، محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني، الملقب بمرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ، ج ١، ص ١٨٤؛ وكحالة: معجم قبائل العرب، ج ٢، ص ٨٠١، ج ٣، ص ١١٨.
- (٧) في الأصل وجميع النسخ: بن حرب. ولعل الأصحَّ أنها تصَحَّفَتْ عن "حزن"، كما تقدم في الهامش السابق.
- (٨) الصعدي: درر الأحاديث النبوية، ص ١٤٩.

بعده»^(١)، وإنما معنى من السَّبعين إلى الميتين؛ فذلك من الوفاة، وإنما يعدُّ الناس من الهجرة، يعده^(٢) الناس ثمانين وميتين إنما هو سبعون وميتان من الوفاة.

بلغنا / ٨-ب/ عن عبد الله بن موسى، قال: حدَّثني أبي، عن بشر بن رافع، رفعَ الحديثَ إلى علي بن أبي طالب - عليه السلام -، قال: «يا أيها الناس سلوني قبل أن تفقدوني، أيها الناس إِنَّا أَعْلَمُ^(٣) الناسِ صِغَارًا، وَأَعْلَمُهُمْ كِبَارًا، أيها الناس إن الله - تبارك وتعالى - بنا فَتَحَ، وبنا خَتَمَ، أيها الناس ما تَمُرُّ فِتْنَةٌ إِلَّا وأنا أَعْرِفُ سَاقِهَا ونَاعِقَهَا - ثم ذكر فِتْنَةَ بين الثمانين والميتين - فيخرجُ رجلٌ من عِترتي، اسمُه اسمُ نبي، يَمَلَأُ الأرضَ عَدْلًا كما مُلِيتَ جورًا، يميِّزُ بين الحق والباطل، ويؤلِّفُ الله قلوبَ المؤمنين على يَدَيْهِ كما يتألَّفُ قَرْعُ^(٤) الخريف، انتظروه في الأربع والثمانين وميتين في أوَّلِ سنةٍ واردةٍ، وأُخرى صادرةٍ»^(٥).

عليُّ بن محمد، عن محمد بن سليمان، عن عبد العزيز بن مروان، عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال^(٦): «أَوَّلُ ما يَأْتِيكُمْ الفَرَجُ من قِبَلِ اليمن»^(٧).

(١) الصعدي: درر الأحاديث النبوية، ص ١٤٩.

(٢) في (ص ب ذ): بعدد.

(٣) في (ص ب): أحلم.

(٤) قَرْع: قَطَعَ مِنَ السَّحَابِ رَقِيقَةً. الْوَاحِدَةُ (قَرْعَةٌ). الرازي: مختار الصحاح، ص ٢٥٣.

(٥) الصعدي: درر الأحاديث النبوية، ص ١٤٩.

(٦) قال: زيادة من (ص).

(٧) هذا الأثر الموقوف على الباقر، ورد قريبا من معناه حديثان، أحدهما عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (أَلَا إِنَّ الْإِيمَانَ يَمَانٍ وَالْحِكْمَةَ يَمَانِيَّةٌ وَأَجِدُ نَفْسَ رَبِّكُمْ مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ)، أخرجه أحمد في مسنده، ج ١٦، ص ٥٧٦، رقم ١٠٩٧٨، وغيره، والثاني عن سلمة بن نفيل السكوني، أن رسول الله ﷺ، قَالَ وَهُوَ مُوَلِّي ظَهْرِهِ إِلَى الْيَمَنِ: (إِنِّي أَجِدُ نَفْسَ الرَّحْمَنِ مِنْ هَا هُنَا). أخرجه البزار في مسنده، ج ٩، ص ١٥٠. قال البيهقي، أحمد بن الحسين، أبو بكر (ت ٤٥٨هـ)، في الأسماء والصفات، تح: عبدالله الحاشدي، مكتبة السوادى، جدة، ط ١، ج ٢، ص ٣٩٢ في معناه: =

وقد قال فيه ابن عقيب الشاعر:

عدا قَـوْمٌ على ملك وكان الله قد شدّه
ولا بدّ لأهل البيت أن يـسـتـرجعوا عِقْدَه
إذا ما مَضَتِ المِيتان واستَوَفَّتْ لها العِدَّة
وعَـشْرٌ بَعْدَ سَبْعِينَ فقد انقَضَتِ المُدَّة
وجاءتْنا أماراتُ فهَيَّأْنا لها العُدَّة
إذا ما خرج الهادي بعد البأسِ والشِدَّة
فيما لِه عَيْنَا مَنْ رآه طاوياً صعدة
بفتيانٍ مَصَالِيَتٍ^(١) وأشـيـاخ ذوي نجدة
دقيق الساق ضخـم الراس في نظرتِه حِـدَّة
يلقي أمةً حادّةً^(٢) عن الإسلام مُرتدَّة
وقال أيضاً:

أيا لَقَومِي لِلْيَياضِ الْمَصْبَحِ وقتل بني نبتِ النبي يُلْدَحِ^(٣)

"إنما أراد إني أجد الفرج من قبل اليمن".

(١) جمع مَضَلات، وهو: الرجل يكون ماضياً في الأمور. ابن منظور: لسان العرب، ج ٢، ص ٥٤.

(٢) في (الأصل ب ذ): حارت. وما أثبت من بقية النسخ.

(٣) بُلْدَح: وادٍ في مكة، يسمى أعلاه عند حراء وادي العشر، فإذا توسط بين مكة وعمرة التنعيم سُمِّيَ فحاً، ويسمى اليوم الزاهر، فإذا تجاوز جبل ملحاح سُمِّيَ بلدح، ويسمى اليوم وادي أم الدود. البلادي، عاتق بن غيث: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، دار مكة، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ٤٩. ومطلع هذه القصيدة رواه أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبين، ص ٣٨٤، مع بيتين آخرين، عن أبي صالح الفزاري، وأنه سَمِعَ هاتِفَ يهتف بها ليلة قتل الإمام الحسين الفخي، في وقعة فخ سنة ١٦٩هـ، وقد نجا فيها إدريس ويحيى ابنا عبدالله بن الحسن الكامل، وهما اللذان أشارت إليهما القصيدة. ولعل ابن عقيب استخدم هذا المطلع في مقدمة قصيدته هذه.

وللحزب لا تسري وقد طال شرُّها
ألا قل لإدريس ويحيى ^(٣) تَرِيصا
ففي سنة الثنتين ما أنت عارفٌ
كما صرَّحت من جَيْدٍ ^(٥) المَخْضِرِ رَغْوَةٌ ^(٦)
إذا مَضَّتِ ^(١٠) المِيتَانِ من نَهْضِ ^(١١) أحمدٍ
فإن ليحيى دولةً تعرفونها
على قومٍ إدريسٍ ^(١) بَجْدَعٍ ^(٢) وفُرَحٍ
ولا تعجلا إن العَجُولَ منوَّحٌ ^(٤)
وفي أربعٍ من ذاك أمرٌ مُصَرَّحٌ
ملحلة ^(٧) من ضرعٍ حماءٍ ^(٨) صَيْدَحٍ ^(٩)
ومن عَقْدٍ ستينٍ فستٌ ستَطْرُحُ
إذا أَسْرَفَتْ فيكُم سَلاطينُ جُمَحٍ ^(١٢)

(١) إدريس: لعله إدريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن السبط، وقد تقدمت ترجمته.
(٢) في (ب): بخدع وفرح. ولعلَّ الصحيح ما أثبت. والجذع من الرجال: الشابُّ الحدث، ومن الإبل: ما استكمل أربعة أعوام، ودخل في الخامسة. والقَرَح جمع قارح، والقارح من ذي الحافر: ما استتمَّ الخامسة. مصطفى: المعجم الوسيط، ج ١، ص ١١٣، ج ٢، ص ٧٢٤. والمعنى أن الحرب طالت سنوات فصارت جذعة وقارحة.

(٣) إدريس تقدم. ويحيى لعله أخوه: يحيى بن عبدالله، وقد تقدمت ترجمته أيضا.
(٤) ولعل المراد أن العَجُول إلى الحرب والثورة يكثر النوح عليه عند قتله. وفي (ص ب ط): متوح. وقافية القصيدة حائية لكنها مختلفة بين الضم والكسر.

(٥) في (ص ط) يحتمل الرسم أن تكون: حيد، جند، ...، وفي (ب): جد، حد، خد.
(٦) المحض: اللبن الخالص بلا رغو. والرغو: زبدة اللبن. أي انفصلت الرغو عن اللبن.
(٧) في (ص ط ذ): ملحلة. وفي لسان العرب لابن منظور، ج ١١، ص ١٦٣: "والحلاحل: السيد في عشيرته، ... وحكى ابن جني: رجل مُحْلَحْل، ومُحْلَحْلَح في ذلك المعنى". وفي (ب): ملحلة.
(٨) الحماء: السوداء تضرب إلى حمرة. ابن دريد، محمد بن الحسن، أبو بكر الأزدي (ت ٣٢١هـ): الاشتقاق، تح: عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ص ٤١٢. وفي (ص ب): حمراء.

(٩) في الأصل: صدح. والتصحيح من بقية النسخ. والصيدح: الصيَّت المطَّرب، واسم ناقة ذي الرمة. مصطفى: المعجم الوسيط، ج ١، ص ٥٠٩.

(١٠) في الأصل: إذا ما مضت. وفيه خلل وزني. والتصحيح من النسخ الأخرى.

(١١) في (الأصل ذ): نص. وصحح من النسخ الأخرى.

(١٢) جُمَح جمع جامح، يقال: جمح الفرس: إذا عنى عن أمر صاحبه حتى غلبه. مصطفى: المعجم الوسيط، ج ١، ص ١٣٣.

عن الحق لا يذرون كيف طَرِيقُهُ تَمَادَى بِهِمْ فِي الْغِيِّ جُزْمٌ مَطْرَحٌ
وذلك إن عَشْتُمْ فسوف ترونه ولم تلحقوا إلا بذكر مطروح
فيحيى يقيم الحق لا شيء غيره ويظهر عذلاً من شريف مبرح
يلذب بدين الله حلو نبيه كما ذب آباء الكرام المستح
٩-١ / يقوم به حزب الإله وشيعته غَطَارِفُ^(١) أمثال الأهلّة نُضَحُ^(٢)
وسوف لعمرى تعلمون مقالتي إذا ما رأيتم فارسَ الحزب يُذْبَحُ

ومما يُوجِبُ من معرفته ما بلغنا عن عثمان بن محمد الكوفي، عن إسماعيل، عن علي بن عبد الله العلوي، عن أحمد بن يحيى، عن أبي الجارود، قال: قلت لأبي جعفر [الباقر] كيف لنا بصاحب هذا الأمر حتى نعرفه؟ قال: «قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾»^(٣)»^(٤).

إسماعيل، عن فرح بن قرة، قال: أخبرني مسعدة بن صدقة، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن النبي - ﷺ - قال: «في أهل بيتي عُدُولٌ، يَنْفُونَ عن الدين تحريفَ الغالين، وانتحالَ المبطلين، وتأويلَ الجاهلين، ألا وإن أئمتكم وفدكم إلى

(١) الغُطْرِيف: السيد الشريف السخي الكثير الخير، ويجمع على غطاريف، وغطارفة. ابن منظور: لسان العرب، ج ٩، ص ٢٦٩؛ ومصطفى: المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٦٥٥.
(٢) في (الأصل ذ): يصبح. وفي (ص): تصبح. ولعل الصحيح ما أُثبت من بقية النسخ. وفي مصطفى: المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٩٢٨: "نَضَحَ: رشح، يقال: نَضَحَ الإناء بما فيه، ونَضَحَ الجِلْدُ بما فيه، ... وَنَضَحَتْنَا السَّمَاءُ: أَمْطَرَتْنَا". والمعنى أنهم أهل بذلٍ وعطاءٍ يَنْضَحُونَ جُودًا.
(٣) الحج: ٤١.

(٤) أخرجه فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم بن فرات (ق ٣هـ) في تفسيره، تح: محمد الكاظم، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط ١، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م، ج ١، ص ٢٧٤، رقم ٣٧٠، بسنده عن أبي خليفة، أنه هو وأبو عبيدة الحذاء، سألا أبا جعفر الباقر .. إلخ.

الله تعالى؛ فانظروا مَنْ تُقَدِّمُونَ فِي دِينِكُمْ وَصَلَاتِكُمْ»^(١).

وبلغنا عن زيد بن علي، أنه قال: «الإمام منا - أهل البيت - الموثوق بعقله»^(٢) وفهمه، والموثوق بعلمه»^(٣).

فلَمَّا جَاءَتِ الْآثَارُ وَالِدَلَالَةُ عَلَى الْإِمَامِ الْمَوْثُوقِ عَلَى الْأُمَّةِ، وَصَحَّتِ الْعِلَامَاتُ وَالرَّوَايَةُ بِخُرُوجِ صَاحِبِ الْأَمْرِ بِالْيَمَنِ وَوَقْتِهِ بَعْدَ الثَّمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَمَا ذُكِرَ بِهِ مِنَ الْوَرَعِ، وَالْعَقْلِ، وَالشَّجَاعَةِ، وَالسَّخَاءِ، وَالتَّوَاضُعِ، وَالْعَدْلِ فِي الرِّعْيَةِ، وَالْقَسَمِ بِالسُّوِيَّةِ، وَالْعِلْمِ بِاخْتِلَافِ النَّاسِ وَمَذَاهِبِهِمْ، نَظَرْنَا فِي خَبَرٍ مَنْ خَرَجَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ -، فَلَمْ نُذَرِكْهُ نَحْنُ، وَمَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ يَدْعُو فِي سَائِرِ الْبِلَادِ مَنْ أَدْرَكْنَا وَسَمِعْنَا بِخَبَرِهِ.

[أئمة لم يُذَرِكْهم القاضي محمد بن سليمان الكوفي]

فَنَظَرْنَا فِي مَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ يَدْعُو فِي سَائِرِ الْبِلَادِ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ، فَلَمْ نُذَرِكْ مِنْهُمْ أَحَدًا عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ، إِلَّا مَا تَقَلَّه النَّاقلُونَ إِلَيْنَا عَنْ مَنْ مَضَى مِنْهُمْ، مِثْلُ: أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنَ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ -، وَزَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ^(٤)، وَيَحْيَى بْنِ زَيْدٍ^(٥)،

(١) القاسمي، حميدان بن يحيى (ق ٧هـ): مجموع السيد حميدان، تح: أحمد الحمزي، وهادي الحمزي، مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية، صعدة، ط ١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ص ١٣٧؛ وأخرجه الملا كما في الطبري، محب الدين أحمد بن عبدالله (ت ٦٩٤هـ): ذخائر العقبين في مناقب ذوي القربى، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٦هـ، ص ١٧.

(٢) في الأصل وبعض النسخ: بفعله. وما أُثْبِتَ مِنْ (ص ط).

(٣) العلوي: الجامع الكافي، ج ٨، ص ١٧١، بلفظ: "الموثوق بدينه، الموثوق بعقله،... إلخ".

(٤) زيد بن علي: إمام الزيدية، ثار على هشام بن عبد الملك، واستشهد سنة ١٢٢هـ. الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ج ١، ص ٤٢٧ - ٤٣٧.

(٥) يحيى بن زيد: من أئمة الزيدية، ثار في أيام الوليد بن عبد الملك، واستشهد سنة ١٢٦هـ. المؤيدي: التحف، ص ٥١.

وإبراهيم بن عبدالله^(١)، ومحمد بن عبدالله^(٢) النفس الزكية، والحسين بن علي^(٣) المقتول بفخ، ومحمد بن إبراهيم^(٤)، وقاسم بن إبراهيم جدّ الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين - عليه السلام -.

فلم نُدرِك من هؤلاء أحدًا، وقد دَعَوْا إلى الله - تبارك وتعالى -، وكانوا عالمين بكتاب الله وسنة نبيه، عادِلين في أحكامهم، مُحَافِظِينَ على دينهم، قايِمين بما افترض عليهم ربُّهم، من الجهاد في سبيله، والدعاء إلى طاعته، والإخافة للظالمين، والموالاة للمؤمنين، فقاموا بما أوجب [الله] عليهم، مُسَارِعِينَ / ٩ - ب / في طاعة الله، لا تأخذهم في الله لومةٌ لائم، مضوا على بصيرةٍ من أمرهم، فمنهم مَنْ قُتِلَ بالسيف، ومنهم مَنْ صُلِبَ وعُذِّبَ، ومنهم مَنْ مات بعدما أظهر الله حُجَّتَهُ، ودعا عباده إلى طاعته، فخذلوه ولم يُجيبوه، وبادؤهُ بالعداوة وباينوه، وطرَدوه في رؤوس الجبال وأخافوه، إذ قَلَّ ناصرُهُ، وكَثُرَ عدُوُّهُ، فصلوات الله عليهم أجمعين، ولعن الله مَنْ قتلهم وخذلهم مِنَ الْعَالَمِينَ، ولم نُدرِك من هؤلاء الأئمة العادلة أحدًا ولا آباؤنا من قبلنا.

(١) إبراهيم بن عبدالله: من أئمة الزيدية، ثار على أبي جعفر المنصور بعد استشهاد أخيه الإمام محمد بن عبدالله، واستشهد سنة ١٤٥ هـ. المؤيدي: التحف، ص ٥٨ - ٦٠.

(٢) محمد بن عبدالله: أحد أئمة الزيدية، ثار على أبي جعفر المنصور، واستشهد سنة ١٤٥ هـ. المؤيدي: التحف، ص ٥٢ - ٥٥.

(٣) الحسين بن علي: من أئمة الزيدية، ثار في أيام موسى الهادي العباسي، واستشهد سنة ١٦٩ هـ. المؤيدي: التحف، ص ٦٠ - ٦٢.

(٤) محمد بن إبراهيم: من أئمة الزيدية، ثار في الكوفة في أيام المأمون العباسي، وتوفي شهيدا سنة ١٩٩ هـ. المؤيدي: التحف، ص ٧٧ - ٧٨.

[ثائرون خَرَجُوا في عصر الكوفي ولم ينصرهم]

ثم خرج من بعدهم قومٌ في عَصْرِنَا، منهم مَنْ قَدْ رَأَيْنَا، ومنهم مَنْ لَمْ نَرَ، إِلَّا أَنْ أَخْبَارَهُمْ وَأَفْعَالَهُمْ متواترةٌ إلَيْنَا، مُتَّصِلَةٌ بِنَا، فَبَلَّغْنَا أَنْ رَجُلًا مِنْهُمْ خَرَجَ بالكوفة سنة سَبْعٍ وخَمْسِينَ ومِئَتَيْنِ^(١) يدعو دَعْوَةً حَسَنَةً جميلة، يُسَمَّى يَحْيَى بنَ عُمَرَ، وكان وَرِعًا حَسَنَ المذهب في دينه، غير أَنَّهُ لم يكن كَامِلَ العلم، فقام معه أَهْلُ الكوفة وغيرُهُم من الناس، فَأَقَامَ بالكوفة أَشْهُرًا، ثم وَجَّهَ إِلَيْهِ رَجُلٌ من بني العباس قَائِدًا يَسْمَى حُسَيْنَ بنَ إِسْمَاعِيلَ^(٢) -لعنه الله-، فَخَرَجَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ بِنَفْسِهِ، ومعه أَوْبَاشُ أَهْلِ الكوفة وغيرُهُم، فَقَاتَلَ حُسَيْنَ بنَ إِسْمَاعِيلَ، فلم تَبْرَحِ المَعْرَكَةُ حَتَّى قُتِلَ يَحْيَى بنَ عُمَرَ -رحمة الله عليه-.

ثم نَظَرْنَا في مَنْ خَرَجَ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ أَهْلِ البَيْتِ، بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ -، فخرج منهم بالكوفة جماعة^(٣)، وبخراسان^(٤) أَيْضًا قوم^(٥)، وفي المغرب قوم^(٦)، وباليمامة

(١) تقدّم أَنَّهُ خرج سنة ٢٤٨هـ / ٨٦٢م، واستشهد سنة ٢٥٠هـ / ٨٦٤م.

(٢) ابن عمّ الأميرِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ طاهر، وأحد قادة جيش العباسيين. الأصفهاني: مقاتل الطالبين، ص ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩.

(٣) من الخارجين في الكوفة في تلك الفترة: الحسين بن محمد بن حمزة العلوي سنة ٢٥١هـ / ٨٦٥م، ومحمد بن جعفر بن الحسين العلوي، وعلي بن زيد بن الحسين العلوي، وعيسى بن جعفر الحسيني سنة ٢٥٥هـ / ٨٦٨م. ينظر الأصفهاني: مقاتل الطالبين، ص ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٨؛ والمسعودي: مروج الذهب، ج ٤، ص ٦٩؛ وابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٢٧٢.

(٤) خراسان: بلاد واسعة تشمل الشمال الشرقيّ في إيران إلى ما وراء النهر، وهي أراضٍ واسعة تدخل تحت فارس، وأفغانستان، والتركستان. الموسوعة العربية العالمية، مج ١٠، ص ٣٠.

(٥) منهم الحسين بن إبراهيم الحسني في نيسابور، وأحمد بن القاسم الحسني بين الري ونسا وأبيورد، والحسن بن عيسى الحسني في جرجان، وغيرهم. الأصفهاني: مقاتل الطالبين، ص ٥٣٩ - ٥٤٠، ٥٤٢، ٥٥٤، ٥٥٩.

(٦) منهم جعفر بن إسماعيل بن موسى بن جعفر الصادق، قتله ابن الأغلب بأرض المغرب،

رجل^(١)، وفي سائر البلاد^(٢)، فإذا هم جماعةً يسيرون، وليس معهم علمٌ يصلح لما يدعون إليه، ولا معهم من صفات أئمة العدل شيء^٣.

فلم تقم - والحمد لله - مع واحدٍ منهم، ولا عاوناه على شيءٍ من أمره؛ إذ لم يكن أحدٌ منهم لما دعا إليه مستحقاً، فوسعنا الجلوس عنهم لذلك، وكنا مع جلوسنا منتظرين لمن يقوم من أهل بيت محمد بهذه الصفة التي تقدمت إلينا، والآثار التي جاءتنا، والمعرفة التي كانت عندنا، بالرجل الذي إذا قام ودعا لم يسعنا التخلف عنه طرفة عين؛ لما يجب علينا في ذلك من أداء فرض الله، والقيام بطاعة الله.

فلم نزل منتظرين، متوقعين لذلك، راجين متطلعين إلى خروجه، سايلين عن أخبار من^(٣) يخرج من ولد الحسن والحسين - عليهما السلام -، لا نجد مخبراً يخبرنا بخروج رجلٍ فيه الدلائل والعلامات، / ١٠ - أ / والمعجزات البيّنات.

وكذلك أمراء الدولة الإدريسية. ينظر المسعودي: مروج الذهب، ج ٤، ص ٩٥.

(١) خرج باليامة بنو الأخضر، وقد تقدم الحديث عنهم. ينظر الرازي: الشجرة المباركة، ص ٣٠.

(٢) منهم جعفر بن محمد بن الحسن الحسيني في الري (طهران)، وجعفر بن إسحاق بن موسى بن جعفر الحسيني في البصرة، وأحمد بن محمد بن عبدالله الحسيني في أسوان مصر، وغيرهم. الأصفهاني: مقاتل الطالبين، ص ٥٢٥، ٥٣٠، ٥٣٦، ٥٣٧.

(٣) في الأصل ومعظم النسخ: أخباره من. ولعل ما أثبت من (ط) هو الأصح.

[أحداث سنة ٢٨٣هـ / ٨٩٦م - ٨٩٧م]

خبر^(١) وُصُولِ كُتُبِ الهادي -عليه السلام- في ذي القعدة من سنتي ثلاثٍ وثمانين [إلى المدينة]

حتى إذا كان في ذي القعدة من سنة ثلاثٍ وثمانين وميتين، وردت كتبُ الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين -عليه السلام- على نفر من أهل المدينة، من بني أبي طالب وغيرهم، يدعوهم فيها إلى طاعة الله تعالى، والمجاهدة لأعدائه، والمناصرة لأوليائه، والإظهار لدينه، والإحياء لسُنَنِ نَبِيِّهِ، ويُعلمُهُم فيها بأنَّ حُجَجَ الله قائمةٌ عليهم، فليخافوا^(٢) في سرِّهم وعَلَانِيَتِهِمْ، وليُحْيُوا داعِيَ الله، ويُعلمُهُم أن كُتُبًا من أهل اليمن قد وردت إليه، مع نفرٍ منهم يسألونه الخُرُوجَ إلى بلدِهِمْ، ويُعطونه بَيْعَاتِهِمْ، وأنهم قد نَدِمُوا على ما كان من تفريطهم وتقصيرهم في أمره حين تركوه يَخْرُجُ مِنْ عِنْدِهِمْ.

وذلك أنه كان قد خرج إلى اليمن سنة ثمانين وميتين، حتى بلغ مَوْضِعًا يقال له الشَّرْفَة^(٣) بالقرب من صنعاء، وأذعن له النَّاسُ وأطاعوه، فأقام فيهِمْ مُدِيْدَةً^(٤) يسيرة، ثم إنهم خذلوه، ورجعوا إلى ما يُسَخِطُ الله، ولم يجد عليهم أَعْوَانًا،

(١) من هذا العنوان بدأت نسخة (ز).

(٢) في (ص): فليخافوه.

(٣) الشرفة: قرية في أعلى سرابن الروية، وهي اليوم تشكل عزلة من مديرية بني حشيش، من أعمال محافظة صنعاء. الهمداني: صفة جزية العرب، ص ١٧٨ (الهامش)؛ والمقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ٢، ص ١٠٤٩؛ والجهاز المركزي للإحصاء، وزارة التخطيط والتعاون الدولي، الجمهورية اليمنية: خريطة محافظة صنعاء، نسخة إلكترونية.

(٤) في (ز): مدة.

وأنصَرَفَ منهم، حتى صار إلى بلده بالحجاز، وشمل أهل اليمن من بعده البلاء، ووقعت بينهم الفتن والجلاء، عندما كان من تقصيرهم ومعاندتهم للحق وأهله، فلما عَضَّهُمُ البلاء كتبوا إلى الهادي إلى الحق يسألونه النهوض إليهم، ويُعلمونه بتوبيتهم ورُجوعهم إلى الله من خطاياهم.

قال علي بن محمد بن عبيد الله: فَكَتَبَ عند ذلك إلى مَنْ ذَكَرْنَا، وَكَانَ مِنْ (١) كَتَبَ إِلَيْهِ وَالِدِي مُحَمَّدٌ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ الْعُلُوِي، مِنْ وَلَدِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَلِي بْنِ أَبِي طَالِبٍ - (عَلَيْهِ السَّلَامُ) -، وَإِلَى رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ يُحْيَى بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ يُحْيَى (٢)، مِنْ وَلَدِ عُمَرَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (٣)، وَلَمْ نَعْرِفْ مَنْ كَتَبَ إِلَيْهِ غَيْرَ هَٰذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ، وَكُنْتُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ غُلَامًا لَمْ تَجِبْ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ عَلِيٌّ حِجَّةً.

[خروج والد المؤلف محمد بن عبيد الله العلوي إلى الهادي إلى الحق في الفرع (٤)]

فلما وصل الكتاب إلى والدي محمد بن عبيد الله عزم على الخروج إلى الهادي إلى

(١) في (ص ط): فيمن.

(٢) يبدو من تخصيصه بالرسالة أنه كان من عيون الهاشميين، وسيأتي في السيرة أنه سافر مع الهادي إلى اليمن، وأنه روى قضية حد امرأة شربت الخمر، ولعله يحيى بن الحسين بن محمد بن إسماعيل بن عمر بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، وربما أسقط ذكره شيخ الشرف في تهذيب الأنساب، والعمرى في المجدي، وابن عنبه في عمدة الطالب، رغم ذكرهم لأبيه وأخوين له، بسبب أنه لم يثبت لهم أنه أعقب. ينظر العلوي: السيرة، ل ١١/أ، ٣٩/أ - ب؛ والعمرى: المجدي في أنساب الطالبين، ص ٤٥٢؛ والرازي: الشجرة المباركة، ص ٢١٥.

(٣) عمر بن علي: آخر من مات من أولاد الإمام علي - (عَلَيْهِ السَّلَامُ) -، تخلّف عن أخيه الحسين، وعاش إلى زمن الحاج الثقفى. ابن عنبه: عمدة الطالب الصغيرى، ص ٢٢٤.

(٤) الفرع: وادٍ يمر على بعد ١٥٠ كيلا جنوب المدينة المنورة. البلادي: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص ٢٣٦.

الحق، وأَعْلَمَنِي بِخُرُوجِهِ، وَأَمَرَنِي بِلُحُوقِهِ بَعْدُ، فَخَرَجَ وَالِدِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَيَحْيَى بْنُ الْحُسَيْنِ الْعُلُوِي، حَتَّى صَارَا إِلَى الْفُرْعِ إِلَى يَحْيَى بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْقَاسِمِ، فَاسْتَرَّ بِقُدُومِهِمَا، وَأَخْلَى لِهَمَا مَنْزِلًا بِالْقَرَبِ مِنْ دَارِهِ، وَأَكْرَمَهُمَا، فَلَمْ يَزَالَا كَذَلِكَ حَتَّى خَرَجَ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْيَمَنِ.

قال عليُّ بن محمد: / ١٠ - ب / سألتُ أبي محمدَ بنَ عبد الله بعد وصولي إليه باليمن: كيف كان خروج الهادي إلى الحق؟ وكيف كان خروجُكم؟ وما لقيتُم في سفركم؟ فقال: يَا بَنِيَّ خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ لَهْلَالِ ذِي الْحِجَّةِ، فَلَمَّا سَرْنَا إِلَى الْفُرْعِ يَوْمًا وَكَسَرَ يَوْمٌ، فَلَمَّا وَصَلْنَا لَقِينَا الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ، وَمَعَهُ أَبُوهُ الْحُسَيْنُ بْنُ الْقَاسِمِ، وَعَمَّاهُ مُحَمَّدٌ وَالْحَسَنُ ابْنَا الْقَاسِمِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحُسَيْنِ، وَجَمَاعَةُ فِتْيَانِهِمْ، فَسَلَّمُوا عَلَيْنَا، وَتَحَدَّثُوا مَعَنَا سَاعَةً، ثُمَّ انْصَرَفُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ، وَصَرْنَا إِلَى مَنْزِلِنَا.

ثم عادوا إلينا عند حُضُورِ الْعَتَمَةِ، وَكُنَّا فِي مَسْجِدِ قَدَامِ الْمَنْزِلِ الَّذِي كُنَّا فِيهِ، فَلَمَّا حَضَرَتْ صَلَاةُ الْعَتَمَةِ قُمْنَا إِلَى الصَّلَاةِ، فَقَالَ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ لَعَمَّهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ: "تَقَدَّمْ يَا عَمُّ صَلِّ بِنَا"، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا بَنِيَّ، لَا يَجُوزُ أَنْ أَتَقَدَّمَ عَلَيْكَ، فَقَالَ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ: قَدْ جَعَلْتُ الْأَمْرَ إِلَيْكَ، فَتَقَدَّمْ، فَصَلِّ بِنَا، فَتَقَدَّمَ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ -، فَصَلَّى بِنَا الْعَتَمَةَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ وَسَلَّمِ التَّفْتِ إِلَى الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ، فَقَالَ لَهُ: يَا ابْنَ أَخِي اسْتَغْفِرْ لِي فَإِنِّي قَدْ تَقَدَّمْتُ عَلَيْكَ، وَصَلَّيْتُ بِكَ، وَكُنْتُ أَحَقُّ بِالتَّقَدُّمِ مِنِّي، فَقَالَ لَهُ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ: "غَفَرَ اللَّهُ لَكَ يَا عَمُّ".

فلما سَمِعْتُ - يَا بَنِيَّ - كَلَامَ مُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ لِلْهَادِي إِلَى الْحَقِّ أَزْدَدْتُ رَغْبَةً فِيهِ، وَمَحَبَّةً لَهُ، فَأَقَمْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ أَتَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحُسَيْنِ، فَتَحَدَّثَ عِنْدَنَا مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ: لَا أَرَى إِلَّا^(١) أَنْ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ قَدْ أَضْرَبَ عَنِ الْخُرُوجِ، وَعَزَمَ عَلَى صَرْفِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ

(١) لَا أَرَى إِلَّا: فِي (ص ز ط ب) مَكَانَهَا: لَا أَشُك.

جاءوه من اليمن، فغمنا ما سمعناه منه غمًا شديدًا، وأتعبنا ذلك؛ للذي كنا قد أملنا في نفوسنا، ورجونا من قيامنا، ومعاونتنا لإمامنا، وإظهارنا لدين ربنا وسنة نبينا.

ثم انصرف عنا عبدالله بن الحسين إلى منزله، وقام كل رجل منا إلى موضعه متأسفًا حزينًا مغمومًا مهمومًا على انقطاع رجائه، وكسوف أمله.

فلم نزل على ذلك حتى كان انتصاف النهار من ذلك اليوم، ثم إذا بغلام للهادي إلى الحق، يقال له سليم^(١)، قد أقبل إلينا، فقال: باسم الله قوموا، فارحلوا، وشددوا على دوابكم، قال: فقمنا مسرورين جذلين فرحين، فقلنا له: ما القصة يا سليم؟ فقال: قد عزم مولاي على الخروج إلى اليمن، فشددنا على دوابنا، وما نصدق أنه خارج معنا.

[سفر الهادي إلى الحق ومن معه إلى اليمن]

قال: فلما أكملنا ما نحتاج إليه إذا بالهادي قد برز إلينا ومشايخه / ١١ - أ / وأخوه وبنو عمه محدقين به، فلقيناهم، وسلمنا عليهم أجمعين، وساروا معنا مشيعين لنا ساعة، ثم أمر الهادي إلى الحق - عليه السلام - مشايخه بالانصراف والوداع له، فودّعوه، فسمعت عند وداعهم محمد بن القاسم - عليه السلام - وهو يقول: يا أبا الحسين لو حملتني ركبتي لجاهدت معك يا بني، أشركنا الله في كل ما أنت فيه، وفي كل مشهد تشهده، وكل موقف تقفه، فازددت لذلك فرحًا وسرورًا، وودّعناهم، وعادوا راجعين، واستقمنا في سیرنا.

وكانت عدتنا يسيرة، لم يكن مع الهادي إلى الحق غير ابنه محمد بن يحيى، ويوسف بن محمد الحسيني^(٢)، ومحمد بن عبيدالله من ولد العباس بن علي، ويحيى بن

(١) سليم: كان يلي خدمة الهادي في داره، وكان حامل مصباحه، وهو الذي روى قصة عبادته ليلاً في دار كان يأوي إليها. الهاروني: الإفادة، ص ١٠٧.

(٢) في (ز): الحسيني. ولعل الصحيح هو ما أثبت. وقد رافق الإمام الهادي في خروجه من الحجاز إلى اليمن، وكان مقرباً منه، واشترك في حرب وسحة في خولان. العلوي: السيرة، ل ١١ / ب، ٢٧ / ب.

الحسين من ولد عمر بن^(١) علي، وإدريس بن أحمد^(٢) من ولد جعفر بن أبي طالب^(٣)، وعشرة من خدمه.

فَسِرْنَا حَتَّى وَصَلْنَا إِلَى قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا السَّوَارِقِيَّةُ^(٤)، وَكُنَّا عَازِمِينَ عَلَى أَنْ نَأْخُذَ طَرِيقًا تُخْرِجُنَا عَلَى تَرْبَةٍ^(٥) وَبَيْشَةٍ^(٦)، فَعَسَرَتْ عَلَيْنَا الطَّرِيقُ، (فَأَصَابَنَا بِذَلِكَ غَمٌّ شَدِيدٌ، وَكَانَتِ الطَّرِيقُ الَّتِي مَلْنَا فِيهَا تَلْقَى بَنَا الطَّرِيقِ الَّتِي يَسْلُكُ فِيهَا حَاجُّ الْيَمَنِ).

قال علي بن محمد: حَدَّثَنِي أَبِي مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: لَمَّا عَسَرَتْ عَلَيْنَا الطَّرِيقُ^(٧) الَّتِي أَمَلْنَا رَجَعْنَا^(٨) عَلَى أَعْقَابِنَا، فَبَيْنَمَا نَحْنُ نَسِيرُ إِذْ مَرَرْنَا بِبَطْنٍ مِنْ

(١) عمر بن: ليست في (ص ز ط ب).

(٢) يتردد هذا الاسم بين اثنين، أولهما: إدريس بن أحمد الحجازي ابن إدريس بن محمد بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.

والثاني: إدريس بن أحمد بن داود بن محمد بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، ويترجح أن المقصود الأول؛ لورود وصف والده بـ(الحجازي). ينظر الرازي: الشجرة المباركة، ص ٢١٨.

(٣) شقيق الإمام علي، وأسن منه بعشر سنين، استشهد في معركة مؤتة، في السنة الثامنة للهجرة. الزركلي: الأعلام، ج ٢، ص ١٢٥.

(٤) قرية لبنى سليم، وهي اليوم أرض زراعية أهلة بالسكان في ديار مطير، تقع جنوب غربي المهد على بعد ٤٠ كيلا. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٨٦؛ والبلادي، عاتق بن غيث: معجم معالم الحجاز، دار مكة، ومؤسسة الريان، مكة المكرمة، ٢، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م، ص ٨٤٧.

(٥) تربة: وادٍ من أودية الحجاز الشرقية، يأخذ أعلى مساقط مياهه من سَراة زَهْران وبنى مالك وبلحارث، ثم يتجه في الشمال الشرقي، ثم يضيع ماؤه في الفرشة، وفي وسطه بلدة عامرة لقبيلة البقوم. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٨٩، ٢٦٥، ٢٧٨؛ والبلادي: معجم معالم الحجاز، ص ٢٦٤ - ٣٦٥.

(٦) بيشة: وادٍ فحل كثير القرى والنخيل، يبدأ من شرقي مدينة الباحة، ثم يتجه شرقا بميل إلى الشمال، ثم يفيض إلى موضع الفرشة ويضيع فيها. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٦٤، ٨٥، ٢٣٠، ٢٣١؛ والبلادي: معجم معالم الحجاز، ص ٥٤.

(٧) سقط ما بين القوسين من الأصل وجميع النسخ ما عدا (ص).

(٨) في (الأصل ز ذ): أملنا ورجعنا. ولعل ما أثبت من بقية النسخ أولى.

العَرَب، فنَزَلَ عليهم الهادي إلى الحق - عليه السلام - ونَزَلْنَا معه، فَسَأَلْتُ بعضَ القومِ عن نسبهم، فقال لي: إنا بَطْنٌ من قيس، يقال لهم بنو معاوية بن حرب ^(١)، فذَكَرْتُ عند ذلك حديثَ جَدِّي عبيدِ الله بن العباس في صاحبِ اليمن، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ صاحبُ الأمر، وَحَدَّثْتُ اللهَ تَعَالَى الذي بَلَّغْنَا رُؤْيَيْتَهُ والقيَامَ معه.

ثم إن الهادي إلى الحق - عليه السلام - كَلَّمَ القومَ الذين نزل عندهم، وَذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ الله، وَأَعْلَمَهُمْ بقيامه بطاعة ^(٢) الله، وَسَأَلَهُمُ النُّصْرَةَ له والقيَامَ معه، فخرج نَقَرٌ من بني معاوية بن حرب، وسار حتى كان في بعض الطريق.

[سَبَبُ فَتُورِ الهادي إلى الحق عن الخروج إلى اليمن ثم عَزَمَهُ]

ثم إني سَأَلْتُهُ عَمَّا كَانَ مِنْ عَزَمِهِ عَلَى المَقَامِ والتَّخَلُّفِ عن الخروج إلى اليمن، فقال: "كُنْتُ قد ^(٣) انشَيْتُ عن الخروج إلى اليمن، وَعَزَمْتُ عَلَى أَنْ أَصْرِفَ رُسُلَ أَهْلِ اليمن؛ للذي كان بدا لي من شِرَّةِ أَهْلِ اليمن، وَقِلَّةِ رَغبتهم في الحق، فَكُنْتُ عَازِمًا عَلَى التَّخَلُّفِ، حتى إذا كان قبل خروجي بليلةٍ رَأَيْتُ رَسُولَ الله - ﷺ - في المنام، وهو يقول لي: (يا يحيى ما لك مُتَثَقِّلًا عن الخروج، انهض فمُرَّهُمْ فليُنْقُوا ما على الأرض من هذه الأوساخ)، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ - عليه السلام - لم يَرِدْ بذلك غيرَ المعاصي التي على الأرض من العباد، فَضَمِنْتُ لَهُ النهوض، فَنهَضْتُ"، فَحَدَّثْتُهُ / ١١ - ب/ بما سَمِعْتُ من عمِّه محمد بن القاسم - عليه السلام -، فقال: "قد أوصاني عَمِّي محمدُ بن القاسم، وقال لي: يا أبا الحسين أَتُرَانِي أَعِيشُ إِلَى وَقْتِ تَوَجُّهِ إِلَيَّ مِمَّا غَنِمْتَهُ ولو مقدارَ عشرةِ دراهمٍ أَتَبَرَّكَ بِهَا؟".

(١) قيس: قيس عيلان. وقد تقدَّم أن العبارة ربما تَصَحَّفَتْ من (معاوية بن حزن).

(٢) في الأصل: لطاعة. وما أُثْبِتَ من بقية النسخ أنسب.

(٣) في الأصل: قد كنت. وما أُثْبِتَ من بقية النسخ لعله الأولى.

[دلالات في الطريق]

قال: وسرنا، فأصابنا في بعض الطريق عطش شديد، حتى أتعبنا الأمر، فنزلنا وقد أجن علينا الليل وأظلم، ومضى بعض أصحابنا يطلبون الماء، ولم تنزل منزلنا ذلك، ونحن نطمع فيه بهاء، غير أنا لا نياس من رحمة الله ورزقه، فبينما رجل من أصحابنا يلتمس^(١) الماء بين شجر كثير وخمر^(٢) إذ وجد بؤيرة صغيرة قد التف عليها الشجر من كل موضع، لا يمتدئ إليها بالنهار إلا جهداً، فصاح بنا، فأتينا مسرعين إليه، فوجدنا الماء في البئر كثيراً عذباً، فشربنا وسقينا دوابنا، واستقينا في مساقينا، ورحلنا، فسألت الذين كانوا معنا من الأعراب: هل كانوا يعرفون هذا الماء، أو وردوه قط، أو سمعوا به؟ فحلفوا: ما رأوه ولا سمعوا به، فكانت هذه - يا بني - أعظم الآيات، وأكبر الدلالات.

قال علي بن محمد: حدثني أبي محمد بن عبيد الله، قال: ما كنا ننزل منزلاً إلا خرج يحيى بن الحسين حتى يتروح منا ساعة، ثم يئكي ويتحبب كما تتحب المرأة الشكلي على الإسلام وعلى الأمة الضالة المضلة، وكان يدعو أصحابه ويعظمهم، ويعلمهم شرايع دينهم.

[هجوم زبيد^(٣) على الهادي إلى الحق وأصحابه]

فكنا على ذلك في سفرنا، حتى انتهت بنا الطريق إلى أن صرنا في^(٤) بلد زبيد،

(١) في الأصل: فبينما رجال من أصحابنا يلتمسون. والأنسب ما أثبت من بقية النسخ.

(٢) الحمر: ما وارك من الشجر والجال ونحوهما. ابن منظور: لسان العرب، ج ٤، ٢٥٦.

(٣) زبيد: هو زيد الأصغر بن ربيعة بن سلمة بن منبه الأكبر، ورد لدى الهمداني: "بلد زبيد: بلاع واد فيه نخل، ... ويسكن فيه منهم الأغلو، وبنو مازن، وبنو عصم، والأخرون رهط عمرو بن معدي كرب، ومن مساكنهم تثليث"، وهو واد شرق وادي بيشة المتقدم. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٢٧، ٢٢٨، وهامشها؛ وكحالة: معجم قبائل العرب، ج ٢، ص ٤٦٥؛ والبلادي: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص ٦١.

(٤) أن صرنا في: أضيفت من (ص). وقد سقطت من الأصل وبقية النسخ.

فلما عاينونا صرّحوا علينا، وقابلونا^(١) في جماعة كثيرة، ولزّموا علينا الطريق من كلّ موضع، وكثرت صرخاتها علينا.

فلما رأينا ذلك أشفقنا منهم، وكُنّا مُواقفين لهم، فلما نظر يُوسُفُ بن محمد الحسيني إلى كثرة القوم أتى إلى الهادي إلى الحق، فأعلمه أن القوم واقعون به وبأصحابه، فليخفف في صلاته، فلم يلتفت إلى ذلك، ومضى الهادي إلى الحق - عليه السلام - في صلاته فأداها على ما يحب.

فلما فرغ من صلاته لبس سلاحه، وركب دابّته، وقد غشيّا^(٢) القوم، وأكثروا فينا الرمي، فلما عاينهم يحيى بن الحسين حمل عليهم واتبعناه، فرمّوه في وجهه بحجر، وطعن رجلاً منهم فرمى به، واحتوى جماعة منهم برمح، فأخذهم أسرى، وهرب الباقيون خوفاً^(٣) منه، وألقى الله في قلوبهم الرعب، فلما أتينا إليه^(٤) سألناه قتل القوم الذين أسرهم، فكره ذلك علينا، وسار بهم معه ساعة من النهار، ثم أمر بهم فكسّوا ورّدوا، وأحسن في أمورهم، وصرفهم إلى عشائيرهم، وسرنا معافين سالمين، / ١٢ - أ / لم يربّ أحداً مناريةً، حتى وصلنا إلى صعدة.

(١) في (ط ب): وقاتلونا.

(٢) في الأصل: وقد غشي. وما أثبت من بقية النسخ أنسب.

(٣) خوفاً: سقطت من الأصل. وأثبت من بقية النسخ.

(٤) إليه: سقطت من الأصل، وأضيفت من بقية النسخ.

[أحداث سنة ٢٨٤هـ / ٨٩٧م - ٨٩٨م]

مصير الهادي إلى الحق - ﷺ - إلى صعدة [واصلاحه بين قبيلتي
سعد والربيعة]

قال محمد بن عبيد الله: فوصلنا إلى صعدة لستة أيام خلون من صفر سنة أربع
وثمانين وميتين، فقدّمنا على خولان، وبينهم فتنة عظيمة، قد فني فيها الرجال،
وذهبت فيها الأموال، وقحطت البلد، وجذبت الأرض، وكان ذلك وقت الزرع،
فأيت الزروع قد يسر بعضها عطشا، ورأيت البهايم تهافت موتا.

فلما قرب يحيى بن الحسين من البلد ضرب مضاربه قريبا منها، وأمرنا بالنزول
فيها، فنزلنا، وخرج الناس إليه طوعا، لم يكره أحدا إلى ^(١) خروج إليه، ولم يرسل
لأحد يستقبله ^(٢)، فخرج إليه أهل صعدة الذين كانت بينهم الفتنة، وهم سعد
والربيعة، والتقوا بأجمعهم إليه، وسلموا عليه، فسلم عليهم، وأمرهم أن يسلم
بعضهم على بعض.

ثم ابتدا فخطب خطبة عظيمة بليغة، فحمد الله تعالى، وأثنى عليه، وصلى على
النبي - ﷺ -، وذكرهم بالله، ووعظهم بمواعظ كثيرة، فأيت الناس وبهم ^(٣)
رجة، وهم ييكون؛ ممّا سمعوا من كلامه ومواعظه، ويضجون كما يضح الحجاج
عند بيت الله الحرام، ثم أمر بمصحف، فاستحلف بعضهم لبعض بترك الفتنة

(١) في (ص ط ب): على.

(٢) في الأصل وبعض النسخ: (يستقبله)، وربما معناها: يطلب منه القيلولة لديه في بيته. وما أثبت
من (ص ز ط ب) أنسب.

(٣) في (ص ط ب): ولهم.

والعداوة، فحلفوا على ذلك، ثم أخلفهم هو لنفسه على الطاعة له والمناصرة، والقيام بأمر الله والمعاضدة، فبايعوه في موضعه ذلك.

واختلط الفريقان جميعاً، وكثروا، ودخلوا بأجمعهم صعدة كأن لم يكن بينهم فتنة، وكأنهم إخوة، فما رأيت يوماً قط أحسن من ذلك اليوم، ولا أيسر أمراً؛ لما كان قد^(١) تناهى إلينا مما كان بين سعد والريعة، من قتل الرجال، وذهاب الأموال، وكنت أظن أمرهم لا يتفق أبداً ولا يصلح، فلما رأيت سرعة اتفاقهم، وصلاح أمرهم، علمت أن ذلك هبة أعطهاها الله - تبارك وتعالى - يحيى بن الحسين؛ لأنه لم يكن معه إلا أقل من خمسين رجلاً، بالذين تبعوه من بني معاوية بن حرب^(٢)، وممن تبعه في الطريق من غيرهم من الناس، فأصلح بين ألوف من الناس بلسانه، وبالهبة التي جعلها الله له.

[فشل آل يعفر في الصلح بين سعد والريعة ونجاح الهادي إلى الحق]

ولقد خبرني جماعة من أهل صعدة منهم الحسن بن علي، وعبدالله بن الحسين الفطيميان، ومحمد بن حجاج، وعلي بن صباح، ومحمد بن أبي الزبير اليرسميون^(٣)، وجماعة غيرهم من أهل اليمن: أن قواد آل يعفر كانت تأتيهم، فتحاول الصلح بينهم، فلا يقدرון على ذلك.

١٢-ب/ ولقد أخبرني بعضهم أن قايداً لآل يعفر كان معه ألوف من العسكر أتاهم فأراد الصلح في ما بينهم، وإنهم ليقتتلون وهو واقف ما له فيهم حيلة، حتى وقع بينهم عشرون قتيلاً، ما استوى له الصلح بينهم.

(١) في (الأصل ذ): قد كان. وما أثبت فمن بقية النسخ.

(٢) حرب: تقدم ذكر ترجيح أنها تصحفت عن (حزن).

(٣) تقدم التعريف بهم في مصادر السيرة.

فأصلح الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بينهم بأسهل الأمور وأزفقتها، وأيسرها وأهونها، فاختلط الناس بعد الفرقة، واجتمعوا بعد المنافرة، وتحابوا فيما بينهم، وأشفق بعضهم على بعض، وأنزل الله عليهم السماء مذكراً، فأخصبت بلدهم، وصلحت ثمارهم، واضطنعت^(١) دوابهم، ورخصت أسعارهم، وأمنوا في طرقهم، وأصلح الله ذات بينهم.

فهذه علامات البركة، وكذلك يُروى أنه: (إذا ظهر العدل نزل القطر)، فأظهر يحيى بن الحسين من العدل ما لم تر في عصرنا هذا، ولا سمعنا به^(٢) إلا عن الأئمة العادلة، مثل أمير المؤمنين [علي - عليه السلام] - وغيره من الأئمة الهادين. ثم ولّى يحيى بن الحسين الولاية في المخاليف على جباية الطعام، والمخالف في القرى، وكتب لكل والٍ عهده.

نسخة العهد الذي عهده الهادي إلى الحق - عليه السلام - إلى ولاته

"بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما عهده الهادي إلى الحق أمير المؤمنين يحيى بن الحسين، ابن رسول الله صلى الله عليه وعلى أهل بيته، لفلان بن فلان: إني ولّيتك جبايات قرية كذا وكذا، وضمّ ما أوجب الله علينا ضمّه من أعشارهم، واستأمنتك على ذلك، وقلدتك إياه بأمانة الله - تبارك وتعالى -، وأمانة رسوله - صلى الله عليه^(٣) -، فانظر - أعانك الله وأحاطك - إذا وصلت إلى البلد الذي وجهت إليك إليه أن تدخله

(١) في (ز): واضطبعت. وفي (ص ط ب) كُتِبَتْ مُهْمَلَةً بدون ضبط أي حرف. وفي (مط): واصطلحت. ولعل الصحيح ما أثبت.

(٢) في (ص ط ب): بمثله.

(٣) كذا في الأصل ومعظم النسخ. وفي (ص): صلى الله عليه وسلم.

بالسكينة والوقار، والذكر لله الواحد الجبار، وأمر بمنزل يُكْتَرَى لك كراء، فانزل فيه، ولا تُجْشِمَنَّ أَحَدًا من أهل البلد من مؤنتك شيئاً قليلاً ولا كثيراً، ولا تُقْبَلَنَّ لأحدٍ منهم هدية، فمن قبل من أحدٍ هديةً ممن يُسْتَعْمَلُ عليه فتلك الهدية لبِتِ مالِ المسلمين؛ لأنها أُهْدِيَتْ له في عَمَلِهِمْ وعلى ولايته، وبذلك مضى الحُكْمُ من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ^(١) - رحمة الله عليه وصلواته -.

فإذا قرَّرتَ قراركَ فليكنْ أولُ ما تَبْتَدِي به من العَمَلِ - إن شاء الله تعالى - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعلّم الناس إقامة صلواتهم، والإتمام لركوعهم وسجودهم، ومن علمت منهم من بواديه، ممن يرد عليك، أو ممن معك في البلد، أنه لا يفهم من القرآن ما يُصَلِّي به؛ فعلمه ما قدرَ عليه / ١٣ - أ/ وقوي من مَفْصَلِ القرآن، وعلمهم ما قدرت عليه من أصول الدين، وفضل الجهاد والمجاهدين، ومعرفة الحق والمحقين، والولاية لمن أمر الله تعالى بولايته من أهل بيت نبيّه الطاهرين.

ثم انظر في عمَلِكَ فما كان من الزرع يُسْقَى سَيْحًا ^(٢) أو بماء السماء فخذْ عُشره كاملاً، وما كان من ذلك يُسْقَى بالسواني ^(٣) والدوالي ^(٤) فخذْ نِصْفَ عُشره.

(١) روي أنه -عليه السلام- استعمل رجلاً على بعض الأعمال، فلما كان رأس السنة عزله، فأتى بسليف من دراهم يحمله حتى طرحه بين يدي علي، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا أهداه لي أهل عملي، ولم يهدوه لي قبل أن تستعملني ولا بعد ما نزعني، فإن كان لي أخذته، وإلا فشأنك، فقال أمير المؤمنين: "أحسن، لو أمسكتها كان غلواً". وأمر به لبيت المال. الهادي: الأحكام، ج ٢، ص ٤٢٧.

(٢) السَّيْحُ: الماء الجاري الظاهر. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ٢٢٥.
(٣) السواني: جمع سانية، وهي: العربُ وأداته، يُنْصَبُ على المسنوية، ثم تُجرُّه الماشية ذاهبةً وراجعةً، والإبل يُسْتَقَى عليها الماء من الدواليب، فهي أبداً تسير. مصطفى: المعجم الوسيط، ج ١، ص ٤٥٧.

(٤) الدوالي: جمع دالية، وهي: دَلُوٌ وَنَحْوُهَا، وَخَسْبٌ يُصْنَعُ كَهَيْئَةِ الصَّليبِ، وَيُسَدُّ بِرَأْسِ الدَّلُو، ثُمَّ يُؤْخَذُ حَبْلٌ يُرَبِّطُ طَرَفُهُ بِذَلِكَ، وَطَرَفُهُ بِجِدْعٍ قَائِمٍ عَلَى رَأْسِ الْبَيْتِ، وَيُسْقَى بِهَا. الفيومي: المصباح المنير، ج ١، ص ١٩٩.

وكذلك إذا كان العَثْرِيُّ^(١) - بكلام أهل اليمن، وهو الأعداء^(٢) بكلام أهل العراق - والمَسْقِيُّ ثلاثة وثلاثون^(٣) فَرَقًا وثُلُثُ الفرق^(٤)، وهو خمسة أوسق كاملة، فإن قَصَرَ شيئاً مما يَجِبُ فيه العُشْرُ أو نِصْفُ العشر عن هذه الثلاثة والثلاثين فَرَقًا وثُلث فسَلَّمَهُ إلى صاحبه، ولا تأخذ منه عُشْرًا ولا نِصْفَ عُشْرٍ؛ فإن الله -تبارك وتعالى- لم يُوجِبْ في ذلك شيئاً.

وانظُرْ إن كان لِرَجُلٍ أَقْلٌ مِمَّا سَمَّيْنَا مِنَ الْكِيلِ شَعِيرًا، وَأَقْلٌ مِنَ الْكِيلِ بُرًّا فسَلَّمِ الصنفين جميعًا لصاحبهما، ولا تَضُمَّ أَحَدُهُمَا إلى صاحبه؛ فإنه لا يَجِبُ في شيءٍ من ذلك زَكَاةٌ، حتى يَبْلُغَ كُلُّ صِنْفٍ مِنَ الْأَصْنَافِ هذه المَكِيلَةَ المسماة.

وانظُرْ أن تَسْأَلَ عن أَشْرَاكِ النَّاسِ؛ فَمَنْ عَلِمْتَ لَهُ شُرَكَاءَ في قِطْعٍ مُتَفَرِّقَةٍ، كَثُرَ ذلك أو قَلَّ، فَلَمْ يَعْصِهِ إلى بعض؛ فإن كان جميع ما أخرج الله - سبحانه وتعالى- لصاحب هذا الطعام في موضعٍ واحد، أو مواضعٍ مختلفة، يَبْلُغُ الخمسةَ الأوسق، وهي ثلاثة وثلاثون فَرَقًا وثُلثُ الفرق الذي ذَكَرْتُ لك، فَخُذْ منه زَكَاتَهُ على ما شَرَحْتُ لك، وإن لم يَفِ فلا سَبِيلَ لك عليه.

فإذا ضَمَمْتَ جَمِيعَ مَا قَبْلَكَ -إن شاء الله تعالى- من حقِّ الله -تبارك وتعالى-،

(١) في (الأصل ص ط ب ذ): العَثْرِي. وفي (ز): العِثْرِي. والصحيح أنها: (العَثْرِي)؛ قال الجوهري: "العَثْرِيُّ بالتحريك: العَذْيُ، وهو الزَّرْع الذي لا يسقيه إلا ماءُ المطر". الجوهري، إسماعيل بن حماد الفارابي (ت ٣٩٣هـ): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ج ٢، ص ٧٣٧.

(٢) كذا في الأصل ومعظم النسخ. وفي (ص): العذاء. وفي (ز): الأعداء. والصحيح أنها: (الأعداء) جمع (عَذْي): وهو الزَّرْع الذي لا يسقيه إلا ماءُ المطر، كما تقدّم.

(٣) كذا. ولعل الأصح: (ثلاثة وثلاثين...) على أنه خبر: (كان العَثْرِيُّ... والمَسْقِيُّ...). أي ويشترط لأخذ الزكاة أن يكون الزرع عثريا أو مسقيا بالغاحد النصاب، وهو ثلاثة وثلاثون فرقا وثلث.

(٤) أضيف بين سطور الأصل وفي (ز ط ب) عبارة: (تسعة أصواع، فيكون ذلك ثلاث مية صاع). وكأنها تفسير لكمية الثلاثة والثلاثين فرقا وثلث الفرق.

فَقَدَّمْ فِي ذَلِكَ وَفِي حِفْظِهِ النَّيَّةَ وَالْأَمَانَةَ.

واعلم أن الله -تبارك وتعالى- المَطْلُوعُ على فعل كل فاعل، والمُجَازِي على كل عَمَلٍ كل عَامِلٍ؛ وذلك قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(١).

وَأَخْرِجْ مِنْ ذَلِكَ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مُؤَنِّتِكَ وَأَسْبَابِكَ، وَمُؤَنَّةٍ مَنْ تَحْتَاجُ إِلَى عَوْنِهِ وَقِيَامِهِ مَعَكَ، فَإِنَّ اللَّهَ -تبارك وتعالى- قد جَعَلَ لَكَ إِخْرَاجَ ذَلِكَ بِالْمَعْرُوفِ.

ثُمَّ انْظُرْ أَنْ تَكْتُبَ أَسْمَاءَ فُقَرَاءِ الْبَلَدِ الَّذِي أَنْتَ بِهِ وَمَسَاكِينَهُ، وَلَا تَكْتُبَ مِنْ أَهْلِهِ إِلَّا كُلَّ مَنْ لَا حِيلَةَ لَهُ إِلَى التَّحَرُّفِ وَالِاسْتِغْنَاءِ مِنْ ذَلِكَ، فَإِنَّكَ إِنْ كَتَبْتَ جَمِيعَ مَنْ يَحْتَاجُ مَنْ لَهُ حِيلَةٌ (وَمَنْ لَيْسَ لَهُ حِيلَةٌ)^(٢) أَضَرَرْتَ بِمَنْ لَا حِيلَةَ لَهُ، فَآثَرُ أَهْلِ الْمَتْرَبَةِ، وَأَهْلُ الْمَتْرَبَةِ [هُمْ] مَنْ لَا حِيلَةَ لَهُ. وَأَزَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ فِي الرِّزْقِ حِيلَةٌ، حَتَّى يَوْسَعَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَعَلَيْهِ، فَنُصِيرَ مَا أَمَرْنَا اللَّهَ بِتُصْيِيرِهِ إِلَيْهِمْ مِنْ أَمْوَالِ اللَّهِ -تبارك وتعالى- إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

فَإِذَا أَثَبَّتَ عِدَّتَهُمْ فَاعْزِلْ / ١٣ - ب / لَهُمْ رُبْعَ جَبَايَةِ بَلَدِهِمْ، ثُمَّ اكْتُبْ إِلَى بَعْدِهِمْ، وَبَكِيلٍ مَا جَعَلَ اللَّهُ لَهُمْ؛ حَتَّى أَكْتُبَ إِلَيْكَ فِي ذَلِكَ^(٣) بِرَأْيِي، وَكَيْفَ تُفَرِّقُهُ -إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى-.

وَانْظُرْ^(٤) إِنْ جَازَكَ ابْنُ سَبِيلٍ؛ فَشَكَا إِلَيْكَ حَاجَةً، أَنْ تُقَوِّيَ أَمْرَهُ، وَتُلَمَّ شَعْنُهُ، وَتَجْرِي فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ مَا يُقَرِّبُكَ إِلَى اللَّهِ -تبارك وتعالى-، فَإِنْ ذَلِكَ أَنْفَعُ لَكَ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ".

(١) الزلزلة: ٧-٨.

(٢) سقط ما بين القوسين من الأصل. وفي (ذ): إِنْ كَتَبْتَ مَنْ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَنْ لَهُ حِيلَةٌ أَضَرَرْتَ. وفي (مط): إِنْ كَتَبْتَ جَمِيعَ مَنْ تَحْتَاجُ وَمَنْ لَيْسَ لَهُ حِيلَةٌ أَضَرَرْتَ. والصحيح مَا أَثَبَّتَ مِنَ النُّسخِ الْآخَرَى.

(٣) فِي ذَلِكَ: لَيْسَتْ فِي (الْأَصْلِ ذ). بَلْ فِي النُّسخِ الْآخَرَى.

(٤) فِي الْأَصْلِ وَالنُّسخِ: (فَانْظُرْ). وَلَعَلَّ الْأَوَّلَى مَا أَثَبَّتَ؛ إِذْ يَنَاسِبُ الْاسْتِثْنَاءَ بِالْوَاوِ لَا الْفَاءِ.

فلما جُمِعَ الطعام أمر يحيى بن الحسين كلَّ عاملٍ ببلدٍ يُفَرِّقُ رُبْعَ ما جَمَعَ من الطعام في مساكين بلده.

ورأيتُ بعضَ غلمانِهِ قد أتاه يُشاورُهُ في قَضْبٍ - والقَضْبُ هو القَتُّ^(١) - قد اجْتَمَعَ عنده، فقال له يحيى بن الحسين: "انظُرْ في ما قَبَضْتَ"^(٢) من القَضْبِ ما وقع للمساكين فاعزِلْهُ، وبِعْهُ أنت، ثم اقسِمْ ثَمَنَهُ عليهم؛ فإنه أصلحُ لهم، وإن أعطيتَ المساكين قَضْبًا لم يبيعهوا إلا بأقلَّ من ثمنه"^(٣). فقلت له: جعلت فداك، وكذلك كل ما جُبِيَ من الصدقات مثل الزبيب وغيره؟ قال: "نعم، كلما وقع عليه اسمُ صدقة عَزَلْ للمساكين رُبْعَهُ، ولو وسَّعَ الله علينا وعلى المسلمين لعزَلْنَا للمساكين نِصْفَهُ، ولو استغنى المسلمون عنه لدفعناه إلى المساكين كله".

قال عليُّ بن محمد: حدَّثني محمد بن سليمان الكوفي، قال: أمرني يحيى بن الحسين بأخذ زكاة أموال التجار، وأمرني أن أَسْتَحْلِفَهُمْ على ذلك.

[توجيهات الهادي إلى الحق حول جِزْيَةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَضِياعِهِمْ]

وأمرني بقبْضِ جِزْيَةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فقال لي: "خُذْ من مياسيرِهِمُ التُّجَّارِ"^(٤)

(١) القَت: الفصفصة اليابسة، واحدها قِته، وجنس نباتات عشبية كلثية فيه أنواع تزرع وأخرى تنبت برية في المروج والحقول. وفي المنجد أنه: "حبٌّ برِّيٌّ يأكله أهل البادية بعد دقه وطبخه". ينظر مصطفى: المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٧١٤؛ ومعلوف، لويس: المنجد في اللغة والأدب والعلوم، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط ١٩، ص ٦٠٧-٦٠٨.

(٢) في (الأصل ز ط ب): قَضْب. وما أُثْبِتَ من (ص ذ) أنسب.

(٣) من هنا بدأ سقوط قطعة من (ز)، وسيُشار إلى عودتها.

(٤) لا يتعارض نصُّ العهدِ هنا مع ما هو معروفٌ من فقه الإمام الهادي (الأحكام ج ٢ ص ٤٣٤) وهو "أن الجزية ٤٨ درهما على ملوك ومياسير أهل الذمة، و ٢٤ درهما على أوساطهم وتجارهم، و ١٢ درهما على فقرائهم"؛ لأن نص الأحكام يتحدث عن عموم أهل الذمة، ونصُّ هذا العهد هنا يتحدث عن التُّجَّار منهم فقط.

أربعة وعشرين درهماً قفلة^(١)، ومن كان منهم يملك أقل من خمسة دنانير فلا تأخذ منه شيئاً، وخذ من أوساطهم اثني عشر درهماً قفلة.

وأما أصحاب الضياع من اليهود والنصارى فمن كان في يده قديماً بالوراثة عن أجداده، ولم يشتَر من أموال المسلمين شيئاً فليس لنا عليه سبيل، ومن اشتَرى منهم من المسلمين فالحكم فيه أن يردّه على المسلمين، ويأخذوا ثمنه، إلا أن يُعمل بكم عمل من كان قبلنا من الصلح؛ لأنكم لو أطلقتم في شراء أموال المسلمين لبطلت أعشار المسلمين وأموالهم"، فصالحوهم على ما سنشّره في آخر كتابنا - إن شاء الله تعالى -.

[كتاب دعوة الهادي إلى الحق إلى أهل اليمن]

قال علي بن محمد: حدّثني أبي محمد بن عبيدالله، قال: أقام يحيى بن الحسين في صعدة صفراً^(٢)، وشهري ربيع، وجمادى، والناس يكتبون إليه في كل وقت من أهل اليمن.

وكان عند وصوله البلد قد كتب إلى أهل اليمن جميعاً كتاب دعوة، يدعوهم فيها ويخصّهم على الجهاد معه، وهذه نسخة دعوة / ١٤ - أ / الهادي إلى الحق - عليه السلام، وقوله في الجهاد.

قال علي بن محمد: حدّثني أبي محمد بن عبيدالله، قال: كان يحيى بن الحسين

(١) القفلة: الوزن من الدراهم. وكان الدرهم القفلة في عصر الإمام الهادي يساوي ٦ دراهم سديسية من الدراهم الصغار. ينظر: العلوي: السيرة، ل ١٦ / ب، ١٣٦ / ب؛ والفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ١٠٤٩.

(٢) في (ص): صفر. ولعلّ اختلاف الرواية فيه جاء تبعاً لاختلاف النحويين فيه هل هو من المنصرفات أم لا.

يدعو الناس وَيُحْتِثُهُمْ عَلَى الْجِهَادِ، وَيُرَغِّبُهُمْ فِيهِ، فَكَانَتْ دَعْوَتُهُ:

"أَيُّهَا النَّاسُ أَدْعُوكُمْ إِلَى مَا أَمَرَنِي اللَّهُ أَنْ أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ، إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، وَإِلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَمَا جَاءَنَا بِهِ الْكِتَابُ اتَّبَعْنَاهُ، وَمَا نَهَانَا عَنْهُ اجْتَنَبْنَاهُ، وَإِلَى أَنْ نَأْمَرَ نَحْنُ وَأَنْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَنْهَى نَحْنُ وَأَنْتُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ جَاهِدِينَ وَتَرْكُهُ"، ثُمَّ شَرَطَ عَلَى نَفْسِهِ فِي دَعْوَتِهِ شَرْطًا؛ فَقَالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ، وَبَعْدُ، فَإِنِّي أَشْرُطُ لَكُمْ أَرْبَعًا عَلَى نَفْسِي: الْحُكْمَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ، وَالْأَثَرَةَ لَكُمْ عَلَى نَفْسِي فِيهَا جَعَلَهُ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، أُؤَثِّرُكُمْ فَلَا أَتَفْضِلُ عَلَيْكُمْ، وَأُقَدِّمُكُمْ عِنْدَ الْعَطَاءِ قَبْلِي، وَأَتَقَدَّمُ أَمَامَكُمْ عِنْدَ لِقَاءِ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ بِنَفْسِي.

وَأَشْرُطُ لِنَفْسِي عَلَيْكُمْ اثْنَتَيْنِ: النَّصِيحَةَ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَلِي فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَالطَّاعَةَ لِأَمْرِي عَلَى كُلِّ حَالٍ تَكُمُ مَا أَطَعْتُ اللَّهَ، فَإِنْ خَالَفْتُ طَاعَةَ اللَّهِ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ، وَإِنْ مِلْتُ أَوْ عَدَلْتُ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ فَلَا حُجَّةَ لِي عَلَيْكُمْ، وَ^(١) هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ^(٢)".

[أقوال الهادي إلى الحق وأعماله حول دَعْوَتِهِ الإِصْلَاحِيَّةِ وَإِخْلَاصِهِ لَهَا]

وَسَمِعْتُهُ يَوْمًا وَهُوَ يَقُولُ - وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ -: "وَاللَّهُ مَا دَعَوْتُنَا هَذِهِ إِلَّا دَعْوَةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِثْلًا بِمِثْلِ، دَعَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَّةِ، وَكَذَلِكَ دَعَوْتُنَا نَحْنُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ، فَهَلْ يَقْدِرُ أَحَدٌ يَقُولُ: إِنَّا خَالَفْنَا حُكْمَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؟!، مَا يَمْنَعُ أَهْلَ الْأَمْوَالِ مِنَ الْقِيَامِ مَعَنَا أَنَا أَخَذْنَا مِنْهُمْ (مَا لَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، مَا

(١) فِي (ص ط ب): (هَذِهِ ...).

(٢) يَوْسُف: ١٠٨.

يَمْنَعُ الْأَغْنِيَاءَ أَنَّا أَخَذْنَا مِنْهُمْ^(١) مَا يَحِبُّ عَلَيْهِمْ، فَمَا^(٢) يَمْنَعُ الْفُقَرَاءَ مِنَ الْقِيَامِ مَعَنَا إِذْ لَمْ نَسْتَأْثِرْ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَمْوَالِ دُونَهُمْ؟ وَاللَّهُ مَا يَمْنَعُهُمْ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَا مَنَعَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ مِنَ الْقِيَامِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ -، وَمَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، وَمَا يَمْنَعُهُمْ إِلَّا أَنْ دَعَوْتَنَا مِثْلَ دَعْوَةِ مُحَمَّدٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -".

وَسَمِعْتُهُ مَا لَا أَحْصِيهِ إِذَا اجْتَمَعَ عِنْدَهُ النَّاسُ يَقُولُ: "وَاللَّهُ - فَقَدْ قَالَ يَحْيَى بْنُ الْحُسَيْنِ: وَاللَّهُ -: لَنْ أُطْعَمُونِي لَا فَقَدْتُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ السَّلَامُ - إِلَّا شَخْصَهُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ -".

وَسَمِعْتُهُ يَوْمًا يَخْلِفُ بِاللَّهِ مُجْتَهِدًا: "لَوِدِدْتُ أَنْ اللَّهَ أَصْلَحَ بِي أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَأَنِّي جُعْتُ يَوْمِينَ وَشَبِعْتُ يَوْمًا".

/ ١٤ - ب / وَسَمِعْتُهُ لَيْلَةً أَيْضًا وَهُوَ يَقُولُ: "وَاللَّهُ لَوِدِدْتُ أَنْ اللَّهَ أَصْلَحَ الْإِسْلَامَ بِي، وَأَنْ يَدِيَ مِلْصَقَةً بِالثَّرِيَاءِ، ثُمَّ أَهْوِيَ إِلَى الْأَرْضِ، وَلَا أَصِلُ إِلَّا قِطْعًا".
وَسَمِعْتُهُ يَوْمًا يَقُولُ: "وَاللَّهُ لَوْ كَانَ مَعِيَ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَثَلَاثَةُ عَشَرَ مُؤْمِنًا، لَا بَلَّ لَوْ كَانَ مَعِيَ خَمْسُ مِائَةٍ؛ لِأَنَّ تِلْكَ كَانَتْ فَضِيلَةً لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ -، لَدُسْتُ بِهَا الْيَمْنَ"، ثُمَّ قَالَ: "اصْبِرُوا مَعِيَ، فَوَاللَّهِ لَا تُقَدِّمَنَّ بَرَايَتَكُمْ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ، وَلَا تُصِرَّنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ^(٣)، وَلَا تُضْرِبَنَّ ضَرْبًا مَا ضَرَبَهُ إِلَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ -".

وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: "مَرِضْتُ مَرَضًا فِي أَهْلِي، فَأَفْكَرْتُ، وَعِنْدِي أَبِي وَعُمُومَتِي وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَقُلْتُ: أَخْلُوا لِي الْمَجْلِسَ، فَقَامُوا، وَأَخَذْتُ فِي شَيْءٍ مِنْ

(١) سقط ما بين القوسين من (الأصل ذ). وهو في (ص ط ب).

(٢) في (ص ط ب): وما. ولعل (ما) هنا استفهامية، بخلاف الأولين فهما نافيتان.

(٣) وَلَا تُصِرَّنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ: مضافة من (ب).

الدعاء - لم يسمه يحيى بن الحسين، إلا أنه قال - : كان في دعائي: اللهم إني أعلم أنه لا بد من الموت، اللهم فأحيني حتى تُوصِلني إلى ما يُرضيك من الجهاد، ثم افعل بي ما تُريد".

وسمِعته يومًا وهو يقول: "والله لئن لم يَسْتَوِ لي في اليمن أمرٌ لا رَجَعْتُ إلى أهلي، أو أَضْرِبَ الشرق والغربَ حتى أَقِيمَ لله حُجَّتَه".

وسمِعته يومًا يقول: "والله - فقد قال يحيى بن الحسين: والله - : ما أعلم اليوم رايةً مثلَ رايةِ بدرٍ إلا رايَنا هذه، ولا عصابةً اجتمعت أفضلَ من هذه العصابة بعد مَنْ كان قبلنا"، ثم قال لي: "وكيف لا يكون ذلك كذلك وأنتم تترقدون لا تهُمُّون بظلمِ أحد، وتقومون فإنما هُمُّكم إظهارُ دينِ الله، وإحياء كتابه، والأمرُ بالمعروف، والنهي عن المنكر، والله لو لم يكن إلا ما أنتم فيه من عزِّ المؤمنين، وإخافةِ الظالمين، لكان في ذلك الفضلُ العظيم"، ثم قال: "والله إني لأرجو أن تكونوا عند الله أفضلَ من ذلك".

ثم قال يومًا وعنده الناس: "ما أَشْتَفِي ولا يُشْفَى قلبي، أو أطأ جِيفَ المخالفين للحقِّ بفرسي"^(١)؛ ثم قال: "أَبْشِرُوا بما أنتم فيه، من اجتماع على طاعة الله، تأمُّرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر، والله - فقد قال يحيى بن الحسين: والله - : لملائكة الله"^(٢) في سماواته أَسْرُّ بهذا الأمر الذي أنتم فيه منكم في الأرض".

وسمِعته يومًا وهو يقول: "والله والله - فقد قُلْتُ: والله مرَّتَيْن - : لو عَلِمْتُ أن أحدًا في هذا العصر أقومَ بهذا الأمر مني، أو عرفته من أهل البيت، يقوم بأفضل مما أقوم به لا تَبْعُته حيث كان، أو أقاتل بين يديه، ولكني لا أعلمه".

(١) هنا عادت (ز) بعد السَّقْط، ولم يُبَشِّر الناسُ إليه ولا ترك له فراغًا.

(٢) الله: ليست في (الأصل ذ). وأضيفت من بقية النسخ.

ورأيته يوماً وقد أخذ المصحف، ثم قال للناس: "بيني وبينكم هذا آية آية، فإن خالفت ما فيه بحرفٍ فلا طاعة لي عليكم، بل عليكم أن تقتاتلوني أنا".

/ ١٥-أ/ وسمِعْتُهُ يَوْمًا وهو يقول للناس: "اضْمَنُوا لي أن تُصْلِحُوا لي سرايركم، وإذا أمرتكم بشيءٍ اتَّمَرْتُمْ، إذاً والله أوقفكم على المحجة البيضاء، وأضمن لكم الجنة".

وصلَّيتُ معه ليلة في المسجد، فلما انصرف ودخلنا المنزل قال لي: "يا أبا جعفر ليس يشفقني قلبي أو يطاع الله في جميع البلاد"، ثم نام على فراشه، فسمع صوتاً، فخرج من البيت، فقال: "ما هذا الصوت؟" ف قيل له: إنسان يقرأ، فقال: "ما ظننتُ إلا أنه يُغني"، ثم قال: "للأشياء أضدادٌ، وضدُّ حياتي أنا المعاصي". ثم عاد إلى فراشه، فقال: "أتراني أنجو من النار؟" فقلت له: نعم، مثلك مَنْ نجا، فقال: "وكيف أنجو وأنا راقدٌ على هذا الفراش؟!".

وكان في منزله ذات ليلة، فسمع صوتاً، فأرسل غلاماً له إلى بعض ثقاته من أهل البلد يأمره بالحضور إليه في ذلك الوقت، فلما حضر إليه قال له: "امض إلى هذا الموضع الذي فيه هذا الصوت، حتى تنظر ما هو"، فمضى الرجل ومعه غلامان من غلمانه، فنظروا ثم، ورجعوا، فقال الرجل: هؤلاء قومٌ عندهم عُرسٌ، وليس هو بموضعٍ يُشرب فيه شراب، فالتفت إليّ وقال: "والله - فقد قال يحيى بن الحسين: والله -: لئن تُنبي لي الوساد، واستوت لي البلاد، ليعبدن الله حقاً حقاً، ولأظهرن دين محمد - عليه وعلى آله السلام - على الاستواء".

وكنْتُ عنده يوماً وهو يُملي كتاباً إلى قومٍ، فكان ممَّا كتب إليهم: "أدعوكم إلى الله، وإلى الحكم بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وآله^(١)، وإلى الأمر بالمعروف،

(١) في الأصل: صلى الله عليه. وما أُثبتَ فمن (ذ).

والنهي عن المنكر"، ثم التفت إليّ، وقال: "وكم يهلك في دعوتنا هذه من الخلق؟" ثم قال: "اللهم إني أشهدك أني أدعوهم إلى ما أظهره وأسرّه، اللهم اشهد عليّ بما أقول".

وسمِعته يوماً يقول: "لو أمكنني أشترى صلاح هذه الأمة بما أملك لفعلت، الله يعلم ما أقول، وكيف لي بصلاحها؟!".

وسمِعته يوماً يقول: "والله الذي لا إله إلا هو، وحقّ محمد، ما طلبتُ هذا الأمر، وما خرجتُ اختياراً، وما خرجتُ إلا اضطراراً؛ لقيام الحجة عليّ، ولوددتُ أنه كان لي سعة في الجلوس، وكيف لي بأن يسعني الجلوس عن هذا الأمر الذي أنا فيه مزمومٌ بزمام، أنا -والله- إذا جنّ الليل أفكر فيما عملتُ، وما كان مني في يومي، فأناظر نفسي في ذلك، فأردُّ على نفسي، وأقول: فعلتُ كذا، وكان كذا أصلح، ولو لم أكن في هذا الأمر لم يمنعني ترك الفكر في هذا الأمر، حتى ناظرت نفسي فيه طويلاً؛ فما وجدتُ إلا الخروج أو الكفر بما أنزل الله على محمد -ﷺ-".

/ ١٥ - ب / وسمِعته يقول: "والله لولا كرامة الله ما نظرتُ في هذا الأمر". ونظرته^(١) يوماً والناس يبايعونه، وقد جاءه رجلٌ له طُرّة^(٢) وشعرٌ، فقال له: أريدُ أن أبايعَكَ يا ابنَ رسولِ الله، فقال له: "اذهب فاحلقِ هذا الشعرَ، ثم ارجع؛ فإننا لا نبايعُ أهلَ هذا الزِّيِّ"، فمضى الرجلُ، فحلقَ شعره، ثم أتاه فبايعه.

(١) في (ص ز ط ب): ورأيتُه.

(٢) الطُرّة: طَرَفُ كُلِّ شَيْءٍ وَحَرْفُهُ، وَمَا تَطَرُّهُ الْمَرْأَةُ مِنَ الشَّعْرِ الْمُوفِي عَلَى جَبْهَتِهَا. مصطفى: المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٥٥٤.

باب تواضع يحيى بن الحسين - ﷺ -

قال علي بن محمد: حدثني أبي محمد بن عبيد الله، قال: كان من تواضع يحيى بن الحسين ترك الكبر والتجبر في مجلسه وغير مجلسه، وفي مطعمه ومشربه، وجميع أحواله، فرأيت من ذلك أنه إذا خرج من منزله لصلاة أو غيرها سلم على جميع من يمر به من شريف أو دني، أو فقير أو غني، أو عبد أو صبي، وبذلك جاء الأثر عن جده علي بن أبي طالب - عليه السلام - أنه كان يسلم على كل من مر به حتى العبد المخلخل^(١).

ورأيت يعود المريض حتى رأيت أنه قد عاد بعض خدام أصحابه.

وسمعت رجلاً يقول له: جعلت فداءً للسيد، فقال له الهادي إلى الحق: "لا تعد تقول هذا مرة أخرى؛ فإنما السيد الله، وإنما أنا عبد ذليل"، فقال له رجل ممن حضر المجلس: جعلت فداك قال الله: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾^(٢)، فقال: "نعم، ولكن لا أحب أن يقال لي هكذا".

ورأيت وقد^(٣) صلى الجمعة، ثم انصرف، فقام رجل قد أمره ينادي في المسجد: أين الفقراء؟ أين المساكين؟ أين أبناء السبيل؟ أين من له حاجة؟ هل من سائل فيعطى؟ أو من طالب حاجة فتقضى؟ فقام رجل غريب، فقال: يا ابن رسول الله

(١) المخلخل والمخلخل: من الخلل والخلخال: من الخلل كانت المرأة تضعه في ساقها. والمخلخل: موضع الخلخل في الساق. فلعل بعض العبيد كانوا يضعون على سوقهم خلاخيل. وقد ورد في المنتخب للهادي ص ١٢٣: "قلت: فما تقول في لبس الخلاخيل للغلمان؟ قال: لا أحب ذلك إلا للنساء". ولم أمتد إلى الأثر بلفظه، ولكن ورد بمعناه، ذكر الإمام الناصر الأطروش الحسن بن علي (ت ٢٠٣هـ) في كتاب الاحتساب، تح: عبد الكريم جذبان، مكتبة التراث الإسلامي، صعدة، ط ١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، ص ٤٦-٤٧، أنه "قد ذكر عن أمير المؤمنين - عليه السلام - أنه كان يسلم على كل من مر به، حتى على الصبيان وعلى الحبشي المطوق، .. إلخ".

(٢) آل عمران: ٣٩.

(٣) في (ز): قد. بدون واو.

أنا عريان، فوقف معه طويلاً في المسجد، حتى تكلم بجميع ما أراد، ثم أمر له بكِسْوَةٍ ونَفَقَةٍ سَابِغَةٍ، ثم انصرف.

ورأيتُه وقد صلى العصر في المسجد، فلما انصرف استقبلته مَرَأَةٌ^(١) فصاحت: يا ابن رسول الله، فوقف، ودنت إليه، فإذا هي عجوزٌ وأمسكت بثوبه، فزجرها بعضُ خَدَمِهِ وانتهرها، فقال له يحيى بن الحسين: "دعها"، فجعلت العجوزُ تُكَلِّمُهُ وتشكو إليه أنها مظلومة، وهو واقفٌ معها حتى فرغت من كلامها، ثم صاح بأبي جعفر محمد بن سليمان الكوفي، فأمره أن يمضي معها، ويستقضي في الحق لها، فنفذَ معها حتى أخَصَرَ خَصَمَهَا، وقطع ما بينه وبينها.

وسمِعْتُهُ يوماً، وعنده جماعة من الناس، وهو يعظهم، ثم قال: "والله - فقد قال يحيى بن الحسين: والله - لولا أني أخاف / ١٦ - أ/ أن يفسد أمر هذه الأمة لطرحتُ نفسي معها^(٢) نهاري كُلَّهُ، إلا لوقتِ طَهْوَرٍ أو قضاءِ حاجة، وما صلى بهم الصلواتِ كُلِّهَا غيري، وللبستُ أدنى^(٣) اللباس، وإني لألبسُ الثوبَ الجيّدَ من الثياب، فأزري على نفسي، يَعْلَمُ اللهُ ما أقول، ولربّما جلس الناسُ عندي فأفكّرُ فيهم، فأتمنّى أن أكون جالساً معهم، ثم أفكّرُ في عاقبة الأمر؛ فإذا أني^(٤) لو فعلتُ ذلك فسد أمرُ الناس عليّ، واستخفوا بموضعي، وخَلِقْتُ^(٥) عندهم؛ حتى تذهبَ هيبتي من قلوبهم، ولو ذهبَتِ الهيبةُ لفسد الإسلام".

ورأيتُه ليلةً، وقد صلى في المسجد، ثم انصرف، فلما قَرَّبَ من منزله صاحت

(١) في (ص ب): مَرَّة. وفي (ز ط ذ): امرأة.

(٢) في (ز): ليلي مع.

(٣) في (ز): أَرَت.

(٤) في (ز): أنا.

(٥) في هامش (ط): أي يبذلوني كما يبذل الثوب الخلق.

مَرَّةً^(١): يا ابن رسول الله إني مظلومة، فوقف يسمَعْ كلامها، ودنّت منه، وكانت عجوزاً، فأوماً إليها بعض غلمانه يُبْعِدُها، فقال له يحيى بن الحسين: "ذرّها، سبحان الله، ما أنت إلا جَبَّار!"، ثم صاح بأبي جعفر محمد بن سليمان، فقال له: "انظر في أمر هذه المرأة، فأنصفها من خَصْمِها"، فمضى معها أبو جعفر، وصار الهادي إلى الحق إلى داره ونحن معه، ثم جلس فصاح بغلام كان يجلس على الباب، فقال له: "ألم أفل لك: أوصل إليّ كلّ ضعيف، ويحك أنتم مسلمون؟! أوصلوا إليّ كلّ ضعيف لا يصل إلا بكم"، ثم قال: "اللهم إنك تعلم لولا ما أخاف من فساد الإسلام ما صلّى بهم غيري، ولا كنتُ أكونُ نهاري إلا معهم، أدورُ أسواقهم، وأصل بنفسي أمورهم، ولكني أخافُ أكثرُ عليهم، وأقلُّ في أعينهم، وإذا كنتُ كذلك عندهم استخفوا بالحق، فإذا فعلوا ذلك استأنفتُ ما كنتُ قد أصلحتُه؛ لأن أكثر الناس في هذا العصر لا يعقلون".

ورأيتُه يوماً، وقد خرج إلى الصحراء، فأصاب رجلاً من أصحابه مراراً^(٢)، وهو محمد بن عباس الصنعاني^(٣)، فسقط إلى^(٤) الأرض، فنزل يحيى بن الحسين عن فرسه إلى الرجل، حتى مسح وجهه بيده، وقرأ عليه، ثم أمر بعض خدّمه، فأتى له بحمار، فركبه إلى صعدة، فلما صار يحيى بن الحسين في منزله جاءه الرجل، فجلس

(١) في (ص ط): مرة. وفي (ز ب ذ): امرأة.

(٢) المرار، جمع مرّة، وهي: إحدى الطبائع الأربع، أو هي مزاج أو خلط (إفراز) من أمزجة أو أخلاط البدن. والممرور: الذي غلبت عليه المرّة. وكان الأطباء القدماء يعتقدون أنّ المرض أو المزاج ينشأ عن تغلب أو نقص في الجسم من أحد العناصر الأربعة، وهي الدّم والصّفراء والسوداء والبَلغم، وأنّ صحّة الإنسان تكون في حالة اعتدال أخلاطه وتوازنها في بدنه. ينظر: الحميري: شمس العلوم، ج ٩، ص ٦١٨١؛ والموسوعة العربية العالمية، مج ١، ص ٩٥ (مادة أبقرط).

(٣) لم أعرفه بأكثر ممّا وردّ هنا، ولكن يبدو أنه أحد المقاتلين معه من أهالي مدينة صنعاء.

(٤) في (الأصل ذ): في. وما أثبت فمن بقية النسخ.

بين يديه، فسأله عن خبره، ثم صاح ببعض غلمانته، فأمره أن يأتي برُمان، فأتى به الغلام، فجعل يحيى بن الحسين يَقْشِرُ الرُّمَانَ بيده، ويُخْرِجُ حَبَّهُ، ويدفعه إلى الرجل وهو يأكل، ثم قال: "إني لأراكم تَمْشُونَ على الأرض، فَيَشُقُّ ذَلِكَ عَلَيَّ، وَلَكِنْ أَبْشُرُوا؛ فَإِنَّكُمْ فِي خَيْرٍ كَبِيرٍ"^(١)، وقام الرَّجُلُ وقد أفاق من علته.

ورأيتُه يوماً وقد ركب، فوقع رجلٌ من أصحابه عن فرسه، فأصاب أنفه الأرض، فرأيتُه يداويه بيده ويُريقه.

١٦/ب- ورأيتُ يحيى بن الحسين قد دعا غلاماً له، فقال له: "أوصل إليَّ كلَّ ضعيف، ولا تَحْرِقْنِي وتَحْرِقْ نَفْسَكَ بالنار، فقد فَسَخْتُ الأَمْرَ من عنقي إليك".
وكان يُشْتَرَى ليحيى بن الحسين كلَّ يومٍ بدرهمين لَحْمٌ، والدرهمان صغيران ثلث درهم قفلة.

ورأيتُه وقد قَطَعَ قَبَاءً مُلْحَمًا^(٢)، فقال: "والله لو كُنْتُ بين مؤمنين ما لَبِسْتُ مثل هذا، ولا هذا من لباسي، وما أَشْتَهِي أن أَلْبَسَ إلا الغليظَ من الثياب، ولو لَبِسْتُهُ لاسْتَخَفَّ النَّاسُ بموضعي؛ فقد مَيَّزْتُ أُمُورَهُمْ، فرَأَيْتُهُمْ لَا يُطِيعُونَ إِلَّا مَنْ كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ هَذَا الثَّوبِ، ولكأنَّ على جِلْدِي من لباسه الشوك".

ورأيتُ يحيى بن الحسين يوماً، وقد صَلَّى الجمعة، ثم انصَرَفَ، فأخذ في طَرِيقٍ غيرِ الذي سَلَكَه، فَقُلْتُ له: جُعِلْتُ فِدَاكَ، هذا الطَّرِيقُ أَوْسَعُ، فقال لي: "كان رسولُ الله -صلى الله عليه وآله- إذا أخذ في طريقٍ رَجَعَ في غيرها"^(٣)، فأخذ يحيى بن الحسين في طريقٍ غيرِ الطريق الذي مضى فيه إلى المسجد، فمرَّ بالحبس،

(١) في (ز): كثير.

(٢) القَبَاءُ: ثوب يُلبَس فوق الثَّيَاب، أو الْقَمِيص ويُتَمَنَطَقُ عَلَيْهِ. والملحم: فيه حُمَة، وهي: خيوط النسج العَرَضِيَّة يُلْحَم بها السدئ والقراة. ينظر مصطفى: المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٧١٣، ٨١٩.

(٣) أخرجه الكليني في الكافي، ج ٥، ص ٣١٤.

فنزل عن فرسه، ووقف الناس على باب الحبس، فدخل، فجلس فنظر إليه، وأمر بقمه وكنسه وتنظيفه، وتعاهد أهله بالماء والطعام، وأمر لهم بوطاء، وحل القيود عن المُقَيَّدِينَ في وقت كل صلاة، وكانت قيودهم حلقة بمسمار، وحلقة بقفل، ويُفتح^(١) بمفتاح في وقت كل صلاة^(٢).

محمد بن سليمان، قال: رأيت يحيى بن الحسين، وقد أمر غلاماً يقدم إليه، وكان في الليل، فأتى الغلام بهائدة عليها ثلاثة أقراص وشيرج^(٣)، فأكلت أنا وهو، فقال لي: "الحمد لله يا أبا جعفر، هذا مع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثير".

وأتى يحيى بن الحسين يوماً بصبي صغير يتيماً، فلم يزل يُدنيه حتى أجلسه بين يديه، ومسح رأسه، وتكلم فيه بكلام وبكى، ثم أمر للصبي بقميص^(٤) وسراويل.

ودعا يحيى بن الحسين ليلة رجلاً من بني عمه يتعشى عنده، فقدم إليه الغلام طعاماً قليلاً، فلما نظر إليه ابن عمه ضحك، فقال^(٥) له يحيى بن الحسين: "مم ضحكك؟" قال: "جُعِلْتُ فداك، ما كنت ترضى مثل هذا تُقدِّمه لمن يأتيك في بلدك، كنت تقدم لنا كذا وكذا لَوْنًا من الطعام، فقال له يحيى بن الحسين: "هذا الطعام مع الجهاد".

ورأيتُه وقد أتاها رجلٌ بعبدٍ نصرانيٍّ، فقال له يا ابن رسول الله، هذا عبدٌ لإنسانٍ نصرانيٍّ، وقد أحبَّ الإسلامَ، قال يحيى بن الحسين للعبد: "اذهب فاغتسل، واغسلْ

(١) في (ز): وتفتح. وفي (ط ب): وحلقة تقفل وتفتح. وفي (ص): وحلقة تقفل بمفتاح.

(٢) في الأصل: كل وقت كل صلاة. وما أُثبتَ فمن النسخ الأخرى.

(٣) الشيرج: دهن السمسم. الفيومي: المصباح المنير، ج ١، ص ٣٠٨.

(٤) في (ص): بقميصين.

(٥) في (الأصل ص ز ط ب): قال. بدون فاء. وما أُثبتَ فمن (ذ).

ثيابك، وارجع"، فذهب العبد، فاغتسل / ١٧-أ/ وغَسَلَ ثيابه، وجاءه فقال له: "ادن"، فدنا العبد، ثم قال له: "اجلس"، فجلس بين يديه، فقال له: "قل: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله إلى الناس كافة"، فقال العبد كما قال له، ثم قال للنصراني: "اذهب فَبِعِ^(١) العبد، واستَقْصِرِ في الثَّمنِ بعد يومٍ أو يومين^(٢)؛ لئلا يَنْكَسِرَ عليك ثمنه"، فقام النصراني والعبد فخرجا.

فلما كان بعد ذلك أتاه رجل، فقال له: جُعِلْتُ فداك، قد بيع العبد، ولكنه أبى أن يعمل شيئاً، فقال يحيى بن الحسين لبعض أصحابه: "اشتره من ثمن الزكاة^(٣) الذي للرقاب^(٤)، وأعتقه حتى يكون ولاؤه لجميع المسلمين، فهذا مسكين، ونحن أحرُّ من فَرَجَ عنه".

قال علي بن محمد: رأيتُ يحيى بن الحسين ما لا أحصيه، ولو كتبتُه لَطال به الكتاب، يخرج إلى المسجد يُصَلِّي أو لحاجة، فيكلمه الصبي الصغير، أو المرأة الكبيرة، أو الرجل، فرأيتُه يقفُ معهم طويلاً، والناس قيام، حتى يسألوا حوائجهم، فيقضيها لهم من كُسُوة، أو طعام، أو غير ذلك.

ورأيتُه وقد انصرف من المسجد، فقام إليه صبيان صغيران فقالا: يا ابن رسول الله نحن يتامى، فوقفَ معهما طويلاً، يَمْسُحُ رؤوسهما، ويدعو لهما، ثم أَمَرَ لهما بكُسُوة ونفقَةٍ.

(١) في (الأصل ز ب ذ): مع. وما أُثْبِتَ فمن (ص ط). وهو الأنسب لسياق الكلام.

(٢) في (الأصل ص ب ذ): ويومين. وما أُثْبِتَ فمن (ز ط)، ولعله الأنسب.

(٣) ثمن الزكاة: في (ص ز ط ب) بدلا عنها: ربع الرقاب.

(٤) في هامش الأصل: "فائدة في أن سهم الرقاب يُشْتَرَى منه، وهو مذهب عمه محمد بن القاسم -

عليه السلام -".

بَابُ وَرَعِ يَحْيَى بْنِ الْحُسَيْنِ - (عليه السلام) -

قال علي بن محمد: حَدَّثَنِي أَبِي مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كَانَ مِنْ وَرَعِ يَحْيَى بْنِ الْحُسَيْنِ أَنَّهُ كَانَ يَتْرُكُ بَعْضَ مَا يَحِلُّ لَهُ تَوَرُّعًا عَنْهُ، وَتَزَهُدًا مِنْهُ؛ وَذَلِكَ أَنَّ جَزِيَةَ النَّصَارَى وَالْيَهُودِ لَهُ وَلِأَهْلِ بَيْتِهِ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنَ النَّاسِ، وَلَهُ أَنْ يُنْفِقَهَا فِيمَا أَحَبَّ، وَيَصْرِفَهَا فِيمَا يَرِيدُ، فَكَانَ لَا يَأْكُلُ مِنْهَا، وَلَا يَشْرِبُ؛ تَوَرُّعًا عَنْهَا، وَتَزَهُدًا فِيهَا؛ وَإِنَّمَا قُلْتُ ذَلِكَ؛ لِأَنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ: "وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا أَكَلْتُ مِمَّا جَبَيْتُ مِنَ الْيَمَنِ شَيْئًا، وَلَا شَرِبْتُ مِنْهُ الْمَاءَ"، وَسَمِعْتُهُ أَيْضًا يَقُولُ: "مَا أَفْنَقْتُ إِلَّا مِنْ شَيْءٍ جِئْتُ بِهِ مَعِيَ مِنَ الْحِجَازِ".

وهذه صِفَةُ الْمُتَوَرِّعِينَ الَّتِي جَاءَ بِهَا الْأَثَرُ؛ لِأَنَّهُ بَلَّغَنَا عَنْ الْحَسَنِ (١) أَنَّهُ قَالَ: "مَا يَنَالُ الْمُتَّقُونَ التَّقْوَى حَتَّى يَتْرُكُوا كَثِيرًا مِنَ الْحَلَالِ مَخَافَةَ أَنْ يُوَاقِعُوا الْحَرَامَ" (٢). وَبَلَّغَنَا عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: "الْقَوْمُ فِيمَا أَحَلَّ لَهُمْ أَزْهَدُ مِنْكُمْ فِيمَا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ" (٣). وَسَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ الْحُسَيْنِ يَقُولُ: "وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا أَكَلْتُ مِمَّا جَبَيْتُ مِنَ الْيَمَنِ شَيْئًا، وَلَا شَرِبْتُ مِنْهُ الْمَاءَ، اللَّهُ يُعَلِّمُ مَا أَقُولُ، وَمَا يَكْفِينِي إِذَا كُنْتُ فِي هَذَا الْأَمْرِ إِلَّا دِرْهَمَانِ مِنْ هَذِهِ الدَّرَاهِمِ الصَّغَارِ" (٤)، أَقْتَاتُهَا كُلَّ يَوْمٍ".

(١) هو الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد، تابعي شهير، توفي سنة ١١٠ هـ. الزركلي: الأعلام، ج ٢، ص ٢٢٦.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا. ينظر السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت ٩١١ هـ): الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت، ج ١، ص ٦١.

(٣) في ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١ هـ): كتاب الزهد، تح: محمد شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م، ص ٢١١، رقم ١٤٥٩ بسنده عن هشام، "قال: وسمعت الحسن يقول: والله أدركت أقوامًا كانوا فيما أحلَّ الله لهم أزهد منكم في ما حُرِّمَ عليكم...".

(٤) الدراهم الصغار: نوع من الدراهم يساوي كل درهم فيها سدس درهم قفلة. وسيأتي التوضيح لها في السيرة، ل ١٣٦ / ب وهامشها.

وَرَأَيْتُ يَحْيَى بْنَ الْحُسَيْنِ يَوْمَ جُمُعَةٍ، وَقَدْ خَرَجَ إِلَى / ١٧ - ب / المسجد ماشياً، فلما صَلَّى وخرج من المسجد اجتمع جماعة من المساكين، فصاحوا، فوقف ساعة معهم، ثم أَمَرَ لَهُمْ بِشَيْءٍ، فَفُرِّقَ بَيْنَهُمْ.

وَكُنْتُ جَالِسًا عِنْدَهُ^(١)، فَأَتَاهُ رَجُلٌ بَعِيدٌ^(٢)، فَسَمِعْتُهُ يَخْلِفُ بِاللَّهِ مُجْتَهِدًا: "مَا ارْتَكَبْتُ فَرْجَ حَرَامٍ ذَكَرًا وَلَا أَثْنَى، وَلَا أَكَلْتُ ذِرْهَمَ حَرَامٍ، أَعَرَفَ أَنَّهُ حَرَامٍ، وَلَا شَرِبْتُ مُسْكِرًا قَطُّ، وَلَا سَمِعْتُ غِنَاءً قَطُّ، وَلَا لَعَبْتُ بِشَطْرُنَجٍ قَطُّ وَلَا بُمْلَهِي، وَلَا تَعَمَّدْتُ ظُلْمًا مُسْلِمٍ قَطُّ"، ثُمَّ قَالَ: "مَا أَمَدَحَ نَفْسِي بِهَذَا، وَلَكِنِّي أَثْنِي عَلَى رَبِّي بِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيَّ؛ كَمَا قَالَ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾"^(٣).

قَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلِيمَانَ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْيَرْسَمِيِّ، قَالَ: خَرَجْتُ يَوْمًا مَعَ يَحْيَى بْنِ الْحُسَيْنِ، فَمَرَرْنَا بِزَرْعٍ لَمْ يُخَصِّدْ، فَضَرَبْتُ بِيَدِي إِلَى سَنَبَلَةٍ، فَقَطَعْتُهَا^(٤)، وَأَهْوَيْتُ بِهَا إِلَيْهِ، فَمَدَّ يَدَهُ إِلَيَّ، ثُمَّ قَالَ لِي: "الزَّرْعُ لَكَ؟"، فَقُلْتُ: لَا، فَحَبَسَ يَدَهُ عَنِّي، وَلَمْ يَمَسَّهَا، فَرَمَيْتُ بِهَا مِنْ يَدِي.

عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلِيمَانَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي عَنِسَةَ الصَّعْدِيِّ، وَكَانَ يَشْتَرِي لِيَحْيَى بْنَ الْحُسَيْنِ حَوَاجَتَهُ مِنَ السُّوقِ، قَالَ: قَالَ لِي يَحْيَى بْنُ الْحُسَيْنِ: "يَا عَلِيُّ اتَّقِ اللَّهَ، وَانْظُرْ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ فِيمَا تَشْتَرِي بِهِ لِي، لَا تَأْخُذَنَّ مِنْ أَحَدٍ شَيْئًا إِلَّا بِثَمَنِ كَمَا يَشْتَرِي النَّاسُ، لَا تَزْدَادُ"^(٥) لِي شَيْئًا فَتَأْتِمَ، فَإِنِّي لَسْتُ أُرِيدُ

(١) فِي (الأصل ذ): وَكُنْتُ جَالِسًا عَنْدهُمْ. وَفِي (ص): وَكُنْتُ عَنْدهُ جَالِسًا. وَالْأَصَحُّ مَا أُثْبِتَ مِنْ (ز ط ب).

(٢) كَذَا فِي (الأصل ذ). وَفِي (ص ز ط ب): بَعِيدٌ.

(٣) الضحى: ١١.

(٤) فِي (ص ط ذ): فَقَطَعْتُهَا.

(٥) كَذَا، عَلَى أَنَّ (لَا) نَافِيَةٌ. وَفِي (ص): لَا يَزَادُ.

ذلك منك، فقد أخرجته من عنقي؛ فاتق الله".

علي بن محمد، قال: حدثني أبي محمد بن عبيد الله، قال: وجهت غلاماً لي إلى يحيى بن الحسين أطلب منه قرطاساً أكتب فيه كتاباً، فقال يحيى بن الحسين للرسول^(١): "القرطاس لا يحل له"، فدفع إلى الغلام ورقة قطن.

وحدثني أيضاً قال: مررنا في سفرنا مع يحيى بن الحسين بدوم، وهو النبق، فمضى بعض من كان معه، فأخذ حبات يسيرة، فصاح به وأغلظ عليه، ثم أمرنا أن نعطى صاحب النبق ثمنه من دقيق كان معنا، فمضينا إلى صاحبه، فقال: لست أريد له ثمناً، إنما يأخذ^(٢) هذا من مر به، فأبى أن يأخذه، فرجعنا إلى يحيى بن الحسين، فأعلمناه بمقالة الرجل، فقال: "اذهبوا بالدقيق، فاجعلوه تحت الشجرة"، ففعلنا ذلك.

علي بن محمد، عن محمد بن سليمان، قال: رأيت يحيى بن الحسين، وعنده قوم يختصمون في جارية، وكان بعض أهل الدعوى غائباً، فأمر بها تحبس في موضع حتى ينظر في أمرها، فلما كان بعد يومين أو ثلاث^(٣) بعث إلى قوم من أهل البلد، فقال: "اعلموا أنني حبست هذه الجارية، ولم يكن يجب^(٤) عليها الحبس، وإنما فعلت ذلك رجاء انقطاع أمرها؛ فامضوا إليها فاسألوها أن تجعلني في حل، وأطلقوها".

١٨-أ / وحدثني أيضاً قال: خبرني عبيد الله بن حذيف، (رجل كان يقوم للهادي إلى الحق ببعض أمره، قال: قال يحيى بن الحسين: "اشتري لي ثبناً أعلفه دوابي"، قال: فقلت له: ليس نجد إلا ثبناً الأعشار، فقال: "لا تشتري لنا منه شيئاً

(١) للرسول: ليست في (الأصل ذ). وأضيفت من بقية النسخ.

(٢) في (ص ز ط ب): يأكل.

(٣) كذا في جميع النسخ، والأولى: أو ثلاثة. ولعلها بمعنى: أو ثلاث ليال.

(٤) يجب: أضيفت من (ص ز ط ب).

وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى غَيْرِهِ"، قَالَ عبيدُ اللَّهِ بْنُ حُذَيْفٍ^(١): فَلَمْ أَجِدْ غَيْرَهُ، فَأَمَرْتُ بَعْضَ الْعِلْمَانِ الَّذِي يَقُومُ عَلَى الْخَيْلِ يَأْخُذُ مِنْهُ كَيْلًا مَعْرُوفًا، حَتَّى نَشْتَرِيَ وَنَرُدَّ مِثْلَ مَا أَخَذْنَا، فَعَلِمَ يَحْيَى بْنُ الْحُسَيْنِ بِذَلِكَ، فَوَجَّهَ إِلَى عبيدِ اللَّهِ بْنِ حُذَيْفٍ، فَكَلَّمَهُ بِكَلَامٍ غَلِيظٍ، فَقَالَ لَهُ عبيدُ اللَّهِ: أَنَا أَخَذْتُ مِنْهُ شَيْئًا مَعْرُوفًا حَتَّى نَرُدَّ مَكَانَهُ، فَقَالَ: "لَسْتُ أُرِيدُ مِنْهُ شَيْئًا، مَا لَنَا وَلِلْعُشْرِ، خَذُوا هَذَا التَّبْنَ فَاعْزِلُوهُ حَتَّى يُعْلَفَهُ مَنْ يَحِلُّ لَهُ". وَلَمْ يَعْلَفْ مِنْهُ خَيْلَهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ شَيْئًا، وَأَمَرَ أَنْ يُطْرَحَ لِلْخَيْلِ قَضْبُ^(٢) بِلَاتَيْنِ لَيْلَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُكَ أَنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ هَذَا مِنْ عُنُقِي، وَجَعَلْتُهُ فِي أَعْنَاقِهِمْ".

وَرَأَيْتُهُ يَوْمًا، وَقَدْ أَتَاهُ حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ فُطَيْمَةَ، وَعبيدُ اللَّهِ بْنُ حُذَيْفٍ، فَقَالَا لَهُ: جُعِلْنَا فِدَاكَ، إِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تَأْخُذُ مِنْ ثَلَاثَةِ وَثَلَاثِينَ فَرَقًا وَثَلَاثَ مِنْ الطَّعَامِ عَشْرًا وَنَصْفَ عَشْرٍ، فَلَيْسَ يَجْتَمِعُ مِنْ هَذَا شَيْءٌ أَبَدًا، فَقَالَ لَهُمَ يَحْيَى بْنُ الْحُسَيْنِ: "لَا اجْتَمَعَ مِنْ هَذَا شَيْءٌ أَبَدًا، وَاللَّهِ لَوْ التَّقْتُ هَذِهِ وَهَذِهِ - يَعْنِي السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ - عَلَيَّ حَتَّى^(٣) تَخْتَلَفَ أَضْلَاعِي، مَا أَخَذْتُ غَيْرَ الْحَقِّ أَبَدًا".

وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ قَدْ أَتَاهُ فَقَالَ لَهُ^(٤): جُعِلْتُ فِدَاكَ، إِنْ هَاهُنَا قَوْمًا يُعْطُونَ بَطِيبٍ مِنْ أَنْفُسِهِمْ أَكْثَرَ مِمَّا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَنَأْخُذُ مِنْهُمْ مَا يُصْلِحُهُمْ؟ فَقَالَ يَحْيَى بْنُ الْحُسَيْنِ: "وَاللَّهِ لَا أَصْلَحْتُكُمْ بِفَسَادِ نَفْسِي أَبَدًا".

عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلِيمَانَ، قَالَ: كُنْتُ أَقْبِضُ لِيَحْيَى بْنِ الْحُسَيْنِ زَكَاةَ

(١) ما بين القوسين أضيف من (ص)، وقد سقط من الأصل والنسخ الأخرى، وكتب مكانه: (طلبت تبنًا للدواب من غير تبن العشر)، مع فراغ بقدر كلمتين.

(٢) في (ص ز ط): قصب.

(٣) في (ز): على جنبي حتى.

(٤) له: أضيفت من (ص ز ب).

الأموال، فلما كان ليلة من الليالي جِئْتُ بكيسٍ فيه دنانيرٌ ودَرَاهِمٌ من الزكاة، فقلتُ له: جُعِلْتُ فداك ضع هذا الكيس تحت فراشك، فقال لي: "وما هذا؟"، قلتُ: الذي قبضتُ من التجار، فقال لي مُسرِّعاً: "أبعده عني"، ثم قال لي: "والله لو أني اضطررتُ إلى ما يُجِبِّي من صدقاتكم وأعشاركم، ثم وجدتُ المِيتَةَ لَأَكَلْتُ من المِيتَةِ، ولم أَكُلْ من ذلك شيئاً".

ورأيتُهُ يأمرُ بشرَّاءِ العلفِ لحِبلِهِ وإِبلِهِ، والعلفُ الذي من الأعشارِ مَجْمُوعٌ في موضعٍ^(١)، ما يَعْلِفُ منه قليلاً ولا كثيراً، وهو يُفَرِّقُ بين أصحابه.

ورأيتُهُ يوماً، وقد صاح بغلام له، فسأله عن خِرْقَةٍ، فقال له الغلام: قد رفعتها، فقال له: "أخرجها إلي"، فأخرجها من بين ثياب يحيى بن الحسين، فلما أخرجها قال للغلام: "ويلك أنت قليل الدين، ليس لك دينٌ، تضعُ خِرْقَةً من الأعشار بين ثيابي!".

ودخل يوماً وقد تطهَّر للصلاة، فأخذ خِرْقَةً، فمسح بها وجهه، ثم قال: "إنا لله وإنا إليه راجعون، هذه الخِرْقَةُ / ١٨ - ب / من العُشْرِ"، فذكرتُ له ذلك، فقال: "ما يحِلُّ لنا أن نَمَسَحَ به وجوهنا، ولا نستظلَّ به من الشمس".

عليُّ بن محمد، عن محمد بن سليمان، قال: كنتُ أَقبِضُ ليحيى بن الحسين زكاةَ أموالِ التُّجَّارِ، فيكون في البلد تجارٌ غرباء، يتَجَرَّون ويُقيمون الأشهر، فقلتُ له: جُعِلْتُ فداك، نأخذ منهم زكاةَ أموالهم؟ فقال: "إن أخذنا منهم زكاةَ أموالهم وجَبَ علينا أن نَحْوَطَهُم حيث كانوا في بلادنا وغيرها"، فلم نأخذ منهم شيئاً.

ورأيتُهُ يوماً وقد جاءه يهوديٌّ استعدى على رجل، فقال لي يحيى بن الحسين:

(١) في موضع: كذا في (ص). وفي (الأصل ذ ط ب) مكانه: موضوع. وسقط من (ز). وما أُثبت من (ص) أنسب.

"أَنْصِفْهُ وَاَنْظُرْ فِيْمَا بَيْنَهُمْ"، ثم قال لليهود والنصارى: "إِذَا آذَاكُمْ أَحَدٌ فَارْفَعُوا^(١) إِلَيَّ حَتَّى أَنْصِفَكُم مِنْهُ".

ورَأَيْتُهُ لَيْلَةً وَقَدْ جَاءَ رَجُلٌ ضَعِيفٌ فِي السَّحَرِ يَسْتَعْدِي عَلَى قَوْمٍ، فَدَقَّ الْبَابَ، فَقَالَ: "مَنْ هَذَا يَدُقُّ الْبَابَ فِي هَذَا الْوَقْتِ؟"، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ كَانَ عَلَى الْبَابِ: هَذَا رَجُلٌ يَسْتَعْدِي، فَقَالَ: "ادْخُلْهُ"، فَاسْتَعْدَى، فَوَجَّهَ مَعَهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ثَلَاثَةَ رِجَالٍ يُحْضِرُونَ مَعَهُ خُصَمَاءَهُ، ثُمَّ قَالَ لِي: "يَا أَبَا جَعْفَرٍ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَصَّنَا بِنِعْمَتِهِ، وَجَعَلَنَا رَحْمَةً عَلَى خَلْقِهِ، هَذَا رَجُلٌ يَسْتَعْدِي إِلَيْنَا فِي هَذَا الْوَقْتِ، لَوْ كَانَ وَاحِدًا مِنْ هَؤُلَاءِ الظُّلَمَةِ مَا دَنَا إِلَى بَابِهِ فِي هَذَا الْوَقْتِ مُسْتَعِدٌّ"، ثُمَّ قَالَ: "لَيْسَ الْإِمَامُ مِنَّا مَنْ احْتَجَبَ عَنِ الضَّعِيفِ فِي وَقْتِ حَاجَةٍ مُلْظَةً^(٢)".

ورَأَيْتُهُ إِذَا وُضِعَتْ مَائِدَتُهُ لَمْ يَبْقَ خَلْقٌ مِمَّنْ يُحْضِرُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ إِلَّا صَاحِبُهُ، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَتَيْتُ، فَإِذَا النَّاسُ يَأْكُلُونَ، وَهُوَ مَعْتَزِلٌ لَيْسَ يَأْكُلُ مَعَهُمْ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَسْأَلَهُ، فَابْتَدَأَ هُوَ بِالْكَلَامِ، فَقَالَ: "لَمْ يَمْنَعْنِي مِنَ الْأَكْلِ^(٣) إِلَّا أَنْ هَذَا الطَّعَامُ لَا يَحِلُّ لَنَا؛ لِأَنَّهُ مِنَ الْأَعْشَارِ".

عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلِيمَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي هِشَامٍ^(٤)، - وَسَمِعْتُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ - قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ يَحْيَى بْنِ الْحُسَيْنِ فِي سَفَرِهِ الْأَوَّلِ سَنَةَ ثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ، تُرِيدُ^(٥) صَنْعَاءَ، فَمَرَرْنَا قَبْلَ أَنْ نَصِلَ الْبَلَدَ بِشَجَرٍ فَرِسِكَ - وَهُوَ الْخَوْخَ -، فَأَخَذَ بَعْضُ مَنْ كَانَ فِي عَسْكَرِهِ فَرَسِكًا،

(١) فِي (ط ب): فَارْجِعُوا.

(٢) حَاجَةٌ مُلْظَةٌ: أَيُّ مَلَاظِمَةٍ، يُقَالُ: أَلْظَّ فُلَانٌ بِفُلَانٍ: إِذَا لَزِمَهُ. الْجَوْهَرِيُّ: الصَّحَاحُ، ج ٣، ص ١١٧٨.

(٣) مِنَ الْأَكْلِ: لَيْسَتْ فِي (الْأَصْلُ ز).

(٤) فِي (الْأَصْلُ ذ): بَنُ هِشَامٍ. وَسَيَأْتِي أَنَّهُ (ابْنُ أَبِي هِشَامٍ) كَمَا أَثْبَتَ مِنْ بَقِيَّةِ النُّسخ. وَقَدْ تَقَدَّمَتْ تَرْجُمَتُهُ.

(٥) فِي (الْأَصْلُ ذ): يَرِيدُ. وَمَا أَثْبَتَ مِنْ بَقِيَّةِ النُّسخ أَنَسِبَ.

فأكله، فلمَّا عِلِمَ بذلك يحيى بن الحسين رجع من موضعه، فخبَّرني بعضُ أهلِ اليمن أنه كَلَّمَ في أن يَلْبَثَ في اليمن، فقال: "ما أَحَبُّ أن^(١) أَكونَ مِثْلَ المصباحِ الذي يُحْرِقُ نَفْسَهُ وَيُضِيءُ لغيره".

عليُّ بن محمد، عن محمد بن سليمان، قال: سَمِعْتُ يحيى بن الحسين يقول: "قال لي رجلٌ من أهلِ اليمن: يا ابنَ رسولِ الله، ذَرْنَا إذا وَقَفْنَا على شيءٍ انْتَهَبْناه، فقال له: هيهات لا يكونُ ذلك والله أَبَدًا".

عليُّ بن محمد، عن محمد بن سليمان، قال: كان في المنزل الذي سَكَنَهُ / ١٩ - أ/ يحيى بن الحسين بنجران شجرة باذنجان، فلما خَرَجَ أَهْلُ المنزل، وَسَكَنَهُ يحيى بن الحسين، تَوَانَى الغلمان في سَقْيِهَا، فَأَمَرَهُمْ يَسْقُونَهَا، فخرج في تلك الشجرة باذنجان، فقام يحيى بن الحسين بنفسه حتى قَطَعَهُ بيده وعدَّه، ثم بَعَثَ به مع غلامٍ له إلى أصحابِ المنزل.

عليُّ بن محمد، قال: حَدَّثَنِي أَبِي مُحَمَّدٌ بن عبيدالله، قال: مَرَرْنَا مع يحيى بن الحسين ببلدٍ يقال له بيشة، فَأَنْزَلُونَا في بعضِ دُورِ البلد، وكان لصاحبِ الدَّارِ دجاجٌ، وكان بعضُ الدجاجِ بَيِضٌ في موضعٍ من الدار، لم يَعْلَمْ به أَهْلُهَا، فلما نَزَلَهَا يحيى بن الحسين وجد بعضُ غلمانِهِ البَيضَ، فأعلمه بذلك، فَأَمَرَهُ أن يَمْضِيَ به إلى صاحبِ الدار، ففعل.

عليُّ بن محمد، قال: حَدَّثَنِي أَبِي مُحَمَّدٌ بن عبيدالله، قال: ركب يحيى بن الحسين يومًا، وهو بنجران يطوف، ومعه خَلْقٌ عَظِيمٌ، فوقف بعضُ العسكر على بابِ دارٍ يَسْتَسْقُونَ ماءً، فرآهم يحيى بن الحسين، فسار إليهم بنفسه، وصاح بهم، وضرب بعضهم بالسَّوْطِ^(٢) بيده، وهو على الفرس.

(١) ما أَحَبُّ أن: أثبتت من (ص). وفي بقية النسخ: ما أَجْد لي بأن.

(٢) بالسوط: مضافة من (ص). وسقطت من الأصل وبقية النسخ.

علي بن محمد، عن محمد بن سليمان، قال: كنت عند يحيى بن الحسين جالساً، فأمر غلاماً، فأخذ قارورة فيها سَكَنْجَبِينَ^(١)، فصَقَّاه الغلام، ثم رَدَّه، وأراد أن يأخذَ قِطْعَةً قِرطاسٍ لیسد^(٢) بها راسَ القارورة، فقال له يحيى بن الحسين: "هذا القِرطاسُ من العُشْرِ لا يَحِلُّ لنا"، فرمى به الغلام.

^(٣)علي بن محمد، عن محمد بن سليمان، عن محمد بن الحجاج الخيواني، قال: دفع إلي الخازن ثَمَنَ قِرطاسٍ اشترى به له من خيوان^(٤)، فاشترَيْتُهُ، وفَضَّلَ من ثمنه دِرْهَمٌ صَغِيرٌ، فاشترَيْتُ به قُلَلاً^(٥) للشرب، فحِيتُ بها معي، فدَفَعْتُ القِرطاسَ، فأخذه، وقلْتُ لغلامٍ للهادي إلى الحق: فَضَّلَ معي دِرْهَمٌ؛ فاشترَيْتُ به قُلَلاً، فحُذِّها، قال: فقال: ثَمَنُ القِرطاسِ من العُشْرِ، وليس يَحِلُّ لنا، فَرَدَّ القُلَال.

علي بن محمد، عن محمد بن سليمان، قال: دفع الهادي إلى الحق جَوْشَنًا^(٦) إلى إنسانٍ يعمل له، فمات ذلك الإنسانُ قبل أن يُتِمَّه، فوجَّه أهلُ الرجل بالجَوْشَنِ^(٧) إلى الهادي إلى الحق، فحَضَرْتُهُ وقد دَفَعَهُ إلى رَجُلٍ آخَرَ، فوجدنا في الجوشنِ إِبْرَةً، كان يعمل بها الرجل، فقلت له: جُعِلَتْ فداك، أَحْسِبُ هذه الإبرةَ للذي^(٨) مات،

(١) السكنجبين: شراب مركب من حامضٍ وحلوٍ. مصطفى: المعجم الوسيط، ج ١، ص ٤٤٠.

(٢) في (الأصل ط ب ذ): يشد. وفي (ز): يسد. ولعل ما أُثبت من (ص) هو الأولى.

(٣) من هنا عادت (ز) إلى الانضمام مع نسخ المقابلة.

(٤) خيوان: مدينة في الشرق الشامي من حوث، تبعد عن صنعاء شمالاً ١٣٤ كم، وهي "من غَرَرِ بلد همدان، وأكرمه تربة، وأطيبه ثمرة". الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١١٥؛ والمقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ١، ص ٦٠٥.

(٥) جمع قُلَّة، وهي الجُرَّة. ينظر الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص ١٠٤٩.

(٦) الجوشن: زَرْدٌ يَوْضَعُ على الصَّدْر والحِزْمِ لِلوَقَايَةِ العَسْكَرِيَّةِ، ويُطْلَقُ على الدَّرْعِ أيضاً. ابن منظور: لسان العرب، ج ١٣، ص ٨٨.

(٧) في (الأصل ذ): الجوشن. وما أُثبت من بقية النسخ أولى.

(٨) في (ص ز ط ب): للرجل الذي.

فقال: "احتفظ بها حتى تُوجَّهَ بها إلى أهلها"، فمضيتُ بها، فدفعْتُها إلى صهرٍ له، فدفعَهَا إلى أهلها.

عليُّ بن محمد، عن محمد بن سليمان، قال: قال لي عليُّ بن أبي عنبسة^(١)، قال لي الهادي إلى الحق: "اشتر لي أنا قِرْطاسًا على حِدةٍ ممَّا يَحُلُّ لي أَكْتُبُ فيه أنا"، فاشترَيْتُ له.

[بَرَكَتُ الهادي إلى الحق]

عليُّ بن محمد، عن محمد بن سليمان، قال: خَبَّرني محمدُ بن حَجَّاج اليرسمي، وجماعة / ١٩ - ب / من أهل اليمن: أنهم أَجْدَبُوا، وَقَحِطَتْ بلادُهم سنة ثمانين وميتين، فلما وَصَلَ إليهم يحيى بن الحسين جاءهم الغيث، وتتابعت الأمطار، حتى تمنوا قُلَّها^(٢)؛ لكثرة ما جاءهم من الأمطار.

وَسَمِعْتُ رجالاً^(٣) من بني عقيل، قالوا: ما مضى أبو الحسين بمَوْضِعٍ من بلدنا إلا مُطِرَ.

وَسَمِعْتُ جماعةً من أهل اليمن من بلدانٍ مُفْتَرِقةٍ^(٤) يقولون: جاءنا الغيثُ ببركة أبي الحسين.

وَسَمِعْتُ رجالاً^(٥) من أهل اليمن من موضعٍ يقال له بيت زُود، تقول^(٦) ليحيى بن الحسين: يا ابنَ رسولِ الله وَرَدَّتْ بنا في سَفَرِكَ الأوَّلِ، فبايَعَنَّاكَ،

(١) في الأصل: بن عنبسة. وفي (ذ): بن عبسة. وفي (ب): غنبسة. وما أُثْبِتَ من بقية النسخ أولى ومناسب لما تقدم.

(٢) في (ص ز ط ب): قلتها.

(٣) في (ص): رجلاً.

(٤) في (ص ط): متفرقة.

(٥) في (ص ز): رجلاً.

(٦) في (ص ز ط): يقول.

فَدَعَوْتَ اللَّهَ لَنَا أَنْ يَكْفِينَا الْفِتْنَةَ، فَمَا رَأَيْنَا بَعْدَكَ فِتْنَةً، وَلَقَدْ كَانَتْ الْفِتْنُ حَوْلَنَا، فَمَا رَأَيْنَا إِلَّا خَيْرًا؛ بِبَرَكَةِ دَعَائِكَ لَنَا.

عليُّ بن محمد، عن محمد بن سليمان، قال: وَرَدْنَا الْيَمْنَ قَبْلَ وَصُولِ يَحْيَى بْنِ الْحُسَيْنِ بَنِيْفٍ وَخَمْسِينَ يَوْمًا، وَقَدْ يَسَّ الزَّرْعُ مِنَ الْعَطَشِ، وَرَأَيْتُ الدَّوَابَّ مِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْبَهَائِمِ تَسَاقُطُ هَزَلًا وَجَهْدًا؛ وَذَلِكَ أَنَّا وَرَدْنَا إِلَى قَوْمٍ بَيْنَهُمْ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ، فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّا مِنْ أَصْحَابِ يَحْيَى بْنِ الْحُسَيْنِ قَطَعُوا الْفِتْنَةَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَلَمْ يَقْتَتِلْ مِنْهُمْ رَجُلَانِ؛ اِنْتَظَارًا مِنْهُمْ لِيَحْيَى بْنِ الْحُسَيْنِ، وَنِعْمَةً مِنَ اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - عَلَيْهِمْ بِذِكْرِهِ، وَحَضَرْنَا^(١) إِلَيْهِمْ نُخْبِرُهُمْ خَبْرَهُ، وَعَرَّفْنَاهُمْ أَنَّهُ صَائِرٌ إِلَيْهِمْ، فَرَأَيْنَا مِنْهُمْ رَغْبَةً فِي الْعَافِيَةِ، وَالرَّهْبَةَ لَهُ؛ لِلَّذِي أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِمْ مِنَ الْخَيْرِ؛ وَذَلِكَ بِبَرَكَةِ يَحْيَى بْنِ الْحُسَيْنِ، وَبِمَا جَعَلَ اللَّهُ فِيهِ مِنَ الْعَلَامَاتِ وَالْدَّلَائِلِ وَالْآيَاتِ، الَّتِي جُهِرَتْ بِهَا الْعُقُولُ، مِمَّا خَصَّه اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ وِلَادَةِ^(٢) الرَّسُولِ، وَلِمَّا فِيهِ مِنَ الْعِلْمِ الْبَارِعِ، وَالْوَرَعِ السَّاطِعِ، وَالْخَيْرِ الْجَامِعِ، فَنَشَرَ اللَّهُ بِذَلِكَ عَدْلَهُ، وَأَبَانَ فَضْلَهُ عَلَى غَيْرِهِ، بِمَا قَامَ بِهِ اللَّهُ^(٣) فِي إِصْلَاحِهِ لِعِبَادِهِ، وَنَشْرِهِ لِدِينِهِ فِي بِلَادِهِ.

فَكَانَ قُدُومُهُ الْيَمْنَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَحُجَّةً لِلَّهِ عَلَى الْفَاسِقِينَ، فَظَهَرَ بِهِ الدِّينُ، وَأُغْلِنَ دَعْوَةُ الْمُحَقِّقِينَ، فَسَّرَ^(٤) أَهْلَ الْيَمْنَ مَا كَانَ مِنْ دَعْوَتِهِ لَهُمْ، وَمَا تَنَاهَى إِلَيْهِمْ مِنْ خَبَرِ سَيَرَتِهِ، فِي مَنْ كَانَ مِنْ مَخْلَافِهِ، وَمَا ظَهَرَ مِنْ عَدْلِهِ وَشَرَايعِهِ فِي بِلَدِهِ، وَكَتَبُوا إِلَيْهِ يَسْأَلُونَهُ الْمَصِيرَ إِلَى بِلَدِهِمْ؛ لِإِصْلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ؛ لِمَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْفِتَنِ، وَذَهَابِ الْأَدْيَانِ، وَقَتْلِ الرِّجَالِ، وَاجْتِنَابِ الْأَمْوَالِ، وَانْتِهَاكِ الْمَحَارِمِ، وَقَطْعِ السُّبُلِ.

(١) فِي (ص ز ط ب): وَمَصِيرِنَا.

(٢) فِي (الْأَصْل ب ذ): أَوْلَاد. وَمَا أُثْبِتَ مِنْ (ص ز ط) أَنْسَب.

(٣) اللَّهُ: سَقَطَتْ مِنَ (الْأَصْل ذ). وَأَضِيفَتْ مِنْ (ص). وَفِي (ز ط): أَقَامَ بِهِ اللَّهُ.

(٤) فِي (الْأَصْل ذ): وَسَر. وَمَا أُثْبِتَ فَمِنْ النِّسْخِ الْآخَرَى.

[وفود أهل نجران إلى الهادي إلى الحق]

وكان الذي وفد إليه من نجران: شاعر، وثقيف، ووادعة، ويام، والأحلاف،
/ ٢٠-أ / وجماعة من بني الحارث، فأجابهم يحيى بن الحسين إلى ما طلبوا من
ذلك، وقد كانوا كتبوا إليه وهو ببلده يطلبون ذلك منه.

[تعليم الهادي إلى الحق أصحابه التبعية والقتال]

فلما كان آخر يوم من جمادى الأولى، وهو يوم الاثنين من سنة أربع وثمانين وميتين،
أمر بجمع^(١) الناس، ثم خرج بهم إلى خارج صعدة، فعبأهم بنفسه ميمنة وميسرة
وقلباً، قال رجل من همدان: ما رأيت مثل هذه التبعية!!، فقال له يحيى بن الحسين:
"هكذا عبى رسول الله - ﷺ - أصحابه يوم بدر، أو يوم أحد - الشك مني -".

ثم جعل يحيى بن الحسين يصف القتال، وكيف يطعن بالرمح، وكيف يضرب
بالسيف، ثم أخذ الرمح فأراههم ما وصف لهم، فسمعت الهمداني، وهو محمد بن
بهار^(٢)، رجل مذكور بالفروسية والشجاعة، وهو يقول: ما رأيت مثل أبي
الحسين، وما يقدر أحد يقول فيه شيئاً، يعني من فروسيته، فأجابه أحمد بن عباد
الأكيلي - وهو رجل يذكر بالفروسية - وهو يقول: ما يقوى أحد يعمل بالرمح
كمثل ما يقوى عليه أبو الحسين، وكانوا كذلك.

ثم رجعوا إلى صعدة وأخذوا في صلاح ما يريد للخروج إلى نجران، حتى إذا
كان يوم الجمعة لأربع خلون من جمادى الآخرة صلى بالناس يوم الجمعة،

(١) في (ط ب): بجميع.

(٢) محمد بن بهار: فارس من أهل خيوان، ذكرت السيرة أنه حضر مع الهادي في حربه ضد بني طريف،
ثم انهزم من غير قتال، وأخلى الموضع الذي كان فيه، تأمراً على الهادي. العلوي: السيرة، ل ٨٥ / ب.

وخطبَ بهم^(١) خطبةً بليغةً، وذكرَهُم الجهادَ، ورَغَّبَهُم في إصلاحِ العبادِ والبلادِ، ثم انصَرَفَ إلى منزله.

فلما كان يومُ السبتِ أمرَ بمُضَرِّبِهِ فُضِرَبَ خارجَ القريةِ، وأمرَ الناسَ بالخروجِ، وبات ليلته في المضرب.

مسير الهادي إلى الحق - (عليه السلام) - إلى نجران

فلما كان يومُ الأحدِ لستةِ أيامٍ خلَّوَنَ من جمادى الآخرة من سنةٍ أربعٍ وثمانين وميتين سار على اسمِ الله وبركته يريد نجران، في عسكرٍ كثيفٍ من خولان وغيرهم، فكان مسيره إلى نجران يومين.

ووصل إلى أعلى نجران يومَ الثاني، فلقيته^(٢) وادعةً، وشاكر، وثقيف، ويام، والأحلاف، فسُرُّوا بقدومه، وأنسوا بقربه، وبايعوه، ورغبوا في الحق، وما بينَ لهم من شرايعه، وأعلموه بما جرى بينهم وبين بني الحارث من قتلِ الرجال، وذهابِ الأموال، وانقطاعِ الطُّرُق، وهتكِ الحُرَم، وخرابِ المنازل، وصَيَّرُوا أنفُسَهُم ودماءَهُم وأموالَهُم في يده، فشكَّروهم على ذلك.

وسار بهم وبعساكره حتى وصلَ بالقُربِ من قريةِ نَجْران، فلقيته بنو الحارث، وسلَّمَت عليه، وجَدَلُوا بقربه، وأنسوا إليه؛ لما كان قد شَمِلَهُم من البلاء والفتن، / ٢٠-ب / وذهابِ الرجالِ والأموالِ فيما بينهم خاصَّة، وفيما بينهم وبين همدان عامَّة، ورغبوا في انقطاع ذلك، فنزل الهادي إلى الحق - (عليه السلام) - تحت أثَلٍ قُدَّامَ القرية، ثم دعا همدانَ وبني الحارث، فأجلسَهُم عنده، فخطبَ خطبةً بليغةً، ذكرَهُم^(٣) بالله

(١) في (ص ز): وخطبهم.

(٢) في (الأصل ذ): ولقيته. وفي (ط): فلقيه. وما أُثْبِتَ من (ص ز) أنسب.

(٣) في (ص ز ط ب): بليغة وذكرهم.

وبأيامه، ووعظهم، ثم أمر بمُصْحَفٍ؛ فاستخلف بعضهم لبعضٍ، وعلى السَّمْعِ له^(١) والطاعة، وترك الفتنة والعداوة، مع الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وبايعه خلق من الناس في موضعه، وابتهجوا جميعاً بذلك وجذّلوا، واختلط الناس جميعاً.

ثم ركب وسار وهم معه جميعاً، حتى وصل قرية الهجر^(٢) من نجران، فنزل فيها، وأقام أياماً، فأظهر عدله، وشهر سيرته، وردّ المظالم، ورغب فيه من سمع به، وقسم بالسوية، وعدل في الرعية، واطمأنت البلد، ولبس الناس العافية، ورجعوا إلى منازلهم وأموالهم، واختلفوا في ضياعهم، وأمنوا في طرقهم. فلما كان يوم الجمعة صلب بالناس، ودعاهم في خطبته إلى الحق، والبيعة له، والجهاد معه، فلما فرغ من صلاته ابتدره الناس للبيعة، فلم يزل يبايع الناس حتى صلب العصر، ثم انصرف إلى منزله.

[تقدّمته الهادي إلى الحق إلى جميع الناس من أهل نجران]

فلما كان بعد ذلك بيوم أخذ عمّاله رجلاً سكراناً^(٣)، فقال لبعض أوليائه: "قد غمّني أخذ هذا الرجل قبل أن أعذر إلى أهل البلد وأنذر"، ثم أمر به فضرب ثمانين سوطاً بعد أن أصحى السكران من سكره.

(١) له: سقطت من (الأصل ذ). وأضيفت من بقية النسخ.

(٢) الهجر: القرية بلغة حمير والعرب العاربة كما يقول الهمداني، ورغم أنه ذكر أنها موضعان، الهجر القديمة والحديثة، فإن من المؤكد أنها في الموضع الأثري، المسمى اليوم بالأخدود، وكان يسكنها المدنيون من بني الحارث، وأخلاط آخرون، ومنهم أهل الكتاب، وقد اتخذ منها الهادي مقراً إدارياً لمخلاف نجران. العلوي: السيرة، ل٥٦/أ-ب، ١١٧/أ؛ والهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٦٧، ٢٨٣.

(٣) كذا في الأصل وجميع النسخ. والصحيح أنه (سكران) بدون تنوين؛ لأنه ممنوع من الصرف.

ثم كَتَبَ كِتَابًا، وأمر بقراءته على كافة الناس [وهذا نصه]:

"بسم الله الرحمن الرحيم

هذه تَقْدِمةٌ من الهادي إلى الحقِّ أمير المؤمنين، يحيى بن الحسين، ابن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى جميع الناس من أهل نجران.

أما بعد: فإن الله -تبارك وتعالى- فَرَضَ فُرُوضًا ارتضاها، وأَمَرَ بِفَعْلِهَا، وَسَخِطَ أُمُورًا، ونهى عن فعلها، ثم أَوْجَبَ لِمَن صار إلى ما أمر به ثوابه، وأوجب على مَنْ فعل شيئًا مما سَخِطَ عقابه؛ فكان مِمَّا أوجب على خلقه فيه العقاب ما ذكر -عزَّ وجلَّ- من الزنا، والسَّرِقة، والقَذْفِ للمحصنات، وأكل الربا، وشرب الخمر، وشهادة الزور، وجميع المعاصي، فأوجب في ذلك ما أوجب في كتابه، وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وعلى آله، فاعلموا أن الحدود في ذلك كله لاحقة بمن^(١) أَوْجَبَهَا على نفسه، فالْحَذَرَ الْحَذَرَ، قد أعْذَرَ / ٢١-أ/ مَن أنذر، فلا يُلُومَنَّ أَحَدٌ إِلَّا نَفْسَهُ، وعليكم بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، واتَّقُوا اللهَ في جميع أموركم، فإن الله المُطَّلِعُ على ذلك كله، والسلام".

فَقُرِّيَ^(٢) الكتابُ على الناس، فزادهم ذلك رَغْبَةً في الحقِّ، وتَعَاطَوْا الْحُقُوقَ، وَرَدَّ بَعْضُهُمْ على بعضٍ ما كان في يده من مالٍ مَغْصُوبٍ بغيرِ مطالبة؛ وذلك أنهم كانوا في الفتنة التي كانت بينهم قد غَصَبَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا الْأَمْوَالَ^(٣) من النخيل، والأرض، والعبيد، والخيول، فلما قدم يحيى بن الحسين تَرَادَّوْا الْمِظَالِمَ بينهم هِيئَةً أَلْقَاهَا الله في قلوبهم.

(١) في (الأصل ذ): لمن. وما أُثْبِتَ فمن (ص ز).

(٢) في النسخ ما عدا (ص): فلما قُرِّيَ. وما أُثْبِتَ منها أولى لمناسبته (فزادهم) التالية.

(٣) الأموال: سقطت من (الأصل ط ب ذ). وأضيفت من (ص ز).

خَبَّرَنِي بَعْضُ أَهْلِ نَجْرَانَ، قَالَ: كُنْتُ قَدْ اغْتَصَبْتُ نَخْلًا مِذْ عَشْرِ سَنِينَ، مَا أَكَلْتُ مِنْهُ تَمْرَةً، حَتَّى قَدِمَ يَحْيَى بْنُ الْحُسَيْنِ، فَرَدَّدَ عَلَيَّ بَرَكَتَهُ، وَسَمِعْتُ جَمَاعَةً يَذْكُرُونَ أَحَادِيثَ شَبَّهَ بِهَذَا، غَيْرَ أَنْ ذَكَرَهَا يَطُولُ.

[بَعَثَ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ وَلَاتَهُ فِي قُرَى نَجْرَانَ وَخَرَصُهُ لِلنَّخْلِ]

قَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ: خَبَّرَنِي أَبِي مُحَمَّدٌ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ: فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ^(١) أَيَّامِ رَكِبَ يَحْيَى بْنُ الْحُسَيْنِ يَدُورُ قُرَى نَجْرَانَ، وَأَمَرَ الْعَسْكَرَ بِأَنْ لَا يَدْخُلُوا الزَّرْعَ، وَلَا يُفْسِدُوا عَلَى النَّاسِ ثِمَارَهُمْ، فَلَمَّا كَانَ بِاللَّيْلِ، قَالَ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ: "هَلْ رَأَيْتَ أَحَدًا مِنَ الْعَسْكَرِ عَرَضَ لَشَيْءٍ مِنْ ثِمَارِ النَّاسِ أَوْ أَفْسَدَهَا" ^(٢)؟ فَقَالَ لَهُ: لَا، فَقَالَ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا".

ثُمَّ بَعَثَ الْوَلَاةَ فِي قُرَى نَجْرَانَ، وَأَمَرَهُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَأَقَامَ بِذَلِكَ وَقْتًا، ثُمَّ حَضَرَتْ جَبَايَةُ التَّمْرِ ^(٣)، فَجَمَعَ خِيَارَ أَهْلِ الْبَلَدِ مِنْ حَارِثِيٍّ، وَهَمْدَانِيٍّ، وَنَجْرَانِيٍّ، وَشَاوَرَهُمْ فِي جَبَايَتِهِمْ، وَقَالَ: "إِنْ هَذِهِ جَبَايَةُ قَدْ حَضَرَتْ بِلَدِكُمْ، وَلَا يَجِبُ ^(٤) أَنْ نَأْخُذَ مِنْكُمْ إِلَّا التَّمْرَ مِنَ التَّمْرِ، وَالْحَبَّ مِنَ الْحَبِّ، وَلَا نَسْتَجِيزُ غَيْرَ ذَلِكَ، وَلَا أَتَعَدَّى سِيرَةَ جَدِّي ^(٥) رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ"، فَرَدَّدَ عَلَيْهِ النَّاسُ، فَقَالُوا: جَعَلَنَا اللَّهُ فِدَاكَ، إِنَّ خَرَصَ ^(٦) التَّمْرِ أَصْلَحُ

(١) فِي (الْأَصْلُ ذ): بَعْضُ. وَالصَّحِيحُ مَا أُثْبِتَ مِنْ بَقِيَةِ النَّسْخِ.

(٢) فِي (الْأَصْلُ ذ): وَأَفْسَدَهَا. وَلَعَلَّ الْأَوَّلَى مَا أُثْبِتَ مِنْ بَقِيَةِ النَّسْخِ.

(٣) فِي (ذ): الثَّمَرُ.

(٤) فِي الْأَصْلُ: وَلَا نَحْبُ. وَمَا أُثْبِتَ فَمِنْ بَقِيَةِ النَّسْخِ.

(٥) جَدِّي: مُضَافَةٌ مِنْ (ص ز).

(٦) خَرَصَ النَّخِيلَ: حَزَرُ مَا عَلَيْهَا، أَيْ تَقْدِيرُ مَا عَلَيْهَا مِنَ الرُّطْبِ تَمْرًا. يَنْظُرُ الْمَطْرُزِيُّ، نَاصِرُ بْنُ عَبْدِ السَّيِّدِ

أَبِي الْمَكَارِمِ، الْخَوَارِزْمِيُّ (ت ٦١٠ هـ): الْمَغْرِبُ فِي تَرْتِيبِ الْمَغْرِبِ، دَارُ الْكِتَابِ الْعَرَبِيِّ، ص ١٤٢.

بنا؛ لما^(١) فيه من الرِّفْقِ الذي يَرْفُقُ بنا، من أَخَذِ الرُّطْبَ^(٢)، والرَّجِيزَ^(٣)،
والْحَشْوِ^(٤)، وَنَصِيفِهِ^(٥) إلى ما يَرْفُقُ بنا، فَنَعَزِلُ جَيْدَهُ وَرَدِيَّه، وَنُمَيِّزُ بَعْضَهُ مِنْ
بَعْضٍ، وليس معنى التَّمَرِ عندنا معنى الحُبُوبِ، فأجابهم يحيى بن الحسين إلى ما
طلبوا من ذلك؛ لما صَحَّ له من رِفْقِ ذلك بهم من مَدٍّ^(٦) أيديهم فيه، وإطعامهم
لِمَنْ تَحْتَ أَيْدِيهِمْ، وَلِمَا يُؤَيِّدُهُمْ فِي ذَلِكَ، وقال: "لولا أن جَدِّي رسولَ الله -صلى
الله عليه وآله- خَرَصَ المدينةَ وخيبرَ وغيرَهما^(٧) ما خَرَصَتْهُ عليكم".

ثم شاورَهم في مَنْ يَتَوَلَّى الخَرَصَ عليهم، فأشاروا عليه بنفر^(٨) منهم أهل
عدالةٍ وأمانةٍ، فأرسل إليهم، / ٢١-ب / فلما وصلوا إليه استخلفَهُمْ أن لا يأخذُوا
إِلَّا الْحَقَّ، وأن لا يَحْمِلُوا على ضعيفٍ، ولا يَتَجَافَوْا من قَوِيٍّ، وأمرَهم أن لا^(٩)

(١) في (ص): لما لنا.

(٢) الرُّطْبُ: تَمَرُ النَّخْلِ إِذَا أَدْرَكَ وَنَضِجَ قَبْلَ أَنْ يَتَمَرَّ، الْوَاحِدَةُ رُطْبَةٌ. الفيومي: المصباح المنير،
ج ١، ص ٢٢٩.

(٣) لم أجد له تعريفاً محدداً، ولعله نوعٌ من التمر يُعَبَّرُ عن مرحلة معينة. وبعض اللهجات اليمنية
اليوم تسمي التمر في نوعه العادي والمشهور: رَجِيزاً.

(٤) في (الأصل ص ز ذ) الحشو. ولم أجد له معنى مناسباً للسياق. ولعلَّ ما أُثْبِتَ هو الأصحُّ.
والْحَشْوُ: الْحَشْفُ مِنَ التمر. وهو من أَرْدَأِ التمر. ينظر الجوهري: الصحاح، ج ٦، ص ٢٣٢٧.
وفي (ط ب): تشبه أن تكون والحشف. ولعلها صَحَّحَتْ كذلك.

(٥) النَّصِيف: قال الفيروزآبادي: "ونصف النخل نصفاً: أَحْمَرٌ بَعْضُ بُسْرِهِ، وبعضُهُ أَخْضَرٌ".
القاموس المحيط، ص ٨٥٦.

(٦) في الأصل: جد. وفي (ز): حد. ولعل الأولى ما أُثْبِتَ من بقية النسخ.

(٧) وغيرهما مثل أعناب ثقيف. ينظر الإمام زيد بن علي: مسند الإمام زيد، ص ٢٥١-٢٥٢؛
والصنعاني: المُصَنَّف، ج ٤، ص ١٢٢-١٣٢؛ والدارقطني، علي بن عمر، أبو الحسن
(ت ٣٨٥هـ): سنن الدارقطني، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت،
ط ١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م، ج ٣، ص ٤٨-٥٣.

(٨) في (الأصل ذ): بقوم. وما أُثْبِتَ فمن النسخ الأخرى.

(٩) في الأصل ومعظم النسخ: وأمرهم لا. وما أُثْبِتَ فمن (ص).

يأخذوا شيئاً في ما دون ثلاثة وثلاثين فرقاً وثلث. قال: وأمر الخراص أن يخرصوا العنب على ذلك.

قال علي بن محمد: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلِيمَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ بَعْضَ أَهْلِ نَجْرَانَ يَقُولُ لِيَحْيَى بْنِ الْحُسَيْنِ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، إِذَا وَجَبَ عَلَى رَجُلٍ مِنْ صَدَقَةِ نَخْلِهِ شَيْءٌ فَيَبِيعُهُ لِصَاحِبِهِ أَصْلَحُ؟ فَقَالَ لَهُ: "هَذَا لَا يَجُوزُ، وَلَا يَحِلُّ، وَلَكِنْ إِذَا وَجَبَ عَلَى رَجُلٍ شَيْءٌ فَأَعَزُّ لَوْهُ، ثُمَّ يَبِيعُهُ لِمَنْ أَرَادَهُ ^(١)، وَهَكَذَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ - بِأَهْلِ خَيْبَرَ ^(٢)".

الصُّلْحُ الَّذِي وَقَعَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَبَيْنَ ذِمَّةِ أَهْلِ نَجْرَانَ

ثم نظر يحيى بن الحسين في أهل الذِّمَّةِ وما في أيديهم من الأموال التي ليست بجاهلية، وإنما اشتروها في دار الإسلام من المسلمين.

قال علي بن محمد: حَدَّثَنِي أَبِي مُحَمَّدُ بْنُ عبيد الله، قَالَ: سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ الْحُسَيْنِ، يَقُولُ: "إِنْ أُطْلِقَ الذَّمِّيُّونَ عَلَى أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يَشْتَرَوْهَا بِطَلَّتِ الْأَعْشَارُ، وَضَعُفَ الْإِسْلَامُ، وَلَكِنْ صَلَاحُ أَنْ يَبِيعُوهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الصَّدَقَاتِ فِي أَمْوَالِهِمْ، وَلَا يُتْرَكَ فِي أَيْدِي أَهْلِ الذِّمَّةِ، فَيَقْتَطَعُونَ بِذَلِكَ حَقَّ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَيَضْعُفُ الْإِسْلَامُ".

(١) في الأصل وبعض النسخ: لمن أراد. وما أُثْبِتَ فَمَنْ (ص ز)، ولعلَّه الأولى. والمعنى: لمن أراد ذلك الشيء سواء كان هو المخرج للزكاة (الصدقة) أم غيره.

(٢) نص الإمام الهادي في الأحكام (ج ١، ص ١٦٢) على جواز بيع الزكاة من صاحب المال ولكن بعد تقسيم المال وتمييز الزكاة فيه. وأما فعل رسول الله بأهل خيبر فلعله ما روي أنه أرسل عبد الله بن رواحة، فخرصها مقداراً معيناً من الأوسق، ثم خيّر أهل خيبر بين أن يأخذوه ويضمّنوا النصف الذي للمسلمين، أو يتركوه للمسلمين، على أن يضمّن المسلمون النصف الذي لهم. فلعله أراد قياس الزكاة أنها لا تباع ويتصرف فيها إلا بعد تمييزها كما أن أموال خيبر لم يحز التصرف في ثمرها إلا بعد تمييزها ولو بالخرص.

فوجهَ إلى أهل الذِّمَّة، فأحضرَهم، وأمرهم أن يُخْرِجُوا مِمَّا في أيديهم ممَّا اشتروه من أهل الإسلام، إلا ما كان جاهليًّا فهو لهم، فَضَجُّوا من ذلك، وقالوا: يا ابنَ رسولِ الله خذْ مِنَّا ما تريد، ولا تُخْرِجْ هذه الأموال من أيدينا.

فلما كان بالليل قال: "نظرتُ في أمر هؤلاء الذَّمِّيِّين، وعَزَمْتُ^(١) على أن أُخْرِجَ هذه الأموال من أيديهم؛ لبيعوها إلى المسلمين، فكَرِهوا ذلك، فناظَرْتُ نفسي، واستَحَرْتُ الله كثيرًا، وعَزَمْتُ على أن أَصْلَحَهُمْ صُلْحًا نرضى نحن وهم به^(٢)، وهو التُّسْعُ من جميع ما استغلُّوه من أموالهم"، فقلتُ له: جُعِلْتُ فداك وكيف يكون صُلْحُهُمْ على التسع؟ فقال: "إنما هو صُلْحٌ، كما صالح رسولُ الله - صلى الله عليه وعلى آله - أهل الذِّمَّة^(٣)، ولو صالحناهم^(٤) على العُشْرِ خِفْتُ أن يَظُنَّ بعضُ الجُفَّالِ أَنَّا عَشَرْنَا أموالهم، كما عَشَرْنَا أموال المسلمين، وَلَكِنَّا نَصْلِحُهُمْ على التُّسْعِ".

فوجهَ إلى أهل الذِّمَّة، فأحضرَهم، وأحضرَ جماعةً من المسلمين، / ٢٢ - أ / فيهم فقهاء أهل البلد وغيرها، فعَرَضَ على أهل الذمة الصلح بحضرة الناس جميعًا، برضى منهم غير مُكرهين ولا مُجْبَرين، فَرَضُوا بذلك، وأشْهَدَ عليهم جماعة من المسلمين ومن الذَّمِّيِّين في كتابه الذي كتبه بينه وبينهم، ثم قال لي: "أرجو أن يكون هذا الصلحُ سُنَّةً من بعدي، كما كان من محمد - عليه وآله السلام -".

فلما كان في السَّحَرِ جَلَسَ وأمر بِقِرْطَاسٍ فكَتَبَ بيده نُسخَةً، ثم أمرَ به فَنُسِخَ نُسخَةً، فدَفَعَ إلى أهل الذِّمَّة بنجران نُسخَةً، وَصَيَّرَ عنده نُسخَةً يَكْتُبُهَا لِمَن وَقَعَ

(١) في (الأصل ذ): وعرضت. ولعل ما أُثبت من بقية النسخ أولى.

(٢) في (الأصل ذ): نرضى نحن منهم به. وما أُثبت فمن بقية النسخ. ولعله الأولى.

(٣) ينظر البيهقي، أحمد بن الحسين، أبو بكر (ت ٤٥٨ هـ): السنن الكبرى، مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، ط ١، ١٣٤٤ هـ، ج ٩، ص ١٨٥، ١٨٧، ١٩٥، ٢١٨.

(٤) في الأصل ومعظم النسخ: صالحتهم. وما أُثبت فمن (ص)، يناسب الضمائر الواردة في السياق.

عليه مثل هذا الصلح من جميع أهل الذمة.

[نُسْخَةُ الصُّلْحِ]

وهذه نسخة كتاب الصلح

"بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كِتَابُ كَتَبَهُ الهادي إلى الحق أمير المؤمنين يحيى بن الحسين، ابنُ رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله^(١) -، بينه وبين أهل الذمة من أهل نجران وغيرهم من أهل الذمة، مَن رضي بما رضي به أهل الذمة بنجران، فكان أوَّل ما ابتدأ به من ذلك أن قال: الحمدُ لله الذي لا إلهَ غيره، ولا شريك معه، إله الأولين والآخرين، وفاطر السموات والأرضين، الذي لا تراه أعينُ الناظرين، ولا تحيط به أفكارُ المتفكرين، لا يَصِفُهُ بتحديدِ الواصفون، ولا ينطق فيه بوصفٍ جارحةٍ الناطقون، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي رفع السماء فبناها، وسطح الأرض فطحها، ﴿وَلَا يُؤْوِدُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾^(٢)، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المرتضى، وأمينه المصطفى، أرسله برسالاته، فبلغ رسالة ربه، ونصح لأُمته^(٣)، وعبدَ ربَّه حتى أتاه اليقين، صلى الله عليه وعلى آل^(٤) بيته الطيبين الأخيار.

وبعد أيُّها الناس: فإن اللهَ جلَّ جلاله، وتقدَّست أسماؤه، خلَقَ خلقه بلا حاجةٍ منه^(٥) إليهم، ولا منفعةٍ تناله منهم، بل خلَقَهُمْ لأنفسهم، ودلَّهم على رُشدِهِم،

(١) في (ص): صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين الأخيار. وفي (ز): صلى الله عليه.

(٢) البقرة: ٢٥٥.

(٣) ونصح لأُمته: سقطت من (الأصل ذ).

(٤) في (ص ز): أهل.

(٥) في (الأصل ذ): تلاحيه. وفي (ط): لاجئة. في (ب): تلجئه. وما أثبت فمن (ص ز).

وَزَجَرَهُمْ عَنْ غِيَّهِمْ، وَأَسْبَغَ عَلَيْهِمْ بِمَنِّهِ أَرْزَاقَهُ، وَأَنَالَهُمْ بِرَحْمَتِهِ أَرْفَاقَهُ^(١)، وَمَلَكَهُمْ الْآفَاقَ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ الْعَلِيمُ الْخَلَّاقُ.

ثم جعل لأرزاقهم أسباباً، فجعلها تجري بهم على مَشِيَّتِهِ، وَيَنَالُ حِلَالَهَا مَنْ أَنَالَهَا بِقُدْرَتِهِ؛ سِيَاسَةً مِنَ الْخَالِقِ إِلَى الْمَخْلُوقِ، وَمَنَّا مِنْهُ سَبْحَانَهُ بِالرَّزْقِ عَلَى الْمَرْزُوقِ^(٢)، فَجَعَلَ لِلْفُقَرَاءِ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ جُزْءًا نَصَفَ عُسْرٍ يَجْرِي عَلَيْهِمْ، وَعُسْرًا عَلَى قَدْرِ سَقْيِ الْأَرْضِينَ، وَمَا مَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَى الْعَالَمِينَ، ثُمَّ سَمَّى ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ / ٢٢-ب / جَلَّ جَلَالُهُ، فَقَالَ لِنَبِيِّهِ - ﷺ -: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾^(٣)، فَأَوْجِبْ عَلَيْهِ أَخْذَ ذَلِكَ مِنْهُمْ، وَأَوْجِبْ عَلَيْهِمْ إِخْرَاجَ ذَلِكَ إِلَيْهِ مِنْ أَيْدِيهِمْ، بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾^(٤).

ثم أَمَرَ نَبِيَّهَ يَرْدُ ذَلِكَ عَلَى مَنْ سَمَّى مِنَ الثَّمَانِيَةِ الْأَصْنَافِ ﴿لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾^(٥)، فَجَعَلَهَا مَعُونَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَمَعُونَةً وَرِزْقًا لِلْمَسَاكِينِ.

فاجترأ^(٦) على كثيرٍ من أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ أَهْلُ الْأَمْوَالِ مِنَ الذَّمِّيِّينَ، فَاشْتَرَوْهَا مِنْ أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ، فَمَلَكَوا جُزْءًا عَظِيمًا مِنَ الْبِلَادِ، وَحَازُوا مَنَافِعَهُ مِنَ الْعِبَادِ، فَصَارَ مَا مَلَكَوا مِنْ ذَلِكَ طَلْقًا مِنَ الْأَعْشَارِ الَّتِي كَانَتْ تَجْرِي عَلَيْهِمْ فِي أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ؛ لِأَنَّهُ

(١) من معاني الرِّفْق: ما استعين به. ويجمع على أَرْفَاق. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ٨٨٧.

(٢) على المرزوق: سقط من (الأصل ط ب ذ). وما أُثْبِتَ فَمِنْ (ص ز).

(٣) التوبة: ١٠٣.

(٤) البقرة: ٤٣.

(٥) التوبة: ٦٠.

(٦) في (ص ز ط ب): فاجترأ.

لا زكاة على الذميين في ناض^(١) ولا عَرْضٍ لتجارة، ولا في أرضٍ جاهلية في أيديهم، ولا غنمٍ ولا إبلٍ ولا بقرٍ، ولأن الزكاة تَطْهَرُ للمؤمنين، حَكَمَ بذلك لهم^(٢) رَبُّ العالمين، دون غيرهم من الذميين، وفي ذلك ما يقول أكرم الأكرمين، لنبيه محمد خاتم النبيين: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾^(٣).

فلما اشتراها أهل الذمة من أيدي المسلمين، أزاحوا بذلك ما جعل الله فيها من المعونة لعباده المؤمنين، فكسروا بذلك على المؤمنين أموالهم وجباياتهم، فأذهبوا ما كان لهم من منافعهم التي جعلها الله لهم فيها فرضاً، وحكّم به على المسلمين حُكْماً.

فرايْتُ عند ذلك أنَّ تركها في أيدي مَنْ لا زكاة عليه لا يجوز، ولا يَسْعُنَا؛ لما في ذلك من الضَّرَرِ على الإسلام، وإضعافِ دِينِ محمدٍ - عليه وعلى آله السلام -، فدعوتُ أهل الذمة، وألقيْتُ إليهم ذلك، وأوقفتُهم عليه، وأعلّمتُهم أنه لا يجوزُ تركُها في أيديهم؛ فإنه لا يجوز لهم أن يكسروا بِشْرَاءِ أموال المسلمين الخراج الذي جَعَلَهُ الله تَقْوِيَةً في الدين، ومَعُونَةً في جهادِ الفاسقين، ومَعُونَةً للفقراء المؤمنين^(٤).

فضجُّوا من ردّها على المسلمين، والخروج منها إلى المؤمنين، وقالوا: خُذْ مِنَّا ما يجبُ على المسلمين في أموالهم، فأعلّمتُهم أن ذلك لا يجوزُ لنا فيهم، ثم رأيْتُ عند ذلك أن أُخَيِّرَهم بين التنحّي عنها، والتخلي منها، أو أن أُجْزِيَ / ٢٣ - أ / بينهم وبين المسلمين في ذلك صُلْحًا ترجع منفعتُهُ عليهم، ويجوزُ بإجرائه للذميين شراءُ أموال المسلمين، والدخول فيها أحبُّوا^(٥) من أرض^(٦) المؤمنين، والإقامة على ما في

(١) الناض من الأموال: الدراهم والدنانير. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ٦٥٥.

(٢) لهم: سقطت من (الأصل ذ). وإثباتها كما في النسخ الأخرى أولى.

(٣) التوبة: ١٠٣.

(٤) في (ص ز): لفقراء المؤمنين.

(٥) في (ز): أحيوا. وفي (ط): احتوا.

(٦) في (ط): أموال.

أيديهم مما اشترَوْه منهم، ومَلَكوه من أرضهم دونهم.

فخَشِيتُ إن أنا صالَحتُهم على العُشر أن يتوَهَّم أهلُ الجهالات، من المُتَكَمِّهين^(١) في العَمَيات، أَنَّا عَشَرْنَا الذميين، كما عَشَرْنَا المسلمين، وأنا جَهِلْنَا أَنه لا صدقة على الذميين، فأوقَعْنَا بين المسلمين وبين الذميين صُلْحًا بايئًا من اللِّبْس والشَّبه، يَمْلِكُون به ما شاءوا، ويُقيمون على ما أرادوا من أموال المسلمين، وَيَجِبُ لأموالهم به الحياطة على المؤمنين، وهو التُّسْعُ في ما سُقِيَ سَيِّحًا أو بماء السماء، ونصفُ التسع في ما سُقِيَ بالدَّوالي والخطَّارات^(٢) والسَّواني^(٣)، فَرَضِي بذلك الذَّميُون واختاروه، وحَسُنَ موقعه منهم، فأقَرَرْنَا على هذا الصلح في أيديهم ما كانوا تَشَرُّوه من أموال المسلمين، وأَجَزْنَا لهم شراء ما أَحَبُّوا من أموال المؤمنين على تَأْدِيَةِ هذا التُّسْع، مِمَّا سُقِيَ سَيِّحًا أو بماء السماء، ونَصَفِ التُّسْع مِمَّا سُقِيَ بالسَّواني والخطَّارات والدوالي، وجَعَلْنَا لهم من بعد أداء ما سَمَّيْنَا من هذا الصلح على الحروث في النخيل، والفواكه، والقُصُوب، وغير ذلك مما تَجِبُ فيه الزكاة على المؤمنين، قليل ذلك وكثيره سواء، يُؤْخَذُ منه على قَدْرِ سَقْيِ أرضه من كُلِّ ما سُقِيَ بماء السماء التُّسْع، كان ذلك فَرَقًا أو فَرَقَيْن، أو عَشْرَةً، أو عَشْرَيْن، ففي كُلِّ ما خرج من أموالهم - قَلَّ أو كَثُرَ من الثمار - تُسْعٌ مِمَّا سَقَتِ السماء، ونصفُ التُّسْع مِمَّا سُقِيَ بالسَّواني وغير ذلك من الأشياء.

(١) الكَمَّة: العمى يُؤلِّدُ به الإنسان. والكَاِمَةُ: مَنْ يَرْكَبُ رَأْسَهُ لَا يَدْرِي أَيْنَ يَتَوَجَّه، كَالْمُتَكَمِّهِ. ينظر الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ١٢٥٢.

(٢) في (الأصل ذ): والخطرات. والصحيح ما أُثْبِتَ من النسخ الأخرى، وهو الموافق لما سيأتي. وهي: صِنْفٌ من الدواليب الخِفافِ تَجَرُّ الماء من الأودية. ينظر المقرئ، أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١ هـ): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨ م، ج ٣، ص ٤٥٤.

(٣) والسَّواني: سقطت من (ص ز ط ب).

الاتساعُ فيما أَحَبُّوا من شراءِ أموالِ المسلمين

وَأَجَزْنَا لَهُمْ شِرَاءَ مَا أَحَبُّوا مِنْ جَمِيعِ الْأَمْوَالِ، يُؤَدُّونَ^(١) عَنْ ذَلِكَ مَا سَمَّيْنَا مِنَ الصَّلَحِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي هَذَا الْكِتَابِ، فَإِذَا أَدَّوْا ذَلِكَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ، فَلَعْنَةُ اللَّهِ وَسَخْطُهُ وَلَعْنَةُ اللَّاعِنِينَ، وَلَعْنَةُ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، عَلَى مَنْ أَزْدَادَ عَلَيْهِمْ دِرْهَمًا وَاحِدًا، أَوْ جَارَ عَلَيْهِمْ، مِنْ خَرَصِ أَمْوَالِهِمْ، أَوْ كَيْلِهَا، أَوْ قِيمَتِهَا، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهَا، مِنَ الْوَلَاةِ، فِي حَيَاتِي، أَوْ بَعْدَ وَفَاتِي، أَوْ أَخَذَ مِنْهُمْ غَيْرَ ذَلِكَ، أَوْ ضَرَبَ عَلَيْهِمْ ضَرْبِيَّةً، أَوْ كَلَّفَهُمْ كُلْفَةً، أَوْ جَعَلَ عَلَيْهِمْ مُؤَنَةً، أَوْ جَشَّمَهُمْ مَعُونَةً.

وَلِلذَمِّينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذَا أَدَّوْا إِلَيْهِمْ مَا جَعَلَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - مِنَ الْجُزْيَةِ عَنْ رُؤُوسِ رِجَالِهِمُ الْأَحْرَارِ، دُونَ نِسَائِهِمْ، وَمَمَالِكِهِمْ، وَصِيَانِهِمْ، - يُؤَدِّي مُلُوكُهُمْ ثَمَانِيَّةً وَأَرْبَعِينَ دِرْهَمًا قَفْلَةً عَلَى كُلِّ رَجُلٍ / ٢٣ - ب / مِنْهُمْ، وَيُؤَدِّي أَوْسَاطُهُمْ أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ دِرْهَمًا قَفْلَةً، وَمُتَعَيِّشَتُهُمْ^(٢) اثْنِي عَشَرَ دِرْهَمًا قَفْلَةً، فَإِذَا أَدَّوْا الْجُزْيَةَ عَنْ رُؤُوسِهِمْ، وَأَدَّى مَنْ كَانَ فِي يَدِهِ شَيْءٌ^(٣) مِنْ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ مَا صُولِحَ عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الصَّلَحِ الْمُسَمَّى فِي هَذَا الْكِتَابِ - فَقَدْ حَقَّنُوا دِمَاءَهُمْ بِالْجُزْيَةِ، وَحَرَّمُوا أَمْوَالَهُمْ عَلَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ، وَنَالُوا - بِأَدَاءِ هَذَا الصَّلَحِ الْمَسْمُومِ فِي هَذَا الْكِتَابِ - شِرَاءَ مَا أَحَبُّوا مِنْ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ وَجِبَ لَهُمْ عَلَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ أَنْ لَا يُخْرِجَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ عَنْهُمْ، وَلَا يَمْنَعَهُمْ مِنْ شِرَاءِ غَيْرِ ذَلِكَ، وَقَدْ وَجِبَتْ لَهُمُ الْحَيَاطَةُ عَلَى وُلاةِ الْمُسْلِمِينَ وَرَعِيَّتِهِمْ، وَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ ظُلْمُهُمْ، وَلَا التَّحَامُلُ فِي غَيْرِ ذَلِكَ الْحَقِّ

(١) فِي (ص ز ط ب): يَدُون. وَهِيَ لَا تَبْعُدُ عَنِ الصَّحَّةِ، وَاشْتِقَاقُهَا مِنْ: وَدَى الْقَاتِلُ الْمَقْتُولَ، إِذَا أُعْطِيَ وَلِيَّهُ الدِّيَّةَ. الْمَطْرُزِي: الْمَغْرِب، ص ٤٨٠.

(٢) فِي (ص ز): وَمُتَعَيِّشِيهِمْ. وَفِي (ط ب): وَمُتَعَيِّشُهُمْ. وَالْمُتَعَيِّشُ: مَنْ لَهُ بَلَاغَةٌ مِنَ الْعَيْشِ. الْفَيَرُوزِآبَادِي: الْقَامُوسُ الْمَحِيط، ص ٥٩٩.

(٣) فِي (ص ز ط ب): مَنْ كَانَ فِي يَدِهِ شِرَاءٌ.

عليهم، فَمَنْ طلب منهم غيرَ ذلك فَبَرِيٍّ من الله، وَبَرِيَّ اللهُ منه، وصالحُ المؤمنين، والملائكةُ والناسُ أجمعين^(١)، وقد خرج بذلك من مِلَّةِ المسلمين.

وأشهدَ لهم الهادي إلى الحق أميرُ المؤمنين، يحيى بن الحسين، ابنُ رسول الله - صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين الأخيار -، الله - سبحانه - وملائكته بذلك، وأشهدَه وملائكته وجميعَ مَنْ حضره من المؤمنين عليهم بما في هذا الكتاب، من بعد أن رَضِيَ الهادي إلى الحق أمير المؤمنين، يحيى بن الحسين، ابنُ رسول الله - صلى الله عليه وعلى أهل بيته وسلم - بذلك، فَرَضِيَ جَمِيعُ أهلِ الذمة بنجران بهذا الصلح الذي جرى بينه وبينهم.

وقرِى هذا الكتابُ عليهم وعلى المسلمين، وفهمه الكلُّ، ووقفَ عليه، وشهد على رضا الهادي إلى الحق، أمير المؤمنين، يحيى بن الحسين، ابنِ رسول الله - صلى الله عليه وسلم^(٢) -، وَمَنْ حَضَرَ من أهلِ الذِّمَّةِ مَنَّ له مالٌ بنجران بهذا الصلح الذي جرى بين الهادي إلى الحق أمير المؤمنين يحيى بن الحسين، ابن رسول الله - صلى الله عليه وعلى أهل بيته وسلم -، وبين أهل الذمة من أرباب الأموال بنجران، وهذا الصلحُ جائزٌ بين المسلمين وبين مَنْ رَضِيَ به من جميع أهل الذمة بسائر البلدان، لا يمنعُهم من قبوله مسلم، ولا يحولُ بينهم وبينه إلا آثم.

وكتبَ هذا الصلحُ في شهر جمادى الآخرة لسبع بقين منه من سنة أربع وثمانين وميتين، شهد: أحمد بن عبدالله بن خالد المداني^(٣)، وكتبَ شهادته، والحسن^(٤) بن

(١) كذا. ولعل وجه النصب أنه حالٌ من الفاعل - وهو لفظ الجلالة - وما عطفَ عليه.

(٢) في (ذ): صلى الله عليه وعلى أهل بيته وسلم.

(٣) لم أجد له ترجمة، ولكن يبدو من النص أنه من زعماء بني عبد المدان الحارثيين في نجران.

(٤) في (ص): الحسين.

علي بن أبي فُطَيْمَة^(١)، وَكَتَبَ شَهَادَتَهُ، وَعَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَدَانِي^(٢)، وَكَتَبَ شَهَادَتَهُ، وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَاد^(٣)، وَكَتَبَ شَهَادَتَهُ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِد^(٤)، وَكَتَبَ، وَالْحُسَيْنُ / ٢٤-أ / بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ، وَكَتَبَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ^(٥)، وَكَتَبَ، وَعَبَادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ^(٦)، وَكَتَبَ، وَهَشَامُ بْنُ الْمَنْصُورِ^(٧)، وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ^(٨)، وَكَتَبَ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَكَتَبَ، وَأَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْجَوَادِ^(٩)، وَكَتَبَ، وَزِيَادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَاد^(١٠)، وَكَتَبَ، وَعَبْدُ الْوَهَّابُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَكَتَبَ، وَجَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ جَابِرٍ، وَكَتَبَ، وَمُوسَى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُوسَى، وَكَتَبَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ زِيَادِ بْنِ الْأَحْسَفِ^(١١)، وَكَتَبَ، وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَرَّمٍ، وَكَتَبَ، وَشُنَيْفُ بْنُ الْقَاسِمِ^(١٢)، وَالْحَسَنُ بْنُ مَعْمَرِ الْبَاقَرِيِّ^(١٣)، وَالْحَبَّابُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، وَأَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ،

(١) في (ص): بن فطيمة. وقد تقدمت ترجمته.

(٢) لم أجد له ترجمة، ويبدو أنه من زعماء المدائنيين في نجران أيضا.

(٣) الأكيلى الخولاني، وقد تقدمت ترجمته.

(٤) لعله المداني، أخو أول شاهد.

(٥) لم أعرفه ولا مَنْ سبقه.

(٦) لعله عباد بن عبد الله بن عباد الأكيلي، والد المسلم بن عباد، ممدوح الهمداني. ينظر الهمداني:

الإكليل، ج ١، ص ٢٣١، ٢٤٠.

(٧) لعله والد منصور بن هشام الدهي الحارثي، الذي كان له دور في التمرد على الهادي وسلطته في نجران. العلوي: السيرة، ل ١١٥، أ، ١٢٣، أ، ١٢٧، أ، ١٣١، أ - ب.

(٨) الرسمي، وقد تقدمت ترجمته.

(٩) لم أعرفه ولا مَنْ سبقه.

(١٠) لعله المري الحارثي، أحد بني الحارث بن كعب. العلوي: السيرة، ل ١٣٢، ب.

(١١) في (ص ط ب): الأخشف. وفي (ز): الأخشف. وفي (مط) مخالفا لأصله (ذ): الأحسن.

(١٢) لم أعرفهم.

(١٣) نسبة الباقري إلى الأبقر، وهي قبيلة من الأزد سكنت صعدة، وتجب العشيين من خولان.

الهمداني: الإكليل، ج ١، ص ٢٩٨.

ومعتب^(١) بن أحمد^(٢)، وإبراهيم بن محمد^(٣) بن أبي فطيمة^(٤)، وأحمد بن زكري^(٥)،
وزكري^(٦) بن زكري، وشعيب بن صالح، ومحمد بن عبد الله، وعبد الحميد بن
عمر^(٧)، وموسى بن الحجاج، وإسحاق بن يعقوب، وعبد الله بن سليمان^(٨)،
وعاقل بن عبد الله^(٩)، ومحمد بن أحمد الجواد، (وعبد الرحمن^(١٠) بن أحمد الجواد)^(١١)،
وأحمد بن محمد، وعبد الله بن محمد، وأحمد بن إسماعيل، وعبد الله^(١٢) بن محمد بن
الحكم، ومحمد بن عبد الله، وحسن بن حسن، وعبد الله بن زكري، وعلي بن
إبراهيم بن محمد الضبي، ومحمد بن سعيد بن يوسف^(١٣)، ومُسْتَنِير بن عبد الله
الفارح^(١٤)، ومحمد بن أيوب^(١٥)، ومحمد بن عمر بن عُمَيْض^(١٦)."
فَسَرَّ ذَلِكَ أَهْلَ الْبَلَدِ، وَأَدَّوْا مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ فِيهِ.

(١) في (ص ط ب): ومغيث.

(٢) لم أعرفهم.

(٣) في الأصل: وإبراهيم بن يحيى. وما أُثْبِتَ فَمِنْ بَقِيَةِ النِّسْخِ. وكانت في (ذ) مثل الأصل ثم عدلت كما أُثْبِتَ.

(٤) من الفطيميين من خولان.

(٥) في (ب): وأحمد بن كري.

(٦) في (ذ): وذكرى.

(٧) في (ص ز ط ب): عمرو.

(٨) لم أعرفهم.

(٩) عاقل بن عبد الله: أحد وجهاء نجران ومشايخها، كانت له كلمة مسموعة عند الهادي وواليه في نجران. العلوي: السيرة، ل ٧٩ / ب، ١٠١ / ب، ١٢٢ / ب.

(١٠) في (ط ب): وعبد الله.

(١١) سقط هذا الاسم من (الأصل ذ). وأضيف من بقية النسخ.

(١٢) في (ص ز ط ب): وعبيد الله.

(١٣) لم أعرفهم.

(١٤) مستنير الفارح: من أحلاف نجران، وسيشهد في خبر المرجومة. العلوي: السيرة، ل ١١٨ / أ.

(١٥) من بني الربيعة، من بني الحارث بن كعب. العلوي: السيرة، ل ١٣٤ / أ.

(١٦) في (ز ذ): غميص. ولم أعرفه.

[تنظيمُ جبايةِ الزكاة في نجران وتوزيعها]

قال: ثم نَظَرَ رُبْعَ ما نَجَحَ من العُشْرِ الذي أخذ من التمر، فوفَّره، وجمعَ الثقاتَ من أهل نجران جميعاً، بقرَّيتها وأسرارها^(١)، وأمرهم بقسِّم ذلك على المساكين والمحتاجين، وعلى أهل الحاجة من أهل البيوتات المستورين، فقسِّم ذلك على ما أمر به.

ثم حضرتُ جبايةَ الحُبُوبِ فَأَمَرَ أن يُكَالَ ما وجب لله من جبايةِ: العُشْرِ من الحَيْطِ^(٢)، ونصفُ العشر ممَّا يُسْقَى بالمسائي والخطَّارات، وأمرَ بِرُبْعِ ذلك يُقسَّم على ما قسِّم عليه رُبْعُ جبايةِ التمر، فأقام يحيى بن الحسين بنجران شهر جمادى الآخرة، ورجب، وشعبان، وثمانية عشر يوماً من رمضان.

وكان بالقربِ من نجران بلدٌ يقال لها ضاة^(٣) من بلاد شاكر، وهم قومٌ من همدان، وكانوا قد صاروا إليه إلى صعدة ونجران، فبايعوه على القيام بالحق، وبعث معهم رجالاً يَقْبِضُونَ صدقاتهم، فأخذوا الصدقات ووضعوها في بيتٍ

(١) في (ذ): لقريتها وأسرارها. وتَصَحَّفَ لدى (مط) إلى: لصونها وأبرارها. والقرية هي مدينة نجران، وهي الهَجَر. والأسرار هي القرى والمَحَلَّات التي كانت تنتشر في وادي نجران، وقد عدَّدهم الهمداني (صفة جزيرة العرب، ص ٢٨٣) أسرار همدان فيها، فقال: "وهي شوكان، والجوز، والداران، والحمدة، والجلاليان، ونفحة، ونعامان، والبيران، والحَضَن، ... ورعاش، وراحة، ولباخة العليا، ولباخة السفلى، ولبينان"، كما عدَّده أسرار بني الحارث وهي: "سوجان (رسمت في صفة جزيرة العرب: سوحان)، وميناس (رسمت في صفة جزيرة العرب: مينان)، والموفجة، وذات عبر، وعكبان، والغيل، وسر بني مازن، وصاغر، وحضن بلي، ورَجْلا، وذبيان، ومحضر، وعرائس، والبتائم، والأرباط، وأدوار حدير، وقرقر، وينقم، والهجر". ولعل تسميتها أسراراً مشتق من كونها في جنبات الوادي مستترة.

(٢) كذا في (ز). وفي الأصل والنسخ الأخرى أهمل ضبطها. ولعلها: جمع حائط، وهي البساتين.

ينظر مصطفى: المعجم الوسيط، ج ١، ص ٢٠٨، غير أنه ذكر أنها تجمع على حوائط، وحيطان.
(٣) في (ذ): ضاة. لم أجد تعريفاً بها، ولكن يُفهم من سياق نصِّ السِّيرة أنها من شاكر، وأنها على مسافةٍ ساعاتٍ من الهَجَر، وهذا يُفيد أنها في محيط نجران في بلدة وائلة.

عندهم، فوثبَ عليهم رَجُلٌ من شاكر، يقال له نعيم^(١)، فأسمعَ عُمَالَهُ كلاماً، وأَغْلَظَ لهم، وأَخَذَ مِفْتَاحَ البيت الذي كان فيه الطعام.

فلما كان / ٢٤ - ب / ليلة الجمعة لأربع عشرة من شهر رمضان وصل به الخبر.

مسير^(٢) الهادي إلى الحق إلى ضاة ثم رجوعه إلى نجران

فخرج من ساعته، وأمرَ الناسَ بالخروج إلى ضاة، فخرج معه بَشَرٌ عَظِيمٌ من خولان، وهمدان، وبني الحارث، فصَبَّحَ ضاةً، وقَصَدَ مَنْزِلَ الرجل الذي أساء بعماله، فوجده قد هرب، فأمر بخرابِ مَنْزِلِهِ، ووَاقَفَ هو بنفسه على الْمَنْزِلِ؛ وذلك أنه كان فيه طَعَامٌ وَتَمَرٌ لصاحبه، فوقف عليه خوفاً أن يُؤْخَذَ، فلما أَخَذَ الْعَسْكَرُ الذي كان معه منه تَمَرَةً وَلَا حَبَّةَ طَعَامٍ، فهدم من شُرُفَاتِ^(٣) الدار جداراً، وكان صاحبُها مُتَخَفِياً^(٤) بالقرب من منزله، فلما رأى ذلك الخراب أقبل بنفسه إلى الهادي إلى الحق - عليه السلام -، فأخذه، وأخذ معه رجلاً كان عاونه على إفساده، فصار بهما إلى نجران، فحَبَسَهُمَا، وَقَيَّدَهُمَا.

وأمرَ الناسَ بِالْأُهْبَةِ للخروج إلى صعدة، فاجتمع إليه ألوفٌ من الناس من همدان، وبني الحارث، وخولان، وخرج إلى صعدة يوم الثلاثاء لثمانية عشر يوماً من شهر رمضان.

(١) في (ص ز ط ب): رحيم. ولم أعرف عنه أكثر مما ورد هنا، ويظهر أنه كان من وجهاء شاكر.

(٢) في (ز ط ب): مصير. وفي (مط) على خلاف أصله (ذ): مسيرة.

(٣) في (الأصل ذ): شرافات. وما أُثْبِتَ هو الأكثر استعمالاً. والشرافات: جمع (شرفة): أعلى الشيء، ومن البناء ما يوضع في أعلاه يُحَلَّى به، وبناء خارج من البيت يُسْتَشْرِفُ منه على ما حوله. مصطفى: المعجم الوسيط، ج ١، ص ٤٨٠.

(٤) في (ص ز ط ب): مخفياً.

[بعض أعمال والييّ نجران]

واستعمل على نجران أحمد بن محمد^(١)، رجلاً من ولد العباس بن علي بن أبي طالب، وكان ورعاً عالماً عفيفاً ديناً عادلاً في أحكامه، وأوصاه بتقوى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود، وأخذ الحق ممن وجب عليه من صغير أو كبير، أو شريف أو ذني، فसार بسيرته^(٢)، واحتذى بحدوه.

وضرب رجلاً من يام شرب الخمر ثمانين سوطاً، فمات من الحد، فوصل خبره إلى الهادي إلى الحق -عليه السلام-، فسمعه يقول: لا رحمه الله تعالى.

وقطع أيضاً رجلاً قد سرق، بانت عليه السرقة بالبينة، فقطع يده. ونفى الجور، وأصلح البلاد.

واستعمل أيضاً رجلاً من العرب من تميم^(٣)، يقال له محمد بن عيسى^(٤)، من أهل العراق، فكانا مؤتلفين في أمر الله، غير مختلفين، ولا متباغضين ولا متحاسدين، بل كانا متحابين متوادين، متوافقين على أخذ الحق ممن وجب عليه.

ووصل الهادي إلى الحق يوم الخميس لتسع باقية من رمضان، فأقام بصعدة

(١) أحمد بن محمد: أبو الحسين، أورد له المؤلف هنا تعريفاً جيداً، كما سيذكر عنه أيضاً أنه بقي والياً على نجران حتى جمادى من سنة ٢٨٧هـ، ثم ولي صعدة بعد ذلك، وقد تعرض في نجران لعدو من هجمات بني الحارث، وقد اعتبره القاضي محمد بن سليمان الكوفي "من خيار أهل بيت رسول الله ﷺ"، ومن "شهد للهادي بالإمامة وأشهد على ذلك". ينظر الهادي: المنتخب، ص ١٦، مقدمة الكوفي؛ والعلوي: السيرة، ل ٤١/ب، ٤٩/أ-ب، ٦٥/أ، ٧٠/ب.

(٢) أي سار الوالي بسيرة الهادي إلى الحق.

(٣) تميم بن مر، قبيلة كبيرة من العدنانية، منازلهم كانت بنجد ممتدة إلى البصرة، وانتشرت إلى العذيب في الكوفة. كحالة: معجم قبائل العرب، ج ١، ص ١٢٦.

(٤) محمد بن عيسى: أحد أنصار الإمام الهادي، والمهاجرين إليه، ولّاه مساعداً لوالي نجران، ثم على البون، وتعرضت دوابه للنهب في نجران سنة ٢٨٦هـ. العلوي: السيرة، ل ٤٩/ب، ٧٥/أ.

باقي شهره وأيامًا من شوال، حتى إذا كان يوم الثلاثاء من الشهر^(١).

مسيرُ الهادي إلى الحق إلى وسحة^(٢)

خرج إلى بلد يقال لها وسحة، وَسَطَ جِبَالٍ وَعَرَّةٍ خَشْنَةٍ، لم يَسْلُكْهَا من السلاطين أَحَدٌ، إِلَّا سُلْطَانُ لَّالٍ يُعْفِرُ؛ / ٢٥-أ/ فَخَبَّرَنِي مُحَمَّدُ بن سعيد اليرسمي وغيره مَن أَثْبُتَ بِهِ أَنَّهُ أَلْتَفَّ مع سُلْطَانِ آلِ يُعْفِرِ الْأَلُوفُ الكثيرة، فَلَقِيَهُمْ رَجُلٌ يقال له الْبَحْرِي^(٣) - من بني بحر - وَعَشِيرَتُهُ، فَقَتَلَهُمْ، فَمَا أَفَلَّتْ مِنْهُمْ إِلَّا أَقْلٌ من مِية رَجُلٍ؛ وذلك أَنَّهُ بَلَدٌ وَعَرٌّ عَظِيمُ الْجِبَالِ، صَعْبُ الْمَرَامِ، لم يَكُنْ أَحَدٌ من السلاطين يَطْمَعُ به وَلَا يُرِيدُهُ، فَدَخَلَهُ الهادي إلى الْحَقِّ بالهبة التي جَعَلَهَا اللَّهُ، فلم يَلْقَهُ أَحَدٌ بها إِلَّا بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، ودَخَلَ الْبَلَدَ، وبَايَعَ أَهْلَهُ، وَجَمَعَ مَنْ كان مُتَغَلِّبًا على نَاحِيَةٍ من نَوَاحِيهِ، فَأَقَامَ بها ثمانية أَيامٍ، وَأَطَاعَهُ مَنْ كان بِالْقُرْبِ من الْبَلَدِ.

ثم خَرَجَ من وَسْحَةٍ يُرِيدُ صَعْدَةَ، والبحريُّ الذي قَتَلَ عَسْكَرَ آلِ يُعْفِرِ يَسِيرُ بين

(١) في (ذ): يوم الثلاثاء ثامن الشهر.

(٢) وسحة: قرية من خولان القد، تتبع اليوم عزلة عريمة، مديرية حيدان، غرب جنوب مدينة صعدة، وقد قيل: إن رسول الله ﷺ غيَّرَ اسمها من (وسحة) إلى (وسحة). الهمداني: الإكليل، ج ١، ص ٢٦٤-٢٦٥، ٢٩٨-٢٩٩؛ وصفة جزيرة العرب، ص ١٢٩، ٢٢٥، ٢٣٧؛ والجهاز المركزي للإحصاء، وزارة التخطيط والتعاون الدولي، الجمهورية اليمنية: التعداد العام، ديسمبر ٢٠٠٤م، محافظة صعدة، نسخة إلكترونية، ص ١٢٦.

(٣) هو عبدالله بن وقيش العبيدي، كان له رئاسة بني بحر، وقدم على الهادي مرتين، وأبدى استعداداً لنصرته، وهو الذي "فَضَّ عَسْكَرَ آلِ يُعْفِرِ يوم عراش"، وبنو بحر، فرغ من الرِّبِيعَةِ بن سعد بن خولان، و"فيهم حُدُّها وبأسُها"، وتشكَّلَ قبيلة بني بحر اليوم مُعْظَمُ مَدِيرِيَةِ سَاقِينَ، وفيها عَزْلَةُ آلِ الْوَقِيشِ، وبني سعد عُرَاش، غرب شمال مديرية ساقين. الهمداني: الإكليل، ج ١، ص ٢٤٨؛ والمحقفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ٢، ص ١٢٢٧.

يديه، وأبو الدُّغَيْشِ الشَّهَابِي^(١)، وابنا رضا^(٢)، وهؤلاء النَّفَرُ، كانوا يَجْبُونَ الْبَلَدَ، فَوَصَلَ بِهِمُ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - إِلَى صَعْدَةَ، وَخَلَفَ بَوْسَحَةَ أَبِي مُحَمَّدَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ الْعَلَوِي.

رجوع الهادي إلى الحق إلى صعدة^(٣)

وَوَصَلَ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ إِلَى صَعْدَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، فَأَقَامَ بِهَا بَاقِيَ شَوَالٍ، وَشَهَرَ ذِي الْقَعْدَةِ، وَشَهَرَ ذِي الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمِ، وَاثْنَيْنِ وَعَشْرِينَ يَوْمًا مِنْ صَفَرٍ.

(١) أبو الدغيش الشهابي: من بني شهاب بن العاقل، أحلاف الربيعية بن سعد بن خولان، وكان قد جمع المقاتلين وأعلن التمرد على سلطة الإمام الهادي، وَمَنَعَ الزَّكَاةَ، لَكِنَّهُ انْهَزَمَ أَخِيرًا وَطَلَبَ الْأَمَانَ. العلوي: السيرة، ل٢٦ / ب، ٢٧ / أ- ب، ٢٨ / أ؛ والهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٢٥.

(٢) لم أعرفهما. ويبدو من النص أنهما من أعيان خولان في تلك المنطقة.

(٣) هذا العنوان ليس في (ص ز ط ب).

[أحداث سنة ٢٨٥هـ / ٨٩٨م - ٨٩٩م]

فلما كان قبل ذلك بثمانية أيام خرج عُمَّالُه من نجران يريدون صعدة.

خَبَرُ الْعَمَالِ الَّذِينَ قَبِضُوا عَلَى الْحَرَّابِ وَصَارُوا بِهِمْ إِلَى الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ

فالتقوا بثلاثة أنفُسٍ، معهم ثلاثة أَجْمَالٍ^(١)، فَأَنكَرُوهُمْ، وَحَازَرُوا أَنْ يَكُونُوا قَوْمَ سُوءٍ، فَأَخَذُوهُمْ، فَوَرَدُوا بِهِمْ صَعْدَةَ، فَأَمَرَ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ بِحَبْسِهِمْ^(٢)، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَطْلَقَهُمْ مِنَ الْحَبْسِ، وَسَأَلَهُمْ بِغَيْرِ تَرْهيبٍ، وَلَا تَخْوِيفٍ، وَلَا ضَرْبٍ، فَقَالَ: "أَخْبِرُونِي بِخَبْرِكُمْ وَأَصْدِقُونِي"، وَرَفَّقَ بِهِمْ فِي الْكَلَامِ، فَقَالَ اثْنَانِ مِنْهُمْ: نَعَمْ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَكَ - نَصَدُّقُكَ، خَرَجْنَا مِنْ نَجْرَانَ نُرِيدُ التَّبَطُّلَ^(٣) فِي الْيَمَنِ، فَمَكَّنَّا فِيهِ وَقْتًا، ثُمَّ خَرَجْنَا حَتَّى صِرْنَا إِلَى مَوْضِعٍ قَرِيبٍ مِنْ رِيْدَةٍ لَقِينَا رَجُلًا، مَعَهُ هَذِهِ الثَّلَاثَةُ الْأَجْمَالُ^(٤)، فَقَتَلْنَاهُ وَأَخَذْنَا الْأَجْمَالَ^(٥)، فَقَالَ لَهُمُ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ: "كَيْفَ قَتَلْتُمُوهُ؟"، قَالُوا: وَضَعْنَا عِمَامَتَهُ فِي رَقَبَتِهِ، فَخَنَقْنَاهُ حَتَّى قَتَلْنَاهُ، ثُمَّ ذَبَحَهُ هَذَا ذَبْحًا، فَقَالَ لَهُمُ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ: "أَفَكُلُّكُمْ أَخَذَ بِحَلْقِهِ؟"، فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ: أَنَا - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَكَ - لَمْ أَذُنْ مِنْهُمْ، وَلَكِنَّهُمَا قَتَلَا الرَّجُلَ، وَأَخَذْتُ أَنَا الْجَمَالَ، فَقَالَ صَاحِبَاهُ: نَعَمْ صَدَقَ. فَأَمَرَ الْهَادِي بِرَدِّهِمْ إِلَى الْحَبْسِ.

(١) فِي (ط ب ذ): أَحْمَال. وَكَلَا الرُّوَايَتَيْنِ قَدْ تَكُونُ صَحِيحَةً، فَـ(الأجمال) أَحَدُ صِيَغِ جَمْعِ (جَمَل)، وَالْحَمْلُ: وَهُوَ الْبَعِيرُ عَلَيْهِ الْهُودُجُ، وَالْحِمْلُ: وَهُوَ مَا يُحْمَلُ عَلَى الظَّهْرِ، وَكِلَاهُمَا يَجْمَعُ أَيْضًا عَلَى (أَحْمَال). يَنْظُرُ مُصْطَفَى: الْمَعْجَمُ الْوَسِيطُ، ج ١، ص ١٣٦، ١٩٩.

(٢) فِي الْأَصْلِ: بِحَسْبِهِمْ. وَهُوَ زَلَّةٌ قَلَمٌ.

(٣) التَّبَطُّلُ: فِعْلُ الْبَطَالَةِ، وَهُوَ اتِّبَاعُ اللَّهْوِ وَالْجَهَالَةِ. ابْنُ مَنْظُورٍ: لِسَانُ الْعَرَبِ، ج ١١، ص ٥٦. وَهَذَا اسْتُخْدِمَتْ فِي الْحِرَابَةِ وَإِخَافَةِ السَّبِيلِ.

(٤) فِي (ز ب ذ): الْأَحْمَالُ.

(٥) فِي (ز ب ذ): الْأَحْمَالُ.

قال علي بن محمد: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلِيمَانَ الْكُوفِيُّ قَالَ: أَمَرَنِي / ٢٥-ب / الهادي إلى الحق أُقَيِّدُهُمْ وَأَوْثِقُهُمْ، ففَعَلْتُ، فلما كان في الليل وَجَّهَ إِلَى ثِقَاتِ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ لَهُمْ: "مَا تَقُولُونَ فِي هَؤُلَاءِ؟"، فَتَكَلَّمْتُ أَنَا، فَقُلْتُ: جُعِلَتْ فِدَاكَ، نَحْكُمُ فِيهِمْ بَكْتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، فَقَدْ أَقَرُّوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خِلَافٍ﴾^(١)، فَقَالَ يَحْيَى بْنُ الْحُسَيْنِ: "ذَلِكَ حَكَمُ اللَّهِ فِيهِمْ، وَلَكِنِّي أُرِيدُ أَسْأَلُهُمْ؛ فَإِنْ كَانُوا مِمَّنْ شَمِلَتْهُ دَعْوَتُنَا، وَكَانُوا مَعَنَا فِي دَارِنَا، وَرَأَوْا الْحَقَّ مَعَنَا، وَإِلَّا نَظَرْتُ فِي أَمْرِهِمْ".

فَمَضَيْتُ إِلَيْهِمْ إِلَى الْحَبْسِ، فَقُلْتُ لَهُمْ: مَتَى خَرَجْتُمْ مِنْ بَلَدِكُمْ؟ قَالُوا: خَرَجْنَا مَعَ صَرْمِ الذَّرَّةِ، وَكَانَ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ بَنْجَرَانٍ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ بَعَثَ إِلَيْهِمْ وَعِنْدَهُ خَلْقٌ مِنَ النَّاسِ، فَاسْتَنْطَقَهُمْ، فَأَقَرَّ الْاِثْنَانِ أَنَّهُمَا قَتَلَا الرَّجُلَ، وَأَقَرَّ الْثَالِثُ^(٢) أَنَّهُ أَخَذَ الْجِمَالَ، فَأَمَرَ بِهِمْ فَرَدُّوا إِلَى الْحَبْسِ، وَقَالَ: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَخُكِّمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٣)، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ بَعَثَ إِلَى جَمَاعَةٍ مِنَ النَّاسِ، ثُمَّ أَخْرَجَهُمْ فَسَأَلَهُمْ عَمَّا كَانَ مِنْهُمْ، فَأَقَرَّ الْاِثْنَانِ أَنَّهُمَا قَتَلَا الرَّجُلَ، وَأَقَرَّ الْثَالِثُ أَنَّهُ أَخَذَ الْجِمَالَ، فَرَدَّهُمْ إِلَى الْحَبْسِ.

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ صَلَّى بِالنَّاسِ، ثُمَّ رَجَعَ فَأَمَرَ بِالَّذِي لَمْ يُقْتَلْ، فَقَطَّعَتْ يَدُهُ الْيُمْنَى، وَرِجْلُهُ الْيُسْرَى، وَأَمَرَ بِالْاِثْنَيْنِ الْقَاتِلَيْنِ، فَضَرَبَتْ أَعْنَاقُهُمَا وَصُلِبَا، ثُمَّ قَالَ: "هَذَا حُكْمُ اللَّهِ، وَاللَّهُ مَا هُوَ إِلَّا الْحُكْمُ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ الْخُرُوجُ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَاللَّهُ لَوْ قَامَ حَدٌّ عَلَى بَنِي الْقَاسِمِ لَأَخَذْتُهُ مِنْهُمْ".

(١) المائدة: ٣٣.

(٢) في (الأصل ص ذ): واحد. وما أُثْبِتَ فَمِنَ النِّسْخِ الْآخَرَى، وَلَعَلَّهُ الْأَوَّلَى.

(٣) المائدة: ٤٤.

[مسير الهادي إلى الحق إلى برط]

ثم أَمَرَ النَّاسَ بِالْأُهْبَةِ إِلَى بَلَدٍ يُقَالُ لَهَا بَرَطٌ^(١)، وهي أيضاً من بَلَدٍ شَاكِرٍ؛ وذلك أن أهله كان بعضهم قد وَصَلَ به إلى صعدة وبأيعوه، وسأَلُوهُ أن يُوجِّهَ معهم عاملاً^(٢)، فوجَّهَ معهم رجلاً من أصحابه حتى وصل إلى البلد، فَنَابَذَتْهُ فِرْقَةٌ مِنْهُمْ، وَمَنَعُوهُ أَنْ يُصَلِّيَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى الْهَادِي، وَذَلِكَ لاثْنَيْنِ وَعَشْرِينَ يَوْمًا مِنْ صَفَرٍ، فَأَمَرَ حَيْثُذِ النَّاسَ بِالْأُهْبَةِ لِلْخُرُوجِ، وَأَمَرَ^(٣) بِالْمُضَرَبِ^(٤) فَضُرِبَ، ثُمَّ أَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَجْتَمِعُوا.

ثم سار من يومه إلى بَرَطٍ، وهو جَبَلٌ عَظِيمٌ شَاهِقٌ وَعَرٌّ، لَمْ يَدْخُلْهُ سُلْطَانٌ قَطُّ، وَكَانَ أَهْلُهُ يَظُنُّونَ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَلَا يَنَالُهُ مِنْ صُعُوبَتِهِ؛ إِذْ هُوَ مُرْتَفِعٌ، لَيْسَ لَهُ إِلَّا ثَلَاثُ طُرُقٍ^(٥) يُصْعَدُ إِلَيْهِ مِنْهَا، وَكَانَ أَهْلُهُ وَاثِقِينَ / ٢٦-أ/ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَأَهْلُهُ خَلَقُوا عَظِيمًا، وَهُمْ قَوْمٌ مِنْ هَمْدَانَ مِنْ شَاكِرٍ، يُقَالُ لَهُمْ دُهْمَةٌ^(٦).

(١) برط: جبل واسع، وأعلاه قاع زراعي خصب، وساكنه دهمه بن شاعر بن بكيل، ويطلق اليوم على ثلاث مديريات، هي برط العنان، وبرط المراثي، ورجوزة، من أعمال غرب محافظة الجوف. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٣١١-٣١٢؛ والمقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ١، ص ١٦٦-١٦٧.

(٢) في الأصل ومعظم النسخ: غلاماً. وما أُثْبِتَ فَمِنْ (ط). وظنَّ بين سطور (الأصل ص ذ) بأنها: عاملاً.

(٣) في الأصل: فأمر. وما أُثْبِتَ فَمِنْ النسخ الأخرى.

(٤) الْمُضْرَبُ: الفُسطاطُ العظيم. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ١٠٧-١٠٨.

(٥) في (الأصل ص ذ): ثلاثة طرق. والأصح ما أُثْبِتَ.

(٦) دُهْمَةٌ بن شاعر بن ربيعة، من دومان بن بكيل، الهمدانية، ومساكنها في مديريات برط، الجوف، ومديرية الحشوة، صعدة، وتتصل بأختها وائلة بن شاعر، من جهة اليتمة، ومن أشهر فروعها اليوم ذو غيلان، وهم ذو محمد وذو حسين، وآل سليمان، وبنونوف، والمهاشمة في برط والجوف. الهمداني: الإكليل، ج ١٠، ١٥٤، ١٤٥-١٥٧؛ وصفة جزيرة العرب، ص ١٦٠، ٢٢٨، ٢٨١-٢٨٢، وهوامشها؛ والمقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ١، ص ٦٣٥.

فصار^(١) إليهم الهادي يوم الأحد، فنزل بموضع يقال له الحجر^(٢)، وفيه قوم من عشيرتهم، فوجه معهم قوماً بين يديه إلى برط إلى أصحابهم، يدعونهم، ويُعرفونهم. ثم رحل الهادي من الحجر، فنزل بموضع يقال له عضلة^(٣) أسفل الجبل، والجبل مُشرفٌ شاهق عالٍ مُطلٌ على عضلة.

فلما علم القوم بوصول الهادي إلى الحق إلى الموضع خرج منهم جماعة كثيرة يريدون الطريق التي يصعد إليهم منها الهادي إلى الحق؛ ليمنعوه من الصعود، فوجه الهادي إلى الحق جماعة من أصحابه، منهم يوسف بن محمد الحسني، وعلي بن الحسين^(٤)، وأبو فاطمة الفطيمي^(٥)، ومحمد بن أبي الزبير^(٦)، وعبد الملك بن عبد الملك اليرسميون، فطلعوا الجبل، وملكوا الطريق على عدوهم.

وصعد الهادي إلى الحق في عسكره حتى صاروا في راس الجبل، ثم أمر العسكر بالوقوف في موضعهم، ومضى الهادي إلى الحق، ومعه من عسكره ثمانية أفراس وستة وعشرون رجلاً، فقتل من القوم، ثم دعاهم وعظهم، ثم قال لهم: "يا قوم بيننا وبينكم كتاب الله، أطيعونا ما أطينا الله، فإن عصينا الله فلا طاعة لنا

(١) في (ص ز ط ب): فسار. ولعل ما أثبت هو الأصح، حيث السير يعني بداية وأثناء السفر، بينما الصيرورة تعني الوصول من السفر.

(٢) الحجر: ذكره الهمداني ضمن بلد دهمه بن شاعر (برط)، وهناك قرية الحجر تتبع اليوم إدارياً عزلة أملح آل سالم مديرية كتاف والبقع، تقع بجوار عزلة عضلة التي ذكرها. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٨٢؛ والجهاز المركزي للإحصاء: التعداد العام ٢٠٠٤م، محافظة صعدة، ص ٢٣٠.

(٣) عضلة: وإد من أودية دهمه، بجوار جبل برط، ويشكل اليوم عزلة تتبع مديرية الحشوة، محافظة صعدة. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٨٢؛ والجهاز المركزي للإحصاء، وزارة التخطيط والتعاون الدولي، الجمهورية اليمنية: خريطة مديريات وعزل محافظة صعدة، نسخة إلكترونية.

(٤) لم أعرفه. ولكن يبدو من النص أنه من أفضل مقاتلي الإمام الهادي.

(٥) لم أعرفه. ولكن يبدو من النص أنه من أفضل مقاتلي الإمام الهادي، من الفطيميين الخولانيين.

(٦) في (الأصل ص ذ س): بن الزبير. والأصح كما أثبت من النسخ الأخرى، وكما ورد في مواضع أخرى في هذه السيرة. وقد تقدمت ترجمته.

عليكم"، ثم ناشدهم الله^(١)، وقال: "يا قوم فإن لم تطيعونا فخلُّوا بيننا وبين الطريق إلى الماء، فنشرب ونَتَطَهَّر"، وكان العطش قد أضرب به وبأصحابه، فأبوا أن يُجيبوه، وحالوا بينه وبين الطريق والماء، ورَمَوْه وأصحابه بالنبل، فأصابه سهم^(٢)، وجرح بعض أصحابه.

فلما رأى القوم لا يطيعون ولا يرجعون، ولا يريدون إلا قتاله وقتل^(٣) أصحابه، حمل عليهم، وتبعه أصحابه، فنصره الله عليهم، وقتل منهم ثلاثة، وجرح منهم جماعة، وأخذ منهم جماعة أسارى؛ وذلك أنه لما حمل عليهم اقتطع جماعة منهم دون أصحابهم، وأراد رجل من أصحابه أن يصيب بعضهم، فمنعه من ذلك، وزجره، وانهمز القوم مُدْبِرِينَ، ولحقهم عسكر الهادي إلى الحق، فسلبوهم، وهموا بقتلهم، فصاح الهادي إلى الحق: "مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فهو به".

فسأله عن [سبب] ذلك فقال: "ليس للقوم فئة يرجعون إليها"، يعني بالفئة^(٤) أميرًا يأتمرون بأمره^(٥)، وينتهون عن منهيه، "وهم غوغاء اجتمعوا، ولو كانت لهم فئة لقتلت منهم حتى لا يُعدَّ قتلهم"، يعني من الكثرة.

فلما رأى القوم ما نزل بهم طلبوا الأمان والبيعة للهادي إلى الحق، فقبل ذلك منهم، وآمنهم، فأثَّوه وبايعوه على الحق، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وسأله / ٢٦-ب / إطلاق الأسارى، وردَّ السلب، فأطلق أساراهم، وجمع عسكره فقال لهم: "إن هذا السلب الذي أخذتموه لكم حلال، وهو غنيمة، فهبوه

(١) في (ص ز ب): ناشدهم بالله.

(٢) في (ص ط ب): أسهم.

(٣) في (ز ط ب): وقتال.

(٤) في (الأصل ص ذ): يعني الفئة. ولعل ما أُثبت من بقية النسخ الأخرى أوفق.

(٥) في هامش الأصل: فائدة في أن الفئة الأمير.

لي حتى أُرَدَّه على القوم لتألفهم به، فهو أَصْلَحُ للإسلام، وأرجو أن يَرْزُقَنِي الله من جهةٍ أخرى، فَأَعَوِّضَكُمْ ما هو أَكْثَرُ من هذا"، فدفعوا إليه السِّلَبَ، فردَّه على أصحابه، وأطلق الأَسَارَى.

وأقام ببرط ثلاثة أيام لم يُضْطَرَّ أحدٌ في زَرْع ولا غيره، ولم يَنْزِلْ أحدٌ من عسكره في منزلٍ من منازلهم، ولا عِلْفَ من أعلافهم شيءٌ، ولقد أَضَرَّ مَقَامُهُ بأصحابه، ونالهم من ذلك التَّعَبُ، حتى كانت خَيْلُهُمْ تَأْكُلُ العَوْسَجَ^(١)؛ وذلك من معرفة أصحابه بعدله، وصِحَّةِ أمره.

ولقد خَبَّرَنِي بعضُ العسكر، قال: خَلَيْتُ جَمَلًا لي، فدخل بعضُ الزرع، فلما وطِيَ الجَمَلُ الزرعَ لحَقَّتْهُ، فأخَذْتُهُ، فقال له صاحبُ الزرع: أنتم تُخْلُون جِمَالَكُمْ على زروع الناس، لأمضين إلى الهادي إلى الحق، فأَعْلِمُهُ، قال: فقلت له: يا عبد الله ليس الجَمَلُ لي، خُذْهُ، قال: فَتَبَرَّأْتُ من الجَمَلِ، وتركتُهُ في يده، ومَضَيْتُ؛ خَوْفًا مني للهادي^(٢) إلى الحق، قال: فلما نَظَرَ الرجلُ إليَّ، قد خَلَيْتُ الجَمَلَ - صاح بي: يا هذا خُذْ جَمَلَكَ، قال: فَرَجَعْتُ، فأخَذْتُهُ.

وَسَمِعْتُ الهاديَ إلى الحق يقول: "أَحْسَنُ ما رَأَيْتُ من عسكرنا - والحمد لله - أن جماعةً نَزَلُوا بَعِيدًا مِنَّا تَحْتَ شَجَرَةٍ دَوْمٍ"، وهو النَّبَقُ^(٣)، قال: "فما أخذوا منه شيئًا؛ وذلك أَنِي مَضَيْتُ بِذَلِكَ الموضعِ فَرَأَيْتُ الأغصانَ على حالها".

ثم خرج الهادي إلى الحق من بَرَط يوم الخميس، وقد سَمِعَ أَهْلُهُ وَأَطَاعُوا^(٤)،

(١) العَوْسَج: جنس نبات شائك من الفصيلة الباذنجانية، له ثَمَرٌ مُدَوَّرٌ كأنه خَرَزُ العقيق، واحدته عوسجة. مصطفى: المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٦٠٠.

(٢) في (ص ز ط ب): خوفًا من الهادي.

(٣) ويسمى اليوم أيضا: السدر، والعرج، والعلب.

(٤) في (الأصل ذ): وأطاعوه. وما أُثْبِتَ من بقية النسخ هو الأقرب؛ لموافقة ما قبله، ولعدم وجود

ولله الحمد، وخَلَفَ عندهم رجلاً، يقال له عبد العزيز بن مروان^(١) من أهل نجران عاملاً عليهم.

رجوع الهادي إلى الحق من برط إلى صعدة

فوصل الهادي إلى الحق إلى صعدة يوم الأحد لآخر يوم من صفر سنة خمس وثمانين وميتين، فأقام الهادي إلى الحق في صعدة شهر ربيع الأول واثنى عشر يوماً من شهر ربيع الآخر.

[إخمادُ تمرّد أبي الدُّغَيْشِ الشَّهَابِي فِي وَسْطِهَا]

ثم وَرَدَتْ عليه كُتُبٌ من عامله أبي جعفر محمد بن عبيد الله العلوي من وسحة يذكر له: أن أبا الدُّغَيْشِ الشَّهَابِي قد جَمَعَ جَمْعًا كَثِيرًا من الرجال، ومنَعَ الصدقات، وأني قد حارَبْتُهُ على ذلك، وسأل الهادي إلى الحق المَدَدَ على أبي دُغَيْشِ^(٢)، فلما وَصَلَتِ الكُتُبُ إلى الهادي إلى الحق، أَمَرَ عند ذلك الناسَ بالخروج، وخرَجَ الهادي إلى الحق، فصار بقرية يُقال لها البُقْعَة^(٣)، قريباً من صعدة، فعسَّكَرَ بها.

ثم وَجَّهَ إلى أبي دُغَيْشِ رجالاً يدْعُوْنَهُ إلى الله تعالى، ويسألونه الدُّخُولَ في الحق، فأبى وامتنع من ذلك، / ٢٧-أ / وتمادى في الضلال^(٤) والفسق.

مرجع للضمير بشكل مباشر.

(١) لم أعرف عنه أكثر مما ورد عنه في السيرة. ولعله غير أبي عمر عبدالعزيز بن مروان، الذي سيأتي وهو من أهل البحرين. ينظر العلوي: السيرة، ل ٨ / ب.

(٢) في (ص ز): على دغيش.

(٣) البقعة: تقع غرب مدينة صعدة المعاصرة، كان سَيْلٌ غَرْبِي صعدة يمر منها، ولا زالت تَحْمِلُ ذات الاسم، وتتبع إدارياً وادي علاف، مديرية سحار. ينظر الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٦٣؛ وحجر، عبد الرقيب مطهر: مدونة صعدة الكبرى، مخطوطة عند المؤلف.

(٤) في (ص ز ط ب): الضلالة.

تَوْجِيْهُ الهَادِي لِأَخِيهِ إِلَى وَسْجَةِ

فَوَجَّهَ الهَادِي إِلَى الْحَقِّ فِي حَرْبِهِ أَخَاهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ فِي عَسْكَرٍ كَثِيرٍ، وَكَانَ خُرُوجُهُ يَوْمَ الْخَمِيسِ لِسِتَّةَ عَشَرَ يَوْمًا مِنْ شَهْرِ ربيعِ الْآخِرِ، حَتَّى صَارَ إِلَى سَاقِينَ^(١)، فَلَقِيَتْهُ جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي عَمِّ أَبِي الدُّغَيْشِ، وَهُمْ شَهَائِيُونَ، فَسَأَلُوهُ الْوُقُوفَ عَنِ الْحَرْبِ حَتَّى يَمْضُوا إِلَى أَبِي الدُّغَيْشِ^(٢)، وَيَسْأَلُوهُ^(٣) الدُّخُولَ فِي الْحَقِّ، ففَعَلَ ذَلِكَ.

وَمَضَى حَتَّى صَارَ إِلَى وَسْجَةٍ، وَلَقِيَهِ أَبِي مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِي عَسْكَرٍ كَثِيرٍ مِمَّنْ أَطَاعَهُ مِنْ خَوْلَانِ الْقَدِّ^(٤)، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ هُوَ عَسْكَرٌ مَعْقُودٌ غَيْرَ عَشْرَةِ خَدَمٍ عَلَى بَابِهِ.

فَلَمَّا وَصَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحُسَيْنِ إِلَى وَسْجَةٍ أَرْسَلَ إِلَى أَبِي دَغِيْشٍ، يَسْأَلُهُ الرِّجُوعَ إِلَى الْحَقِّ، فَكَّرَ ذَلِكَ، فَكَّرَرَ عَلَيْهِ الرُّسُلَ مَرَّةً ثَانِيَةً، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَبُو الدُّغَيْشِ: وَجَّهْ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِ عَسْكَرِكَ رَجُلًا أَشَاوِرَهُمْ، وَتَجْعَلَ لِي الْأَمَانَ، فَأَدْخَلَ مَعَهُمْ، ففَعَلَ، وَوَجَّهَ إِلَيْهِ نَفَرًا، فَالْتَقَوْا بِهِ، وَوَعَّظُوهُ، وَأَعْطَوْهُ الْأَمَانَ عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ، وَاسْتَحْلَفُوهُ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ.

وَوَصَلَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي مُحَمَّدٍ فَقَالُوا: تَأْذِنَ لَنَا أَنْ نَخْدَعَ أَبَا الدُّغَيْشِ حَتَّى نَأْخُذَهُ لَكَ، فَمَنْعَهُمْ مِنْ ذَلِكَ، وَأَرَادَ أَنْ يُقِيمَ عَلَيْهِ حُجَّةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ. فَلَمَّا كَلَّمَهُ الْقَوْمُ، وَأَخَذُوا عَلَيْهِ الْعُهُودَ وَالْمَوَاقِيقَ، قَالَ لَهُمْ: أَنَا أَصِلُ بِأَبِي مُحَمَّدٍ

(١) سَاقِينَ: تَقَعُ غَرْبَ صَعْدَةٍ عَلَى بُعْدِ ٣٠ كَمْ، وَتُسَكَّلُ الْيَوْمَ إِحْدَى مُدِيرِيَّاتِهَا، وَهِيَ فِي وَسْطِ وَغُورِ خَوْلَانَ بْنِ عَمْرٍو، وَكَانَتْ لِبْنِي سَعْدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ خَوْلَانَ، وَبَنِي شَهَابٍ. الْهَمْدَانِي: صِفَةُ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، ص ١٢٩، ٢٢٥؛ وَالْمَقْحَفِي: مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ وَالْقَبَائِلِ الْيَمْنِيَّةِ، مَج ٢، ص ٩٣٧.

(٢) فِي (ص ز ط ب س): أَبِي دَغِيْشٍ.

(٣) كَذَا فِي (ز ب ط). عَطَفَا عَلَى (يَمْضُوا). وَفِي الْأَصْلِ وَبَقِيَةِ النُّسخِ: وَيَسْأَلُونَهُ. وَلَعَلَّ مَا أُثْبِتَ أَوَّلَى.

(٤) الْقَدُّ مِنْ خَوْلَانَ هُوَ سَنَامُهَا وَجِبَاهُهَا، وَيُطْلَقُ الْهَمْدَانِيُّ مَقَابِلًا لِلْحَقْلِ وَالنَّجْدِ مِنْ أَرْضِ خَوْلَانَ، وَعَلَى السَّرَّةِ مِنْهَا بِالتَّحْدِيدِ. الْهَمْدَانِيُّ: الْإِكْلِيلُ، ج ١، ص ٢٠٩؛ وَصِفَةُ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، ص ١٢٩، ٢٥٠.

غداً، فأخذوا عليه في ذلك عهداً، وانصرفوا منه، وعرفوا أبا محمد بذلك، فانتظره أبو محمد لميعاده، فلم يأت، فأرسل إليه رسولاً، فأجاب الرسول بالمواذنة بالحرب.

فلما رأى ذلك أبو محمد وجهه إلى القرية التي كان يسكنها أبو الدغيش، وهي تُعرف بعفارة^(١)، فدعاهم إلى الله، والدُّخُولِ في الحق، وأمر رسوله أن يُعلم الناس بالدعوة، ويُعرفهم أنه سائر إلى بلدهم لقتال أبي دغيش، وأنه يخاف عليهم معرة الجيش، فليدخلوا في الحق، ففعل ذلك ثلاث مرات، فأبى القوم إلا المواذنة بالحرب. فلما أقام عليهم الحجة أمر العسكر بالاستعداد^(٢) للحرب.

قال علي بن محمد: حدّثني أبي، قال: فلما كان يوم الثلاثاء لسبعة أيام باقية من الشهر سار أبو محمد إلى عفارة، قرية أبي دغيش، وهو معسكر فيها، وسرت أنا إليها من طريق ثانية، وكان أبو دغيش قد كمن كميناً، فخرج الكمين علي وعلى أصحابي، وكان معي أهل وسحة، ولم يكن معي فارسٌ غيري، فاهتزم أصحابي، وقُتل منهم ثلاثة، وثبت للقوم في عشرين راجلاً، فلم يزل القتال بيننا وبين القوم، ولحق أصحابي بأبي محمد عبد الله بن الحسين، فلم يرجع إلينا منهم أحدٌ.

فلما اشتدّ / ٢٧-ب / بي وبأصحابي البلاء جعلت أرسلهم واحداً واحداً يستمدون من عند أبي محمد، فلم يأتنا أحد، فتخلفت في أحد عشر رجلاً، ثم حملوا علينا وكانوا ميتين، فأصابوا فرسي بسهم، فسقط، وزحزحونا عنه، فعقروه بسيوفهم، وقتلوا من أصحابي ثلاثة آخرين، وتواقفنا نحن وهم، والقتال بيننا، فرمى رجل من

(١) عفارة: ذكر الهمداني أنها لبني شهاب بن العاقل، ولعلها اليوم القرية التي تُسمّى شهاب، سُميت باسم أهلها بني شهاب، واليوم تتبع إدارياً عزلة شرف عريمة، مديرية ساقين. ينظر الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٢٥؛ والجهاز المركزي للإحصاء: التعداد العام ٢٠٠٤م، محافظة صعدة، ص ١٥٦-١٥٧.

(٢) في (الأصل ذ): للاستعداد. ولعل ما أُثبت من بقية النسخ أولى.

أصحابي رجلاً منهم، فقتله، وألقى الله في قلوبهم لذلك الرُّعبَ، فانفضوا^(١) عنا.

ووقع الحربُ بين أبي دغيش وبين عبد الله بن الحسين، فأعطاه الله على أبي دغيش الظفرَ، فانهزم، ودخل عسكرُ أبي محمد عفارة، وأحدق بنا الذين كانوا مُقابلينَ لنا حتى صرنا في أوساطهم، ليس لنا منهم مخرج، ونحن نقاتلهم من أشدِّ ما يكون؛ إذ أبصرَ رجلٌ من أصحابنا إلى النارِ في عفارة والدُّخانِ، وأصحابُ أبي محمد يَحرقونها، فقال: دُخِلَتْ والله عفارة وحُرِقتْ، فالتفتَ العسكرُ الذي كان مُقابلاً^(٢) لنا، فأبصرَ النارَ والدُّخانَ، فانقلبوا على أديبارهم مُنهزمين.

وكان قتالنا وقتالهم، وقاتل أبي محمد وأبي دغيش، من صُحوة النهار إلى زوال الشمس، ولقد كنتُ أقاتلهم راجلاً بعدما أصيب فرسي، وما معي شيء إلا ثوبٌ أخذته من بعض أصحابي، فجعلته على يدي، وكنت أتقي به حتى نصرَ الله عليهم، ومنح أكتافهم، وقتل أبو محمد منهم جماعةً، وزُحِرُوا من قريتهم، وأغار بعضُ العسكرِ بغير علمِ أبي محمد، فنهَبُوا من القرية شيئاً ضِعِيفاً، فوجَّهَ يوسف بن محمد الحسني، فَمَنَعَ الناسَ من النَّهبِ.

فلما رأى أهلُ القرية ذلك استأمنوا كُلُّهم، فأعطاهم الأمانَ، فجاءوا فذكروا أن العسكرَ نَهَبَ لهم مَتاعاً، فسأل عن ذلك، فلم يجدْ له تَبَياناً.

فلما قَبِضَتْ صِدَقَاتُهم قَسَمَ رُبْعُها في مساكينهم، ثم أمرَ لهم بعد الرُّبْعِ بِنِصْفِ سُدُسٍ آخَرَ؛ عِوَضاً لهم مما ادَّعَوْا أنه أخذَ لهم، واستحلَّهم من مَعَرَّةِ الجيشِ.

قال علي بن محمد: حدَّثني أبي، قال: لما هَزَمَ الله العَسْكَرَ الذي كان يقاتلنا^(٣)

(١) في (ص ط ب): فانتفوا. وفي (ز): فانقضوا.

(٢) في (الأصل ذ): مقارباً. وما أُثْبِتَ من بقية النسخ أولى وأنسب لما قبله.

(٣) في (ص ز ط ب): كان مقابلاً لنا.

أقبلتُ أسيرُ إلى عبد الله بن الحسين، وليس معي إلا ثمانية من أصحابي، فلما أبصرنا^(١) أمرَ بفرسٍ كان له يلقيني، فلما لُقيتُ بالفرس لم أركبْه، فلما رأى ذلك مني لقيني، فقال: يا ابن عم ما شأنك؟ فأعلمته بما كان منا، فاعتذر لي، وحلف في ذلك أيماً: ما علم بخبرنا ولا بقصتنا، ولا جاءه لنا رسول، فقبلتُ ذلك منه، وصدَّقته؛ لما بان لي من شرارة مَنْ كان معي ممن أرسلته؛ لِمَا عاينوا مما كنا^(٢) فيه، وحاذروا الرَّجعة / ٢٨-أ / إلينا، فحملهم ذلك على إغفال الأمر منه، فعدتُ، فركبتُ الفرسَ.

ورجع أبو محمد إلى وسحة، ورجعت معه، فأقمنا بها، وانحاز أبو دغيش عن قريته، ثم وجَّه إلى يوسف بن محمد يسأله أن يلقاه ويأخذ^(٣) له الأمان، فأخذ له يوسف بن محمد الأمان، واستحلفه على الوفاء والدخول في الحق أيماً مُغلَّظة، ثم أتى به إلى أبي محمد عبد الله بن الحسين، فأجاز أمان يوسف بن محمد، واستحلفه أبو محمد أيماً مُغلَّظة على السمع والطاعة والدخول في الحق، وخلق سبيله، فمضى إلى أهله.

وأقام أبو محمد في وسحة إلى الثلاثاء ليومين باقين من شهر ربيع الآخر، وأصلح أمور الناس.

رجوع عبد الله بن الحسين من وسحة [إلى صعدة]

وورد عليه كتابُ الهادي إلى الحق - عليه السلام - بالانصراف، فانصرف يوم الثلاثاء إلى صعدة، فوصل إليها يوم الخميس لأول يوم من جمادى الأولى، وأمرني بالتخلف على وسحة.

(١) في (ص ز ط ب): بصر بنا.

(٢) في (الأصل ذ): كانوا. وما أثبت من بقية النسخ هو الأولى.

(٣) في (الأصل ذ): يلقاه يأخذ. بدون واو. ولعل ما أثبت من بقية النسخ أولى.

قال عليُّ بن محمد: حَدَّثَنِي أَبِي، قال: جمع لنا أبو دُغَيْش جماعةً كثيرة، وأتى في الليل حتى قُرِبَ من وسحة، وأراد أن يُصَبِّحَنَا، وبات بالقُرْبِ مِنَّا، ولا عِلْمَ لَنَا بِهِ، وباتت جماعةٌ من أصحابِهِ في مَسْجِدٍ كان خَارِجًا مِنَ الْقَرْيَةِ، وكانت تلك الليلة كثيرة الرياح والغَيْثِ، فانهدم بعضُ المَسْجِدِ على بعضِ أصحابِ أَبِي دُغَيْشٍ، فقتَلَ اللهُ مِنْهُمْ تَقَرًّا^(١)، وفلَّ اللهُ جَمْعَهُمْ، وانقلبوا من ساعتهم خائِبِينَ، ولا عِلْمَ لَنَا حَتَّى أَصْبَحْنَا، فبَلَّغْنَا الْخَبْرَ عِنْدَ الصُّبْحِ، فَخَرَجْنَا إِلَى الْمَسْجِدِ، فوجدناه قد انهدم على القوم، فأمرْنَا بِهِمْ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْهُ، فَدُفِنُوا.

قال: وأقام^(٢) الهادي بصعدة باقِي شهر ربيع الآخر وعَشْرًا من جُمَادَى الْأُولَى.

خبرُ عَمَّالِ نَجْرانٍ وخبرُ حُنَيْشٍ^(٣) الوادعي

ثم خَرَجَ عُمَّالٌ لَهُ مِنْ نَجْرانٍ كان معهم مَالٌ شَبَّاهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ، حَتَّى إِذَا صَارُوا إِلَى مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ الرِّكَبُ - فِي طَرِيقِ نَجْرانٍ^(٤) - تَبِعَهُمْ رَجُلٌ، يُقَالُ لَهُ حُنَيْشٌ، مِنْ وَادِعَةٍ، وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ عَشِيرَتِهِ، وَحُنَيْشٌ الَّذِي كَانَ جَمْعَهُمْ، فَأَخَذُوا الْمَالَ، وَقَتَلُوا رَجُلًا كَانَ مَعَ الْعُمَّالِ.

(١) فِي (ص ز ط): فِيهِ نَفَرًا.

(٢) فِي (الْأَصْلُ ذ): فَأَقَامَ. وَمَا أُثْبِتَ مِنْ بَقِيَةِ النِّسْخِ أُولَى؛ إِذِ الْوَاقِعُ تَنَاسَبَ الْاسْتِنْفَافِ.

(٣) فِي (ص ز ط ب): حَبِيشٌ. فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَالْمَوَاضِعِ اللاحقة. وَلَمْ أَجِدْ لَهُ تَرْجُمَةً، غَيْرَ أَنَّهُ يُفْهَمُ مِنْ خَبَرِهِ هُنَا أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَغْنِيَاءِ نَجْرانٍ، وَزَعَمَاءِ قَبِيلَةٍ وَادِعَةٍ فِيهَا، وَأَرَادَ مَعَارَضَةَ سُلْطَةِ الْإِمَامِ الْهَادِي وَسَيْطَرَتِهِ الْمَتَمَثِّلَةِ فِي اسْتِيفَاءِ الزُّكُوتِ إِلَيْهِ، وَهُوَ أَمْرٌ يَشِيرُ إِلَى خِلَافَتِهِ لَمَّا عَلَيْهِ جُمْهُورُ قَبِيلَتِهِ وَادِعَةٍ.

(٤) الرِّكَبُ: مَوْضِعٌ فِي الطَّرِيقِ الَّتِي تَرْبُطُ صَعْدَةَ بِنَجْرانٍ، وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَى نَجْرانٍ، يَمُرُّ مِنْ خِلَالِهِ السَّيْلِ الَّذِي يَنْتَهِي إِلَى وَادِي الْعَرَضِ (وَادِي نَجْرانٍ)، وَقَدَّرَ ابْنُ الْمَجَاورِ بُعْدَهُ عَنْ صَعْدَةَ بِـ ٩ فَرَسَاخٍ، وَذَكَرَ أَنَّهُ "وَادٍ عَظِيمٌ يَجْرِي عَلَى صَفَا". يَنْظُرُ الْهَمْدَانِيُّ: صَفَةَ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، ص ١٦٤؛ وَابْنُ يَعْقُوبَ: سِيرَةَ الْإِمَامِ الْمَنْصُورِ بِاللَّهِ الْقَاسِمِ بْنِ عَلِيٍّ الْعِيَانِيِّ، ص ١٠٣، ١٩٧؛ وَابْنُ الْمَجَاورِ: الْمُسْتَبْصَرُ، ص ٢٣٨.

فلما جاء الخبرُ إلى الهادي إلى الحق أَمَرَ النَّاسَ بِالْأُهْبَةِ للخروج إلى نجران، وكان لحنيش بنجران نخلٌ كثيرٌ وأعنابٌ ومنازل.

خروج الهادي إلى الحق - عليه السلام - إلى نجران المرة الثانية

فلما كان يوم الاثنين الثاني عشر / ٢٨ - ب / من جمادى الأولى سار الهادي إلى الحق إلى نجران بعساكر كثيرة، فوصل إليها يوم الأربعاء، فنزل بقرية من قرى نجران، يقال لها شوكان^(١)، وهي القرية التي كان يسكنها حنيش، وله فيها المال، فلما وصل الهادي إلى الحق إلى شوكان وجه إلى حنيش رجالاً من عشيرته، يدعونه إلى الله، ويسألونه ردَّ المال، وأن يرجع إلى الحق، وتوقف الهادي إلى الحق عن ماله، ولم يحدث فيه حدثاً لإيجاب الحجة عليه، وعزز بالرسل إليه في ردَّ المال وإعطائه الحق من نفسه، فامتنع حنيش من ذلك وكرهه.

فأمر الهادي إلى الحق - عليه السلام - بقطع نخله وأعنابه، فقطع له أربع مئة نخلة، تنقص نخلات وكرمين، وهدم له منزلاً، وابتهل عليه بالدعاء أن يريح الله أهل الإسلام منه؛ وذلك أنه قد كان جمع حنيش جمعاً من لصوص البادية، وعزم^(٢) أن يفسد في عمل الهادي إلى الحق، ويقطع الطريق، فخبّرني بعض أصحابنا أن حنيشاً وعد جماعة على أن يخرج بهم، فيقطعون^(٣) على الناس، ويُفسدون^(٤) على الهادي إلى الحق.

(١) شوكان: من أسرار نجران التي كانت تسكنها وادعة. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٨٣.

ويوجد اليوم قبيلة يقال لهم آل شوكان من آل حشيش وادعة، مساكنهم قريبة من الموفجة.

(٢) في (الأصل ذ): وعرض. وما أثبت من بقية النسخ أوفق للسياق.

(٣) في (ز ط ب): فيقطعوا، وكلا الروايتين صحيح، فإثبات النون عطفاً للجملة على محل (أن يخرج)، ويحذفها عطفاً على الفعل المضارع المنصوب (يخرج).

(٤) في (ز ط ب): ويفسدوا. ووجهها إعراب الروايتين ما تقدم في (فيقطعون).

فلما كان في الليلة التي عَزَمَ أَنْ يُخْرِجَ فيها هو وأصحابه طَرَقَهُ اللهُ بِطَعْنَةٍ في يده، فمكثَ يَوْمَيْنِ يَسْتَغِيثُ منها، ثم مات إلى لعنة الله، وماتَ أيضًا بعده ابنُ له، وأراحَ اللهُ الإسلامَ منه بدَعْوَةِ الهادي إلى الحق، فهذه أيضًا آيَةٌ حَسَنَةٌ مِمَّا رَأَيْنَا مِنَ الهادي إلى الحق، مَعَ مَا قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ في كتابنا هذا من علاماته ودلائله.

حدَّثني أبي أيضًا أنه خَبَرَهُ الهادي إلى الحق أنه رأى النبي -صلى الله عليه وعلى أهل بيته وسلم- في الليلة التي أَمَرَ الهادي إلى الحق في صَبِيحَتِهَا بِقَطْعِ مالِ حُنَيْشٍ يقول: "لعن الله حُنَيْشًا -لعنه الله-".

خبرُ ابنِ العَجَمي^(١)

وكان أيضًا ابنُ العَجَمي من أَخْرَصِ الناسِ على^(٢) خروجِ الهادي إلى الحق من اليمن، يُؤَلِّبُ الرجالَ، وَيَهْبُ الأموالَ على أن يُفْسِدُوا على الهادي إلى الحق، ويُجَارِبُوهُ؛ لئلا يَسْتَوِيَ له أمرٌ، فجعل يدعو عليه، وابتهلُ بالدعاء، فأخذه اللهُ وأراحَ منه أهلَ الإسلامِ.

فأقام الهادي إلى الحق بعدما قَطَعَ نَحْلَ^(٣) حُنَيْشٍ أَيَّامًا، وأَمَرَ الناسَ بالأُهْبَةِ إلى اليمن؛ وذلك أن أهلَ اليمنِ كَتَبُوا إليه.

(١) ابن العجمي: لم أعرف عنه أكثرَ ممَّا وَرَدَ في هذه السَّيْرة. ويبدو أنه كان أحدَ أغنياء اليمن المُنَاهِضِينَ لوصول الإمام الهادي إلى اليمن، وربما كان يَسْكُنُ في صنعاء، وكان الدُّعَام بن إبراهيم يُتَبَلِّغُهُمُ الدَّعْمَ المَالِيَّ والهدايا منه؛ لأجل مناهضة الهادي، وقد أشار إلى ذلك الإمام الهادي في شِعْرِ له، ويبدو أنه توفي قبل عام ٢٨٧هـ. ينظر العلوي: السيرة، ٤٤٣/أ-ب، ١١٢/ب.

(٢) في (الأصل ذ): إلى. وما أُثْبِتَ من بقية النسخ أصح.

(٣) في (الأصل ذ): مال. وما أُثْبِتَ من بقية النسخ أصرح.

خَبَرُ مَكَاتِبَةِ الدُّعَامِ إِلَى الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ - عليه السلام - وما جرى بينهما من الْمُخَاطَبَةِ وخُرُوجِ الْهَادِي إِلَى خِيَوَانِ

قال عليُّ بن محمد: حَدَّثَنِي أَبِي مُحَمَّدٌ بن عبيد الله: / ٢٩-أ/ أن رجلاً من ملوك اليمن المتغلبة على أمرها، وهو الدُّعَام بن إبراهيم كتب إلى الهادي إلى الحق، فكان في كتابه إليه يسأله أن يُؤَلِّيه البلد الذي هو فيه ^(١)، فقال يحيى بن الحسين: "لا والله ولا ساعةً واحدةً" ^(٢) إلا على ما أمرُهُ به ^(٣) من الحُكْم بكتابِ الله وسُنَّة رَسُولِهِ، فإن أجابَ إلى ذلك، وَحَكَمَ بِحُكْمِنَا، وَاتَّبَعَ ما نحن عليه؛ فله علينا ما يَجِبُ من مالِ الله، وَتَرَفَّعَ قَدْرَهُ إذا تاب وأناب، وَأَطَاعَ اللهَ وَأَطَاعَنَا في ما نَأْمُرُهُ به، من الأُمْرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكر، وَأَخَذِ الْحَقَّ يَمَنًى وَجَبَ عليه من قريبٍ أو بعيدٍ، أو شريفٍ أو دَنِيٍّ، وَلَيْنَاهُ حينئذٍ أُمُورَ المسلمين، ما حَكَمَ بها وَصَفْنَا مِمَّا أَمَرَهُ اللهُ -تبارك وتعالى-، وإلا فلا"، فكان بينهما في ذلك كُتُبٌ كثيرة.

قال عليُّ بن محمد خَبَرَنِي ^(٤) أَبِي، قال: خرج الهادي إلى الحق في بَشَرٍ كثيرٍ، حتى وصل إلى خيوان يومَ الأربعاء ليومَيْنِ باقِيَيْنِ من الشَّهْرِ، فَدَخَلَهَا على أَحْسَنِ الأمور وَأَسْهَلِهَا، وَلَقِيَهُ أَهْلُهَا بِأَجْمَعِهِمْ، وقد كانوا قَبْلَ ذلك لَا يَجْتَمِعُونَ؛ لِقَدْرِ ما كان بينهم من الْفِتْنَةِ والبلاءِ، والهِلَكَةِ والجلاءِ، فَأَلْفَ اللهُ -سبحانه- قُلُوبَهُمْ، وَجَمَعَ شَمْلَهُمْ، وَلَمْ شَعَثَهُمْ بالهادي إلى الحق، فاختلفوا ودخلوا جميعاً معه، وَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ، وَاسْتَحْلَفَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ على قِطْعِ الْفِتْنَةِ، والقيام معه على الحق، فَحَلَفُوا على ذلك، وَاسْمِعُوا وَأَطَاعُوا.

(١) في (الأصل ذ): فيها. وما أُثْبِتَ فمن النسخ الأخرى.

(٢) واحدة: ليست في (ص ز ط ب).

(٣) به: سقطت من (الأصل ذ).

(٤) في (ز ط ب): حَدَّثَنِي.

وأقام الهادي إلى الحق بخيوان، والعشائر من همدان تحيئه، وتبايعه، وتخلف له بالسمع والطاعة، فأقام الهادي إلى الحق - عليه السلام - بخيوان باقي جمادى الأولى، وجمادى الآخرة، ورجب^(١)، وثلاثة وعشرين يوماً من شعبان.

خبر بطننة حجور^(٢) [ووصول الهادي إلى الحق إليها]

ثم خرج من خيوان يوم الخميس لأيام باقية من الشهر يريد بطننة حجور، وذلك أن أهله كانوا قد أتوه إلى خيوان، وباعوه، فخرج إليهم، ومعه عسكر كثير من همدان، ونفر من خولان، حتى نزل على بركة يقال لها الظهرية^(٣)، ثم كتب إليهم يدعوهم إلى الله، فكتبوا إليه، وسألوه التقدم، فأقام على البركة يوم الخميس ويوم الجمعة.

فلما كان يوم السبت سار فأتى بطننة حجور قبل صلاة الظهر، فلما قرب من البلد استقبله أهله بالسمع والطاعة، فنزل في موضع بالقرب من القرية، وجاء أهل البلد، فعرضوا عليه العلف، فكره ذلك، فكلّموه وراودّوه^(٤) وقالوا: نحن نجعل العسكر في حل وسعة مما يفعلون، فأبى ذلك عليهم، / ٢٩ - ب / ولم يقبل لأحد منهم علفاً ولا غيره.

(١) في (ز ط ب): ورجباً. ولعل اختلاف الرواية فيه جاء تبعا لاختلاف النحويين فيه هل هو من المنصرفات أم لا؟.

(٢) البطننة: ريف وقاع فيه غيول، يقع غربي بلد وادعة حاشد، "مما يصالي عذر وهنوم وظليمة"، ويطلق اليوم على مركزين إداريين، أحدهما يتبع مديرية قفلة عذر، والآخر يتبع مديرية العشة من محافظة عمران. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٢٣؛ والمقحفني: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ١، ص ١٩١، ولعل حجورا هذا من فروع حجور بن أسلم بن عليان بن زيد بن عريب بن جشم بن حاشد.

(٣) في (ص ز ط ب): الضمرية.

(٤) في (ص): وراودّوه.

فأقام في البلد يوم السبت ويوم الأحد ويوم الاثنين، فلما كان يوم الثلاثاء نهض من بطنه حجور، وخلف فيها رجلاً من ولد عمر بن علي واليا بها، وأمرهم بالسَّمع والطاعة له.

خبرُ مصيرِ الهادي إلى الحق إلى الحَضَن^(١)

ثم مَضَى من يَوْمِهِ يُريدُ بلدًا، يقال لها الحَضَن لقومٍ من همدان، يقال لهم بنو ربيعة^(٢)، وكانوا قد وصلوا بالهادي إلى الحق وهو بصعدة، وبايعوه، وكان قد عدا منهم جماعة على قومٍ من أهل بطنَةِ حَجُور فأخذوا لهم بقرًا، وقتلوا منهم صبيًا، فنَزَلَ على بركةٍ بموضع الحَضَن الذي سَمَّيناه، ثم أَرْسَلَ إلى جميع بني ربيعة، فقال لهم: لا بُدَّ من المُحْدِثِينَ، فأتوه بالمُحْدِثِينَ، فسار بهم معه، ثم نهَضَ يوم الجمعة.

(١) في (ب ذ): الحصن. في هذا الموضع والمواضع اللاحقة. والصحيح ما أثبت. والحَضَن من قرى بني عُبيد بن ربيعة، من وادعة، يسمى اليوم قرية القاسم؛ لعلبة اسم الشريف الفاضل القاسم بن جعفر العياني عليه، وكان قد قُتِلَ سَنَةَ ٤٦٨ هـ، في غَيْلِ عمران بالجوف، ثم نُقِلَ جثامُهُ ودُفِنَ في الحَضَن، وقرية القاسم تَتَبَّعُ إداريًا عزلةً وادعة مديرية بني صُريم. ينظر الرباعي: سيرة الأميرين، ص ٢٥٧-٢٥٨؛ وابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ٤، ص ٦٥-٧١؛ والجهاز المركزي للإحصاء، وزارة التخطيط والتعاون الدولي، الجمهورية اليمنية: التعداد العام ٢٠٠٤م، محافظة عمران، نسخة إلكترونية، ص ٢٢١.

(٢) ربيعة بن مالك بن حرب بن عبد ود بن وادعة، من جشم حاشد، وولَدَ ربيعةً مالِكاً وعُبيداً، وبنو مالك وبنو عبيد بطنًا ربيعة في عهد الإمام الهادي، ومن مواطنهم مشوط، والحَضَن، والدَّزْب، وناشر، ولعل موطن ربيعة اليوم جزءٌ من مديرية بني صريم، وجزء من مديرية خمر، وهناك عزلة بني مالك في بني صريم، وهناك أيضا عزلة ناشر في مديرية السودة، وكلها من أعمال محافظة عمران، وكان بنو ربيعة قد نصرُوا الإمام الهادي، وقَدِمُوا البيعة إلى صعدة، ثم كانوا في قَلْبِ جيشه، وأثنى عليهم في شعره. العلوي: السيرة، ل ٢٩ / ب، ٣٠ / ب، ٣١ / ب، ٣٢ / أ- ب، ١١٣ / ب، ١١٤ / أ؛ والهمداني: الإكليل، ج ١٠، ص ٧٩؛ وصفة جزيرة العرب، ص ١٢٨، ٢٢١.

مسير الهادي إلى الحق إلى أثافت^(١) [ونفي فساد سلطنة الدعام]

فسار^(٢) إلى أثافت، فصلّى بها الجمعة، ودعا الناس للبيعة، فبايعه بشر كثير، فأقام بأثافت يوم الجمعة، والسبت، والأحد، والاثنين، والناس في ذلك يصلون إليه، ويبايعونه.

وبالقرب من أثافت موضع يسمى بيت زود^(٣) في يد الدعام بن إبراهيم، ووصل أهل بيت زود بالهادي إلى الحق في من وصل به بأثافت، واستغاثوا بالهادي إلى الحق من الدعام ومما يفعل بهم وبيلدتهم، وكان مع الدعام جند فاسق^(٤) يشربون الخمر، ويركبون الذكور، ويفجرون بالنساء علانية، وخبروا أن بعض الجند أخذ جارية غصباً، فافتضها، وقتل أباه، فعرفوا الدعام بذلك، فلم ينكر فيه.

فلما وصلوا بالهادي إلى الحق، وعرفوه بالخير وجه معهم رجلاً من بني عمه من ولد عمر بن عليّ - عليه السلام -، فلما قدم والي الهادي إلى الحق بيت زود خرج جميع من كان هنالك من ولاية الدعام من البلد، فأمر مأمور الهادي إلى الحق بالمعروف، ونهى عن المنكر، ونفى الفواحش.

فلقد سمعت من أثق به يقول: إنه كان في عسكر الدعام في بيت زود أربع مئة مرة^(٥) فاجرة، يظهرون الفجور علانية لا يستترون بذلك، بل يتحاكم العسكر فيهن إلى سلاطينهم وعمّاهم، وكانوا كل عشية يجتمعون إلى باب سلطانهم

(١) أثافت: تقدم التعريف بها.

(٢) في (ص ط): فصار.

(٣) في (مط): ذود. وهكذا وردت في جميع مواردنا. والصحيح أنها بيت زود كما تقدم.

(٤) في (الأصل ذ): جند فاسق. ولعل ما أثبت أولى.

(٥) في (ذ): مرة. وكلتاها صحيح لغة.

الفاسق، فَيَلْعَبْنَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَيَنْشُرْنَ شُعُورَهُنَّ، وَيُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ، وَيُظْهِرْنَ مُحَاسِنَهُنَّ، وَيَلْبَسْنَ أَرْقَّ مَا يَقْدِرْنَ عَلَيْهِ مِنَ الثِّيَابِ؛ لِيَبْدَوْ مَا خَفِيَ مِنْ أَبْدَانِهِنَّ، فَيَأْتِي الْعَسْكَرُ، فَإِذَا هَوِيَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ / ٣٠-أ / واحدةً دفع إليها دراهمَ بِحَضْرَةِ مَنْ يَخْضَرُ معهم، فَلَعَلَّهَا لَا تَرُوحُ إِلَيْهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَإِذَا أَصْبَحَ أَتَى إِلَى السُّلْطَانِ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ مَلْعُونَتَهُ لَمْ تَرُحْ إِلَيْهِ، وَقَدْ أَخَذَتْ دَرَاهِمَهُ، فَيَأْمُرُ سُلْطَانُهُ عِنْدَ ذَلِكَ بِأَذْيَابِهَا، وَبِأَنْ تَصِيرَ إِلَى صَاحِبِهَا.

فنفى يحيى بن الحسين -عليه السلام- ذلك كله، وأقام في البلد عدله، وقام أهل البلد بأجمعهم معه.

[مؤالة صعصعة بن جعفر للهادي إلى الحق]

وفي ذلك كاتب الهادي إلى الحق رجُلٌ من همدان، يقال له: صعصعة بن جعفر، وهو بموضعٍ يقال له رَيْدَة، في قَصْرِ مَنِيْع، وَوَجَّهَ إِلَيْهِ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ بِنَفْسٍ مِنْ هَمْدَانَ لِيَضْبُطُوا مَعَهُ الْبَلَدَ، وَكَانَ بَعْضُ الْبَلَدِ فِي يَدِ الدُّعَامِ، فَأَخْرَجُوا عَمَّالَهُ مِنْهُ، وَفَرَحَ بِذَلِكَ أَهْلُ الْبَلَدِ، وَسَمِعُوا وَأَطَاعُوا.

خَبَرُ رَجُوعِ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ إِلَى خِيَوَان

وسار الهادي من أَثَافَتِ يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ رَاجِعًا إِلَى خِيَوَان، فَوَصَلَ يَوْمَهُ، فَأَقَامَ بِهَا، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْخَمِيسِ، لِسَبْعَةِ أَيَّامٍ بَاقِيَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، بَلَغَهُ أَنَّ الدُّعَامَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ قَدْ خَرَجَ مِنْ بَلَدِهِ فِي عَسْكَرٍ عَظِيمٍ يُرِيدُ الْبَوْنَ^(١)، فَتَوَهَّمَ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ

(١) البون: قاع فسيح يمتد من جنوب مدينة عمران إلى شوابة بمساحة ٦٠ كم في عرض ٦ كم، وهو قسمان: جنوبي، ويقال له: البون الأعلى، وفيه: عمران، وقاعة، وعقار، وقارن، وقهال، وقسم شمالي بشرق، ويقال له: البون الأسفل، ومن بلدانه: ريدة، وجوب، وذيفان، وحمدة،

أنها خديعة من الدُعَام، وأنه يُريدُ أثافَت، وكانت في يد الدُعَام، ثم صارت في يد الهادي إلى الحق -عليه السلام-.

وقد كان وليُّ أثافَت رجلاً من خيار المسلمين عالماً بتوحيد الله وعدله، مُتَفَقِّهاً في دين الله، ورِعاً فاضلاً، يُسمَّى عبد العزيز بن مروان من أهل البحرين^(١)، يُكنَّى أبا عمر، فأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر.

فلما خرج الدُعَام، وظنَّ الهادي إلى الحق أنه يريد أثافَت خرج من خيوان.

خَبَرُ رُجُوعِ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ -عليه السلام- إِلَى أَثَافَت

فخرج الهادي إلى الحق من خيوان ليلة الجمعة لسبع ليالٍ باقية في شهر رمضان، فأصبح بأثافَت، وصلى الفجرَ والظهرَ، ثم نهض من أثافَت حتى صار بموضع يُسمَّى سِرَّ بكيل^(٢)، فبات به.

فلما أصبح غداً يُريدُ بيتَ زُود، فلما كان في بعضِ الطريقِ لقيه الخبرُ أن الدُعَام يُريدُ طُلُوعَ النَّقِيلِ^(٣)، فسار الهادي إلى الحق، حتى صار إلى راسِ النقييل، وغدا دُعَام بعسكره يُريدُ بيتَ زُود، فلما أشرفَ الهادي إلى الحق على النقييل، نظرَ إلى دُعَام

وغولة عجيب. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٢٠ - ٢٢١؛ والمقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ١، ص ٢١٧.

(١) عبدالعزيز بن مروان: روى عنه القاضي محمد بن سليمان الكوفي، وولاه الإمام الهادي على أثافَت، ثم قتله أرحب بن الدُعَام ومن معه من بني سلمان كما سيأتي قريباً. ينظر العلوي: السيرة، ٨٧/ب، ٣١/ب.

(٢) سر بكيل: يبدو من النص أنه يتوسط بين أثافَت وبيت زُود، وذكر الهمداني أن ساكنه بكيل. صفة جزيرة العرب، ص ٢٢٢.

(٣) النقييل هو: الطريقُ الصَّاعِدُ في الجبل. ووردَ في نُقُوشِ المُسْنَدِ: المَنَقَل. ينظر الإرياني، مطهر علي: المعجم اليميني في اللغة والتراث، ط ١، دار الفكر، دمشق، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦ م، ص ٨٨٠.

وعسكره، فأمر بالرايات فنشرت، فلما نظر دُعَامٌ وأصحابه إلى ذلك رجع إلى قرية من قرى البون، تُسمى حمدة^(١)، ورجع الهادي إلى بيت زودٍ، ووضع محارس^(٢) على النقي، وبعث فارسًا إلى صعصة بن جعفر يُخبره بالخبر.

فبات الهادي إلى الحق / ٣٠-ب / بيّت زودٍ، حتّى إذا أصبح انحدر من بيّت زودٍ إلى موضع يُقال له ضحيان^(٣)، وأرسل لصعصة فأتاه بجماعة من أهل البون، والهادي إلى الحق في ذلك يظن أن دُعَامًا في حمدة مُقيمًا^(٤)، فلمّا صار بضحيان صرخ صارخ من راس النقي: أن دُعَامًا قد غشي بيت زودٍ، فسار الهادي إلى الحق بعسكره حتّى وصل^(٥) بيت زودٍ، فقيّل له: إن دُعَامًا قد طلّع نقيّل حمدة، فصار الهادي إلى الحق في لقائه حتّى صار إلى موضع يُقال له نجد الطبر^(٦)، فإذا دُعَامٌ وأصحابه في الموضع.

(١) حمدة: قرية في قاع البون الأسفل، إلى الغرب شمالاً من ريدة. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٥٨، ٢٢٠؛ والمقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ١، ص ٥١١.

(٢) المحارس: جمع محرس، لحراسة الطريق والمكان.

(٣) ضحيان: قرية وعزلة من مديرية خارف، بالقرب من مدينة ريدة، أعمال محافظة عمران. المقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ٢، ص ١١٣٦.

(٤) كذا، ونصبه محمول على أنه حال، والجار والمجرور (بحمدة) متعلق بمقدر في محل رفع خبر أن.

(٥) في (الأصل ذ): وصل الهادي. وما أثبت من بقية النسخ أفصح.

(٦) في (ص ز ط): الطين. وفي (ب) الظين. وفي (ذ): الضير. ولعل الصحيح ما أثبت. والظبر من الأسماء المنتشرة في اليمن، ويعني: الصخرة الكبيرة القائمة بذاتها (الإرياني: المعجم اليمني في اللغة والتراث، ص ٥٩٧). ولم أتعرف على هذا الموضع بالتحديد، ولكن يبدو من جغرافيا النص أنه في عزلة ثلث الزودي مديرية خارف، بالقرب من بيت زود.

خَبَرُ مُقَابَلَةِ^(١) الهادي إلى الحق دُعَام

فَأَمَرَ الهادي إلى الحق أصحابه^(٢) بالتعبية^(٣)، فَجَعَلَ الْمُعَمِّرِينَ^(٤) وَخَوْلَانَ وَقَوْمًا مِنْ همدان - يقال لهم الْعَهْرَاءُ^(٥) - فِي الْمَيْمَنَةِ، وَجَعَلَ بني ربيعة وبني صَرِيم^(٦) فِي الْقَلْبِ، وَجَعَلَ أَهْلَ يَبْتِ زود وَأَهْلَ الْبَوْنِ فِي الْمَيْسَرَةِ، فَلَمَّا نَظَرَ دُعَامٌ إِلَى ذَلِكَ عَبَّ عَسْكَرُهُ مَيْمَنَةً وَمَيْسَرَةً وَقَلْبًا.

ثم نزل الهادي إلى الحق عن الناس بين الصَّفَيْنِ، فَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ، وَخَلَعَ سِلَاحَهُ، ثُمَّ تَطَهَّرَ وَصَلَّى قَصْرًا، وَلَقَدْ خَبَّرَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا، قَالَ: قُلْتُ لِلْهَادِي: أَعَزَّكَ اللَّهُ، هَذَا عَسْكَرُ دُعَامٍ قَدْ قَرَّبَ، قَالَ: فَقَالَ لِي: "هَؤُلَاءِ بَعْدَ قَلِيلٍ يَسْتَأْمِنُونَ

(١) فِي (ط): مَقَاتِلَةٌ.

(٢) أَصْحَابُهُ: مُضَافَةٌ مِنْ (ص ز).

(٣) فِي (ذ): بِالتَّعْبَةِ. وَكَلَا الْوَجْهَيْنِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَهُوَ الْإِسْتِعْدَادُ لِلْمَعْرَكَةِ.

(٤) بَنُو مُعَمِّرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عَبْدِ وَدِّ بْنِ وَادِعَةَ، مِنْ حَاشِدٍ، يَقَعُ بِلَدِهِمْ شِمَالُ بِلَدِ بَنِي رَبِيعَةَ وَبَنِي صَرِيمٍ، وَعَلَى مَسَاقِطِ وَادِي خِيَوَانَ غَرْبًا، وَهَنَّاكَ الْيَوْمَ عِزْلَةَ الْمَعَامِرَةِ فِي شِمَالِ غَرْبِ مَدِيرِيَةِ حَوْثٍ. الْعُلُوي: السَّيْرَةُ، ل ٤٤ / أ - ب، ٦٣ / ب؛ وَالْهُمْدَانِي: الْإِكْلِيل، ج ١٠، ص ٧٢ - ٧٥؛ وَصِفَةُ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، ص ١٢٨، ١٦٠؛ وَالْجِهَازُ الْمَرْكَزِيُّ لِلْإِحْصَاءِ، وَزَارَةُ التَّخْطِيطِ وَالتَّعَاوُنِ الدَّوْلِيِّ، الْجُمْهُورِيَّةُ الْيَمْنِيَّةُ: خَرِيطَةُ مَدِيرِيَّاتٍ وَعِزْلٍ مُحَافَظَةِ عَمْرَانَ، نَسْخَةٌ إِلِكْتُرُونِيَّةٌ.

(٥) الْعَهْرَاءُ: بَطْنٌ مِنْ وَلَدِ عَاهِرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ مَوْأَلَةَ بْنِ حَجُورٍ، مِنْ جِشْمِ بْنِ حَاشِدٍ، وَلَعَلَّ مَسَاكِنَهُمْ كَانَتْ جَنُوبَ بِلَدِ خَوْلَانَ فِي حِيدَانٍ، أَوْ فِي بَكِيلِ الْمِيرِ وَمَا حَوْلَهُ أَوْ شِمَالِ حَجُورٍ، وَقَدْ نَصَرُوا الْإِمَامَ الْهَادِي وَقَاتَلُوا تَحْتَ لَوَائِهِ. الْعُلُوي: السَّيْرَةُ، ل ٣٠ / ب، ٥٥ / ب، ٦٧ / ب؛ وَالْهُمْدَانِي: الْإِكْلِيل، ج ١٠، ص ٩١؛ وَصِفَةُ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، ص ١٣٤.

(٦) بَنُو صَرِيمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حَرْبِ بْنِ عَبْدِ وَدِّ بْنِ وَادِعَةَ، وَصَفَهُمُ الْهُمْدَانِيُّ بِأَنَّهُمْ: "رَأْسُ الدِّيَوَانِ مِنْ حَاشِدٍ، وَفِيهِمُ الْفَرَسَانُ وَالنَّجْدَةُ"، وَكَانَتْ مَسَاكِنُهُمْ فِي الْجُرَافِ وَبَعْضُ أَجْزَاءِ مَدِيرِيَةِ خَمْرِ، وَكَذَلِكَ فِي مَدِيرِيَةِ بَنِي صَرِيمٍ، وَهِيَ الْيَوْمَ تَطْلُقُ عَلَى مَسَاحَةِ اجْتِمَاعِيَّةٍ أَوْسَعَ مِمَّا كَانَتْ عَلَيْهِ، وَكَانُوا يُسَكِّنُونَ مَعَ إِخْوَتِهِمْ بَنِي رَبِيعَةَ وَمَعَ بَنِي مُعَمِّرٍ أَهْمَ تَكْوِينَاتِ جَيْشِ الْإِمَامِ الْهَادِي. الْعُلُوي: السَّيْرَةُ، ل ٣٢ / ب، ٣٧ / أ، ١١٣ / ب، ١١٤ / أ؛ وَالْهُمْدَانِي: الْإِكْلِيل، ج ١٠، ص ٢٧٨؛ وَصِفَةُ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، ص ١٢٨.

كلُّهم، والدُّعَامُ معهم".

فلما صلَّى الهادي إلى الحق أرسل إلى رجلٍ من أصحابِ الدُّعَامِ، فأتاه فقال له الهادي إلى الحق: "امضِ إلى صاحبك فقلْ له: يقولُ لك الهادي: لا تُقْتَلُ العربُ فيما بيننا، وابْزُزْ لي، وتوقَّفْ الناسُ حتى أقَاتِلَكَ، فإن قتلْتَنِي استرَحْتَ مِنِّي، وعَمِلْتَ ما تُريدُ، وإن قتلْتَكَ استراح منك أهلُ الإسلام".

فلما أتى الرجلُ^(١) إلى دُعَامِ، وأخبرَهُ بِمَقَالَةِ الهادي إلى الحق، كَرِهَ ذلك، وردَّ الرسولَ إلى الهادي إلى الحق بكلامٍ جميلٍ، وأعلَمَهُ أنه لا يُريدُ الحربَ، فَرَدَّ إليه الهادي رسولاً يَعِظُهُ وَيُوقِفُهُ على ما هو فيه من الضَّلالِ، فلم تَزَلِ الرُّسُلُ بينهما تَجْرِي. وقَرَبَتْ مَيْمَنَةُ الهادي من مَيْسَرَةِ الدُّعَامِ، وتَنَابَذُوا بالكلامِ، واقتتلوا حتى وَقَعَ بينهم قتلى، فقتل من المسلمين رجلٌ من همدان، من العَهْرَاءِ، يُقالُ له...^(٢)، وُقِتِلَ من أصحابِ دُعَامِ رجلٌ من الصَّيْدِ^(٣) ذكروا أنه كان شُجَاعاً، وذكرُوا أنه تكلَّم في الهادي إلى الحق قبلَ يُقْتَلُ بكلامٍ قبيحٍ، فأراحَ اللهُ منه.

ووصلَ الخبرُ إلى الهادي إلى الحق بقتالِ مَيْمَنَتِهِ ومَيْسَرَةِ الدُّعَامِ، والرُّسُلُ بينهما، فأرسل الهادي إلى الحق إلى مَيْمَنَتِهِ بالكفِّ عن القتالِ، فكَفُّوا، / ٣١-أ / ولم تَزَلِ الرُّسُلُ فيما بين الهادي إلى الحق ودُعَامِ حتى استوى الصُّلْحُ بينهما.

(١) في (ط): الرسول.

(٢) هكذا في الأصل والنُّسخ تُرك مكانه بياضاً.

(٣) الصَّيْدُ: بطن من حاشد، ينسبون إلى الصائد، وهو كعب بن شرحبيل بن شراحيل بن عمرو بن جشم بن حاشد، حدَّد الهمداني مساكنهم بـ "ما بين حدود ريدة إلى وَرُور"، وهي اليوم تَشْمَلُ مديرية خارف وأجزاء من مديرية ذيبين، أعمال محافظة عمران. الهمداني: الإكليل، ج ١٠، ص ٨٩؛ وصفة جزيرة العرب، ص ٢٢٢.

خبر لقاء دُعَام^(١) للهادي إلى الحق مُطيعًا

وصار دُعَامُ إلى الهادي إلى الحق، وحَلَفَ له على السمع والطاعة، واختلط العسكران، وعاد الهادي إلى الحق إلى بيت زود، وانصرف الدُعَامُ إلى حِمْدَةَ، فأقام الهادي ببيت زود ثلاثة أيام، وأقام الدُعَامُ بِحِمْدَةَ، والرسُلُ تجري بينهما على ما كان من الصلح، حتى إذا كان يومُ الخميسِ ليومٍ باقٍ من شهر رمضان، خرج دُعَامُ يريد وَرُورًا^(٢)، والأمرُ بينه وبين الهادي مستقيمٌ على الصلح، والهادي مُقيمٌ ببيت زود.

دخول أرحب بن الدُعَامِ أثافت

ثم بلغَ الهاديَ إلى الحق أنَّ ابنًا لدُعَامٍ - يُسَمَّى أَرْحَبَ^(٣) - قد دخل أثافت هو وَقَوْمٌ من همدان، يقال لهم بنو سَلْمَانَ^(٤)؛ وذلك أنَّ بني سَلْمَانَ لم يكونوا يُحِبُّون أن يَصْلُحَ الأمرُ بين الهادي إلى الحق والدُعَامِ؛ لئلا يَلِيَ أمرهم الهادي إلى الحق، فيأخذ منهم ما أَوْجَبَ اللهُ عليهم من الصَّدَقَاتِ، ويمنعهم عمَّا ارتكبوا من العظايمِ والمنكرات.

(١) في هامش (ط) في هذا الموضع: "الدُعَامُ كان غادرا كثيرَ النَّكثِ على الهادي -صلوات الله عليه-، ذَكَرَ في رسالته المشهورة إليه أنه حَلَفَ له أَحَدَ عَشَرَ يَمِينًا ينكث فيها".

(٢) ورور: قرية ووادٍ أسفل شِوَابَةِ، من مديرية ذيبين، محافظة عمران، تجتمع إليه السيول القادمة من قاع البون، وتصب في الخارد، وكان سوقا لبكيل في ذلك العصر. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢١٩؛ والمحقفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ٣، ص ٢٢٣٣.

(٣) أرحب: لم أعرف عنه أكثر مما ورد هنا. وينظر الهمداني: الإكليل، ج ١٠، ص ١٣٤.

(٤) بنو سلمان: بطن من ولد سلمان بن معاوية بن سفيان بن أرحب، ذكر الهمداني أنهم "بيت سفيان وأشرافها"، ومساكنهم في عيان وبركان (مديرية حرف سفيان، من أعمال محافظة عمران). العلوي: السيرة، ٤٢/أ-ب؛ والهمداني: الإكليل، ج ١٠، ص ١٤٦-١٥٠؛ وصفة جزيرة العرب، ص ٣٦٤.

وكانوا يَتَعَمَّلُونَ^(١) في الفَسَادِ فيما بينَ الهادي إلى الحق وبين الدُّعَامِ، فعملوا في نهوض أرحب بن الدُّعَامِ معهم، فَأَهْضَمُوهُ معهم، وصاروا به إلى خِيَوَان، فكان يومئذٍ أبو القاسم محمد بن الهادي إلى الحق بخيوان، ومعه أخوه أحمد، فأرادوهما وهُمُّوا بهما، فَمَنَعَهُمُ اللهُ من ذلك وَسَلَّمَهُمَا، وقامَ بعضُ أهلِ خيوان معهما؛ وذلك أن أبا القاسم لما بلغه أن أرحب بن الدُّعَامِ قد استقلَّ من بلد بني سلمان، جَمَعَ أَهْلَ خيوان، وخرَجَ إلى جانبِ القرية فَعَسَّكَرَ به، فلما دنا أرحب من خيوان خَرَجَ إليه من أهلها رجالان، فكلَّمَاهُ^(٢) بما أَمَرَهُمَا به أبو القاسم، وكان أَمَرُهُمَا أن يدعوا إلى الله، ويُخَوِّفاهُ وجميع أصحابه بالله؛ لإقامة الحُجَّةِ عليهم لله سبحانه، ثم رَجَعَا، ودنا أرحبُ من القرية، ولم يَقْبَلْ ما دُعِيَ إليه.

فلما رأى أبو القاسم الفَسَقَةَ يريدون القرية عبى عسكره، ثم بعثَ إلى أَرَحَبَ: لَمْ يُقْتَلِ النَّاسُ يا جاهلُ بيني وبينك؟! ابرُزْ حتى أَقَاتِلَكَ، فَيَسْتَرِيحَ أَحَدُنَا من صاحبه، فلم يَفْعَلْ أرحبُ خَوْفًا وإشفاقًا، وهُمُّوا بدخولِ القرية من أسفلها، فعَارَضَهُمُ أبو القاسم، فلما نظَرَ أصحابه إلى عسكر ابن الدُّعَامِ جَزَعُوا، فَحَرَّضَهُمُ، وذَكَرَهُمُ بالله، وقرأ عليهم: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾^(٣)، فقال رجلٌ من أهلِ خيوان: ما كان أغنانا من عشرينك^(٤) ومِيتَتِهِمُ، فَأَمَرَ أبو القاسم حينئذٍ بفرسه، فَنَزَعَ تَجَفَّافُهُ^(٥)، ثُمَّ قال لأصحابه: احمِلُوا بنا عليهم، فَأَمَرُهُمُ / ٣١-ب/ قريبٌ، ثم ضَرَبَ فَرَسَهُ حتى قام على رِجْلَيْهِ، ثُمَّ

(١) في (ص): يتعلمون. وفي (ذ): يتعاملون.

(٢) في الأصل ومعظم النسخ: وكلّمَاه. وما أُثْبِتَ فمن (ص). وهو الأوفق للسياق.

(٣) الأنفال: ٦٥.

(٤) في (ص ب): عسرتك.

(٥) التَّجَفَّافُ: ما يلبسه المحاربُ كالدرع، وما يُجَلَّلُ به الفرسُ من سلاحٍ وآلَةٍ يَقِيَانِهِ الجِرَاحَ في الحرب. مصطفى: المعجم الوسيط، ج ١، ص ١٢٧.

حَمَلٌ، فلم يُسَاعِدْهُ إلى ذلك إلا أربعةٌ، أحدهم إسماعيل بن المسلم بن زيدة^(١) الهمداني^(٢)، فلمَّا نَظَرَ الأوباشُ أَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْقَرْيَةِ انْصَرَفُوا بِشَرِّ حَالٍ، والله الحمد.

قال عليُّ بن محمد: حدَّثني محمدُ بن سليمان قال: سَمِعْتُ أبا القاسم بعدُ وهو يقول لأهل خيوان: يقومُ معي منكم عشرون رجلاً، فقال له بعضهم: ما نَعْرِفُ أَحَدًا يَقُومُ مَعَكَ، وذلك ليلةَ خُرج إلى السَّرِّ^(٣)، وكان انْصَرَفُ الظَّلَمَةِ إلى مَوَاضِعِهِمْ، ثم إلى أَثَافَتِ، وكان قَوْمٌ بِأَثَافَتِ مُدَاهِنِينَ^(٤) قد عَامَلُوهم على دُخُولِ الْقَرْيَةِ. فلما أَتَى أَزْحَبُ وَبَنُو سَلْمَانَ أَثَافَتًا صاح أبو عمر بالناس، فخرجت إليه جماعة سيرة، وأخْلَ الباقون، فلم يُقَاتِلُوا معه.

خبرُ قَتْلِ أَبِي عُمَرَ -رحمه الله- بِأَثَافَتِ

وَكثُرَ عَلَى أَبِي عُمَرَ وَأَصْحَابِهِ الْجَيْشُ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ الْقَرْيَةَ، فَقَتَلُوهُ -ﷺ-، ودخل أرحب وبنو سلمان إلى أَثَافَتِ؛ طلباً للفساد على الإمام، وَهَتَكَا لِلدِّينِ وَالْإِسْلَامِ، فَأَقَامُوا بِهَا، فلمَّا بَلَغَ الدُّعَامَ ذَلِكَ ذُكِرَ عَنْهُ أَنَّهُ اعْتَمَ، ثُمَّ أَقْبَلَ مِنْ طَرِيقِ وَزُورٍ حَتَّى دَخَلَ إِلَى أَثَافَتِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، فَأَقَامَ بِهَا.

وَبَلَغَ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ، فَخَرَجَ مِنْ مَوْضِعِهِ حَتَّى صَارَ إِلَى مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ مَشُوطُ^(٥)، لبني ربيعة فبات ليلته في المَوْضِعِ، وكانت ليلة السبت وهي ليلةُ

(١) في (ص ط ذ): ريدة.

(٢) إسماعيل بن المسلم: من أعيان خيوان، كان مقرباً من الإمام الهادي، ويقا تل بين يديه، ويتنذب له في بعض المهمات. العلوي: السيرة، ل ٣٢٢، أ، ٣٦، أ، ٤٥/أ.

(٣) السر: سر المعامرة، يقع اليوم في عزلة المعامرة، مديرية حوث.

(٤) كذا، ولعله خبر كان، أما اسمها فهو قوم، الموصوف بشبه الجملة من الجار والمجرور (بأثافَتِ).

(٥) مشوط: لبني مالك بن ربيعة، لعله بالقرب من دَمَاج، عزلة بني قيس مديرية بني صريم، ولعله

الفِطْرِ، فلما أصبح الهادي إلى الحق أرسل الصُّرَّاحُ في الناس، فاجتمعوا إليه يوم الاثنين لثلاثِ خَلَّتْ من شوالٍ من سَنَةِ خَمْسٍ وثمانين ومِئَتَيْنِ، فَتَشَاوَرُوا في الحَرْبِ، فَسَدَّ رَأْيُهُمْ جَمِيعًا على الحرب لدُعَامِ.

خَبَرُ الْحَرْبِ بَيْنَ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَبَيْنَ دُعَامِ

وسار الهادي إلى الحق في جميع مَنْ أَجَابَهُ، فلما قَرُبُوا من أَثَافِتِ، أَمَرَ الهادي إلى الحق - عَلَيْهِ السَّلَامُ - النَّاسَ بِالتَّعْيِيَةِ لِلْحَرْبِ، فجَعَلَ بني رِبِيعَةَ وبني مُعَمَّرٍ من همدان وَجَمَاعَةً من بني سَعْدٍ من خولان في القلب، وجعل بني صُرَيْمٍ في الميمنة، وجعل بني عُبيدٍ من بني رِبِيعَةَ في الميسرة.

وخرج الدُّعَامِ وأصحابه من أَثَافِتِ، وَتَعَبَّوْا أَيضًا للحرب، ودنا بَعْضُهُمْ من بعض، واشتَبَكَ الْقِتَالُ فيما بينهم، فلم يَزَلُوا يَقْتَتِلُونَ حَتَّى صَلَّوْا الْعَصْرَ، وأصاب الجميعَ جراحاتٌ كثيرة^(١)، وَذُكِرَ قَبْلَ وَقُوعِ^(٢) الْحَرْبِ بيومٍ [أَنَّهُ كَانَ] قَدْ أَمَرَ الدُّعَامِ بِأَثْقَالِهِ، فَأُخْرِجَتْ من أَثَافِتِ، وَكَانَ عَلَى الْخُرُوجِ / ٣٢-أ / مِنْهَا؛ خَوْفًا مِنْهُ لِلْهَادِي إِلَى الْحَقِّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -.

فلما وَقَعَ الْحَرْبُ أَمَرَ بَشِيَابَ دُسْتَرِي^(٣) فَنُشِرَتْ، وَأَمَرَ جَمَاعَةً من أَصْحَابِهِ يُنَادُونَ في الْأَعْرَابِ الَّذِينَ كَانُوا فِي عَسْكَرِ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: مَنْ أَرَادَ الثِّيَابَ

لم يَعُدِ الْيَوْمَ قَائِمًا. ينظر ابن دعثم: السيرة المنصورية، مج ١، ص ٤٢، ٤٣٦، مج ٢، ص ٧٦٥، وزبارة، محمد بن محمد الحسن بن الصنعاني: أئمة اليمن، تعز، ١٩٥٢ م، ج ١، ص ١٣٠.

(١) في (ص): جراحٌ كثيرٌ. وفي (ز): جراحاتٌ كثير.

(٢) وقوع: سقطت من (الأصل ذ)، وأضيفت من (ص ز ط ب).

(٣) دُسْتَرِي: مِمَّا تَصَحَّفَتْ عِنْدَ الْعَامَّةِ يَقُولُونَ: ثَوْبٌ دُسْتَرِي، وَالصَّوَابُ تُسْتَرِي بِالتَّاءِ، مَنْسُوبٌ إِلَى تُسْتَرٍ. وَتُسْتَرٌ: أَكْظَمُ مَدِينَةٍ بِخُوزِسْتَانَ (الْأَهْوَازِ)، وَتُسَمَّى الْيَوْمَ: شُسْتَر. الْصَفْدِي، خَلِيلُ بْنُ أَبِيكَ، صَلَاحُ الدِّينِ (ت ٧٦٤ هـ): تَصْحِيحُ التَّصْحِيفِ وَتَحْرِيرُ التَّحْرِيفِ، تَح: السَّيِّدُ الشَّرْقَاوِي، مَكْتَبَةُ الْخَانَجِي، الْقَاهِرَةُ، ط ١، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م، ص ٢٥٩؛ وَالْحَمُوي: مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ، ج ٢، ص ٢٩.

والكُسُوةَ فليأتنا، فمضى إليهم جماعةٌ من الأعراب الذين كانوا مع الهادي إلى الحق - عليه السلام -، فكسّاهم الدُّعَامَ ثياباً، فاضطربَ لذلك عسكرُ الهادي - عليه السلام -، واشتدَّ عسكرُ الدُّعَامِ، وكانوا في كثرةٍ من الخيلِ والرِّجالِ.

فلَمَّا نَظَرَ الهادي إلى الحق - عليه السلام - إلى عسكرِهِ قَدْ اضْطَرَبَ نَزَلَ مِنَ الْجَبَلِ، وصاح بالناس، وحرَّضَهُمْ، فَحَمَلَ أَصْحَابُهُ - لَمَّا صَاحَ بِهِمْ - عَلَى عَسْكَرِ الدُّعَامِ، فطردوهم، ثم ثَبَتَ الْعَسْكَرَانِ لِلْحَرْبِ، فلم يَزَالَا فِي الْقِتَالِ حَتَّى غَشِيَهِمُ اللَّيْلُ وَأَظْلَمَ، وَافْتَرَقَ الْعَسْكَرَانِ، فراح كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مُعَسْكَرِهِمْ.

وكان مُعَسْكَرُ الهادي إلى الحقِّ في مَوْضِعٍ لَبَنِي رَبِيعَةَ، يقال له كراوي^(١)، وكان قَلِيلَ الْمَاءِ، فَأَقَامَ بِهَا الهادي إلى الحق - عليه السلام -، فَلَمَّا قَلَّ الْمَاءُ بِالْكَرَاوِي تَحَوَّلَ الهادي إلى الحق - عليه السلام - إِلَى مَوْضِعٍ لَبَنِي رَبِيعَةَ يُسَمَّى الدَّرَبُ^(٢)، وهو مَوْضِعٌ حَصِينٌ وَعَرٌّ، فَأَقَامَ فِيهِ أَيَّامًا حَتَّى اسْتَرَاحَتْ خَيْلُهُ، وَأَصْلَحَ أَمُورُهُ لِلْحَرْبِ.

ثم وَجَّهَ صُرَّاحًا فِي حَاشِدِ لِيَوْمٍ مَعْلُومٍ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ يَوْمَ الْخَمِيسِ لثَلَاثِ عَشْرَةَ مِنْ شَوَالٍ، وَوَصَلَ بِهِ ابْنُهُ أَبُو الْقَاسِمِ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ خَوْلَانٍ مِنْ بَنِي سَعْدٍ، وَافْقَهُمْ أَبُو الْقَاسِمِ فِي الطَّرِيقِ، فَمَضَوْا جَمِيعًا إِلَى الهادي إلى الحق - عليه السلام -؛ وَذَلِكَ أَنَّ أَبَا الْقَاسِمِ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ فِي خِيَوَانٍ وَكُنَّا^(٣) مَعَهُ، فَلَمَّا حَارَبَ الهادي إلى الحق - عليه السلام - الدُّعَامَ ظَهَرَ مِنَ النَّاسِ الْمَكْرُ وَالْغِشُّ وَالطَّلَبُ لِلْفُسَادِ.

(١) كراوي: هناك محلات عديدة في اليمن سُمِّيَتْ بِالْـ(كراوي)، ويطلق في بعض اللهجات اليمنية اليوم كما في نقوش المسند على خزانات لتجميع المياه، وهو مشتق من شكلها الدائري أو شبه الدائري. ينظر: الإرياني: المعجم اليمني في اللغة والتراث، ص ٧٧٢.

(٢) في هامش (ط): "وهو المعروف الآن بدرب عد من بلاد الصنجات [أو الصيحات أو الصبيحات] بوادعة". وبحسب إفادة بعض أهل المنطقة فهناك درب بني ربيعة، ويسمى درب عدي، يقع بجوار قرية القاسم، عزلة وادعة، مديرية بني صريم.

(٣) القائل هو القاضي محمد بن سليمان الكوفي مصدر هذه المعلومات.

فلما رأى ذلك أبو القاسم جمع أهل خيوان، فكلّمهم بكلام كثير، وكان من قوله لهم: "أفيكم لله وللحق نُصرةٌ أو قِيامٌ"، فلم يكن عند أحدٍ منهم في ذلك الوقت رغبةً، فاجتمع إليه مشايخُ مَنْ له رغبةٌ ومحبةٌ، منهم إسماعيلُ بن المسلم، ويونسُ بن معاذ، وإبراهيمُ، وغطريف^(١)، فأشاروا عليه، وسألوه الخروجَ من خيوان؛ لِمَا بان لهم من شرّةِ الناسِ وفِسَقِهِمْ.

فلما بان له قِلَّةُ رغبَتِهِمْ في أمرِ خالِقِهِمْ، خَرَجَ وخرَجْنَا معه إلى موضعٍ لبني مُعَمِّرٍ، فوصلنا إليه ليلةَ الفطر، فأقام أياماً، ثمَّ خَرَجَ إلى الهادي إلى الحق -عليه السلام- في جماعةٍ من خولان / ٣٢- ب/ وصلت من صعدة، وجماعةٍ من همدان، فصادف أبو القاسم الهادي إلى الحق -عليه السلام- في الطريق، فمَضَوْا جميعاً حتى وصلوا إلى موضعٍ يقال له الحوطي^(٢)، ولقيهم قومٌ من البون.

واجتمعَت العساكرُ إلى الهادي إلى الحق -عليه السلام-، فلما اجتمعَ الناسُ سارَ بهم يومَ الخميسِ حتى أمسى عند بركةٍ لبني صُرَيْمٍ، وهم من وجوه همدانَ ورجالها، فبات ليلةَ الجمعةِ عند البركة، وأصبحَ عندها يومَ الجمعة، فسقى الناسَ دوابَّهُمْ وشدُّوا عليها، وسار يريد أثاف، فصلى الظهرَ في أولِ وقتٍ قريباً من أثاف.

ثم عبى العسكرَ للحرب، فجعلَ بني صُرَيْمٍ وبني مُعَمِّرٍ وخولانَ في الميمنة، وجعلَ بني مالِكٍ من بني ربيعةٍ في القلب، وجعلَ بني عُبَيْدٍ من بني ربيعة^(٣) في

(١) تقدمت ترجمة الأول منهم، ولم أعرف عن الثلاثة الآخرين أكثر مما ورد هنا.

(٢) في (ص): الحوض. وفي (ب): حوطي. ولم أميز الصحيح منها، إلا أنه ورد اسم موضع في تلك المنطقة عند الهمداني (صفة جزيرة العرب، ص ٢٢١، وهامشها)، وهو لحوط، ذكر الأكوخ أنه اليوم أطلال، فلعله هو. وهناك - بحسب إفادة بعض أهالي المنطقة - قرية الحوطة في بني ناشر، عزلة خيار، مديرية بني صريم.

(٣) من بني ربيعة: سقطت من (ط).

المَيْسَرَة، وأُخْرِجَ الدُّعَامُ أَصْحَابَهُ فَعَبَّاهُمْ لِلْحَرْبِ، وَقُرَّبَ بَعْضُ الْقَوْمِ مِنْ بَعْضٍ، وَتَلَا حَمَ الْقِتَالُ بَيْنَهُمْ، وَكَانَ الْمَوْضِعُ وَعَرًّا لَا تَعْمَلُ فِيهِ الْخَيْلُ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّ الدُّعَامَ أَخَذَ مَوْضِعًا يُقَالُ لَهُ الْكَيْدُ^(١)، سَهْلُ الرَّأْسِ، وَهُوَ^(٢) وَعَرُ النُّزُولِ مِنْ قَبْلِ أَثَافَتِ، فَأَمَرَ الدُّعَامَ، فُبْنِيَ لَهُ دَرَجَةٌ يَنْزِلُ مِنْهَا إِلَى أَثَافَتِ، وَلَمْ يَعْلَمْ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ بِذَلِكَ.

والتَّحَمَّ الْقِتَالُ بَيْنَ رَجَالَةِ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ الْمَيْسَرَةِ، وَرَجَالَةِ دُعَامِ الْمَيْمَنَةِ؛ فَبَيْنَا هُمْ فِي الْقِتَالِ إِذْ أَطْلَعَ الدُّعَامُ خَيْلَهُ مِنَ الدَّرَجَةِ إِلَى رَأْسِ الْكَيْدِ، وَكَانَتْ مَعَهُ خَيْلٌ كَثِيرَةٌ يَكُونُونَ مِيتَى فَارِسٍ، وَثَلَاثِينَ فَارِسًا، وَمَعَهُ أَلْفَا رَاجِلٍ، وَمَعَ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ ثَلَاثُونَ فَارِسًا وَسَبْعُ مِئَةٍ رَاجِلٍ، فَلَمَّا صَارَتْ خَيْلُ الدُّعَامِ فِي رَأْسِ الْكَيْدِ وَرَجَالَتُهُ، وَكَانُوا شَبَهًا مِنْ ثَمَانِ مِئَةٍ رَاجِلٍ وَخَمْسِينَ فَارِسًا، خَرَجَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ - عليه السلام - وَمَعَهُ أَرْبَعَةٌ مِنَ الْفَرَسَانِ، فَحَمَلَ وَحَمَلُوا مَعَهُ عَلَى أَصْحَابِ دُعَامٍ، فَلَمْ يَزَالُوا يَطْرُدُونَهُمْ^(٣) حَتَّى قَارَبُوا أَثَافَتِ.

وَكَانَ الدُّعَامُ قَدْ كَمَّنَ خَيْلًا وَرَجُلًا قَرِيبًا مِنَ الْقَرِيَةِ، فَلَمَّا رَأَى أَصْحَابَهُ يُطْرَدُونَ فَرَّقَ خَيْلَهُ وَرَجَالَتَهُ، فَأَخْرَجَ بَعْضَهُمْ فِي وَجْهِ أَبِي الْقَاسِمِ فَلَمْ يُغْنُوا شَيْئًا، وَزَادُوا أَصْحَابَهُمْ خَبَالًا، وَخَرَجَ الدُّعَامُ فِي مِئَةِ فَارِسٍ وَأَلْفِ رَاجِلٍ، وَأَخَذُوا الْمَحَجَّةَ عَلَى أَنْ يَعْقِدُوا عَلَى مَنْ كَانَ فِي الْكَيْدِ مِنْ أَصْحَابِ الْهَادِي - عليه السلام -، وَكَانَ

(١) لم تعجم في الأصل. وأُثْبِتَتْ كَمَا فِي (ص ز). وَفِي (ب): الْكَيْدُ. وَفِي (ذ): الْكَيْدُ. وَفِي بَقِيَّةِ النُّسخِ بَدُونَ إِعْجَامٍ. وَسَيُكْتَفَى بِهَذَا التَّنْبِيهِ عَنْ تَكَرُّارِهِ فِي الْمَوَاضِعِ اللاحقة. وَالْكَيْدُ فِي لَهْجَةِ أَهْلِ الْيَمَنِ: قِسْمٌ مِنْ تَحْزِينِ الْحُبُوبِ. (الإرياني: المعجم اليميني في اللغة والتراث، ص ٧٨٨). وَيُطْلَقُ فِي لَهْجَةِ يَمَنِيَّةِ شِمَالِيَّةٍ: عَلَى سَطْحِ الْمَنْزِلِ. وَلَمْ أَعُثِرْ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ يَتَبَيَّنُ مِنَ النِّصْرِ أَنَّهُ قَرِيبٌ مِنْ أَثَافَتِ إِلَى الْأَسْفَلِ مِنْهُ. وَبِحَسَبِ إِفَادَةِ مِنَ الْمُنْطَقَةِ فَهَنَّا الْكَيْدَ فِي الْحَبْلَةِ جَوَارِ قَرْيَةِ الْمَصْرَعِ، عَزَلَةُ خِيَارٍ، مَدِيرِيَّةُ بَنِي صَرِيمٍ.

(٢) فِي (الأصل ص ز ط ب): سَهْلٌ إِلَّا وَهُوَ. وَمَا أُثْبِتَ فَمِنْ (ذ). وَلَعَلَّهُ الْأَصُوبُ.

(٣) فِي (الأصل ص ذ): يَطْرُدُونَهُمْ. وَهُوَ خَطَأٌ نَحْوِي.

الهادي إلى الحق قَرِيبًا من المَحَجَّةِ أمام القلب. فلما / ٣٣-أ / نظر إلى الدُّعَامِ وأصحابه يريدون يَعْقِدُونَ على أصحابه، ولم يكن مع الهادي -عليه السلام- حينئذٍ إلا سبعة فوارس، منهم عبدالله بن الحسين الفطيمي، وجماعة من أصحابه، فتقدم الهادي -عليه السلام- ومن معه من الفرسان، فوقف بطن المَحَجَّةِ.

فلما نظر الدُّعَامُ وأصحابه إلى الهادي -عليه السلام- قد تقدم وليس معه إلا سبعة فوارس، اغتَمَمُوا قَلَّتَهُمْ، وطَمَعُوا في الفُرْصَةِ عَلَيْهِمْ، فَحَمَلُوا على الهادي إلى الحق وهم مِئَةُ فَارِسٍ وألف راجلٍ، فلم يَتَزَحَّزَحِ الهادي من موضعه، وثبت مكانه.

خبرني بعض أصحابنا، قال: كنت مع الهادي إلى الحق في الموضع، فجعل الدُّعَامُ ومن معه من خيله ورجله يَحْمِلُونَ على الهادي مرَّةً بعد مرَّةٍ، مرارًا كثيرة طَمَعًا به وبمن معه؛ لِقَلَّةِ عَدَدِهِمْ، وكثرة عَسْكَرِ الدُّعَامِ، فما كان يَتَزَحَّزَحُ من موضعه، ولا يَعْتَدُّ بهم، ولقد كان رجلٌ منهم معه فرسٌ ذودٍ أتي^(١) يقصد الهادي إلى الحق بالرَّمْيِ حتى أصابه في درعه وتَجَفَّاهُ بِخَمْسَةِ عَشْرَ سَهْمًا، وما زال الهادي -عليه السلام- من موضعه، ولقد خُبرْتُ أن بعضهم تَعَجَّبَ منه ومن شجاعته وهو مُوَاقِفٌ مِئَةَ فَارِسٍ وألف راجلٍ.

حدَّثني سعيد بن أبي سورة -وكان مع الدُّعَامِ- وهو من فرسان اليمن المَعْدُودَةِ، قال: انتخبت من عسكر الدُّعَامِ ثلاثين فارسًا من الرِّجَالِ وأهلِ البأسِ، وقد غَاظَنِي ما رَأَيْتُ من وقوفِ الهادي إلى الحق وقلةِ مُبَالَاةِ بِنَا، قال: فَحَشَمْتُ

(١) في (الأصل د): فرس دوداتي. بغير إعجام. وفي (ص ط): قوس دود أتي. وفي (ط): قوس دود أتي. بدون نقط التاء. وفي (ب): قوس دوداني. ولعل ما أثبت هو الأقرب، وأن (ذود) -الذي وُصِفَ به (فرس) أو أضيف إليه - هو مصدرٌ مِنْ دَادَ، يَدُودُ، والدَّائِدُ: فرسٌ نجيبٌ جدًّا من نَسْلِ الحُرُونِ، فلعل الوصف أو الإضافة جاء من هذا المعنى. ينظر الزبيدي: تاج العروس، ج ٤، ص ٤٤٤.

هؤلاء النَّفَرِ وَحَرَّضْتُهُمْ عَلَى الْحَمْلَةِ عَلَيْهِ، قَالَ: فَحَمَلْنَا عَلَيْهِ حَمْلَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ، وَنَحْنُ طَامِعُونَ بِأَخْذِهِ عَنْ فَرَسِهِ بِرِمَاحِنَا، وَنَحْنُ نَرَى أَنَّهُ لَا يَقُومُ لَنَا أَحَدٌ؛ لِمَا كَانَ بِنَا مِنَ الْغَضَبِ وَالْحَمَى، فَوَاللَّهِ لَقَدْ حَمَلْنَا حَتَّى قَارَبْنَا، قَالَ: [ف-] يَبْسُتُ أَيْدِينَا عَلَى رِمَاحِنَا، فَبَقِينَا لَا نُحَرِّكُهَا، وَأَلْقَى اللَّهُ فِي قُلُوبِنَا الرُّعْبَ وَالْخَوْفَ، قَالَ: فَانْصَرَفْنَا، وَعَلِمْتُ أَنَّ ذَلِكَ الْأَمْرَ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَأَعْطَيْتُ اللَّهَ مِنْ نَفْسِي أَنْ لَا أُقَاتِلَهُ أَبَدًا، فَلَمْ يَزَلْ - لَعَمْرِي - يَتَرَفَّقُ فِي الْخِلَاصِ حَتَّى صَارَ إِلَى الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ - عليه السلام -، وَكَانَ لَهُ إِبْلَاءٌ فِي دَوْلَتِهِ.

حَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ سَلِيحَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ الْهَادِيَّ إِلَى الْحَقِّ - عليه السلام -، وَهُوَ يَقُولُ: "وَاللَّهُ مُحَمَّدٌ^(١)، مَا دَخَلَ قَلْبِي مِنْهُمْ رُعْبٌ، وَلَا اعْتَدَدْتُ بِهِمْ، وَكَيْفَ اعْتَدَدْتُ بِهِمْ، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ مَعِي، فَإِنْ قُتِلْتُ فَاِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنْ قَتَلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا صَارَ إِلَى النَّارِ"، / ٣٣-ب/ وَكَانَ رَجُلٌ مُقْبِلًا عَلَيْهِ يَرْجُمُهُ بِالْحِجَارَةِ مُقَارِبًا لَهُ، فَقَالَ الْهَادِي لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ: "خُذْ هَذَا السَّهْمَ فَارْمِ بِهِ هَذَا الْكَافِرَ"، فَانْتَرَعَ سَهْمًا مِنْ دِرْعِهِ، فَأَخَذَهُ الرَّجُلُ فَرَمَى بِهِ، فَأَثْبَتَهُ تَحْتَ سُرَّتِهِ فِي بَطْنِهِ، فَوَلَّى هَارِبًا بِأَشْرَّ حَالٍ - عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ^(٢) -.

وَسَمِعْتُ جَمَاعَةً مِنَ النَّاسِ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ مَوْقِفِ الْهَادِي - عليه السلام - ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَيَقُولُ^(٣): "كَانَ مَوْقِفًا شَدِيدًا هَايَلًا ثَبَّتَ اللَّهُ بِهِ الْحَقَّ، وَأَذَلَّ بِهِ الْبَاطِلَ"، فَهَذِهِ أَيْضًا مِنْ عِلَامَاتِ الْإِمَامَةِ فِيهِ وَإِثْبَاتِ الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ جَبَانًا فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ لَانْهَزَمَ، فَقُتِلَ النَّاسُ، وَإِنَّمَا كَانَ دُعَامٌ وَعَسْكَرُهُ يَحْمِلُونَ عَلَى الْهَادِي

(١) والله محمود: لعلها مكوّنة من مبتدأ وخبر للثناء على الله، وتكرر في كلام الإمام الهادي، ولعله تأثر بجده الإمام القاسم بن إبراهيم - عليه السلام -؛ إذ وردت في مجموع كتبه ورسائله أيضا.

(٢) في (ص): لعنه الله.

(٣) أي الهادي إلى الحق.

- (عليه السلام) - لِيَنْهَزِمَ وَيُحْيِيَ أَصْحَابَهُ؛ وذلك بلطف الله ونصره لأوليائه ودينه، فلم يزل الهادي - (عليه السلام) - واقفاً في بطنِ المَحَجَّةِ والناس يقتتلون، وكثُرَ الرَّمْيُ بالنَّبْلِ بين الفريقين، ولم يَضُرَّ ذلك أحداً من أصحاب الهادي إلى الحق، والحمد لله.

وبرز فارسٌ من أصحابِ الدُّعَامِ، يقال له ابن الغمر، لأصحاب الهادي إلى الحق، فَطَعَنَ عليهم، فأعطاهم الله عليه^(١) الظَّفَرَ، فقتلوه، ولم يُقْتَلْ من أصحاب الهادي - (عليه السلام) - أحدٌ، فلم يَزَلِ القِتَالُ بينهم حتى أَظْلَمَ الليلُ، وجاءتِ العَتَمَةُ، ثم افترقوا وقد قُتِلَ من أصحابِ الدُّعَامِ رجلٌ، وسلمَ الله أصحاب الهادي - (عليه السلام) -.

[مسير الهادي إلى الحق إلى درب بني ربيعة وتضييقه على الدُّعَامِ]

وانصرفَ كُلُّ قومٍ إلى مُعَسِكَرِهِمْ، وقد شَمِلَ الفريقين جِراحٌ كثيرة، فصار الهادي - (عليه السلام) - إلى دربِ بني ربيعة، والدُّعَامُ إلى أَثَافِتٍ، وَلَزِمَ كُلُّ واحدٍ منهم مُعَسِكَرَهُ؛ وذلك أن البردَ اشتدَّ وكثُرَتِ الرِّياحُ، فلزم الهادي دربَ بني ربيعة، وهو مَوْضِعٌ قَلِيلُ الزَّرْعِ قَلِيلُ الماءِ.

وكان الهادي - (عليه السلام) - يَقُولُ كثيراً: "والله لو طَاوَعَنِي الناسُ، وصَبَرُوا معي، ما أَغْبَيْتُ^(٢) قتالَ هؤلاءِ الظَّلَمَةِ يَوْمًا واحدًا في حَرٍّ ولا بَرْدٍ حتى ألحقَ بالله، أو يَنْصُرَنِي الله عليهم، ولو دِدْتُ أَنِي لا أَنْزِلُ عن سرجي ليلاً ولا نهاراً إلا لوقتِ الصلاة، حتى يُظْهِرَ اللهُ الحَقَّ بي، أو ألحقَ به سبحانه، فاللهُ المستعانُ على عَجْزِ الناسِ، وَقَلَّةِ ثَبَاتِهِمْ^(٣)، وَضَعْفِهِمْ عن إقامةِ الحقِّ".

فلما سَمِعَ الناسُ أن الهادي - (عليه السلام) - قد صار إلى مَوْضِعِهِ حَمَلُوا الطَّعَامَ والعَلَفَ

(١) عليه: مضافة من (ص ز).

(٢) أي لا أجعل قتالهم غبياً، أي قليلاً، بل كل يوم.

(٣) كذا في (ص ز)، ولعله الأصح. وفي الأصل وبقيّة النسخ: وقلة نياتهم.

وَكُلَّ الْمَصَالِحِ لِلْعَسْكَرِ، وَكَثُرَ فِيهِ الْمَاءُ / ٣٤-أ/ بَلُطَفِ اللَّهِ -عز وجل-، فكان الناسُ يَسْقُونَ الدَّوَابَّ مِنْ غَيْلٍ فِي مَوْضِعٍ وَغَيْرِ قَلِيلِ الْمَاءِ.

وَسَمِعْتُ بَعْضَ بَنِي رَبِيعَةَ يَذْكُرُ^(١) أَنَّ ذَلِكَ الْغَيْلَ لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا مَاءٌ يَسِيرٌ قَلِيلٌ؛ فَلَمَّا جَاءَ الْهَادِي -عليه السلام- كَثُرَ فِيهِ الْمَاءُ حَتَّى زُرَعَ عَلَيْهِ، وَرَأَيْنَا الزَّرْعَ وَهُوَ يُسْقَى مِنْ ذَلِكَ الْغَيْلِ، وَالْغَيْلُ بَلْغَةُ أَهْلِ الْحِجَازِ: الْعَيْنُ.

فَأَقَامَ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ -عليه السلام- بِمَوْضِعِهِ، وَبَنُو رَبِيعَةَ وَبَنُو صُرَيْمٍ يَأْتُونَهُ، وَيَسْأَلُونَهُ أَنْ يُقِيمَ فِي مَكَانِهِ، وَيُطْلِقَهُمْ فِي الْحَرْبِ وَفِي الْغَارَةِ عَلَى قَرَى أَرْحَبَ فِي السَّبِيْعِ^(٢) وَخَرْفَانَ^(٣)؛ وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ السَّبِيْعِ وَخَرْفَانَ مِنْ أَرْحَبَ، وَكَانُوا مَعَ أَرْحَبَ بْنِ الدُّعَامِ عِنْدَ دَخُولِهِ أَثَافَتَ، وَقَتْلَهُمْ لِأَبِي عَمْرٍ -رحمه الله-، وَكَانَ مَعَ أَبِي عَمْرٍ جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي رَبِيعَةَ وَبَنِي صُرَيْمٍ، فَأَخَذُوا سِلَاحَهُمْ وَثِيَابَهُمْ، فَكَانَتْ بَنُو رَبِيعَةَ تَطْلُبُ أَرْحَبَ بِثَلَاثَةِ أَنْفُسٍ قَتَلُوا مَعَ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ -عليه السلام- فِي قِتَالٍ، فَكَانُوا يَسْأَلُونَ الْهَادِي -عليه السلام- أَنْ يُطْلِقَهُمْ فَيُغَيِّرُوا وَيَنْهَبُوا الْقُرَى، فَأَبَى ذَلِكَ الْهَادِي -عليه السلام- عَلَيْهِمْ، وَقَالَ لَهُمْ: "إِنْ فَعَلْتُمْ بَدَأْتُ بِقِتَالِكُمْ"، وَكَانَ كَثِيرُ الْمَوَاعِظِ لَهُمْ، وَصَرَفَهُمْ عَمَّا أَمَلُوهُ، فَاقْبَلُوا مِنْهُ، فَلَمْ يُحَالِفُوا، وَكَانُوا رَبِّمَا قَالُوا لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ

(١) فِي (الْأَصْلُ ذ): يَذْكُرُونَ. وَلَعَلَّ الْأَفْصَحَ مَا أُثْبِتَ مِنْ بَقِيَةِ النُّسخِ.

(٢) السَّبِيْعَاتُ، مِنْ قِبَائِلِ سَفِيَّانَ بْنِ أَرْحَبَ، دِيَارِهِمْ فِي قَرْيَةِ الْهَجْرَةِ، مِنْ قَرَى مَرْهَبَةِ الدُّعَامِ، وَأَعْمَالُ ذِي بَيْنَ. وَالسَّبِيْعُ أَيْضًا: قَرْيَةٌ تَقَعُ الْيَوْمَ فِي عَزْلَةِ بَنِي قَيْسٍ، مَدِيرِيَّةُ بَنِي صُرَيْمٍ، وَكَانَ يَسْكُنُهَا آنَ ذَاكَ كَمَا ذَكَرَ الْهَمْدَانِيُّ بَنُو عَبْدِ بْنِ عَبَادِ السَّقْلِ، وَبَنُو حَرْبٍ، وَالْأُدَاهِمُ، وَقَوْمٌ مِنَ السَّبِيْعِ بْنِ السَّبِيْعِ. الْهَمْدَانِيُّ: صِفَةُ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، ص ١٦٠، ٢١٨؛ وَالْمُقَحْفِيُّ: مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ وَالْقِبَائِلِ الْيَمْنِيَّةِ، مَج ١، ص ٧٧١؛ وَالْجِهَازُ الْمَرْكَزِيُّ لِلْإِحْصَاءِ: التَّعْدَادُ الْعَامَ ٢٠٠٤ م، مَحَافِظَةُ عُمُرَانَ، ص ٢٢٤.

(٣) خَرْفَانَ: قَرْيَةٌ ذَكَرَ الْهَمْدَانِيُّ أَنَّ سَاكِنِيهَا سَفِيَّانُ بْنُ أَرْحَبَ، وَفِي هَامِشِ (ط): "وَادٍ فِيهِ قَرَى لِمَرْهَبَةٍ، شَرْقِيَّ هَجْرَةِ مَسَلَتْ". وَعَدَا ذَٰهَا الْيَوْمَ فِي مَرْهَبَةٍ، مِنْ مَدِيرِيَّةِ ذَيْبَيْنَ. الْهَمْدَانِيُّ: صِفَةُ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، ص ١٦٠، ٢١٨؛ وَالْمُقَحْفِيُّ: مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ وَالْقِبَائِلِ الْيَمْنِيَّةِ، مَج ١، ص ٥٧٤.

قتلونا وأخذوا مَتَاعَنَا؟ فيقول لهم: "بلى، ولكنني أخاف أن تقتلوا مَنْ لم يَقْتُلْكُمْ، وَتَنْهَبُوا مَنْ لم يَنْهَبْكُمْ".

حدَّثني محمد بن سليمان، قال: سَمِعْتُ رجلاً منهم -وقد أَعْضَبَ- يقول لأصحابه: إن كنتم قَوْمًا تُريدون أن تأخذوا^(١) بدمائكم، وإلا فابئثوا مع الهادي في هذا المَوْضِعِ مساجدَ، واجلسوا معه، وكان قوله هذا على الغَضَبِ؛ لأنهم لا يَعْرِفُونَ بعضَهم إلا يَقْتُلُ بَعْضًا^(٢) بلا تَمَيِّزٍ ولا معرفةٍ، فزَمَّهم عن ذلك كُلِّهِ، وقال لهم: "إن أحدثَ أَحَدٌ حَدَثًا بغيرِ أَمْرِي بدأتُ بقتاله، إلا أن تكونوا لا تَسْمَعُونَ ولا تُطِيعُونَ"^(٣)، فأطْلُبُ عشيرةَ تَنْصُرُنِي، وتَقُومُ معي، (فأنا ابنُ رسولِ الله، وليس يُضِيعُنِي اللهُ عزَّ وجلَّ"، فلَمَّا سَمِعُوا ذلك منه، وقوله: أَطْلُبُ عشيرةَ تقومُ معي)^(٤) أَخَذَتْهُمُ^(٥) الْحَمِيَّةُ^(٦) والعَصِيَّةُ، فقالوا له: يا ابنَ رسولِ الله، لا، بل نَمُوتُ كُلُّنا بين يديك، فَأَمَرْنَا بِأَمْرِكَ وما أَحْبَبْتَ، وافْعَلْ بنا ما شِئْتَ، فنحن سامعون مُطِيعون، فشَكَرَهُم على ذلك، وقال لهم: "افْرِضُوا لي جماعةً منكم يُقيمون على طريقِ أَثَافِتٍ ويَحْضُرُونَهَا".

فأقاموا على ذلك الطريق، فأخذوا رَجُلًا صَنْعَانِيًّا معه حَمُولَةً، فيها جُلُودُ نَمُورٍ وغير ذلك، فَأَتَوْا به إلى الهادي إلى الحق -عليه السلام، وقالوا له: هذا رسولُ الدُّعَامِ إلى ابنِ العجمي، وهذه الحَمُولَةُ هَدِيَّةٌ له، فَسَأَلَ الهادي إلى الحق / ٣٤-ب / الرَّجُلَ،

(١) في (ص ز): تريدون تطلبون.

(٢) في (ص ز): لأنهم يعرفون بعضهم يقتل بعضا.

(٣) في (الأصل ذ): إلا أن يكونوا لا يسمعون ولا يطيعون. وما أُثِّبَ من بقية النسخ أوفق للسياق.

(٤) ما بين القوسين مضاف من (ص ز). وسقط في الأصل وبقية النسخ.

(٥) في (الأصل ذ): فأخذتهم. وما أُثِّبَ أوفق.

(٦) في (ص ز ط ب): الحمية عليه.

فقال: مَعَاذَ اللَّهِ، أَنَا رَجُلٌ تَاجِرٌ، فَأَغْلَظْ لَهُمُ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ - (عليه السلام) -، وقال: "أَنْتُمْ أَقَمْتُمْ تَقْطَعُونَ عَلَى النَّاسِ الطَّرِيقَ، رُدُّوْا عَلَيْهِ مَتَاعَهُ"، فَرَدُّوْهُ عَلَيْهِ.

وَلَزِمَ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ دَرْبَ بَنِي رِبِيعَةَ، فَجَعَلَ يُوَجِّهُ بَيْنَ كُلِّ لَيْالٍ جَمَاعَةً إِلَى أَثَافِتٍ، يَرْمُونَ مَنَزِلَ الدُّعَامِ، وَيُخَيِّفُونَهُ، وَيُسْهِرُونَ لَيْلَهُ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ، حَتَّى إِذَا كَانَ النِّصْفُ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ أَمَرَ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ - (عليه السلام) - جَمَاعَةً مِنْ بَنِي صُرَيْمٍ وَمِنْ بَنِي رِبِيعَةَ بِالنُّهُوضِ إِلَى أَثَافِتٍ يَنْظُرُونَ مَنْ بَقِيَ مَعَ الدُّعَامِ مِنْ عَسْكَرِهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ عَسْكَرَهُ كَانُوا قَدْ غَرَضُوا^(١) وَمَلُّوا، وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ بَعْضَهُمْ كَانَ يَقُولُ لِبَعْضٍ: وَيَلَكُمْ لَا تَقَاتِلُوا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، ثُمَّ يَحْمِلُهُمُ الْبَلَاءُ بَعْدَ الْكَلَامِ عَلَى الْقِتَالِ، وَكَانَ قَدْ أَصِيبَ مِنْهُمْ نَاسٌ بَرْمِي، وَنَفَقَتْ^(٢) لَهُمْ خَيْلٌ، فَكَانُوا قَدْ مَلُّوا مَا هُمْ فِيهِ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ مَنْ يَذْكُرُ عَنِ الدُّعَامِ أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو عَلَى مَنْ أَجَاهَ إِلَى حَرْبِ الْهَادِي - (عليه السلام) -، وَكَأَنَّهُ كَانَ يَنْحُو^(٣) بِذَلِكَ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ مَعَهُ، هَذَا وَيُعْلِمُ النَّاسَ أَنَّهُمْ حَمَلُوهُ عَلَى ذَلِكَ.

فَلَمَّا وَصَلَ الْقَوْمُ الَّذِينَ وَجَّهَهُمُ الْهَادِي - (عليه السلام) - إِلَى قُرْبِ أَثَافِتٍ، وَنَظَرَ إِلَيْهِمْ عَسْكَرُ الدُّعَامِ اسْتَقَلُّوهُمْ، وَكَانُوا شَبَّهًا بِمِيةِ رَاجِلٍ^(٤)، فَخَرَجُوا إِلَيْهِمْ، وَانْحَازَ أَصْحَابُ الْهَادِي - (عليه السلام) - إِلَى جَبَلٍ قَرِيبٍ مِنْ أَثَافِتٍ، وَأَتَّبَعَهُمْ أَصْحَابُ الدُّعَامِ، وَأَسْنَدَ^(٥) أَصْحَابُ الْهَادِي إِلَى الْجَبَلِ، وَصَرَخَ الصُّرَاخُ إِلَى الْهَادِي بِالْخَبَرِ، فَوَجَّهَ جَمَاعَةً مِنْ بَنِي سَعْدٍ مِنْ خَوْلَانِ، فَلَحَقُوا الْقَوْمَ وَهُمْ فِي الْقِتَالِ.

(١) غَرَضُوا: أَي ضَجَرُوا وَمَلُّوا. ينظر الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ٦٤٨.

(٢) أي: ماتت.

(٣) في الأصل: وكأنه ينحو. وفي (ذ): وكان ينحو. وما أُثبتَ فمن بقية النسخ، ولعله الأولى.

(٤) في (الأصل ط ب): رجال. وفي (ذ): رجل. ولعل ما أُثبتَ من بقية النسخ أولى.

(٥) في الأصل: واشتد. وفي (ذ): واستند. ولعل ما أُثبتَ من بقية النسخ أولى.

فلما نظر أصحابُ الدُّعَامِ إلى المادَّة ألقى اللهُ الرُّعْبَ في قلوبهم بعد أن قاتلوهم قتالاً شديداً، وأعطى اللهُ تعالى أصحابَ الهادي - (عليه السلام) - الظَّفَرَ عليهم، فهزموهم هزيمةً قبيحةً، وأصابوا منهم جماعةً بجراحٍ كثيرةٍ، حتى بلغني أن الرَّجُلَ منهم كان يرمي بسلاحه وتجايف فرسه، وطردوهم حتى ألبأوهم إلى القرية، وحال بينهم الليلُ، فدخل أصحابُ الدُّعَامِ القريةَ مجرّوحين مهزومين، وانصرف أصحابُ الهادي - (عليه السلام) - إليه وهم سالِمون مسرورون بمنّ الله ونصره.

فلما أصبح الهادي - (عليه السلام) - أرسل الصُّرَّاحَ في الناس، ووعدهم ليومٍ معلومٍ، وعزمَ على مُنازلةِ الدُّعَامِ بأثافٍ وحرِّبه. فلما بلغ ذلك الدُّعَامَ، وأيقنَ به، وصحَّ له، أصبحَ يومَ الأربعاءَ لأيامٍ باقية من ذي القعدة خارجاً من أثافٍ إلى خيوان.

خروج الدُّعَامِ من أثافٍ / ٣٥ - أ / إلى خيوان [وموقفُ الهادي إلى الحق من نهب أثافٍ]

وذلك أن بعضَ أهلِ خيوان كان يُكاتبُه ويسأله أن يصيرَ إلى خيوان، فلما خرج من أثافٍ صار إلى خيوان، وأقامَ بها، وجاء الخبرُ صلاةَ الغداةِ إلى بني صُرَيْمٍ وصحَّته، وكانوا بالقربِ من أثافٍ، أن الدُّعَامَ قد خرجَ منها، أغارَ منهم السَّفِيهُ والعَبْدُ والصَّبِيُّ، فدخلوا أثافٍ، فانتهبوا متاعاً كان بقيَ في أثافٍ، وكان أهلُ أثافٍ قد رفعوا أكثرَ متاعهم رهبةً من بني صُرَيْمٍ وبني ربيعة؛ وذلك أنهم لم ينصروهم يوم قُتِلَ أبو عمر - رحمه الله -، فكان في قلوبِ بني صُرَيْمٍ وبني ربيعة عليهم حقدٌ؛ لما فعلوا بهم، فانتهبوا ما وجدوا من أثاثهم في أثافٍ، ولقد سمعتُ بعضَ بني ربيعة وبني صُرَيْمٍ يقولون: ما كنَّا نظُنُّ إلا أن الذي أخذنا حلالاً لنا.

وبلغ الهادي إلى الحق خروج الدُّعَامِ من أَثَافِت، فلم يُصَدِّقْ بذلك، وظن أنه مكذوبٌ، فأقام يومه يَتَصَحَّحُ الْخَبَرَ حتى جَاءَهُ من أهل أَثَافِت، فأخبروه بخروج الدُّعَامِ من أَثَافِت، وبالذي فَعَلَ النَّاسُ من النَّهْبِ لأهل أَثَافِت، فعَظُمَ ذلك عليه، واغْتَمَّ غَمًّا شَدِيدًا، ثم قال لمحمد بن سعيد: "قد عَزَمْتُ على أن أحتجَبَ، ولا أَكَلِّمَ النَّاسَ، ولا يَدْخُلَ إِلَيَّ خَلْقٌ، ولولا أني أَخَافُ ضَيْعَةَ الْإِسْلَامِ لَمَّا أَقَمْتُ في الْيَمَنِ، وَلَمْضَيْتُ إِلَى بَلَدِي، فَمَا أَحْسَبُ أَنَّ هَؤُلَاءِ يَحِلُّ الْمَقَامُ بَيْنَهُمْ، وَلَا أَسْتَحِلُّ أَقَاتِلَ بِهِمْ".

عليُّ بن محمد، قال: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلِيمَانَ، قال: ما رَأَيْتُ الهاديَ إِلَى الْحَقِّ في ما صَحِبْتُهُ اغْتَمَّ مِثْلَ غَمِّهِ في ذَلِكَ الْوَقْتِ، حتى لَقَدْ رَأَيْتُهُ يَتَكَلَّمُ وَيَتَجَرَّعُ بِالْغُصَصِ، وَتَحْنُقُهُ الْعَبْرَةُ مِنَ الْعَمِّ، ثم يُكْثِرُ الْاسْتِرْجَاعَ، ويقولُ في ما بَيْنَ ذَلِكَ: "يَذْهَبُ الدِّينُ، إنا لله وإنا إليه راجعون"، فلم نَزَلْ أنا ومحمدُ بن سعيدَ تَرْفُقُ بِهِ وَتُكَلِّمُهُ، ونقولُ له: جُعِلْنَا فِدَاكَ^(١)، إِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ هَذَا هَلَكَ الْإِسْلَامُ، فقال: "فَأَنَا أَقِيمُ هَاهُنَا إِلَى أَنْ يَرْزُقَنِي اللَّهُ قَوْمًا مُؤْمِنِينَ، يَسْمَعُونَ بِي، فَيَأْتُونَنِي، فَأَقُومُ بِهِمْ، وَلَا أَكَلِّمُ مِنْ هَؤُلَاءِ أَحَدًا"، فقلنا: لَيْسَ يَصْلُحُ لَهُمْ إِلَّا الرَّفْقُ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَبْعَثَ لَهُمْ، وَتُكَلِّمَهُمْ، وَتُسْتَتِيبَهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ أَغْرَابُ جُهَّالٍ، وَلَعَلَّ الْقَوْمَ لَمْ يَظُنُّوا أَنَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ^(٢) حَرَامٌ، فقال حينئذٍ: "هَذَا رَأْيِي".

فأرسل إلى الناس فدعاهم، فلما أَتَوْهُ قال لهم: "ما حَمَلَكُم عَلَى نَهْبِ أَثَافِت؟"، قالوا: إِنْ أَهْلُ أَثَافِت قَتَلُوا أَبَا عُمَرَ، وَانْتَهَبُوهُ وَانْتَهَبُوا ما مَعَهُ، فقال لهم: "فلم يكن لكم أن تفعلوا ذلك دون رأيي، حتى آمُرَكم بِالَّذِي يَصْلُحُ مِنَ الْحَقِّ، / ٣٥- ب / وقد كُنْتُ عَزَمْتُ عَلَى أَنْ أحتجَبَ وَلَا أَكَلِّمَ أَحَدًا، حتى يَأْتِيَنِي قَوْمٌ يَعْرِفُونَ

(١) في (ز): جعلنا الله فداك.

(٢) عليهم: سقطت من (الأصل ذ).

الله، وَيَعْرِفُونَ الْحَلَالَ مِنَ الْحَرَامِ، فَأَنْتُمْ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ عَمَلٌ حَتَّى تَرُدُّوا جَمِيعَ مَا أَخَذْتُمْ مِنْ أَثَاثٍ، فَإِنْ رَدَدْتُمُوهُ وَتُبْتُمْ إِلَى اللَّهِ، وَإِلَّا فَلَيْسَ أَصْلَحُ لَكُمْ، وَلَا تَصْلُحُونَ لِي"، قالوا: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ نَحْنُ نَتُوبُ، وَنَصِيرُكَ إِلَى كُلِّ مُحِبِّهِ، وَنَرُدُّ الَّذِي عِنْدَنَا، وَذَلِكَ فِي يَوْمَيْنِ مَضَيًّا مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، فَقَالَ لَهُمْ: فَاْمْضُوا فَأَتُوا بِنَا عِنْدَكُمْ، فَأَتَى بَعْضُهُمْ بِمَا عِنْدَهُمْ، وَبَقِيَ بَعْضٌ.

وَأُرْسِلَ إِلَى أَهْلِ أَثَاثٍ: "مَنْ كَانَ لَهُ شَيْءٌ فَلْيَحْضُرْ يَأْخُذْهُ"، فَجَعَلَ أَهْلُ أَثَاثٍ يَحْضُرُونَ، فَيَتَعَرَّفُونَ مَتَاعَهُمْ، فَمَنْ كَانَ لَهُ شَيْءٌ أَخَذَهُ، وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ: قَدْ بَقِيَ لِي ^(١) شَيْءٌ.

[تربية الهادي إلى الحق لأصحابه عملياً]

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ التَّزْوِيَةِ أُرْسِلَ فِي النَّاسِ يَأْتُونَهُ يَوْمَ عَرَفَةَ، فَاجْتَمَعَ عِنْدَهُ يَوْمَ عَرَفَةَ خَلْقٌ كَثِيرٌ، فَفَرَزَ بِهِمْ ^(٢)، وَقَعَدَ فِي مَوْضِعٍ مُتَّسِعٍ بِهِمْ، فَوَعَظَهُمْ، وَذَكَرَهُمْ بِاللَّهِ، وَأَمَرَ بِحَطَبٍ يُجْمَعُ ^(٣) فِي مَوْضِعٍ، ثُمَّ أَمَرَ أَنْ تُوَضَعَ فِيهِ نَارٌ، فَلَمَّا التَّهَبَّتِ النَّارُ فِي الْحَطَبِ قَالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ يَقُومُ مِنْكُمْ فَيَدْخُلُ فِي هَذِهِ النَّارِ، وَأَشْهَدُ اللَّهُ أَنِّي أَدْفَعُ إِلَيْهِ جَمِيعَ مَا مَعِيَ مِنْ ثَوْبٍ وَآلَةٍ وَمَتَاعٍ وَتَقْدٍ؟"، فَقَالُوا: مَنْ يَدْخُلُ هَذِهِ النَّارَ؟ وَمَا يَنْفَعُ الْمَتَاعَ لِمَنْ يَدْخُلُ النَّارَ؟! فَقَالَ لَهُمْ: "وَيَحْكُمُ فَمَا يَحْكُمُكُمْ عَلَى الْأَفْعَالِ الَّتِي تُدْخِلُكُمْ النَّارَ؟ اتَّقُوا اللَّهَ وَرُدُّوا مَا عِنْدَكُمْ مِنْ مَتَاعِ الْمُسْلِمِينَ، وَالضَّعْفَةَ، وَالْمَسَاكِينَ، وَالْأَرَامِلَ، وَالْمُسْتَضْعِفِينَ، أَطِيعُونِي ^(٤)، فَإِنَّكُمْ وَاللَّهِ إِنْ أَطَعْتُمُونِي أَدْخَلْتُكُمْ الْجَنَّةَ"، فَقَالُوا بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ نَحْنُ نُطِيعُكَ، وَنَرُدُّ مَا عِنْدَنَا، وَنَمُوتُ بَيْنَ يَدَيْكَ، ثُمَّ افْتَرَقُوا.

(١) في الأصل: له. وما أُثبت من بقية النسخ لعله الأولى.

(٢) في (ص): فبرز لهم.

(٣) في (ص): فجمع.

(٤) أطيعوني: مضافة من (ص ز ط ب).

فلما كان بعد الأضحى بيومٍ أو يومين جعلوا يرُدُّون الذي عندهم، وأهل أثافت يأخذون متاعهم، والهادي -عليه السلام- مُقيمٌ بدربِ بني ربيعة، والدُّعَامُ بخيوان، وإتَمَّا لَزِمَ الهادي دَرَبَ بني ربيعة؛ لأنه كان مَوْضِعًا حَصِينًا.

خبر أبي العتاهية

وكان رجلاً من مُلُوكِ اليمنِ وسلاطينها، يقال له عبدُ الله بن بشر، ويكنى بأبي العتاهية، والي صنعاء ومخالفها، وكان وزيره رجلاً يقال له محمد بن أبي عباد من تميم، وكانا ممن لهما مَوَدَّةٌ ورَغْبَةٌ في الحقِّ، وكانا قد كاتبَا الهادي إلى الحقِّ، ورَغِبَا فيه وفي عدله، وقالَا بإمامته وفضله، ووَعَدَهُ أبو العتاهية أن يُمدَّهُ بخيلٍ ورجالٍ^(١) تكون معه، وتكون / ٣٦-أ/ قوةً له على عدوه^(٢)، فكان الهادي إلى الحق -عليه السلام- يَنْتَظِرُ ذلك منه. ثم عَزَمَ على أن يَتَحَوَّلَ من دَرَبِ بني ربيعة إلى مَوْضِعِ بني صَرِيمٍ، وهو يُسَمَّى الدَّرَبَ، وذلك في أيامٍ باقيةٍ في ذي الحجة.

حدَّثني محمد بن سليمان، قال: أَمَرَنِي الهادي إلى الحق -عليه السلام- بالخروج إلى صنعاء أَتَجَزُّ الخيلَ من عند أبي العتاهية، فخرَجْتُ إلى صنعاء وقد بقيَ من ذي الحِجَّةِ أيامٌ، وتحوَّلَ الهادي إلى الحق، فأقاموا^(٣) بمَوْضِعٍ يقال له: البُون، وغيره، وتفرَّقوا في البلد؛ وذلك أن الجُنْدَ كانوا يَخَافُونَ الهادي؛ لِمَا يُبْلَغُهُم من إقامته للحدود، وأخذِ الحقِّ، ونَفْيِ الباطلِ والفِسْقِ، فكان يَغْلُظُ عليهم ذلك، ولا يُجِبُّونَ أَنْ يَأْتُوهُ^(٤).

(١) في (الأصل ب ذ): ورجل. وما أُثبت من (ص ز ط) أولى.

(٢) على عدوه: سقطت من (الأصل ذ). وأضيفت من بقية النسخ.

(٣) في هامش (الأصل ذ): "يعني الذين من قبل أبي العتاهية، يدل عليه ما سيأتي به في سياق الكلام إن شاء الله تعالى".

(٤) في (الأصل ذ): أن يأتون. وهو خطأ نحوي، والصحيح ما أُثبت من بقية النسخ.

[أحداث سنة ٢٨٦هـ / ٨٩٩م - ٩٠٠م]

وكان أيضًا إسماعيل بن المسلم قد خرج إلى أبي العتاهية يسأله المادّة، فرَجَعَ مِنْ عِنْدِهِ بَعْضُهُمْ، فَأَقَامَ بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ رَيْدَةُ يَنْتَظِرُ بَاقِيَ الْعَسْكَرِ، وَأَنْصَرَفَتْ مِنْ صَنْعَاءَ، وَقَدْ بَقِيَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ يَوْمٌ أَوْ يَوْمَانِ، فَوَصَلْتُ إِلَى الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ، وَهُوَ بِدَرْبِ بَنِي صُرَيْمٍ لِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ مِنَ الْمُحَرَّمِ سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَمِئَتَيْنِ.

وَأَمَرَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ الْجُنْدَ بِالْمَصِيرِ إِلَى الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ - عليه السلام -، فَأَتَى بَعْضُهُمْ، وَرَجَعَ بَعْضُهُمْ، فَلَمَّا رَأَى أَبُو الْعَتَاهِيَةِ كِرَاهِيَةَ الْجُنْدِ لِمَصِيرِهِمْ إِلَى الْهَادِي - عليه السلام - وَجَّهَ أَخَاهُ جَرَّاحًا^(١) وَمَعَهُ خَمْسُونَ فَارِسًا إِلَى الْهَادِي - عليه السلام -، فَأَتَوْهُ إِلَى دَرْبِ بَنِي صُرَيْمٍ، وَذَلِكَ لِأَيَّامٍ بَاقِيَةٍ مِنَ الْمُحَرَّمِ.

وَبَلَغَ ذَلِكَ الدُّعَامَ، أَنَّ أَخَا أَبِي الْعَتَاهِيَةِ قَدِمَ إِلَى الْهَادِي وَمَعَهُ خَمْسُونَ فَارِسًا، فَغَلِظَ ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَذَكَرَ عَنْهُ أَنَّهُ جَمَعَ أَصْحَابَهُ وَأَهْلَ خِيَوَانٍ، فَقَالَ لَهُمْ: أَلَيْسَ مِنَ الْعَجَبِ أَنِّي أَصْبَحْتُ مُسَوِّدًا^(٢)، وَأَصْبَحَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ مُبَيِّضًا، فَأَمَّا أَنَا فَقَدْ عَزَمْتُ أَنْ لَا أُقَاتِلَ ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، فَمَا تَقُولُونَ؟ فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: بَلْ تُقَاتِلْ وَتُقَاتِلْ مَعَكَ، وَلَا يَأْخُذُ مُلْكًا قَدْ قَاتَلْتَ عَلَيْهِ أَلَّ يُعْفِرَ وَغَيْرَهُمْ، ثُمَّ تَدْفَعُهُ إِلَى الْعُلُوِي مُسْلَمًا.

(١) جَرَّاحُ بْنُ بَشْرِ بْنِ طَرِيفٍ، نَصَرَ الْهَادِيَّ مَعَ أَخِيهِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ، ثُمَّ وَقَفَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ خَلْفٍ ضِدَّ الْيُعْفَرِيِّينَ، وَبَعْدَ هُرُوبِ ابْنِ خَلْفٍ انْضَمَّ إِلَى أَسْعَدَ بْنِ أَبِي يُعْفَرَ بِالْجَيْشِ الَّذِي كَانَ مَعَهُ، وَشَارَكَهُ فِي قِتَالِ الْقِرَامِطَةِ، ثُمَّ وَلِيَ لِأَسْعَدَ صَنْعَاءَ وَخَالِيفَهَا عَامَ ٢٩٨هـ، ثُمَّ طُرِدَ مِنْ قَبْلِ ابْنِ كِبَالَةَ، فَمَا لَبِثَ أَنْ وَلَّاهُ الْوَالِي تَهَامَةَ مَلَا حِظَ بَنِي عَبْدِ اللَّهِ الرَّومِيِّ عَلَى الْكَدْرَاءِ سَنَةَ ٢٩٩هـ، لَكِنَّهُ انْقَلَبَ عَلَيْهِ، وَاتَّبَعَ عَلِيَّ بْنَ فَضْلِ الْقُرْمِطِيِّ، فَظَفَرُ بِهِ مَلَا حِظٌ وَقَتْلُهُ وَجَمَاعَةٌ مَعَهُ فِي ٢٨ رِبْعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ٣٠٠هـ. العُلُوِي: السَّيْرَةُ، ل ٩٣/ب، ١٣٨/أ-ب، ١٣٩/أ-ب، ١٤٠/أ، ١٤١/أ؛ والطَّبْرِي: تَارِيخُ صَنْعَاءَ، ص ٨١، ٨٣.

(٢) أَيُّ مِنْ أَتْبَاعِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ؛ إِذْ كَانَ شِعَارُهُمُ السَّوَادُ، وَكَانَ الْمَعَارِضُونَ لَهُمْ وَمِنْهُمْ الشَّائِرُونَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ يَرْفَعُونَ الْبَيَاضَ شِعَارًا لَهُمْ، وَيُقَالُ لَهُمُ: الْمُبَيِّضَةُ.

وقد كانت كُتُبُ الدُّعَامِ تأتي إلى الهادي وهو في دَرْبِ بني ربيعة يَشْتَرِطُ شُرُوطًا، مِثْلَ جَبَايَةِ بَعْضِ الْبَلَدِ، وَوَلَايَةِ عَلَى بَعْضِهِ، فَكَانَ الْهَادِي يَقُولُ: "لَوْ سَأَلَنِي أَنْ أُوَلِّيَهُ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ مَا وَلَّيْتُهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَلَا جَازِي عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، إِلَّا أَنْ يَتُوبَ وَيَرْجِعَ إِلَى الْحَقِّ"، فَأَقَامَ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ فِي دَرْبِ بَنِي صُرَيْمٍ أَيَّامًا مِنَ الْمَحَرَّمِ.

فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَيْهِ خَيْلُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ مَعَ جِرَّاحِ بْنِ بَشْرٍ، خَرَجَ يُرِيدُ خَرْفَانَ وَالسَّبِيْعَ / ٣٦-ب / يَدْعُوهُمْ إِلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ مِنْ أَرْحَبِ، وَهُمْ مِنْ بَنِي عَمِّ الدُّعَامِ، وَمَنْ كَانَ يَصُولُ بِهِمْ وَيُغَيِّرُ، وَيَتَقَوَّى بِهِمْ فِي حَرْبِ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ، فَلَمَّا وَصَلَ الْهَادِي إِلَى السَّبِيْعِ وَخَرْفَانَ وَجَدَ الْقُرَى خَالِيَةً مِنَ النَّاسِ، وَوَجَدَ أَهْلَهَا قَدْ هَرَبُوا فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الْهَادِي بِالْأَمَانِ، فَنَزَلَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ مَشَايِخُ.

فَلَمَّا نَظَرَ جُنْدُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ إِلَى الْقُرَى خَالِيَةً مِنْ أَهْلِهَا، دَخَلَ بَعْضُهُمْ إِلَى بِيوتِ فِيهَا تَيْنٌ وَأَعْلَافٌ لِلْقَوْمِ، فَأَخَذُوا مِنَ الْعَلْفِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْهَادِي، فَجَمَعَهُمْ، ثُمَّ قَالَ: "رُدُّوا كُلَّ مَا أَخَذْتُمْ، وَاللَّهُ مُحَمَّدٌ لَنْ عَادَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَأْخُذُ شَيْئًا بَغَيْرِ إِذْنِ مَنْ لِي لَا قُطْعَنَ يَدِهِ"، فَردُّوا جَمِيعَ مَا أَخَذُوا إِلَى مَوْضِعِهِ بِحَضْرَةِ مَشَايِخِ الْقَوْمِ، فَاسْتَرُّوا بِمَا رَأَوْا مِنْ عَدْلِ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ، وَرَجَعُوا إِلَى أَصْحَابِهِمْ، وَأَعْلَمُوهُمْ بِمَا كَانَ مِنَ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ مِنَ الْعَدْلِ، وَالصَّفْحِ عَنْهُمْ، وَالْفَضْلِ، وَمَا أَعْطَاهُمْ مِنَ الْأَمَانِ، فَنَزَلُوا إِلَيْهِ بِأَجْمَعِهِمْ، فَأَمَنَهُمْ، وَاسْتَحْلَفَهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَالْقِيَامِ مَعَهُ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لَهُ، فَحَلَفُوا لَهُ عَلَى ذَلِكَ، وَخَلَفَ^(١) وَلَاتَهُ.

ثُمَّ عَادَ إِلَى دَرْبِ بَنِي صُرَيْمٍ، فَأَقَامَ بِهِ أَيَّامًا، وَبَلَغَ الدُّعَامَ خَبْرَ أَهْلِ السَّبِيْعِ وَخَرْفَانَ،

(١) فِي (ز ط ب ذ): وَحَلَفَ. وَلَا يَبْعَدُ صَحَّتْهَا. أَيُّ أَنَّهُ حَلَفَ وَلَاتَهُ أَيْضًا.

وما كان من الهادي، وأمانه لهم، وسَمِعَهُمْ له وطاعَتِهِمْ، فغاضَهُ ذلك؛ لأنهم كانوا له عَضُدًا، ونظرَ الدُّعَامَ إلى أمورِ الهادي مُقْبِلَةً، وإلى أمورِهِ في نفسه مُدْبِرَةً، فَاغْتَمَّ؛ لِمَا تَقَدَّمَ منه من المحاربة، ولِلَّذِي^(١) كان منه من الخطايا والذنوبِ.

وعَزَمَ الهادي إلى الحق على أن يُنَازِلَهُ إلى خيوان، فِينَازَلَهُ، فأرسل الصَّوَارِخَ في الناس، فاجتمعوا إليه، وذلك في أيام ماضية في صفر، ثم سار حتى نَزَلَ موضعًا، يقال له حُوث^(٢)، ومعه عسْكَرٌ عَظِيمٌ، ومعه أخو أبي العتاهية وخيله، فبَلَغَ الدُّعَامَ مصيرَ الهادي إلى حوث، فجمَعَ أهلَ خيوان، فسَمِعْتُ مَنْ يَذْكُرُ عنه أنه قال لهم الدُّعَامُ ولبني سَلْمَانَ ولجماعة أصحابه: ما تقولون في هذا الرجل، قد قَرُبَ، وهو عازِمٌ على الحَرْبِ؟ فبَلَغَنِي أَنَّ بَعْضَهُمْ قال له: الرَّأْيُ أَنْ تُقَاتَلَ^(٣)، وقال بعضُ: لا تقاتل، ولكن تَخْدَعُونَ الرجل، وتَخْرُج وتخرجون بنا من القرية، ونتركه^(٤) حتى يَدْخُلَ القرية، ثم يكونُ لكم حينئذٍ رَأْيٌ، وقال آخَرُونَ غَيْرَ ذلك، وكَثُرَ الرَّأْيُ، فقال الدُّعَامُ لِمَا اختلفَ الرَّأْيُ: يا هؤلاء أَمَّا أَنَا فَأَوَّلُ مَنْ اجْتَلَبَ هذا الرَّجُلَ، / ٣٧-ب / وَأَخْرَجَهُ مِنْ بَلَدِهِ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ حِينَ^(٥) قَدِمَ هَذَا الْبَلَدَ، وقد كانت أُمُورُ اللَّهِ الْمُسْتَعَانَ عَلَيْهَا، وقد عَزَمْتُ على أَنْ لَا أُقَاتِلَهُ أَبَدًا، وَأَنْ أَسْمَعَ^(٦) لَهُ وَأُطِيعَ، فاعْمَلُوا لِأَنْفُسِكُمْ، وَأَنَا خَارِجٌ مِنْ خِيَوَانَ إِلَى بَلَدِي.

(١) في (الأصل ص ز): والذي. وما أُثْبِتَ من بقية النسخ أوفق.

(٢) حوث: من بلدانِ وادعة بن عمرو، من جُشَمَ بن حاشد، يقع ما بين خمر جنوبا وحرفِ سفيان شمالا، سُمِّيَ باسم حوث بن السبيع، وهي اليوم مدينة ومركز مديرية حوث، مركز قبيلة العصيات الحاشدية. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٢١؛ والمقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ١، ص ٥٣٦.

(٣) في (ص ز): نقاتل.

(٤) في (الأصل): ويُتْرَك. وفي (ذ): وتترك. ولعل الأوفق ما أُثْبِتَ من بقية النسخ.

(٥) في (ص ز ط ب): حتى.

(٦) في (الأصل ذ): وأني أسمع. ولعل ما أُثْبِتَ من بقية النسخ أوفق للسياق.

خروج الدُّعَام من خِيوان إلى غُرَق^(١)

وأرسل الدُّعَام جماعةً من أهل خيوان من مشايخها ووجوهها إلى الهادي -عليه السلام- بهذا الكلام، وخروج الدُّعَام من خيوان، وقد مضى من صفر أيام، إلى غُرَق، والهادي حينئذٍ بحوث، فوصل مشايخ أهل خيوان إلى حوث، إلى الهادي إلى الحق، وعرفوه بكلام الدُّعَام، وطلبوا منه الأمان، ولأهل^(٢) خيوان، فأعطاهم الأمان، فلمَّا أصبح الهادي إلى الحق سار إلى خيوان.

مسير الهادي إلى الحق -عليه السلام- إلى خيوان

فدخل الهادي إلى الحق إلى خيوان، ولبس الناس العافية، وأطمأنوا، فلمَّا كان يومُ الثاني خرج الهادي إلى الحق إلى المسجد.

خُطْبَةُ الهادي إلى الحق -عليه السلام- بخيوان وعظته لأهلها

فصعد المنبر، فخطب خطبةً بليغةً، حمد الله تعالى، وأثنى عليه، وصلى على النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-، ثم ذكر الدهر ونوابه وتقلبه^(٣) بأهله، وتصرفه، وأنَّ العاقبة للمتقين، والنصر من الله للمؤمنين، ثم قال: "وبعد يا أهل خيوان، يا أهل النفاق، يا أهل الكذب والشقاق، بايعتُم^(٤) فنكثتُم، وعاهدتُم فنقضتُم، وحلفتُم فكذبتُم،

(١) غُرَق: موضع في الجوف الأعلى، كان سوقاً من أسواق بكيل، ويعرف اليوم باسم (سوق الدعام)، ويشكل مركز عزلة في مديرية الزاهر، من أعمال الجوف. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٦١، ٢١٩؛ والمقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ٢، ص ١٣٧٢؛ والجهاز المركزي للإحصاء، وزارة التخطيط والتعاون الدولي، الجمهورية اليمنية: خريطة عزل ومديريات محافظة الجوف، نسخة إلكترونية.

(٢) في (ص): الأمان لأهل خيوان.

(٣) وتقلبه: سقطت من (الأصل ذ)، وأثبتت من بقية النسخ.

(٤) في (الأصل ز ط ب): فبايعتُم. والأولى ما أثبت من (ص ذ).

وَوَعَدْتُمْ فَأَخْلَفْتُمْ، عَدَاوَةً لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، وَبُغْضًا لِأَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ، وَكَرَاهِيَةً لِلْحَقِّ وَأَهْلِهِ، وَمِيلًا إِلَى الظَّالِمِينَ، وَزُهْدًا فِي الْمُؤْمِنِينَ، وَاتِّبَاعًا لِلْهَوَى، وَإِعْرَاضًا عَنِ التَّقْوَى، وَصَدًّا عَنْ سَبِيلِ الْهُدَى، وَطَمَعًا فِي ارْتِكَابِ الرَّدَى، وَإِثَارًا لِلخُمُورِ، وَالتَّقَلُّبِ فِي جَلَابِيبِ الشُّرُورِ، وَالِاعْتِكَافِ عَلَى اللُّهُوِّ وَالْمِزَامِيرِ، وَالضَّرْبِ بِالْمَعَازِفِ وَالطَّنَابِيرِ، وَتَنَاوُلًا لِمَا لَا تَبْلُغُونَ، وَطَلَبًا لِمَا لَا تَنَالُونَ، وَلَمْ تَزَالُوا كَذَلِكَ، لَا إِلَى اللَّهِ تَرْجِعُونَ، وَلَا مِنْ عِقَابِهِ تَخَافُونَ، حَتَّى تَمَّ وَعْدُ اللَّهِ لِأَوْلِيَائِهِ، وَوَقَعَ وَعِيدُهُ بِأَعْدَائِهِ، وَنَصَرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَخَذَلَ الْفَاسِقِينَ، وَ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾^(١).

فو الذي نفس يحيى بن الحسين بيده، لولا حاجز الإيمان، وعوايد الإحسان، ومُكْفَفُ^(٢) الفضل، وكريم الفعل، وثقل الحلم، ورواد^(٣) العلم، وبُعدُ الجهل، وكرم^(٤) الأصل، وقبول المنعة^(٥)، وكمال الحجة، / ٣٧-ب / لَأَنْشَبْتُ مَخَالِيبَ^(٦) العقوبة فيكم، ولأطلقت أيدي المؤمنين بالحق عليكم، ولأدقتكم جناية أيديكم، ولعرفتكم غب^(٧) فعليكم، ولأوجرتكم^(٨) مرارة غدركم؛ حتى يتصور عندكم ما

(١) الإسراء: ٨١.

(٢) كفكف عن الشيء: كف عنه. ومُكْفَفُ اسم الفاعل منه. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ٨٤٩.

(٣) يحتمل أن تكون: رواد، ورواد الشيء: طلبه، وأن تكون: رواد، وهو جمع رادة، وهي: الفائدة. ينظر الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ٢٤٨، ٢٨٢.

(٤) في (ذ): وكريم.

(٥) في (ص): وقنوت. بإعجام التاء فقط. وفي (ز ط ب): وفنوب المنعة. بغير إعجام لأي حرف من الكلمتين.

(٦) في (ز ط ب): مخالب.

(٧) الغب من كل شيء: عاقبته. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ١١٩.

(٨) الوجور: الدواء يُوضَع ويُسَبَّبُ في وسط الفم. الرازي: مختار الصحاح، ص ٣٣٣. وفي (ص ز

به تُكذَّبُونَ، وإيَّاه تُنْكِرُونَ، مَنْ نَصَرَ اللَّهَ تَعَالَى لأَوْلِيائِهِ، وَخَذَلَانِهِ لأَعْدَائِهِ، فَاحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى عَفْوِنَا عَنْكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى تَجَاوُزِنَا عَنْ سَيِّئَاتِكُمْ، فَإِنِّي أَقُولُ كَمَا قَالَ عَمِّي يَوْسُفُ - عليه السلام -: ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(١).

فانظروا في أمرِكُم، واستدركوا ما كان من زَلَّتِكُم، فَإِنِّي لَن أَقِيلَكُم بَعْدَ هَذِهِ الزَّلَّةِ^(٢)، مَا جَاءَ مِنْكُمْ مِنْ خَطَاٍ أَوْ عَثْرَةٍ، ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾^(٣)، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ".
ثُمَّ أَحْلَفَهُم بِاللَّهِ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَحَلَفُوا لَهُ عَلَى ذَلِكَ، وَانصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ.

[مواصلة الدُّعَامَ لِلْهَادِي إِلَى الْحَق]

وَوَصَلَ حِينَئِذٍ خَبَرُ الدُّعَامِ أَنَّهُ لَمَّا صَارَ إِلَى بَلَدِهِ أَمَرَ بِالْأَذَانِ: حَيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ، وَضَرَبَ فِي الْحَمْرِ، وَأَظْهَرَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَرْسَلَ إِلَى الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ يَطْلُبُ مِنْهُ لِقَاءَهُ، حَتَّى يَخْلِفَ لَهُ وَيَتُوبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِمَّا كَانَ مِنْهُ، فَأَجَابَهُ الْهَادِي - عليه السلام - إِلَى ذَلِكَ، وَلَقِيَهُ بِالْقُرْبِ مِنْ خِيَوَانٍ، فَحَلَفَ لَهُ هُوَ وَبَنُو عَمِّهِ وَوَلَدُهُ، ثُمَّ انصَرَفَ إِلَى بَلَدِهِ.

وَسَأَلَ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ - عليه السلام - أَنْ يُوجِّهَ إِلَى الْبَلَدِ رَجُلًا مِنْ قَبِيلِهِ، يَكُونُ وَالِيًا فِي الْبَلَدِ، فَوَجَّهَ الْهَادِي إِلَى بَلَدِهِ رَجُلًا، وَوَجَّهَ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ سَلِيمَانَ، فَلَمَّا وَصَلَ الْبَلَدَ أَظْهَرَ الدُّعَامَ الْمَحَبَّةَ لِلْهَادِي، وَالسَّمْعَ وَالطَّاعَةَ، وَخُطِبَ لِلْهَادِي فِي

ط ب): ولأوجدتكم.

(١) يوسف: ٩٢.

(٢) في (ص ز ط ب): المرة.

(٣) المائدة: ٩٥.

بلد الدُّعَام، ودَعَوْا النَّاسَ إِلَى الْحَقِّ، وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَخَذَ جَمَاعَةٌ مِنْ خَدَمِهِ سُكَارَى، فَضَرَبْنَاهُمْ الْحَدَّ، وَالْأَمْرَ يُظْهِرُ فِي ذَلِكَ فَرَحًا وَسُرُورًا، وَجَبَيْنَا مَا كَانَ فِي بَلَدِهِ، وَسَمِعَ وَأَطَاعَ، وَأَعْطَى الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ كُلَّمَا أَرَادَ مِنْهُ، وَأَلْزَمَ الْهَادِي بَلَدَهُ وَالْيَا مِنْ قَبْلِهِ، يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيُجِيبِي الصَّدَقَاتِ، وَصَرَفَ أَبَا جَعْفَرٍ وَصَاحِبَهُ.

[هَجْرَةُ الْمُؤَلِّفِ إِلَى الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ، وَتَمَرُّدُ أَبِي الدُّغَيْشِ عَلَيْهِ مَرَّةً ثَانِيَةً، وَوَصُولُ مَهَاجِرِينَ طَبْرِيِّينَ^(١) إِلَيْهِ]

قال عليُّ بن محمد: كانت هجرتي إلى الهادي إلى الحق في ذي الحِجَّة من سنة خمسٍ وثمانين ومِئتين، فَوَصَلْتُ إِلَى صَعْدَةَ، فَوَجَدْتُ أَبِي مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بِهَا وَالْيَا لِلْهَادِي إِلَى الْحَقِّ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ مِنْ مُحَارَبَةِ الدُّعَامِ مَا كَانَ اضْطَرَبَتْ عَلَى أَبِي وَسُحَّةً، وَنَصَبَ أَبُو دَغَيْشٍ رَأْسَهُ لِحَرْبِهِ، فَكَتَبَ إِلَى الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ، وَهُوَ فِي دَرْبِ بَنِي رَبِيعَةَ يُعَلِّمُهُ بِمَا هُوَ فِيهِ مِنْ ظُهُورِ عَدُوِّهِ عَلَيْهِ، وَقَلَّةٍ / ٣٨-أ / مُنَاصِرِيهِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ يَأْمُرُهُ بِالْمَصِيرِ إِلَى صَعْدَةَ وَاللُّزُومِ لَهَا، فَإِنَّهُ قَدْ وَجَّهَ أَخَاهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْحُسَيْنِ إِلَى الْحِجَازِ لِبَعْضِ حَوَائِجِهِ.

فَخَرَجَ أَبِي مُسْتَخْفِيًا مَاشِيًا عَلَى قَدَمَيْهِ، حَتَّى أَجَازَ بَابَ عَمِّهِ حُسَيْنِ بْنِ الْحَسَنِ^(٢)،

(١) الطَّبْرِيُّونَ: جَمَاعَةٌ قَدَمُوا مِنْ طَبْرِسْتَانَ (مَازَنْدَرَانَ) مِنْ جَنُوبِ بَحْرِ الْخَزَرِ (قَزْوِينَ)، وَكَانُوا زَيْدِيَّةً، وَمُقَاتِلِينَ أَشَدَّاءَ، وَشَكَّلُوا أَهَمَّ مُكَوَّنَاتِ جَيْشِ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ، وَكَانَ مِنْهُمْ فَضَلَاءٌ، وَعُلَمَاءٌ، وَإِدَارِيُّونَ، وَوُلَّى الْهَادِي بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مُخَالِفِ الْيَمَنِ، وَاسْتُشْهِدَ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهُمْ، وَعَادَ بَعْضُهُمْ بَعْدَ مَوْتِ الْهَادِي إِلَى بِلَادِهِمْ، وَبَعْضُهُمْ بَقِيَ فِي الْيَمَنِ. العُلُوي: السَّيْرَةُ، ٤٤٤/ب، ٤٥/أ-ب، ٥٤/ب، ٦٤/ب، ٦٧/ب، ٧٣/أ-ب، ٧٤/ب، ٧٩/أ، ٨٢/أ، ١٠٣/أ؛ وَالشَّامِي: الْيَمَنِ وَالْأَثْمَةُ، ص ٤٥، ٦٩؛ وَالزَّحِيف: مَآثِرُ الْأَبْرَارِ، ج ٢، ص ٥٨١.

(٢) حُسَيْنِ بْنِ الْحَسَنِ: قَائِدٌ، وَفَارَسٌ، وَإِدَارِيٌّ، وَلَاحَ الْهَادِي عَلَى سَاقِينَ، ثُمَّ عَلَى أَثَافَتٍ، وَقَاتَلَ إِلَى

من وَلَدِ العباس بن علي، وكان والياً بساقين، فأخذ بيده، وخرَجَا خائِفَيْنِ حتى وصلا إلى صعدة، فأقاما بها أياماً، ثم خرَجَ عبدُ الله بن الحسين إلى الحجاز، وخلفه بصعدة.

فكان وصولي إليه مع الحاج، فَوَجَدْتُ البلدَ عليه مُضْطَرِبَةً؛ لِمَا كان من حَرْبِ الهادي للدُّعَامِ، وكان أهلُ البلدِ يُؤَمِّلُونَ أن يَأْتِيَهُمْ في تلك السنة قايِدٌ من المُسَوِّدَةِ، فأخْلَفَهُمْ ظَنَّهُمْ، وقَطَعَ اللهُ رَجَاهُمْ، وأَهْلَكَهُمْ اللهُ وَأَذَلَّهُمْ؛ بِمَا كان مِنْ عَوْنِهِ^(١) لابنِ نَبِيَّهِ، وإمداده له بأعوانه المؤمنين، وأنصاره المجاهدين، مَن هاجرَ إليه من الطَّبَرِيِّينَ، فَوَصَلُوا إلى صَعْدَةِ مع الحاج، وكانوا قريبَ خمسين رجلاً.

فلَمَّا صاروا إلى صَعْدَةِ، وبلغَ خَبَرُهُم إلى الهادي، وكان الدُّعَامُ مُحَارِباً له في ذلك الوقتِ، سَرَّ الهادي ما أَيْدَهُ اللهُ به، وعَضَدَهُ من أوليائه، وغَمَّ ذلك الدُّعَامَ، فصار الهادي إلى محبوبه، فأقاموا بصعدة أياماً، ثم خرجوا إلى الهادي إلى خيوان، فوصلوا به على أَحْسَنِ حالٍ، وبأن لأهلِ اليمنِ أَمْرُ الهادي أَنَّهُ في إقبالٍ، وأمرُ مَنْ خَالَفَهُ في إدبارٍ، فتجددتْ لذلك نِيَّتُهُمْ، ورَغِبُوا في القيام معه. وتخلَّفْتُ أنا بصعدة عند أبي؛ وذلك بأمرِ الهادي إلى الحق - عليه السلام -.

خَبَرُ بَيْعَةِ الهادي إلى الحق وكيف كان يَفْعَلُ؟

قال عليُّ بن محمد: سألتُ أبي محمدَ بن عبيد الله كيف كان الهادي يُبَايِعُ الناسَ؟ فقال: كان يحيى بن الحسين يأخذُ على الناس البيعةَ، فيأخذُ هو بيدَ الرَّجُلِ، فيسْتَتِيْبُهُ قبل أن يُبَايِعَهُ، فيقول له: "قل: اللّهُمَّ إني التائبُ إليك من كلِّ ذنبٍ، ومن

جواره في بعض المعارك. العلوي: السيرة، ل ٣٨/أ، ٤١/ب، ٤٥/أ، ٨٥/ب.

(١) في (ص ز ط ب): عونه ونصره.

كُلَّ خَطِيئَةٍ، وَمِنْ كُلِّ سَيِّئَةٍ، اللَّهُمَّ فَاقْبَلْ تَوْبَتِي، وَاغْفِرْ لِي ذَنْبِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي، وَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِي، وَأَوْجِبْ لِي الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِكَ"، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: "قُلْ: وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، وَإِلَّا فَعَلَيْكَ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ، وَأَشَدُّ مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّينَ مِنْ عَهْدٍ أَوْ عَقْدٍ أَوْ مِيثَاقٍ، لَتَنْصُرَنِي وَلَتَقُومَنَّ بِالْحَقِّ مَعِي، وَلَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَيْنَّ^(١) عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذَنَّ الْحَقَّ مِمَّنْ وَجَبَ عَلَيْهِ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ، أَوْ شَرِيفٍ أَوْ دَنِيٍّ، لَا تَأْخُذْكَ / ٣٨-ب / فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَا يَمُ، وَلَتُطِيعَنِّي مَا أَمَرْتُ اللَّهَ، فَإِذَا عَصَيْتُهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكَ"، ثُمَّ كُنْتُ أَسْمَعُهُ بَعْدَ مَا يَأْخُذُ الْعَهْدَ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ اشْهَدْ"، ثُمَّ كَانَ يَقْرَأُ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَنُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٢).

[بَيْعَةُ الصَّبْرِ بَيْعَةُ الْخَاصَّةِ]

وَكُنْتُ عَنْده لَيْلَةً جَالِسًا فَأَتَاهُ رَجُلَانِ، فَقَالَا لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ تُرِيدُ نَبَايَعُكَ^(٣) بَيْعَةَ الصَّبْرِ، فَقَالَ لهما: "أَقْدَ بَايَعْتُمَانِي مَعَ النَّاسِ؟"، فَقَالَا: نَعَمْ، وَلَكِنَّا نُرِيدُ نَبَايَعُكَ بَيْعَةَ الصَّبْرِ، فَقَالَ لهما: "اجْلِسَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ"، ثُمَّ ابْتَدَأَ فَوَعَّظَهُمَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، وَقَالَ لهما: "إِنِّي نَاطَرْتُ نَفْسِي، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَخْتَصَّ إِخْوَانًا مُؤْمِنِينَ يَصْبِرُونَ مَعِيَ عَلَى مَا أَقُولُ لَهُمْ، وَأَنَّ الْأَمْرَ عَظِيمٌ صَعْبٌ، وَالنَّاسُ قَدْ بَايَعُونِي، وَأَنْتُمَا قَدْ بَايَعْتُمَانِي، وَلَكِنْ هَذَا شَيْءٌ أُرِيدُ أَخْتَصُّ بِهِ إِخْوَانًا، يَصْبِرُونَ مَعِيَ عَلَى الْجُوعِ وَالْجُحْدِ وَالْعُرْيِ وَالضَّرَاءِ، حَتَّى يَقْتَسِمَ كُلُّ أَرْبَعَةٍ ثَوْبًا، فَيَأْخُذُ كُلُّ وَاحِدٍ

(١) فِي (ص ب): وَلَتَنْهَيْنَّ.

(٢) الْفَتْح: ١٠.

(٣) فِي (ط ب): نُرِيدُ أَنْ نَبَايَعُكَ.

منهم خِرْقَةٌ يَتَوَارَى بِهَا لِلصَّلَاةِ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَصْبِرَانِ عَلَى هَذَا فَتَقَدَّمَا"، فَقَالَا: نَصْبِرُ
مَعَكَ عَلَى هَذَا، فَتَقَدَّمَا، فَأَخَذَ عَلَيْهِمَا الْعَهْدَ الَّذِي وَصَفْنَا فِي كِتَابِنَا هَذَا، وَزَادَ فِيهِ:
"لَتَصْبِرَانِ مَعِيَ عَلَى الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ، وَالشَّدَّةِ وَالرَّخَاءِ، وَالْجُوعِ وَالْعُرْيِ، حَتَّى
يُحْكَمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عَدُوِّنَا، وَأَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ حَقًّا حَقًّا، وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ".

صلاة الهادي إلى الحق لكُسوفِ الشمس

قال عليُّ بن محمد: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلِيمَانَ، قَالَ: رَأَيْتُ الْهَادِيَّ إِلَى الْحَقِّ، وَقَدْ
انْكَسَفَتِ الشَّمْسُ بِصُعْدَةٍ، فَأَمَرَ مُنَادِيًّا، فَصَعَدَ الصَّوْمَعَةُ، فَنَادَى: «الصَّلَاةُ
جَامِعَةٌ»، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا قَامَ ^(١) يَحْيَى بْنُ الْحُسَيْنِ، فَكَبَّرَ وَلَمْ يَجْهَرْ
بِالْقِرَاءَةِ، فَسَأَلْتُهُ بَعْدَ انْصِرَافِهِ: مَا قَرَأْتَ؟ فَقَالَ: "قَرَأْتُ (الْحَمْدَ)، وَ(قُلْ أَعُوذُ
بِرَبِّ النَّاسِ)، وَ(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ)، وَ(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)، خَمْسَ مَرَّاتٍ فِي كُلِّ
رَكْعَةٍ، وَقَرَأْتُ الْكَهْفَ، وَمَرْيَمَ، وَطه، وَالْأَنْبِيَاءَ، وَطس النمل، فَفَرَّقْتُ هَذِهِ
السُّورَ ^(٢) فِي الرُّكْعَاتِ"، فَرَأَيْتُهُ رَكَعَ ^(٣) ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ أَيْضًا فَقَرَأَ، حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ
خَمْسًا، ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السُّجُودِ، فَأَطَالَ الْجُلُوسَ بَعْدَ السَّجْدَةِ،
ثُمَّ سَجَدَ الثَّانِيَةَ، فَسَأَلْتُهُ: مَا قُلْتَ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ؟ فَقَالَ: "قَرَأْتُ وَدَعَوْتُ"، ثُمَّ
نَهَضَ فَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَصَلَّى عَشْرَ رُكْعَاتٍ فِي أَرْبَعِ سَجْدَاتٍ ^(٤) ٣٩ - أ.

(١) فِي (ز): أَقَامَ.

(٢) فِي (ص ز ب): السُّورَةُ.

(٣) كَذَا فِي (ذ). وَفِي (الأصل ص ط ب): فَرَأَيْتُهُ ثُمَّ قَرَأَ. وَفِي (ز): فَفَرَّقْتُ هَذِهِ السُّورَةَ قِرَاءَةً، ثُمَّ قَرَأَ.
وَلَعَلَّ مَا أُثْبِتَ أَوَّلَى.

(٤) فِي هَامِش (ط): "هَذَا هُوَ مَذْهَبُهُ أَنَّ صَلَاةَ الْكُسُوفِ عَشْرَ رُكْعَاتٍ فِي أَرْبَعِ سَجْدَاتٍ، وَقَالَ:
صَحَّ لَنَا ذَلِكَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ".

إقامة الهادي للحدود

قال علي بن محمد: حدّثني أبي محمد بن عبيد الله، قال: رأيتُ يحيى بن الحسين وقد أتى برجلٍ، فقيل له^(١): هذا سكرانٌ، فأمر رجُلين من ثقاته يَسْتَنكِهَانِه^(٢)، وشهدا عليه أنه شاربٌ خمرٍ، فأمر به، فحُبِسَ، حتّى كان من الغدِ، و[قد] أفاق من سُكْرِهِ، أَمَرَ به، فُشِّحَ بين العقّابين^(٣)، وَضُرِبَ بالسَّوْطِ ثمانين سَوْطًا، وانتَقَى هو بنفسه له سَوْطًا وَسَطًا، لا بالرَّقِيقِ ولا بالغليظ، وأمر برأس السَّوْطِ فطُرِقَ بِحَجَرٍ، ثم ضُرِبَ به مُجَرَّدًا من ثيابه، وأمر الجلّاد أن يُفَرِّقَ ضَرْبَهُ على الكتفينِ ولا يتعدّاهما، وأمر رجُلًا يَعُدُّ على الجلاد.

ورأيتُ يحيى بن الحسين، وقد أتى بأربعة رجالٍ ومَرَّتَيْنِ، فشَهِدَ قومٌ عليهم أن رجُلين من الأربعة سكرانان، فأمر بهما يُسْتَنكِهَانِ، فوجد منهما رايحة الخمرِ، فضربا ثمانين ثمانين، وشَهِدُوا على الرَّجُلَيْنِ الآخَرَيْنِ، وكانا من جُنْدِهِ وَأَصْحَابِهِ، أَنَّهُمَا وَجَدَاهُمَا يَتَحَدَّثَانِ مَعَ الْمَرَّتَيْنِ^(٤)، فأمر بهما فَضْرِبَا سَبْعِينَ سَبْعِينَ، أَقْلَ من الحدِّ، أَدَبًا لهما.

وأمر بالمَرَّتَيْنِ إلى النساءِ، يَنْظُرُنَ: هل بهما حَبْلٌ أم لا؟ فَوُجِدَتْ واحدةٌ منهما حُبْلَى، فَأَمَرَ بِحَبْسِهَا فِي بَيْتٍ وَحَدَّهَا إِلَى أَنْ تَضَعَ مَا فِي بَطْنِهَا، إِلَّا أَنْ يُوَجَدَ رَجُلَانِ يُوثَقُ بِهِمَا، فَيُضَمَّنَاهَا^(٥) إِلَى أَنْ تَضَعَ مَا فِي بَطْنِهَا، فَجَاءَتْ بِرَجُلَيْنِ فَضَمَّنَاهَا، وَأَمَرَ الْآخَرَى

(١) له: ليست في (الأصل ذ). وأثبتت من بقية النسخ.

(٢) اسْتَنَكَّهُ: سَمَّ رِيحَ فَمِهِ. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ١٢٥٥.

(٣) شَبَحَهُ بَيْنَ الْعُقَابَيْنِ: مَدَّهُ. وَالْعُقَابَانِ: عُودَانِ يُنْصَبَانِ مَعْرُورَيْنِ فِي الْأَرْضِ، يُمَدُّ بَيْنَهُمَا الْمَضْرُوبُ أَوْ الْمَضْلُوبُ. ينظر المطرزي: المغرب، ص ٢٤٣.

(٤) في (ب ذ): المرأتين. وكلتاها صحيح.

(٥) حُذِفَ النونُ عطفًا على (أن يوجد).

تَجَلَّسُ^(١) فِي زَنْبِيلٍ فِيهِ تَبْنٌ، فَضْرَبُ سِتِّينَ سَوْطًا، فَقَالَتْ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، لَا وَاللَّهِ، لَا وَاللَّهِ مَا وَجَدُونِي فِي رِيَّةٍ، فَقَالَ لِبَعْضِ خَدَمِهِ: قُلْ لَهَا: "لَوْ وَجَدُوكَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَحَقَّ عَلَيْكَ الْفِعَالُ، وَشَهِدُوا عَلَيْكَ، لَأَمَرْتُ لَكَ بِحُفْرَةٍ إِلَى ثَدْيَيْكَ، وَرَجَمْتُكَ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى تَمُوتَ"، ثُمَّ قَالَ لِبَعْضِ خَدَمِهِ مِنْ قَبْلِ ضَرْبِهَا: "سَلْهَا أَحْرَةً هِيَ أَمْ مَمْلُوكَةٌ"، فَسَأَلَهَا، فَقَالَتْ: أَنَا حُرَّةٌ، فَأَمَرَ بِهَا، فَضْرَبَتْ سِتِّينَ سَوْطًا أَدْبًا لَهَا.

قال علي بن محمد: حَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ سَلِيمَانَ الْكُوفِيُّ، قَالَ: أَتَيْتُ بَرَجِلٍ إِلَى يَحْيَى بْنِ الْحُسَيْنِ قَدْ شَرِبَ الْخَمْرَ، وَشَهِدَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ، وَكَانَ ضَعِيفًا فِي جِسْمِهِ، فَجَمَعَ لَهُ ثَلَاثَةَ أَسْوَاطٍ، فَضْرَبَهُ بِهَا جَمِيعًا، حَتَّى أَوْفَاهُ ثَمَانِينَ سَوْطًا.

وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي هِشَامٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ الْحُسَيْنِ، أَنَّهَا أَخَذَتْ مَرَّةً^(٢) شَرِبَتْ الْخَمْرَ، وَشَهِدَ عَلَيْهَا بِذَلِكَ شُهُودٌ، فَأَمَرَ بِهَا تَجْلُدُ الْحَدَّ، فَقَالَتْ: اعْفُ عَنِّي بِحَقِّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لَهَا يَحْيَى بْنُ الْحُسَيْنِ: "وَحَقُّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي / ٣٩ - ب / طَالِبٍ لَوْ كَانَ الْأَمْرُ لِي مَا ضَرَبْتُكَ، وَلَكِنَّهُ لِلَّهِ"، ثُمَّ قَالَ: "وَاللَّهِ لَوْ وَجَبَ الْحَدُّ عَلَى أَبِي لَأَخَذْتُهُ مِنْهُ". وَرَأَيْتُهُ يَوْمًا، وَقَدْ أَتَى بَرَجِلٍ قَدْ شَرِبَ الْخَمْرَ، وَشَهِدَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ، فَأَمَرَ بِهِ يُضْرَبُ، وَكَانَ ضَعِيفًا، فَأَمَرَ بِسَوْطَيْنِ يُجْمَعَانِ لَهُ فَجُمِعَا، وَضُرِبَ بِهِمَا مَعًا حَتَّى أَوْفَى الْحَدَّ ثَمَانِينَ.

وَسَمِعْتُهُ يَوْمًا، وَقَدْ ذَكَرَ أَخَذَ الْحَقَّ، فَقَالَ: "وَاللَّهِ - وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ - لَوْ أَنَّهُ جَدِّي الْقَاسِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، ثُمَّ وَجَبَ عَلَيْهِ ضَرْبُ الْعُنُقِ، مَا صَلَّيْتُ الظُّهْرَ أَوْ أَضْرَبَ عُنُقَهُ".

وَرَأَيْتُ يَحْيَى بْنَ الْحُسَيْنِ، وَقَدْ أَتَى بَرَجِلَيْنِ، وَجَدَ فِي مَنْزِلِهِمَا خَمْرًا، وَشَهِدَ عِنْدَهُ

(١) فِي (ص ز ط ب): وَأَمَرَ بِالْأُخْرَى تُجَلَّسُ.

(٢) فِي (ب): حَرَّة.

قَوْمٌ عَلَى ذَلِكَ، فَأَمَرَ بِضَرْبِهَا سِتِّينَ سِتِّينَ^(١)، فَضْرَبَا.

وَكُنْتُ عِنْدَهُ يَوْمًا جَالِسًا حَتَّى جَاءَهُ رَجُلٌ يَسْتَعِدِّي عَلَى غُلَامٍ لَهُ، يُقَالُ لَهُ: رِزْقٌ، فَقَالَ الرَّجُلُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، ضَرَبَنِي غُلَامِي، وَكَشَفَ ظَهْرَهُ فَإِذَا فِيهِ أَرْبَعُ^(٢) ضَرْبَاتٍ، فَقَالَ: أَحْضِرُوهُ، فَمَضَى جَمَاعَةً، فَأَتُوا بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ: "مَا حَمَلَكَ عَلَى ضَرْبِ هَذَا؟"، فَقَالَ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، أَخَذَ مِنِّي سَكِينًا لِي، وَطَلَبْتُهَا مِنْهُ فَلَمْ يَدْفَعْهَا إِلَيَّ، فَقَالَ: "فَلِمَ ضَرَبْتَهُ؟"، فَلَمْ يَزَلْ يُكَلِّمُهُ حَتَّى أَقَرَّ لَهُ، وَقَالَ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، قَدْ ضَرَبْتُهُ وَقَدْ أَخْطَأْتُ، فَأَمَرَ بِهِ فَضْرَبَ عَلَى ظَهْرِهِ أَرْبَعَ ضَرْبَاتٍ قِصَاصًا لَضَرْبِ الرَّجُلِ، وَضَرَبَهُ عَشْرِينَ عَصًا أَدْبًا لَهُ، فَقَالَ: "وَاللَّهِ لَوْ ضَرَبَهُ ابْنِي مُحَمَّدٌ أَوْ أَبِي لَا قُتِّصْتُ لَهُ مِنْهُ".

وَأَتَى يَحْيَى بْنَ الْحُسَيْنِ يَوْمًا بَرَجْلَيْنِ، فَشَهِدَ عَلَيْهِمَا أَنَّهَا شَرِبَا الْخَمْرَ، فَأَمَرَ بِهِمَا يُضْرَبَانِ، فَضْرَبَا، وَغَلِطَ^(٣) الْجَلَّادُ عَلَى وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِزِيَادَةِ سَوَاطِ، فَقَالَ لَهُ يَحْيَى بْنُ الْحُسَيْنِ: "لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَعَمَّدْتَ الزِّيَادَةَ لَضَرَبْتُكَ"، ثُمَّ أَمَرَ لِلْمَضْرُوبِ^(٤) بَعَشْرَةَ دَرَاهِمَ؛ لَزِيَادَةِ السَّوِطِ.

مَجْلِسُ يَحْيَى بْنِ الْحُسَيْنِ وَأَدَابِهِ

قَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ: سَأَلْتُ أَبِي مُحَمَّدَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ مَجْلِسِ يَحْيَى بْنِ الْحُسَيْنِ، فَقَالَ: رَأَيْتُ يَحْيَى بْنَ الْحُسَيْنِ فِي مَجْلِسِهِ يَتَأَدَّبُ بِآدَابِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِهِ-، وَإِنَّمَا عَلِمْتُ ذَلِكَ؛ لِأَنِّي كَتَبْتُ آدَابَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِهِ-

(١) ستين (الثانية): سقطت من (ص ز ط ب).

(٢) أربع: سقطت من (الأصل ذ). وأثبتت من بقية النسخ.

(٣) في (الأصل ص ذ): وأغلظ. ولعل الأوفق للسياق ما أثبت من (ز ط ب).

(٤) في (ز ط ب): للمجلود.

-، فرأيت يحيى بن الحسين متبّعاً لذلك، مُتأدّباً به في مجلسه؛ وذلك أن مجلسه كان مجلس سكينه، ووقار، ومواعظ، وحُزْنٍ، واستغفارٍ، ومناظرة في العلم، لا لغو في مجلسه، ولا منازعة برفث، ولا قول كذب؛ لأنه كان يَسْتَقْصِي الكلام من المتكلم حتى يَتَبَيَّن صدقه.

وكان يُدني في مجلسه / ٤٠-أ/ الضَّعِيفَ، والفَقِيرَ، والصَّيِّ، ويأمرُ بذلك، وبالتعطف عليهم، ولقد رأيته في مجلسه أُتِيَ بصبي صغير، فأذني منه، حتى^(١) أَجْلَسَهُ بين يديه قَرِيباً منه، وجَعَلَ يَمْسَحُ رأسه، ثم أَمَرَ له بشيء.

وكان يحيى بن الحسين يَنْطِقُ بالكلام مع جُلَسَائِهِ، وَيَضْحَكُ معهم، وَيُنَاطِرُهُمْ في جميع العلم حتى يَفْقَهُوا ذلك، فَإِنْ كَانَ معهم الجوابُ وَإِلَّا عَرَفَهُمْ بِهِ.

وَرَأَيْتُهُ فِي مجلسه يُكْرِمُ كَرِيمَ كُلِّ قَوْمٍ، وَيَعْرِفُ لَهُ قَدْرَهُ، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله- أنه كَانَ يُنْبِلُ نَبِيلَ كُلِّ قَوْمٍ وَيَرْفَعُهُ^(٢).

وَرَأَيْتُهُ فِي مجلسه حَلِيمًا، وَقَوْرًا، سَكِينًا، لَا يَغْضَبُ مِنَ الكلام إِذَا كَثُرَ عَلَيْهِ، وَلَا يَضْجَرُ مِنَ المسائل إِذَا وَرَدَتْ إِلَيْهِ، بَلْ يَرُدُّ جَوَابَ كُلِّ سَائِلٍ بِسُكُونٍ، وَحِلْمٍ، وَعِلْمٍ.

وَرَأَيْتُهُ فِي مجلسه والقريبُ والبعيدُ، والصديقُ والعَدُوُّ، عنده في الحق سَوَاءٌ، لَا يَمِيلُ مع أَحَدٍ بهوىٍّ فِي حُكْمٍ، وَلَا يَتَصَنَّعُ لِأَحَدٍ فِي عِلْمٍ.

وَرَأَيْتُهُ فِي مجلسه يسأله السائلون عن فُنُونِ الْعِلْمِ، فَيَرُدُّ عَلَيْهِمْ بِأَرْفَقِ^(٣) الكلام، وَلَا يَنْتَهِرُ أَحَدًا مِنْهُمْ، وَلَا يَرْفَعُ عَلَيْهِ صَوْتَهُ، وَلَا يُغْلِظُ عَلَيْهِ، بَلْ يُعِيدُ عَلَيْهِ

(١) في (ص ز ط ب): فأدناه حتى.

(٢) الطبراني: المعجم الكبير، ج ٢٢، ص ١٥٧، رقم ٤١٤، بلفظ: "فيكرم كريم كل قوم ..."، من حديث طويل.

(٣) في (ص): بأرق.

الجواب، ويُردِّدُهُ، ويُفَهِّمُهُ إياه، لا يَتَجَبَّرُ، ولا يَتَكَبَّرُ عليه.

ورَأَيْتُهُ في مَجْلِسِهِ يُدِيرُ بَصَرَهُ بين جُلُوسَائِهِ يَمَنَةً وَيَسْرَةً حتَّى يَفْهَمَ كُلُّ مَنْ حَضَرَ الْمَجْلِسَ ما يَقُولُ، لا يُخْصُّ أَحَدًا بِجَمِيعِ كَلَامِهِ، صائِنًا لِنَفْسِهِ في مَجْلِسِهِ، قَلِيلَ الْحَرَكَةِ، لا يَتَكِي بين جُلُوسَائِهِ، ولا يَسْتَخِفُّ بَيْنَهُمْ، حَسَنَ الصَّمْتِ إِذَا صَمَتَ، يَنْ الْكَلَامَ إِذَا نَطَقَ، لا مِهْذَارًا في الْكَلَامِ، ولا عِيًّا في الْجَوَابِ، ولا سَكُوتًا عما يُحْتَاجُ إِلَيْهِ، إِنْ تَكَلَّمَ تَكَلَّمَ بَيَانٍ، وَإِنْ سَكَتَ فَبِحِفْظِ لِسَانٍ، لا يَقُومُ عَنْ جُلُوسَائِهِ حتَّى يَقُومُوا، ولو عَرَضَتْ لَهُ حَاجَةٌ صَبَرَ مَعَهُمْ حتَّى يَنْصَرِفُوا، فَعَلِمْتُ بِذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا لَمْ يَبْقَ في مَجْلِسِهِ أَحَدٌ قَامَ لِقَضَاءِ حَاجَتِهِ، فَكُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ يَحْتَاجُ لِلْقِيَامِ قَبْلَ ذَلِكَ، فَيَمْنَعُهُ مِنْ ذَلِكَ الْكَرْمُ وَالْأَدَبُ، وكذلك جَاءَ الْأَثَرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِهِ- أَنَّهُ كَانَ لَا يَقُومُ عَنْ جُلُوسَائِهِ حتَّى يَتَفَرَّقُوا^(١).

ورَأَيْتُهُ في مَجْلِسِهِ كَثِيرَ الْفِكْرِ في صَلَاحِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، مُظْهِرًا لِلشَّفَقَةِ عَلَيْهِمْ، وَالرَّحْمَةِ لَهُمْ.

ورَأَيْتُهُ في مَجْلِسِهِ كَثِيرَ الْمَوَاعِظِ لِلخَلْقِ يَأْمُرُهُمْ بِالطَّاعَةِ لِلَّهِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، يُنَاطِرُ مَنْ نَاطَرَهُ / ٤٠ - ب / مِنْهُمْ بِالنَّصْفَةِ، لَا يُحْطِي أَحَدًا في جَوَابِ، بَلْ يَرْفُقُ بِمَنْ يُنَاطِرُهُ، وَيُفَهِّمُهُ وَيُلْقِنُهُ حُجَّتَهُ، وَيَقُولُ لَهُ: "انْظُرْ وَتَبَّتْ"، حتَّى يُثَبِّتَ هُوَ^(٢) لِمَنْ يُنَاطِرُهُ حُجَّتَهُ، شَفِيقًا عَلَى الْخَلْقِ، رَفِيقًا بِهِمْ، يُحْثُّهُمْ عَلَى طَلَبِ الْخَيْرِ وَالتَّقَى، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ جَمِيعِ الْمَعَاصِي وَالرَّدَى.

ورَأَيْتُهُ في مَجْلِسِهِ يَسْتَمِعُ وَيُقْبِلُ عَلَى مَنْ كَلَّمَهُ حتَّى يَنْقِصِي كَلَامُهُ، لَا يَقْطَعُ عَلَيْهِ

(١) الطبراني: المعجم الكبير، ج ٢٢، ص ١٥٨، رقم ٤١٤، بلفظ: "من جالسه أو قاومه في حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف...".

(٢) هو: ليست في (الأصل ذ). وأثبتت من بقية النسخ.

ما يَقُولُ، ثم يُرَدُّ عليه بلا فظاظَةٍ، ولا غِلْظَةٍ، ولا ضَجَرٍ.

وَرَأَيْتُهُ فِي مَجْلِسِهِ يُوصِي النَّاسَ بِالرَّاحِمِ، وَالتَّوَّاضِلِ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْبَغْيِ، وَالتَّحَاسُدِ، وَالتَّقَاطُعِ.

وَرَأَيْتُهُ يَتَفَقَّدُ أَحْوَالَ النَّاسِ، وَيَسْأَلُهُمْ عَنْ أُمُورِهِمْ وَمَعَايِشِهِمْ، وَيُؤَدِّبُهُمْ بِالْآدَابِ الَّتِي تَزِينُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ، وَتُقَرِّبُهُمْ إِلَى خَالِقِهِمْ.

وَسَمِعْتُهُ يَعِظُ النَّاسَ بِمَوَاعِظَ لَمْ أَحْفَظْهَا كُلَّهَا، غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ كَانَ فِيهَا يَعِظُ بِهِ النَّاسَ يَقُولُ: "اتَّقُوا اللَّهَ فِي سِرِّكُمْ وَعَلَانِيَتِكُمْ، وَعَامِلُوا اللَّهَ، وَإِذَا فَعَلْتُمْ شَيْئًا فَاجْعَلُوهُ لِلَّهِ خَالصًا، إِنْ أَصْلَحْتُمْ سِلَاحًا فَتَكُونُ نِيَّتُكُمْ أَنَّهُ لِلَّهِ، وَإِنْ عَلَفْتُمْ دَابَّةً فَقَدِّمُوا النِّيَّةَ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ لِلَّهِ، وَإِنْ مَشَى أَحَدُكُمْ فِي جِهَةٍ مِنَ الْجِهَاتِ فَقَدِّمُوا النِّيَّةَ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ لِلَّهِ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ فِي جَمِيعِ مَا فَعَلْتُمْ مِنْ جَمِيعِ الْأُمُورِ فِي صِلَاحِ الْإِسْلَامِ".

ثم قال: "وعليكم بتأديبِ أَنْفُسِكُمْ، فَلَوْ وَعَظْتُمْ ثَلَاثَ سِنِينَ، ثُمَّ فَارَقْتُمْ سَاعَةً لَنَسِيتُمْ مَا وَعَظْتُمْ بِهِ، إِذَا لَمْ تُنَاطِرُوا أَنْفُسَكُمْ فِي خَلَوَاتِكُمْ، فَعَلَيْكُمْ بِجِهَادِ أَنْفُسِكُمْ فِي الْخَلَوَاتِ.

وعليكم بِتَرْكِ الْغَضَبِ حَتَّى تُذِلُّوا أَنْفُسَكُمْ لِلَّهِ، وَإِنَّمَا أَقُولُ لَكُمْ هَذَا؛ لِأَنِّي أُمْسَيْتُ مُؤْتَمِّنًا عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ، ففِكْرِي فِي صِلَاحِهَا، وَمِنْ أَيْنَ تَصْلُحُ، وَاللَّهِ لَقَدْ رَكِبْتُ أَعْوَدَ مَرِيضًا بِقَمِيصٍ وَإِزَارٍ، فَلَمَّا ظَهَرْتُ مِنَ الْمَنْزِلِ اسْتَغْفَرْتُ اللَّهَ إِذْ رَكِبْتُ بِقَمِيصٍ وَإِزَارٍ، لِأَنِّي أَفْكَرْتُ^(١) فَقُلْتُ: لَوْ رَأَى أَحَدٌ مِنْ هَؤُلَاءِ الْجَبَابِرَةِ، أَوْ مِنَ النَّاسِ مِمَّنْ لَا عَقْلَ لَهُ وَلَا تَمْيِيزَ، وَأَنَا كَذَلِكَ، لَنَظَرَ إِلَيَّ بَعَيْنَ الْقِلَّةِ وَالْمَهَانَةِ، وَهَذَا فَسَادٌ فِي الْإِسْلَامِ، فَاسْتَغْفَرْتُ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْهَيْبَةَ صِلَاحُ الْإِسْلَامِ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

(١) فِي (ص): فَكَّرْتُ. وَفِي (ب): افْتَكَّرْتُ. وَأَفْكَرَ فِي الشَّيْءِ وَفَكَّرَ فِيهِ، وَتَفَكَّرَ، كُلُّهَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ.

الرَّازِي: مَخْتَارُ الصَّحَاحِ، ص ٢٤٢.

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾^(١)، فَأَخِيفُوا أَعْدَاءَ اللَّهِ بِمَا أَمَكَّنْكُمْ، واجْعَلُوا لِلَّهِ ذَلِكَ خَالِصًا".

/ ٤١-أ/ وَرَأَيْتُهُ لَيْلَةً وَقَدْ جَلَسَ فِي السَّحَرِ يَكْتُبُ كِتَابًا، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ لِي: "يا با^(٢) جعفر أترى الظَّلَمَةَ يُفَكِّرونَ فِي هَذَا الْوَقْتِ فِي صَلَاحِ النَّاسِ؟!".

وقال لي يحيى بن الحسين: "يا أبا^(٣) جعفر ما يَعْرِفُ حَقَّ مَا نَحْنُ فِيهِ كُلُّ النَّاسِ، فَيُدْخِلُنِي إِذَا ذَكَرْتُ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ الْمَحَنَةِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْمِحْنَةَ تَقَعُ بِنَا فِي مَوَاضِعَ، عِنْدَ ضَرْبِ السَّيْفِ، وَعِنْدَ التَّسْوِيَةِ بَيْنَ النَّاسِ، وَعِنْدَ الْعَدْلِ، وَفِي مَوَاضِعَ شَتَّى، فَأَسْأَلُ اللَّهَ الْخَلَاصَ".

قال عليُّ بن محمد: فَلَمَّا وَصَلْتُ الْبَلَدَ سَأَلْتُ أَبِي مُحَمَّدَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنْ جَمِيعِ مَا قَدَّمْنَا فِي كِتَابِنَا هَذَا مِنْ أَخْبَارِ يَحْيَى بْنِ الْحُسَيْنِ، وَسَأَلْتُ غَيْرَهُ مِمَّنْ ذَكَرْنَا اسْمَهُ.

خَبَرُ أَهْلِ الْأَعْصُومِ^(٤)

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلِيمَانَ، قَالَ: أَقَامَ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ بِخِيَوَانٍ، حَتَّى إِذَا مَضَتْ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى أَيَّامٌ بَلَغَهُ أَنَّ قَوْمًا فِي بَلَدٍ يُقَالُ لَهُ الْأَعْصُومُ، عَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ أَوْ

(١) الأنفال: ٦٠.

(٢) كذا في الأصل والنسخ بالتخلص من همزة (أبا).

(٣) في (ص ط): يا با جعفر. بالتخلص من الهمزة.

(٤) الأعصوم: هناك عصمان ولعلها قريبٌ من مدينة خمر، وكان ساكنُها من خاراف كما يذكر الهمداني، ولعلها هي المقصودة هنا، بدليل استدعاء الهادي لأهلها إلى شيع القبيلة من خمر كما سيأتي. وهناك وادي عصمان في أسفل جَبَلِ الشُّودَةِ مِنَ الشَّامِ الْغَرْبِيِّ. وهناك الْعُصَيَاتِ، وَهِيَ وَلَدُ عَصَمِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَسْنَى بْنِ عَذَرَ بْنِ سَعْدِ بْنِ دَافِعِ بْنِ مَالِكِ بْنِ جِشَمِ بْنِ حَاشِدٍ، وَهِيَ الْيَوْمَ قَبِيلَةٌ كَبِيرَةٌ فِي حَاشِدٍ، تَنْتَشِرُ فِي مَدِيرِيَّاتِ صُؤَيْرٍ وَكُحْرٍ وَحُوثٍ وَالْعَشَّةِ. الهمداني: الإكليل، ج ١٠، ص ٦٢؛ وصفة جزيرة العرب، ص ١٢٨، ٢٢٩؛ والمقحفني: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ٢، ص ١٢٧٠، ١٢٧١.

أرجح من خيوان، يأتيهم الضيف فيكرمه صاحب المنزل، ثم يأتيه بابتته، أو بأخته قد زينها، فتكون معه نهارها وليلها، حتى يذكر أنه يمس بطنها وجسمها، ويلمس موضع العورة منها، وأبوها ينظر، وأمها^(١)، ولم يذكر أنه يكون بينهما فجور، ولكن صفات قبيحة، لا يرون فيها عليهم حرجاً، بل يرون ذلك حلالاً، فسمعت الهادي إلى الحق يقول: "ينبغي أن نجاهد هؤلاء القوم"^(٢)، ونبدأ بهم قبل جهاد الروم".

مسير الهادي إلى الحق إلى بيت يشيع^(٣)

فلما كان يوم السبت لأيام ماضية من شهر جمادى الأولى من سنة ست وثمانين وميتين خرج حتى نزل أثافت، وبات بها، ثم غدا يريد بيت يشيع؛ وذلك أن وجوه البلد كانوا كاتبوه، وأظهروا محبته، وكان البلد في يد الدعام، فلما قرب الهادي من البلد خرج إليه أهله، فدخل البلد وهم معه، وبايعوه، وسمعوا له وأطاعوه.

وبعث الهادي إلى الأعصوم، فوصل به رجالهم ومشايخهم، فوعظهم مواظاً حسنة جميلة، وذكرهم بالله وبأيامه، ثم قال لهم: "اسمعوا مني، إن هذا الذي يذكر عنكم ليس من فعال^(٤) أهل الإسلام، ولا من شرايع دين محمد - ﷺ -، والله محمود لئن بلغني بعد يومي هذا أنكم تفعلون شيئاً من ذلك لأقصدنكم بالخيال والرجال،

(١) في (ص): وأبوها وأمها ينظران.

(٢) القوم: ليست في (ص ز ط ب).

(٣) في الأصل والنسخ: يشيع. والأصح ما أثبت، وهي (أي يشيع) قرية كبيرة في الشمال الغربي من مدينة (ريدة)، تتبع اليوم إدارياً عزلة الظاهر، مديرية خمر، وهي مبنية على أطلال المدينة الأثرية القديمة ذات الاسم نفسه. المتحف، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ج ٢، ص ١٩١٢؛ والجهاز المركزي للإحصاء: التعداد العام ٢٠٠٤م، محافظة عمران، ص ٢٠٥.

(٤) في (ص ز ط ب): أفعال.

وَلَا تُنْفِقَنَّ فِي حَرْبِكُمُ الْأَمْوَالَ، حَتَّى أُبَيِّدَكُمُ / ٤١ - ب / يَا مَعْاشِرَ الْجُثَّهَالِ، فَاتَّقُوا اللَّهَ
تَعَالَى فِي أَنْفُسِكُمْ، وَصُونُوا حُرْمَتَكُمْ، وَاتَّخِذُوا هُتْنَ الْبَرَاقِعِ يَسْتُرْنَ بِهَا وُجُوهَهُنَّ، وَلَا
يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ، وَالزُّمُوهْنَ مَا هُوَ أَوْلَى بِهِنَّ^(١). ثُمَّ قَالَ أَيْضًا لِأَهْلِ الْبَلَدِ: "قَدْ بَلَغَنِي
أَنَّ نِسَاءَ الْبَوَادِي يَدْخُلْنَ الْأَسْوَاقَ مُكَشِّفَاتِ الْوُجُوهِ، فَخُذُوا النِّسَاءَ بِاتِّخَاذِ الْبَرَاقِعِ،
وَلَا يَتَبَرَّجْنَ، وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ".

فَقَالَ أَهْلُ الْأَعْصُومِ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، يُكَذِّبُ عَلَيْنَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ،
وَنَحْنُ نَتُوبُ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَنُبَايِعُكَ، فَبَايَعُوهُ وَاسْتَخْلَفَهُمْ، وَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْعُهُودَ،
وَزَادَ فِي الْيَمِينِ: "وَلَا يَتَبَرَّجْنَ نِسَاؤُكُمْ، وَلَتَمْنَعُونَهُنَّ عَنْ مُحَادَثَةِ الرِّجَالِ الَّذِينَ
لَيْسُوا هُتْنَ بِمَحْرَمٍ، وَلَتَأْخُذُونَهُنَّ بِلِبْسِ الْبَرَاقِعِ"، فَحَلَفُوا لَهُ عَلَى ذَلِكَ.
وَخَرَجَ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ مِنْ بَيْتِ يَشِيعَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِأَيَّامٍ بَاقِيَةٍ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى،
فَوَصَلَ يَوْمَهُ إِلَى أَثَافِتَ، ثُمَّ وَجَّهَ إِلَى أَهْلِ السَّبِيعِ وَخَرْفَانَ، وَكَانَتْ مَعَهُ بَنُو رَبِيعَةَ.

**خَبَرُ مَا أَجْرَاهُ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ مِنَ الصُّلْحِ بَيْنَ بَنِي رَبِيعَةَ وَأَهْلِ
خَرْفَانَ وَالسَّبِيعِ فِي الْقَتْلِ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ**

وَكَانَتْ بَنُو رَبِيعَةَ تَدْعِي عَلَى أَهْلِ السَّبِيعِ وَخَرْفَانَ دَعْوَى فِي نَفْسٍ لَهُمْ عِنْدَهُمْ،
فَحَضَرَ إِلَيْهِ أَهْلُ السَّبِيعِ وَخَرْفَانَ، وَجَمَعَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بَنِي رَبِيعَةَ، وَأَصْلَحَ ذَاتَ
بَيْنَهُمْ، وَقَطَعَ أَمْرَهُمْ عَلَى تِسْعِ مِائَةِ دِينَارٍ، وَاخْتَلَطُوا. ثُمَّ غَدَا يَوْمَ السَّبْتِ مِنْ
أَثَافِتَ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا حُسَيْنَ بْنَ الْحَسَنِ الْعُلُوِيَّ، فَوَصَلَ إِلَى خِيَوَانَ مِنْ يَوْمِهِ،
فَأَقَامَ بِهَا.

(١) فِي (ص): لِهْن.

[سَعْيُ ابْنِ بَسْطَامٍ لِإِحْدَاثِ فِتْنَةٍ فِي نَجْرَانَ]

حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْأَحَدِ لِعَشْرَةِ أَيَّامٍ خَلَوْنَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ وَصَلَتْ بِهِ كُتُبُ
مَنْ أَبِي الْحُسَيْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعَبَّاسِيِّ وَإِلَيْهِ بَنْجَرَانُ، يَذْكُرُ فِيهِ أَنَّ ابْنَ بَسْطَامٍ^(١)
قَامَ فِي الْفَسَادِ عَلَى الْإِمَامِ، وَجَعَلَ لِلْيَامِينِ فِي ذَلِكَ مَالًا؛ لَتَعُودَ الْفِتْنَةُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ
بَنِي الْحَارِثِ، وَكَانَ مِمَّنْ شَايَعَهُ فِي ذَلِكَ مَرْزُوقُ بْنُ مُحَمَّدٍ^(٢)، وَأَبُو الْوَجِيهِ بَن
مُوسَى^(٣)، وَنُحَيْلُ بْنُ مُهَاجِرٍ^(٤) الْخَثِيمِيُّونَ^(٥)، وَوَقَعَتِ الْفِتْنَةُ فِي الْبَلَدِ وَالْفَسَادُ.

فَلَمَّا وَصَلَ الْكِتَابُ إِلَى الْهَادِي كَتَبَ إِلَى دُعَامٍ يَلْقَاهُ فِي بَلَدِ بَنِي سَلْمَانَ؛ وَذَلِكَ
أَنَّ بَنِي سَلْمَانَ لَمْ يَكُونُوا سَمِعُوا لِلْهَادِي، وَكَانُوا لَهُ خَائِفِينَ، وَمِنْهُ وَجَلِينَ؛ لِمَا
تَقَدَّمَ مِنْ فِعْلِهِمْ فِي أَثَافَتِ أَبِي عَمْرٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ-، فَخَرَجَ الدُّعَامُ مِنْ غُرْقٍ، وَخَرَجَ
الْهَادِي مِنْ خِيَوَانٍ.

(١) عبدالله بن بسطام الربيعي، الحارثي، رئيس بني ربيعة، كان شخصية غريبة الأطوار، وكان
يَتَحَصَّنُ فِي مِينَاسَ، وَقُتِلَ عَلَى يَدِ الْيَامِينِ وَالْأَحْلَافِ فِي عَامِ ٢٩٥ هـ، وَأَخْبَارُهُ كَثِيرَةٌ. يَنْظُرُ
الْعُلُوي: السيرة، ل٤٩/أ، ٥٠/أ، ٥٣/أ، ٥٤/ب، ٥٧/ب، ٥٨/أ-ب، ٦٤/ب، ٦٥/أ،
٧٩/أ، ١٢١/أ، ١٢٤/أ، ١٢٥/أ-ب.

(٢) مرزوق بن محمد: الخثيمي، المري، الحارثي، رفض الهروب لاحقاً من سجن الهادي خفية،
واعتبره فضيحة. العلوي: السيرة، ل٤٤/أ، ٥٦/أ، ١١٥/أ.

(٣) أبو الوجيه: من رجال بني الحارث، وصناديدهم، ورؤسائهم، قتله الهادي في إحدى معاركه
ببنجران عام ٢٨٦ هـ. العلوي: السيرة، ل٤٤/أ، ٥٦/أ، ٥٧/أ.

(٤) نحيل بن مهاجر: حبسه الهادي، ثم فر من السجن. العلوي: السيرة، ل٤٤/أ.

(٥) الخثيميون: ترد هذه النسبة في الأصل والنسخ مضطربة، فمرة (خثيميون، خثيمة)، وأخرى
(خثميون، خيثمة)، وبعد مقارئة وتأمل لورودها في الشعر حيث ينضبط الوزن، وتتبع لما اشتهر
في أوساط العرب من أسماء، يترجح أن الأصح: (خَيْثَمِيُّونَ، وَخَيْثَمَةٌ)، وسيتم اعتماد ذلك لاحقاً
بدون تنبيه، اكتفاءً بهذا، وهم بطن من بني الحارث بن كعب، منهم الحارث بن حميد، زعيم
معارض الهادي في بنجران، وأشدّهم عليه. العلوي: السيرة، ل٧٩/أ، ١٠١/ب، ١١٥/أ.

إِقَامَةُ أَبِي الْقَاسِمِ بَخِيَوَانٍ

/ ٤٢-أ/ وخَلَفَ ابْنَهُ أَبَا الْقَاسِمِ فِي خِيَوَانٍ، فَالْتَقِيََا فِي مَوْضِعٍ، يُقَالُ لَهُ عِيَان^(١)، وَهُوَ^(٢) بَلَدٌ لِبَنِي سَلْمَانَ، وَلَقِيَهُ الدُّعَامُ وَمَعَهُ بَنُو سَلْمَانَ، وَطَلَبَ لَهُمْ مِنَ الْهَادِي الْأَمَانِ، فَأَمَنَهُمُ الْهَادِي، وَحَلَفُوا لَهُ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ.

وَمَضَى الْهَادِي مُتَوَجِّهًا إِلَى نَجْرَانَ، وَمَعَهُ الدُّعَامُ، حَتَّى نَزَلَا بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ الْعَمَشِيَّةُ^(٣)، فَبَاتُوا لَيْلَتَهُمْ، ثُمَّ سَارُوا فِي الصُّلْحِ بَيْنَ السَّلْمَانِيِّينَ وَالْخَوْلَانِيِّينَ؛ وَذَلِكَ أَنَّ بَنِي سَلْمَانَ قَتَلُوا رَجُلَيْنِ مِنْ خَوْلَانَ، فَسَأَلَ الْهَادِي الدُّعَامَ أَنْ يُلْقَاهُ بِجَمَاعَةِ بَنِي سَلْمَانَ.

ثُمَّ غَدَا الْهَادِي مِنَ الْعَمَشِيَّةِ حَتَّى نَزَلَ بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ أَسَل^(٤) مِنْ بَلَدِ خَوْلَانَ.

(١) عيان: قرية كبيرة تقع اليوم في عزلة وادي عيان، مديرية حرف سفيان، إلى الشمال من مدينة الحرف على يمين المسافر إلى صعدة. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٦١، ٢١٨؛ والجهاز المركزي للإحصاء: التعداد العام ٢٠٠٤م، محافظة عمران، ص ٦.

(٢) في (الأصل ص ذ): وهي. والأوفق ما أثبت من النسخ الأخرى.

(٣) العمشية: وصفها الهمداني بـ "بلاد فضاء" لسفيان بن أرحب، في حدود خولان صعدة، وهي اليوم عزلة في مديرية حرف سفيان، تقع على سهل صخري يمتد نحو ٦٠ كم من الشمال إلى الجنوب. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٦١، ٢١٨، ٣٦٥؛ والمقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ٢، ص ١٣١٧.

(٤) وقد تكتب: (أسيل) كما سيأتي. وهي واد وقرية من عزلة شرمات، جنوب مديرية الصفراء، أعمال صعدة، فيه قرى وزروع وأعناب، كان يسكنها "من خولان بنو حمرة، والحناجر من همدان". الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٣٦٦؛ والمقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، ج ١، ص ٦٤؛ والجهاز المركزي للإحصاء: التعداد العام ٢٠٠٤م، محافظة صعدة، ص ٢١٤.

خَبَرُ لِقَاءِ الْهَادِي - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لِلدُّعَامِ إِلَى مَذَابٍ^(١) وَإِصْلَاحِهِ بَيْنَ خَوْلَانَ وَبَنِي سَلْمَانَ

قال عليُّ بن محمد: فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ مِنْ مَقْدَمِ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ إِلَى أَسْلَ أَمَرَ أَبِي مُحَمَّدَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ الصَّارِخَ فِي خَوْلَانَ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِنْهَا عَسْكَرٌ كَبِيرٌ^(٢)، فَسَرْنَا فِيهِ حَتَّى لَقِينَا الْهَادِيَّ إِلَى أَسْلَ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ ضَرَبَ بِهَا مَضَارِبَهُ، فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ، وَأَمَرَنَا بِالنُّزُولِ، وَأَمَرَ خَوْلَانَ بِالنُّزُولِ، فَأَقَامُوا يَوْمَهُمْ ذَلِكَ.

فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلِ أَرْسَلَ إِلَى أَوْلِيَاءِ الْمَقْتُولَيْنِ، وَكَانَ أَحَدُهُمَا الْحُسَيْنَ بْنَ أَبِي الْعَبَّاسِ، وَكَانَ أَبُوهُ^(٣) مِنْ سَادَاتِ خَوْلَانَ وَكِبَارِهَا، وَأَهْلُ الرِّيَاسَةِ مِنْهَا، وَكَانَ الْآخَرُ يُقَالُ لَهُ: عَلِيُّ بْنُ سَيْفٍ مِنْ يَرْسَمٍ، وَعَشِيرَتُهُ^(٤) مِنْ وَجُوهِ النَّاسِ، فَقَالَ الْهَادِي لِلْفُطَيْمِيِّينَ وَالْيَرْسُمِيِّينَ: "مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا الْأَمْرِ؟ قَدْ وَاْعَدْنَا دُعَامًا يَلْقَانَا بَيْنِي سَلْمَانَ، فَأَشِيرُوا مَا تَرَوْنَ أَنْ نَلْقَاهُ بِهِ؟"، فَقَالُوا جَمِيعًا: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ دِمَاؤُنَا وَأَمْوَالُنَا لَكَ، وَقَدْ فَوَّضَكَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا، وَوَهَبَهَا لَكَ، فَشَكَرَهُمْ عَلَى ذَلِكَ.

فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدًا فِي لِقَاءِ الدُّعَامِ؛ قَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ: لَمَّا غَدَا الْهَادِي فِي لِقَاءِ دُعَامٍ أَمَرَ أَبِي مُحَمَّدَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ أَنْ يُوقِفَ خَوْلَانَ فِي نَقِيلِ الْعَجَلَةِ^(٥)، وَهُوَ مُشْرِفٌ عَلَى

(١) مَذَاب: وادٍ شهير في جنوب مديرية الصفراء، صعدة، وشمال مديرية حرفة سفيان، عمران، وهو اليوم يشكل إداريا عزلة جنوب مديرية الصفراء. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٦١، ٢٨٠؛ والمقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ٣، ص ١٨٢٨ - ١٨٢٩.

(٢) في (ص ب): كثير.

(٣) لعله أبو العباس العشي، الشاعر، وزعيم الفطيميين، ولعله والد زيد بن أبي العباس والي الهادي على سمح في آنس، ذمار. ينظر الهمداني: الإكليل، ج ١، ص ٢٨٦.

(٤) في (الأصل ذ): وكان عشيرته. ولعل ما أُثبت أولى.

(٥) كذا، ولعلها: العقلة. وهي التي سماها الهمداني: "عقلة خطارير"، وذكر أن بجوارها "الأعين

المكان^(١) الذي يلقى فيه دُعَامًا، وحاذَرَ أَنْ تَلْتَقِيَ خَوْلَانُ وَهَمْدَانُ، فتقعَ بينهم فتنة. فأخذَ من وُجُوهِ خَوْلَانِ جماعةً مع أولياءِ المَقْتُولَيْنِ، وسَارَ بِهِمْ فِي لِقَاءِ دُعَامٍ، وكان ذلك اليومَ يومًا حارًّا كثيرَ السَّمُومِ، فسار الهادي في مَنْ مَعَهُ حتَّى لَقِيَ دُعَامًا في موضعٍ يقال له مَذَابٌ، وهو موضعُ بَرِيَّةٍ مِنَ الْأَرْضِ، لَا ظِلَّالَ فِيهِ وَلَا شَجَرَ، فَرَأَيْتُ أَنَا وَأَبِي ذَلِكَ الْيَوْمَ آيَةً مِنْ آيَاتِ اللَّهِ اخْتَصَّ بِهَا ابْنُ نَبِيِّهِ - ﷺ -، فَرَأَيْنَا / ٤٢ - ب / سَحَابَةً قَدْ أَتَشَّاهَا اللَّهُ كَمَا شَاءَ، حَتَّى رَكَدَتْ فَوْقَ رَأْسِ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ وَجَمِيعِ أَصْحَابِهِ، وَأَظْلَمَهُمُ اللَّهُ بِهَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْحَرِّ، فَوَاللَّهِ مَا زَالَتْ تِلْكَ السَّحَابَةُ مُظْلِلَةً لَهُ حَتَّى رَاحَ، وَكَانَتْ السَّمَاءُ مُصْحِيَّةً، مَا فِيهَا سَحَابَةٌ غَيْرُهَا، وَإِنَّ النَّاسَ لَيَتَعَجَّبُونَ مِمَّا رَأَوْا مِنْ عَظِيمِ الْآيَاتِ، وَالِدَّلَائِلِ الْمُعْجَزَاتِ، الَّتِي اخْتَصَّ اللَّهُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، الَّذِينَ جَعَلَهُمُ اللَّهُ خُلَفَاءَهُ^(٢) عَلَى الْعَالَمِينَ.

وَأَصْلَحَ يَحْيَى بْنُ الْحُسَيْنِ بَيْنَ الْخَوْلَانِيِّينَ وَالْهَمْدَانِيِّينَ. ثُمَّ مَضَى إِلَى صَعْدَةٍ، وَوَجَّهَ الدُّعَامَ مَعَهُ ابْنَهُ مُحَمَّدًا^(٣) فِي سِتَّةٍ وَعَشْرِينَ فَارِسًا، وَانْصَرَفَ الدُّعَامُ إِلَى بَلَدِهِ.

عين ماء وعقبة"، وأنها "آخر بلد همدان وحدّ بلد خولان"، وهي اليوم إداريا من عزلة شرمات، جنوبي مديرية الصفراء، في منطقة آل عمار. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٦١، ٣٦٦؛ والجهاز المركزي للإحصاء: التعداد العام ٢٠٠٤م، محافظة صعدة، ص ٢١٤.

(١) في (ص ز ط ب): الموضع.

(٢) في (الأصل ص ز ط ب): خلفاه. بحذف الهمزة. وما أُثْبِتَ فَمِنْ (ذ).

(٣) محمد بن الدعام: كان يعتقِدُ فَضْلَ الإمام الهادي، وقاتل معه في شبام ضد اليُفْعِرِيِّينَ وَبَنِي طَرِيفٍ، ثُمَّ قَتَلَهُ ابْنُ عَمِّهِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِبْرَاهِيمٍ بِغَرَقٍ سَنَةَ ٣٠٠هـ. العلوي: السيرة، ل ٤٦ / ب،

٧٥ / ب، ١٤١ / ب؛ والهمداني: الإكليل، ج ١٠، ص ١٣٤.

خَبَرُ مَصِيرِ ابْنِ بَسْطَامٍ إِلَى دُعَامٍ

وقد كان هَرَبَ ابْنُ بَسْطَامٍ عندما صَحَّ له خُرُوجُ الهادي من خيوان يريدُ نَجْرَانَ، فصار إلى دُعَامٍ، وَطَلَبَ منه أَنْ يَطْلُبَ الْأَمَانَ له من الهادي، فَلَقِيَ به دُعَامٌ، وَحَمَلَ نَفْسَهُ على الإمام، وطلب منه الْأَمَانَ لابنِ بَسْطَامٍ، فَأَمَنَهُ الهادي إلى الحق، وَصَفَحَ عن زَلَّتِهِ، وسارَ معه، واختَلَطَ بعَسْكَرِهِ، فَوَصَلَ الهادي إلى صَعْدَةَ يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ لثَلَاثَ عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ، ومعه وجوهُ همدان ومحمدُ بنِ الدُّعَامِ وَخَيْلُهُ، فَأَقَامَ بصَعْدَةَ أَيَّامًا.

ثم جَمَعَ خَوْلَانٌ وسارَ بها إلى نَجْرَانَ مع مَنْ كان معه من عساكرِ همدان، فخرج يومَ السَّبْتِ لِسِتَّةِ عَشَرَ يَوْمًا ماضية من الشهر، فَوَصَلَ إلى نَجْرَانَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ، فلم يَنْزِلِ القريةَ، وقصد إلى قَرْيَةِ الْمُحَدِّثِينَ من اليَآمِينَ، وهي قَرْيَةٌ يُقَالُ لها لِبْنَانٌ^(١).

مَصِيرُ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ إِلَى نَجْرَانَ

فلما وَصَلَ أُرْسِلَ فِي طَلَبِ الْمُحَدِّثِينَ، فَخَافُوهُ، فَصَعَدُوا الْجِبَالَ، وَحَاذَرُوهُ، وَهَمَّ بِقَطْعِ أُمُوهِمَ، وَهَدَمَ مَنَازِلَهُمْ، فَأَتَتْهُ عَشَائِرُهُمْ، فَسَأَلُوهُ الْإِتِّفَاقَ، وَضَمِنُوا لَهُ أَنْ يَأْتُوهُ بِهِمْ، فَمَضَوْا لَهُمْ، فَأَنْزَلُوهُمْ مِنَ الْجِبَالِ، وَأَتَوْا بِهِمْ إِلَى الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ، فَأَمَرَ بِهِمْ، فَاسْتَوْثَقَ مِنْهُمْ مِنْ سَاعَتِهِمْ، حَتَّى نَزَلَ قَرْيَةَ الْهَجَرِ.

فَأَرْسَلَ أَخَاهُ عَبْدَ اللَّهِ بنَ الْحُسَيْنِ، وَكَانَ قَدْ قَدِمَ مِنْ سَاعَتِهِ^(٢) مِنَ الْحِجَازِ قَبْلَ

(١) فِي الْأَصْلِ: لِيُضِيانَ. أَوْ لِبُضِيانَ أَوْ لِبُصِيانَ. وَكُتِبَ فَوْقَهَا ظَنًا: لِبِيانَ. وَفِي (ص): الْبَعِيانَ. وَفِي (ز): الْبِيَّانَ. وَفِي (ط ب ذ): لِبِيانَ. وَلَعَلَّ مَا أُثْبِتَ هُوَ الْأَقْرَبُ؛ لَوُرُودِهِ كَذَلِكَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنَ السِّيَرَةِ، ل١١٧/أ، وَفِي صَفَةِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، ص ٢٨٣، هَذَا وَقَدْ ذَكَرَ الْهَمْدَانِيُّ أَنَّهَا مِنْ قُرَى وَأَسْرَارِ يَامٍ، وَلَعَلَّهَا اخْتَفَتْ عَنِ التَّارِيخِ، أَوْ تَغَيَّرَ اسْمُهَا مِنْ وَقْتِ مُبَكَّرٍ.

(٢) مِنْ سَاعَتِهِ: مِضَافَةٌ مِنْ (ص ز ط ب).

خُرُوجِ الهادي من خيوان إلى نجران، ولَمَّا وَصَلَ إلى نجران، ونَظَرَ إلى الفساد، أَخَذَ جَمَاعَةً مِنَ الْمُفْسِدِينَ، فَحَبَسَهُمْ وَأَصْلَحَ الْبَلَدَ، حَتَّى قَدِمَ الهادي إليه، فَأَرْسَلَهُ فِي طَلَبِ مَنْ بَقِيَ مِنَ الْمُحْدِثِينَ، فَكَرِبَ، فَأَتَاهُ بَعْضُهُمْ، فَحَبَسَهُمْ وَقَيَّدَهُمْ، وَأَخَذَ الهادي جَمَاعَةً مِنْ بَنِي الْحَارِثِ، وَمِنْ يَامٍ، وَجَمَاعَةً مِنْ سُكَّانِ نَجْرَانَ / ٤٣-أ/ كانوا مُفْسِدِينَ، فَقَيَّدَهُمْ وَحَبَسَهُمْ.

وطلب رجلاً كان مِّنْ أَفْسَدَ وَأَحْدَثَ، فَهَرَبَ، فَكَرِبَ الهادي إلى الحق إلى القرية التي كان يَسْكُنُهَا، وهي تُسَمَّى رَجَلًا^(١)، فَطَلَبَهُ وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، وَكَرِهَ فَلَمْ يُجِبْهُ، فَهَدَمَ مَنْزِلَهُ، وَخَرَجَ إِلَى خَارِجِ الْبَلَدِ يَطْلُبُ زَرْعَهُ، فَدَلُّوه عَلَى أَرْضٍ لَهُ وَلِأَخِيهِ وَشُرَكَاءَ لَهُ، وَفِيهَا زَرْعُ ذُرَّةٍ، فَأَمَرَ الهادي قَوْمًا يَقْسِمُونَ الذُّرَّةَ، فَدَخَلُوا فَقَسَمُوهَا، فَلَمَّا قَسَمُوا أَمَرَ الهادي بِقُلْعِ مَا صَارَ لَهُ مِنَ الزَّرْعِ، فَقَلَعَهُ النَّاسُ، ثُمَّ سَأَلَ الهادي: "هل له نخل؟"، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ لَهُ وَلِشُرَكَائِهِ نَخْلًا، فَأَمَرَ أَيْضًا بِقَسْمِهِ، فَقَسَمَ، فَلَمَّا عُرِفَ نَصِيبُهُ أَمَرَ الهادي بِقَطْعِهِ، فَقُطِعَ، ثُمَّ قَالَ: (قَدْ فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ مِثْلَ ذَلِكَ، حَيْثُ قَطَعَ نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ، فَأَنْزَلَ^(٢) عَلَيْهِ: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾^(٣))^(٤)، فَقَطَعَ نَصِيبَهُ، وَهُوَ يَفُّ وَعَشْرُونَ نَخْلَةً. ثُمَّ انْصَرَفَ فَدَخَلَ الْقَرْيَةَ، فَأَصْلَحَ أُمُورًا كَانَتْ بَيْنَ النَّاسِ.

(١) رجلاً: سيأتي في السيرة أنها بأسفل الوادي، وكانت آخر قُرَى نجران من جهة الشرق، وعدّها الهمداني بين أسرار بني الحارث بن كعب في نجران، وهي اليوم من أحياء مدينة نجران المعروفة على الضفة الجنوبية من الوادي، تقع إلى الشرق من مدينة الأخدود الأثرية. العلوي: السيرة، ل ٥٩/ ب؛ والهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٨٣.

(٢) في (ص ز ط ب): فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى.

(٣) الحشر: ٥.

(٤) ينظر الواحدي، علي بن أحمد، أبو الحسن النيسابوري (ت ٤٦٨هـ): أسباب نزول القرآن، تح: كمال زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ، ص ٤٣٦-٤٣٨، رقم ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧.

[آياتٌ للهادي إلى الحق في نجران وغيرها واستجابةً الله لدعائه]

وكانت منه بنجران آيةً عظيمةً لمن تفكّر، وما ذلك لمثله بكثير؛ وذلك أن المؤمن مستجاب الدعوة فكيف الإمام؟! وكيف ينكر هذا على من شهد له العقول والمشاهدة بالطهارة، والقيام لله تعالى؟! فمن قام لله ولم يرد غير الله، أينكر عليه أن يعطيه الله إذا سأل أم ربّية؟!.

والذي كان منه بنجران: أنه أتى بصبي قد ذهب بصره من الجدري، فأمر يده على بصره، ودعا له فأبصر، وأنا رأيت الصبي وهو يبصر بعد وصولنا إلى نجران. وحدث موسى بن علي بن عبد الجبار الصريمي، وقد ذكر له أمر السحابة التي أظلت يحيى بن الحسين - عليه السلام - بمذاب، فقال لي: أنا أزيدك خبراً آخر فيه، ودلالةً عليه، كان لي ابن صغير، لم يتكلم ولم يفصح بالكلام، فطلبت له الدواء بكل حيلة، فأعاني، حتى عزمت على حمله إلى مكة، وكنت على ذلك، فلما كان يوم أتاني كتاب الهادي إلى الحق - عليه السلام -، فأخذنا خاتمه، فوضعناه في ماء، وسقيناها الصبي، وكان لا يتكلم، فأفصح بالكلام، فحدثت بذلك الناس، وشاهدوا الغلام وهو يتكلم، وشاهده بعضهم وهو لا يتكلم.

وحدثني بعض من أثق به في حيوان، قال: سمعت رجلاً يقع في الهادي - عليه السلام -، ويتنقصه في أصله، فما مكث إلا أياماً حتى أخذه بلاء، فانقطعت رجليه قبل يموت، ثم مات بعد ذلك.

/ ٤٣ - ب/ وسمعت أيضاً أن امرأة تكلمت بكلام سوء، فقامت سحراً، فأخذتها النار، فاحترقت؛ وذلك فليس ينكر؛ لأن الله عز وجل ينصر أولياءه بأسباب، ويعطيهم ما يريدون في وقت^(١)؛ لإيجاب^(٢) الحجة على الخلق، ويمنعهم

(١) في (ص): أوقات.

(٢) في (الأصل ذ): لإنجاز. ولعل ما أثبت من بقية النسخ أولى.

في أَوْقَاتٍ، فَيَمْتَحِنُهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ بِذَلِكَ؛ لِيَعْظُمَ لَهُمُ الثَّوَابُ، فِي دَارِ الْجَزَاءِ وَالْمَأَبِ. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِنْ ^(١) كُنْتُمْ تَصِفُونَ هَذَا مِنْ يَحْيَى بْنِ الْحُسَيْنِ، وَتَزْعُمُونَ أَنَّهُ يَفْعَلُ هَذَا الْفِعْلَ، وَهُوَ يُسْتَجَابُ ^(٢) مِنْهُ، فَقَدْ رَأَيْنَا لَهُ أَعْدَاءَ كَثِيرَةً ^(٣) يُقَاتِلُونَهُ، وَيُفْسِدُونَ عَلَيْهِ مَخَالِفَهُ، فَلِمَ لَمْ يَدْعُ عَلَيْهِمْ حَتَّى يُرِيحَهُ اللَّهُ مِنْهُمْ؟

قلنا له: يَا جَاهِلٌ قَدْ قَدَّمْنَا الْجَوَابَ، إِنَّ اللَّهَ يُعْطِيهِمْ وَيَمْتَحِنُهُمْ؛ لِيُضَاعِفَ لَهُمْ بِذَلِكَ الثَّوَابَ، وَيَصْرِفَ عَنْهُمْ ^(٤) أَلِيمَ الْعِقَابِ، أَلَا تَرَى أَنَّ مُحَمَّدًا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ- قَدْ ابْتَلَى مِنْ قَوْمِهِ وَأَهْلِهِ بِأَكْثَرِ مَا ابْتُلِيَ بِهِ يَحْيَى بْنُ الْحُسَيْنِ، وَكَانَ مُحَمَّدٌ -عَلَيْهِ وَآلَهُ السَّلَامُ- يُقَاتِلُهُ أَعْمَامُهُ وَقُرَيْشُ كُلُّهَا، وَكَانَ يَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى، فَيَنْشَقُّ لَهُ الْقَمَرُ ^(٥)، وَيَدْعُو الشَّجَرَ، فَيَلْتَرِقُ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ ^(٦)، وَمُحَمَّدٌ أَفْضَلُ الْخَلْقِ وَأَكْرَمُهُمْ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

أَوْ مَا رَأَيْتَ الْحُسَيْنَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- كَيْفَ قُتِلَ وَمُنِعَ الْمَاءَ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يَشْكُ فِي الْحُسَيْنِ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- أَنَّهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِأَبَرَّ قَسَمِهِ، وَكَذَلِكَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وَكَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ قَبْلَ هَؤُلَاءِ -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ- أَجْمَعِينَ، كَانُوا يُقَاتِلُونَ وَيُتَلَوْنَ بِالْبَلَاءِ، وَلَوْ دَعَا اللَّهَ أَنْ يَصْرِفَ ذَلِكَ عَنْهُمْ لَفَعَلَ؛ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ ^(٧)، وَالْجَعْلُ هَاهُنَا: تَسْمِيَةُ الْعَدُوِّ، لَيْسَ جَعْلُهُ خَلْقُهُ، وَإِنَّمَا هُوَ تَسْمِيَتُهُ، فَقَالَ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ ^(٨)، سَمَيْنَا أَعْدَاءَ

(١) فِي (ص ز ط ب): فَإِذَا.

(٢) فِي (الْأَصْل ذ): مُسْتَجَاب. وَلَعَلَّ الْأَوَّلَى مَا أُثْبِتَ مِنْ بَقِيَةِ النِّسْخِ.

(٣) فِي (ص ز ط ب): كَثِيرًا.

(٤) فِي (الْأَصْل ذ): مِنْهُمْ. وَلَعَلَّ مَا أُثْبِتَ مِنْ بَقِيَةِ النِّسْخِ أَوَّلَى.

(٥) يَنْظُرُ الْبَخَارِيُّ: الْجَامِعُ الصَّحِيحُ، ج ٣، ص ١٤٠٤.

(٦) يَنْظُرُ ابْنُ حَبَانَ: صَحِيحُ ابْنِ حَبَانَ، ج ١٤، ص ٤٠٥؛ وَالطَّبْرَانِيُّ: الْمَعْجَمُ الْكَبِيرُ، ج ١٢، ص ٤٣١.

(٧) الْفَرْقَان: ٣١.

(٨) الْفَرْقَان: ٣١.

النَّبِيِّينَ مِنَ الْمَجْرَمِينَ.

والشَّاهِدُ - أَنَّ التَّسْمِيَةَ هَاهُنَا جَعَلُ وَحُكْمُ عَلَيْهِمْ بِفَعْلِهِمْ - قَوْلُ اللَّهِ: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾^(١)، يقول: ما سَمَّى اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ كما سماها المشركون، والاحتجاجُ في هذا يَطُولُ، وهو مَفْهُومٌ معقولٌ عند مَنْ ﴿لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾^(٢).

[عَزَمَ الْمُؤَلِّفُ تَأْلِيفَ كِتَابٍ فِي عِلَامَاتِ إِمَامَةِ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ]

وبعدُ فَلَوْ كَتَبْنَا كُلَّمَا يُنْكِرُهُ الْمُنْكَرُونَ مِنْ عِلَامَاتِ إِمَامَةِ يَحْيَى بْنِ الْحُسَيْنِ لَكَانَ فِي ذَلِكَ كِتَابٌ مُفْرَدٌ دَلَالَةً^(٣) عَلَى إِمَامَتِهِ، وَلَعَلَّنَا أَنْ نَأْخُذَ فِي ذَلِكَ وَنُصَنِّفَهُ^(٤) وَنُؤَلِّفَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَنَحْتَجِّجَ فِيهِ بِمَا لَا يُدْفَعُ، وَبِاللَّهِ نَسْتَعِينُ، وَهُوَ فِي كُلِّ خَيْرٍ مُعِينٌ.

[حَبَسُ مُحَدِّثِي نَجْرَانَ فِي صَعْدَةٍ]

فَأَقَامَ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ فِي نَجْرَانَ سَبْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا، وَخَرَجَ يَوْمَ ثَمَانِيَةِ عَشَرَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ، وَأَخْرَجَ / ٤٤ - أ / الْمُحَدِّثِينَ الَّذِينَ كَانَ مِنْهُمْ الْفَسَادُ فِي بَلَدِهِ، وَكَانَ مِنْ أَخْرَجَ مِنَ الْيَامِينِ: ابْنُ أَبِي الْجَرَّاحِ، وَبَشَرُ بْنُ بَكَّارٍ، وَأَبُو حَجِيَّةٍ^(٥)، وَخَبَابُ^(٦) بْنُ الْمُحْتَمَلِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ....^(٧)، وَأَخَذَ مِنْ بَنِي الْحِمَاسِ^(٨) تَفَرًّا، وَأَخَذَ

(١) المائدة: ١٠٣.

(٢) ق: ٣٧.

(٣) فِي (ص): كِتَابًا مُفْرَدًا.

(٤) فِي (ص ز ط ب): وَنُصَفَهُ.

(٥) لَيْسَتْ مَعْجَمَةٌ فِي النُّسخ. وَفِي (ص): مُحَجَّبَةٌ.

(٦) فِي (ص ط): غَيْرَ مَعْجَمَةٍ، وَتَقْرَأُ: خَبَابٌ، وَحَبَابٌ، .. إلخ. وَفِي (ب): حَبَابٌ.

(٧) هُنَا بَيَاضٌ فِي الْأَصْلِ وَفِي جَمِيعِ النُّسخ، مَا عَدَا (ص): فَفِيهَا: وَمُحَمَّدٌ وَوَاحِدٌ. وَلَمْ أَعْرِفْ مَعْلُومَاتٍ أَكْثَرَ مِمَّا وَرَدَ هُنَا عَنْ أَيِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ.

(٨) بَنُو الْحِمَاسِ: بَطْنٌ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ، كَانُوا يَسْكُنُونَ سَوْجَانَ، وَكَانُوا مِنْ أَبْرَزِ مُعَارِضِي

من الحِثْمِيِّينَ نَفَرًا: مرزوق بن محمد، ونحيل بن مهاجر، وأبا الوجيه بن موسى، فأوثَقَهُمْ في القيود، وحَمَلَهُمْ في المَحَامِلِ إلى صعدة. وَحَبَسَهُمْ في قَرْيَةٍ قَرِيبًا مِنْهَا، يُقَالُ لَهَا الْغَيْلُ^(١)، وبينها وبين صَعْدَةَ شَبَّةٌ بِنَصْفِ مِيلٍ، وهي قَرْيَةٌ لِبَنِي حَمْرَةَ^(٢) وبني سعد، وفيها الْفُطَيْمِيُّونَ، وَهُمْ من ثِقَاتِهِ وَأَهْلٍ مَوَدَّتِهِ.

وإِنَّمَا حَبَسَهُمْ في الْغَيْلِ؛ لِأَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عبيدالله كَانَ أَخَذَ رَجُلًا مِنْ الدُّهُمِيِّينَ مِنْ همدان، وَكَانَ يُسَمَّى حَسِينَ بن حنش^(٣)، وَكَانَ مُفْسِدًا، فَحَبَسَهُ في حَبْسِ صَعْدَةَ، فَعَمِلَ فِيهِ نَفَرٌ مِنَ الْأَكِيلِيِّينَ حَتَّى أَخْرَجُوهُ، فَلَمْ يَحْبِسْ هَؤُلَاءِ بِصَعْدَةَ لِهَذِهِ الْعِلَّةِ، وَحَبَسَهُمْ في الْغَيْلِ.

رجوع الهادي إلى الحق إلى صعدة من نجران

ورجع إلى صعدة، فأقام بها أيامًا من شَهْرِ رَجَبٍ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى خِيَوَانِ يَوْمَ الْأَحَدِ لِسِتَّةِ عَشَرَ يَوْمًا مِنْ رَجَبٍ.

الهادي، وَأَبْرَزَ مَنْ شَارَكُوا فِي مَقْتَلِ وَالِيهِ مُحَمَّدَ بْنَ عبيدالله العلوي. العلوي: السيرة، ل ١١٧/أ، ١١٨/أ، ١٣٢/ب؛ وكحالة: معجم قبائل العرب، مج ١، ص ٢٩٣.

(١) الغيل: قرية أحدثت قرب صعدة، ذكر الهمداني (صفة جزيرة العرب، ص ١٦٣، ٢٢٤، ٢٢٥) أن منها يسلك الوادي المسمى بها، والذي يلتقي أخيرا بوادي عكوان. وهذا يرجح أنها الموضع المعروف اليوم بالروضة، في الجهة الشرقية الشمالية من صعدة القديمة.

(٢) في الأصل والنسخ: حمزة. والصحيح ما أثبت. قال الهمداني: "ليس حمرة بأب ولا أم"، والحمرة عندهم مثل الأشرة"، وهم تَجْمَعُ قَلِيٌّ يَضُمُّ بَطُونَ غَالِبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ خَوْلَانَ، وهي جبر، ومعيش، وشبل، ويضم فروعا من الربيعة بن سعد بن خولان، وهم الربيعيون، والشهريون، وأعرم بن الأصحر، وكان بنو حمرة يسكنون أسل، وموطك، والعبلاء، وكهلان، ويسنم، وسروم، وقد نَصَرُوا الهادي في حَرْبِهِ ضِدَّ الْأَكِيلِيِّينَ، وَكَانُوا مَيَمَنَةً جَيْشِهِ.

العلوي: السيرة، ل ٥٣/ب، ٦٦/أ-ب؛ والهمداني: الإكليل، ج ١، ص ٢٠٩، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٧٨-٢٧٩؛ وصفة جزيرة العرب، ص ٣٦٦.

(٣) في (ص): حسين بن حسين بن حنش. ولم أعرف عنه أكثر مما ورد هنا.

خروج الهادي إلى الحق - عليه السلام - إلى خيوان

ولما أراد الخروج إلى خيوان أوصى محمد بن عبيد الله بالقيام بصعدة، والتفقد لأسباب رعيته، والاحتفاظ بمن حبس في الغيل من الحارثيين، والتفقد لحديدهم في كل يومين، وكانوا محبوسين في دار سرية^(١) لا يضيق عليهم، وكان فيها علو، فسألوه أن يصيروا فيه، فصيرهم فيه.

وخرج الهادي - عليه السلام -، وكان الناس مشفقين على أنفسهم من المطر في طريقهم؛ لأنهم خرجوا في وقت غيث، فخرج فما أصاب الناس مطر ولا أذى بمن الله ولطفه، حتى دخل خيوان، فلما وصل إليها، وصار الناس في منازلهم أصابهم الغيث.

[عزم الهادي إلى الحق على حرب المفسدين في بني معمر]

وكان وصوله إلى خيوان لثمانية عشر من رجب، فأقام بها، حتى إذا كان يوم السبت خرج موضعاً لبني معمر، يقال له الأخناء^(٢)؛ وذلك أن أهله كان قد وقع بينهم قبل خروجه إلى نجران جراح، فأرسل إليهم ابنه أبا القاسم، فأخذهم وأوصلهم إلى الهادي - عليه السلام -، فأخذ الحق لبعضهم من بعض، وحبس الذي كان ظالماً، فلما خرج إلى نجران نظر أبو القاسم في أمرهم بأمر الهادي إلى الحق، فأصلح بينهم وكتب عليهم الدية، وأخرجهم من الحبس، فلما خرجوا نزغهم الشيطان، وتعرضوا للغضب الرحمن، وكانوا بضعة عشر رجلاً، وكانوا يفسدون على الهادي إلى الحق - عليه السلام - مخالفة، ويقتعدون على الطرق، ويأخذون / ٤٤ - ب / الضعفاء، وسائر عشايرهم من بني معمر سامعون مطيعون للهادي إلى الحق.

(١) سرية: أي واسعة ومرتفعة ومن خيار الدور. ينظر ابن منظور: لسان العرب، ج ١٤، ص ٣٧٧-٣٧٨.

(٢) في (ص): الأحياء. وفي (ب): الأجناء. وفي (س): الأحياف. وفي (مط): الأحساء. وقد كتبت في هامش (ط): "وهي اليوم تعرف بمحنا، بقلب اللام ميما، كما هي لغة أهل اليمن".

فخرج الهادي -عليه السلام- يوم السبت حتى نزل موضعاً يقال له حوث، ثم أرسل إليهم جماعة يدعونهم ويذكرونهم بأيام الله، فقالوا للرسل: نحن نصير إلى أبي القاسم فنسمع ونطيع، فرجعت الرسل إلى الهادي -عليه السلام-، فأخبروه بقولهم، فقال لهم: "إن مَضُوا إلى خيوان أُرْسَلْتُ إلى أبي القاسم يأتيني برؤوسهم، ارجعوا إليهم فادعوهم إلى الحق والدخول فيه، وترك الباطل والفسق"، وكان ذلك يوم الاثنين، فرجع الذين ^(١) وجههم الهادي إلى القوم، فأخبروهم بما كان من قوله، فردوا على الرسل: إنا نلقاه إلى خيوان، فرجع القوم إلى الهادي -عليه السلام-، فأخبروه بمقاتلتهم، فأبى الهادي ذلك، وأرسل الصراخ في بني ربيعة وبني ضريم، ومنع الهادي -من المسير إليهم بمن كان معه- الغيث، فأقام بحوث.

[عاقبة المُشَبِّطِ عن القتال مع الهادي إلى الحق]

حدثني محمد بن علي الطبري، قال: خرج الناس يتشاورون في حرب القوم، وكيف يعملون إلى أن يمدّهم صرّخهم، قال: فجعل رجل منهم يقول لهم: يا قوم تُقاتلون بني عمّكم؟ لا تفعلوا يا عشيرة، ولا تكونوا سبباً لهلاك أصحابكم، قال: فقالوا له: للهادي في أعناقنا أيّمان، قال: فقال لهم: أفتوثرون أيّمان الهادي على بني عمّكم؟ (قال: وسمعت أيضاً من يذكره، قال: قالوا له: في رقابنا لله أيّمان، فقال لهم: فتوثرون أيّمان الله على بني عمّكم؟) ^(٢).

قال: وسمعت بعض أصحابنا ممن أثق به، قال: بلغني أنه قال بعضهم لبعض: ما تفعلون؟ تتركون عشائركم وتقومون مع رجل إلا لله ^(٣)!

(١) في (الأصل ذ): الذي. والأوفق ما أثبت من بقية النسخ.

(٢) ما بين القوسين مضاف من (ص)، وسقط من بقية النسخ، ومن (مط).

(٣) في (ص ز ب): إلى الله.

قال محمد بن علي الطبري، وَمَنْ حَضَرَ ذَلِكَ الرَّجُلَ، قَالَ: فَجَعَلَ يَكْسِرُ النَّاسَ عَنِ الْجِهَادِ^(١) وَيُثَبِّطُهُمْ، فَلَمْ يَقُمْ مِنْ مَجْلِسِهِ حَتَّى (دَلَعَ بِلِسَانِهِ، وَسَالَ شِقُّهُ مِنْ فَالِجٍ^(٢) أَصَابَهُ، فَلَمْ يَقْدِرْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ حَتَّى)^(٣) أَتَاهُ أَصْحَابُهُ بِمَحْمَلٍ، فَحُمِلَ فِيهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْوَجَعِ فِي حَالِ الْمَوْتِ.

[عَفُوُّ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ عَنِ الْمُعْمَرِيِّينَ بَعْدَ اسْتِعْدَادِهِ لِحَرْبِهِمْ]

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الثَّلَاثَاءِ أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الْهَادِي جَمَاعَةٌ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَقَدْ جَاءَتْ حِينُذٌ إِلَيْهِ الصُّرُخُ مِنْ بَنِي رِبِيعَةَ، فَقَالُوا لِلرُّسُلِ: نَحْنُ نَخَافُ، فَيَلْقَانَا فِي خَدَمِهِ نَاحِيَةً مِنَ الْعَسْكَرِ، فَكَرِهَ ذَلِكَ الْهَادِي - عليه السلام -، وَأَعَادَ عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ الرُّسُلَ يَدْعُوهُمْ^(٤) إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَأَبَوْا أَنْ يُجِيبُوا، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْخَمِيسِ خَرَجَ إِلَى خَارِجِ حَوْثٍ، وَجَمَعَ النَّاسَ.

عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلِيمَانَ، قَالَ: خَبَّرَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا، قَالَ: لَمَّا خَرَجَ الْهَادِي - عليه السلام - خَارِجَ حَوْثٍ، وَجَمَعَ النَّاسَ، قَالَ لَهُ الْخَوْلَانِيُّونَ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ إِنَّا نَخَافُ الْغَيْثَ عَلَى قِيَاسِنَا^(٥) وَسَلَاحِنَا، قَالَ: فَقَالَ لَهُمْ: "سِيرُوا فَلَنْ يُصِيبَكُمْ الْيَوْمَ غَيْثٌ".

ثُمَّ سَارَ^(٧) حَتَّى ظَهَرَ مِنْ حَوْثٍ، فَنَظَرَ حِينُذٍ / ٤٥ - أ / إِلَى الْقَوْمِ قَرِيبًا مِنْ بَرَكَةٍ

(١) فِي (ص ز): الْقِتَالُ.

(٢) الْفَالِجُ: شَلْلٌ يَصِيبُ أَحَدَ شِقَّيِ الْجِسْمِ طَوْلًا. مَصْطَفَى: الْمَعْجَمُ الْوَسِيطُ، ج ٢، ص ٦٩٩.

(٣) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ أُثْبِتَ مِنْ (ص)، وَسَقَطَ مِنْ بَقِيَةِ النِّسْخِ جَمِيعًا، وَكَذَلِكَ مِنْ (مط).

(٤) فِي (الْأَصْلُ ذ): يَدْعُوهُمْ. وَهُوَ خَطَأٌ نَحْوِي. وَمَا أُثْبِتَ فَمِنْ بَقِيَةِ النِّسْخِ.

(٥) قِيَاسٌ: جَمْعُ قَوْسٍ، وَهِيَ الْآلَةُ مِنْ آلَاتِ الْقِتَالِ.

(٦) فِي (ص ز ط ب): فَلَيْسَ.

(٧) فِي (الْأَصْلُ ذ): ثُمَّ سَارُوا. وَلَعَلَّ مَا أُثْبِتَ مِنْ بَقِيَةِ النِّسْخِ هُوَ الْأَوْفَقُ لِلْسِّيَاقِ.

يُقَالُ لها الضَّمَرِيَّة، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِمْ أَمَرَ النَّاسَ بِالتَّعْيِيَةِ لِلْحَرْبِ، فَجَعَلَ الْحُسَيْنَ بنَ الْحَسَنِ الْعُلَوِي، وَبَنِي عُبَيْدٍ مِنْ وَادِعَةِ، وَأَهْلَ أَثَافِتٍ، فِي الْمَيْسَرَةِ، وَجَعَلَ إِسْمَاعِيلَ بنَ الْمُسْلِمِ، وَالْخَوْلَانِيْنَ، وَالْعَهْرَاءَ، فِي الْمَيْمَنَةِ، وَجَعَلَ مُحَمَّدَ بنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بنَ طَرِيفِ الْوَادِعِيِّ، مِنْ وَادِعَةِ نَجْرَانَ، وَبَنِي رِبِيعَةَ، وَبَنِي صَرِيمٍ فِي الْقَلْبِ، وَتَقَدَّمَ هُمُ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ فِي الْمُهَاجِرِينَ مِنَ الطَّبَرِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ أَمَامَ الْقَلْبِ، وَسَلَّمَهُمُ اللَّهُ يَوْمَهُمْ ذَلِكَ مِنَ الْمَطَرِ، فَلَمَّا أَخَذَ النَّاسُ مَصَافَّهُمْ، أَتَاهُ رَسُولٌ مِنَ الْقَوْمِ أَنَّهُمْ يَحْضُرُونَ إِلَيْهِ بِأَجْمَعِهِمْ، وَيُعْطُونَ مَا يَحِبُّ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ الْهَادِي لِلرَّسُولِ: "اذهبْ أَحْضِرْهُمْ"، وَأَمَرَ النَّاسَ يَأْخُذُونَ الطَّرِيقَ عَلَى تَعَايِيهِمْ إِلَى مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ الْعَيْبِ (١).

قال: فخرني بعض أصحابنا، قال: قال إسماعيل بن المسلم [الخيواني] للهادي -عليه السلام-: امض بنا إلى أعناب هؤلاء العصاة، فنقطعها، ونهدم منازلهم، قال: فقال له الهادي: "لست أمضي إلى مواضعهم وهم ها هنا، حتى أدعوهم إلى الله تعالى، فإن أتوا وإلا حاربتهم".

وسار الهادي إلى الحق حتى قَرَّبَ مِنَ الْقَوْمِ، فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيْهِ قَدْ عَزَمَ عَلَى قِتَالِهِمْ، وَنَظَرُوا إِلَى كَثْرَةِ عَسْكَرِ الْهَادِي، سَبَقُوا عَلَى مَوْضِعٍ وَغَرَّ مِنَ الطَّرِيقِ، فَكَانُوا فِيهِ، وَعَلِمَ الْهَادِي بِذَلِكَ، فَأَمَرَ النَّاسَ بِالْكَفِّ عَنْهُمْ، وَأَرْسَلَ جَمَاعَةً يَدْعُوْنَهُمْ، وَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَأَمَرَ الْهَادِي النَّاسَ بِالصَّلَاةِ، فَصَلَّى وَصَلَّوْا، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَلْزُمُوا مَصَافَّهُمْ عَلَى تَعَايِيهِمْ، فَفَعَلُوا، وَوَصَلُّوا بِهِ الْجَمَاعَةَ الَّذِينَ كَانُوا

(١) العيب: ذكره الهمداني بعد هُتَمَانَ ضَمَنَ بِلْدَانَ وَادِعَةَ بنَ عَمْرٍو، مِنْ جُشَمَ بنَ حَاشِدٍ. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٢١، والجهاز المركزي للإحصاء: التعداد العام ٢٠٠٤م، محافظة عمران، ص ٢٢٠.

رُسُلًا إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ دَعِ النَّاسَ فِي مَوَاضِعِهِمْ، وَاخْرُجْ فِي جَمَاعَةٍ، وَابْرُزْ عَنِ الْعَسْكَرِ، فَإِنَّ الْقَوْمَ رَاهِبُونَ لَكَ، فَهُمْ يَصِلُونَ بِكَ، فَبَرَزَ الْهَادِي حِينَئِذٍ عَنْ عَسْكَرِهِ، فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى الْهَادِي قَدْ بَرَزَ عَنْ عَسْكَرِهِ أَتَوْهُ بِأَجْمَعِهِمْ، فَقَالُوا: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، قَدْ أَخْطَأْنَا، وَأَنْتَ أَحَقُّ مَنْ صَفَحَ عَنَّا، فَهَبْ مُسَيِّنًا لِحُسَيْنِنَا، فَقَالَ لَهُمُ الْهَادِي: "لَوْلَا أَنَّ حَاشِدًا أَوَّلُ مَنْ نَصَرَنِي، وَقَامَ مَعِيَ مِنْ هَمْدَانَ، لَتَرَكْتُ هَذِهِ الصَّفَاوِينَ^(١) تَسِيلُ مِنْ دِمَائِكُمْ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ أَنْ لَا أُشِمْتَ بِحَاشِدٍ عَدُوًّا، وَلَا أَقْطَعَ يَدًا بِيَدٍ"، فَقَامَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ حَضَرَ مِنْ حَاشِدٍ، فَدَعَا لَهُ وَقَالُوا: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، هَبْهُمْ لَنَا، وَاعْفُ عَنْهُمْ، فَلْيَسُوا يَعُودُونَ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا تَكْرَهُهُ أَبَدًا، فَوَهَبَهُمْ لَهُمْ، وَعَفَا عَنْهُمْ، وَأَمَرَهُمْ بِالْأَنْصِرَافِ إِلَى مَنَازِلِهِمْ، وَأَنْصَرَفُوا، وَأَنْصَرَفَ الْهَادِي إِلَى خِيَوَانَ يَوْمَ الْخَمِيسِ / ٤٥ - ب / لِيَوْمَيْنِ بَقِيَا مِنْ شَهْرِ رَجَبِ سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَمِئَتَيْنِ.

[هجوم المُعَمِّرِينَ عَلَى الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ فِي خِيَوَانَ وَهَزِيمَتِهِمْ]

فَأَقَامَ بِخِيَوَانَ أَيَّامًا، ثُمَّ بَلَغَهُ أَنَّهُمْ قَدْ اجْتَمَعُوا، وَتَشَاوَرُوا فِي الْمَسِيرِ إِلَى خِيَوَانَ لِقِتَالِ الْهَادِي، فَلَمْ يُنْكِرِ الْهَادِي، وَلَمْ يُصَدِّقْ بِهِ؛ لِلَّذِي قَدْ فَعَلَ لَهُمْ مِنَ الْجَمِيلِ، وَالصَّفْحِ، وَالْعَفْوِ عَنْهُمْ، غَيْرَ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ ذَكَرَ أَنَّ قَوْمًا فِي خِيَوَانَ وَجَّهُوا إِلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ، وَالْبُؤْهُمَ وَأَفْسَدُوهُمْ عِدَاوَةً لِلَّهِ وَلِأَهْلِ بَيْتِ رَسُولِهِ، فَلَمَّا أُرْسِلُوا إِلَيْهِمْ وَأَطْمَعُوهُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْعُسْرِ، وَذَكَرَ أَنَّهُمْ كَانُوا يُوجِّهُونَ إِلَيْهِمْ بِطَعَامٍ، وَيَحْتُشُّوهُمْ عَلَى الْحَدَثِ عَلَى الْإِمَامِ، فَطَمَعُوا وَاجْتَمَعُوا فِي الْفَسَادِ شِبْهَ ثَلَاثِ مِائَةِ رَجُلٍ. فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَحَدِ يَوْمُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، إِذِ الْقَوْمُ قَدْ

(١) لعلها جمع صفوان، وهو الصخر الأملس. مصطفى: المعجم الوسيط، ج ١، ص ٥١٨.

أَشْرَفُوا عَلَى جَبَلٍ قَرِيبًا مِنْ خِيَوَانٍ، فَلَمَّا نَظَرَ النَّاسُ إِلَيْهِمْ أَخَذُوا سِلَاحَهُمْ، وَصَارُوا إِلَى دَارِ الْهَادِي، وَأَشْرَفَ الْهَادِي مِنْ بَهْوٍ فِي الْقُبَّةِ الَّتِي كَانَ يَسْكُنُهَا، فَإِذَا الْقَوْمُ يَتَصَايَحُونَ عَلَى الْجَبَلِ، وَجَعَلَ النَّاسُ يَتَفَلَّتُونَ عَلَى الْمَصِيرِ إِلَيْهِمْ لِلْقِتَالِ، فَأَمَرَ الْهَادِي بِرَدِّهِمْ، فَأَبَوْا إِلَّا الْمَصِيرَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ لَابْنَهُ أَبِي الْقَاسِمِ: "ارْكَبْ فَرْدًا النَّاسَ عَنْ هَؤُلَاءِ الْكَلَابِ، وَذَرَهُمْ فِي مَوَاضِعِهِمْ مِنْ هَؤُلَاءِ، حَتَّى يُخْرَجَ إِلَيْهِمِ النَّاسُ"، فَرَكِبَ أَبُو الْقَاسِمِ فِي قَمِيصٍ وَرِدَاءٍ حَتَّى رَدَّ النَّاسَ، وَكَانُوا قَدْ شَامُوهُمْ^(١)، فَصُرِفُوا، وَرَجَعُوا إِلَى الْهَادِي.

فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى أَبِي الْقَاسِمِ قَدْ رَدَّ النَّاسَ، دَنَا رَجُلٌ مِنْهُمْ فَنَادَى: يَا أَهْلَ خِيَوَانٍ، فَكَلَّمَهُ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ، فَقَالَ: يَا عَشِيرَتَنَا لَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ حَرْبٌ، وَلَا تُرِيدُ لَكُمْ إِلَّا خَيْرًا، أَخْرِجُوا هَذَا الرَّجُلَ مِنْ عِنْدِكُمْ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ: أَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا نُخْرِجُهُ، وَلَكِنْ إِنْ أَرَدْتُمْ خُرُوجَهُ فَتَقَدَّمُوا أَنْتُمْ فَأَخْرِجُوهُ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ هُزْءٌ بِهِ.

فَسَمِعَ الْهَادِي بِذَلِكَ، فَأَمَرَ بِالْخَيْلِ فَأُسْرِجَتْ، وَلَبَسَ سِلَاحَهُ، وَلَبَسَ أَبُو الْقَاسِمِ أَيْضًا سِلَاحَهُ، وَأَمَرَ النَّاسَ فَرَكَبُوا، ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الدَّارِ، فَفَرَّقَ خَيْلَ الطَّبَرِيِّينَ وَمَنْ مَعَهُمْ مِنْ أَصْحَابِهِمْ مَيْمَنَةً وَمَيْسَرَةً، وَجَعَلَ مَعَ الْمَيْمَنَةِ رِجَالًا مِنْ أَهْلِ خِيَوَانٍ، وَجَعَلَ فِي الْمَيْسَرَةِ رِجَالًا مِنَ الصَّنْعَانِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ، وَأَخَذَ هُوَ خَيْلَ الْهَمْدَانِيِّينَ مِنْ أَهْلِ خِيَوَانٍ، وَحَضَرَ أَيْضًا بَعْضُ فُرْسَانَ الْخَوْلَانِيِّينَ^(٢) وَرَجَّالَتِهِمْ، فَأَخَذَهُمْ مَعَهُ، وَأَخَذَ سَائِرَ أَهْلِ خِيَوَانٍ مِنَ الرَّجَالَةِ، وَرَجَّالَةِ الطَّبَرِيِّينَ، وَجَمَاعَةً مِنْ أَفْنَاءِ^(٣) النَّاسِ، وَسَارَ بِهِمْ يُرِيدُ الْقَوْمَ.

(١) شاموهم: تطلعوا عليهم، وشام الشيء: تطلع إليه مترقبًا. مصطفى: المعجم الوسيط، ج ١، ص ٥٠٤.

(٢) (ص ز ط ب): الخيوانيين. وما أثبت هو الأصح.

(٣) يقال: قومٌ من أفناء القبائل: لا يُدرى من أي القبائل هم. ابن منظور: لسان العرب، ج ١٥، ص ١٦٤.

فلَمَّا نَظَرُوا إِلَيْهِ انْحَدَرُوا مِنَ الْجَبَلِ، / ٤٦-أ / وَرَمَوْهُ بِالنَّبْلِ وَالْحِجَارَةِ، وَجَرَى الْقِتَالُ، فَلَمَّا نَظَرَ الْهَادِي إِلَيْهِمْ قَدِ انْحَدَرُوا مِنْ مَوْضِعِهِمْ أَمَرَ الرَّجَالَةَ أَنْ تُخَالِطَهُمْ، فَفَعَلُوا، ثُمَّ حَمَلَ الْهَادِي عَلَيْهِمْ هُوَ وَأَبُو الْقَاسِمِ حَتَّى خَالَطُوهُمْ، وَوَقَعُوا فِي أَوْسَاطِهِمْ، وَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ مُنْهَزِمِينَ أَسْمَجَ هَزِيمَةً، لَا يَلْوِي أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى أَحَدٍ، وَصَاحَ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ بِالرَّجَالَةِ، فَتَبِعُوهُمْ وَهُمْ مُنْهَزِمُونَ.

وَنَزَلَ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ عَلَى حَرْفِ الْجَبَلِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِلْخَيْلِ فِيهِ مَعْمَلٌ، وَقَاتَلَهُمْ رَاجِلًا فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ، وَتَرَابَطَ الْقِتَالُ، وَاشْتَدَّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْهَادِي -عليه السلام- وَأَصْحَابِهِ، فَأَصَابُوا جَمَاعَةً مِنَ الطَّبَرِيِّينَ بِجِرَاحٍ خَفِيفَةٍ، وَكَذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ خِيَوَانَ، وَقُتِلَ مَمْلُوكٌ لِبَعْضِ أَهْلِ خِيَوَانَ بِسَهْمٍ، وَنَالَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ الْهَادِي جِرَاحٌ كَثِيرَةٌ^(١)، وَهَزَمُوهُمْ، وَلَحِقُوا جَمَاعَةً مِنْهُمْ، فَأَتَوْا بِهِمْ إِلَى الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ، فَمَنْ عَلَيْهِمْ، وَصَرَفَهُمْ إِلَى أَصْحَابِهِمْ، فَأَنْصَرَفُوا جَمِيعًا مَهْزُومِينَ بِأَشْرِّ حَالٍ مَقْلُولِينَ^(٢).

وَرَجَعَ الْهَادِي إِلَى مَنْزِلِهِ، وَأَنْفَذَ صَارِحًا فِي النَّاسِ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الثَّلَاثَاءِ أَتَتْهُ جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي رَبِيعَةَ، فَأَقَامُوا عِنْدَهُ.

[خُطْبَةُ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ فِي خِيَوَانَ]

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ أَمَرَ أَبَا الْقَاسِمِ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَخَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَحَمِدَ اللَّهَ تَعَالَى، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ^(٣)، ثُمَّ ذَكَرَ فِي خُطْبَتِهِ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَرَغَّبَ فِيهِ النَّاسَ، وَخَضَّعَهُمْ عَلَيْهِ، وَذَكَرَ فَضْلَ الْقَائِمِ بِهِ، وَمَا وَعَدَ اللَّهُ مَنْ قَامَ مَعَهُ، مَعَ كَلَامٍ كَثِيرٍ، وَرَغَّبَ فِيهِ النَّاسَ لِلْحَقِّ، وَدَعَاهُمْ فِيهِ إِلَى سَبِيلِ الْآخِرَةِ،

(١) فِي (ص ب): كَثِيرٌ.

(٢) كَذَا فِي الْأَصْلِ، وَبَيْنَ سَطُورِهَا أَيْضًا: مَغْلُوبِينَ. وَعَكْسَ ذَلِكَ فِي (ذ). وَفِي (ط ب): مَغْلُوبِينَ.

(٣) فِي (ط): صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. وَفِي (ذ): صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَوَسَلَّمَ.

حَتَّى خَشَعَتْ لَذَلِكَ قُلُوبُهُمْ، وَانْتَفَعُوا بِكَلَامِهِ، ثُمَّ صَلَّى وَعَادَ إِلَى مَنْزِلِهِ.

[شيء من فضل الهادي إلى الحق وبركته]

قال علي بن محمد: حَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ سَلِيمَانَ، قَالَ: تَخَلَّفْتُ فِي الْمَسْجِدِ بَعْدَ انْصِرَافِ أَبِي الْقَاسِمِ أَصْلِي، فَإِذَا جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي رِبِيعَةَ وَمِنْ حَجُورٍ يَتَحَدَّثُونَ وَيَتَعَجَّبُونَ مِمَّنْ يُقَاتِلُ الْهَادِيَ إِلَى الْحَقِّ، فَسَمِعْتُ رَجُلًا مِنْهُمْ يَتَحَدَّثُ، قَالَ: كُنَّا مُذْ أَيَّامِ نَاحِيَةِ أَثَافِتٍ، فَحَدَّثَنَا شَعِيبٌ، مِنْ أَهْلِ السَّبِيعِ، وَقَدْ ذَكَرْنَا الْهَادِيَ، وَهَذَا السَّبِيعِيُّ مِنْ أَرْحَبِ مِنْ عَشِيرَةِ الدُّعَامِ، وَمِمَّنْ كَانَ يُعَاضِدُهُ عَلَى حَرْبِ الْإِمَامِ، وَكَانُوا يَشْكُونُ فِي أَمْرِ الْهَادِيَ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا ثَاقِفُوهُ^(١)، وَلَا جَالِسُوهُ، وَلَا اسْتَمَعُوا مِنْ قَوْلِهِ وَلَا اسْتَفَادَوْهُ، فَقَالَ الرَّجُلُ: قَالَ شَعِيبٌ: مَرَضْتُ مَرَضًا شَدِيدًا مِنْ حَلْقِي، حَتَّى لَمْ أَقْدِرْ أَنْ أَبْلَعَ شَيْئًا مِنْ رِيقِي، وَأَشْرَفْتُ عَلَى الْمَوْتِ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمٌ^(٢) أَتَى^(٣) كِتَابٌ مِنَ الْهَادِيَ إِلَى أَهْلِ السَّبِيعِ، فَأَخَذْتُ الْخَاتَمَ الَّذِي كَانَ / ٤٦ - ب / عَلَى الْكِتَابِ مَخْتُومًا بِهِ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ صَاحِبُ هَذَا عَلَى الْحَقِّ فَأَعْطِنِي الْعَافِيَةَ، وَأَكَلْتُ الْخَاتَمَ، فَمَا لَبِثْتُ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى انْفَتَحَ حَلْقِي، وَأَكَلْتُ وَشَرِبْتُ، وَأَعْطَانِي اللَّهُ الْعَافِيَةَ.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ حَجُورٍ، لَا بَأْسَ بِهِ فِي دِينِهِ وَمَذْهَبِهِ، يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَلِيمَانَ: كَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ آيَةٍ مُذْ قَدِمَ الْهَادِي! قَدْ رَأَيْتُ أَنَا مِثْلَ هَذَا، قَدْ كَانَ عِنْدَنَا إِنْسَانٌ يَسِيلُ بَطْنُهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، فَتَدَاوَى بِمَا أَمْكَنَهُ، فَلَمْ يَنْفَعْهُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمٌ أَتَانِي كِتَابُ الْهَادِيَ، فَأَخَذْتُ خَاتَمَهُ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ، فَمَضَيْتُ بِهِ إِلَى الرَّجُلِ، فَقُلْتُ لَهُ: كُلْ

(١) ثاقفه: جالسه ولازمه. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ١١٨٤.

(٢) في (الأصل ذ): يوما. ولا وجه لنصبها؛ ولهذا فالصحيح ما أُثبت من بقية النسخ.

(٣) في (ص ط ب): أتاني.

هذا، فأرجو أن يَنْفَعَكَ، فَأَخَذَهُ الرَّجُلُ، فَأَكَلَهُ، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ الْعَافِيَةَ، وَانْقَطَعَ عَنْهُ ذَاكَ الَّذِي كَانَ يَجِدُهُ.

عليّ بن محمد، قال: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلِيمَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ الدُّعَامِ يَقُولُ: كَانَتْ لِي أَرْضٌ أَزْرَعُهَا، فَتُغْلُ مِيتِي فَرَقٌ^(١) إِلَى ثَلَاثِ مِيةٍ، فَقَدِمْتُ عَلَى الْهَادِي، فَوَهَبَ لِي دَنَانِيرَ، فَطَرَحْتُ فِي ثَمَنِ بَذْرِ الضَّيْعَةِ دِينَارًا مِنْهَا، وَزَرَعْتُهَا، فَأَغْلَتُ أَلْفَ فَرَقٍ وَنِيفًا.

عليّ بن محمد، قال: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلِيمَانَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الضَّحَّاكِ^(٢) قَاضِي هَمْدَانَ، وَفَقِيهٌهَا وَعَالِمٌهَا، وَالْمَقْصُودُ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ، وَفِي كُلِّ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ حَلَالٍ أَوْ مِنْ حَرَامٍ، قَالَ: قَالَ لِي هُوَ، وَمُرَّوْخُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الصَّايْدِي^(٣): بَايَعْنَا يَحْيَى بْنَ الْحُسَيْنِ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ مَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَقْوَمُ بِحَقِّ اللَّهِ مِنْهُ، وَمَا يَفْقَدُ مِنْ مُحَمَّدٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - إِلَّا شَخْصَهُ، قَدْ رَأَيْنَا عِلَامَةَ ذَلِكَ فِيهِ عِنْدَمَا كَانَ مِنْ دَعْوَتِهِ عَلَى أَبِي مُحَجَّنٍ، عَبْدُ آلٍ يُعْفِرُ، وَدَعَائِهِ عَلَى جُفْتُمْ، فَأَصَابَهُ مَا دَعَا بِهِ عَلَيْهِ^(٤)؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ وَجَّهَ إِلَى أَبِي مُحَجَّنٍ فِي السَّنَةِ الَّتِي كَانَ فِيهَا بِالْيَمَنِ فِي خُرُوجِهِ الْأَوَّلِ رُجُلًا بَكْتَابٍ يَدْعُوهُ إِلَى اللَّهِ، فَأَخَذَ أَبُو مُحَجَّنٍ الرَّسُولَ، وَحَلَقَ رَأْسَهُ وَلَحِيتَهُ، وَضَرَبَهُ، فَدَعَا عَلَيْهِ، فَابْتُلِيَ فِي بَدَنِهِ^(٥) بَبَلِيَّةٍ عَظِيمَةٍ، حَتَّى مَاتَ مِنْهَا عَلَى أَسْوَأِ الْحَالَاتِ.

(١) الفرق: مكيال يسع ثلاثة أصع، أو ستة عشر رطلا. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ٩١٦-٩١٧.

(٢) أحمد بن محمد بن الضحّاك، الميعدي، الأمير، وقد تقدم التعريف به.

(٣) الصايدي: لم أعرف عنه أكثر مما ورد عنه هنا، وهو منسوب إلى الصَّيْد، وقد تقدم التعريف به.

(٤) في (ط ب): فأصابه من دعائه.

(٥) في (الأصل ذ): ببذنه. وفي (ص): في يديه. ولعل ما أُثبت من النسخ الأخرى أولى.

وَسَمِعْنَا ابْنَهُ أَبَا الْعَتَاهِيَّةِ، وَهُوَ يَقُولُ: كَانَ أَبِي أَبُو مُحَمَّدٍ يَقُولُ، وَهُوَ فِي تِلْكَ الْبَلِيَّةِ: هَذِهِ عَقُوبَةُ عَلِيٍّ مَا ^(١) عَمِلْتُ بِرَسُولِ الْعَلَوِيِّ، يَعْنِي رَسُولَ يَحْيَى بْنِ الْحُسَيْنِ.

وَأَمَّا جُفْتُمْ فَقَالَ: "اللَّهُمَّ أَخْرِجْهُ مِنَ الْيَمَنِ عَلَى أَسْوَأِ الْحَالَاتِ"، فَمَا حَالُ عَلَيْهِ الْحَوْلُ حَتَّى خَرَجَ مِنَ الْيَمَنِ طَرِيدًا شَرِيدًا خَائِفًا.

قَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلِيحَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ بَيْتِ زُودٍ، يَقُولُ لِيَحْيَى بْنِ الْحُسَيْنِ: مَرَرْتُ بِنَا فِي سَفَرِكَ الْأَوَّلِ، فَبَايَعْنَاكَ، فَدَعَوْتَ اللَّهَ لَنَا أَنْ يَكْفِينَا الْفِتْنَةَ، فَمَا رَأَيْنَا بَعْدَكَ فِتْنَةً، وَلَقَدْ / ٤٧ - أ / كَانَتِ الْفِتْنَةُ حَوْلَنَا، فَمَا رَأَيْنَا إِلَّا خَيْرًا بِبَرَكَةِ دُعَائِكَ لَنَا.

قَالَ: وَكُنْتُ يَوْمًا جَالِسًا عِنْدَ يَحْيَى بْنِ الْحُسَيْنِ، فَجَاءَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ هَمْدَانَ، فَقَالُوا: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ كَانَ بَلَدُنَا مُمَجَّلًا مَقْحُوطًا، فَلَمَّا جِئْتَنَا وَبَايَعْنَاكَ سَقَى اللَّهُ بَلَدَنَا، وَمُطَرْنَا مَطَرًا لَمْ نَرِ مِثْلَهُ قَطُّ.

قَالَ: وَسَمِعْتُ رَجُلًا يَقُولُ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ كَانَتْ أَرْضُ لِي قَلِيلَةَ الْخَيْرِ، فَلَمَّا أَخْرَجْتُ صَدَقَتَهَا أَثْمَرْتُ أَضْعَافَ مَا كَانَتْ تُخْرِجُ، قَالَ: وَسَمِعْتُ الْهَادِيَّ إِلَى الْحَقِّ وَهُوَ يُخَضُّ النَّاسَ عَلَى إِخْرَاجِ صَدَقَةِ أَطْعَمَاتِهِمْ، وَيَذْكُرُ لَهُمْ مَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْبَرَكَةِ، ثُمَّ قَالَ: "أَخْبَرَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْيَرْسُمِي، وَقَدْ حَضَرَ إِلَيَّ، فَدَعَانِي ^(٢)، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ أُخْبِرُكَ - وَاللَّهِ - مَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ الْبَرَكَةِ، كُنْتُ أُدْخِلُ طَعَامًا مِثْلَ مَا أُدْخِلْتُ الْعَامَ أَوْ أَكْثَرَ، قَبْلَ أَنْ تَقْدُمَ إِلَيْنَا، فَإِذَا كَانَ آخِرُ السَّنَةِ لَمْ يَبْقَ عِنْدَنَا شَيْءٌ، حَتَّى أَشْتَرِيَ طَعَامًا صَالِحًا إِلَى أَنْ يَخْضُرَ طَعَامُنَا، قَالَ:

(١) فِي (ز ط): عَقُوبَةُ عَلِيٍّ عَلَى مَا.

(٢) فِي الْأَصْلِ وَمُعْظَمُ النُّسخ: فَدَعَانِي. وَمَا أَثْبَتَ مِنْ (ص) أَنْسَبَ.

فلَمَّا كَانَ مِنْ قَرِيبٍ قُلْتُ لِأَهْلِي: هَلْ بَقِيَ عِنْدَكُمْ طَعَامٌ؟ قَالُوا: طَعَامُنَا عَلَى حَالِهِ، وَذُرْتُنَا عَلَى حَالِهَا، وَذَلِكَ بِبَرَكَتِكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ".

تَمَامُ خَبَرِ الْمُعْمِرِيِّينَ وَمُحَارَبَتِهِمْ

قَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ: حَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، قَالَ: فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ السَّبْتِ لِأَحَدٍ وَعَشْرِينَ يَوْمًا مِنْ شَعْبَانَ، وَذَلِكَ عِنْدَ صَلَاةِ الظُّهْرِ، إِذِ الْقَوْمُ قَدْ أَتَوْا شَبَهَا مِنْ ثَلَاثِ مِائَةِ رَجُلٍ، فَأَسْنَدُوا إِلَى جَبَلٍ قَرِيبٍ مِنْ خِيَوَانَ، فَلَمَّا عَلِمَ الْهَادِي بِهِمْ أَمَرَ النَّاسَ بِالرُّكُوبِ، فَزَكَبُوا، وَلَبَسَ سِلَاحَهُ، وَلَبَسَ أَبُو الْقَاسِمِ سِلَاحَهُ، وَرَكِبَا دَوَابَّهُمَا، وَعَزَمَ الْهَادِي عَلَى قِتَالِهِمْ، وَخَرَجَ مِنَ الْقَرْيَةِ، فَتَبَطَّنَ الْوَادِي حَتَّى قَرُبَ مِنَ الْقَوْمِ، فَلَمَّا صَارَ فِي الْوَادِي لَقِيَهُ الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ الْعُلُوي، قَدِمَ مِنْ أَثَافِتٍ، وَكَانَ بِهَا وَالِيًا، وَمَعَهُ عَسْكَرٌ مِنْ بَنِي رَبِيعَةَ وَبَنِي صُرَيْمٍ، جَاءُوا مَادَّةً لِلْهَادِي؛ لِمَا بَلَغَهُمْ مَا كَانَ مِنْ خُرُوجِ الْمُعْمِرِيِّينَ فِي حَرْبِ الْهَادِي، فَأَمَرَ الْهَادِي حِينَئِذٍ النَّاسَ يَتَعَبَّوْنَ، وَعَزَمَ عَلَى قِتَالِ الْقَوْمِ.

فَبَيْنَمَا هُوَ يُعَبِّي النَّاسَ، وَيُصَفِّهُمُ لِلْحَمَلَةِ عَلَى عَدُوِّهِمْ؛ إِذْ ^(١) بِجَمَاعَةٍ مِنْ مَشَايِخِ الْقَوْمِ وَوُجُوهِهِمْ قَدْ أَتَوْهُ فَقَالُوا: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ قَدْ صَرَفْنَا الْقَوْمَ، وَلَيْسُوا يَعُودُونَ إِلَى مِثْلِ هَذَا أَبَدًا، وَلَيْسَ يُرِيدُونَ إِلَّا خَيْرًا، فَارْجِعْ إِلَى مَنْزِلِكَ، وَاصْرِفْ عَسَاكِرَكَ، وَحَمَلُوا عَلَيْهِ بِجَمَاعَةٍ مِنْ مَشَايِخِ خِيَوَانَ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ وَجُوهِ هَمْدَانَ وَخَوْلَانَ، وَقَالُوا: نَحْنُ نَمْضِي إِلَيْهِمْ نَتَّبِعُ عَلَيْهِمْ فَعَلَهُمْ، وَنَذَكِّرُهُمْ بِمَا كَانَ مِنْ إِحْسَانِكَ إِلَيْهِمْ ^(٢)، فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ الْكَلَامَ رَجَعَ / ٤٧ - ب / مُنْصَرِفًا إِلَى خِيَوَانَ،

(١) فِي (ص ز ب): إِذَا.

(٢) فِي (الأصل ذ): عَلَيْهِمْ. وَمَا أُثْبِتَ مِنْ بَقِيَةِ النُّسخِ أَوَّلَى.

ومعه أصحابه من الطَّيِّبِينَ وَغَيْرِهِمْ شَبَهَ الْمَغْضَبِ، حَتَّى دَخَلَ مَنْزِلَهُ.
وَمَضَى مَشَايِخُ أَهْلِ خِيَوَانٍ إِلَى الْقَوْمِ مَعَ عَشَائِرِهِمْ^(١)، فَقَبَّحَ الْكُلَّ عَلَيْهِمْ
فَعَلَّاهُمْ، وَصَرَفُوهُمْ مِنْ مَوَاضِعِهِمْ، فَسَأَلُوهُمْ الْعَوْدَةَ إِلَى الْهَادِي وَالشَّفَاعَةَ لَهُمْ
عِنْدَهُ، فَارْجَعَ الْقَوْمُ إِلَى الْهَادِي، فَقَالُوا لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ إِنَّ الْقَوْمَ نَادِمُونَ عَلَى مَا
كَانَ مِنْهُمْ، وَهُمْ عَشِيرَتُكَ، وَمَنْ قَدْ أَبْلَى مَعَكَ، فَعُدَّ عَلَيْهِمْ بِفَضْلِكَ وَرَأْفَتِكَ
وَرَحْمَتِكَ، وَهُمْ يَطْطُبُونَ الْأَمَانَ مِنْكَ، وَلَا يَتَأَسُّنَحْنَ وَلَا هُمْ مِنْ جَمِيلِكَ
وَإِحْسَانِكَ، وَقَدْ ذَكَرُوا أَنَّكَ قَدْ سَخَرْتَهُمْ مِنْ أَرَادَ هَلَكَتِهِمْ، وَبَانَ لَهُمْ خَطُؤُهُمْ^(٢)،
فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ، وَقَدْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مَعَ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ فِي حَرْبٍ أَثَافَتْ،
وَكَانُوا لَهُ نَاصِحِينَ فِي حَرْبٍ عَدُوَّهُ مُجْتَهِدِينَ، فَعَرَفَ ذَلِكَ لَهُمْ، وَتَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ،
عِنْدَ طَلَبِ الْعَشِيرَةِ إِلَيْهِ فِيهِمْ، فَأَعْطَاهُم الْأَمَانَ، وَسَرَّ^(٣) بِذَلِكَ جَمِيعَ هَمْدَانِ.

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ لَيُومَيْنِ بَقِيَا مِنْ شَهْرِ شَعْبَانَ وَصَلُوا إِلَى الْهَادِي بِأَجْمَعِهِمْ،
فَاعْتَذَرُوا مِنْ سُوءِ فِعَالِهِمْ، وَأَقْرَأُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِمَا كَانَ مِنْ خَطَائِهِمْ^(٤)، فَصَفَحَ
عَنْهُمْ، وَعَذَّرَهُمْ فِي مَا أَقْرَأُوا بِهِ مِنْ خَطَائِهِمْ عَلَى نَفْسِهِمْ، وَصَفَحَ عَنْ زَلَّتِهِمْ،
وَجَدَّدُوا بَيْعَاتِهِمْ، وَانْصَرَفُوا إِلَى مَوَاضِعِهِمْ.

وَصَرَفَ الْهَادِي - عَلَيْهِ السَّلَامُ - الْحُسَيْنَ بْنَ الْحَسَنِ الْعَلَوِيَّ إِلَى أَثَافَتْ، وَصَرَفَ كُلَّ مَنْ
كَانَ قَدْ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ إِلَى أَهَالِيهِمْ، وَسَكَنْتِ الْأُمُورُ، وَدَفَعَ اللَّهُ عَنْ الْهَادِي - عَلَيْهِ السَّلَامُ -
كُلَّ مَحْذُورٍ، وَأَقَامَ الْهَادِي فِي خِيَوَانٍ ظَاهِرًا عَلَى عَدُوِّهِ أَيْنَمَا كَانَ.

(١) في (ص ز ط ب): عشيرتهم.

(٢) في بعض النسخ كتبت: خطاهم. اسم مقصور. وفي بعضها الآخر: خطاؤهم.

(٣) في (الأصل ذ): وشد. وفي (ب): وسند. ولعل ما أثبت أنسب.

(٤) كذا بالمد. وهي لغة في (الخطأ). وفي (ز): خطاهم. اسم مقصور.

[خَبَرُ حَدِّثِ الْقُشَيْبِ^(١) وَهَجَمَةِ ابْنِ الصَّحَّاحِ عَلَى خِيَوَان]

/ ٤٨ - ب / [ثُمَّ أَحَدَّثَ الْقُشَيْبُ عَلَى الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ، وَهَجَمَ ابْنَ الصَّحَّاحِ عَلَى وَلَدِهِ أَبِي الْقَاسِمِ فِي خِيَوَانٍ، فَصَارَ^(٢) الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ - عليه السلام - إِلَى مَنَازِلِ الْمُحَدِّثِينَ يُرِيدُ هَدْمَهَا، فَلَمَّا صَارَ عِنْدَ الْمَنَازِلِ وَقَعَ بَيْنَ النَّاسِ كَلَامٌ، وَنَكَثَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ الَّذِينَ حَلَفُوا لَهُ، وَنَصَبُوا لَهُ الْحَرْبَ بِأَجْمَعِهِمْ، وَقَدْ أَمْسَى، فَارَاحَ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ - عليه السلام - إِلَى مُعَسَّكِرِهِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا حَتَّى قَرَّبَ مِنَ الْمَوْضِعِ، وَعَبَّى^(٣) عَسْكَرَهُ مَيْمَنَةً وَمَيْسَرَةً، وَمَضَى هُوَ فِي الْقَلْبِ، وَعَثِيَ الْقَوْمُ إِلَى وَادٍ كَانُوا فِيهِ، وَكَانَ وَعْرًا لَا مَعْمَلَ لِلْخَيْلِ فِيهِ، فَلَمَّا قَارَبَ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ الْوَادِيَّ حَمَلَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ؛ لِمَعْرِفَتِهِمْ أَنَّ الْخَيْلَ الَّتِي مَعَ الْهَادِي - عليه السلام - لَا تَنْفَعُ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ، فَلَمَّا حَمَلُوا عَلَيْهِ انْهَزَمَ الْجُنْدُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ الْهَادِي - عليه السلام -^(٤) وَجَمِيعُ مَنْ كَانَ مَعَهُ إِلَّا ثَلَاثَةً أَعْبَدَ كَانُوا لِلْهَادِي، فَثَبَّتَ الْهَادِي وَالْعَبِيدُ مَعَهُ لَمْ يَنْهَزِمُوا، فَلَمَّا رَأَى الْهَادِي أَنَّ الْقَوْمَ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنْهُ، وَأَنَّ أَصْحَابَهُ قَدْ انْهَزَمُوا وَخَلَوْا عَنْهُ، حَمَلَ حَيْثُ نَزَلَ الْهَادِي عَلَيْهِمْ كُلُّهُمْ بِنَفْسِهِ وَحَدَهُ، فَانْهَزَمَ كُلُّ مَنْ كَانَ فِي وَجْهِهِ مِنْهُمْ، وَرَجَعُوا خَائِبِينَ إِلَى مَوَاضِعِهِمْ.

(١) الْقُشَيْبُ مِنَ الْقُشْبِ، وَهُمْ بَنُو يُقْشُبَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ حَرْبِ بْنِ عَبْدِ وَدِّ بْنِ وَادِعَةَ، وَلَعَلَّ مَنَازِلَهُمْ كَانَتْ فِي خِيَوَانٍ كَمَا سَيَأْتِي فِي السِّيَرَةِ، أَوْ فِي آخِرِ بَلَدِ بَنِي حَرْبِ بْنِ عَبْدِ وَدِّ، بِجَوَارِ بَنِي مُعُومِرٍ، وَالْيَوْمَ هُنَاكَ رُبْعُ الْقَشِيبِيِّ فِي عَزْلَةِ أَهْلَابِ الْحُسَيْنِ، مِنْ مَدِيرِيَةِ خَمَرٍ، وَلَعَلَّهُمْ بَقِيَّةٌ لِأَوَّلَتِكَ. العلوي: السيرة، ل ٥٣/ أ؛ والهمداني: الإكليل، ج ١٠، ص ٧٨؛ وصفة جزيرة العرب، ص ١٢٨، ٢٢١؛ والحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، مج ١، ج ٢، ص ٢١٧.

(٢) مَا بَيْنَ الْمَعْكُوفِينَ بَيَاضٌ لِفَرَاغٍ مُتَفَاوِتٍ فِي النِّسْخِ، فِي (الْأَصْلِ ذ) بِمَقْدَارِ صَفْحَةٍ وَنِصْفٍ. وَفِي (ص ز) ثَلَاثَا صَفْحَةٍ. وَفِي (ز) ثَلَاثَا صَفْحَةٍ. وَفِي (ط) صَفْحَةٍ وَنِصْفٍ. وَقَدْ تَمَّ مَلْءُ هَذَا الْفَرَاغِ اجْتِهَادًا بِحَسَبِ مَا فُهِمَ مِنَ السِّيَاقِ الْآتِي.

(٣) فِي (ص ز ط ب): ثُمَّ عَبَّى.

(٤) فِي (الْأَصْلِ ط ب ذ): لِمَعْرِفَتِهِمْ أَنَّ الْخَيْلَ لَا تَعْمَلُ فِيهِ، فَانْهَزَمَ الْخَيْلُ الَّتِي مَعَ الْهَادِي - عليه السلام - . وَلَعَلَّ مَا أُثْبِتَ مِنْ (ص ز) أَوْفَقَ لِلْسِّيَاقِ؛ حَيْثُ يَشِيرُ إِلَى انْهِزَامِ الْجُنْدِ كُلِّهِ وَلَيْسَ الْخَيْلُ فَقَطْ.

فلَمَّا نَظَرَ الهادي إلى الحق أَنَّ الفَرَسَ لَا مَعْمَلَ لَهُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي طَمِعَ أَنْ يَكُونَ لَهُ فِيهِ مَوْقِعٌ، نَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ، وَأَخَذَ السَّيْفَ وَالدَّرَقَةَ^(١)، وَوَقَفَ فِي مَوْضِعِهِ، وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ عَدُوُّهُ، وَطَمِعُوا فِيهِ عِنْدَ تَرْجُلِهِ، فَقَاتَلَهُمْ رَاجِلًا قِتَالًا شَدِيدًا، حَتَّى أَزَاحَهُمْ مِنْ نَفْسِهِ، وَأَبْعَدَهُمْ مِنْ مَوْضِعِهِ، وَهَابُوا مَكَانَهُ، وَأَيَسُوا مِنْهُ، فَنَظَرَتْ مَيْسَرَةُ الهادي إِلَى مَا كَانَ مِنْ قِتَالِهِ، فَاشْتَدَّتْ قُلُوبُهُمْ، وَرَجَعَتْ إِلَيْهِمْ أَوْهَالُهُمْ^(٢)، فَحَمَلُوا عِنْدَ ذَلِكَ عَلَى الْقَوْمِ، فَكَشَفُوهُمْ، وَهَزَمُوهُمْ حَتَّى أَدْخَلُوهُمْ حِصْنَهُمْ، وَأَقْبَلَ عَسْكَرُ الهادي حِينَئِذٍ بِأَجْمَعِهِمْ، وَلَوْلَا مَا كَانَ مِنْ مَوْقِفِ الهادي - عليه السلام - مَا اجْتَمَعَ اثْنَانِ، وَلَكِنْ ذَلِكَ تَثَبَّتْ لَهُ مِنَ الرَّحْمَنِ، وَهَذِهِ مِنْ دَلَائِلِ الْإِمَامِ، الَّتِي بَانَ بِهَا مِنَ الْأَنَامِ.

قَالَ: ثُمَّ سَارَ حِينَئِذٍ الهادي إِلَى الْحَقِّ إِلَى حِصْنِ الْقَوْمِ، فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيْهِ، وَمَا قَدْ أَجْمَعَ عَلَيْهِ، صَاحُوا بِهِ وَطَلَبُوا مِنْهُ الْأَمَانَ، فَرَاخَ مِنْهُمْ تِلْكَ الْعَشِيَّةَ إِلَى مُعْسِكَرِهِ، فَبَاتَ لَيْلَتَهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَيْهِمْ، فَخَرَجُوا إِلَيْهِ بِأَجْمَعِهِمْ، فَطَلَبُوا مِنْهُ الْأَمَانَ، فَأَمَنَهُمْ، وَسَمِعُوا لَهُ وَأَطَاعُوا، وَمَضُوا مَعَهُ إِلَى مَنَازِلِ الْمُحْدِثِينَ، فَأَمَرَ بِهَدْمِهَا فَهَدِمَتْ، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِمْ فِي أَمْرِهِمْ، وَأَعْلَمَهُمْ أَنََّّهُمْ إِنْ وَرَدُوا إِلَى بَلَدِهِمْ أَنَّهُ سَيَأْخُذُهُمْ بِهِمْ، فَضَمِنُوا لَهُ ذَلِكَ.

وَانْصَرَفَ رَاجِعًا إِلَى أَثَافٍ، فَلَمَّا قَرَّبَ مِنْ أَثَافٍ اسْتَقْبَلَهُ عَسْكَرُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ عِنْدَمَا بَلَغَهُ مَا كَانَ مِنْ حَرْبِهِ لِلْقُشَيْبِ^(٣)، وَمَا كَانَ مِنْ هَجْمَةِ ابْنِ الصَّحَّاحِ عَلَى أَبِي الْقَاسِمِ، وَهَزِيمَةٍ / ٤٩ - أ / قَائِدِهِ الَّذِي كَانَ مَعَهُ، فَلَمَّا لَقِيَهِ الْعَسْكَرُ سَارَ بِهِ حَتَّى نَزَلَ بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ حَوْثٌ، فَأَمَرَ بِهَدْمِ مَنْزِلٍ كَانَ لَرَجُلٍ كَانَ قَدْ ظَافَرَ ابْنَ الصَّحَّاحِ، وَقَامَ

(١) الدَّرَقَةُ: الثَّرْسُ مِنْ جِلْدٍ لَيْسَ فِيهِ حَسَبٌ وَلَا عَقَبٌ. مصطفى: المعجم الوسيط، ج ١، ص ٢٨١.

(٢) وَهَلَ الرَّجُلُ وَهَلًا: ضَعُفَ وَفَرَعَ. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ١٠٦٩.

(٣) فِي (الْأَصْلِ ص ط ذ): لِلْقُسَيْبِ. وَمَا أُثْبِتَ فَمِنْ بَقِيَةِ النُّسخِ. وَلَعَلَّهُ الْأَوَّلَى.

معه يؤلَّبُ الناسَ على الفساد، فَهَدَمَ مَنْزِلَهُ، وأَرَادَ أَنْ يَقْطَعَ عِنَبًا لَهُ، فَكَلَّمَهُ بَعْضُ النَّاسِ فِي الصَّفْحِ عَنْ ذَلِكَ، فَصَفَحَ، فَأَقَامَ بِالْمَوْضِعِ يَوْمَهُ، ثُمَّ غَدَا إِلَى مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ الْعُيْبُ^(١) فِي بَلَدٍ^(٢) ابْنِ الضَّحَّاكِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ قَاتَلُوا أَبَا الْقَاسِمِ لَيْلَةَ خِيَوَانَ.

فَلَمَّا عَلِمَ الْقَوْمُ أَنَّ الْهَادِي -عليه السلام- يَطْلُبُهُمْ خَرَجُوا مِنْ مَوَاضِعِهِمْ، وَوَجَدَهُ^(٣) خَالِيًا عَنْهُمْ، فَأَمَرَ بِقَطْعِ أَعْنَابِهِمْ، وَهَدَمَ مَنَازِلَهُمْ، فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَى ذَلِكَ حَازَرُوا الْهَلَكَةَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، فَوَجَّهُوا مَشَايخَ مِنْ أَوْلِيَاءِ الْهَادِي -عليه السلام- يَسْأَلُونَهُ الصَّفْحَ عَنْهُمْ، وَالْقَبُولَ مِنْهُمْ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ، وَأَعْطَاهُمْ الْأَمَانَ، فَرَجَعَ الْمَشَايخُ إِلَيْهِمْ، فَأَتَوْا بِأَجْمَعِهِمْ إِلَّا ابْنَ الضَّحَّاكِ فَإِنَّهُ رَهَبَ مِنَ الْهَادِي؛ وَذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَ صَیًّا ضَعِيفًا لَا عَقْلَ لَهُ، فَأَقَامَ فِي بَلَدِ بَنِي مُعْمِرٍ، وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ يَسِيرَةُ مِنْ عَبِيدِ خِيَوَانَ.

فَلَمَّا أَتَى الْقَوْمُ إِلَى الْهَادِي -عليه السلام-، وَحَلَفُوا لَهُ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، بَاتَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي الْعُيْبِ، ثُمَّ طَلَبَ رِجَالًا لَمْ يَكُونُوا لِقَوَاهُ^(٤) فَجَاءُوهُ، فَاسْتَحْلَفَهُمْ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَأَنْصَرَفَ مِنَ الْغَدِ إِلَى خِيَوَانَ، وَذَلِكَ فِي أَوَّلِ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَمِئَتَيْنِ.

مَصِيرُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ إِلَى نَجْرَانٍ مِنَ الْحِجَازِ

قَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ: لَمَّا خَالَفَ الْقُشَيْبُ^(٥) عَلَى الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ، وَابْنُ الضَّحَّاكِ عَلَى أَبِي الْقَاسِمِ، تَحَرَّكَتْ بَنُو الْحَارِثِ فِي الْفَسَادِ عَلَى الْإِمَامِ، وَكَانَ الْقَائِمُ عَلَى ذَلِكَ

(١) فِي (الْأَصْل ط ب): الْغَيْبِ. وَالصَّحِيحُ مَا أُثْبِتَ كَمَا تَقْدُمُ.

(٢) فِي (ص ز ط ب): فِي طَلَبِ.

(٣) فِي (الْأَصْل ذ ط ب): وَوَجَدُوهُ. وَلَعَلَّ مَا أُثْبِتَ مِنْ (ص ز) أَوْفَقُ لِلْسِّيَاقِ.

(٤) فِي (ص): أَتَوْهُ.

(٥) فِي (ز ط) لَمْ تُعْجَمَ. وَفِي (ب): الْقَتِيبُ. وَلَعَلَّ الْأَصَحَّ مَا أُثْبِتَ، وَقَدْ تَقْدُمُ.

ابن بسطام، فَقَدِمَ عَبْدُ اللَّهِ بن الحسين إلى نَجْران من الحجاز، وكان الهادي إلى الحق قد وَجَّهَهُ إلى الحجاز إلى مشايخه أيامَ رَفْعِ مَنْ كان أَدَثَ عليه.

[هَجَمَتْ بني الحارثِ على أبي محمد عبدالله بن الحسين وأبي

الحسين أحمد بن محمد العلوي]

فلَمَّا وَصَلَ أبو محمدِ الْبَلَدَ أَصْلَحَ ما كان بها، وَلَمْ أُمُورَ أَهْلِهَا، فَاطْمَأَنَّتِ الْبَلَدُ لذلك.

ثُمَّ إِنَّ بني الحارث اجْتَمَعَتْ وَتَشَاوَرَتْ في الهَجْمَةِ على أبي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بن الحسين، وعلى أبي الحسين أحمد بن محمدِ العلوي -عليه السلام، وكان واليًا للبلد، وأرادوا أن يأخذوهما بدلًا بِحَبْسائِهِم الذين كانوا أَخَذَهُم الهادي إلى الْحَقِّ، وَرَفَعَهُمْ إلى صعدة، في سَفَرِهِ الْأَوَّلِ، وَحَبَسَهُمْ بصعدة.

فلما كان ليلة سَبْعِ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ ماضيةً مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَمِئَتَيْنِ / ٤٩ - ب / هَجَمُوا عليها بِأَجْمَعِهِمْ، فَلَمْ يَشْعُرَا بِهِمْ حَتَّى دَخَلُوا عَلَيْهَا الدَّارَ، وَفَتَحَهَا لَهُمْ رَجُلٌ مَدَائِيٌّ، يَقَالُ لَهُ ابْنُ مَصْفَى بن إبراهيم ^(١)، ابْنُ عَمِّ عَلِيٍّ بن ربيع ^(٢).

فلَمَّا دَخَلُوا الدَّارَ أَخَذُوا دَوَابَّ أَبِي مُحَمَّدٍ وَأبي الحسين، ودَوَابَّ أبي جعفرِ مُحَمَّدٍ بن عيسى التميمي، وكان معهما مُقِيمًا في الْبَلَدِ، وَأَخَذُوا مَا كان في أَسْفَلِ

(١) ابن مصفى: لم أعرفه بأكثر مما ورد هنا.

(٢) علي بن ربيع: من زعماء بني عبدالمدان بن الديان، الحارثيين، في نجران، قاد مع آخَرِينَ حَرَكَاتِ التَّمَرُّدِ ضد سلطة الإمام الهادي، واعتبره الهادي "من المُفْسِدِينَ، وَمَنْ يَسْعَى في حَرْبِ الدِّينِ"، ورماه في السجن، ثُمَّ قَتَلَهُ قِصَاصًا سنة ٢٩٥ هـ. العلوي: السيرة، ل ٩٧/ ب، ١١٥/ أ، ١١٧/ أ، ١٢١/ أ - ب، ١٢٣/ ب، ١٢٩/ ب.

الدَّارِ، وَعَلِمَ بِهِمْ أَبُو مُحَمَّدٍ بَعْدَ دُخُولِهِمُ الدَّارَ، وَكَانَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ يُصَلِّي صَلَاةَ اللَّيْلِ، فَنَادَى بِأَبِي الْحُسَيْنِ وَأَصْحَابِهِ وَخَدَمِهِ، وَكَانُوا شَبَّهًا مِنْ بَضْعَةِ عَشَرَ رَجُلًا، فَقَاتَلَهُمْ مِنْ جَانِبٍ، وَأَصْحَابُهُ مِنْ جَانِبٍ، فَلَمْ يَزَلْ يُقَاتِلُهُمْ قِتَالًا شَجِيحًا حَتَّى رَمَى ابْنُ أَخٍ لَابْنِ حَمِيدٍ - يُقَالُ لَهُ الطَّاهِرُ بْنُ الطَّاهِرِ - بِحَجَرٍ، فَصَرَعَهُ، وَسَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، وَهَابَتْ بَنُو الْحَارِثِ مَوْضِعَهُ.

ثُمَّ كَثُرُوا وَتَلَا حَقُّوا، ثُمَّ حَمَلُوا عَلَى أَبِي مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ، فَلَمْ يَزَلْ يُقَاتِلُهُمْ حَتَّى أَصِيبَ بِجِرَاحٍ، مِنْهَا سَهْمٌ فِي رَأْسِهِ، وَقَاتَلَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ فِي مَوْضِعِهِ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُ حَتَّى اجْتَمَعُوا، وَعُرفَ مَقَامُهُمْ، وَأَشْجَوْا عَدُوَّهُمْ، وَقَدْ كَانَ مَعَهُمْ نَقَرٌ مِنَ الْمَدَانِيِّينَ^(١)، فَقُتِلَ مِنْهُمْ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ.

فَلَمَّا رَأَتْ بَنُو عَبْدِ الْمَدَانِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُمَا مِنْ أَصْحَابِهِمْ قَدْ قُتِلُوا، وَكَثُرَتْهُمْ بَنُو الْحَارِثِ، سَأَلُوهُ الْمَصِيرَ إِلَى مَنَازِلِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ يَخَافُونَ الْهَلَكَةَ عَلَيْهِمْ، فَأَجَابُوهُمْ إِلَى مَا طَلَبُوا، وَصَارُوا مَعَهُمْ إِلَى مَنَازِلِهِمْ^(٢)، ثُمَّ صَرَّخُوا بِمَوَالِيهِمْ، وَقَاتَلُوا بَنِي الْحَارِثِ قِتَالًا شَدِيدًا حَتَّى أَصْبَحُوا، وَأَيَسَتْ بَنُو الْحَارِثِ مِنَ الرَّجُلَيْنِ، وَانْصَرَفَتْ إِلَى مَوَاضِعِهَا.

وَأَقَامَ أَبُو مُحَمَّدٍ وَأَبُو الْحُسَيْنِ فِي الْقَرْيَةِ حَتَّى أَصْبَحَا، وَهُمَا فِي ذَلِكَ يَخَافَانِ لَجْمَاعَةَ كَانَتْ فِي الْقَرْيَةِ مَعَ الْأَبْرَصِ الْمَدَانِيِّ^(٣) وَابْنِ أَخِيهِ عَلِيِّ بْنِ رَبِيعٍ، وَكَانَا مِنْ غَشِيٍّ

(١) المدانيون: بنو عبد المدان بن الديان: بطن من بني الحارث بن كعب، ومن أشرف نجران، كانوا يقطنون مدينة نجران (الأخدود). العلوي: السيرة، ل ٦١ / ب، ٧٩ / ب، ٩٧ / أ، ١٢٦ / ب، ١٢٩ / أ- ب؛ وكحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ج ٢، ص ٧٣٤.

(٢) في (ص ط ب): مواضعهم.

(٣) الأبرص: سيأتي في السيرة أن الهادي بعد أن هزم بني الحارث أمر مناديا ينادي بأمانهم إلا الأبرص وابنه بسبب سبيها جارية أخيه عبدالله بن الحسين. العلوي: السيرة، ل ٦١ / ب.

الدَّارَ مع بني الحارِثِ، وأَرَادَا بِذَلِكَ السَّوَايَةَ^(١) إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ وَأَبِي الْحُسَيْنِ، وَكَانَا مِمَّنْ نَهَبَ الدَّارَ، وَوَقَعَ فِي يَدِ ابْنِ الْأَبْرَصِ جَارِيَةٌ لِأَبِي الْحُسَيْنِ، فَأَخَذَهَا غَشَاءً^(٢).

قال عليُّ بن محمد: فَلَمَّا وَقَعَتْ بَنُو الْحَارِثِ بِالْدارِ أَتَى الْخَبْرُ إِلَى هَمْدَانَ، فَاجْتَمَعَ مِنْهُمْ عَسْكَرٌ كَثِيفٌ مِنْ هَمْدَانَ، وَالْأَحْلَافِ، وَثَقِيفٍ، وَانْحَدَرُوا حَتَّى قَارَبُوا الْقَرْيَةَ، وَأَرْسَلُوا إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ وَأَبِي الْحُسَيْنِ يَسْأَلُونَهُمَا النُّهُوضَ مَعَهُمْ، وَأَعْلَمُوهُمَا أَنََّّهُمْ لَا يَنْتَقُونَ بَنِي عَبْدِ الْمَدَانِ عَلَيْهِمَا، وَأَنَّهُ قَدْ صَحَّ لَهُمْ أَنَّ بَنِي عَبْدِ الْمَدَانِ قَدْ أَجَابَتْ بَنِي الْحَارِثِ فِيهِمَا إِلَى مَا طَلَبَتْ، فَاللهُ اللَّهُ فِي نَفْسِكُمَا؛ فَإِنَّا نَحَاذِرُ الْهَلَكَةَ عَلَيْكُمَا، فَخَرَجَا مَعَهُمْ بِأَصْحَابِهِمَا وَجَمَاعَةٍ مِنْ ضُعَفَاءِ أَهْلِ نَجْرَانَ مِنْ أَهْلِ الْمَحَبَّةِ. فَلَمَّا صَارُوا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ، وَبَلَغَ بَنِي الْحَارِثِ مَخْرَجُ أَبِي مُحَمَّدٍ وَأَبِي الْحُسَيْنِ عَارِضُوهُمَا، وَأَرَادُوا أَنْ يَأْخُذُوهُمَا، فَلَمَّا نَظَرَ أَبُو مُحَمَّدٍ إِلَى بَنِي الْحَارِثِ وَقَفَ حَتَّى نَفَذَ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ ضُعَفَاءِ النَّاسِ، ثُمَّ حَمَلَ عَلَى بَنِي الْحَارِثِ / ٥٠-أ/ بِمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ هَمْدَانَ، فَهَزَمُوهُمْ، وَمَضَى حَتَّى صَارَ إِلَى الْحَضَنِ^(٣)، فَأَقَامَ بِهِ يَوْمَيْنِ.

ثُمَّ إِنَّ نَفَرًا مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمَدَانِ، وَرَجُلًا مِنْ بَنِي قُطْنِ^(٤)، يُقَالُ لَهُ الْمَجَاهِرُ بْنُ

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَمُعْظَمُ النُّسخ. قَالَ الْفَيْرُوزَابَادِي: "سَاءَهُ سَوْءًا... وَسَوَايَةٌ وَسَوَايَةٌ...: فَعَلَّ بِهِ مَا يَكْرَهُ، فَاسْتَاءَ هُوَ". يَنْظُرُ الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ، ص ٤٣.

(٢) فِي الْأَصْلِ وَمُعْظَمُ النُّسخِ تُقْرَأُ: عَشِيَا. أَوْ عَسْبَا، أَوْ غَشَاءً، أَوْ عِيَا...، وَفِي (ب): عَسِيَا. وَلَعَلَّ الصَّحِيحَ مَا أُثْبِتَ. وَالْمَعْنَى: أَخَذَهَا وَغَشِيَهَا. يُقَالُ: غَشِيَّ فُلَانٌ فُلَانَةً وَغَشَاَهَا: جَامَعَهَا. يَنْظُرُ الْفَيْرُوزَابَادِي: الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ، ص ١٣١٨؛ وَابْنُ مَنْظُورٍ: لِسَانُ الْعَرَبِ، ج ١٥، ص ١٢٧.

(٣) الْحَضَنُ: قَالَ الْهَمْدَانِي (صِفَةُ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، ص ٢٨٣): "دَارُ لَوَائِلَةِ بْنِ شَاكِرٍ مِنْ بَكِيلٍ، وَجَبِيرَةٍ لَهُمْ مِنْ ثَقِيفٍ"، وَلَا يَزَالُ مَعْرُوفًا إِلَى الْيَوْمِ، وَيَقَعُ فِي الضُّفَّةِ الْجَنُوبِيَّةِ لَوَادِي نَجْرَانَ، وَيَبْعَدُ عَنْ مَدِينَةِ الْأَخْذُودِ غَرْبًا بِحَوَالِي ٥ كَم. قَوْلُ: بِرَنَامَجِ خَرَائِطٍ، عَلَى الرَّابِطِ: <https://www.google.com/maps/>.

(٤) بَنُو قُطْنٍ: فَرعٌ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ، كَانُوا يَسْكُنُونَ فِي حَصْنِ ثَلَا، وَكَانَ مِنْهُمْ أَبُو الْوَجِيهِ بْنُ مُوسَى، وَأَخُوهُ أَبُو الْعَوَّارِ الَّذِي شَارَكَ فِي قَتْلِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعَلَوِيِّ. الْعَلَوِيُّ: السَّيْرَةُ، ل ١٢٠/أ، ١٣٢/ب.

زياد^(١)، وكان رجلاً محبباً، معه جماعة من بني بشر^(٢)، منهم أحمد بن الأزبد^(٣)، ومحمد بن الهيثم^(٤)، أرسلوا إلى أبي محمد أن يلقاهم بهمدان، وثقيف، والأحلاف، حتى يجالفوهم على المناصرة والمؤالاة، فركب إليهم ومعه من استموا^(٥) عليه، فالتقوا وتحالفوا على النصرة والقيام معه، وأنصرف المدانيون والخيثميون^(٦) إلى منازلهم. وبلغ ابن بسطام ما كان من لقاء أبي محمد للمدانيين، فجمع من كان قربه من بني الحارث، وأخرج أهل میناس^(٧)، فعبأهم جميعاً دون حصنه، وهو حصن دون میناس، فلما رأى أبو محمد إلى ذلك من ابن بسطام عبى أصحابه، وكمّن كميناً في بعض المواضع، ودنا بعضهم إلى بعض، والتحم القتال فيما بينهم، ثم خرج الكمين من ورائهم، وحمل أبو محمد عليهم، وطردهم من الحصن، وقتل منهم فيه رجلين،

(١) المجاهر بن زياد: القطني، الخثمي، وصفته سيرة العلوي بأنه "من أهل المحبة والمودة من بني الحارث"، وكان ذا كلمة مقبولة عند محمد بن عبيد الله العلوي. العلوي: السيرة، ل٦٩/ب، ٧٩/ب. (٢) بنو بشر: خيثميون، من بني الحارث بن كعب، وكان منهم أنصار للإمام الهادي لكنهم مالوا لأصحابهم في مقتل محمد بن عبيد الله العلوي. العلوي: السيرة، ل١٢٦/ب، ١٢٩/أ، ١٣١/ب. (٣) أحمد بن الأزبد: في الأصل ليست معجزة. وفي (ز): الأزبد. أو الأزيد. وفي (ط): أريد. بغير إعجام. وفي (ذ): الأريد. وأثبتت كما في (ص) ولما سيأتي. وهو المسرباني، البشري، الخثمي، الحارثي، "وكان ممن يبدي النصيحة والمودة"، وذا كلمة مسموعة في دولة الهادي. العلوي: السيرة، ل١٢١/أ، ١٢٦/ب، ١٢٧/أ.

(٤) محمد بن الهيثم: كان ممن يستشير محمد بن عبيد الله العلوي، وذا كلمة مسموعة في دولة الهادي. العلوي: السيرة، ل١٢١/ب، ١٢٦/ب، ١٢٧/أ.

(٥) كذا. ولعل معناها: ارتفعوا إليه.

(٦) في الأصل: والخيثميون. وفي (ذ) كانت مثل الأصل. ثم أصلحها كما أثبتت. وما أثبت فمن بقية النسخ. وقد تقدم التعريف بهم، وتصحيح اسمهم.

(٧) میناس: قرية وحصن ربعة بني الحارث، ورئيسهم ابن بسطام، وله دربان شرقي وغربي، قال الهمداني: "وبه تحصنت بنو الحارث عن العلوي أيام أجليب عليهم بهمدان وخولان، فلم يستقل منهم شيئاً". العلوي: السيرة، ل٩٧/ب؛ والهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٨٣، وإن ورد فيها بلفظ (مينان).

الحِصْن، وقتل منهم فيه رَجُلَيْن، وَخَرَّبَ الحِصْنَ، وَغَنِمَ عَسْكَرُهُ ما كان فيه.

[إبلاغُ الهادي إلى الحقِّ بخِلافِ بني الحارثِ وجوابه شعراً]

ثُمَّ انْصَرَفَ أَبُو مُحَمَّدٍ إِلَى مُعَسَّكَرِهِ، فَأَقَامَ فِيهِ، وَكَتَبَ فِيهِ إِلَى الْهَادِي -عليه السلام- يُخْبِرُهُ بِمَا كَانَ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ وَخِلَافِهَا عَلَيْهِ، وَغَدَرِهَا بِهِ، فَلَمَّا وَصَلَ الْكِتَابُ إِلَى الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ -عليه السلام- كَتَبَ إِلَيْهِ أَيْضًا أَنَّهُ صَايَرُ إِلَيْهِ بِنَفْسِهِ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ مَعَ كِتَابِهِ هَذَا الشُّعْرُ:

أَلَايِمُ إِنَّمَا هُمِّي جُودَايَ	وَرُغْمِي وَالْمَفَاضُ ^(١) مِنَ الدَّلَاصِ ^(٢)
وَنَعَشُ الدِّينَ بَعْدَ ثَوِي دِينِنَا	وَقَسَمِي فِي الْبَرِيَّةِ بِالْحِصَاصِ
وَضَرَبِي كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ	بِأَيْضِ مُزْهَفٍ فَوْقَ الْقُصَاصِ ^(٣)
وَلَا أَبْكِي عَلَى رَنَعٍ مُحِيلٍ ^(٤)	وَلَمْ أَزِعِ الْهُوَارِبَ ^(٥) بِاقْتِنَاصِ
وَلَكِنَّ النُّزَاعَ لِي شَقِيقِي	وِدْزَعِي ^(٦) ذِي الْحَفَايِظِ فِي الْعِرَاصِ ^(٧)
فَقُلْ لِأَبِي مُحَمَّدٍ ذِي الْأَيَادِي	تَأَنَّ فَسَوْفَ يُسَعِّدُكَ اِزْتِيَاصِي ^(٨)
سَأَشْجِي ظَالِمَكَ بِحَدِّ رُغْمِي	فَلَا يَجِدُونَ - عَمْرَكَ - مِنْ مَنَاصِ

(١) المفاضة من الدروع: الواسعة. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ٦٥١.

(٢) درعٌ دلاص: ملساء لينة. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ٦٢٠.

(٣) في هامش (الأصل ذ): قُصَاصُ الشعر بضم القاف، وفتحها، وكسرها: حيث ينتهي من مقدّمه أو مؤخّره. ينظر الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ٦٢٧.

(٤) الرّبع: الدار، والمحلة، والمنزل، وجماعة الناس، والموضع يرتفعون فيه في الربيع. والمحيل: يقال: حالت الدار إذا أتى عليها أحوال. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ٧١٨، ٩٨٩.

(٥) في (ص ط ب): النوايب. وفي (ز): النواذب.

(٦) في (ص): وسيفي.

(٧) الحفايظ جمع حفيظة، وهي الحمية والغضب. والعِراض، جمع عَرَصَة، وهي: كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ٦٢٣، ٦٩٥.

(٨) الارتباص: لعله الترتُّبص والانتظار. ابن منظور: لسان العرب، ج ٧، ص ٣٩.

بنفسي ما اعتمدت^(١) له ومالي
إذا رعب الشجاع من العوالي^(٢)
حملت وفي يميني مشرفي^(٣)
أحل مني سحابة فاطمي^(٤)
إذا هبطت عزاليها^(٥) بواد
فينعش خيرها قوماً وفوا لي^(٦)
/ ٥٠ ب / أئتك الخيل معلمة عليها
وفتيان إذا سمعوا صرخي^(٧)
أفبك بمنهجني عند الحياص^(٨)
وهم من المخافة بائقا ص^(٩)
أقذبه الطلئ قد الفراس^(١٠)
يواصل رغدها لمع النشاص^(١١)
تضائق مازماه^(١٢) بانغصاص^(١٣)
ويهلك شرها من كان عاصي^(١٤)
أسود يأنفون من المعاصي^(١٥)
أجابوا مغضين من الصياصي^(١٦)

(١) في الأصل: اغتممت. ولعل الصواب ما أثبت من بقية النسخ.

(٢) الحياص: الحيد عن الشيء، والعدول والهروب عنه، يقال: ما عنه محيص، أي مهرب. والشاعر (الإمام الهادي) يريد أنه يقيه في الوقت الذي يحيص فيه الرجال. ابن منظور: لسان العرب، ج ٧، ص ١٩.

(٣) جمع عالية، وهي القناة المستقيمة، ويسمى أعلى القناة العالية، وأسفلها السافلة. الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ): كتاب العين، تح: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج ٢، ص ٢٤٦.

(٤) المشرفي: من السيوف المشرفية منسوبة إلى مشارف الشام. والطلئ جمع طلية أو طلاة: الأعناق. والفراس مشتق من الفرص، وهو الشق والقطع. والمفرص والمفرص: الحديد العريضة التي يُقطع بها. ويُطلق في اللهجة اليمنية على الإسفين الحديدي الذي يُشقق به المفرص الحجارة والصخور. ينظر الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ٨٢٤، ١٣٠٧، وابن منظور: لسان العرب، ج ٧، ص ٦٥؛ والإرياني: المعجم اليمني في اللغة والتراث، ص ٦٦٧.

(٥) النشاص: السحاب المرتفع. ابن منظور: لسان العرب، ج ٧، ص ٩٦.

(٦) العزالي جمع عزلاء، وهي: مصب الماء من الراوية ونحوها. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ١٠٣١.

(٧) المأزم: الطريق الضيق بين الجبلين. مصطفى: المعجم الوسيط، ج ١، ص ١٦.

(٨) غص المكان بأهله: امتلأ بهم وضاق. مصطفى: المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٦٥٤.

(٩) الصياصي، جمع صيصية، وهو: الحصن. مصطفى: المعجم الوسيط، ج ١، ص ٥٣١.

أولئك حاشدٌ وبنو بكيل
وخولانُ الحماة ذُؤُوبُ السَّاعِي
وفي الأحلافِ كُلِّ نَهْشٍ وَعِزٍّ
أظنَّ النَّاكِبُونَ بِتَقْضِي عَهْدِي
بأنِّي لم أَثَّابِهِ مِنْ عَلِيٍّ
وأنِّي لا يُرَامُ الضَّيْمُ مِنِّي
سَأَحْكُمُ بِالْقُرْآنِ عَلَى الْأَعَادِي
أنا الحُسَيْنِيُّ سَيْفُ اللَّهِ حَقًّا
عَظِيبُ الْخَالِقِي فَشَهْرَتْ سَيْفِي
سَتَعْلَمُ يَا ابْنَ خَيْرِ الْخَلْقِ طُرًّا
أَزْضَى مَا أَصَابَكَ بِاغْتِرَامٍ^(٤)
سَأُعْمَلُ صَعْدَتِي فِي كُلِّ حَيٍّ
مِنَ اللَّعْنَاءِ أَهْلَ الْغَدْرِ لَمَّا
أولو ضربٍ كأشدِّ القِلاصِ^(١)
سُيُوفِي الْمَذْرَكَاتُ لَدَيْ^(٢) الْقِصَاصِ
لَدَيْ الْهَيْجَاءِ غَيْرُ ذَوِي مَنَاصِ
وكانوا في الفُجُورِ مِنَ الْحِرَاصِ
خِصَالِ الْمَكْرُمَاتِ لَدَيْ الْخِلاصِ
وأنِّي الْمَرْجَى لَذَوِي الْخِصَاصِ
وَأَذْمَغُ مَنْ تَطَاوَلَ لَانْتِكَاصِي
مُذَاعٍ فِي الْأَدَانِي وَالْأَقْصَا
عَلَى أَهْلِ الدَّعَاةِ وَالْمَعَا
إِذَا مَا زُرْتُ أَرْضَكَ بِالْخِصَاصِ^(٣)
وَتَعْلَمُ كَيْفَ صَنَرِي وَامْتِعَاصِي^(٥)
عَصُوكَ وَصَارِمِي^(٦) يُفْنِي^(٧) النَّوَاصِي
سَمَوَاتُخَوَ الظُّنُونِ عَلَى اخْتِرَاصِ^(٨)

(١) القُلُوصُ من الإبل: الفتية المجتمعة الخلق، وذلك من حين تُركَّبُ إلى التاسعة من عمرها، ثم هي ناقة. مصطفى: المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٧٥٥.

(٢) في (ز ب): لذي.

(٣) جمع خَصْصَان، وهو: الواحد من الخيل، الجائع الضامر البطن. ابن منظور: لسان العرب، ج ٧، ص ٣٠.

(٤) في (ص ز ب): باعترام.

(٥) مِعْصُ الرجل: شكا رجليه من كثرة المشي. ابن منظور: لسان العرب، ج ٧، ص ٩٣.

(٦) في (الأصل ذ): وصارخي. ولعل ما أُثْبِتَ من بقية النسخ أولى.

(٧) في (ص): يفري.

(٨) الخرص: الكذب، واخترص فلانُ الباطل: افتعله. ابن منظور: لسان العرب، ج ٧، ص ٣١.

رَجَوْا غَنَرًا بَدِينِ اللَّهِ جَهْلًا وَهَتَكًا لِلْحَرِيمِ عَلَى افْتِرَاصٍ^(١)
فَزُرْتُهُمْ بِأَرْوَغٍ قَاسِمِيٍّ يُرَى مِنْهُ الْمَشِيبُ عَلَى الْقَصَاصِ

[جوابُ أبي محمد عبد الله بن الحسين على الهادي إلى الحق شعراً]

فَلَمَّا وَصَلَ الْكِتَابَ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ دَعَا النَّاسَ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ، فَفَرَحَ النَّاسُ بِذَلِكَ،
وَاطْمَأْنَنُوا إِلَيْهِ، وَكَتَبَ أَبُو مُحَمَّدٍ إِلَى الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ جَوَابَ كِتَابِهِ، وَأَجَابَهُ بِهَذَا
الشَّعْرِ:

سَلَوْتُ عَنِ الْمَنَازِلِ وَالْعِرَاصِ	وَعَنْ دَارِ الْأَجْبَةِ وَالْأَقَاصِي
وَمَنْ بِالْفَرْعِ مَنْ وَلَدٍ وَمَالٍ	وَمَنْ بِالرُّوْضِ مِنْهُمْ وَالصِّيَاصِي
بِإِبْنِ أَبِي وَمَنْ تَقْدِيدِهِ نَفْسِي	مِنْ الْأَسْوَاءِ طُرًّا وَالْمُنَاصِي ^(٢)
إِمَامٌ لِلْبَرِيَّةِ أَزْيَحِيٌّ	بِلَا ظَنٍّ أَقُولُ وَلَا اخْتِرَاصٍ
بَطَاعَتِهِ فَقَدْ أَضْبَحْتُ أَرْجُو	مَنْ الرَّحْمَنِ رَبِّي بِالْخِلَاصِ
إِذَا الْمَعَتِ بَوَارِقُهُ بِأَرْضِي	أَطْلَلُ الْمَوْتَ فِيهَا كَالنَّشَاصِ
وَلَا نِيَّ طَالِبُ اللَّهِ ثَنَاءً	دَمَاهُ كُلُّ مَلْعُونٍ وَعَاصِي
وَقَالَ وَهُوَ أَخُو صَدِيقٍ وَعَدْلٍ	"تَأَنَّ فَسَوْفَ يُسْعِدُكَ ارْتِبَاصِي"
/ ٥١- / فَأَرْجُو اللَّهَ أَنْ يُذْنِكَ ^(٣) مِنَّا	فَتُخَكِّمَ مَا تَوْهَى مِنْ خَصَاصِ ^(٤)

(١) افتراض: أي اغتنام الفرصة. ابن منظور: لسان العرب، ج ٧، ص ٦٤.

(٢) اسم فاعل من (ناصيته نضاء)، أي قبضت بناصيته وقبض بناصيتي. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ١٣٣٩.

(٣) تسكين الباء، وحقها النصب بالفتحة؛ لضرورة الشعر.

(٤) الخصاص: كل خللٍ وخرقٍ في بابٍ أو منخلٍ أو غيرهما. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ٦١٧.

وَتَرَضَى يَا إِمَامَ الْعَدْلِ ضَرْبِي
فَلَوْ أَعْلَوُ عَلَى ابْنِ حَمِيد طَرْفِي
وَمَا قَصَّرْتُ فِي فَرَضٍ عَنَانِي
سِوَى مَنْ بِالْمَحَلَّةِ مِنْ رَعُومٍ ^(٣)
وَأَخْلَافٍ بِرَاحَةٍ ^(٤) قَدْ أَتَوْنِي
وَقَالُوا: طَاعَةٌ.. فَشَفَّوْا فَوَادِي
جَزَاهُمْ خَالِقُ الْإِضْبَاحِ خَيْرًا
فَأَحْمَدُ خَالِقِي فِي كُلِّ أَمْرٍ
وَأَجْعَلْ هِمَّتِي مَا دُمْتُ حَيًّا
جَفَانِي الْبَيْضُ وَالْغَيْدُ السَّبَايَا
وَأَضْرِبْ كَبْشَهُمْ ^(٨) ضَرْبًا عَنِيفًا

لَهَامَاتِ اللَّصُوصِ بَنِي الْإِلَاصِ
لَأَسْرَعَ بِالْهَزِيمَةِ وَالْقَمَاصِ ^(١)
وَلَكِنْ بَيْنَ ^(٢) مَقْصُوصٍ وَقَاصِي
فَهُمْ فِيمَا هَوَيْتُ مِنَ الْحِرَاصِ
عَلَى قُبِّ أَيْاطِلُهَُا خِمَاصِي ^(٥)
وَكَانُوا مُفْلِحِينَ ^(٦) لِمَنْ يُنَاصِي
فَوُدُّهُمْ مِنَ الْوُدِّ الْخُلَاصِ ^(٧)
وَأَسْأَلُهُ النِّجَاةَ مِنَ الْمَعَاصِي
طِرَادَ النَّكَائِنِ ذَوِي الْحِيَاصِ
إِذَا هُمْ لَمْ يُغْصُوا بِانْتِقَاصِ
تَشْيِبُ لَوْفِهِ سُودُ الْقُصَاصِ

(١) القمّاص: الوثب وأن لا يستقر في موضع. ابن منظور: لسان العرب، ج ٧، ص ٨٢.

(٢) في (الأصل ذ): بيت. وظنّ الناسخ فوقها بـ(ين). ولعلّه الأصحّ كما أثبت من بقية النسخ.

(٣) رعووم: مكان وجبل مشهور إلى اليوم، وهو موضع يقع إلى الشمال الغربي من بلاد الحضرن قريباً منها، وإلى الشمال الشرقي من بلاد زور وادعة، وهو قمة مرتفعة جداً تطل على مدينة نجران وتُرى من جهاتها، ويوجد في أعلى رعووم قلعة تاريخية بناها الإمام الناصر أحمد حميد الدين للمراقبة عند دخوله نجران عام ١٩٣٤م كما أخبرني بذلك بعض أهل نجران.

(٤) راحة: إحدى قرى نجران، كان يسكنها الأخلاف وبعض اليامين. العلوي: السيرة، ل ٥١/أ.

(٥) قُب، جمع أقب، والقَبَبُ: ضُمُورُ البطن. والأَيْاطِلُ، جمع أَيْطَل، وهو الخاصرة. وخِمَاصِي: أي ضامرة، وهو وصفٌ للخليل. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ١٢٢، ٩٦١.

(٦) أفلجه: أظفره. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ٢٠٢. وفي (ص ز ط ب): مُهْلِكِينَ.

(٧) أي الخالص.

(٨) كبش القوم: سيدهم وقائدهم. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ٦٠٣.

وَأَغْدِي الْخَيْلَ مُضْمَرَةً عَلَيْهِمْ تُرَى شُعْتَ الْمَعَارِفِ ^(١) وَالنَّوَاصِي
 عَلَيْهَا كُلُّ أَزْهَرِ قَاسِمِيٍّ يَخِينُ ^(٢) الْقِرْنَ مِنْهُ بِاقْتِمَاصِ ^(٣)
 فَيَغْرِفُنَا بَنُو حَارِبِ بْنِ كَغَبٍ أَسْوَدَ الْخَيْسِ ^(٤) تَرْفُلُ فِي الدَّلَاصِ
 فَأَيْنَ فِرَارُهُمْ مِّنَّا شِلَالًا وَأَنْتَ الْآنَ حَانَ بَنَا الْمَنَاصِي ^(٥)
 فَإِنَّا لَا نَجُوزُ الْحَقَّ فِيهِمْ وَنَرُضَى لَا مَحَالَةً بِالْقَصَاصِ

[جواب الهادي إلى الحق شعراً يتوعّد فيه ابن حميد وابن بسطام]

فَلَمَّا وَصَلَ الْكِتَابُ إِلَى الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ، وَفَهُمْ مَا فِيهِ، كَتَبَ إِلَيْهِ جَوَابَهُ يُعَلِّمُهُ
 فِيهِ بِالْمَصِيرِ إِلَيْهِ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ بِهَذَا الشُّعْرِ:
 أَنَا فِي كِتَابٍ مِنْكَ تَذَكَّرُ سَلْوَةً عَنِ الْمَالِ وَالْأَهْلِ يَا ابْنَ الْأَطَايِبِ
 بِنَاوِي مَا أَضْبَحْتَ فِيهِ مِنَ الْهَدَى وَمِنْ مَنَهِجِ الْأَجْدَادِ يَا ابْنَ الدُّوَايِبِ
 فَإِنْ كُنْتَ بِي تَسْلُو عَنْ الْأَهْلِ فَاغْلَمَنْ بَأَيِّ وَرَبِّ الرَاقِصَاتِ الدُّعَالِبِ ^(٦)
 بِقُرْبِكَ سَالٍ عَنْ أُمُورٍ جَلِيلَةٍ وَلَسْتُ لَهَا -تَقْدِيرُكَ- نَفْسِي -بِغَايِبِ ^(٧)

(١) المعارف، جمع عُرف، وهو شَعْرٌ عُقِيَ الْفَرَسُ. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ٨٣٦.

(٢) يقال: خاس الشخص: إذا ذَلَّ. ابن منظور: لسان العرب، ج ٦، ص ٧٤.

(٣) افتعال من القمص. والقمص هو الوثب كما تقدم.

(٤) الخيس: موضع الأسد، فيه شجر كثير ملتف. ابن منظور: لسان العرب، ج ٦، ص ٧٥. وفي (ص ز ب): الجيش.

(٥) في هامش (الأصل ذ): وأنت الآن حين للمناصي. وفي (ص): وأنت الآن حان بنا المناصي.

(٦) الذعالب جمع الدُعْلَبَة، وهي الناقة السريعة. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ٨٥.

(٧) غهب عن الشيء: غفل عنه ونسيه. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ١٢١.

وَفِي قُرْبِ مَا يُرْضِي الْمُهَيِّمِينَ رَبَّنَا
 إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَجْعَلْ رِضَا اللَّهِ رَبَّهُ
 / ٥١ ب / وَأَبَّ حَسِيرًا قَدْ تَهَتَّكَ سِتْرُهُ
 لَعَنُوكَ مَا إِنْ عَاقَبِي عَنْكَ عَاقِبُ
 فَقَدْ عَاقَبِي الْأَمْرُ الْمُؤَكَّدُ فَرَضُهُ
 جِهَادُ أَنْاسٍ بَدَّلُوا الدِّينَ ^(٢) عَنْوَةً
 فَأُضْحَوْا حُرُوبًا عَنْ يَمِينٍ وَيَسْرَةٍ
 وَمَا زِلْتُ أَغْزُوهُمْ بِحُسْنِ بَصِيرَةٍ
 وَأُغْشِيهِمُ الْأَنْصَارَ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى
 وَكُلَّ جَرِيِّ الْقَلْبِ لَيْثٍ مُهَاجِرٍ ^(٣)
 أَغَارُوا مِنْ أَفَاقِ الْبِلَادِ لِهَجْرَةٍ
 فَجَاسُوا دِيَارَ النَّاكِثِينَ بِنِيَّةٍ
 فَأُضْحَى كِتَابُ اللَّهِ يُرْضَى بِحُكْمِهِ
 وَأَوْطَيْتُ مَنْ قَدْ كَانَ ضِدًّا مُعَانِدًا
 وَسِرْتُ إِلَى نَجْرَانٍ فِي كُلِّ طَالِبٍ

لَعَنُوكَ مَا أَسْلَاكَ عَنْ كُلِّ غَايِبٍ ^(١)
 أَمَامَ رِضَاهُ خَابَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
 وَلَمْ يَنْجُ مِنْ مُسْتَقْطَعَاتِ النَّوَائِبِ
 سِوَى فَرَضِ مُنْشِي الرَّايِحَاتِ السَّوَائِبِ
 فَقُمْتُ بِهِ فَعَلَ أَمْرِي غَيْرَ خَائِبٍ
 وَذَانُوا بِدِينٍ لِلْكِتَابِ مُجَانِبِ
 وَخَلَفَ وَقُدَّامَ فِعَالِ الْمَطَالِبِ
 وَمَعْرِفَةِ مَنْ بِي بِحَرْبِ الْمُحَارِبِ
 يُرِيقُونَ بِالْيَيْضِ الرَّهَافِ الْقَوَاضِبِ
 ضُرُوبٍ بَنَصْلِ السَّيْفِ فِي الْحَقِّ رَاغِبِ
 مُقَدَّسَةٍ يَنْغُونُ خَيْرَ الْمَطَالِبِ
 مَقَانِبُ حَرْبٍ عُمَيْتُ ^(٤) لَمَقَانِبِ
 وَقَدْ كَانَ مَسْخُوطًا بِتِلْكَ الْجَوَانِبِ
 قَلِيلَ التَّقَى فِي الْعَهْدِ أَكْذَبَ كَاذِبِ
 بِشَارِ كِتَابِ اللَّهِ أَرُوغَ غَاضِبِ

(١) غايب: كتبت في (ذ) بالياء والهمزة معا. وهو يشير إلى جعل الطُّقِّ بين الهمزة والياء بينَ. وهو إحدى لغات العرب في نطق هذه الحالة. وسيُكتفى بهذا التنبيه عن تكراره في المواضع الماثلة في (ذ).

(٢) في (ص): الأمر.

(٣) يشير إلى مَنْ هاجر إليه من الطبريين وغيرهم.

(٤) المَقَانِبُ، جَمْعُ مَقْنَبٍ: وهي الجماعةُ من الفُرسانِ والحَيْلِ دونِ المِثَّةِ، تجتمعُ للغارة. مصطفى: المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٧٦١.

جِيوشًا لِيَوْثًا حَشَوْهَا الْخَيْلُ وَالْقَنَا
وَزُورٌ^(١) مِنَ الشَّرْيَانِ^(٢) صَفَرٌ مَثْوُومًا
إِذَا هِيَ فِي الْجَيْشَيْنِ حَنْتَ وَالْجَبْتُ^(٣)
مِنَ الْعَرَبِ الْأَسَدَ الْمَدَاعِيسَ بِالْقَنَا
وَمِنْ حَيٍّ هَمْدَانٍ وَخَوْلَانٍ جَحْفَلُ
مَرَايِلُ نَحْوِ الضَّرْبِ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى
يَرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ لَا شَيْءَ غَيْرِهِ
عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَآذِي^(٤) كُلُّ حَصِينَةٍ
بِأَيْدِيهِمُ الْخَطِيئُ يَلْمَعُ رَأْسُهُ
فَقُلْ لَابِنِ بَسْطَامٍ وَأَعُورِ حَارِثٍ^(٥)
رُؤُوسًا وَقَوَادًا وَلَا فَنَاتِنَا
وَبَيْنَ تَرْيَلِ الْهَامِ فَوْقَ الْمَنَاقِبِ
وَمِنْ شَرْقٍ^(٦) صَافٍ وَتَبَعٍ وَتَأْلَبِ^(٧)
سَمِعَتْ عَوِيلًا مِنْ بَكَاءِ الْكَوَاعِبِ
وَمِنْ عَجَمٍ مُخْمِرِ طَوَالِ الشَّوَارِبِ
وَمِنْ غَيْرِهِمْ مِثْلَ الْأَسُودِ الْغَوَارِبِ
إِلَى الْمَوْتِ إِرْقَالَ الْجَمَالِ الْمَصَاعِبِ
وَيَغُونَ ثَارَ الْمَصْطَفَى خَيْرَ رَاكِبِ
عَلَى الْقُرْحِ الْكُمْتِ الْجِيَادِ الشَّوَارِبِ^(٨)
كَبَرَقِ تَلَالَا أَوْ مَصَابِيحِ رَاهِبِ
مَكَانِكَمَا إِنْ كُنْتُمْ لِلْكِتَابِ
أَرَاذِلُ كَهَلَانٍ وَمُجَرِّي الْكَوَاكِبِ

(١) زور جمع زوراء، وهي القوس. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ٤٠٢.

(٢) الشريان: شجرٌ يُتَّخَذُ مِنْهُ الْقِسِيُّ، فَمَا نَبَتَ مِنْهُ فِي قُلَّةِ الْجَبَلِ، فَهُوَ نَبْعٌ، وَمَا نَبَتَ فِي السَّفْحِ فَهُوَ شَرِيَانٌ، وَمَا نَبَتَ فِي الْحَضِيضِ فَهُوَ شَوْحَط. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ٧٦٥.

(٣) الشرب: لعله نوعٌ من أنواع الشجر أيضا.

(٤) التألب: شجرٌ يُتَّخَذُ مِنْهُ الْقِسِيُّ أيضا. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ٦١.

(٥) في (الأصل ذ): وألحت. في (ص ز): وألحت. ولعل ما أُثْبِتَ مِنْ بَقِيَةِ النُّسخِ أَوْلَى؛ وَاللَّجَبُ: الْجَلْبَةُ وَالصَّيْحَانِ. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ١٣٣.

(٦) المآذِي: الدرع اللينة السهلة. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ٣٣٨.

(٧) الْقُرْحُ: جمع قارح، وهو من ذي الحافر بمنزلة البازل من الإبل. والكمت جمع أكمّت، وَيُصَغَّرُ عَلَى (كُمَيْت)، وهو من الخيل ما كان لونه بين الأسود والأحمر. والشواريب، جمع شارب، وهو: الخشن والضامر اليابس. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ١٠١، ٢٣٥؛ ومصطفى: المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٩٩٧. وفي (ز ط): الشواريب.

(٨) الأعور: الحارث بن حميد الحارثي، وقد تقدم.

لَقَدْ دَبَّ بِسْطَامَ وَأَكْسَحُ^(١) مَذْحِجُ^(٢) لَحَيْنِيهَا^(٣) حَقًّا دَيْبَ الْعُقَارِبِ
وَأَفْسَدَهُ صَفْحِي وَإِيْجَابُ حَقِّهِ وَمَا إِنْ لَهُ حَقٌّ عَلَيَّ بِوَاجِبِ
/ ٥٢- / لَأَنَّهُ^(٤) مَلْعُونٌ لِعَيْنِ مُنَافِقٍ كَفُورٌ لَأَلَانِي^(٥) رَدِّي الْمُنَاصِبِ
جَرِيٌّ إِذَا غُوفِي ذَلِيلٌ إِذَا ابْتُلِيَ مِهِينٌ ضَعِيفٌ فَكْرُهُ فِي الْعَوَاقِبِ
وَقَدْ كَانَ أُعْطِيَ نِعْمَةً وَفَضِيلَةً وَلَمْ يَكُ أَهْلًا لِلْعُلَى وَالْمَرَاتِبِ
تَعَمَّلَ فِي الْوَغْدِ ابْنِ بَسْطَامٍ أَغْوَرَّ عَدُوْلَهُ فِي الْغَشِّ غَيْرُ مَرَاقِبِ
فَأَمَكَّنَهُ مِنْ نَفْسِهِ بِحِمَاقَةٍ لَهُ الْوَيْلُ مَنْ فَسَلَ ذَلِيلٌ مُقَارِبِ
فَدَلَّاهُ فِي بَيْرٍ بَعِيدٍ قَرَارُهَا كَذَلِكَ مَنْ لَمْ يَتَفَنَّغْ بِالتَّجَارِبِ
وَقَدْ كَانَ يَبْغِي قَتْلَهُ وَهَلَاكَهُ فَأَنْشَبَ فِيهِ كَفُّهُ بِالْمُخَالَصِ
فَلَا الْجُوفُ يُنْجِيهِ وَلَا أَرْضُ شَاكِرٍ وَلَا سَهْلٌ سَفِيَانِ^(٦) وَلَا أَرْضُ مَارِبِ
سَيَغْلُمُ دَجَالٌ^(٧) وَأَحْمَقُ مَذْحِجُ إِذَا التَّقَّتِ^(٨) الْأَقْرَانُ حُزْرُ^(٩) الْحَوَاجِبِ
وَدَارَتْ كُؤُوسُ الْمَوْتِ بَيْنَ مُهَامِيهَا وَضَاقَتْ عَلَى الْأَبْطَالِ كُلِّ الْمَذَاهِبِ

(١) في (ص): وأكشح.

(٢) كتب في جميع النسخ: مدحج، بالدال، وهي لغة في (مدحج)، وإن كانت هذه الأخيرة هي الأشهر. ينظر الحميري: شمس العلوم، ج ٤، ص ٢٠١٤.

(٣) في (ص ز ط ب): لحينها. والحين هو الموت.

(٤) في (ط) كتب فوقها: "اختلاس".

(٥) في (ص ز ب): لآلاي. بدون همز. والآلاء: النعم، جمع ألى. الرازي: مختار الصحاح، ص ٢١.

(٦) سفيان بن أرحب: من قبائل بكيل، ديارهم شمال مدينة حوث بنحو ٢٥ كم، وتعرف اليوم بسفيان. المقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ٢، ص ٩٧٤.

(٧) في (ز ط ب): دخال.

(٨) في (ز ط): التقت.

(٩) الحازر من الوجوه: العابس الباسر. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ٣٧٥. وفي (ص):

خزر. وفي (ز): جزر.

وطارت رؤوسٌ ثمَّ أيدي وأزجل
وقلَّ اصطبارُ القوم حين تراكبت
بأنحاء حماة الدِّين آل محمد
وأنا نكبُّ القرن في حومة الوغى
نؤوذُ عداة الحق عن دين أحمد
سأتركُ إن دارت رَحَى الحزب دارهم
بحولٍ إلهي لا بحولي وقوتي
فأبشُرْ هداك الله يا ابنَ محمد
سأنهضُ في يومين نحوك مُسرِّعا
وحلَّ بأطراف القنا في التراب^(١)
عليهم لعنري مُنْطعاتُ^(٢) المصابِ
ذوو الصبر إذ لا صبر وقت التمارِ
نمُجُّ نَجِيع^(٣) الصِّدر عند المصارِ
ونمنُّه من كلِّ باغٍ وناصبٍ
خلاء لأذيال الصِّبَا والجناب^(٤)
ونصرٍ إله الناس ربَّ المغاربِ
يفتح قريبٍ قد دنا مُتقاربِ
بكلِّ كمي^(٥) قاهرٍ للمُحاربِ

[جواب أبي محمد عبدالله بن الحسين شعرا وفيها يصف هجمة
بني الحارث الغادرة]

فلَمَّا وَصَلَ الْكِتَابُ^(٦) إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ قَرَأَهُ عَلَى النَّاسِ، فَسُرُّوا بِهِ^(٧)، وَأَجَابَهُ بِهَذَا
الشَّعْرِ:

(١) في (ص ز ط ب): النوايب.

(٢) في (ز ب): مقطعات.

(٣) مَجَّ الشراب من فيه: رماه. والنجيع من الدم: ما كان إلى السواد، أو دم الجوف. الفيروزآبادي:
القاموس المحيط، ص ٢٠٤، ٧٦٥.

(٤) الجناب: جمع جنيبة، وهي: الدابة تقاد، والناقة يعطيها الرجل غيره ليمتار له عليها. مصطفى:
المعجم الوسيط، ج ١، ص ١٣٩.

(٥) الكمي: الشجاع، أو لابس السلاح. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ١٣٢٩.

(٦) في (ص): كتاب الهادي.

(٧) فَسُرُّوا بِهِ: زيادة من (ص). وسقطت من بقية النسخ.

جَذَلْتُ لِأَخْبَارِ أَتَتْنِي أَوَايِبِ
نَقَى النُّومَ عَنِّي مِنْذُ سَتِينَ لَيْلَةٍ
أَقَاسِي صَرِيحًا كُلَّ يَوْمٍ وَغَارَةٍ
أَبَيْتُ أُرَاعِي^(١) كُلَّ نَجْمٍ وَشَرُّ مَا
إِذَا كَوَكَبٌ مِنْهَا بَدَأَ لِنَظِيرِهِ
وَإِنِّي عَلَى مَا عَصَيْتَنِي مِنْ عَظِيمَةٍ
لَأَنَّ اشْتِغَالِي فِي رِضَا اللَّهِ خَالَقِي
بِعَوْنِ إِمَامٍ لِلْبَرِيَّةِ^(٢) فَاضِلٍ
وَطَاعَتُهُ مَفْرُوضَةٌ مِنْ إِهْنَانَا
يَقُولُ الَّذِي قَدْ عَاقَنِي عَنْكَ نَاكِثٌ
وَإِنِّي لَمَغْمُومٌ وَمَا أَنَا غَافِلٌ
٥٢/ب- فَلَا تَسْلُ نَفْسِي قَدْ تَقَيَّكَ مِنَ الرَّدَى
وَمَا إِنْ أَرَى خَلْقًا مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ
وَقَدْ سُسْتُهُمْ مَا يُجْتَبَرُ^(٤) بِأَقْلِهِ
وَمَنْ كَانَ خِلْدَنَا^(٦) لِلزَّمَانِ^(٧) وَصَرَفَهُ
طَرَدَنَ مُهِمًّا لَازِمًا غَيْرَ غَايِبٍ
وَأَقْصَدَنِي التَّمَكُّارُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
إِلَى كُلِّ ضِدٍّ لِلإِلَهِ مُحَارِبٍ
رَعَتْ عَيْنٌ مَهْمُومٍ مَجَارِي الْكَوَاكِبِ
تَغَوَّرَ مِنْهُ جَانِحًا فِي الْمَغَارِبِ
لَأَقْطَعُ مِنْ صَافِي الْحَدِيدَةِ قَاضِبٍ
وَإِنِّي مِنْهُ بَيْنَ رَاجٍ وَرَاهِبٍ
نَقِيٍّ مِنَ الْآفَاتِ لِلْحَقِّ طَالِبٍ
عَلَى كُلِّ مَاشٍ فِي الْبِلَادِ وَرَاكِبٍ
يَدِينُ بِلَدِينِ الْكِتَابِ مُحَارِبٍ^(٣)
وَلَا بُدَّ مِنْ إِصْلَاحِ تِلْكَ الْجَوَانِبِ
فَدَهْرُكَ دَهْرٌ يَنْتَكِي بِالْعَجَائِبِ
إِذَا حَاصِلُوا فِي فَرَضِ رَبِّي بِرَاغِبٍ
وَمَا أَنْتَ مِنْهُمْ يَا أَخِي بِغَاهِبٍ^(٥)
سَتُحْكِمُهُ مَرُّ الْخَطُوبِ النَّوَائِبِ

(١) في (الأصل ذ): أُرْعِي. ورعى النجوم إذا رقبها. الرازي: مختار الصحاح، ص ١٢٥.

(٢) في (ب): إمام البرية.

(٣) في (ص ز): مجانب.

(٤) لعل تسكينه لضرورة الشعر.

(٥) في (ص): بغايب. والغهب: الغفلة. كما تقدم.

(٦) الخدُن: الصديق. الرازي: مختار الصحاح، ص ٧٩.

(٧) في الأصل: الزمان. ثم ظنن فوقها بأنها: للزمان. وأثبتت كما في النسخ الأخرى.

أُسُوْدُ الشَّرِّى (١) إِنْ هُمْ مِنَ السَّيْفِ أَوْمَنُوا (٢)
 ضَعِ السَّيْفَ فِيهِمْ يَسْتَقِيمُوا وَمَا رَمَتْ
 دَعِ الشُّكَّ إِنْ الشُّكَّ يَهْدِي لَكَ الْوَتَى (٤)
 وَلَا فَكُنْ فِي كُلِّ يَوْمٍ مُسَافِرًا
 وَلَا فَدَعْنِي إِنْ سَنِيْفِي صَارِمٌ
 وَذَلِكَ أَمْرٌ فَاغْلَمَنَّ أَلَدُهُ
 وَمَنْ عَجَبِ الْأَيَّامِ مَا لَمْ يُرْغَبْ بِهِ
 وَذَلِكَ أَنْ كَانَ الْمُهَيِّنُ رَاضِيًا
 أَتَانِي مَنَقُوضٌ (٦) وَأَبْتَرُ قَوْمِهِ
 عَلَى غِرَّةٍ مِنِّي وَقَدْ نَامَ صُحْبَتِي
 فَبِتُّ أَدُوْدُ الْقَوْمِ لِيْلِي كُلُّهُ
 وَأَوْحَدَنِي دَهْرٌ مُشِتٌ (٨) بِأَهْلِهِ
 وَلَوْ كَانَ ذَا الْأَمْرِ الَّذِي كَانَ نَازِلًا
 وَإِنْ فَرَّقُوا مِنْهُ ضِعَافُ الثَّعَالِبِ
 جِمَارٌ مِنِّي أَيَّامَهَا كَفٌ حَاصِبٌ (٣)
 وَخُذْ قَوْلَ مِشْفَاقٍ عَلَيْكَ مُوَاطِبٍ
 لَنَجْرَانٍ أَوْ خِيَوَانٍ طَلَحَ (٥) الْجَنَائِبِ
 وَلِي خِزْبَةٌ أَحْكَمْتُهَا بِالتَّجَارِبِ
 كَمَا التَّدْمَاءُ قَلْبُ حَرَّانٍ سَاغِبٍ
 وَإِنْ كَانَ مَا قَدْ كَانَ حَزَّ الْعَرَاقِبِ
 قَلِيلٌ لَهُ وَالْوَفَادَاتِ النَّجَائِبِ
 بِأَوْبَاشٍ فُسَّاقٍ وَنَجَسٍ وَخَارِبٍ
 وَأَلْصَقْتُ كَفِّي بَيْنَ أُذُنِي وَحَاجِبِي (٧)
 وَمَا لِي مَوَاسٍ غَيْرُ لَذَنِ الْمَضَارِبِ
 وَحَالَ الْعِدَا بَيْنِي وَبَيْنَ الشَّوَارِبِ (٩)
 عَلَى أَهْبَةِ جَمَّتْ (١٠) عِظَامُ الْمَصَائِبِ

(١) الشرى: موضع كثير الأسد. مصطفی: المعجم الوسيط، ج ١، ص ٤٨١.

(٢) في (ص ط ب): إِنْ هُمْ مِنَ السَّيْفِ أَمَّنُوا.

(٣) في (الأصل ذ): خَاضِب. ولعل الأصح ما أُثْبِتَ من بقية النسخ.

(٤) الْوَتَى: الضَّعْفُ وَالْفَتُورُ وَالْكَالُ وَالْإِعْيَاءُ. الرازي: مختار الصحاح، ص ٣٤٦.

(٥) طَلَحَ الْبَعِيرُ: أَعْيَا، وَأَطْلَحَ زَيْدٌ بَعِيرَهُ: أَتَعَبَهُ. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ٢٣٢.

(٦) في (ص ز ط ب) منقوص.

(٧) في (ص ز ط ب): وَأَلْصَقْتُ مِنِّي الْكَفَّ ثُمَّ بِحَاجِبِي.

(٨) في (الأصل): مُشِيت. وفي (ذ): مُشِيب. ولعل ما أُثْبِتَ من بقية النسخ أولى. والمُشِتُّ: أي

المفرق. ينظر الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ١٥٤.

(٩) جمع شازب، وهو: الضامر اليابس من الخيل، كما تقدم.

(١٠) جَمَّتْ: كَثُرَتْ. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ١٠٨٩.

وَأَسْعَرْتُ نَارَ الْحَرْبِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
فَإِنْ عِشْتُ أَوْ تُسْعِفْ أُمُورَ أَرْجُهَا
وَسَوْفَ وَيَتِ اللَّهُ يَسْمُونَ بِالسَّنَا
تَجِدُ رُؤُوسَ الْقَوْمِ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى^(١)
بِأَيْدِي رِجَالٍ إِسْتَثَارُوا بَثَارَنَا
نَطْقَنَ بـ (لَا أَسْأَلُكُمْ^(٢) الْأَجَرَ) بِالْهَدَى
فَإِنْ هِيَ كَانَتْ قَدْ تَوَكَّدَ حَقُّهَا
فَحَيْثُ لَدِ قَدْ تَعْرِفُونَ^(٣) مَقَالَتِي
وَأَنْي أَخُو الْهَيْجَا إِذَا مَا تَلَبَّسَتْ
ضَرَبْتُهُمْ وَالْيَتِ ضَرَبَا مُتَابَعَا
فَخِيلُ أَعْيِيهَا وَخَيْلُ مُغِيرَةٍ
فَحَيْثُ لَدِ وَلَّوْا بِحَوْلٍ إِلَهْنَا
فِي نَاشِرِ الْمَوْتِ وَيَا فَالِقَ النَّوَى
/ ٥٣- / أَسْأَلُكَ^(٤) إِلَهِي الْعَفْوَ عَنْ كُلِّ مَا مَضَى

وَدَارَتْ بِمَضْرُوبِ هُمَامٍ وَضَارِبِ
تَكُنْ فَيَصْلَا يَنْقُطُ رِضَاعُ الْمَنَاصِبِ
وَبِالْأُسْدِ تُرَدَى بِالرَّهَافِ الْقَوَاضِبِ
وَتَرْمِي بِأَقْحَافِ الطُّلَا وَالْمَنَاقِبِ
وَدَانُوا بِحَايِمٍ وَأَيُّ ثَوَاقِبِ
وَلَكِنَّا أَسْأَلُ^(٥) وَدَادَ الْأَقَارِبِ
فَحَقُّ الَّذِي يَصْلَاهُ^(٦) أَوْجَبُ وَاجِبِ
وَسَقَطَةُ رَاسِي وَاسْتِلَابُ مَكَاسِبِي^(٧)
كَتَائِبُ شَرِّ تَلْتَقِي بِكَتَائِبِ
تَشْنِيبُ لَهُ سُودُ اللَّحَا وَالْعَصَائِبِ
وَمَقْنَبُ حَنْفٍ مُلْصَقٌ بِمَقَانِبِ
كَبَرِّقِ تَلَالَا فِي سَجَالِ سَحَائِبِ
وَيَا رَاحِمَ الشُّكُوءِ وَيَا خَيْرَ صَاحِبِ
وَأَجْرًا وَرُشْدًا نَفَعُهُ فِي الْعَوَاقِبِ

(١) في (ص ز ط ب): تَجِدُ سُلُوقِيَا لِدَاوُودَ نَسْجُهُ.

(٢) تسكين اللام لضرورة الشعر.

(٣) كذا، ولعله لضرورة الشعر.

(٤) في (ص ز): تصلاه.

(٥) في (ط ب): يعرفون.

(٦) مكاسبي: سقطت من (ز). وَيَبِيضُ لَهَا فِي (ط ب). وفي (ص): مراكبي. وفي (مط): مكاتب.

(٧) كذا، فَإِنْ حُرِّكَ الْكَافُ اخْتَلَّ الْوِزْنُ الشَّعْرِي، وَإِنْ سَكُنَ خُولِفَتِ الْقَاعِدَةُ النُّحْوِيَّةُ، وَلَوْ قَالَ:

(أَسْأَلُ) لَتَمَّ الْبَيْتُ. وفي (ص ز): أَسْلُكُ. وفيه خلل نحوي. وفي (مط): سألت.

قال علي بن محمد: حَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ سَلِيحَانَ، قَالَ: لَمَّا وَصَلَ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ إِلَى خِيَوَانَ مِنْ بَلَدِ الْقُشْبِ^(١)، وَكَانَتْ هَذِهِ الْأَشْعَارُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْهَادِي قَبْلَ وَصُولِهِ خِيَوَانَ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى خِيَوَانَ أَمَرَ النَّاسَ بِالْأُهْبَةِ لِلْخُرُوجِ إِلَى نَجْرَانَ؛ وَذَلِكَ فِي أَيَّامٍ مَاضِيَةٍ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ، فَخَرَجَ إِلَى صَعْدَةَ، وَخَلَفَ ابْنَهُ أَبَا الْقَاسِمِ فِي خِيَوَانَ، وَمَعَهُ عَسْكَرٌ لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ خَيْلٌ وَرِجَالٌ، وَمَضَى الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ حَتَّى وَصَلَ إِلَى صَعْدَةَ.

وَصُولُ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ إِلَى صَعْدَةَ [وَتَوَاطَوْا ابْنُ عَبَادٍ وَابْنُ حَمِيدٍ وَابْنُ بَسْطَامٍ وَابْنُ الضَّحَّاكِ ضَدَّهُ]

قال علي بن محمد: فَلَمَّا وَصَلَ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ إِلَى صَعْدَةَ لَقِيَهِ أَبِي مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَأَنَا مَعَهُ، فِي جَمَاعَةٍ خَوْلَانٍ مِنْ بَنِي سَعْدٍ وَالرَّبِيعَةِ وَجَمَاعَةِ الْأَكِيلِيِّينَ، إِلَّا رَأْسَهُمْ أَحْمَدُ بْنُ عَبَادٍ، فَإِنَّهُ خَرَجَ مِنْ صَعْدَةَ وَقَدْ دُخِلَ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ إِلَيْهَا، وَحَازَرَ أَنْ يَلْقَاهُ؛ لَمَّا كَانَ قَدْ أَمَلَ مِنَ الْفُسَادِ عَلَيْهِ، وَمَا كَاتَبَ^(٢) مِنْ كُتْبِهِ إِلَى بَنِي الْحَارِثِ وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ كَانَ يَطْمَعُ بِالْفُسَادِ عِنْدَهُ مِنْهُمْ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ هُوَ وَابْنُ حَمِيدٍ، وَابْنُ بَسْطَامٍ، وَابْنُ الضَّحَّاكِ تَوَاطَوْا^(٣) وَتَعَاقَدُوا فِي سَفَرِ الْهَادِي الَّذِي أَخَذَ فِيهِ الْمُحَدِّثِينَ، عَلَى أَنْ يُحَدِّثَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فِي بَلَدِهِ عَلَى الْهَادِي. فَلَمَّا كَانَ مِنْهُمْ مَنْ حَدَّثَ مَا قَدْ شَرَحْنَا، أَرَادَ ابْنُ عَبَادٍ أَنْ يَفِيَّ لِأَصْحَابِهِ بِمَا^(٤)

(١) فِي (الْأَصْلُ ذ): الْقُسْب. وَفِي (ط): الْقُسَيْب. وَفِي (ب): الْقُشَيْب. وَمَا أُثْبِتَ مِنْ (ص ز) لَعَلَّهِ الْأَصْحَ، وَهُوَ جَمْعُ الْقُشَيْبِ.

(٢) فِي (ص ط ب): وَمَا كَانَتْ.

(٣) كَذَا بِالتَّخْلُصِ مِنَ الْهَمْزِ.

(٤) فِي (الْأَصْلُ ذ): مِمَّنْ. وَلَعَلَّ الْأَوْفَقَ مَا أُثْبِتَ مِنْ بَقِيَةِ النُّسخِ.

أعطاهم في نفسه، فكتب إلى الهادي إلى الحق بعد وصوله إلى صعدة كتباً يعلمه أنه إنما خرج رهبة منه، وليس عنده إلا السمع والطاعة له، وكان يريد أن يثبّط الهادي عن سفره، فلم يلتفت الهادي إلى الحق إلى ذلك، ولم يعتد به، وكان قد كتب إلى الهادي يسأله أن يعفيه من الخروج إلى نجران، فإن بني الحارث أخواله، وأنه لا يشتهي أن يرى بهم ما يسوؤه^(١)، فأجابه^(٢) إلى ذلك، وأمر الهادي عشيرته بالخروج معه.

فلما نظر ابن عباد الأكيلي إلى الهادي قد عزم على الخروج إلى نجران.

خبر ابن عباد وما كان من إفساده على الهادي يريد تشييطه من نجران

جمع في ليلته من أمكنه، وأصبح في صعدة، وجمع إليه أوباشه، وأمرهم بالتحصين عليهم في موضعهم، وبنى شرفات^(٣) على دروبه^(٤)، والهادي في داره في جانب القرية معه.

فلما نظر الهادي إلى ما عزم عليه ابن عباد، وما أحب من إنجاز وعده وأراد^(٥)، بعث إلى بني سعد من خولان صارخاً، فاجتمع إليه^(٦) خلق عظيم، فلما وصلوا به أمرهم أن يعسكروا في ساحة اليرسُميين / ٥٣-ب / في جانب القرية، ففعلوا.

(١) في (الأصل ص ب): يسوه. بالتخلص من الهمة. وما أثبت فمن (ز ط).

(٢) في (الأصل ذ): فلم يجبه. والسياق يبين أن ما أثبت هو الصحيح. أي أنه سمح له وحده بأن لا يخرج، ولكنه في نفس الوقت أمر قبيلته بالخروج.

(٣) في (ز ط ب): شرفات. الشُّرُفَات والشُّرُفَات: ما يبنى في أعالي البيوت القصور والأبراج. عمر، أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط ١، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م، مج ٢، ص ١١٩١.

(٤) في (ص): دربه.

(٥) في (ز ط ب): وإرادته.

(٦) في (ص ز ط ب): إليه منهم.

فَلَمَّا كَانَ قَرِيبًا مِنْ غُرُوبِ الشَّمْسِ أَقْبَلَ نَقَرَ مِنْ بَنِي حِمْرَةَ^(١) يَرِيدُونَ إِلَى دَارِ الْهَادِي، فَعَارَضَهُمْ أَصْحَابُ^(٢) ابْنِ عِبَادِ الْأَكِيلِي، فَرَامَوْهُمْ بِأَسْهُمٍ، وَالتَّحَمَ الْقِتَالُ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ، فَاتَى الْخَبَرُ إِلَى بَنِي سَعْدِ، فَاتُوا بِأَجْمَعِهِمْ إِلَى دَارِ الْهَادِي، وَبَلَغَهُ عِنْدَ ذَلِكَ الْخَبَرُ، فَأَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ: "لَا يَبْرَحُ أَحَدٌ مِنْكُمْ، فَمَنْ ذَهَبَ فَهُوَ فِي غَيْرِ حِلٍّ"، فَثَبَتَ النَّاسُ عِنْدَهُ مُتَتَظِرِينَ لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ.

وَمَضَى مِنْهُمْ سُفَهَاءٌ إِلَى أَصْحَابِهِمْ، فَوَجَّهَ الْهَادِي فِي رَدِّهِمْ جَمَاعَةً، فَلَمْ يَرْجِعُوا، فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ: فَلَمَّا رَأَى الْهَادِي ذَلِكَ اشْتَدَّ غَضَبُهُ، وَوَجَّهَ أَبِي مُحَمَّدَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ، وَأَرْسَلَنِي مَعَهُ، وَأَرْسَلَ مَعَنَا قِطْعَةً مِنَ الْخَيْلِ، وَأَمَرَنَا بِصَرْفِ^(٣) النَّاسِ، فَاتَيْنَا إِلَى الْقَوْمِ، فَوَجَدْنَاهُمْ قَدْ التَّحَمَ بَيْنَهُمُ الْبَلَاءُ، وَكَادَ أَنْ يَصْطَلِمَهُمُ الْأَعْدَاءُ، فَلَمَّا رَأَوْنَا وَقَدْ قُتِلَ فِيمَا بَيْنَهُمْ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ: رَجُلَانِ مِنْ بَنِي حِمْرَةَ وَرَجُلٌ كَلْبِيُّ^(٤).

وَلَمَّا رَأَيْنَا بَنُو سَعْدٍ اشْتَدَّتْ ظُهُورُهُمْ، وَحَمَلُوا عَلَى الْأَكِيلِيِّينَ، فَطَرَدُوهُمْ حَتَّى حَازُوا دُونَهُمْ بَعْضَ مَنَازِلِهِمْ، فَحَرَقُوهَا^(٥) وَهَدَمُوهَا، وَصَرَفْنَا النَّاسَ وَقَدْ أَجَنَّ

(١) فِي الْأَصْلِ وَمَعْظَمُ النِّسْخِ: حِمْرَةَ. وَمَا أُثْبِتَ فَمِنْ (ط)، وَهُوَ الْأَصَحُّ كَمَا تَقْدِمُ. وَسَيَكْفِي هَذَا التَّنْبِيهِ عَنْ تَكَرُّارِهِ فِي الْمَوَاضِعِ اللاحقة.

(٢) فِي (الْأَصْلِ ذ): فَعَارَضُوهُمْ أَصْحَابُ. وَهِيَ لُغَةٌ ضَعِيفَةٌ، فِيهَا الْجَمْعُ بَيْنَ فَاعِلَيْنِ. وَمَا أُثْبِتَ مِنْ بَقِيَةِ النِّسْخِ.

(٣) فِي (ص): نَصْرَفَ.

(٤) بَنُو كَلِيبٍ: هُمُ بَطُونُ أَوْسَ، وَعَبْدُ اللَّهِ، وَيزِيدُ بْنُ عَمِيرَ بْنِ كَلِيبٍ، مِنَ الرِّبِيعَةِ بْنِ سَعْدِ بْنِ خَوْلَانَ، كَانُوا يَسْكُنُونَ وَادِي عِلَافَ، وَكَانُوا مِنْ أَرْضِ الْيَمَنِ بِالْبَلِ، وَأَشَدُّهُمْ حَرْبًا، دَخَلُوا فِي حُرُوبٍ مَعَ الْهَادِي، انْتَهَتْ بِتَسْلِيمِهِمْ لَهُ وَاسْتِثْمَانِهِمْ مِنْهُ، وَيُقَالُ الْيَوْمَ: إِنَّ عِلَافَ، وَالْأَبْقُورَ، وَآلَتَ مَجْزَبَ، وَالْأَرْقُولَ، وَفُرُوءَ، وَالْعَبْدِيِّينَ، كُلَّهُمْ كَلْبِيُّونَ. الْعُلُوي: السَّيْرَةُ، ل٦٥/ب، ٦٨/أ-ب، ٨٤/أ-ب، ٨٧/أ-ب؛ وَالْهَمْدَانِي: الْإَكِيلِي، ج١، ص٢٥٨؛ وَصِفَةُ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، ص١٢٨، ١٨٩؛ وَالسَّيْفَانِي: تَارِيخُ صَعْدَةَ، ج١، ص٣٣، وَهَامِشُهَا.

(٥) فِي (ط ب): فَخَرَبُوهَا.

الليل، وقد أُصِيبَ في الناس كلُّهم جراحٌ كثيرة، وصِرْنَا ببني سعد إلى الهادي، فلامَّها فيما كان من قتالها بغيرِ إذنه، وأمرهم بالإيقافِ في مواضعهم.

فلَمَّا كان من الغدِ وأصبحَ النَّاسُ، غدا الزُّبَيْرُ الكُلَيْبِيُّ^(١)، والوليد بن حَيَّان الجماعي^(٢)، وتفرَّ من اليرسميين، فدخلوا على الهادي، فطلبوا منه الأمانَ للأكيлийين، فأجابهم إلى ذلك، فأتوه بعباد الأكيلي ووجوه الربيعة، وتخلَّفَ أحمدُ بن عباد، لم يأت، وخرَجَ إلى موضعٍ لهم يقال له علاف^(٣)، وهو جبلٌ يتحصَّنون فيه، فأقام به.

[شِعْرُ الهادي إلى الحق إلى أخيه عبد الله بن الحسين يصفُ جلدَه في الحرب]

ثم أمرَ الهادي النَّاسَ بالأهبة بالخروجِ إلى نجران، وكتبَ حينئذٍ إلى أبي محمد بوصوله إلى صعدة وما كان من خبرِ الأكيلي، وقال الهادي إلى الحق في ذلك:

أَلَحَّ الْعَاذِلُونَ عَلَيَّ لَمَّا	رَأَوْنِي فِي الْمَوَاقِفِ لَا أَحِيدُ
وَنَارُ الْحَرْبِ مُسْعِرَةٌ تَلْظُنِي	يُسَيِّبُهَا التَّاجُجُ وَالْوَقِيدُ
وَقَدْ طَاخَتْ رُؤُوسُ الْقَوْمِ لَمَّا	عَلَاهَا فِي مَفَارِقِهَا الْحَدِيدُ
وَقَالُوا قَدْ قُضِيََتْ ذِمَامُ حَرْبٍ	وَلَسْتُ سِوَى تَأْجِجٍ هَائِرٍ يُدُ

(١) هو الزبير بن محمد، من رؤوس بني كليب، وكان كلما اشتعلت الحرب بين قبيلته والهادي يبادر بطلب الأمان. العلوي: السيرة، ل٦٨/أ-ب، ٨٤/أ-ب.

(٢) الجماعي: لم أعرف عنه أكثر مما ورد هنا، ولعله من بني جماعة، من خولان صعدة.

(٣) علاف: وادٍ غربي مدينة صعدة بنحو ٢٠ كم، وصف الهمداني الوادي بقوله: "خير أودية خولان، وأكرمها كرمًا، وأكثرها خيرًا، وزرعًا، وأعناباءً، وماشية"، وتُشكِّلُ بلداته اليوم عزلة في مديرية سحرار. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٨٩؛ والمقحفني: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج ٢، ص ١٢٩٦.

وقد أضحت حروبك كل نهج ولم يذر الهدي والحق ودا دعوت الناس كلهم لحق / ٥٤- / لا تهم على فسق توالوا فقلت لهم: ذروا فسقا وكفرا كتاب الله لما أن أتتنا فإن تأخذ بغير الحق تبع وإلا فاعلمن أنا حروب وأضحى الناس كلهم حروبا فقلت لهم: ألا مهلا هديتم على ما قد ترون جنان خلد فلست ببارك للحرب حتى ويحكم بالكتاب بكل فج ولست بخاشع يوم الحرب ولست بقائل ما دمت حيا أخو الفسق الدوانيقي^(٣) لما

يضرهم نازها لهاب جديد لكم يا أيها القرم الرشيد^(١) وأكثرهم عن التقوى يحيد ويتبع ذلك الكفر العنيذ وخلوه فقالوا: لا تريد شرايعه، ومن هذا نعيد ويصبح^(٢) كنالك يستعيد كما فعلت بجذيتك اليهود ومبغوك ليس لهم عديد فقد أعطاني الله الحميد ورضوانا وفضلا لا يبيد يطاع الواحد الفرد الودود ويرجع عن تعدييه العنيذ وإن خشعت لهيئتها الأسود كما قد قال في الحزب الرقود تدخل قلبه الرغب الشديد

(١) القرم: السيد. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ١١٤٨.

(٢) في (ط ب): تتبع ** ونصبح.

(٣) الدوانيقي: لقب أبي جعفر المنصور، الخليفة العباسي المتوفى سنة ١٥٨ هـ / ٧٧٥ م. الزبيدي:

تاج العروس، ج ١٣، ص ١٥١.

من الحَرْبِ الْعَوَانِ^(١) وَقَدْ تَلَكَّظْتُ عَلَيْهِ وَهَالِكِ الْأَمْرِ الْعَيْنُ:
 "تَفَرَّقَتِ الطَّبَائُ عَلَى خَدَاشٍ فَمَا يَدْرِي خَدَاشٌ مَا يَصِيدُ"^(٢)
 لِحَاةِ اللَّهِ أَلَا قَالَ قَوْلًا ضَعِيفًا خَائِتَهُ الرَّأْيُ السَّدِيدُ
 وَلَكِنِّي أَقُولُ مَقَالَ صَدَقَ لِكُلِّ مُحَارِبٍ عِنْدِي مَزِيدُ
 فَمَنْ يَنْغِي مُحَارِبَتِي فَإِنِّي عَلَى حَدَثَانٍ مَا يَأْتِي جَلِيدُ
 وَمَنْ يَنْغِي مُسَالَمَتِي فَإِنِّي لِأَهْلِ الدِّينِ وَالتَّقْوَى مُرِيدُ
 فَمَا مِثْلِي يُفَزِّعُ^(٣) بِالْمَنَآيَا وَمَا مِثْلِي يُنْهِنُهُ^(٤) الْوَعِيدُ
 [جواب أخيه عبد الله بن الحسين عليه شعرا]

فَلَمَّا وَصَلَ الْكِتَابُ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ دَعَا النَّاسَ، فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ، فَسُرُّوا بِذَلِكَ،
 وَرَدُّوا^(٥) إِلَيْهِ جَوَابَ كِتَابِهِ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ بِهَذَا الشَّعْرِ:

صَدَقْتَ وَأَنْتَ لِلتَّقْوَى قَصُودُ وَمَهْمَا قَدِ تَقُولُ وَمَا تُرِيدُ
 فَإِنْ أَضَحَّتْ حُرُوبُكَ كُلَّ نَهْجٍ فَلَا نَكْسُ^(٦) أَخُوكَ وَلَا رَقُودُ

- (١) العوان من الحروب: التي قوتل فيها مرة بعد أخرى. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ١٢١٧.
 (٢) تمثل المنصور العباسي بهذا البيت عند ثورة النفس الزكية محمد بن عبد الله بن الحسن العلوي، وأخيه إبراهيم. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ): أنساب الأشراف، تح: سهيل زكار، ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ج ٣، ص ١١٩.
 (٣) في (ص ب): يقرَّع.
 (٤) في الأصل: يتعتعه. وكتب فوقها كما أُثبت. وفي (ص ط ب) أيضا: يُتَعَتَّعُهُ. وَنَهْنَهُ عَنْ الْأَمْرِ: كَفَهُ وَزَجَرَهُ. وَتَعَتَّعَهُ: تَلَتَّلَهُ، وَحَرَّكَهُ بِعُنْفٍ، أَوْ أَكْرَهَهُ فِي الْأَمْرِ حَتَّى قَلِقَ. ينظر الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ٧٠٧، ١٢٥٥.
 (٥) في (ز ط ب): ورد.
 (٦) النكس: الضعيف والرذل المقصّر عن غاية النجدة والكرم. مصطفى: المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٩٥٢.

ولا جَنَامَةً في الحَرْبِ رَخْوُ
ولا يَنْبُو إذا نابست ضروسُ
ولكنِّي^(١) لِمُعْتَرَكِ المَنَاقِبَا
وَأَتْرُكُ^(٢) في الكَرِيمَةِ كُلَّ ضِدِّ
صَرِيحًا حَوْلَهُ الغَزَبَانُ تَهْفُو
يُمِيتُكَ مَا بَقِيَ وَبَقِيَتْ حَيًّا
نُحِبُّكَ في الإِلَهِ وَتَرْجِيهِ
أَبَاحِ الظَّالِمُونَ حِمَاهُ جَهْلًا
/ ٥٤ ب / فَإِنْ يَرْضَى^(٤) إِلَهُ الْحَقِّ تَرْضَى^(٥)
سُيُوفٌ لِلْإِلَهِ مُسَلَّلَاتُ
تُرِيدُ الدَّهْرَ مَا عِشْنَا رِضَاهُ
أَتَشْكُرُونَهُمْ فَعَلُوا نَعْدُ^(٦)
فَأَمْرُهُمْ وَمَنْ حَجَّثَ إِلَيْهِ
قَرِيبٌ إِنْ تَرَكْتَهُمْ سَوِيًّا
ولا وَرَعٌ إذا اقترع الحديدُ
ولا منها إذا احتدمت يحميدُ
إذا هاب الشُّجَاعُ لها ورُودُ
لِفَضْلِكَ مُنْكَرٌ وَلَهُ جَحُودُ
وأوباش السَّبَاعِ لها رصودُ
وَنَيْتُهُ عَلَى الْبُلُوئِ تَزِيدُ
وَنَغْصَبُ إِنْ عَصَى وَلَهُ حَقُودُ^(٣)
وكلُّهُمْ عَنِ التَّقْوَى صَدُودُ
وإن يَسْخَطُ فنحن له جُنُودُ
بهائِثُ قَرَى الْمَذَابِخِ وَالْجُلُودُ
كَمَا فَعَلْتُ لِسَيِّدِهَا الْعَيْدُ
كَمَا فَعَلْتُ بِجَدِّكَ الْيَهُودُ
من الْآفَاقِ مُزْقَلَةٌ وَفُودُ
ورأيي سوف تُحْكِمُهُ سَدِيدُ

(١) في (ص ز ط ب): ولكن هو.

(٢) في (ص ز ط ب): ويترك.

(٣) سقط هذا البيت من (الأصل ذ). وأثبت من بقية النسخ. والوَلَاءُ: الحزن، أو ذهاب العقل حزنا، والحيرة، والخوف. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ١٢٥٦.

(٤) كذا؛ لضرورة الشعر.

(٥) في (ص): وإن يرضى الإله الحق نرضى.

(٦) كذا.

ومَعَكَ الصَّافِنَاتُ^(١) وَكُلُّ لَيْثٍ وَبَيْضُ قَاضِبَاتٍ^(٢) وَالْعَدِيدُ
وَسُمُرٌ فِي أَسْتِيهَا ذُعَافٌ^(٣) وَزُزْقٌ فِي الْحُرُوبِ لَهَا شَرِيدُ
فَإِنْ هُمْ سَلَّمُوا لِلْحَقِّ طُرًّا صَعِيفُهُمْ وَقَزَمَهُمُ الشَّدِيدُ
وَلَا فَالْأَسْيُوفُ لَهُمْ عَصِيٌّ أَلَا بُغْدَا كَمَا بَعْدَتْ ثَمُودُ
أَلَا رَغَمَتْ بِأَمْرِ اللَّهِ مِنْهُمْ - وَإِنْ كَرِهُوا - الْمَعَاطُسُ^(٤) وَالْخُدُودُ

خروج الهادي إلى الحق إلى نجران ليومين مضيا من ذي الحجة من
سنة ست وثمانين وميتين

قال علي بن محمد: خَرَجَ الهادي إلى الحق إلى نجران ليومين مضيا من ذي
الحجة، وخَلَفَ أَبِي مُحَمَّدَ بْنَ عبيدالله واليًّا بصعدة، وخَلَفَنِي معه، ولم يُخَلَّفْ معنا
عَسْكَرًا، وسَارَ حَتَّى نَزَلَ بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ الْبُطْنَةُ^(٥)، بَلَدٌ لِبَنِي سَعْدٍ مِنْ خَوْلَانَ،
فَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ عَسْكَرٌ عَظِيمٌ.

ثُمَّ أَصْبَحَ فَعَدَا إِلَى نَجْرَانَ، فَبَاتَ بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ الرَّكْبُ، ثُمَّ أَصْبَحَ فَعَدَا، فَلَمَّا
قَرَّبَ مِنْ نَجْرَانَ لَقِيَهِ الْوَادِعِيُّونَ، ثُمَّ سَارَ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ لَقِيَهِ أَبُو مُحَمَّدٍ وَأَبُو الْحُسَيْنِ فِي

(١) الصافنات: الخيول، والصابن منها: القوائم على ثلاث قوائم، وقد أقام الرابعة على طرف الحافر.
الرازي: مختار الصحاح، ص ١٧٧.

(٢) في (الأصل ذ): صافيات. ولعل ما أُثبت من بقية النسخ أنسب.

(٣) الذُعَاف: السُّمُّ أو سُمُّ ساعة. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ٨١١.

(٤) المعاطس: فاعل (رغمت)، وهو جمع مَعْطَس، وهو: الأنف. الفيروزآبادي: القاموس المحيط،
ص ٥٥٨.

(٥) البطننة: مَنَاطِقَةٌ يَلْتَقِي عِنْدَ (الخبية) مِنْهَا سَيْلٌ غَرَبِيٌّ صَعْدَةٌ وَسَيْلٌ دَمَاجُ الْمَارِّ فِي الْعَبْدِينَ، وَمِنْ
مَنَاطِقِهَا الْخَبِيَّةُ، وَالْفَقَارَةُ فِي أَسْفَلِهَا. ولعلها التي تُسَمَّى الْبُقَاتِ الْيَوْمَ وَتَقَابِلُ بَيْرِ الشُّمَيْرِ (بئر
الطُّرْمِ سابقا). ينظر الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٦٣، ٢٢٤.

أَهْلَ الْحِصْنِ^(١) مِنْ شَاكِرٍ وَثَقِيفٍ، ثُمَّ سَارَ حَتَّى نَزَلَ بِالْحِصْنِ، فَأَمَرَ بِمُضَرَبِهِ، فَضُرِبَ فِي أَرْضٍ حَرِثٍ مِنْ أَرَاضِي الْحِصْنِ، وَنَزَلَ^(٢) أَصْحَابُهُ، فَبَاتَ بِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ.

[هجمات الهادي إلى الحق على میناس وسوجان^(٣) والهجر]

فَلَمَّا أَصْبَحَ جَمَعَ هَمْدَانَ نَجْرَانَ^(٤)، وَثَقِيفَ، وَالْأَحْلَافَ، وَأَمَرَ عَسْكَرَهُ بِالرُّكُوبِ، وَسَارَ حَتَّى عَسَكَرَ عَلَى بَابِ مِينَاسٍ، وَفَرَّقَ الْعَسَاكِرَ عَلَيْهَا مِنْ نَوَاحِيهَا، وَأَمَرَ هُمْ بِقِتَالِ أَهْلِ الْحِصْنِ، وَفِيهِ ابْنُ بَسْطَامٍ وَعَشِيرَتُهُ وَعَامَّةُ بَنِي الْحَارِثِ، فَقَاتَلَهُمُ النَّاسُ قِتَالًا شَحِيحًا، حَتَّى كَسَرُوا جَانِبَ الْحِصْنِ، وَدَخَلَ بَعْضُ الطَّيْرِيِّينَ مِنْ جَانِبِ الْقَرْيَةِ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ، وَرَكِبُوا لِلنَّاسِ السُّطُوحَ، وَرَمَوْهُمْ بِالنَّبْلِ رَمًيًا شَدِيدًا مِنْ وَرَائِهِمْ وَأَمَامِهِمْ وَجَوَانِبِهِمْ، وَرَمَوْهُمْ بِالْحِجَارَةِ وَاللَّبَنِ مِنْ فَوْقِهِمْ، وَكَانَ النَّاسُ فِي أَرْقَةِ ضَيْقَةٍ، فَتَرَادَّ النَّاسُ إِلَى الْمَقَاتِلِ وَإِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي كُسِرَ مِنَ الْحِصْنِ، فَلَمْ يَزَلِ الْقِتَالُ فِي جَوَانِبِ الْقَرْيَةِ وَدُرُوبِهَا حَتَّى قَرُبَ غُرُوبُ الشَّمْسِ، / ٥٥-أ / ثُمَّ صَاحَ الْهَادِي بِعَسْكَرِهِ وَانْصَرَفَ إِلَى الْحِصْنِ، وَقَدْ نِيلَ مِنْ أَهْلِ الْحِصْنِ مَنَالًا عَظِيمًا، وَنِيلَ مِنْ عَسْكَرِهِ قَرِيبٌ مِنْ ذَلِكَ، وَقُتِلَ فِي الْكُلِّ قِتَالًا غَيْرَ قَلِيلٍ.

(١) في الأصل ومعظم المصادر: الحصن. وما أُثبتَ فمن (ز) وهو الصحيح.

(٢) في (ص ز ط ب): وترك.

(٣) سوجان: حصن وقرية فيها بنو الحماس، من بني الحارث بن كعب، يقع تحت جبل يقال له: دحضة، (أو: دخنة)، ودحضة اليوم أحد أحياء نجران، في الضفة الشمالية من وادي نجران. وقد ورد عند الهمداني وابن المجاور بلفظ (سوحان). ولعل الصحيح ما أثبت. العلوي: السيرة، ٥٥/أ، ١١٨/أ، ١٢٣/أ؛ والهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٨٣؛ وابن المجاور: تاريخ المستبصر، ص ٢٤١.

(٤) همدان نجران: وادعة وشاكر ويام كما تقدم.

ثم أقام بالحصن وهو يَغْزُوهم ويُقاتِلهم على أبوابِ حصنهم، يَوْمًا يُحَارِبُهم، وَيَوْمًا يَتْرُكُهم، واشتدَّ ذلك عَلَيْهِم، وَمَنَعَهُم مِّنْ مَّعَايِشِهِم، وَضَيَّقَ عَلَيْهِم ضَيْقًا شَدِيدًا، ثُمَّ افْتَرَقُوا له ثلاثة عساكر، في سوجان بَعْضُهم، وفي میناس بَعْضُهم، وفي قرية الهَجَرِ بَعْضُهم، وتعاقدوا على أن يُصْرِخَ بَعْضُهم بَعْضًا، وتحالفوا على ذلك، وقالوا: حَيْثُمَا قَصَدَ فَأَمِدُّوا بِأَجْمَعِكُمْ، فكانوا على ذلك.

ثُمَّ إِنَّ الهاديَ إِلَى الحق سار حتى قَصَدَ سوجان، وفيه خِيَارُ القومِ وَرِجَالُهم، فاقْتَتَلَ النَّاسُ حتى قُتِلَ من أصحاب الهادي رجلٌ يقال له: ...^(١) بن المقدام، فحُمِلَ إلى راحة لِيُدفَنَ فيها، واشتدَّ الْقِتَالُ، ودَخَلَ الطَّبَرِيُّونَ مَلَوِيَّةً^(٢) الدَّرْبِ، ووقع القتالُ على الدَّرْبِ، والهادي واقفٌ من وراء الطبريين يُحَرِّضُ^(٣) النَّاسَ، وَيَأْمُرُهم بالتقدُّم.

و[بينما] النَّاسُ في ما هم فيه من القتالِ والجهادِ إِذْ خَرَجَتْ عساكرُ بني الحارثِ من القريةِ ومیناس، ثُمَّ أَخَذُوا بين النَّخِيلِ والأشجارِ حَتَّى كانوا بِمَوْضِعٍ يقالُ له مُحَضَّر^(٤)، ثُمَّ جَزَعُوا الواديَ واستَتَرُوا بالنَّخِيلِ، وأَخَذُوا يَسِيرُونَ معه، حتى قَرَّبُوا من سَوْجَان، ولا عِلْمَ للمؤمنين بهم، وكان حصنُ سَوْجَانِ يَسْتُرُ بينهم وبين الهادي إلى الحق وأصحابه، حتى هجموا عليه وعلى مَنْ معه هَجْمَةً واحدة، وكان النَّاسُ مُفْتَرِقِينَ في نواحي الحِصْنِ، فَهَجَمَتِ الحَيْلُ والرَّجَالُ معًا، وخرج أهلُ الحِصْنِ معهم أيضًا، فتكعَّكَعَ أصحابُ الهادي -عليه السلام، وانحازوا انْحِيازًا شَدِيدًا، وأدْبَرُوا.

(١) في الأصل فراغ قدر كلمة.

(٢) كذا. وكأنها منطقة ملتوية في الدَّرْبِ. وفي (ط ب): جانب.

(٣) في (ط ب): يحرس.

(٤) محضر: ذكره الهمداني ضمن أوطان بني الحارث بن كعب، ويبدو من سياق النص أنه في ضفة الوادي المقابلة لسوجان. ضفة جزيرة العرب، ص ٢٨٣.

وَاتَّبَعَهُمُ بَنُو الْحَارِثِ، وَاتَّبَعَ الْهَادِي يَعْزُضُ الْحِصَانَ فِي وُجُوهِ الْقَوْمِ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ لَا فَارِسٌ وَلَا رَاجِلٌ، وَهُوَ يَعْزُضُ فِي وُجُوهِهِمْ مُقَارِبًا لَهُمْ، مَرَّةً تَجَاهَ مَيْمَنَتِهِمْ، وَمَرَّةً فِي قَلْبِهِمْ، وَمَرَّةً تَجَاهَ مَيْسَرَتِهِمْ، وَكَانَ رَجُلٌ كَوْفِيًّا^(١)، يُقَالُ لَهُ أَبُو عَيْسَى^(٢)، قَدْ ثَقُلَ عَنِ الْجُرِيِّ وَتَحَيَّرَ حَتَّى غَشِيَهُ الْقَوْمُ، ثُمَّ بَدَرَ^(٣) لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى كَادَ أَنْ يَضْرِبَهُ، وَصَاحَ بِهِ الْهَادِي: "امْضِ امْضِ يَا أَبَا عَيْسَى، الْعَبْدُ وَرَاءَكَ، فَاحْذَرَهُ"، فَصَاحَ إِلَيْهِ: يَا سَيِّدِي قَدْ أُعْيِيتُ، فَحَمَلَ الْهَادِي عَلَى الْحَارِثِيِّ، وَقَدْ حَاذَرَ أَنْ يَضْرِبَ أَبَا عَيْسَى، فَسَبَقَهُ إِلَيْهِ، وَطَعَنَ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ الْحَارِثِيِّ، وَكَانَ مِنْ رَجَالِهِمْ وَعَفَّارِيَّتِهِمْ، طَعَنَةً فِي صَدْرِهِ، أَنْفَذَ الرُّمَحَ مِنْ ظَهْرِهِ، وَخَرَّ مَيِّتًا لَا رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَحَمَلَ / ٥٥-ب / الْهَادِي فِي أَوْسَاطِهِمْ، فَطَعَنَ رَجُلًا آخَرَ فَقَتَلَهُ، وَانْكَسَرَ رُحْمُهُ، ثُمَّ حَمَلَ فِي الْقَوْمِ، وَأَبْصَرَ ابْنَ حَمِيدٍ فِي أَفْرَاسٍ مَعَهُ فِي وَسْطِ عَسْكَرِ بَنِي الْحَارِثِ، وَكَانَ ابْنُ حَمِيدٍ قَدْ حَلَفَ لِبَنِي الْحَارِثِ: ...^(٤) لئن رَأَيْتُ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ لَا قَصِيدَتَهُ، فَلَمَّا رَأَى الْهَادِي ابْنَ حَمِيدٍ قَصَدَهُ الْهَادِي، وَصَاحَ بِهِ: "يَا ابْنَ حَمِيدٍ، أَيْنَ أَيْمَانُكَ لِأَصْحَابِكَ، أُثْبِتْ لَا أُمَّ لَكَ"، فَوَلَّى ابْنُ حَمِيدٍ وَأَصْحَابُهُ هَارِبِينَ، وَالْهَادِي - عَلَيْهِ السَّلَامُ - يَطْرُدُهُمْ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى قَرِيبِ بَابِ الْحِصْنِ، وَخَلَّفُوا عَسْكَرَهُمْ، وَوَرَّاهُمْ^(٥) الْهَادِي يَطْرُدُهُمْ.

فَلَمَّا رَأَتْ رَجَالَةٌ كَانَتْ فِي آخِرِ النَّاسِ قُرْبَ الدَّرْبِ مِنْ أَصْحَابِهِمْ يُطْرَدُونَ رَمَوْا دُونَهُمْ بِالنَّبْلِ، وَفَاتَ ابْنُ حَمِيدٍ فَدَخَلَ هُوَ^(٦) وَأَصْحَابُهُ فِي حَظِيرَةٍ عَلَى بَابِ

(١) فِي (الْأَصْلُ ذ): كَوْفِيٌّ قَدْ ثَقُلَ. وَلَعَلَّ الْأَصَحَّ مَا أُثْبِتَ مِنْ بَقِيَةِ النُّسخِ تَجَنُّبًا لِلتَّكَرُّارِ.

(٢) لَمْ أَعْرِفْ عَنْهُ أَكْثَرَ مِمَّا وَرَدَ هُنَا.

(٣) فِي (ص ط): بَرَزَ.

(٤) فِي (الْأَصْلُ ذ): فَرَاغَ قَدْرَ كَلِمَتَيْنِ.

(٥) كَذَا بَدُونَ هَمْزٍ.

(٦) هُوَ: أُضِيفَتْ مِنْ (ذ).

الحِصْن، عندما سَمِعَ من كلام الهادي، وصاح بأصحابه: وَيَلَكُمْ دُقُّوا الْجِدَارَ، فهدمُوهُ له، وأوثبهُ فرسه، ومَرَّ مُنْهَزِمًا، فلَمَّا فاتَ الهادي إلى الحق ضَرَبَ بالسَّيْفِ رَجُلًا مَمَّنْ كان يَرْمِي عن ابن حميد قُرْبَ بابِ الدَّرْبِ، فأَخَذَ السَّيْفَ على عَاتِقِهِ الْأَيْسَرِ حَتَّى خَشَّ^(١) فِي جَوْفِهِ.

وصاح محمد بن سعيد [اليرسمي]، وكان في آخِرِ النَّاسِ: يَا مَعْشَرَ النَّاسِ، الهادي إلى الحق يُقَاتِلُ الْقَوْمَ وَحْدَهُ، وَقَدْ حَمَلَ عَلَيْهِم، وَقَدْ أَوْقَفَهُمْ وَأَشْجَاهُم، فَاللهَ اللَّهُ، ارْجِعُوا ارْجِعُوا، فَلَمَّا سَمِعَ النَّاسُ صَوْتَهُ رَجَعَ بَعْضُ الْعَسْكَرِ وَتَرَادُّوا، وَاتَّبَعُوا الْهَادِي حَتَّى وَقَفُوا مَعَهُ، فَقَتَلُوا فِي حَمَلَتِهِمْ عِنْدَ رُجُوعِهِمْ ثَلَاثَةً مِنَ الْحَارِثِيِّينَ، وَانْهَزَمَ الْحَارِثِيُّونَ حَتَّى دَخَلُوا الْحِصْنَ، وَمِنْهُمْ مَنْ التَّجَا إِلَى جِدَارِهِ، وَرَمَى أَصْحَابُهُمْ عَنْهُمْ، وَانْحَازَ عَسْكَرُ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ نَاحِيَةً.

وسأل محمد بن عبد الملك بن غطريف الوادعي الهادي إلى الحق: كَمْ قَتَلْتَ مِنَ الْقَوْمِ؟ فَقَالَ: "قَتَلْتُ بِالرُّمَحِ رَجُلَيْنِ، ثُمَّ خَانَنِي رُحْمِي وَانْكَسَرَ، وَقَدْ ضَرَبْتُ رَجُلًا حِينَمَا^(٢) فَاتَنِي ابْنُ حَمِيدٍ قُرْبَ بابِ الدَّرْبِ ضَرْبَةً جَيِّدَةً، وَجَدْتُ فِي السَّيْفِ عِنْدَ رَفْعِي لَهُ رَايِحَةَ الْعَذْرَةِ، فَاَنْظُرْ مَا فَعَلَ"، ثُمَّ أَمَرَ الْعَسْكَرَ فَانْصَرَفَ إِلَى مَعْسِكَرِهِ، فَمَا أَمْسَى حَتَّى أَتَى الْخَبْرُ أَنَّ ضَرْبَةَ الْهَادِي بَلَغَتْ أَسْفَلَ مِنْ سُرَّةِ الْمَضْرُوبِ، وَأَنَّ ابْنَ حَمِيدٍ عَصَبَهُ بِعِمَامَةٍ، وَقَالَ: اسْتُرُوهُ، فَإِنْ رَأَى النَّاسُ هَذِهِ الضَّرْبَةَ لَمْ يُقَاتِلْ هَذَا الرَّجُلَ أَحَدٌ، فَسُتِرَ حَتَّى دُفِنَ فِي الْبُطْحَاءِ مِنْ سَاعَتِهِ، لَا رَحْمَةَ لَهُ، وَرَاحَ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ إِلَى الْحِصْنِ، فَأَقَامَ بِهِ.

(١) من معاني الحش: الشُّقُّ في الشيء. ينظر الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص ٥٩٢. وفي (ص ز ط ب): حش. وربما كان المعنى: وصل السيف إلى موضع الحش، فإنه يقال أيضا للدبر: الْمَحْشَةُ.

(٢) في (ز ط ب): عندما.

[تحرّك ابن عباد الأكيلي ضدَّ سُلْطَةِ الهادي إلى الحق في صعدة]

قال عليُّ بن محمد: ثمَّ أرسل الهادي إلى العُهرَا وإلى خولان، وكتبَ إلى أبي محمد بن عبيدالله يأمرُه بإخراجهم إليه، وقد كان مَنْ كان في الحُبْسِ / ٥٦-أ/ من بني الحارِثِ عندنا بصعدة، فتعمَّلَ فيهم ابنُ عباد حتَّى دَسَّ إليهم مسحلاً، فسحلُّوا به الحديدَ عنهم، وخرَجُوا من الحُبْسِ، حتَّى لحقُوا بأصحابهم.

وقد كان قبلَ ذلك أحمدُ بن عباد قد جمعَ جماعةً مَن أطاعه، وأراد الهجمةَ على محمد بن عبيدالله، والمسيرَ من آخرِ ساعته إلى الغيلِ، فيقعُ به، ويتألَّ مَنْ كان فيه، ويُخرجُ المحبسين^(١) منه، وكان ذلك ليلة الأضحى.

ولما صحَّحت الأخبارُ لمحمد بن عبيدالله، أرسلَ لينفِرَ^(٢) من اليرسميين وسألهم أن يُثبِتوا معه في داره ثلاثين رجلاً؛ لِيَسْتَظْهَرَهُمْ على عدُوِّه، حتَّى تَجِيَّهَ صرَخَاتُه^(٣) من بني سعد، فكَرِهُوا ذلك عليه، وقالوا: لا نُحِبُّ أَنْ^(٤) نُشْهَرَ أَنْفُسُنَا بأمرٍ يكونُ علينا فيه هَلَكَةٌ، وقد كَانَتْ قَبْلَ ذلك قد وَرَدَتْ إليه كُتُبٌ من الحَسَنِ بن علي^(٥) الفُطَيْمِيِّ يُعَلِّمُهُ فيها بما أَجْمَعَ عليه ابنُ عباد، وأنه قد عَاوَنَهُ على ذلك بَعْضُ اليرْسميين، فلمَّا لَمْ يُجِيبُوهُ إلى ما سأل صار إلى الحسن بن علي، وما معه أَحَدٌ غَيْرِي وغير غلامَيْن معنا.

فلَمَّا وَصَلْنَا إلى الغِيلِ أَرْسَلْنَا الصَّوَارِخَ في بني سعد، فاجْتَمَعَ مِنْهَا عَسْكَرٌ

(١) في (ذ): المحبوسين.

(٢) في (ص ز ط ب): النفير.

(٣) في (ط ب): صرخواؤه.

(٤) نحب أن: سقطت من (الأصل ذ). وأثبتت من بقية النسخ.

(٥) علي: سقطت من (الأصل ذ). وأثبتت من بقية النسخ.

عظيم، فصاروا بالغَيْلِ مُقِيمِينَ، وأمرهم أبي محمد بن عبيدالله: لا يَبْرَحُوا موضعهم حتى يَنْصَرِفَ النَّاسُ من صلاة العِيدِ، فَأَتَى محمد بن أبي هشام، وهو مِمَّنْ له مَوَدَّةٌ ومَحَبَّةٌ، فَنَاشَدَهُ بالله أَنْ لَا يُصَلِّيَ العِيدَ؛ فَإِنَّهُ يَخَافُ عَلَيْهِ الهَلَكَةَ من عَدُوِّهِ، فَكِرَهُ ذلك عليه، وأَعْلَمَهُ أَنَّهُ قَدْ جَمَعَ في لَيْلَتِهِ مَنْ أَطَاعَهُ من أَوْلِيَائِهِ.

فلما أَصْبَحَ خَرَجَ فَصَلَّى العِيدَ، وَعَلِمَ ابنُ عباد بما كان من فِعَالِ محمد بن عبيدالله، فَأَيْسَ مِمَّا كان قَدْ أَمَلَهُ، وَتَعَمَّلَ في أُمُورِ المَخْبُوسِينَ حَتَّى أَخْرَجَهُمْ بِمَا ذَكَّرْنَا، وَكان في مَنْ خَرَجَ أبو الوجيه، ونحيل، وَتَخَلَّفَ مرزوق، ورأى أَنَّ ذلك عليه فضيحةٌ، فَتَخَلَّفَ، حَتَّى أَطْلَقَهُ الهادي مِنْ بَعْدِ ذلك.

[إعدادُ الهادي إلى الحق للنُّخْبَةِ من المُقاتِلِينَ من العَهْراءِ وخولان]

فلَمَّا وَصَلَتْ كُتُبُ الهادي إلى محمد بن عبيدالله وإلى العَهْراءِ وخولان حَشَدُوا وَجَمَعُوا، وَجَاءَهُ ^(١) مِنْهُمْ عَسْكَرٌ كَثِيرٌ ^(٢)؛ وَذلك أَنَّهُمْ كانُوا خَرَجُوا مَعَهُ أَوَّلًا، ثُمَّ تَخَلَّفُوا عَنْهُ، وَكان هَؤُلَاءِ دُولاَءُ لَهُمْ، وَقَدْ كانَ الهادي اصْطَنَعَ رِجالاً مِنْ أَهْلِ نَجْرانٍ مِنْ همدانٍ مِنْ فارسيٍّ وَراجِلٍ، وَكان يَذْكُرُ لَهُمْ أَنَّهُ يُعِدُّهُمْ لِحَاجَةٍ لَهُ، وَموضع يَرى فِيهِ التَّقَدُّمَ بِهِمْ، أَوْ لِحِمْلَةٍ، أَوْ لِدُخُولِ الحِصْنِ، فَكانُوا يُعْطُونَهُ ذلك مِنْ أَنْفُسِهِمْ.

[اقتحام الهادي إلى الحق قرية الهَجَرِ في نَجْران]

فلَمَّا جَاءَتْ عساكِرُهُ، وَقَدِمَتْ صرْخاؤُهُ ^(٣) سارَ بِمَنْ كانَ مَعَهُ إلى قَرْيَةٍ بَنى الحارثِ التي تُسَمَّى الهَجَرَ، وَقَدْ أَجْمَعُوا إِلَيْهَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ إِلَّا عَسْكَراً بِمِينَاسٍ، وَقَصَدُواها

(١) في الأصل والنسخ: وجاه. بالتخلص من الهمزة. في (ص): فجاه.

(٢) في (ص ز ط ب): غير كثير.

(٣) في الأصل: صرخاه. وفي (ص ز): صرخاته. وفي (ط): صرخاوه. وما أُثْبِتَ فَمِنْ (ذ).

حِينَ رَأَوْا الْهَادِيَّ / ٥٦ - ب / قَدْ قَصَدَهَا، وَقَرَّبَ الْهَادِي مِنْ دَرَجَاتِهَا، وَالتَّحَمَّ الْقِتَالُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَنِي الْحَارِثِ عَلَى بَابِ الدَّرْبِ، وَاقْتَتَلَ النَّاسُ قِتَالًا شَدِيدًا.

ثُمَّ إِنَّ الْهَادِيَّ إِلَى الْحَقِّ مَالَ إِلَى جَانِبٍ مِنَ الْحِصْنِ مِمَّا يَلِي ^(١) مَنْزِلَهُ الَّذِي يَنْزِلُهُ ^(٢) بِالْهَجَرِ، فَأَمَرَ بِالْجِدَارِ، فَضْرِبَ بِالْفُؤُوسِ ^(٣) وَالْمَعَاوِلِ حَتَّى خُرِقَ الْجِدَارُ، وَانْفَتَحَ فِيهِ بَابٌ مِقْدَارُ مَا يَدْخُلُ فِيهِ الْفَارِسُ، وَوَقَعَ الْقِتَالُ عَلَى النَّقَبِ، وَشَحَّ الرَّمِيُّ وَالْقِتَالُ، وَجَعَلَتْ بَنُو الْحَارِثِ تَرْمِي بِالنَّبْلِ وَالْحِجَارَةِ مِنْ فَوْقِ الْحِصْنِ.

ثُمَّ إِنَّ الْهَادِيَّ دَخَلَ الْقَرْيَةَ وَصَاحَ بِالنَّاسِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوا مَعَهُ، وَأَمَرَ النُّدْبَةَ الَّتِي كَانَتْ تَنْدَبُ، وَالنُّخْبَةَ مِنَ الْخَيْلِ وَالرِّجَالِ بِالْدُّخُولِ مَعَهُ، وَكَانَ قَدْ انْتَخَبَ ثَلَاثَ مِائَةٍ رَاغِبًا وَثَلَاثِينَ فَارِسًا لَذَلِكَ الْمَعْنَى، وَكَانُوا مَعَهُ عِنْدَ هُدْمِهِ لِلْجِدَارِ وَدُخُولِهِ الْحِصْنَ.

فَلَمَّا أَنْ دَخَلَ اقْتَرَقَ عَنْهُ النَّاسُ وَلَمْ يَدْخُلْ مَعَهُ إِلَّا سِتَّةُ رِجَالٍ وَسَبْعَةُ فُرْسَانٍ، وَمَضَى حَتَّى وَقَفَ عَلَى بَابِ الدَّارِ الَّتِي كَانَتْ يَسْكُنُهَا بِالْقَرْيَةِ، وَلَمْ يَحْصُلْ مَعَهُ مِنْ نُحْبَتِهِ إِلَّا مَنْ ذَكَرْنَا، وَوَاجَهَتْهُ عَسْكَرُ بَنِي الْحَارِثِ فِي وَسْطِ الشَّارِعِ، وَكَانُوا مُجْتَمِعِينَ عِنْدَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ حِذَاهُمْ ^(٤) وَأَقْفًا عَلَى بَابِ الدَّارِ، وَبَيْنَهُمْ نِصْفُ غُلُوقٍ ^(٥) أَوْ أَقْرَبَ، وَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ عَلَيْهِ حِينَ رَأَوْا قِلَّةَ مَنْ مَعَهُ، فَرَمَوْهُمْ بِالنَّبْلِ، فَأَمَرَ السِّتَّةَ عِنْدَ ذَلِكَ أَنْ تَصِفَّ حِجَافَهَا ^(٦)، فَصَفُّوا تَحْتَ الْقَوْمِ.

(١) في (ص ز) مما كان يلي.

(٢) في الأصل ومعظم النسخ: الذي كان يلي منزله. ولعل ما أُثبت من (ص) هو الأوفق.

(٣) كتبت في الأصل وبقية النسخ: الفوس. بحذف الهمزة.

(٤) كذا بإسقاط الهمزة.

(٥) الغلوة: قدر مية بسهم. وقد تستعمل في سباق الخيل. ابن منظور: لسان العرب، ج ١٥، ص ١٣٢.

(٦) الحَجَفَة: جمع حجف: الترس من جلود بلا خشب، ولا رباط من عصب. مصطفى: المعجم الوسيط، ج ١، ص ١٥٨.

ثُمَّ شَاوَرَ فُرْسَانَهُ، فَقَالُوا لَهُ ^(١): نَرَى - أَعَزَّكَ اللَّهُ - أَنْ تَنْصَرِفَ وَتُسْرِعَ الْخُرُوجَ بِنَا مِنْ قَرَيْتِهِمْ، فَلَمْ يَدْخُلْ مَعَكَ مَنْ أَمَلْتَ، وَلَمْ يَدْخُلْ إِلَّا مَنْ تَرَى مِنْ خَاصَّتِكَ، وَالْقَوْمُ فِي وَجْهِكَ عَسَاكِرُ عَظِيمَةٍ خَيْلاً وَرَجَلاً، فَاللَّهُ اللَّهُ فِي نَفْسِكَ وَفِينَا، فَقَالَ: "وَيُحْكُمُ، إِنْ خَرَجْنَا مِنْهَا لَمْ نَدْخُلْهَا أَبَدًا، وَطَمَعَ الْقَوْمُ فِينَا؛ فَاللَّهُ اللَّهُ، الصَّبْرُ الصَّبْرُ"، ثُمَّ دَعَا بِهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ: "يَا مَعَاشِرَ الْإِخْوَانِ، أَنْتُمْ أَهْلُ الصَّبْرِ وَالِدِينَ، وَالْوَفَاءِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَقَدْ أَبَحْتُ ^(٢) مِنْكُمْ أَنْ تَكْفُونِي ظَهْرِي، وَتَحْمُوهُ لِي، وَتَتَرَكُونِي وَمَا قُدَّامِي مِنَ الْكِلَابِ كِلَابِ النَّاسِ، فَأَنَا بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ أَكْفِيكُمْ إِيَّاهُمْ"، فَضَمِنُوا لَهُ أَنْ يَكُونُوا مِنْ وَرَائِهِ، وَيَحْمُوا لَهُ ظَهْرَهُ.

ثُمَّ صَفَّهُمْ مِنْ وَرَائِهِ، وَحَمَلَ فِي الْقَوْمِ، وَكَانَ فِي أَوَّلِهِمْ رَجُلٌ يُكْثِرُ الشَّتْمَ لَهُ، فَطَعَنَهُ طَعْنَةً فِي صَدْرِهِ، أَمَرَ قِ الْقَنَاةَ مِنْ ظَهْرِهِ، وَسَقَطَ مَيِّتًا، وَمَضَى يَشُقُّ الْقَوْمَ، وَانْهَزَمُوا فِي جَانِبِ الشَّارِعِ / ٥٧-أ/ حَتَّى دَخَلُوا زُقَاقًا فِي جَانِبِ الشَّارِعِ مِنْ جَانِبِ الْمَسْجِدِ، وَدَخَلَ مَعَهُمُ الزُّقَاقُ، وَحَقَّقَ عَلَيْهِمْ، حَتَّى صَارَ هُوَ وَهُمْ فِي وَسْطِ الزُّقَاقِ مُزْدَحِّجِينَ، وَهُوَ فِي وَسْطِ الْقَوْمِ وَاقِفٌ، وَهُمْ وَقُوفٌ مَا يَقْدِرُونَ عَلَى ضَرْبِهِ لَشِدَّةِ الزَّحَامِ، وَحَمَلَ أَصْحَابُهُ مِنْ وَرَائِهِ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَدْ صَارَ بَيْنَ الْقَوْمِ فِي الزُّقَاقِ ^(٣) أَيْسُوا مِنْهُ، وَمَضُوا إِلَى آخِرِ الشَّارِعِ.

[الهادي إلى الحقَّ وحيدًا يُقَاتِلُ بَنِي الْحَارِثِ فِي الْهَجَرِ وَيَهْزِمُهُمْ]

ثُمَّ إِنَّ الْهَادِيَّ لَمَّا عَلِمَ أَنَّ أَصْحَابَهُ قَدْ مَضُوا، وَخَلَّوْهُ، انْتَهَرَ فَرَسَهُ، فَفَعَذَ بِهِ قُدْمًا إِلَى آخِرِ الزُّقَاقِ، ثُمَّ عَطَفَ هُوَ نَحْوَ الْقَوْمِ، وَلَيْسَ مَعَهُ عِلْمٌ أَيْنَ صَارَ أَصْحَابُهُ،

(١) له: أضيفت من (ص ز ط ب).

(٢) في (ص): أحبيت. وفي (ز ط): وقد أحب.

(٣) في الزقاق: مضافة من (ص).

والحارثيون بينه وبين الطريق وهو في آخر الزقاق، فكّر الهادي إلى الحق - عليه السلام - عليهم، وكان جدار المسجد الذي بين المسجد وبين الزقاق قصيراً طوله مقدار ثلاثة أذرع، فتعلّق القوم برأس الجدار ووثبوا في المسجد، وكان فيهم أبو الوجيه، وكان من رجالهم وصناديدهم، وهو رئيس من رؤسائهم يُعرف بالشجاعة والرجلة، فتعلّق أيضاً بالجدار ليثبه ^(١) كما فعل أصحابه، فحمل الهادي عليهم، فطعن أبا الوجيه قبل أن يستوي على الجدار، فطرحه إلى الزقاق، وخرج يجري في الزقاق مضعداً، ولحقه الهادي في وسط الزقاق، فطعنه، فطرحه، ثم قام أبو الوجيه، فلزّه الهادي إلى الجدار بالرمح، وكان قد انكسر الرمح، ثم سل سيفه فضربه به، وانهرم الناس عند ذلك.

ورجع أصحاب الهادي - عليه السلام - الفرسان السبعة والرجالة يطلبونه، فوجدوه يضرب أبا الوجيه، فأمرهم أن يحتزوا رأسه فحزوه، وأمر ^(٢) به إلى أخيه عبدالله بن الحسين خارج القرية، وكان في الخيل واقفاً في وجوه خيل بني الحارث، فأمره يرسل به فارساً، فيلقيه إلى بني الحارث، ففعل، فلما عرفوا الرأس انهرموا وولّوا مدبرين، ووقع الضرب في القرية.

وعلم بدخول الهادي أهل الدروب، وأهل المقابلات ^(٣)، فكبروا، وحملوا وحمل الهادي وأصحابه في القرية، وانهرم الكل من بني الحارث مدبرين، ووقع السيف فيهم، وقتلوا قتلاً شديداً، وأسرُوا، وخويت القرية، ومِلكت.

ثم أمر الهادي - عليه السلام - بطلب ابن حميد وأصحابه، فطلبوا حتى استخرج ابن

(١) أي ليشب عليه.

(٢) في (ص ز ط ب): وأرسل.

(٣) المقابلات: لعلها الدور والمحلات متقابلة مع بعضها، أو هي في سفوح الجبال والتلال؛ لأنه يقال: قُبِلَ الجبل: أي سَفحه. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ١٠٤٥.

حميد من تَبْنٍ مَدْفُونٍ فِيهِ قَدْ دُفِنَ. وَتُلْقَطُ بَنُو الْحَارِثِ مِنْ كُلِّ الْقَرْيَةِ حَتَّى أُخْضِرَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ قَرِيبُ خَمْسِينَ رَجُلًا أَوْ أَقَلُّ أَوْ أَكْثَرُ مِنْ وُجُوهِهِمْ وَخِيَارِهِمْ.

٥٧ بـ / وَانْقَضَ عَسْكَرُ مِينَاسَ وَمَنْ كَانَ بِسُوجَانَ، وَانْهَزَمَتْ بَنُو الْحَارِثِ حَيْثُ مَا كَانَتْ، وَهَرَبُوا فِي الْجِبَالِ وَالْأَوْدِيَةِ.

[الْقَبْضُ عَلَى زُعَمَاءِ بَنِي الْحَارِثِ فِي الْهَجْرِ وَالْعَفْوُ عَنْهُمْ وَتَنْكِرُهُمْ لَذَلِكَ]

فَلَمَّا أَتَى الْهَادِي بَابَنِ حَمِيدٍ وَجَمَاعَةَ أَصْحَابِهِ، قَالَ لَهُمْ: "مَا تَقُولُونَ؟ وَمَا ظَنُّكُمْ إِذْ فَعَلْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ مِنْ غَيْرِ سِوَايَةِ رَأَيْتُمُوهَا مِنِّي وَلَا قَبِيحٍ، بَلْ كَانَ مِنَّا إِلَيْكُمْ الْإِحْسَانُ وَالْجَمِيلُ، وَكَانَ مِنْكُمْ مَا كَانَ اجْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ وَعُدْوَانًا، وَغَشْمًا لِلْحَقِّ وَأَهْلِهِ، وَظُلْمًا"، فَقَالُوا: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ مَا فَعَلْتَ فِينَا فَقَدْ اسْتَأْهَلَنَا.

فَأُطْرِقَ الْهَادِي مَلِيًّا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: "فَإِنِّي أَقُولُ كَمَا قَالَ عَمِّي يُوسُفُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(١)، الْحَقُّوْا بِأَهْلِكُمْ وَمَنَازِلِكُمْ؛ فَقَدْ عَفَوْتُ عَنْكُمْ، وَصَفَحْتُ عَنْكُمْ"، فَدَعَا لَهُ^(٢) وَشَكَرُوا لَهُ، وَتَخَلَّفَ ابْنُ حَمِيدٍ عِنْدَهُ سَاعَةً حَتَّى حَضَرَ طَعَامًا، وَأَصَابَ مِنْهُ، وَأَمْسَى عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ الْهَادِي: "يَا أَبَا حَمِيدٍ^(٣) انْصَرِفْ إِلَى صَبِيَّانِكَ، لَا يَغْتَمُّوا بِكَ"، فَانْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ، وَتَحْتَهُ فَرَسُ أَخِي الْهَادِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ وَتَجَفَّافُهُ، وَعَلَيْهِ دِرْعُهُ، لَمْ يَقُلِ الْهَادِي لَهُ فِيهِ شَيْئًا، حَتَّى رَدَّهُ مِنْ بَعْضِ الطَّرِيقِ.

قَالَ: وَلَمَّا قَرَّبَتْ بَنُو الْحَارِثِ الَّذِينَ مِنْ الْهَادِي عَلَيْهِمْ مِنْ مَنَازِلِهِمْ حَلَفَ كَثِيرٌ

(١) يوسف: ٩٢.

(٢) في (ص ز): فرعوه.

(٣) في (ص ط ب): يا ابن حميد.

منهم: لا دَخَلْنَا لَنَا مَنْزِلًا، وَلَا رَأَيْنَا أَهْلًا، حَتَّى نَصْرُخَ عَلَى الْهَادِي، وَنَجْمَعَ لَهُ وَنُقَاتِلَهُ، فَمَضَوْا مِنْ قُورِهِمْ ذَلِكَ حَتَّى لَحِقُوا بِبَوَادِيهِمْ وَأَقَاصِيهِمْ، وَصَرَخُوا بِمَدْحِ كُلِّهَا، وَأَجَابَهُمْ مِنْهَا، وَأَقَامُوا يَسْتَعِيرُونَ مِنْ قُودِهِمْ وَمُلُوكِهِمْ^(١) الْخَيْلَ وَالذُّرُوعَ وَالسَّلَاحَ.

مَصِيرُ ابْنِ بَسْطَامٍ إِلَى بَلَدٍ شَاكِرٍ مُخَالَفًا

وَتَقَدَّمَ ابْنُ بَسْطَامٍ حَتَّى صَارَ^(٢) إِلَى قَوْمٍ يُقَالُ لَهُمْ شَاكِرٌ مِنْ هَمْدَانَ، وَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ مُحَالَفَةٌ، فَتَزَلَّ بِهِمْ وَصَرَخَ بِهِمْ، فَأَجَابُوهُ، وَصَمِنُوا لَهُ الْخُرُوجَ مَعَهُ، ثُمَّ نَقَذَ حَتَّى لَحِقَ أَصْحَابَهُ وَهُمْ فِي مَدْحِجٍ^(٣) وَصَرَخَ وَجَهْدًا، ثُمَّ خَرَجَ وَخَرَجَ الْقَوْمُ فِي عَسَاكِرَ كَثِيفَةٍ، حَتَّى فَارَقَهُمْ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ، وَعَدَلَ إِلَى شَاكِرٍ فَاسْتَنْهَضَهُمْ، فَنَهَضَ مَعَهُ مِنْهُمْ خَلْقٌ عَظِيمٌ، وَوَاعَدَ أَصْحَابَهُ لِيَوْمٍ مَعْرُوفٍ.

[تَحْذِيرُ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ لِبَنِي الْحَارِثِ مِنْ مَعْبَةِ الْحَرْبِ ضَدَّهُ]

وَبَلَغَ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - الْخَبْرَ، وَدَعَا مَنْ كَانَ بَنَجِرَانٍ مِنْ مُسْتَأْمَنَةِ بَنِي الْحَارِثِ وَأَهْلِ الْقَرَارِ مِنْهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ: "قَدْ بَلَغَنِي كَذَا وَكَذَا وَأَنْتُمْ قَدْ سَارُوا إِلَيْنَا مُقْبِلِينَ، فَالْقُوهُمْ أَوْ بَعْضُكُمْ، وَانصَحُوهُمْ، وَارْدَعُوهُمْ عَنْ هَذَا الْحُمُقِ، وَذَكِّرُوهُمْ عَفْوَنَا وَصَنَائِعَنَا أَوَّلًا وَآخِرًا، وَأَعِذُّوهُمْ وَأَنْذِرُوا إِلَيْهِمْ، وَادْعُوهُمْ / ٥٨-أ / إِلَى اللَّهِ؛ فَذَلِكَ أَصْلَحُ لَهُمْ وَأَنْفَعُ وَأَسْلَمُ".

فَفَرَحَتْ بَنُو الْحَارِثِ بِقَوْلِهِ، وَتَوَهَّيْتُ أَنْ ذَلِكَ هَيْئَةٌ مِنْهُمْ لَهُمْ وَلِأَصْحَابِهِمْ،

(١) وملوكهم: سقطت من (الأصل ذ).

(٢) حتى صار: أضيفت من (ص ز ط ب).

(٣) في (ص): مدحج.

فَقَامُوا مِنْ عِنْدِهِ يَتَغَامَرُونَ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مِنْهُمْ أَرْسَلَ فِي آثَارِهِمْ فَرَدَّهُمْ، وَقَالَ لَهُمْ: "لَا تَتَوَهَّمُوا" ^(١) أَنْ كَلَامِي لَكُمْ كَانَ مِنْ هَيْبَةٍ لَمْ يَأْتِ مِنْكُمْ، بَلْ ذَلِكَ - وَاللَّهُ مُحَمَّدٌ - حُجَّةٌ عَلَيْكُمْ، وَإِعْذَارٌ وَإِنْذَارٌ، وَلَكِنْ أَجْمَعُوا عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ وَقَاتِلُونَا لِيَنْصُرَنَا ^(٢) اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ نَصْرًا عَزِيزًا، وَاللَّهُ مُحَمَّدٌ لَكَأَنِّي بِهِمْ مُعَلِّقِينَ بِأَرْجُلِهِمْ فِي هَذَا الشَّجَرِ الَّذِي تَرَوْنَهُ حَوَالِيَ الْقَرْيَةِ، فِي كُلِّ شَجَرَةٍ جَمَاعَةٌ، حَتَّى تُنْتِنَ الْقَرْيَةُ مِنْ رَائِحَةِ جَيْفِهِمْ ^(٣)، ثُمَّ تَأْتُونِي ^(٤) فَتَسْأَلُونِي أَنْ أَهَبَ لَكُمْ جُثَّتَهُمْ ^(٥) فَتَدْفِنُوهَا، وَلَا أَهْبَهَا لَكُمْ إِلَّا بَعْدَ تَعَبٍ وَكَلَامٍ كَثِيرٍ وَطَلَبٍ مُلِحٍّ، فَاذْهَبُوا حَيْثُ شِئْتُمْ، وَافْعَلُوا أَنْتُمْ وَهُمْ مَا أَحْبَبْتُمْ، ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ ^(٦)، ثُمَّ أَتْبَعَهُ قَوْلَهُ: ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأُهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ^(٧).

اجتماع بني الحارث على الحرب بعد أن من عليهم الهادي إلى الحق

ثُمَّ إِنَّ بَنِي الْحَارِثِ اجْتَمَعُوا وَسَارُوا حَتَّى بَاسُوا بِجَانِبِ نَجْرَانَ، فَبَاتَ ابْنُ بَسْطَامٍ فِي بَنِي رِبِيعَةَ ^(٨) وَشَاكِرٍ بِأَعْلَى نَجْرَانَ، وَبَاتَتْ عَسَاكِرُ بَنِي الْحَارِثِ بِأَسْفَلِ

(١) في (الأصل ز ط ب): لا تتوهمون. وما أثبت من (ص) أصح؛ حيث لا ناهية هنا.

(٢) كذا في (الأصل ذ). وفي بقية النسخ: لينصرتا.

(٣) في (الأصل ز ذ): جيفتهم. وما أثبت من بقية النسخ.

(٤) في (الأصل ذ): تسألوني. ولعل ما أثبت من بقية النسخ أنسب.

(٥) في (ص ز ط ب): جيفهم.

(٦) غافر: ٤٤.

(٧) ص: ٨٨.

(٨) ربيعة: بطن من بني الحارث بن كعب، كانوا يسكنون میناس وصاغرا في نجران، وكانت لديهم حروب وثورات مع يام، وكانوا تبعاً لزعيمهم ابن بسطام، شاركوا بني الحارث في مقتل محمد بن عبيد الله العلوي، وأرادوا الإيقاع بولده المؤلف العلوي: السيرة، ل ٩٧/ب، ١١٧/ب، ١٢١/أ - ب، ١٢٩/أ؛ والقلقشندي: نهاية الأرب، ص ٢٥٩.

نجران، فلَمَّا أَنْ طَلَعَ الْفَجْرُ لَهُمْ سَارُوا إِلَى الْقَرْيَةِ، وَفِيهَا الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَمَعَهُ أَهْلُ نَجْرَانَ مِنْ يَامٍ، وَالْأَحْلَافِ، وَوَادِعَةَ، وَأَهْلُ الْحَضَنِ، وَمَعَهُ قَرِيبٌ مِنْ مِئَتَيْ رَجُلٍ مِنَ الْعَهْرَاءِ، وَبَطْنٌ مِنْ هَمْدَانَ مِمَّنْ يَسْكُنُ تَهَامَةَ^(١)، وَمَعَهُ تِسْعَةُ عَشَرَ مِنَ الطَّبَرِيِّينَ بِيْرَاسٍ وَرِمَاحٍ، وَأَنْفَارٌ مِنْ خَدَمِهِ، وَمِنْ خَوْلَانٍ. وَكَانَتْ خَوْلَانٌ قَدْ اسْتَأْذَنْتْ وَرَجَعَتْ، فَافْتَرَقَتِ الْعَسَاكِرُ عِنْدَمَا كَانَ مِنْ مَنْ الْهَادِي عَلَى بَنِي الْحَارِثِ.

فَلَمَّا صَارَتْ بَنُو الْحَارِثِ إِلَى جَانِبِ الْقَرْيَةِ لَقِيَهُمْ فِي غَمَشٍ^(٢) الصُّبْحُ أَصْحَابُهُمُ الْمَدَانِيُّونَ.

دخول بني الحارث القرية على الهادي واجتماعهم عليه

فَكَسَرُوا لَهُمْ جَانِبَ الْحَضَنِ، فَدَخَلُوا حَتَّى صَارُوا إِلَى بَابِ دَارِ الْهَادِي - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَهُوَ يُصَلِّي، فَلَمْ يَبْرَحْ حَتَّى أَتَتْ صَلَاتُهُ، ثُمَّ لَبَسَ بَعْضُ سِلَاحِهِ، وَعَجَلَ عَنْ بَعْضِهَا.

ثُمَّ خَرَجَ فَوَجَدَ أَهْلَ نَجْرَانَ مِنْ هَمْدَانَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ قَدْ انْحَاذُوا إِلَى بَابِ الدَّرْبِ، فَصَاحَ بِهِمْ وَلِحَقَّهُمْ، وَجَهَدَ بِهِمْ أَنْ يَرْجِعُوا، فَلَمْ يَرْجِعْ مَعَهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَقَالُوا: قَدْ أَدْخَلَ عَلَيْنَا وَعَلَيْكَ مِنَ الْقَرْيَةِ، فَاللَّهُ اللَّهُ فِي نَفْسِكَ، انْحَزُّ بِنَا إِلَى جَانِبِ الْقَرْيَةِ وَإِلَى الْفُضَاءِ، / ٥٨ - ب / حَتَّى تُقَاتِلَ مَنْ لِحَقَّنَا مِنْهُمْ، فَقَالَ: "مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ

(١) ذكر الهمداني (الإكليل، ج ١٠، ص ٩٧) بطن الخبثاء، أولاد يخبث بن شاحذ بن حذيق بن عبدالله، من عريب بن جشم بن حاشد، أنهم يساكنون عكاً بتهامة.

(٢) قال الفيروزآبادي: "غمش: أظلم بصره من جوع أو عطش". القاموس المحيط، ص ٦٠٠. وفي (زب): عمس. قال الفيروزآبادي أيضاً: "وعمس يومنا: عمساً وعمساً: اشتدّ واسودّ وأظلم".

القاموس المحيط، ص ٥٥٩. والمراد في أول الصبح حيث لا يزال الظلام يُعْطِي الأنحاء.

أَبْرَحَ الْقَرْيَةَ، وَلَا أُخْلِيَهَا لَهُمْ".

فَلَمَّا آيَسَ مِنْهُمْ رَجَعَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ فِي وُجُوهِ الْقَوْمِ وَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا، وَزَحَفَ إِلَيْهِمْ، وَدَاخَلَهُمُ الطَّبَرِيُّونَ فِي الشَّارِعِ حَتَّى خَالَطُوهُمْ، وَقُتِلَ مِنَ الْقَوْمِ فِي جَانِبِ الْمَسْجِدِ، وَحُمِلَ عَلَيْهِمُ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ وَأَصْحَابُهُ.

خَبَرُ قَتْلَةِ بَنِي الْحَارِثِ فِي الْقَرْيَةِ وَهَزِيمَتِهِمْ [وَقَصِيدَةُ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ فِي ذَلِكَ]

وَهَزَمَهُمُ اللَّهُ، فَلَمْ يَزَلِ الصَّرْبُ فِيهِمْ حَتَّى خَرَجُوا مِنَ الْقَرْيَةِ مِنْ حَيْثُ دَخَلُوا، وَاتَّبَعَهُمُ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى أَخْرَجُوهُمْ كُلَّهُمْ بِأَشْرِّ حَالٍ.

وَكَانَتْ بَنُو الْحَارِثِ قَدْ انْتَقَتْ مِنْ فُرْسَانِهَا قَرِيبًا مِنْ أَرْبَعِينَ فَارِسًا مُدَجَّجَةً فِي السِّلَاحِ، وَاسْتَحْلَفُوهُمْ أَنْ لَا يُقَاتِلُوا وَأَنْ يَقِفُوا مَعًا فِي جَانِبٍ، حَتَّى إِذَا رَأَوْا الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ وَعَايَنُوهُ حَمَلُوا عَلَيْهِ حَمْلَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَفَعَلُوا، وَبَلَغَ ذَلِكَ الْخَبَرَ إِلَى الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ، فَلَمْ يَعْأَبْهُ، وَلَمْ يَدْخُلْ لَهُ قَلْبًا.

فَلَمَّا أَنْ خَرَجَ آخِرُ بَنِي الْحَارِثِ مِنَ الْقَرْيَةِ مُنْهَزِمِينَ، مَا كَانَ أَوَّلُ فَارِسٍ خَرَجَ عَلَيْهِمْ فِي آثَارِهِمْ إِلَّا الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ، وَخَرَجَ النَّاسُ فِي الْبَرِّيَّةِ إِذَا هُوَ بِالْخَيْلِ الَّتِي أُعِدَّتْ لَهُ، وَأُوقِفَتْ مُنْحَازَةً مُجْتَمِعَةً كَمَا بَلَغَهُ، فَلَمَّا أَنْ رَأَوْهُمْ قَصَدَهُمْ بِنَفْسِهِ وَحَمَلَ عَلَيْهِمْ، وَانْتَسَبَ لَهُمْ، فَمَا وَقَفَ لَهُ مِنْهُمْ فَارِسٌ وَاحِدٌ، وَأَلْحَقَ مِنْهُمْ فَارِسًا فَطَعَنَهُ، وَأَلْقَاهُ وَفَرَسَهُ فِي أَرَاكَةِ، وَانْهَرَمَ الْقَوْمُ عِبَادِيدَ^(١) فِي كُلِّ مَوْضِعٍ.

وَرَأَتْ هَمْدَانُ الْقَوْمَ مُنْهَزِمِينَ، فَرَجَعَتْ وَاتَّبَعَتْهُمْ، وَتَلَا حَقَّ النَّاسِ، وَوُضِعَ

(١) الْعِبَادِيدُ: الْفِرْقُ مِنَ النَّاسِ وَالْخَيْلِ الذَّاهِبُونَ فِي كُلِّ وَجْهِ. الْفِيرُوزَابَادِي: الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ، ص ٢٩٦.

السَّيْفُ، فَقُتِلَ مِنَ الْقَوْمِ خَلْقٌ عَظِيمٌ، وَقَتَلَ الْهَادِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بِيَدِهِ جَمَاعَةً كَثِيرَةً، لَمْ يُثَبِّتْ عَدَدَهَا هُوَ وَلَا غَيْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ كَسَرَ ثَلَاثَةَ رِمَاحٍ فِي الْقَوْمِ، ثُمَّ ضَرَبَ بِسَيْفِهِ حَتَّى امْتَلَأَ قَائِمُ سَيْفِهِ عِلْقًا^(١)، وَلَصِقَتْ أُنَامِلُهُ عَلَى قَائِمِ سَيْفِهِ بِالْدَمِ، وَفِي ذَلِكَ مَا^(٢) تَقُولُ قَصِيدَتُهُ الَّتِي يَقُولُ [فِيهَا]:

طَرَقْتُ لَعْنَرُكَ زَاهِرٌ مَوْلَاهَا	وَالْحَرْبُ مُسْعِرَةٌ يُشَبُّ لَظَاهَا
طَرَقْتُ تَبَخَّرُ فِي الْحَلِيِّ وَفِي الْكُسَا	إِنَّ الْخَرِيدَةَ ^(٣) هُمَهَا وَهَوَاهَا
تَكْسُو مَنَاكِبَ زَانِمَا أَعْجَازَهَا	عِنْدَ التَّعَانِي حُلَّةٌ وَرِدَاهَا
أَقْنِي حَيَاكَ ^(٤) فَحُلَّتِي يَوْمَ الْوَعَى	دِرْعُ أَعَانَتِي جِيَهَا وَعُرَاهَا
نَحْنُ الْفَوَاطِمُ لِهَوْنَا طَعْنُ الْقَنَا	وَمُدَامُنَا حَرْبٌ تُدِيرُ ^(٥) رَحَاهَا
هَلَّا سَأَلْتُ فَتُخْبِرِي إِذْ ^(٦) لَمْ تَرِي	إِذْ سَارَ يَطْلُبُ مُهَجَّتِي أَعْدَاهَا
٥٩-١ / لَاحَ الصَّبَاحِ وَأَبْرُقُوا بِكَيْيَةِ	شَهْبَاءَ تَذْفُقُ خَيْلُهَا وَقَنَاهَا
وَالْجَيْشُ فِي أَيْدِيهِ كُلُّ عَقِيقَةٍ ^(٧)	الْقَيْنُ أَحْكَمَ سَنَئِهَا ^(٨) وَجَلَاهَا
وَالْمَشْرِفَةُ فِي أَكْفٍ حَمَاتِنَا	يَحْكِي الْبَوَارِقَ لَمَعُهَا وَسَنَاهَا

(١) العَلَقُ: الغَلِظُ أو الجَامِدُ مِنَ الدَّمِ، وَالْقِطْعَةُ مِنْهُ تَسْمَى عِلْقَةً. الْفَيْرُوزْآبَادِي: الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ، ص ٩١٠.

(٢) مَا: لَيْسَتْ فِي (ز ط ب ذ).

(٣) الْخَرِيدَةُ: اللَّوْلُؤَةُ لَمْ تُثَقِّبْ. وَالْخُرُودُ: الْمَرْأَةُ الْحَيَّةُ، وَالْبَكْرُ لَمْ تُكْسَ. الْفَيْرُوزْآبَادِي: الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ، ص ٢٧٩.

(٤) فِي هَامِش (ط): أَيِ الزَّمِيِّ حَيَاكَ.

(٥) فِي (ص ز ب): تَدُورُ. وَفِي (ط): يَدُورُ.

(٦) فِي (الْأَصْلُ ذ): إِنْ. وَلَعَلَّ الْأَنْسَبَ مَا أُثْبِتَ مِنْ بَقِيَةِ النُّسخِ.

(٧) الْعَقِيقَةُ مِنَ الْبَرَقِ: مَا يَبْقَى فِي السَّحَابِ مِنْ شِعَاعِهِ، وَبِهِ تُسَبَّهُ السَّيُوفُ. الْفَيْرُوزْآبَادِي: الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ، ص ٩١٠.

(٨) السَّنُّ: الْحَدُّ، وَسَنَئُهَا: حَدُّهَا. الرَّازِي: مَخْتَارُ الصَّحَاحِ، ص ١٥٥.

والخَيْلَ تَنْحِطُ^(١) بِالْفَوَارِسِ وَالْقَنَّا
جَاشَ الْخَمِيسُ وَحَنَ فِي رَجْرَاجِهِ^(٢)
نَادُوا بِبُذْبُذَةِ خَيْلِهِمْ فَتَقَا حَمَتَ
ظُنُّوا غَنَائِمَنَا لَقِيَ مَا دُونَهَا
جَاشُوا بِأَجْمَعِهِمْ لَفْضَةً يِيضَةً
حَمِيَ الْوُطَيْسُ وَفِي قَنَاتِي لَهْذَمٌ^(٤)
يَا حُسْنَ كَرَّةٍ فَارِسٍ مُتَدَجِّجٍ
لَوْ تَشْهَدِينَ سَمِعْتَ فَوْقَ ثِيَابِهِ
أَوْ مَا يَسُرُّكَ إِذْ تَرَيْنَ عِدَاتَنَا
وَالْبَيْضُ تَقْلِقُ هَامَهُمْ^(٨) وَمُحَامَتَهُمْ

فَوْقَ الْفَوَارِسِ فِي الْوَعْنِ أَجْرَاهَا
صُفِرُ الثَّرَاسِ رِمَاتُهَا تَرَاهَا
عِنْدَ اقْتِحَامَتِهَا عَلَى مَا سَاها^(٣)
عِنْدَ اضْطِكَاكِ الْقَدَحِ مَنْ أَوْزَاهَا
الْيَثُ أَغْرَضَ دُونَهَا وَحَمَاهَا
مِثْلُ الشَّرَازَةِ رَزَّ فِي أَعْلَاهَا
فِي الْحَرْبِ يَضْدُقُ وَقَعُهَا وَوَعَاهَا^(٥)
لِلدَّرْعِ خَشْخَشَةٌ^(٦) تَحْتُ صَدَاهَا
وَالسُّمُرُ تَنْقُشُ فُودَهَا^(٧) وَكُلَاهَا
قَتَلَى سَنَابِكَ خَيْلَنَا تَدْرَاهَا^(٩)

(١) تَنْحِطُ: تَزْفَرُ. الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص ٦٨٩.

(٢) الخميس: الجيش. والرجراج: يقال كتيبة رجراجة: تَمْخُضُ فِي سِيرِهَا، وَلَا تَكَادُ تَسِيرُ لِكَثْرَتِهَا.

ابن منظور: لسان العرب، ج ٢، ص ٢٨٢.

(٣) أي على ما ساءها. بالتخلص من الهمز.

(٤) اللهزم من الأيسنة: القاطع. الرازي: مختار الصحاح، ص ٢٨٦.

(٥) في (ط): ووغاها.

(٦) كذا في (ص ب). والخشخشة: حركة لها صوت كصوت السلاح، وقد قال الراجز العربي:

للدرع فوق منكبيه خشخشة. ابن منظور: لسان العرب، ج ٦، ص ٢٩٧. وفي (الأصل ز ط ذ):

حشحشة. والحشحشة: الحركة ودخول بعض القوم في بعض. ابن دريد، محمد بن الحسن، أبو

بكر الأزدي (ت ٣٢١هـ): جهمرة اللغة، ترقيم آلي، موقع الوراق، المكتبة الشاملة، الإصدار

الثاني، ج ١، ص ٦٨. ولعل اللفظتين متقاربتان؛ ففي لسان العرب لابن منظور، ج ٦، ص ٢٨٦:

"وسمعت له حشحشة وخشخشة، أي حركة".

(٧) فودا الرأس: جانباه. الرازي: مختار الصحاح. ص ٢٤٤.

(٨) في (الأصل ذ): هامها. والأنسب ما أثبت من بقية النسخ.

(٩) تدرأها: تدرأها. بالتخلص من الهمز.

عَرَيْتُ أَتَامِلَ رَاحَتِي بِصَفِيحَتِي اللَّهُ دُرُّ خُبْنَيْنِ ^(١) أَغْرَاهَا
مَا كَانَ إِلَّا نَطْحَةً فَتَرَكَ بَت أُولَى كَتَائِبِهِمْ ^(٢) عَلَى أَخْرَاهَا
وَانْقَضَ جَمْعُ حَمِيْسِهِمْ عَنْ وَقْعَةٍ فِيهَا جَنَائِزُ تُحَجَّتْ ^(٣) أَخْشَاهَا
إِنِّي بِمَنْ اللَّهِ فِي نَضْرِي لَهُ أَرْجُو جَنَائِدًا دَائِمًا مَا وَاهَا

[قصيدة المداني في انهزام بني الحارث]

وقال أحمد بن محمد المداني ^(٤):

أَلَا هَلْ مُغْلِزٌ وَالْعُنْزُ مَمَّا يَضُرُّكَ فِي مُدَافَعَةِ الْجُهُُولِ
فَيَنْصَحُ قَوْمَنَا طُرًّا فَإِنَّا ^(٥) نَعْلُ بِضُحْنَا بَعْدَ النَّهُولِ ^(٦)
وَلَا أَنْخَطُ وَافِلًا إِنَّ الْأَمْرَ سَهْلٌ وَتَمَّ ^(٧) إِقَالَةُ لِلْمُسْتَعْيِلِ
فَأَيْنَ ذُووُ التَّجَارِبِ عَنْ مَقَالِي فَتَقَهَّمَهُ وَأَيُّنَ ذُووُ الْعُقُولِ؟

(١) الخُبْنَيْنُ: الرجل الضخم الشديد، والضخم الشديد من الأسد. ابن منظور: لسان العرب، ج ١٣، ص ١٣٧.

(٢) في (ص ز ط ب): كتابها.

(٣) كذا في الأصل. وقد ورد في لغة مهرة بن حيدان: "تَحَجَّهَ بِرَجْلِهِ: إِذَا ضَرَبَهُ". ينظر ابن دريد: جمهرة اللغة، ج ١، ص ١٩٨. وفي (ص ذ): ثججت. وهي مصحفة. ولا معنى لها. وفي بقية النسخ أهمل ضبطها، ويمكن قراءتها بـ (بُجِّجَتْ). والبج: الشق والطعن بالرمح. ينظر الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ١٧٩.

(٤) في الأصل والنسخ: الهمداني. ولكن سَرِدَ في السيرة (ل ٦١/ب - أ/٦٢) قصيدةً مشابهةً لهذه القصيدة لشاعر يُدعى أحمد بن محمد المداني، لا الهمداني، وفي كلتا القصيدتين مخاطب بني الحارث بأنهم قومه. فلعل شاعر القصيدتين واحد، وهو مداني حارثي لا همداني.

(٥) في (ز ط ب): بأنا.

(٦) النهول: الشرب الأول. والعُل: الشرب الثاني. الرازي: مختار الصحاح، ص ٢١٦. يريد الشاعر أنهم يكررون النصيحة مرة بعد أخرى.

(٧) في (ص ز ط ب): فعاد الأمر سهلاً ** وعاد... إلخ.

دَعَوْنَاهُمْ لِعَافِيَةٍ وَعِزٍّ
وَأَمْنِهِمْ وَقَطَعَ الشَّرَّ مِنْهُمْ
وِطَاعَةَ رَبِّهِمْ وَإِمَامَ عَدْلٍ
وَكُنَّا نَأْصِحُّهُمْ وَكَانُوا
فَقَدْ بَأَثَتْ مَشُورَتُنَا عَلَيْهِمْ
لَأَنَّا أَهْلُ أَخْلَامٍ وَصَفْحٍ
وَفِينَا ذُو الْمُدَى يَحْيَى وَسَيْطُ
نَصَرْنَا الْحَقَّ إِنَّ الْحَقَّ عِزٌّ
وَقُنْنَا بِالَّذِي وَجَبَتْ عَلَيْنَا
وَمَرْضَاةُ رَبِّهِمُ الْجَلِيلِ
وَتَقْيِ الْجُورِ مِنْهُمْ وَالْغُلُولِ
يَقُولُ الْحَقُّ مِنْ وَلَدِ الرَّسُولِ
لَنَا فِي غَيْرِ ذَلِكَ كُمُ السَّيْلِ
لَهُمْ^(١) وَكَذَاكَ مَغْصِيَةِ الْجَلِيلِ
وَصَبْرٍ تَحْتَ كُلِّهَا الثَّقِيلِ
مُخَوِّفِ الْكَرِّ كَاللَّيْلِ الصَّوُولِ
لِنَصْرِهِ وَذُلِّ لِلْخُدُولِ
فَرَايَضُهُ مِنَ الْفَرْدِ الْجَلِيلِ

[انهزام بني الحارث إلى جبل الأخدود وإلى أسفل نجران]

فَلَمَّا صَارَتْ مُنْهَزِمَةً بَنُو الْحَارِثِ / ٥٩ - ب / إِلَى جَبَلِ الْأَخْدُودِ^(٢)، وَتَعَلَّقَتْ
بِهِ، وَطَرَحَتْ السِّلَاحَ وَالثِّيَابَ، وَأَخَذَ^(٣) النَّاسُ لَهُمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ.
ثُمَّ إِنَّ الْهَادِيَّ إِلَى الْحَقِّ عَمَّا عَنِ الْمُدْبِرِينَ^(٤) وَالْمُنْهَازِينَ وَالْجُرْحَى، وَأَمَرَ الْعَسْكَرَ
أَنْ يَنْصَرِفَ وَلَا يَتَّبِعَهُمْ، وَرَدَّ النَّاسِ عَنْهُمْ، وَمَنْعَهُمْ مِنْ رُقْيَى الْجَبَلِ عَلَيْهِمْ، وَأَمَرَ
بِالرُّؤُوسِ، فَأَخَذَ مَا كَانَ عِنْدَ الطَّرِيقِ مِنْهَا، وَأَخَذَتْ رُؤُوسٌ كَثِيرَةٌ عَظِيمَةً، ثُمَّ أَمَرَ
بِدُرُوبِ الْقَرْيَةِ فَأُغْلِقَتْ، وَمَنْعَ النَّاسِ مِنْ إِتْبَاعِهِمْ.

(١) في (الأصل ص ذ): بهم. ولعل ما أثبت من بقية النسخ أنسب.

(٢) جبل الأخدود: يبدو من خلال التضاريس المحيطة بمدينة الأخدود أنه الجبل المطل على منطقة الأخدود من جهة الجنوب.

(٣) في (ط): وانجابت. وفي (ب): وانحاز.

(٤) في (ز): المذنبين.

فَلَمَّا أَنْ صَلَّى الظُّهْرَ عَبَّى عَسْكَرَهُ، وَخَرَجَ عَلَى تَعَابِيهِ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى رَجُلَا،
وهي بأسفل الوادي آخِرُ قُرَى نجران، فَوَجَدَ الْمُنْهَزِمَةَ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ تَحْتَ
النَّخْلِ مُطَرِّحِينَ، وَحَرَمَهُمْ وَرِكَابَهُمْ، وَكَانُوا قَدْ أَتَوْا بِالْغَرَائِرِ وَالرِّكَابِ؛ لِيَحْمِلُوا
نَهَبَ نجران وما فيها.

فَلَمَّا رَأَاهُمْ وَرَأَوْهُ وَثَبُوا إِلَى رَوَاحِلِهِمْ وَخَيْلِهِمْ، فَرَكِبُوهَا وَوَلَّوْا هَارِبِينَ،
فَانْتَخَبَ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ - عليه السلام - ثَلَاثِينَ فَارِسًا أَوْ أَرْبَعِينَ، وَأَمَرَ الْعَسْكَرَ
بِالْوُقُوفِ، وَمَضَى مُعَارِضًا لِلْقَوْمِ يَسُوقُهُمْ سَوْقًا سَوْقًا، حَتَّى أَخْرَجَهُمْ مِنْ أَسْفَلِ
نجران، وَبَلَغَ إِلَى مَاءٍ مِنْ مِيَاهِهِمْ يُقَالُ لَهُ مِذْوَدٌ ^(١)، ثُمَّ انْصَرَفَ وَلَمْ يُرِدْ لَهُمْ قِتْلًا،
فَلَقِيَهُمْ ثَقْلُهُمْ ^(٢) وَحَرَمُهُمْ وَإِبِلُهُمْ تَسُوقُهَا النِّسَاءُ، فَسَلَّمَ طَرِيقَهُمْ، وَأَمَرَ أَنْ لَا
يَعْتَرِضَ لَهَا أَحَدٌ بِسُوءٍ؛ فَلَمْ يَعْرِضْ لَهُنَّ أَحَدٌ.

وَمَضَى إِلَى حِصْنٍ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ ثَلَا ^(٣)، وَكَانَ حَوَالِيهِ مَخَازِنٌ مِنْ طَعَامِهِمْ، فَأَمَرَ
الْعَسْكَرَ بِنَهَبِهِ، وَهَدَمَ الْحِصْنَ، وَحَرَقَهُ.

خَبَرُ تَعْلِيقِ بَنِي الْحَارِثِ بِعِرَاقِيهِمْ

ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْقَرْيَةِ فِي آخِرِ النَّهَارِ، فَأَمَرَ بِالْقِتْلَى فَجُمِعَتْ، ثُمَّ أَمَرَ بِتَعْلِيقِهَا فِي
الشَّجَرِ، فَعُلِقَتْ مُنْكَسَةً فِي كُلِّ شَجَرَةٍ جَمَاعَةٌ مُؤَزَّرِينَ بِالْخِرْقِ وَالشَّمَالِ ^(٤)، وَأَقَامَ

(١) في (ز): مدود أو حدود. وفي (ص ط): ندد. وكتب في هامشها: وهو الآن معروف. غير أن الصحيح ما أثبت؛ إذ يؤكد الهمداني ذلك ويعتبر (مدود) أحد موارد بني الحارث المائية، لعله في أسفل نجران، في ضفتها الشمالية، وفي أسفل نجران. صفة جزيرة العرب، ص ٢٢٨، ٢٦٦.

(٢) الثَّقَلُ: متاعُ المسافر وحشمه، وكلُّ شيءٍ نفيسٍ مَصُونٍ. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ٩٧٢.

(٣) ثَلَا: كان يسكنه بنو قطن من بني الحارث، وسيأتي أنه تم القبض على بعض القرامطة فيه. العلوي: السيرة، ل ١٢٠/أ، ١٢٣/ب.

(٤) الشَّمَالُ جَمْعُ سَمْلَةٍ، وَهُوَ: الْكِسَاءُ وَالْمِئْزَرُ يُسَّحُّ بِهِ. ابن منظور: لسان العرب، ج ١١، ص ٣٦٨.

بالقرية ثلاثة أيام أو أربعة، ثُمَّ إِنَّ الْقَرْيَةَ أَتَيْنَتْ نَتْنًا شَدِيدًا حَتَّى لَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ عَلَى أَنْ يَأْكُلَ لَحْمًا، فَاتَتْ بَنُو الْحَارِثِ إِلَى الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ، فَقَبَّلُوا رَأْسَهُ وَرَجَلَيْهِ وَيَدَيْهِ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يَهَبَ لَهُمْ حَيْفَ إِخْوَانِهِمْ، فَيَدْفِنُوهَا ^(١) فِي الْبِيَارِ وَالْحُقُوفِ، فَأَبَى ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى أَجَابَهُمْ، وَذَكَرَهُمْ بِمَا كَانَ قَالَهُمْ، فَطُرِحَتْ الْجَيْفُ فِي بِيَارِ خَرَابٍ فِي حُقْرِ كَانَتْ خَارِجًا مِنَ الْقَرْيَةِ.

[شعر أبي القاسم محمد حول انتصار أبيه الهادي إلى الحق على بني الحارث]

وَكَتَبَ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ إِلَى أَبِي الْقَاسِمِ يُخْبِرُهُ بِخَبَرِ نَصْرِ اللَّهِ لَهُ، وَمَا أَعْطَاهُ مِنَ التَّيِيدِ وَالظَّفَرِ عَلَى بَنِي الْحَارِثِ، فَلَمَّا وَصَلَ الْكِتَابُ إِلَى أَبِي الْقَاسِمِ جَمَعَ النَّاسَ وَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ، فَسُرُّوا بِذَلِكَ، فَكَتَبَ إِلَى الْهَادِي جَوَابَ كِتَابِهِ، وَعَارَضَهُ بِهَذَا الشَّعْرِ، فَقَالَ:

٦٠ / ١ / النَّفْسُ خَلْفَ ^(٢) مُورِّقٍ أَشْجَاهَا	عَنْ ذِكْرِ ^(٣) كُلِّ خَرِيدَةٍ وَبَاهَا
إِنَّ التَّقِيَّ عَنِ الصَّبَابَةِ رَاغِبٌ	يَغْصِي الْكَوَاعِبَ ^(٤) أَنْ يُطِينَعَ هَوَاهَا
إِنِّي وَإِنْ جِهَلَ النَّوَاصِبُ دِينَا	وَاجْتَرَّ حَبْلَ عَدَاوَتِي أَشَقَّاهَا
مُتَحَمِّلٌ فِي اللَّهِ كُلِّ عَظِيمَةٍ	مُزَعَّمٌ ^(٥) بِكَيْيَةِ أَلْقَاهَا
أُضْلِي الْأَسِنَّةَ مُهَجَّجِي وَأُخَوِّضُهَا	حَتَّى أُمَازِجَ بِالظُّبَاظِمَاهَا
وَأُكْرِئُ إِنْ كَبَتِ الْفَوَارِسُ فِي الْوَعَى	كَرَّ الْجَوَامِسُ ^(٦) حِينَ طَالَ ظَمَاهَا

(١) في الأصل: فيدفنونها. وما أثبت من بقية النسخ أولى.

(٢) في (ز): حلف.

(٣) في الأصل: وكر. ولعل الأصح ما أثبت من بقية النسخ.

(٤) الكواعب، جمع كاعب، وهي: الفتاة إذا بدا ثديها للنهود. الرازي: مختار الصحاح، ص ٢٧٠.

(٥) في (ز ب د): مترغم.

(٦) جمع جاموسة. وفي (ص): الحوارس. وفي (ز ب): الحوايم. وفي (ط): الجواميم. ولعل ما أثبت

هو الأصح.

الطَّغْنُ أَحْلَى عِنْدَنَا مِنْ سَلْوَةٍ
وَالرُّؤُسُ تُخَصَّدُ بِالسُّيُوفِ أَلَدُ مِنْ
وَالسَّيْلَاتُ مِنَ الدِّمَاءِ فَوَاغِرَا
أَشْهَى وَأَعْجَبُ مِنْ صَبُوحٍ مُدَامَةٍ^(٣)
وَلَقَايَ مُنْصَلِتَا^(٤) بِكُلِّ كَتِييَةٍ
خَيْرٌ مِنَ الْقَيْنَاتِ تُسْمِعُ مُتَرْفَا
إِنِّي لَأُبْغِضُ ذِكْرَهَا لِأَكُونَ مَعَ
إِنِّي لَمُضْطَرٌّ عَلَى مَا نَابَنِي
وَمُقَرَّبٌ لِنُذِي الدِّيَانَةِ وَالتَّقَى
وَأَخْوَضُ دُونَ حَرِيمِ آلِ مُحَمَّدٍ
لَوْ عَايَنْتَ عَيْنَاكَ مِنْ آيَامِنَا
وَجَاهِجُمُ الْقَتْلَى لِأَرْجُلِ خَيْلِنَا
وَالرُّمُحُ فِي كَفِّي كَأَن سِنَانَهُ

فَوْقَ النَّمَارِقِ^(١) يُسْتَلَذُّ وَطَاهَا
بِإِضَاءِ نَاعِمَةٍ تَجْرُرُ رِدَاهَا
عَظُمْتُ فَقَسِطُ^(٢) الزَّيْتِ لَا يَمْلَاهَا
فِي الْقَلْبِ يَظْهَرُ غَيْثُهَا وَرَدَاهَا
يَغْشَى الْعُيُونَ دِلَاصُهَا وَقَنَاهَا
قَبَحَتْ مَقَالَتُهَا وَمَنْ يَهْوَاهَا
جَدِّي وَأَهْوَى صَرْمَهَا وَقِلَاهَا
وَمُتَابِتٌ بِالنَّفْسِ^(٥) مَنْ عَادَاهَا
وَمُؤَالِي^(٦) فِي اللَّهِ مَنْ وَالَاهَا
سُمِرَ الْقَنَا إِنْ كَاعَ^(٧) مَنْ يَنْشَاهَا
يَوْمًا تُنِيرُ^(٨) نُجُومُهُ بِسَمَاهَا
فِي الْكَرِّ تَفْرَعُ فَوْقَهَا وَتَطَاهَا
نَجْمُ الْمَجَرَّةِ لَاحَ فِي أَغْلَاهَا

- (١) جمع نمرقة، وهي: الوسادة الصغيرة يُتَكَأُ عليها. مصطفى: المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٩٥٤.
- (٢) من معاني القسط: مكيال يسع نصف صاع، وقد يُتَوَضَّأُ به، والكوز. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ٦٨٢.
- (٣) المُدَامَةُ: الخمر. المعجم الوسيط، ج ١، ص ٣٠٥.
- (٤) انصلت: برز وظهر. مصطفى: المعجم الوسيط، ج ١، ص ٥١٩.
- (٥) في (ط): ومباين بالبيض.
- (٦) كذا في الأصل. وإثبات الياء لضرورة الشعر.
- (٧) في (ص ز ط ب): كع. وكاع وكع عن الشيء بمعنى واحد، وهو إذا هَابَهُ وَجِبْنَ عَنْهُ. الرازي: مختار الصحاح، ص ٢٧٥.
- (٨) في (ب): تبين.

وَحَفِظْتَنِي تَحْمِي تَحُورَ فَوَارِي
يَتَلَفَّتُونَ إِذَا تَخَلَّلَ مَوْضِعُ
وَأَكُونُ أَوْلَهَا لِأَطْرَافِ الْقَنَّا
إِنِّي لَأَكْرَمُ تَبَعَةٍ^(٢) مِنْ هَاشِمٍ
الْوَارِثُونَ مِنَ النَّبِيِّ مَقَامَهُ
وَالْمُوضِحُونَ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَحْمَدِ
وَالْقَاطِنُونَ مَعَ الْقُرْآنِ مَحَلُّهُمْ
وَالْمُضِلُّونَ عَلَى الْعُدَّةِ سُيُوفُهُمْ
أَنْصَارُ الْوَلَدِ وَأَهْلُ وَدَادِنَا
هَذَا وَسَعْدٌ فِي الْوَعْدِ إِخْوَانُهُمْ
خَوْلَانُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ سَيُوفُنَا
تَبَغِي الْهَوَانَ مَعَ الْمَذَلَّةِ كُلُّهَا

كَرَّمَا وَمِثْلَيْنِ صَانَهَا وَحَمَاهَا
مِنْهُمْ فَأَذْفَعُ كُلَّ مَا أَشْجَاهَا
وَأَذُوذُ فِي الْقَحْمَاتِ مَنْ عَادَاهَا^(١)
لَا نَسْتَكِينُ لِحَرْبٍ مَنْ نَاصَاهَا
وَالنَّازِلُونَ مِنَ الْهَدْيِ أَهْدَاهَا
سُبُلَ الصَّلَاحِ^(٣) بِرَغْمٍ مَنْ يَلْحَاهَا^(٤)
وَالتَّارِكُونَ لَعَشْوَةٍ وَعَمَاهَا
هَمْدَانُ نَحْتَدُّهَا لَنَا وَجَاهَا
وَالشَّايِبُونَ دِمَاءَنَا بِدَمَاهَا
فِي حُبِّنا قَدْ بَانَ فَضْلُ عَلَاهَا
أَعْنِي بِذَلِكَ سَعْدَهَا وَكَمَاهَا
لِلنَّاقِضِينَ عَهْدَنَا^(٥) وَوَفَاهَا

قال: وقد كان الهادي قبلَ وَقْعَةِ سِوْجَانِ / ٦٠ - ب / خرج إلى مِينَاسَ لِقَطْعِ بعضِ نَحْلِ ابْنِ بَسْطَامٍ، فَقَطَعَ يَوْمَهُ ذَلِكَ؛ فَلَمَّا كَانَ مَعَ صَلَاةِ الظُّهْرِ أَمَرَ أَصْحَابَهُ بِالْأَنْصَرَفِ، فَخَرَجَ أَهْلُ مِينَاسَ مُتَبِعِينَ لِلْهَادِي وَعَسْكَرَهُ، وَلَمْ يَكُنِ الْهَادِي^(٦) فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ تَاهِبًا لِلْحَرْبِ، وَكَانَ قَدْ رَكِبَ فَرَسًا ضَعِيفًا، لَمْ يَكُنِ الْفَرَسَ الَّذِي

(١) في (ص ز ط ب): عن آخرها.

(٢) يقال: فلان من نبعة كريمة: أي ماجد الأصل. مصطفى: المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٨٩٨.

(٣) في (ط ب): الصباح.

(٤) لحاه: لاهه. الرازي: مختار الصحاح، ص ٢٨٠.

(٥) في (ط ب): عهودها.

(٦) في (ط): للهادي... تاهب.

كَانَ يُقَاتِلُ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ بَنِي الْحَارِثِ كَانَتْ تَعْرِفُهُ، فَإِذَا رَكِبَهُ الْهَادِي عِلِمُوا أَنَّهُ يُقَاتِلُهُمْ، وَإِذَا رَكِبَ غَيْرَهُ عَرَفُوا أَنَّهُ لَا يُحَارِبُهُمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَكَانَ اسْمُ فَرَسِهِ الَّذِي يُقَاتِلُ عَلَيْهِ أَبَا الْحَمَاحِمِ^(١)، وَكَانَ أَشَقَرَّ.

فَلَمَّا نَظَرَ أَهْلُ مِينَاسَ إِلَى الْهَادِي عَلَى غَيْرِ فَرَسِهِ الَّذِي كَانَ يُقَاتِلُ عَلَيْهِ، خَرَجُوا مِنْ حِصْنِهِمْ وَأَتَّبَعُوا عَسْكَرَ الْهَادِي، فَعَطَفَ عَلَيْهِمُ الْهَادِي، وَسَبَقَهُمْ^(٢) إِلَى بَابِ حِصْنِ مِينَاسَ، لِيَحْوِلَ^(٣) بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الدَّخُولِ إِلَى الْحِصْنِ، وَكَانَ بِقُرْبِ الدَّرْبِ حُفْرٌ لَمْ يَعْلَمْ الْهَادِي بِهَا.

فَحَمَلَ الْهَادِي بِالْفَرَسِ إِلَى بَابِ الدَّرْبِ، فَسَقَطَ فِي حُفْرَةٍ مِنْ تِلْكَ الْحُفَرِ، وَسَقَطَ الْهَادِي فِي الْحُفْرَةِ.

خَبَرُ سُقُوطِ الْهَادِي وَفَرَسِهِ بِمِينَاسَ

مَعَ الْفَرَسِ، فَسَاعَةً سَقَطَ ثَنَى يَدِهِ إِلَى سَيْفِهِ، فَسَلَّهُ، وَأَخَذَ دَرَقَتَهُ، وَوَثَبَ قَائِمًا فِي وَجُوهِهِمْ، وَصَاحَ بِهِمْ: "يَا كِلَابَ"، فَمَا دَنَا مِنْهُ أَحَدٌ بَعْدَ صَيْحَتِهِ بِهِمْ، وَقَدْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ طَمِعُوا بِهِ، وَقَاتَلُوهُ، فَلَمْ يَجِدُوا فِيهِ مَغْمَزًا.

وَوَقَعَ بَيْنَ النَّاسِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ جِرَاحٌ كَثِيرَةٌ، وَقُتِلَ مِنَ الْكُلِّ جَمَاعَةٌ عِنْدَمَا سَقَطَ الْهَادِي.

وَقَدْ كَانَ سَقَطَ وَجْهُ^(٤) فَرَسِ الْهَادِي فِي الْحُفْرَةِ، فَمَدَّ الْهَادِي يَدَهُ الشِّمَالِ، فَأَخَذَهُ بِهَا

(١) أَبُو الْحَمَاحِمِ: لَعَلَّهُ سُمِّيَ بِذَلِكَ نِسْبَةً إِلَى الْحَمْحَمَةِ، وَهِيَ: صَوْتُ الْفَرَسِ دُونَ الْعَالِي. مُصْطَفَى: الْمَعْجَمُ الْوَسِيطُ، ج ١، ص ١٩٥. وَكَانَ لَا يُطِيقُ الْهَادِي غَيْرَهُ مِنَ الدَّوَابِّ، لَيْسَ لِأَنَّهُ كَانَ سَمِينًا، بَلْ لِأَنَّهُ كَانَ شَدِيدًا قَوِيًا. عَلِي بْنُ بِلَالٍ: تَتِمَّةُ الْمَصَابِيحِ، ص ٥٧٢ - ٥٧٣.

(٢) فَعَطَفَ عَلَيْهِمُ الْهَادِي، وَسَبَقَهُمْ: سَقَطَ مِنْ (الأصل ص ذ)، وَأَضِيفَ مِنْ بَقِيَةِ النُّسخِ.

(٣) فِي (الأصل ذ): لِيَحْوِلُوا. وَمَا أُثْبِتَ مِنْ بَقِيَةِ النُّسخِ أَوْفَقَ لِلْسِّيَاقِ.

(٤) فِي هَامِشِ (الأصل ذ): وَجْهُ الْفَرَسِ: الْمِرَاةُ الَّتِي لِلْفَرَسِ. وَيَبْدُو مِنَ السِّيَاقِ أَنَّهُ غِطَاءٌ يَحْمِي وَجْهَ الْفَرَسِ مَا عَدَا أَنْفَهُ وَعَيْنَيْهِ.

مِنْ تَحْتِ مَقْبِضِ الدَّرَقَةِ، وَوَقَى اللَّهُ تَعَالَى الْهَادِيَّ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: يَا سَيِّدَنَا مَا حَمَلَكَ أَنْ تَأْخُذَ وَجْهَ الْفَرَسِ، أَلَا تَرَكْتَهُ؟ فَقَالَ الْهَادِي: "مَا مَنَعَنِي أَنْ أَتْرِكَ الْوَجْهَ إِلَّا أَنْ يَأْخُذُوهُ، فَيَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا وَجْهَ فَرَسِهِ، فَأَخَذْتَهُ عَلَى رَغْمِهِمْ".

وَأَتَى الْهَادِي بِفَرَسٍ غَيْرِ ذَلِكَ، فَارَكَبَهُ، وَقَرَّبَ اللَّيْلُ فَرَّاحَ إِلَى مَعْسِكَرِهِ.

ثُمَّ إِنَّ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ جُنْدِهِ وَأَصْحَابِهِ أَتَوْهُ وَشَكَّوْا إِلَيْهِ كَثْرَةَ رُكُوبِهِمْ، وَمَا قَدْ نَالَهُمْ مِنَ التَّعَبِ، وَنَالَ دَوَابَّهُمْ، وَكَانَ ذَلِكَ قَبْلَ الْأَضْحَى بِيَوْمٍ، فَأَمَرَ أَهْلَ الْحَضَنِ أَنْ يُوسَّعُوا لَهُمْ، فَأَخْلَوْا مَنَازِلَهُمْ، وَصَيَّرُوا حُرْمَهُمْ فِي بِيوتِ الشَّعْرِ، وَوَسَّعُوا لِمَنْ كَانَ مَعَ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ، وَأَرَّاحَ دَوَابَّهُ أَيَّامًا.

[الهادي إلى الحق يهدد بني الحارث شعرا إن استمروا في تمردهم]

وقال الهادي إلى الحق - عليه السلام -:

لا تَلْمِزِي فَلَئِنْ لَلْيَوْمِ أَهْلًا	لَا يَمِي فِي اللَّقَاءِ فِي الْحَرْبِ ^(١) مَهْلًا
لَا تَمْلُ اللَّقَا إِذَا النُّجُسُ مَلَا	/ ٦١- / إِنَّمَا مَغْشَرُ الْفَوَاطِمِ قَوْمٌ
مِنْ وَسَفَكَ الدَّمَاءَ هَذَا وَعَلَا	هَذَا الضَّرْبُ فِي اللَّقَاءِ مَعَ الطُّغَا
إِذْ ^(٢) رَأَيْتُ النُّجُومَ أَفْلَا تَلَكَّنْ	لَسْتُ عِنْدَ السُّرَى وَرَكُضِ الْمَطَايَا
يَا خَلِيلِي لَا تَسِيرَا وَحُلَا	دَاعِيَا بِالصَّبُوحِ هَاتِي وَغَنِّي:
لِإِذَا النُّجُسُ بِالصَّبُوحِ تَسَلَّى	سَلَوِي فِي الطَّرَادِ فَوْقَ ذُرَى الْخِيَا
خُضْتُهَا بِالْقَنَاقَةِ حَتَّى تَجَلَّى	وَإِذَا غَمْرَةُ الْمَنَايَا اقْمَطَرَتْ ^(٣)

(١) في (ص ز ط ب): للحرب.

(٢) في (ص ز): إذا.

(٣) اقمطرت: اشتدت. الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص ٤٦٥.

لوتراني في شَكِّي^(١) وسلاحي
وقد أئخنتُ عند ذاك عُدَّاتي
وكَمِي حامي الحقيقة لَيْثِ
وشفالي الغليل صَندُوقاتي
أنا يَمِي إذا الوطيسُ^(٣) تَلْظَى
وحَنَى^(٥) القرنُ للجلادِ إلى القرنِ
يا بني الحارثِ بن كعبِ هَلُمُّوا
قد سَمِعْتُمْ قولَ المَهْلَهْلِ^(٧) في الشِّدِّ
"ذهب الصُّلحُ أو تَرُدُّوا كَلِيًّا
لَسْتُ مِنْ هاشِمٍ ذُوابةٍ مَجْدِ
فوقَ طَرْفي لَقَلْتُ لَيْثًا مُحَلَّى
فَهُمْ في المَوانِ أسْرَى وَقَتْلَى
في مَكْرِي أَوْجَرْتُ نَحْرَهُ نَصْلًا^(٢)
ليس وقعُ القنایُ غَادِرُ غَلَا
واستعاضَتْ شَمُّ المَعاطِسِ^(٤) خِلَا
وهامُ الأبطالِ بالبيضِ تُغَلَّى
قَبْلَ رَقْصِ النِّسَا^(٦) وَرَبِّ المَصَلَّى
غَرِ ينادي هناك بَكَرًا وَدُهِلًا^(٨)
أو تُحَلُّوا على الحَكومةِ خَلَا"^(٩)
إنْ لَمْ أَرَوْ السُّيُوفَ حَتَّى تُمَلَّا

- (١) الشَّكَّةُ: ما يُلبَسُ من السلاح. الفراهيدي: كتاب العين، ج ٥، ص ٢٧٠.
(٢) كتب في الأصل فوقه: كذا. وهو يشير إلى ضرورة اختلاس حركة الهاء.
(٣) الوَطِيسُ: التَّنَوُّرُ. ويقال: حمي الوَطِيسُ إذا اشتدَّ الحربُ. الجوهري: الصحاح، ج ٣، ص ٩٨٩.
(٤) المَعَطِسُ: الأنف. وشَمُّ المَعاطِسِ: القوم ذوو الأنوف الحمية. ابن منظور: لسان العرب، ج ٦، ص ١٤٢.
(٥) حنى الشيء: عطفه، وحنى إليه انعطف إليه. ينظر ابن منظور: لسان العرب، ج ١٤، ص ٢٠٢.
(٦) وفي (ص ز ط ب): وحبا. والحبو: الدنو. ينظر الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ١٢٧٢.
(٧) المهلهل: عدي بن ربيعة، شاعر جاهلي، من بني تغلب، ألى أن يثار لأخيه كليب من بني بكر، وتوفيَّ نحو سنة ١٠٠ قبل الهجرة. الزركلي: الأعلام، ج ٤، ص ٢٢٠.
(٨) بكر بن وائل: قبيلة عظيمة من العدنانية، اشتعلت نيران حرب البسوس بينها وبين تغلب في ٤٩٠ م تقريبا. وذهل بن ثعلبة: بطن من بكر بن وائل، منهم جساس قاتل كليب. كحالة: معجم قبائل العرب، مج ١، ص ٩٣، ٩٥، ٤٠٥.
(٩) مهلهل بن ربيعة، التغلبي (ت نحو ١٠٠ قبل الهجرة): ديوان مهلهل بن ربيعة، شرح: طلال حرب، الدار العالمية، ص ٦٠.

وَأَوْطَيْتُ أَكْبَادَكُمْ زُمَرَ الْخَيْلِ وَتُجَزَوْنَ مَا اجْتَرَمْتُمْ وَمِثْلًا
أَحْسِبْتُمْ قِرَاعَنَا بِظُبَا الْيَمِّ ضِضْ وَطَعْنِ الْفَرَسَانَ ^(١) زُبْدًا مُحَلَّى
لَسْتُ بِالْفَاطِمِيِّ إِنْ حَلَّتِ ^(٢) الْحَزْ بٌ مِنْ أَوْزَارِهَا قَتِيلًا وَقَتْلَى
وَلَمْ أَشْفِ الْغَلِيلَ مِنْ حَارِ كَعْبٍ وَأَثِيرِ الْمَغَارَاتِ ^(٣) خَيْلًا وَرَجُلًا
بِخَمِيسٍ لِحَيْلِهِ ^(٤) طَهْطَهَانُ ^(٥) وَيَبِيضٍ بُرُوقُهُنَّ تَلَالَا
وَقِرَاعٍ بِهِ عُرْفَتَا وَطَعْنِ يَتْرُكُ الْخَيْلَ فِي اللَّقَاءِ رِدْعَلًا ^(٦)
عِنْدَهَا أَشْفِي وَأَشْفِي غَلِيلِي أَنْ تَرَكْتُ النَّسَاءَ يَرْقُضْنَ تَكْلَى

[هَذَا الْهَادِي إِلَى الْحَقِ حِصْنٌ مِينَاسُ]

قال: فلمَّا كان بعد العيد ^(٧) بأيام سَارَ إِلَى مِينَاسَ لِأَنَّهُ يَهْدِمُهَا، فَلَمْ يُخْرُجْ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهَا، فَلَمَّا اتَّصَلَ بِنَبِيِّ الْحَارِثِ خَبَرَ الْهَادِي وَتَوَاعَدَهُ هُكُمٌ فِي الشَّعْرِ، وَمَا كَانَ مِنْهُ بِمِينَاسَ حَيْثُ سَقَطَ عَنِ الْفَرَسِ غَمَّهُمْ ذَلِكَ غَمًّا شَدِيدًا، وَامْتَلَأَتْ قُلُوبُهُمْ ^(٨)، وَتَحَصَّنُوا فِي حُصُونِهِمْ، وَجَعَلَ الْهَادِي يَغْدُو إِلَى نَخِيلِهِمْ فَيَقْطَعُهَا، وَلَا يُخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْهُمْ أَحَدٌ.

(١) في (ط ب): وطعان القنا.

(٢) في (ص ط ب): خلت.

(٣) في الأصل: المغارات، وما أثبت فمن بين سطورها مشارا إليه بأنه نسخة، ومن (ص ذ). وفي (ط): المغار.

(٤) في (ص ز): بخميس عرمرم طهطهان.

(٥) طهاطه الخيل: أصواتها. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ١٢٤٩.

(٦) الرَّدْعَل: صغار الأولاد. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ١٢٢٩.

(٧) في (ط ب): بعد أيام العيد.

(٨) بين سطور الأصل كُتِبَ: رعبًا.

فَلَمَّا كَانَ يَوْمٌ مِنْ ذَلِكَ غَدَا إِلَى مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ الْجُرْبَةُ^(١)، فَأَمَرَ بِنَخْلٍ فِيهَا فَقُطِعَ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى مَعْسَكَرِهِ.

وقد / ٦١-ب / كانت منه آية عظيمة يوم سَقَطَ بِمِينَاسٍ؛ وذلك أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي رَبِيعَةَ كَانَ يُكْثِرُ الرَّمِيَّ لِأَصْحَابِهِ، فَدَعَا عَلَيْهِ الْهَادِي أَنْ يَقْطَعَ اللَّهُ يَدَهُ، فَخَبَّرَنِي بَعْضُ مَنْ أَتَى بِهِ وَبَعْضُ بَنِي الْحَارِثِ بَعْدَ وَصُولِنَا الْبَلَدَ أَنَّ الرَّجُلَ الَّذِي دَعَا عَلَيْهِ الْهَادِي تَنَاصَلَتْ أَصَابِعُهُ إِلَى الرُّسْعَيْنِ، وَمَاتَ مِمَّا نَزَلَ بِهِ - لَا رَحِمَهُ اللَّهُ -.

قال علي بن محمد: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: لَمَّا دَخَلَ الْهَادِي قَرْيَةَ الْهَجَرِ فِي الدَّخْلَةِ الْأُولَى^(٢)، أَتَى إِلَى الْهَادِي نَفَرٌ مِنْ بَنِي رَبِيعَةَ يَطْلُبُونَ لَابِنَ بِسْطَامِ الْأَمَانَ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ، فَمَضَوْا إِلَى مِينَاسٍ يَأْتُونَ بِهِ، فَوَجَدُوهُ قَدْ هَرَبَ إِلَى بَلَدٍ شَاكِرٍ، فَأَقَامَ الْهَادِي بِقَرْيَةِ نَجْرَانَ، وَأَمَرَ مُنَادِيًا يُنَادِي لِمَنْ جَاءَهُ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بِالْأَمَانِ، إِلَّا الْأَبْرَصَ وَابْنَهُ الْمَدَانِيَيْنِ؛ فَإِنَّهُمَا قَدْ كَانَا سَبِيًّا الْجَارِيَةَ الَّتِي ذَكَرْنَا.

وَأَمَرَ الْهَادِي أَبَا مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ أَنْ يُخْرِجَ بِجَمَاعَةٍ مِنَ الْعَسْكَرِ إِلَى مِينَاسٍ، فَبَيَّتَ بِهِ لَيْلَتَهُ، فَفَعَلَ ذَلِكَ.

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ غَدَا الْهَادِي فِي عَسْكَرِهِ إِلَى مِينَاسٍ، فَأَمَرَ مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْغُرَبَاءِ وَالنَّصَارَى وَالضُّعَفَاءِ أَنْ يُحَوِّلُوا مَتَاعَهُمْ مِنْ مِينَاسٍ إِلَى حَيْثُ شَاءُوا، وَأَمَرَ مَعَهُمْ بَعْضُ ثِقَاتِهِ لَثَلَا يُؤْخَذَ مِنْ مَتَاعِهِمْ شَيْءٌ، فَلَمَّا أَخْرَجُوا مَتَاعَهُمْ، أَمَرَ الْهَادِي

(١) في الأصل وبعض النسخ: الخربة. وفي (ذ): الخربة. والصحيح ما أثبت من (ص)؛ فالجربة: قرية في الضفة الجنوبية لواء نجران، قال فؤاد حمزة: بلاد آل حسن، فيها ١٠٠ بيت، وتقع إلى الغرب من الأخدود. حمزة، فؤاد: في بلاد عسير، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، ط ٢، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م، ص ١٨٤؛ وآل مريح، صالح بن محمد بن جابر: نجران، الرئاسة العامة لرئاسة الشباب، الرياض، ط ١، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م، ص ٧١؛ وقول: تطبيق خرائط.

(٢) في (ز ط ب): الأولى.

بهَدَم مِيناس، فَهَدَمَهُ كُلَّهُ.

وانصرف إلى القرية فأقام بها، وأتاه نَقَرٌ من بني الحارث يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ مَن كَانَ لَمْ يُخْرِجْ يَصْرُخُ عَلَيْهِ، فَوَعظَهُمْ وقال لهم: "والله لَتَعُودَنَّ أُخْرَى، وَلَا قَتَلَنَكُمْ قِتْلَةً أَعْظَمَ مِنْ هَذِهِ الْقِتْلَةِ"، فقالوا له: لَا تَقُلْ ذَا يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، فَوَاللَّهِ لَا عُذْنَا لَكَ فِي فِتْنَةٍ أَبَدًا، فقال لهم الهادي: "قد أَخْبَرْتُكُمْ سَتَرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ".

[شعر أحمد بن محمد المداني وعبدالله بن الحسين حول انتصار الهادي إلى الحق على بني الحارث]

وقَدْ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَدَانِي، عِنْدَمَا كَانَ مِنْ دُخُولِ الْهَادِي الْقَرْيَةَ، وَمَا كَانَ مِنْ قَتْلِهِ لِبَنِي الْحَارِثِ وَأَخْذِهِ لَابْنِ حَمِيدٍ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ يُحِطُّ بِبَنِي الْحَارِثِ فِي فَعْلِهِمْ:

نَفْسِي النُّومَ عَنِّي الْمَهْمُ فَالْهَمُّ غَالِبُ	لَنُومِي فَدَمْعِي مُسْبِلُ الْقَطْرِ سَاكِبُ
لِمَا نَابَ قَوْمِي حِينَ ضَلَّتْ حُلُومُهُمْ	فَأَزَعَجَهُمْ دَفْنٌ مِنَ الْحَيْنِ جَالِبُ
وَحَادُوا بِحَرْبِ اللَّهِ وَابْنِ نَبِيِّهِ	مُجَاهِرَةً وَاللَّهُ لَيْسَ يُجَارِبُ
فَقَتَلْنَا لَهُمْ لَا تَهْلِكُوا إِنْ ظَنَنْتُمْ	لَعَنَرُكُمْ فِيمَا تَظُنُّونَ كَاذِبُ
فَلِدُونَ الَّذِي حَاوَلْتُمْ وَتَوَيْتُمْ	مُسَالَبَةَ الْأَرْوَاحِ فَاْمَضُوا فَسَالِبُوا
/ ٦٢ - ١ / وَلَا فَقَدْ أُولَيْتُمُ النَّصْحَ فَاقْبَلُوا	مَشُورَةَ مَنْ قَدْ أَخْكَمْتُمُ التَّجَارِبُ
وَلَا تَبْهَلُوا ^(١) مَخْضَ النَّصِيحَةِ وَاحْذَرُوا	دَوَاهِيَهَا قَدْ تَشِيبُ الدَّوَابُ ^(٢)

(١) فِي (الْأَصْلُ ذَا): وَلَا تَهْلُوا. وَكُتِبَ ظَنَّا فَوْقَهَا: وَلَا تَهْمَلُوا. وَمَا أَثْبَتَ مِنْ بَقِيَةِ النَّسْخِ أَصَحُّ؛ إِذْ يُقَالُ: بَهَلْتُهُ وَأَبْهَلْتُهُ: إِذَا خَلَيْتَهُ وَإِرَادَتَهُ، وَأَبْهَلَ النَّاقَةَ أَهْمَلَهَا. ابْنُ مَنْظُورٍ: لِسَانُ الْعَرَبِ. ج ١١، ص ٧١.

(٢) فِي (ص ز ط ب): دَوَاهِي مَدَاهَا. وَالْمُدْهَى: اسْمُ مَفْعُولٍ لِمَنْ وَقَعَتْ عَلَيْهِ الدَّهْيَةُ، وَهِيَ الْأَمْرُ الْمُنْكَرُ الْعَظِيمُ، وَجَمْعُهَا الدَّوَاهِي. يَنْظُرُ ابْنُ مَنْظُورٍ: لِسَانُ الْعَرَبِ، ج ١٤، ص ٢٧٥.

وكان لمُجْرِي الْفُلْكِ حُكْمًا^(١) فَقَدَّمُوا إِلَى حُكْمِهِ^(٢) وَاللَّهُ لَيْسَ يُغَالِبُ
وَقَدْ وَجَدُوا مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ مِنْهُمْ
سَلِيلُ سُلالاتِ الطَّهَّارَةِ وَالتَّقَى
إِمَامٌ هَدَى لِلْمُؤْمِنِينَ وَلِلْعَدَى
تَرَاهُ إِذَا سَارَ الْحَمِيسُ يُقَوِّدُهُ
وَأَنْ كَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا الْحَرْبُ لَمْ تَجِدْ
وَمَنْ مِثْلَهُ فِي الْمَحَلِّ^(٥) أَنْدَى لَطَالِبٍ
يَقُومُ بِدِينِ اللَّهِ وَالْحَقِّ صَابِرًا
لِأَنْفُسِ تُقَدِّيه النَّفُوسُ الْحَابِيبُ
وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحُسَيْنِ فِيمَا كَانَ مِنْ قَتْلِ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ لِبَنِي الْحَارِثِ:

طَابَ نَوْمِي وَانْجَلَى عَنِّي الْأَرْقُ وَتَسَلَّى مَا يَقْلِبُنِي مِنْ شَرْقٍ^(٧)

(١) كذا في جميع النسخ. ولعل تقديره أن مَنْ قد أحكمته التجارب كان حكما لمجري الفلك، وهو الله، أي هو يحكم بحكم الله.

(٢) في (الأصل ذ): فكه. وما أثبت من بقية النسخ أولى.

(٣) اللها، جمع اللهاة، وهي: الهنّة المطبقة في أقصى سقف الفم، وتسمى الآن في لغة التشريح: لسان المزمار. والمُرِيطان: ورد في لسان العرب: المرطاوان: ما عري من الشفة السفلى والسبلة فوق ذلك مما يلي الأنف. والمرِطاوان في بعض اللغات: ما اكتنف العنقفة من جانبيها. ولعلهما اللوزتان؛ حيث أنها يساعدان على (المرط)، وهو البلع. ابن منظور: لسان العرب، ج ٧، ص ٤٠١؛ ومصطفى: المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٨٤٣. والمعنى أنه ناشب بين اللها والمُرِيطين من حلولق الأعداء. كناية عن شدة تنكيله بهم وترصده لهم. وفي (مط): شجن في اللهايين المرِيطين ناشب. وهو تحريف وسوء قراءة.

(٤) لعله بدل من (تجد).

(٥) المحل: الجذب. الرازي: مختار الصحاح، ص ٢٩١.

(٦) جمع جُنْدُب، وهو: نوع من الجراد يصير ويقفز ويطير، و من أمثال العرب (صرَّ الجندب): اشتد الأمر حتى يقلق صاحبه. مصطفى: المعجم الوسيط، ج ١، ص ١٤٠.

(٧) الأرق: امتناع النوم ليلا. والشرق: الشجاء والغصّة. ابن منظور: لسان العرب، ج ١٠، ص ١٧٧.

إِذْ رَأَيْتُ الْخَيْلَ تُزْدِي بِالْفَتَى^(١) شُرْبًا فِيهَا مَرَّاحٌ^(٢) وَتَوْقٌ
 فِي خَمِيسٍ ذِي اعْتِرَامٍ جَحْفَلٍ حَشْوُهُ الْبَيْضُ تَلَالًا وَاللَّرْقُ
 وَقِيَاسٍ لِحِمَاتٍ^(٣) شَرْقَبٍ^(٤) أَرْدَقَتْهَا صُعْدٌ فِيهَا ذَلْقٌ^(٥)
 وَرَجَالٌ كُلُّهُمْ ذَوِيئَةٌ وَمَسَاعِيرُ الْوَعَى خُزْرُ الْحَدَقِ^(٦)
 وَإِمَامُ الْعَدَلِ فِي أَوَّلِهِمْ يَتَلَالًا، لِلْهَمِي ذَوْخَنَقُ
 وَعَلَيْهِ مِنْ حَدِيدٍ سَابِغٍ مُحْكَمُ الصَّنْعَةِ مَجْدُولُ الْحَلَقِ
 يَقْدُمُ الْقَوْمَ بِرُمُحٍ عَنِيطٍ^(٧) وَيَمَانِي إِذَا هُزَّ خَفَقُ
 خَاضِبًا صَعْدَتَهُ مِنْ أَمْرِ مُنِيرٍ وَمُتِيزُ الرَّخَصِ^(٨) مِنْهُمْ وَالْقَلَقُ^(٩)
 وَلَقَدْ كَانَ مَقَامًا ثَانِيًا^(١٠) فِيهِ لِلْفَسَّاقِ جَوْرٌ وَزَهَقُ

(١) في (ص ط ذ): تُرْدَى بالقنا.

(٢) في (ص ذ): مراج.

(٣) القياس، جمع قوس: آلة الحرب. وصفت بأنها لحمت، أي محكمات. يقال: لحم الأمر: إذا أحكمه. ينظر الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ١٤٩٤. وفي (ص ز ط): لحبات.

(٤) شرقب: لعله نوع من الشجر تتخذ منه القسي.

(٥) الصعد لعله جمع صعدة، وهي الرماح. والذلق: الحدة والدرب. مصطفى: المعجم الوسيط، ج ١، ص ٣١٤.

(٦) مساعير، جمع مسعار، وهو: موقد نار الحرب. وخُزْرُ الحَدَق: أراد أنهم يتخازرون إذا نظروا إلى أعدائهم، فلا يملأون أعينهم منهم؛ لما تنطوي عليه قلوبهم. المرزوقي، أحمد بن محمد بن الحسن، أبو علي الأصفهاني (ت ٤٢١هـ): شرح ديوان الحماة، تح: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ص ١١٤٣.

(٧) في (ص ز): عَطَطَ. والعَطَطُ: الطُّول. ورَجُلٌ عَطَطَ: أي طویل. ابن منظور: لسان العرب، ج ٧، ص ٣٥٦.

(٨) الرخص: هو عَرَقٌ يَغْسِلُ الْجِلْدَ لكثيره. ابن منظور: لسان العرب، ج ٧، ص ١٥٤.

(٩) في (ص ز): والفلق.

(١٠) في (ص ط ب): ثابًا.

وَكَزَزْتُ الطَّرْفَ فِيهِمْ طَرَقًا	حَيْثُ مَا قَلْبُ شَجَاعٍ انْفَلَقَ
ثُمَّ مِنْ بَعْدِ شَجَاةٍ لِلْعَدَا	ضَرَبْتُ أَعْنَاقَ الَّذِي كَانَ مَرَقَ
وَعَدَا فِي كَفَرِهِ مُنْهَزِمًا	ذَا عُمُورٌ وَتَعَدُّ وَسَرَقَ
فَأَسِيرًا وَقَتِيلًا ثَاوِيًا	وَشَرِيدًا فِي جِبَالٍ وَمَلَقَ
/ ٦٢ ب / فَأَبَادَ الْحَقُّ مِنْهُمْ عُضْبَةً	ذُو ^(١) نَفَاقٍ وَعُمُورٌ وَخَرَقَ
وَكَذَا ^(٢) اللَّهُ يُؤَيِّي حَزْبَهُ	حَسَنَ الْحِفْظِ عَلَيْهِمُ وَالشَّقَقَ
وَتَقَوَّا بِالْبَيْضِ عَنْهُ مَا حَوَى	وَكَذَا فِي الْوَحْيِ مِنْهُ قَدْ سَبَقَ

[شعر أبي القاسم جواباً على والده الهادي إلى الحق حول دخوله
قرية نجران]

وكتب الهادي إلى الحق -عليه السلام- إلى أبي القاسم -عليه السلام- يُخْبِرُهُ بدخوله القرية،
ويُخْبِرُهُ قَتْلَتَهُ^(٣) لبني الحارث القتلة الأولى، فَسَّرَ به، وَقَرَأَهُ على جميع أوليائه، وكتب
إلى الهادي إلى الحق -صلواتُ الله عليه- جوابَ كتابه، وكتب إليه بهذا الشعر:

وَصَلَّ الْبَرِيدُ مُفَرِّدًا بِبِشَارَةٍ	مَنْ بَعْدَ قَتْلِكَ لِلْعَدَى بِثَلَاثِ
فَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَاهِدًا وَقَعَةٍ	أَوَدْتُ بِكُلِّ مُحَالِفٍ تَكَاثِ
فَأَقِينِكَ يَا ابْنَ مُحَمَّدٍ سُمَرَ الْقَنَا	بِالنَّخْرِ مِنِّي غَيْرَ ذِي إِنْكَاثِ
طَوْرًا أَجُولُ عَلَى الْحِصَانِ بِصَعْدَتِي	وَلَدَى النَّزَالِ فَبِالْمُهَنَّدِ جَاثِي

(١) لعله رُفِعَ على القطع، وأنه خبر مبتدأ محذوف مقدَّر.

(٢) في (ص ز ط): وكذلك.

(٣) في (ص ز ط ب): قتله.

دون الإمام أخي المكارم والعلّاء^(١) أبغى الرّضاء^(٢) لحالقي وغياي
في مَنْ عصاه من الرّية كلّها وأحلّهم بمصارع الأجدات
سفكي دماء الناكثين فريضةً حنّتم عليّ كواجب الميراث
إن لم أكن شاهدت يوم لقائهم ونأى جوادي عنهم وحرائي
فلقد^(٣) كفيّت بلا افتخار^(٤) مغضلاً يُلقني^(٥) الكرى عن حلم ذي أضغاث
مئي لكلّ كريمة وعظيمة تُخشي ولست كجاهل عبّاث
وأنا الوفيّ لكلّ عبد مؤمن حتى يقوم على ضريحي الحائي^(٦)

[شعر أبي القاسم إلى أبي العتاهية عن انتصار أبيه في نجران]

وكان الهادي إلى الحقّ كتّب إلى أبي العتاهية أيضًا يُخبره بما كان منه في بني
الحارث، وما أعطاه الله من الظفر بهم، والنّصر عليهم، وكتّب إلى أبي القاسم أن
يوجّه بكتّب أبي العتاهية، فكتّب إليه كتاباً يذكر فيه خبر وقعة الهادي إلى الحق،
وقال في ذلك أبو القاسم:

لم تر أنّا لاهباب عدونا ولا نشكي في النيات من القتل
أبونا رسول الله حزننا مقامه وبرزنا بما قد سار يهدي^(٧) إلى العدل

(١) في (ذ): والتقى.

(٢) في (ص ز ط ب): أدّى الفروض.

(٣) في (الأصل ذ): ولقد. ولعل الأصح بالفاء كما أثبت من النسخ الأخرى؛ إذ هي الرابطة الواقعة
في جواب الشرط.

(٤) في (ص ز ط ب): ولا افتخار.

(٥) في (ط): ينفي.

(٦) الحائي: الذي يحثو التراب على القبر.

(٧) في (ص): يهدي.

/ ٦٣-١ / فَمَنْ حَازَنَا عَنْ حَقَّنَا كَانَ حَظُّهُ
لَدِينَا ظُبَا الْأَسْيَافِ يُشْفَعُ بِالنَّبْلِ
وَمَنْ كَانَ مُوَفٍّ^(١) بِالْعُهُودِ فَعِنْدَنَا
لَهُ خَيْرٌ مَا يَزْجُوهُ مِنْ وَافِرٍ جَزَلٍ
لَا نَأْسُودُ الْحَرْبِ فِي كُلِّ مَاقِطٍ^(٢)
وَنَحْنُ عَلَى الْأَعْدَاءِ شُغْلٌ مِنَ الشُّغْلِ
وَلَا نَأْسُودُ تَلْتَقِيهَا نُحُوزُنَا
وَلَسْنَا نُلَاقِيهَا بِهَزَلٍ^(٣) وَلَا خَبَلٍ^(٤)
فَوَيْلٌ لِمَنْ أَضْحَتْ إِلَيْهِ رِمَاخُنَا
ثُرَى خَافَقَاتٍ تَحْتَهَا كَلْدَوِي النَّخْلِ
وَوَجَّهَ أَبُو الْقَاسِمِ بِجَوَابِ الْهَادِي إِلَى نَجْرَانِ.

[جواب أبي القاسم على الدعاء بشأن ابن بسطام]

قال علي بن محمد: حدَّثني محمد بن سليمان، قال: لما صار ابنُ بسطام إلى شاكِرٍ
وَصَرَخَ بِهَا، عَلِمَ بِذَلِكَ الدُّعَاءُ، فَكَتَبَ إِلَى أَبِي الْقَاسِمِ يُخْبِرُهُ بِخَبَرِ ابْنِ بَسْطَامٍ، وَبِمَا
أَجْمَعَتْ عَلَيْهِ بَنُو الْحَارِثِ، وَأَنَّهُمْ يَرِيدُونَ الْهَادِيَّ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنَّهُ قَدْ هَالَهُ مَا بَلَغَهُ
مِنْ جَمْعِهِمْ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو الْقَاسِمِ جَوَابَ كِتَابِهِ:

أَنْتَ يَمُوتُكَ فِعْلٌ وَغَدٍ جَاهِلٍ لَفَّ الْأَرَاذِلَ مِنْ لَدَى الْأَفْرَاطِ^(٥)
أَعْنِي ابْنَ بَسْطَامِ الرِّكِيكَ^(٦) أَخَا الْخَطَا الْمُخْتَلِي^(٧) لِي اللَّهُ بِالْإِنْسَانِ خَطَا

- (١) كذا في الأصل. وهو خطأ نحوي، ولا ضرورة شعرية؛ إذ يمكن القول: ومن كان يوفي.
(٢) المَاقِطُ: موضع القتال أو المضيق في الحرب. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ٦٥٨.
(٣) في (الأصل): بهول. ولعل ما أثبت من بقية النسخ أولى.
(٤) من معاني الخَبَلِ: فساد الأعضاء، وقطع الأيدي والأرجل، والحبس، والمنع. ينظر
الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ١٢٨٠.
(٥) يسمى ما بين الجوف ونجران الأفراط، واحدا فرط، وأكثر أهلها من بني الحارث. الهمداني:
صفة جزيرة العرب، ص ٢٢٨.
(٦) الركيك: الضعيف. مصطفی: المعجم الوسيط، ج ١، ص ٣٧٠.
(٧) المحتدي: المتعمد. وأحدى: تعمد شيئا كتحداه. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ١٦٤٣.

أَرْضِي^(١) لَهُ الْهَادِي ضَدِيدًا^(٢) طَالِبًا
 إِنَّ يَلْقَاهُ تَشْكُلُهُ^(٤) كُلُّ خَرِيدَةٍ
 يَغْتَالِهَا لَطْمُ الْخُدُودِ وَيُنْسِيهَا^(٧)
 قَدْ جَرَّبُوا طَعْنَ الْإِمَامِ وَضَرْبَهُ
 مَا الْفَاطِمِيُّ يَهْوُلُهُ حَرُّ الْقَنَا
 تَرَكَ الْقَعِيضُ^(١١) لِقَاءَهُ فِي حِصْنِهِ
 وَغَدَا يَطِيرُ وَقَلْبُهُ مُتَرَوِّعٌ
 أَضْحَى يُؤَلِّبُ قَوْمَهُ وَيَحْتُمُّهُمْ
 ذَاهِمَةً نَائِيً^(٣) عَنِ التَّغْلَاطِ
 مِنْ قَوْمِهِ تَحْتَالُ^(٥) فِي الْأَسْمَاطِ^(٦)
 طُولُ النُّوَاحِ تَعَاهَدُ^(٨) الْأَسْقَاطِ^(٩)
 بَعْدَ الْحَوَاصِرِ^(١٠) فِي حَشَا الْأَبَاطِ
 لَا لَا وَلَيْسَ يُذَمُّ بِالْإِفْرَاطِ
 مِنْ قَبْلِ أَنْ يُتَّابَ^(١٢) بِالْقَبْاطِ^(١٣)
 وَعَنِ الرِّيَاسَةِ زَالٍ بِالْإِسْقَاطِ
 بَعْدَ الْهَزِيمَةِ مِنْ ذُرَى إِسْخَاطِ^(١٤)

(١) في (الأصل ص ذ): رض. والصحيح ما أثبت، كما يفيد السياق.

(٢) في (الأصل ذ): ضديد. والأصح نحوياً ما أثبت من بقية النسخ.

(٣) رفعها على القطع. أي: ناء.

(٤) في (الأصل ذ): تبيكه. والأصح ما أثبت؛ إذ لا ضرورة لإثبات ياء جواب الشرط.

(٥) في (ب ذ): يَحْتَالُ.

(٦) السَّمَط: الثوب من الصوف. مصطفى: المعجم الوسيط، ج ١، ص ٤٤٩.

(٧) سَكَّنَ لضرورة الشعر.

(٨) في (ص ز ط ب): معاهد.

(٩) جمع سقط. والسَّقَط من كل شيء: طرفه وجانباه، وما يُجْرُ منه على الأرض. مصطفى: المعجم

الوسيط، ج ١، ص ٤٣٦.

(١٠) في (ص ز ط ب): بعد الحواصل.

(١١) في (الأصل ذ): البغيض. وما أثبت فمن بقية النسخ؛ لأنه سيتكرر في الأصل كما أثبت. ولعله

نَبَزُ كَانَ يُنْبِزُ بِهِ. وقد ورد في لسان العرب: "الْقَعَاصُ: دَاءٌ يَأْخُذُ فِي الصَّدْرِ، كَأَنَّهُ يَكْسِرُ الْعُنُقَ،

وَالْقَعَاصُ: دَاءٌ يَأْخُذُ الدُّوَابَّ فَيَسِيلُ مِنْ أُنُوفِهَا شَيْءٌ". ابن منظور: لسان العرب، ج ٧، ص ٧٨.

(١٢) انْتَابَهُمْ: آتَاهُمْ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى. وسموا منه المتتاب. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ١٧٩.

(١٣) الْقَبْطُ: جمعك الشيء بيدك. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ٨٨٠. وفي (ب): بالقنط.

وفي (ص نسخة): بالنقاط.

(١٤) في (ص ز): سَخَط. وفي (ط): شحاط.

غَلِطَ الْقَعِيسَ وَكَانَ أَحَقَّ مَنْ مَشَى^(١) إِنْ كَانَ لَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّهُ^(٢) خَاطِي
يَنْصِي فإِنَّ لَهُ الْخِيُولَ مُعَدَّةً وَالْبَيْضُ وَالْأَرْمَاحُ كَالْأَخْطَاطِ
وَالْمُؤْمِنُونَ مَعَ الْإِمَامِ عَلَى الْهَدَى فِي خَيْرٍ مَنَقَبَةٍ وَخَيْرِ رِبَاطِ
يَهْوُونَ أَنْ يَلْقَوْنَهُ^(٣) وَرِمَاحُهُمْ يَنْفُذْنَ تَحْتَ أَصَالِجِ الْأَسَاطِ^(٤)
لَا تُشْفِقَنَّ عَلَى الْإِمَامِ وَجَيْشِهِ وَيَكُونُ خَوْفُكَ لِلشَّقِيَّ الْخَاطِي
لَسْنَا نَخَافُ الْعَالَمِينَ بِأَسْرِهِمْ وَالْجَنَّ لَوْ جُمِعُوا^(٥) بِكُلِّ بَسَاطِ^(٦)
إِنَّا بِأَمْرِ اللَّهِ تَنْصُرُ دِينَهُ وَنُذِيعُهُ فِي الْعُزْبِ وَالْأَبْطَاطِ
٦٣ ب/ فلذلك لَا نَخْشَى الَّذِي حَازَتْهُ مِنْ جَمْعِ كُلِّ أَرَاذِلِ أَشْرَاطِ^(٧)

[شِعْرُ أَبِي الْقَاسِمِ إِلَى مَخَالِيفِ خِيَوَانَ وَبَنِي مُعْمَرٍ يُذَكِّرُهُمْ بِقَدِيمِ

فَضْلِ هَمْدَانِ]

وكتب أبو القاسم إلى محاليفه^(٨) يُخَبِّرُهُمْ بوقعة الهادي، وما كان من نصر الله له على بني الحارث، وكتب إلى بني مُعْمَرٍ بالسَّرِّ وَغَيْرِهِ كُتِبَا يُخَبِّرُهُمْ أَيْضًا بِذَلِكَ،

(١) في (ص ز ط ب): مضى.

(٢) باختلاس الضمة.

(٣) في هامش (ط): "قوله: أَنْ يَلْقَوْنَهُ، برفع الفعل مع أَنْ، وهي ناصبة، يجوز لضرورة الشعر كما جاء رفعه مع حرف الجزم في قول الشاعر: أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالْأَنْبَاءُ... وهذا معروف عند العلماء".

(٤) الأساط: كذا في الأصل ومعظم النسخ. ولم أهدئ إلى معنى لها. وفي (ط): الأنياط. والنياط: معلق القلب من الوتين. وقد انتُقد استخدام (أنياط) وُصِّحَ بأنه (نياط). الصفدي: تصحيح التصحيف، ص ١٣٣.

(٥) في (ص ز ط ب): لو جمعت.

(٦) في (الأصل): سياط. ولعل ما أثبت من بقية النسخ أولى.

(٧) الأشراط: من أسماء الأضداد، يقال للأرذال، والأشراف. ينظر الجوهري: الصحاح، ج ٣، ص ١١٣٦.

(٨) في (ص ز ط ب): مخالفيه. والصحيح ما أثبت.

وَيُحْتِثُّهُمْ عَلَى الرَّجُوعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَتَرْكِهِمْ التَّهَادِيَّ فِي الْبَاطِلِ، وَأَنْ يَطْرُدُوا الْعَبِيدَ الَّذِينَ مَعَ ابْنِ الضَّحَّاكِ مِنْ بِلَدِهِمْ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْعَبِيدَ كَانُوا يَقْطَعُونَ الطَّرِيقَ عَلَى الضَّعَفَاءِ، وَكَانَ ابْنُ الضَّحَّاكِ يَأْمُرُهُمْ بِذَلِكَ، وَأَمَرَهُمْ بِدَفْنِ بَيْرٍ كَانَ النَّاسُ يَشْرَبُونَ مِنْهَا، فَأَتَوْا بِاللَّيْلِ فَدَفَنُوهَا، حَتَّى أَمَرَ أَبُو الْقَاسِمِ بِعَمَلِهَا.

وَأَمَرَتْ عَمَّتُهُ مَرْأَةٌ^(١) الدُّعَامَ بَعْضَ خَدَمِهَا، فَطَرَحَ فِي بَيْرٍ كَانَتْ فِي خِيَوَانٍ قَطْرَانًا، حَتَّى يَضِيقَ بِأَبِي الْقَاسِمِ الْأَمْرُ، فَيَخْرُجَ مِنْ خِيَوَانٍ. وَعَاضِدٌ أَيْضًا ابْنَ الضَّحَّاكِ سَفَهَاءً مِنْ بَنِي مُعَمَّرٍ عَلَى مَا كَانَ فِيهِ.

فَكَتَبَ أَبُو الْقَاسِمِ إِلَيْهِمْ يَعْظُمُهُمْ وَيَذَكِّرُهُمْ بِقَدِيمِهِمْ، وَمَا كَانَ مِنْ هَمْدَانٍ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، وَكَتَبَ إِلَيْهِمْ مَعَ كِتَابِهِ بِهَذَا الشَّعْرِ:

يَا حَيِّ هَمْدَانُ إِنَّ اللَّهَ فَضَّلَكُمْ	بَنَصْرِ آلِ رَسُولِ اللَّهِ فِي الْكُتُبِ
حَتَّى سَمَّا فَخَرُكُم فِي كُلِّ شَارِقَةٍ	مِنْ الْبِلَادِ وَقُدِّمْتُمْ عَلَى الْعَرَبِ
وَنَلِيتُمْ بَعْلِي كُلَّ مَكْرُمَةٍ	فِي يَوْمِ صَفِينِ وَالْأَنَامِ ^(٢) كَالذَّنْبِ
وَكَانَ ذَاكَ وَأَنْتُمْ إِخْوَةٌ وَيَدٌ	كَالْمَاءِ وَاللَّبَنِ الْمَشُوبِ فِي الْعَلَبِ
حَتَّى إِذَا مَا دُعِيتُمْ تَخَوَّ حَقِّكُمْ	وَتَخَوَّ تَجْدِيدِ مَجْدٍ غَيْرِ مُقْتَضَبٍ ^(٣)
تَنَاقَلَتْ غَضَبَةٌ عَنَّا وَسَاعَدْنَا	أَهْلَ الْمُرُوءَاتِ وَالْأَدْيَانِ وَالْأَدَبِ
وَضُتُّنَا خَيْرُ ظَنٍّ بِالَّذِينَ جَفَوْا	عَنَّا وَأَحْلَامُنَا تَرْتُبُو عَلَى الْغَضَبِ
لَوْ كَانَ حَيٌّ سِوَاكُمْ لَمْ تُغِبَّ لَنَا	خِيَلًا مُعَاوِدَةً لِلْكَرِّ فِي الْعُصَبِ

(١) فِي (ص ز ط ب): مَرَّةً.

(٢) كَذَا فِي (ص ز). وَفِي بَقِيَةِ النُّسخِ: وَالْأَيَّامُ. وَلَعَلَّ مَا أُثْبِتَ هُوَ الْأَصَحُّ.

(٣) فِي (ص ز ط ب): مُنْقَضَبٍ.

فَقَوْمَنَا^(١) فَارِقُوا التَّضْلِيلَ وَانصَرِفُوا
وَشَرُّدُوا أَعْبَادًا مِنْ عَقْرِ دَارِكُمْ
أَوْ لَا تَلُمُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْ سَبَبٍ
فَإِنَّا مَعَشَرٌ لِنَسَا نَقُرُّ عَلَى
فِينَا الظُّبَا وَالْقَنَا وَالْحَيْلُ صَافِنَةٌ
لِنَسَا نَمَلُ لَفْظِي حَرْبٍ إِذَا اسْتَعَرْتُ
إِنْ نَحْنُ نَلْنَا الَّذِي تَرْجُو فَذَلِكَ لَنَا
أَوْ حَالٌ مِنْ دُونِهِ قَلُّ فَنَحْنُ عَلَى
لِلْحَقِّ لَا تَرْكُنُوا لِلَّهِوِ وَاللَّعِبِ
فَعَارُكُمْ يُغْدِي الْأَخْيَارَ كَالْجَرِبِ
بَعْدَ الْمَعَاذِيرِ وَالْإِبْلَاحِ فِي الْكُتُبِ
ضَمِيمٍ وَنَحْنُ أَوْلُو التَّصْمِيمِ فِي التَّعَبِ
وَنَحْنُ اللَّهُ قُمْنَا غَيْرَ ذِي كَذِبٍ
وَلَا نَخَافُ الرَّدَى فِي مَوْضِعِ^(٢) الْعَطَبِ
وَكُلُّ سَاعٍ يَنَالُ السَّعْيَ بِالطَّلَبِ
مِنْهَاجِ آبَائِنَا فَرْزَنَا بِمُتَقَلَّبِ

/ ٦٤-أ / قال علي بن محمد: فَلَمَّا وَصَلَ كِتَابُ أَبِي الْقَاسِمِ إِلَى بَنِي مُعَمَّرٍ
اجْتَمَعُوا وَتَشَاوَرُوا فِي أَمْرِهِمْ، وَعَلِمُوا أَنَّهُمْ لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِالْهَادِي، وَأَنَّ أَمْرَهُ قَدْ عَلَا
وَقَوِيَ، فَأَمَرُوا بَعْضُ سُفَهَائِهِمْ أَنْ يَعْقِرَ فَرَسَ ابْنِ الضَّحَّاكِ، فَعَقَرَهَا بِاللَّيْلِ؛ فَلَمَّا
بَانَ ذَلِكَ لِابْنِ الضَّحَّاكِ، عَلِمَ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ أَسْلَمُوهُ، وَتَرَكَوهُ، وَجَفَوهُ، وَجَعَلُوا
يَطْرَحُونَ لَهُ الْكَلَامَ، وَيُغْلِظُونَ لَهُ الْجَوَابَ.
فَلَمَّا بَانَ لَهُ ذَلِكَ اسْتَغَاثَ بِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ.

مَصِيرُ ابْنِ الضَّحَّاكِ إِلَى أَبِي الْعَتَاهِيَةِ يَسْتَأْمِنُ لَهُ مِنْ أَبِي الْقَاسِمِ -^(٣) -

وَمَضَى إِلَيْهِ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ إِلَى أَبِي الْقَاسِمِ أَنْ يُؤَمِّنَهُ وَيَصْفَحَ عَنْ زَلَّتِهِ،
فَأَحْسَنَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فِي أَمْرِهِ، وَكَتَبَ لَهُ إِلَى أَبِي الْقَاسِمِ، وَوَجَّهَ مَعَهُ رَجُلًا مِنْ

(١) أي فيا قومنا، بتقدير حرف النداء.

(٢) في (ص ز ط ب): موقف.

(٣) سقط العنوان من (ص ز ط ب).

أصحابه في قِطْعَةٍ مِنْ خَيْلٍ وَرِجَالٍ مَادَّةً لِأَبِي الْقَاسِمِ، وَسَأَلَ أَبَا الْقَاسِمِ أَنْ يُؤَمِّنَ لَهُ ابْنَ الضَّحَّاكِ، وَيَهَبَ لَهُ ذَنْبَهُ. فَلَمَّا وَصَلَ ابْنُ الضَّحَّاكِ إِلَى أَبِي الْقَاسِمِ أَعْطَاهُ الْأَمَانَ، وَلَزِمَ الْعَافِيَّةَ، وَأَقَامَ عِنْدَهُ بِخِيَوَانٍ.

[شعر أبي القاسم إلى أبي العتاهية بشأن أرزاق عسكره وطلب المغمريين الأمان]

وكان عسكرُ أبي العتاهية قد احتبست عليه أرزاقه، فكلمَ أبا القاسم في أن يكتبَ له كتابًا إلى أبي العتاهية، فكتبَ وَوَجَّهَ بِالْكِتَابِ مَعَ رَجُلٍ، يُقَالُ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الزَيْدِي^(١)، وَكَتَبَ مُهْنِيًا:

هنيئًا بما أولاك ربُّك ذو العُلا	بِضْرِكَ لِلْأَخْيَارِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
وفعلك إذ قُتَّ الأنامَ بِفَضْلِهِ	وَعَاصِدَتْهَا جَهْرًا عَلَى كُلِّ ظَالِمٍ
وَقِيَتْ لَأَلِ الْمُصْطَفَى وَنَصْرَتِهِمْ	عَلَى كُلِّ مَنْ نَاصَاهُمْ بِالصَّوَارِمِ
وَأَنْتَ لَنَا سَيْفٌ وَرُمْحٌ وَجُنَّةٌ	بِكَ الْهَادِي يَزْمِي فِي الثُّغُورِ الْعُظَايِمِ
سَبَقْتَ إِلَى أَعْلَى الْمَكَارِمِ كُلِّهَا	وَقَصَّرَ عَمَّا نَبَتْهُ كُلُّ نَائِمٍ
وَقَصَّرَ مَنْ كُنَّا نُوْمِلُ نُضْرَهُ ^(٢)	وَوَاجَهْنَا بِالْمُغْضِلَاتِ التَّوَايِمِ
فَنَازَعْتَهُ مِنْ دُونِنَا وَدَمَغْتَهُ	بِخَيْلِ بُيَّارِي لِلْعِدَى فِي الشُّكَايِمِ ^(٣)
فَأَبَشِرْ بِنُضْرِ اللَّهِ وَالْفَوْزِ فِي الْعُلَى	بِأَعْلَى جَنَانِ اللَّهِ خَيْرِ الْغَنَائِمِ
رَفِيقِ رَسُولِ اللَّهِ لَا شَكَّ عِنْدَنَا	إِذَا كُنْتَ فِي مَرَضَاتِنَا غَيْرَ كَاتِمِ

(١) الزيدي: لم أعرف عنه أكثر مما ورد هنا.

(٢) لعله يشير إلى الدُّعَامِ الأَرْحَبِيِّ.

(٣) الشكايم: جمع شكيمة، وهي: الحديدة المعترضة في فم الفرس من اللجام. مصطفى: المعجم

الوسيط، ج ١، ص ٤٩١.

فَأَنْتَ أَخُونَا وَالْوُصُولُ لِحَبْلِنَا مُشَارِكُنَا فِي أَمْرِنَا غَيْرُ أَئِمِّمْ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مَا لَاحَ كَوَكَبُ وَمَا غَرَدَتْ قُمْرِيَّةٌ فِي الْمَوَاسِمِ

فَلَمَّا وَصَلَ كِتَابُ أَبِي الْقَاسِمِ إِلَى أَبِي الْعَتَاهِيَةِ وَجَّهَ بِأَرْزَاقِ الْجُنْدِ.

وَأَقَامَ ابْنُ الضَّحَّاكِ بَخِيَوَانَ مَعَ أَبِي الْقَاسِمِ، فَانْقَطَعَتِ الْفِتْنَةُ، وَاطْمَأَنَّتِ
الْبَلَدُ^(١)، وَاسْتَأْمَنَ الْمُعَمَّرِيُّونَ فَأَمَنَهُمْ، وَكَتَبَ إِلَى الْهَادِي / ٦٤ - ب / يُخْبِرُهُ بِمَا كَانَ
مِنْ خَبَرِهِمْ.

[أَوَّلُ غَنِيمَةٍ قَسَمَهَا الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ]

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ قَتْلِ الْهَادِي لِبَنِي الْحَارِثِ يَوْمَينَ، جَمَعَ النَّاسَ، ثُمَّ أَمَرَ هُمْ بِجَمْعِ
مَا وَقَعَ فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الْغَنَائِمِ، فَجَمَعَ الطَّبَرِيُّونَ مَا كَانَ مَعَهُمْ، وَكَذَلِكَ مَنْ كَانَ مِنْ
أَصْحَابِ الْهَادِي الْمُتَدَيِّنِينَ، فَأَمَّا الْجُنْدُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ الْهَادِي وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ لَمْ يَكُنْ
لَهُمْ دِيَانَةٌ مِنَ الْأَعْرَابِ وَغَيْرِهِمْ، فَلَمْ يُخْرِجُوا شَيْئًا مِمَّا وَقَعَ فِي أَيْدِيهِمْ، فَلَمَّا رَأَى
ذَلِكَ الْهَادِي مِنْ قِلَّةِ رَغْبَةٍ مِنْ مَعَهُ^(٢) فِي أَدَاءِ مَا أَخَذُوا مِنَ الْغَنَائِمِ، قَالَ لِبَعْضِ
جُلَسَائِهِ: "لَمْ يَسْتَوِ الْأَمْرُ بَعْدُ عَلَى مَا أُرِيدُ، فَأُجْبِرُ النَّاسَ عَلَى أَخْذِ مَا أَخَذُوا".

فَلَمَّا جَمَعَ مَا كَانَ فِي أَيْدِي أَصْحَابِهِ أَمَرَ مُحَمَّدَ بْنَ سَعِيدٍ أَنْ يَبِيعَهُ، فَبَاعَهُ، وَحَصَلَ
ثَمَنُهُ، ثُمَّ قَسَمَهُ عَلَى سَهَامِ اللَّهِ، فَأَخَذَ هُوَ الْخُمُسَ، وَقَسَمَ الْبَاقِيَّ عَلَى أَصْحَابِهِ،
فَأَعْطَى الْفَارِسَ سَهْمَيْنِ، وَالرَّاجِلَ سَهْمًا، وَهِيَ أَوَّلُ غَنِيمَةٍ غَنِمَهَا وَقَسَمَهَا.

وَأَقَامَ الْهَادِي بِبَجْرَانَ.

(١) فِي (الْأَصْلُ ذ): فَاطْمَأَنَّتِ الْبَلَدُ، وَانْقَطَعَتِ الْفِتْنَةُ. وَمَا أَثْبَتَ مِنْ بَقِيَةِ النُّسخِ أَنْسَبَ.

(٢) فِي (ص ز ط ب): مَنْ كَانَ مَعَهُ.

طَلَبُ بَنِي الْحَارِثِ الْأَمَانِ مِنَ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ

وَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ بَنُو الْحَارِثِ رِجَالًا مِنْ أَوْلِيَائِهِ يَطْلُبُونَ لَهُمُ الْأَمَانَ، فَأَمَّنَهُمْ،
وَدَخَلُوا الْقَرْيَةَ وَتَسَوَّقُوا.

وَكَانَ ابْنُ بَسْطَامٍ قَدْ هَرَبَ إِلَى بَلَدٍ شَاكِرٍ، فَأَقَامَ بِهَا، فَطَلَبَ لَهُ بَعْضُ أَوْلِيَاءِ
الْهَادِي الْأَمَانَ، فَكَّرَهُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَمَكَثَ ابْنُ بَسْطَامٍ فِي بَلَدٍ شَاكِرٍ وَقْتًا ذَلِيلًا
مَهِينًا، وَكَتَبَ إِلَى الدُّعَامِ يَسْأَلُهُ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ إِلَى الْهَادِي أَنْ يُؤَمِّنَهُ.

[قصيدة الهادي إلى الحق في انتصاره على بني الحارث]

وقال الهادي إلى الحق فيما كان من قتله لبني الحارث القَتْلَةَ الْآخِرَةَ:

أَلَا إِنَّ فِي هَذَا مِنَ الْأَمْرِ مُغْتَبَرًا	وفيه وفي تَضَرِّفِهِ تُعْمَلُ الْفِكَرُ
تَهَضُّتُ بِحَقِّ اللَّهِ أَضْرَبُ دُونَهُ	بِأَيُّضٍ مَطْرُورٍ الدُّرَى ^(١) صَارِمٍ دَكَّرُ
وَأَطَعَنُ بِالرَّمْحِ الرُّدَيْنِي مُقَدِّمًا	تُحْزِرُ الَّذِي دَلَّاهُمْ بَغْضَهُمْ سَقَرُ
وَأُظْهِرُ عَنِّي فِي الْمَدَائِنِ كُلِّهَا	وَقُمْتُ بِهِ حَتَّى تَأْتَلَ وَاتَّشَرُ
غَفَرْتُ لِمَنْ أَخْطَأَ وَيَنْ عُنْزَهُ	فَأَفْسَدَهُمْ عَفْوِي فَبَعْدًا لِمَنْ كَفَرُ
وَمَا نَقَمُوا مِنِّي سِوَى أَنْ دَعَوْتُهُمْ	إِلَّا كُلُّ تَنْزِيلٍ مِنَ الْحَقِّ فِي السُّوَرُ
وَأَوْلَيْتُهُمْ نُصْحِي فَلَمْ يَقْبَلُوا لَه	وَلَمْ يَنْظُرُوا فِيمَا بِهِ رِيْهُمْ أَمْرُ
وَقَامُوا يُظْفَوْنَ نَوْرَ مَنْ سَمَكَ الْعُلَى	وَذَلِكَ أَمْرٌ لَيْسَ يُدْرِكُهُ الْبَشَرُ ^(٢)

(١) في (ط ب ذ): الظبا. ومطرور: محدد، والطر: تحديد السكين ونحوها. الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص ٤٣٠.

(٢) في (ص ز ط ب): بتوفيقه والعز والنصر والظفر.

فَأَصْبَحَ ^(١) نُورُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ سَاطِعًا
وَقَدْ كَانَ أَقْوَامٌ يَظُنُّونَ غَيْرَ ذَا
وَأَيَّقَنَ أَنَّ اللَّهَ يَنْصُرُ دِينَهُ
/ ٦٥- / فَمِنْهُمْ فَرِيقٌ فِي جَهَنَّمَ فُلَّتْ
وَأَخْرَجَهُمْ مِنْهَا هَارِبًا بِمَذَلَّةٍ
وَلَمْ يَكُ ذَا شُكْرٍ لِأَيْدِي تَقَدَّمَتْ
جَمِيلٌ وَإِحْسَانٌ وَشَيْءٌ فَعَلْتُهُ
وَمُسْتَظَرٍّ بِالْحَقِّ ضُغْفًا وَأَهْلِهِ
فَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَحْضُرْ فَأَجْرُكَ وَاجِبٌ
فَأَبْشِرْ بِنَصْرِ اللَّهِ مَا ذَرَّ شَارِقٌ
وَأَصْبَحَ أَمْرُ اللَّهِ بِالْحَقِّ قَدْ ظَهَرَ
وَمَا الْعِزُّ وَالْتِمَكِينُ إِلَّا لِمَنْ صَبَرَ
وَأَنَّ لَأَهْلَ الْحَقِّ فِي حَقِّهِمْ أَثَرٌ
جَمَّاعُهُمْ بِالْبَيْضِ فِي قَرْنَةِ الْهَجَرِ
وَحَزَنِي وَهَذَاكَ الْجَزَاءُ لِمَنْ غَدَرَ
إِلَيْهِ وَأَمْرٌ بَيْنَ مَالِهِ خَطَرٌ
إِلَيْهِ وَأَشْيَاءُ كَيَّارٍ فَمَا شَكَرَ
فَجَا غَيْرَ مَا يَزْجُو وَقَدْ طَالَ مَا انْتَظَرَ
بِحَشْدِكَ وَاسْتِشَارِ قَلْبِكَ بِالْحَقِّ
وَمَا زَعَزَعَتْ رِيحُ الصَّبَا وَرَقَّ الشَّجَرُ

قال علي بن محمد: وأرسل ابن بسطام يطلب الأمان من الهادي، وطلب إليه جماعة من أوليائه في أمره، فأجابهم إلى ذلك، فأرسلوا إلى ابن بسطام وهو في بلد شاكِر، فأتى ودخل على الهادي إلى الحق، فأعطاه الأمان، وطلب إلى الهادي أن يأذن له في بناء منزله، فأذن له في ذلك، فبنى منزله بميناس.

(١) في (الأصل ذ): وأصبح. ولعل ما أثبت من بقية النسخ أولى.